سيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب



جزء ١١ - ٢٠

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الحادى عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وطارق فزع أن تكون ابنة عمه فتون قد تغير عهدها ودهب ودها فناداها برفيع صوته يقول هذه الأبيات :

عليك سلام الله ياربة ويامن لها وجه يفوق على البدر
سلام محب للعهود محافظ مقيم على ماتعهدين من الأمر
له قلب محزون وقلب موله وحرقة محزون يموت من الهجر
لقى فيك كل النائبات بأسرها من الضرب بالهندى والطعن بالسمر
وقد جعلوا حكم الأمور مسلما اليك وأنت اليوم صاحبة الأمر
فان كانت الأيام تجمع شملنا شكوت لأمرى مالقيت من الدهر
وان كانت الأخرى فياطول حسرتى ويانار أشواقى تزايد فى صدرى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ذلك الشعر والنظام رفعت سجاف الهودج والبرقع من على وجهها وفتحت عينين كأنهما عيون المها ثم نادت ولم يعيقها عن كلامه عائق بل تزايد بلبالها وطاش عقلها وأرمت اليه بكفها ورفعت صوتها وأجابته على شعره تقول :

ألا ياابن العم يامنايا من العمر ويا سر سرى ياحبيبى وياجهرى
تغيبت عنى ياحبيبى وأدمعى على صحن خدى قدجرت تحكى القطر
وحبك عندى فى فؤادى مخيم مقيم وودى لايزال الى الحشر
وقالوا أناس سوف تسلوا ابن عمها لقدكذبوا والركن والبيت والحجر

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم نادت ياسادات العرب هل سلمتم الأمر الى قالوا لها نعم سلمنا الأمر اليك وهذه القصة إبرامها فى يديك وكل من رضيتى به بعلا

فهو لك أهلا . هذا ونادى باسمه فقالت اعلموا أن حق القول أصدقه والأمين عند منطقه ومن كان له ألف لايشتهى إلا ألفه سيما وهو ابن العم وكاشف الغم وأنا الذى لا أحب سواه ولا أشتهى إلا إياه (ياساده) فلما سمعوا ذلك من قولها فلم يردوا عليها خطاب ولم يرضى الخطاف بقولها ثم قال ما يكون الحكم إلا على الأقران ليس هو بمشورة النسوان فقال طارق الغدر قبيح وأنت الذى حكمت على نفسك واذا كنت لاتثبت على قولك فدونك وميدان الحرب وموقف الطعن والضرب لأن الحسام يفصل الكلام فعند ذلك قال الخطاف لقد قلت الصواب فدونك والحرب ثم فتحا فى الارض ميداناً وأجادا ضربا وطعانا حتى جرى العرق وزاد القلق فكشفت (فتون) عن وجهها من خوفها على ابن عمها ونادت يا ابن العم قوى الله حيلك وأنالك مأمولك فلما رآها صاح وهبت عليه الريح الشوق والارتياح ثم هجم على الخطاف بضربة وقال خذها وأنا حبيب (فتون) فنزل السيف فى جمجمته نزل يهوى الى سرته فنظرت العرب الى تلك الضربة فقالوا والله انها سفرة صعبة فخلوا الرجل ولا تتعرضوا له فقال بعضهم لبعض : هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب ثم ألووا رؤوس خيلهم وطلبوا الى أرضهم وصار طارق حتى وصل إلى (فتون) فقالت له لاشلت يداك ولا كان من يشناك (قال الراوى) يا ساده ياكرام فضرب بيده الى زمام ناقته واذا بعبده فلاح قد طلع طرفة عند سته فتون فى الهودج وسار هو وطارق وزمام الناقة فى يده وقال رضيت أن أكون لك قائدا (قال الراوى لهذا الكلام) ياساده ياكرام ولم يزل يجد السير حتى أشرف على حى النعمان وذهب المبشر يخبر بقدومه وفتون معه ففرح قوم وحسدوه قوم ودخل الحى واجتمع بعمه النعمان وسلم اليه طرفة فظن عمه بأن يكون الغطريف والخطاف بالحياة فنخرب دياره فقال هل تعرف ما كان من الغطريف قال نعم قد قتلته وفى الفلاة جندلته فقال كيف أخذت فتون من الخطاف فقال له انى قد خطفته بسيفى وأسقيته التلاف وتركته لايدرى الانصاف ياعم الست كنت أزوجتنى وفى حاجتك أرسلتنى قال نعم ولكن ما كنت ياابن أخى بالذى قد رأى دفع الخطاف وكل الملوك تخافه والحمد لله الذى ظفرت به (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان طارق التفت الى عمه وقال له قل لى ان كان فى نيتك أن تبعدنى عن ابنتك بعد أن شهدت أكابر العرب بينى وبينك فقال له أنت تسمع منى مقالة صادقة فقال وكيف ذلك فقال له عمه ان كان ولابد من الصحيح فى المقال فأنا أريد الصداق على كل حال وانى أريد منك ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف ثوب من الديباج

فان أتيت بذلك فأنا وحق صاحب المعراج ابنتي لك وبين يديك ولا أبخل بها عليك فعندها قال طارق ياسادات العرب اشهدوا عليه بهذا المقال فقال عمه ياوجوه العرب انتم تعلموا ان طارق فارس الحجاز وبطل هـذا الزمان وان غدرت به مرة أخرى فهو صاحب الإماره على كل حال (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمعت العرب منه ذلك المقال شهدوا عليه وانفصل الأمر وتم الحال على ذلك الكلام ولما ان أمسى المساء صاح طارق بعبده فلاح وأمره أن يشد له الجواد ويصحبه بنجيب يحمل عليه الماء والزاد ثم ان طارق انفذ بعض الإماء الى ابنة عمه فتون فأتت اليه لما ان تهور الليل وهى باكية العيون فلما رأته أنشدت تقول

الا يا ابن العم لاتنسى ودادى ولا تبعد الى أقصى البلاد
ولاتركب طريق الموت حقا ولاتبغى الفساد بكل وادى
أبى وحياة عيشك شيخ سوء كثير الغدر مبعود الرشاد

(قال الراوى) فلما فرغت فتون من كلامها وما أبدته لابن عمها من نظامها قالت له يا ابن العم الى أين أنت سائر لأن ما كل طريق يرزق الشخص السعادة والتوفيق فلا تحمل نفسك مالا تطيق ولاتسمع كلام أبى ذلك الزنديق فقال لها يامنية القلب لابد ما أجيب له كلما يريد ان شاء الملك المجيد ثم انه ودع أمه وابنة عمه وسار وسلك البراوى والقفار وهو لايدرى الى أى الأماكن يقصد ولا أى المواضع يعتمد فقال للعبد يا فلاح ان عمى قد قطع على أموالا كثيرة وأرض الحجاز ما فيها شىء من ذلك والمال فى بلاد الأعجام فاقصد بنا أرض العجم ويقسم الله لنا ما قسم فقال سير على بركة الله تعالى فساروا أيام وليالى فبالقضاء والقدر التقى بعسكر السلطان ليلا وهو فى مقابلة جرهم فقال العبد فلاح ما لنا الا أن ندخل فى هذه العساكر فقال طارق أقم بنا الى الصباح فاذا اصطفت العسكرين وتقابلت الفريقان أى طائفة صففت منهم تقدمت الى عندها وأوعدتهم بالنصر وأخبر مقدمهم بحالى وما طلب عمى فان ضمن لى ذلك قاتلت خصمه وقتلته وان لم يكن ذلك عملت على قدر ما أريد فبينما هو فى المشاجرة والمحاورة واذا بشخصين قد خرجا من السرادق الكبير وفى يد واحد منهم سبية ذهب وشمعة كافوريه فمشوا فى وصف القمر وكان ذلك الخليفة ومعه خادمه صبيح وكان الرشيد خرج سرا ليتفرج فى هـــذه الأرض ففعلوا ذلك وخرج هو وصبيح وهو يقول له يا مولاى يجب عليك أن لاتضيع خدمة الأمير عبد الوهاب فانه قوام الدين وسيف المجاهدين وترس قبر سيد المرسلين فقال الرشيد أنا مابقيت أسمع فى هـذا

الرجل جواب أبدا ولا بد لى ما أعطيه من المال مايغنيه الى ولد الولد فلما سمع طارق كلام الرشيد قال وذمة العرب ان أخذت الصداق الا من هذا ثم أن طارق أمهل الرشيدالى أن انبسط فى القمر وهو آمن فلم يشعر إلا وطارق واقف على رأسه والسيف فى يده وهو يقول له أدر كتافك وإلا وحق ذمة العرب ضربتك أخت هذه الضربة وضرب الخادم صبيح أرمى رقبته فاندهش الرشيد وأدار كتافه فربطه على جواده وصاح بخادمه فلاح وصار مستقبل البرية والرشيد يقول ياهذا اعلم أن فى أسرى إتلاف المسلمين لأنى وزير أمير المؤمنين هارون الرشيد فقل لى ماتريد فقال له اعلم أنى فى عشق وغرام وقد بليت بشر الأعمام وقد طلب منى كثير من الأموال والخيل والجمال والديباج وما أشبه ذلك فقال الرشيد ردنى الى موضعى وأنا أضمن لك كلماتريد فقال ليس لى من ذلك سبيل لأنى أسير من أحب وإذا رجعت الى موضعك أصير تحت يدك وان شئت تعطينى وان شئت تغدر بى وتجفونى لأنك أيضا ان حلفت وأنت مغصوب واليمين الغصب لايجوز ولا يؤخذ له فدية فقال الرشيد فى نفسه والله مارأيت فى طول عمرى حرامى وفقيه ومفتى الا هذا الشيطان وان طارق سار يقطع الأرض فى طولها والعرض حتى وصل الى حيه ونزل فى بيته وجاؤا اليه أهل الحى وهنوه بالسلامة وسألوه عن حاله وكيف عودته فأعلمهم أنه أسر رجل يزن كلما قطع عليه عمه من الأموال فأتى عمه لما سمع بخبره وسلم عليه فقص عليه القصة فقال النعمان وأين هو الرجل الذى تقول عليه فأحضر الرشيد بين يديه فقال النعمان من أنت يامصرى فقال أنا وزير السلطان فقال له اعلم أن ابن أخى ذكر أنك تزن صداق ابنتى فقال الرشيد على كلما تريد من الصداق فأحضر لى قرطاس ودواة من النحاس فأتاه بما طلب وكتب الرشيد كما ذكرنا الى الأمير عبد الوهاب ودفع الكتاب الى النعمان وقال له ادفعه لمن شئت فأخذه النعمان ودفعه الى فلاح وقال له اقصد بغداد واستدل على قصر الخلافه وأوصل هذا الكتاب الى الخدام فأخذ العبد الكتاب وسار الى أن وصل الى عبد الوهاب وقرأ أبو محمد الكتاب كما وصفنا ففرح الأمير بكشف خبر الرشيد (وعدنا الى سياق الحديث الأول) فقال الأمير عبد الوهاب اكتموا أمركم إلى حين يفعل الله مايشاء ثم رجع الى العسكر وأقبل على الناس وقال لهم ان مولانا أمير المؤمنين بحمد الله قد عوفى من المرض وقد عول على الحج الى بيت الله الحرام ثم انتخب من العسكر ألف فارس وقدم عليهم ولده ضيغم وقال ياولدى سير بعسكرك الى أرض السرو وبلاد النعمان وأوصاه بما يفعل وقال له اذا وصلت الى بلاد النعمان انزل فى

أطرافها حتى لاينكر عليك وان سبقتك أقمت إلى حين تصل فعند ذلك رحل ضيغم وتجدد الأمير فى المائة فارس التى وصفها الرشيد وسار فلاح بين أيديهم وأخذ المال الذى طلب وأمر الأمراء من بنى كلاب وبنى سليم أن يعودوا الى بغداد مع عسكر الرشيد وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض الى أن وصلوا إلى بلاد السرو وكان الأمير عبد الوهاب قد سبق ولده ضيغم لأن فلاح يعرف الطريق القريبه ولما أن وصلوا الى أرض النعمان أرسلوا أعلموه فلما طلع طارق والنعمان وأمير المؤمنين معهم أحضروا الأمير عبد الوهاب بين يديه فلما نظر الأمير الى الخليفة قبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين ماتأمر به فقال أريد أن أشفى فؤادى من النعمان وطارق فقال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وركب الأمير عبد الوهاب وركبت بنى كلاب وأبو الهزاهز وضيغم والأميرة ذات الهمة وركب النعمان فى عسكره واصطفت الصفوف وأشهروا السيوف واذا بفارس قد ظهر من عسكر النعمان ونادى برفيع صوته يامعاشر العربان دونكم والبراز فما تم كلامه حتى برز اليه فارس من بنى كلاب يقال له خابت ابن لاحق على جواد سابق فما جال معه غير ساعة واذا بطارق قد طعنه أطلع السنان من ظهره ثم جال وصال وطلب البراز فخرج اليه ثانى قتله وثالث جندله فعند ذلك خرج اليه أبو الهزاهز فلما رآه طارق ورآى الى كبر جثته وعظم خلقته فلم يهوله أمره بل حمل عليه وبادر اليه فالتقاه أبو الهزاهز بقلب قوى وجنان جرى وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح وأرماه الى الأرض وانقض عليه انقضاض الكوكب وكتفه وساقه حقير وسلمه الى أصحابه (قال الراوى) فلما نظر النعمان إلى تلك الفعال حار ولحقه الانبهار وقال لقومه ماترون من الرأى فقالوا وما عسى أن نعمل والله لولم يكن فى القوم الا هذا الفارس الذى أسر طارق فهو يحل بنا البلاء الماحق ومالنا إلا أن تطلب من أميرهم الأمان ونأخذ بأيدينا البنات والصبيان فقال النعمان نعم ما رأيتم ثم فعلوا تلك الفعال وأخرجوا البنات والنسوان والاماء والصبيان ونادوا الأمان الأمان فرق لهم قلب الرشيد وأعطاهم الامان وعفا عن النعمان (قال الراوى) وعاد النعمان الى الحى وذبح الأغنام وأترع الجفان فأكل العسكران وأطلق الأمير طارق فلما أطلقه قبل يد الأمير وقال يامولاى مثلك من عفا وأعاد عليه قصته وما جرى له مع عمه فتعجب الأمير من همته وهو صبى وفعل هذه الفعال وكان له من العمر عشرين سنة فلما أطلع الأمير على أحواله عاد من ساعته بعمه النعمان وقال له أريد منك الساعة أن تزوج ابنتك

لطارق فقال حبا وكرامه لله ولك أيها الأمير والسيد الخطير فقال نريد تعجيل الأمر فعند ذلك كتب الكتاب على فتون وأسره الأمير أن يدخل من ليلته فدخل طارق على فتون وزال عنه الهم والجنون وطاب قلبه وانشرح صدره ولما أصبح الصباح حضر طارق بين يدى الامير عبد الوهاب وقبل يده ودعا له وقال والله يامولاى ما بقى لى عنك صبر فأريدأمضى معك الىالثغور وأجاهد بين يديك كل الكفور لأنال بذلك السرور والرضا فضحكالأمير وقال له مبجلا نعم وأهلا وسهلا ومرحباً والله تمنيت أن تكون فى سبيل الله مجاهد وقد بلغنى الله ما كنت له قاصد فلله الحمد على ماجرى من العوائد ثم قال الأمير عبد الوهاب يا أمير طارق كم قد بقى بيننا وبين بيت الله الحرام فقال يا أمير بيننا وبين مكة ستة أيام ثم ان طارق سار أمام القوم من أول ذلك اليوم ولم يزالوا سائرين فى خفض ورفع برارى وهضاب حتى أشرفوا على مكةوتلك الشعاب ونزلوا على مايقال له المغيط وسبق البشير الى أهل مكه بحمول الركاب فخرجوا الى لقاء الخليفة أهل مكة وجميع الأصحاب وترجل فى ركابه جماعة كثيرة من أهل العلم والفقهاء وصاروا يحجبوه وكذلك الأمير والأميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز وطارق وبقية الأمراء من بنى كلاب (قال) وأن الخليفة دخل الى البيت العتيق وطاف به وفرق الأموال على الفقراء والمساكين والحجاج والمجاورين فشكروا الله تعالى علىخلاصه مما كان فيه من ذلك الضيقالى أن دعوا له كل من كان فى مكة والبيت الحرام من بذل الاموال والخيرات والانعام التى عمت على الخلائق الخاص والعام فلما أراد أن يرحل بسلام دخل عليه جماعة من مشايخ البيت الحرام وقبلوا الارض بين يديه وأشاركل منهم بالدعاء اليه وقال واحد من القوم الحاضرين إن عندنا أمر لك فيه الصلاح يا أمير المؤمنين وذلك أن عندنا شيخ من المشايخ المتمكنين وأن فيه زهد وعبادة ودين وخوف من رب العالمين وبالله لقد رأينا من بركاته شيئا كثير مع انه صائم الدهر لايفطر فى النهار وهو كثير العبادة والاستغفار آناء الليل وأطراف النهار فهل لك يامولاى أن تمشى الى زيارته وتتضرّع ببركته وتعود عليك بركة دعوته فقال الخليفة للأمير عبد الوهاب ماترى فى هذا الرأى فقال له الامير ان هذا رأى صائب وفعل واجب ثم نهض الامير عبد الوهاب والرشيد والاميره وأبو الهزاهز وضيغم وقشعم وكان هؤلاء الاميرين من أخت الامير راشد ابن ضمره وهى أول نسائه ولما توجهوا الى الزيارة تبعهم جماعة منالرجال الاجواد مثل طارق الحجازى وسملق وطمطم ابطال الجهاد . هذا وساروا الى أن وصلوا الى

المساجد ودخلوا الى المكان الذى فيه العابد فتبينوه واذا به بالى الجسم أصفر اللون كأن له سنة مريض وعلى ذلك الذى هو فيه هيبة ووقار وعلى وجهه آثار العبادة ومفروش من فوق الفرش سجاده فعندها تميزوا الأمراء الى صفته وأثبتوا معرفته واذا به الشيخ المفتون الملعون القاضى عقبه قال فلما وقعت عينه على الخليفة أراد أن يقوم ولم يلحقه جزع ولا مخيفة فما قدر على القيام ووقع من شدة الضعف وقلة الامكان فأشار اليه الرشيد أن اجلس فجلس ولما رآه الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وعلاه الصفار والانتحال وقد عمل ذلك كله من زخاريف المحال فقال البطال والله ياشيخ الضلال ومعدن الكفر والمحال ويلك قد نسيت القياده وإدمان شرب الخمر على العادة والكفر بعالم الغيب والشهادة وعدت عطفت على الحقيقة فقال له بنفس ضعيف وصوت خافت كيف أنت الى الآن فى قلبك منى البلاء لكن أنا أستعين عليك برب الارض والسماء (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هذا الملعون الى ذلك المكان لما فعل هياج الكرى مافعل ولكنه كسر له أربعة أضراس وبعض من الاسنان وفعلوا مافعلوا مع هياج الكردى من ذلك الشان الذى ذكرناه (قال) ووصل الخبر الى ملك الروم منويل بأن عبد الوهاب ومن معه من فرسان بنى كلاب قد ملك البلاد وفتح القسطنطونيه وملك من فيها من الاجناد ياساده فلما سمع ملك الروم بذلك الخبر الذى قد أتاه علم وتيقن أن الروم ماتفلح وانه ابدا مايبلغ مناه فقال دعنى آخذ بنفسى النجاة قبل أن أهلك وأعدم الحياة ثم انه عاد كما ذكرنا وتلاقا هو وإياه كما وصفنا وانكسر ملك الروم وتشتت عسكره فى الفلاة وكان الملعون عقبه لما جرت على الروم تلك الكبر عاد راجعا الى أن وصل الى مدينة البصرة وكان له فيها مقارض نصرانى يقال له اسرائيل وكان له عنده مال جزيل (ياساده) فلما أن وصل الملعون اليه وقدم عليه فقام النصرانى بواجب خدمته وقضى له حق ضيافته وأرقده تلك الليلة فى مكان عنده يصلح لمرتبته وقال له ما تريد أيها الشيخ النجيح وحجة السيدالمسيح فقال أريد ناس من عرب الحجاز المجهولين يحملونى الى مكة من هذا الوقت والحين (ياساده) فقال النصرانى سمعا وطاعة ثم انه خرج من عنده وغاب أقل من ساعه وعاد ومعه كما طلب من العرب المجاهيل جماعة فأقبل عليهم عقبه وقال لهم : من أين أنتم ؟ فقالوا نحن من وادى يقال له وادى النمزع وبيننا وبين مكه المشرفه مسيرة يوم (ياساده) فقال لهم أريدكم تعجلوا بى الى مكه المشرفه فانها هى المستقر فقالوا له بسم الله وقد رأوه شيخا كبيرا ولكن نريد

نفرغ من حوائجنا قبل المسير فقال لهم عقبه ماحوائجكم فقالوا نشترى أرز مقشور ونبيعه فى أرض الحجاز بين المضارب والدور فانه يستفيد كل درهم عشره ولنا على هذا الحال كذا وكذا سفره (ياساده) فقال عقبة للعامل أريدك تمضى الى السوق وتشترى لهؤلاء حوائجهم وتقضى لهم مايريدوه من الحتوق وأحضرهم الى عاجلا فقال سمعا وطاعة إلا أن معهم خمسين راحلة فقال له أوسقهم لهم ولو كان معهم مائة راحل (ياساده) فاندهشوا القوم من فرحهم وصاروا يتشوشوا لما علموا انهم قد بلغوا أربهم فعلم عقبة ذلك منهم فأمر لهم بالكسوة الخام وأمر بالخير الزائد والانعام الى أن غمر الجميع ومن عادة العرب انهم مجبولين على الطمع وبعد ذلك أقبل على العامل وقال له أريدك تحضرلى خمسة جمال جياد لأجل حمل قرب الماء وشيل رواحل الزاد ثم انه بعد ذلك طلب من العامل ألفين دينار ففعل له العامل كما أراد ورحل الملعون فى الليل الى أن تهور وطلع نجم سهيل وساروا الى أن أصبح الصباح وأضاء بكوكبه ولاح ونزلوا القوم الى بعض المياه والغدران فجعل عقبه يقرأ القرآن بذلك الصوت الذى يطرب له كل من سمعه من القاصى والدان الى أن اندهشت القوم من حسن تلك الألحان وأخرج لهم من ذلك الزاد الذى هو أحلى عندهم من قدوم الرقاد وأطعمهم من فنون الحلويات شيء لم يسمعوا به إلا فى الحكايات (ياساده ياكرام) ولما جن الليل جعل يحدى للنوق وهى تطرب على حسن صوته وتهرق فى تلك العروق وتقطع المراحل والرمال ولو كان يمكنها الطيران لطارت فى تلك البرارى والتلال وهى تضرب بأخفافها التراب وتسير سيرا حثيثا بمن عليها من الركاب (ياساده) ولم يزالوا يواصلوا سير الليل بسير النهار حتى وصلوا الى حللهم وتلك الديار وأقام عندهم فى الضيافات ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دخلوا به الى مكه والبيت الحرام وأكروا له بيتا فى جانب البلد وتلك الأحقاف وكانوا أهل البيت الذى سكن فيه قوم فقراء ليس لهم شيء من النوال وكانوا قوم غرباء على ذلك الحال فأبرهم وأعطاهم وقال لهم لى عندكم حاجة فقالوا له وقد أكثروا عليه اللجاجة : وحق زمزم ومنى لو أمرتنا أن نقتل نفوسنا لفعلنا مابه تأمر فقال لهم أريد منكم من الأقوال أن تشيعوا فى سائر الشعاب والتلال ان عندنا شيخ من بعض العباد لايدخل ولايخرج إلا منفرد للعبادة على حالة الزهاد وله عندنا أربعة أعوام ما رأيناه يفطر بالنهار ولا فى الليل ينام ولا له دأب إلا الصلاة والصيام (ياساده ياكرام) فانهم خرجوا الى جميع الأزقة والشوارع وجعلوا يطوفوا ويقولوا فى سائر المواضع عندنا رجل من صفته كيت وكيت وله

عندنا أربعة أعوام ما خرج من البيت ويقولون من ذلك وأمثاله من ذلك الشان وسمعوا إلى أن صارت الناس يهرعون له من كل مكان وسمعوا به أهل الرأى والمشورة والسادات الاعيان فجعلوا يدخلون على عقبه القرنان ويذكرون من كان عندهم مجاور من العلماء وأهل الفقه والايمان وعقبة يتلو بين أيديهم القرآن ويفسر لهم ماقرأ من الآيات ويتكلم معهم فى كل علم من المسائل المشكلات (ياساده) وكان الملعون عقبة عارف فى العلوم جميعها إلا أن الشيطان استحوز على قلبه ولم يزل إلى أن احتوى على قلوبهم ولعب بعقولهم وجعل يوهب ويعطى ويتصدق ويبكى ويتكلم فى المواعظ حتى تبكى الناس فى مجالسه وأوقاته حتى ان غالب أهل مكة صاروا لايحلفوا إلا بحياته ويتوصلون الى مراده وقضاء حاجته ويشاوروه فى أمور شتى ويسألوه عن كل قول كريم وقد صار عندهم فى مقام عظيم (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده وبعد ذلك بأيام وصل الخليفة الرشيد الى مكة والبيت الحرام وزمزم والمقام وسمع عقبه بهذا الترتيب ففرح بذلك الاتفاق العجيب وقال لا كتب عليه المسيح سلامه وأعقبه الذل والندامه فيالتنى كنت فى القسطنطينيه أدبر على خراب مملكته وذهاب دولته ولا كنت تصبحت فى هذا المكان برؤيته ترى أقدر أعمل على الكياد وأملك ملك الروم البلاد ويحتوى على رقاب العباد وأنا أسأل المسيح بن مريم أن يحن على بقتل الأسود الأدهم وذات الهمة وأبو محمد البطال المصمم (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن عقبه لما سمع بقدوم الامام أقبل على مشايخ الاسلام وسألهم أن يحدثون الرشيد بذلك الكلام فأجابوه إلى ما أراد من المراد والناس لهم الظاهر ولا يعلم الغيب إلا الملك العلام ثم عرضوا ذكره للخليفة ومن معه من أمراء الاسلام حتى أنهم أتوا الى زيارته فى ذلك المقام (ورجعنا الى سياق الحديث) بعد صلاة ترضى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هذا وأن الرشيد قال للخدام والشيوخ الذين يخدموا زمزم كم لهذا الشيخ هاهنا فقالوا يا أمير المؤمنين له عندنا مهاجر أربع سنين ولم نرى أكثر اجتهادا منه (قال الراوى) وكانت هذه حيلة من عقبه حتى تكون هذه الشهاده تنفعه عند الرشيد لأنه علم أن هياج الكردى قد أتقن فيه علائمه وكان اللعين قال لهم إنى وقعت من على جمل كنت راكبه وتكسرت أضراسى وبرطل ناس من أهل مكة حتى شهدوا له فلما نظره الرشيد قال فى نفسه إن دخلت النار ما يكون إلا بخطيئة هذا الشيخ الصالح ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير صح عندى الآن أن كلما يقولوه فيه زور وبهتان فلو كان نصرانيا فايش كان يعمل فى هذا المكان بل انه يكون عند

القسوس والرهبان والله ان كل ما قالوه عليه عندى كذب وبهتان فلم يقدر أحد أن يتكلم ولا يرد عليه جواب (قال الراوى) ثم أقبل الرشيد على عقبه فقام قائما على قدميه ورمى نفسه عليه فقال الرشيد يا أمير عبد الوهاب قد قمت اليك سائلا لا زلت للأثقال حاملا فقبل الأمير الأرض وقال يامولانا كيف يسأل المالك المملوك وكلامك مقبول وعلى الرأس والعين محمول فقال الخليفه هو أن تصالح أبو محمد مع الشيخ عقبه فقام عقبه وهو يرتعش خيشامنه ولعنه ودنا نحو الامير وهو يبكى فى وجهه ويقول لا أعقبك الله سوء يابنى فاعتنقه الامير البطال لاجل الخليفة ثم أقبل اللعين على الاميره يقبل يديها فامتنعت من ذلك وقالت فى نفسها لعل المشوم رجع عن كفره ثم قرب اللعين على الأمير أبو محمد حتى قرب منه وقال شهد الله تعالى يابنى انى مشتاق اليك واعتنقه وقال له فى أذنه والله يا قرد النحس لأوريتك من حيلتى أشياء كثيرة فقال البطال لا كلام حتى تسلم ولابد من أخذك ولو كنت فى حجر السلطان ثم افترقا كأنهما ما نطقا هذا وان الرشيد قال ما بقى الا الرحيل فقال الأمير عبد الوهاب إن شاء الله يكون بهمتك الرحيل فى غداة غد حتى يأخذوا الناس أهبتهم ويتمهل القاضى لأجل عقبة حتى يخف ما به من الطيش فان الدنيا الآن من أجله مستخبطه وهى تشويش (ياساده) ثم قال الرشيد للامير عبدالوهاب كيف خاطرك على محبك القاضى عقبه فقال الأمير يامولانا ومن مثل القاضى وأنت له من العصبه ولأجل المولى يحمل العبد على الرأس والعين وهو عندنا محل الروح التى بين الجنبين فقال الرشيد ما تقول يا قاضى فى مثل هذا الانعام الغزير من هـذا الأمير الكبير فقال عقبة يامولاى الأمير عبد الوهاب حامى حوزة الدين وعضـد الخلفاء الراشدين وقامع الكفرة والملحدين رفع الله به قواعد الدين والأميره ذات الهمة والبطال وأمراء بنى كلاب وجعل محله فى أعلا عليين (قال الراوى) فلما سمع الرشيد من عقبة فى حق الأمراء ذلك المدح قال شهـد الله ان هذا الكلام مليح من رجل فصيح وقد مدح وهو أولى بالمديح (ياساده) وتفرقت النـاس وهم يضجون بالقال والقيل وباتوا وهم على نية الرحيل إلى أن أصبح الله بالصباح وأضـاء بنوره ولاح ونصلى على زين الملاح فعند ذلك أخذ أمير مكه فى الضيافات والعلوفات ووقف فى خدمة الرشيد فسمع النـاس بأنهم يقولوا فى غداة غد يكون الرحيل قال فتقدم أمير مكة إلى الرشيد وقال يامولانا الامام اعلم اننا فى شدة شديدة فان تم علينا هذا وعلى أهل مكه والمدينة خربت كما خربت أرض اليمن فقال الرشيد كيف ذلك فقال يا أمير المؤمنين اعلم ان قريب منا بستة أيام جبل يقال

له الشامخ وخلفه حصن قد نقر فى الجبل ودارت به الأشجار والأنهار وقد أحدقت برياضه سائر الافنان والماء يدخل ويخرج من داخل الحصن وهو يتبع من صخرة وفى هذا الحصن امرأة وهى من أحسن الناس وجها وأطولهم قد وأقعدهم نهدا يقال لها القناصة ابنة مزاحم وقد ضربت غاراتها إلى البلاد وشتت بقومها العباد وأيتمت الأولاد وتحت يدها خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وهى قد أباحتهم بنات العرب من ذوى الرتب وقد انضاف اليها كل طامع من العبيد وخدامها تضرب إلى أرض مصر والصعيد وتأخذ القوافل والأموال وتسبى النسا والعيال والأطفال ومع ذلك فانها إذا وصف لها فى أى البلاد شاب مليح جميل الصوره تسير اليه بنفسها وتأخذه قهرا وتقوده كرها وتسير به الى حصنها وتتزوج به ثلاثة أيام فاذا كان فى اليوم الرابع ترفعه إلى احدى الأبراج وتضرب رقبته وقد قتلت على هذه الحالة والصفة عالم كثير وقد أخذت من مكة اثنى عشر رجلا وفعلت بهم مثل هذه الفعال ونريد أن تكشف عنا هذه البلية وتنفذ الينا اذا رجعت الى العراق عسكر جوار مثل البحر الزخار فان الله تعالى قد فرض عليك الجهاد فى جميع أهل الفساد فقال الرشيد مايمكننى المقام لانى على وجل من البلاد ولأجل العباد فلا بد من الرحيل ان شاء الله رب العالمين ولكن لابد ما أبعث اليكم مع الحاج جيش عرمرم يكشف هذا الأمر العظيم فقال الامير عبدالوهاب للخليفة يامولانا الامام أرسل لنا من تريد من الأجناد وأنا أسير اليها بخمسمائة فارس أبطال جياد معدين للحرب والجلاد وأهلك أبطالها وأقتل أقيالها وأخرب أطلالها (ياساده) فعند ذلك تقدم أبو الهزاز اليه وقال له أيها الأمير أقصر عن هذا الأمر الذى قد عزمت عليه أولا تضمن للخليفة قتلها لأن معها رجال وأى رجال أبطال اقيال لايخافون الأسد فى الدحال وهذه المرأة التى هى القناصة تقتنص بيدها الأسد الريبال وتستحل دماء الأبطال وأنا أيها الأمير من جمله ما جرى لى معها شىء تشيب منه الأطفال وأسرتنى وقعدت عندها سنة أسير أطحن الحنطة والشعير وبعد ذلك منت على بروحى وأطلقتنى وقالت لى اذهب إلى حال سبيلك وتحدث بخلاص نفسك من بين أيدينا فانك فى أخذها لا تطمع فان جميع عربان هذه البلاد تخاف منها وتفزع (ياساده) فصاح الأمير عبدالوهاب وقال له اسكت لا أم لك كيف تصف بين يدى مولانا الامام وخليفة سيد الأنام وتذكر له ذات ضلع أعوج ولسان ملجلج فاعزم يا أمير المؤمنين مع السلامه ويكون فى صحبتك خمسمائة فارس وأنا آخذ معى خمسمائة وأنا إن شاء الله تعالى على الضمان بمعونة الله

الملك الديان انى أقتل رجالها وأفنى أبطالها (ياسادة) فلما سمع الخليفة من الأمير ذلك الكلام قال لله درك من فارس قمقام وليث ضرغام وفى الحرب لايرام لأنك ترس قبر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام زادك الله من الخيرات والا كرام (ياساده) ثم ان الخليفة أقبل على الأمير عبد الوهاب وعلى الأميرة ذات الهمة بالابتسام وأكرمها أعظم الاكرام ثم قال للاميرة ذات الهمة ماتقولى معنا على المسير فقالت يا أمير المؤمنين قد تقدم ذكر هذه المرأة وماهى فيه من الخطر وأنا أسألك من احسانك وفضلك وامتنانك أن تطلق لى المرسوم انى أمضى مع ولدى ونطلب من الله المعونة فانى أخاف عليه من شرها فقال الرشيد هذا هو الصواب وهو أمر لايعاب (قال الراوى) فعندها رحل الرشيد وسار طالب بغداد وسار معه بعض الأمراء والأجناد وسبقت قدامه البشائر بحلول الركاب فخرج الى لقائه أرباب الدولة وجميع أكابر أهل البلد وكان يوم دخوله الى بغداد يوم عظيم لم يأتى مثله فى الزمان القديم وجلس على سرير الملك وأتت اليه الولاه من سائر الجهات فصار يوهب ويخلع ويزيد فى العطايات وقد صار عقبه عنده فى أجل الرتب وقد فرق الفضة والذهب (ياساده) ولما قر قراره واستقر بكل زائر مزاره قام عقبه ودخل عند السيدة زبيده فقامت اليه وسلمت عليه فسلم عليها وزادت له فى الاكرام وجعل يحدثها بما جرى له فى البيت الحرام وما كان منه مع أهل مكة فقالت له ياقاضى لعن الله أهل الشر والضلال فلقد تحدثوا عنك بسوء المقال ونقلوا عنك مالا يقال ولابد أن أدع الخليفة أن يقابل هؤلاء الكلاب بما فعلوا فى حقك وبما نقلوا وأساؤا الأدب (ياساده) فقال عقبه بخبثه ومكره ودهاه لا بالله عليكى ياستاه لا تذكرين له ذلك فانى والله ما أشتهى أن يتأذى من جهتى عصفور فكيف أحد من المجاهدين فان ذلك لا يجوز ولا يحل فى ملة المسلمين فقالت له زبيده لله درك ياقاضى ما أحكمك وما أرق قلبك وأرحمك (ياساده) فدعى لها وشكرها وخرج من عندها طالب داره التى فى بغداد فوجد ولده الصغير قد أتى من ملطيه فلما رآه أقبل عليه واعتنقه وجعل يبكى لما جرى عليه من فقده فقال له ياولدى ما أنا إلا قد جرى على فى هذه السفرة أمور وأهوال حتى انى أبريت ساحتى عند الخليفة الرشيد وقد كذبت القريب والبعيد ولابد لى ما أزال ألعب بالدول حتى انى أبلغ ما أريد (قال الراوى) ياساده ياكرام فهـــذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه بعد مفارقته لأمير المؤمنين توجه للمسير الى ناحيه القناصه هو والأميره ذات الهمة ومن صحبتهم من المسلمين وقد تبطنوا فى تلك

البرارى والقفار وجعل يجد فى السير ليلا ونهار حتى قرب من الجبل الذى هى ساكنه فيه وعلمت أهل الرستقاق بقدومه الى نواحيه فجعلوا من بين يديه منهزمين والى نحو الحصن طالبين وحضروا أكابرهم بين يديها وقصوا قصتهم عليها وقالوا لها أيتها الاميرة العالية المكان العزيزة السلطان قد أقبل علينا جيش كلهم سودان كأنهم أولاد الجان الذين كانوا تحت يد سليمان (ياساده يا كرام) فهم معها فى الكلام وهم يشكوا ماحل بهم من الاوهام واذا قد بانت لهم الاعلام ومن تلك الرجال الكرام وقد دقت بين أيديهم الكؤسات وضربت السودان بالدبادب والفقارات حتى ارتجت الارض من كثرة الصرخات (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما رأت القناصة من أعلى الحصن تلك العساكر الواردة ونظرت الى تلك الغبائر العاقدة أمرت الأخرى عساكرها نخرجوا كأنهم يأجوج ومأجوج وقد اعتدوا لأجل الحروب والكفاح وعولت الطائفتين على الضرب بالصفاح والطعن بالرماح (ياساده) فلما أن وقعت على العين وتقاربوا الفريقين وحملت الشجعان وتقابلت الابطال فى الميدان فيالها من ساعة ما كان أعجبها من ساعات الزمان (باساده) هذا والأمير عبد الوهاب قد حمل وحمل معه من فرسانه كل ليث بطل وقد فرقوا الكتائب وأظهروا العجائب وفعلوا فعل كل ليث موائب وفرقوا العساكر يمين وشمال وقتل الامير بحملاته الفرسان والابطال وكذلك الاميره ذات الهمه قد زادت فى فعلها على الرجال الثقال وصاحت فيهم وحملت عليهم ونادت يالدين محمد المصطفى أنا فاطمه بنت مظلوم بلا خفاء وتبعتها الرجال وأجادوا معها فى الحرب والقتال وأنزلوا بالأعداء الوبال وأحلوا بهم النكال ولم يكن لرجال القناصة بهم طاقه ولا بحربهم استطاقه فولوا من بين أيديهم منهزمين وللنجاة طالبين والى نحو الحصن قاصدين وهم يصيحون ماهؤلاء من البشر ولايقف بين أيديهم إلا من دثر وانقبر (ياساده) فتلقتهم القناصة وقد وبختهم على فعالهم وقالت لهم ياويلكم مابالكم وما الذى دهاكم ونالكم فقالوا أيتها الأميره لقد جاءتنا رجال وأى رجال لايهابون الموت ولايخافون من الفوت (ياساده) فلما سمعت القناصه من رجالها ما قالوه من الكلام ضجت على ماحل بهم ونالهم وقالت لهم لقد صدقتم فى المقال لأنى كنت لكم ولهم مشاهدة ونظرت ماكان بينكم من الأحوال ولكن مافيهم أفرس من عشرة رجال وهم الذين يعتمدون عليهم فى الحرب والقتال وفيهم فارس أسمر اللون مليح الكون ظريف الشمائل مليح الأعطاف والدلائل ورأيت فارس آخر كثير الشجاعة والبراعة كأنه الأسد الضارى إلا أن ركبته كأنها

ركبة امرأة وان صدقنى حذرى ولم يخطنى زجرى فانها أفرس أهل زمانها وهاأنا الآن خارجة اليهم وقادمة عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها دخلت فى لامة حربها وتأهبت للطعن والضرب واستوت على ظهر حصان أشقر عالى من الخيل مضمر مليح المنظر واسع المنخر يسبق لمح البصر ويفوق النظر من تربية خيول قيصر سالم القياد يصلح ليوم الطراد كما قال فيه الشاعر وأجاد :

قطعت الارض مجتازا وتحتى ... جواد لا تسابقه الصافنات
يطير الى الثريا قبل طرف ... ويرجع قبل لمح الناظرات

(قال الراوى) ثم خرجت القناصه من الحصن وقد طاب قلبها للخروج هذا وأصحابها من حولها وتبعتها الخيل مثل الليل وجالت على الحصان وصارت تقول أنا قناصة الاسود أنا ذات البنود أنا للابطال قتاله بسمر الصعود (قال الراوى) ثم رتبت أبطالها وصفت رجالها فقال الامير عبد الوهاب والله لقد رأيت الابطال وباشرت المصافات والجيوض مارأيت أحسن من ترتيبها ثم انها جالت بين الصفين حتى حيرت الفريقين من العسكرين ثم انها بعد جولاتها همزت الجواد بكعبيها كسرت أضلاعه وقفزت عنه وأشارت إلى قومها فأتوها بحصان أدهم أغر ململم بغرة كأنها الدرهم اذا صهل يكاد أن يتكلم ثم انها أدارت وجهها الى العسكر ونادت يا فرسان العرب والسادات من ذوى الرتب أخبرونى ماأنتم طالبين أماسمعتم بخبرى اننى فارسة الصدام والمعجلة للابطال الحمام بشرب كاس الموت الذؤام ثم همزت الجواد على أضلاعه فقطعت نخاعه وقفزت عنه فأتوها قومها بجواد أدهم إلا انه مجتمع ململم كأنه الليل المظلم أو الغراب الاسحم فوثبت من الارض صارت على ظهره من غير أن تضع رجلها فى الركاب ثم انها نادت يا أصحاب العساكر القادمة ياأرباب الدساكر الواردة أخبرونى من أنتم ومن أين أتيتم والى أين أنتم واردين وما الذى أنتم طالبين وعلى ماذا أنتم معولين أما سمعتم بخبر القناصه ابنة مزاحم البطل الهمام ثم انها أشارت إليهم تقول :

ألا يا أيها القوم الذى حان حتفهم ... وجرتهم الأقدام نحو المقابر
ستلقون من قناصة الأسد لبوة ... تبيد الأعادى بالسيوف البواتر
فهل فيكم قرنان يدلى بنفسه ... ويعرف من قوم كرام أطاهر
فيبرز نحوى كى يرى اليوم موقفى ... وطعنى برمحى إذ تدور الدوائر

(قال الراوى) ولما فرغت من ذلك الكلام وذلك الشعر والنظام أرادت البراز وسألت الانجاز وكان الأمير طارق الحجازى الى جانب الأمير عبد الوهاب مع جملة الأصحاب وكان أحسن الناس وجها وأبهاهم منظرا مليح العيون حسن الشمائل والفنون كأنه البدر الطالع والغصن اليانع وقد ذكرنا حسنه وجماله وشجاعته وخصاله وكان كما قال الشاعر اللبيب بعد الصلاة على طه الحبيب :

صادت فؤادى ذات الكحل   بدور تبدت لنـــا فى الحلل
وهذا الغـــلام مليح القوام   كبدر التمام مليح المقل

(ذكر المصنف ياسادة) وكان هذا طارق قد أخذ من الشجاعة قسمه ومن البراعه حفظه ورسمه وكان له شعر من طوله مشدود الى وسطه فلما نظر الى القناصة وقد فعلت تلك الفعال اشتاقت نفسه الى الحرب والقتال وحن جواده من تحته إلى المجال فتقدم الى الأمير عبد الوهاب يريد يستأذنه فى الخروج اليها والهجوم عليها وإذا به قد سبقه إليها وأراد أن يحمل عليها فتعلقت به الأميرة ذات الهمة وقالت ياولدى ما أدعك تخرج الى هذه الملعونة لأنها ان ظفرت بك فهو العار الأكبر وان ظفرت بها لاتنال فخر ولا ظفر واننى ما آمن عليك من شرها ومكرها فدعنى أخرج اليها واهجم عليها فهى معه فى المحاورة والكلام واذا بطارق قد اغتنم الفرصة وخرج اليها وهو كأنه بدر التمام وهو يقول للامير عبد الوهاب وللأميرة ذات الهمة بالله عليكما إلا ما تركتمونى أخرج اليها وأحل بها الارتباك لأن هذه أول خدمه أخدم بها الأمير عبد الوهاب (ياساده ياكرام) فقالوا له لقد أقسمت علينا بعظيم ابرز اليها وخذ حذرك منها فعندها برز اليها وهو راكب على جواد أبيض كأنه بياض النهار ويسبق الطير اذا طار وهو كما قال فيه الشاعر حيث قال

جواد العز حاز الى المعالى   ويبلغ مايريد بلا جنـاح
إذا مارمته يوما لحرب   اطار وقد على فوق الرياح
ويسبق فى المسير للمع برق   ويقطع فى المسير الى البطاح

(قال الراوى) ياساده ياكرام وهو متقلد بسيف بارق معتقل برمح خارق وعليه زرديه ترد أسباب المنية ثم ساق جواده وقد اشتاقت نفسه الى حربها وجلادها حتى حتى وصل الى ساحة الميدان ولما حاذاها فى محل الطعان أنشد يقول

أرى لك فعلا زائد الجور والقبح   كفعل لئيم زائد البخل والشح
أما سمعت أذناكى يوما بطارق   فتى يخرج الهيجاء بالسيف والرمح

فدونك منى فارس ذو حمية غشوم هجوم لا يمل من اللفح

(قال الراوى) فلما سمعت القناصة شعر طارق ورأت حسن وجهه وسواد شعره وبياض جبينه الرائق علمت أنه صغير السن فطمعت فيه وحملت عليه ومالت بكليتها اليه ونادت برفيع صوتها أيها المغرور بشبابه البارز إلى مصابه قد خاطرت بنفسك وأرملت عرسك ثم انها أشارت اليه على عروض شعره تقول هذه الابيات

أيا من له وجه حكاسنا كالبدر وطرف كحيل قد توهم بالسحر
ستعلم انى ليس فى الارض فارس يقاومنى فى معرك البيض والسمر
وانى أنا قناصة الاسد فى الوغى أبيد الاعادى بالرماح وبالبتر
ولا أرهب الابطال فى يوم معرك ولا أنثنى فى موقف الكر والفر

(قال الراوى) ثم أنها حملت وأوصلت الطعن والضرب اليه وحمل الآخر عليها وتقرب بالهجوم اليها وأنهما لم يزالا فى كر وفر حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار ووثب عليها طارق بحملته وطلبها بشدته وهم عليها بطعنته فصبرت حتى وصل اليها السنان وقد قربوا من بعضهم بعض فمدت يدها الى نحوه وقبضت على سنان رمحة وهمزت بحيلها عليه كسرته نصفين فرمى طارق بقيته إلى الارض واعتمد على السيف وجالا طويلا واعتركاميلا ثم انه هجم عليها وأشار بالضربة اليها فوقفت له حتى رفع السيف وقصد رأسها فخرجت عنه وقد مضت الضربة خائبة وقد بطلتها بحسن خبرتها (قال الراوى) ثم أنها هجمت عليه وضايقته ولاصقته حتى حك الركاب بالركاب ومدت يدها اليه وقبضت على مراق بطنه وجذبته اقتلعته من سرجه ورجعت به وقد انكشف الغبار وانجلى ما تحته الابصار وكان فى يدها كانه العصفور فى يد الباشق الكسور وسارت حتى أوصلته الى عند أصحابها وقالت لهم أكرموه فانه والله كريم الفضل بين شبابها وقالت له عند أخذها له ما أنت الا أن تعلقت بشىء من الفروسيه الا انك تحتاج الى سواعد قوية ثم أنها أوصت عليه رجالها وعادت الى حربها ونزالها ثم أنها نادت برفيع صوتها هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز فلم يجبها أحد فعندها حملت وأيضا حملت معها رجالها وأصحابها فأبادت الأبطال وأرذت الاقبال وصرخت فى الجميع وصرعت الأبطال وضربت الرجال ضرب وجيع فهى كذلك إذ لقيها الأمير عبد الوهاب وحوله جماعة من بنى كلاب لحمل عليها وأراد أن يوصل

الأذية اليهـا وإذا بصايح يصيح من جانب المعقمة وهو يقول أدركنى الحقونى وعينونى وخلصونى (ياساده) فالتفت الأمير الى الصياح من وسط القتال وتبينه وإذا به الأمير أبو محمد البطال وهو يقول هذا المقال وكانوا أصحاب القناصة أحدقوا به وعرقبوا جواده وذلك أن القناصة لمـا برزت إلى الميدان برز الآخر مع جمـــلة الفرسان فجرى له ما جرى وصـار يمانع عن نفسه إلى أن كثر عليه العدد وتزايد المدد وأشرف على الهلاك وسوء الارتباك واستغاث بالأمير عبد الوهاب فانحرف الأمير عن القناصه ليخلص البطال وحمل على الرجال وأباد الأبطال فانعطفت عليه عند انحرافه وزاوغته وغافلته وطعنته وأرادت أن تبطل بعض أطرافه فوقعت الطعنة لمـا يريد الله من تمـام مشيئته من ظهور الولد النجيب الذى تذل الأبطال لهيبته فى الموضع الذى فى خاصرته الذى أصابه يوم وقعة الجلا الذى جرحه له أبوه الحارث وكان ذلك سبب قتله (ياساده) فتمزقت الخياطة من الطعنة لما وصلت اليه وكادت أن تقضى عليه من حدتها وخرجت مصارينه من بطنه فردها بيده وانحنى على سرجه شفقة على نفسه فعلمت القناصه بحاله فطعنت الحصان برأس السنان فقفز الجواد من تحته إلى وسط الميدان فلم يتمالك الأمير على روحه من شدة الطعنة فوقع فمن شدة الواقعة كادت أن ترد عظامه فعطفت عليه القناصـة عند وقعته أخذته أسير وسلمته إلى أصحابها وهو بحالة الذل والتعتير وقالت لهم يا ويلكم ما بقى بعد هذا من تخشوه فى القتال ثم انها عطفت بعد ذلك على الأمير أبو محمد البطال وضربته بالسيف صفحا على رأسه فطارت البيضه والرفاده وانشجت جبهته وجرى دمه على وجهه وجبهته ومدت يدها اليه عند دهشته أخـذته أسير وسلمته إلى رجالها ذليل حقير والأمير عبد الوهاب غائب عن الدنيا حاضر معهم فى صفـة مفقود وقد أمرت بالثلاثة إلى الحصن وكل هـذا يجرى والأميره ذات الهمة ما عندها منه خبر لأنها كانت مشتغلة بنفسها وكان قد أحدق بها الف فارس من عبيد القناصه وهى تقابلهم ساعة تفرقهم وساعة تجمعهم (ياساده) فبينما هم على ذلك الحال وهى على ما هى عليه من القتال وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فالتفتت تنظر ما الخبر وإذا بالأمير طوق بن مالك وهارون العلوى قد أتى اليها وأخبرها بأسر ولدها عبد الوهاب ومعه أبو محمد البطال وطارق الحجازى بعد أن جرح الأمير جرحا مؤلما وهو مشرف على التلاف (قال ياساده) فلما سمعت الأميره بذلك الكلام صار الضياء فى عينيها ظلام وكاد فؤادها أن يطير مما نزل عليها من البلاء وصارت كأنها الحيه على المقلا ثم انها طلبت

طلبت القناصة وهى تشق ذلك الملا هذا وقد تبعها مالك ابن طوق وأسد ابن ضمرة وجماعة من بنى كلاب وسملق وبقية الفرسان وهم خلفها كانهم أسود الغاب وقد احمرت منها الحدق وقد طلع على شدقيها الزبد وصارت تهدر مثل ما يهدر الاسد فما وصلت إلى مكان المعمعة حتى أقبل الظلام ورجعت الطائفتين عن الحرب والصدام وطلعت القناصة حصنها ودخلت إلى قصرها وقد بلغت مأمولها فقالت الأميرة هذا لم يكن فى الحساب وكيف يكون العمل فى خلاص الأمير عبدالوهاب وفيه هـذا الجرح الذى يقولوا أنه أشرف منه على الهلاك والتلاف والذهاب (قال الراوى) هذا والأميره قد رجعت إلى الخيام وباتت طول ليلتها لم يأخذها منام وهى تقول ان لم يخلصا والا هلكت ورجعت طول تلك الليله ترقب النجم والفلك (قال الراوى) هذا ما كان من الأميره ذات الهمة وما حل بها من المصاب (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب وما جرى له مع القناصة فانها لما رجعت من الحرب والضراب قالت على يا أمير هؤلاء القوم فأحضروا لها الأمير عبد الوهاب إلى بين يديها وقد شد بطنه بعمامته لكنه فى همة الاسد من هيبته والرجال من حوله يمشوا فى خدمته فلما نظرته قامت اليه وأجلسته بين يديها وقالت فى نفسها وذمه العرب الكرام لو بليت به فى مقام الحرب والصدام لما وصلت اليه ولا فى جملة من الايام ثم قالت له من أى العرب انت ياغلام فقال لها من بنى كلاب الكرام فقالت له أنت ابن الحارث بن ظالم الذى قتلت أباك على ترك ملة الاسلام فقال لها الامير عبد الوهاب نعم لانهم كفروا بباريء النسم ومنشيء الامم فقالت له سمعت عنك أنك أسمح الناس كفا وأنك موصوف بالشجاعة ومارأيت منها شيء فى تلك الساعة (ياساده) فقال لها الامير عبد الوهاب اعلمى ان الامور لها أسباب والمقادير لها أبواب وأنك ما أسرتينى مثل ما تؤسر الابطال وما طعنتينى الا غدرا (قال الراوى) فلما سمعت القناصة منه ذلك الكلام والمقال انقلبت عيناها فى أم رأسها ووثبت اليه بالسيف تعلوه من شدة بأسها فاستعطفها بعض أمراءها وناسها فقالت وذمة العرب الكرام ما بقيت أقتلك وأسقيك كاس الحمام حتى أبارزك واختبرك فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ولكن كيف السبيل وأنت بهذا الجرح الوبيل فقال لها الاميران هذه الحجة تزول ابعثى إلى بعض أصحابى الذين على حصنك نزول حتى يخيطوا جرحى وبعد ذلك اذا أراد الله بالسلامة ألتق أنا وأنتى فى حصنك بشرط أن تسلمى لى عدة كاملة فان ظفرتى بى حملت اليكى ما تريدى من المال وأرحل عنكى برجالى وأبطالى وان ظفرت بك تطلقينى أروح إلى قومى

فقالت له وقد قطبت وجهها من كلامه تقولى لى ارحل عنك بعساكرى فلو ان مثل عساكرك اضعاف لما حسبت لها حساب بل أنزل بها لوبال وإن لم تكن قد أنصفت فى المقال لكنت فعلت بك ما تضرب به الامثال ثم قالت ائتوه بصاحبه الذى عندكم فى الاعتقال فى عاجل الحال مضوا ليحضروا أبو محمد البطال وقالوا له قم الآن إلى صاحبك ان كان يعز عليك وهو من أهلك وأقاربك فقال لهم سألتكم بالله العظيم لاتكون الاميره القناصة تريد تفعل بى فعل ذميم فقالوا له انما يريد احضارك لتخيط جرح صاحبك فقد طلب منها البراز مثل ما تفعل فرسان الحجاز ووقع الشرط بينهم ان ظفرت به حمل اليها الاموال وان ظفر بها أطلقت سبيله من الاعتقال فلما سمع أبو محمد البطال منهما ذلك الكلام قال ما أظن هذا الرجل بعد هذا المقال يروم أن يصل اليها وهى التى قهرت الرجال والابطال (قال الراوى) ثم ان البطال قام مع الرجال وسار الى بين يدى القناصة فى عاجل الحال ولما رأته صغر فى عينها وقد أعلموه باساده فعندها تقدم البطال ووقف بين يديه وقال له اعلم أيها الاميران هذه المرأة جبارة لاسيما وأنت على هذه الحالة من شده الجرح الذى أنت فيه فقال له الامير يا أمير أبو محمد إذا أراد بالعافية مسبب الاسباب وملكت سيفى ودرقنى فى يدى ترى العجب ولكن خيط لى هذا الجرح قبل كل حساب (ياساد) فتقدم الامير أبو محمد وخاط جرحه ووضع عليه من الادوية والحشائش النافعة للجراح وشده شدا وثيقا فوجد الامير فى نفسه راحة وكان ذلك الوقت آخر النهار فباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره الوضاح وعادوا الى ما كانوا عليه من المبارزة والارتياح (ياساده) فعندها وثب البطال وأشار الى القناصة وقد أمل من اطلاقه بلوغ الامل وقال لها أيتها الاميره لقد عدلت فى هذا الجاهل فلم ينفع فيه العدل وقلت له ان هذه الاميره لو اجتمع عليها كل من فى الارض يريد بها سوء لما وصلوا اليها ولا قدروا عليها ثم أنه تقدم اليها بمكره وحيله وأشار اليها يمدحها ويقول

ألا اننى قد طفت جمع العوالم ... وقد نظرت عيناى جمع المعالم
فلم أر يوما مثل بنت مزاحم ... ولا فى السخى أسخى ولا فى المكارم
أبادت سيوف الهند بالضرب فى العلا ... وقد عودت فى الحرب قطع الغلاصم
لقد شرفت قناصة الاسد فى الوغى ... وقرت بذا أهل الندى والمكارم
وقد خاب قرنا لامسته لانها ... تبيد الاعادى بالسيوف الصوارم

(قال الراوى) فلما سمعت القناصة من أبو محمد ذلك الشعر والنظام ومدحه لها وكيف خيرها على جميع الانام فأعجبها وكان ذلك عندها أمر عظيم المرام وقالت له لافض الله فاك ولا كان من يشناك ولقد أخطأنا فى حقك أيها الشاعر الأديب إذ نحن أسرناك وما كنا عرفناك وانى وتربة أبى قد وهبتك نفسك فان شئت تقيم عندنا وان شئت تعود الى قومك وأهلك (ياساده) فشكرها وأثنى عليها بزخاريف المقال ثم انه التفت الى الأمير عبد الوهاب وقال له تريد تجرب روحك مع هذه الاميره وألا تنظر لك فى نفسك عاقبة وخيرة فقالت القناصه أعطوه عده فما عسى أن يفعل وهو على ما هو عليه من الشده فأتوا اليه غلمانها بعدة جعلوها قدامه وبين يديه فقام وقد أفرغ الزرد عليه وأخذ السيف بيده فلما أن ملك العدة وصارت فى يده قال فى نفسه انه قد نجى من الشده التى كانت وصلت إليه فعندها قال له الأمير أبو محمد البطال اعلم أيها الأمير أن هذه المرأة قد وهبتنى نفسى وقد قال الله تعالى : (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وأنت تعلم أن أمك ذات الهمه أشد منك بأس وأصعب منك مراس ولكن ماتقوم مقام هذه الاميره القناصه وهاأنا الساعة أخرج اليها وأحدثها بكل ماجرى وأضمن لها من هذه الاميره انها لاتؤذيها ولاتدع أحدا من قومها يصل اليها ولايدنو لها بسوء ولكن تنفقوا على شيء واحد وهو أن تبرز اليها أنت أو أمك رجالة أو خيالة فان ظفرت بأمك تفديها بالاموال التى لكم فى مكة وهى العشرة آلاف دينار التى ودعتوها هناك خيفة من الوقوع فى مثل هذه النوبة وأنا أضمن لكم هذه السيدة تقبض المال فانه أحب اليها من الأسر وقتل الرجال وأنا أعلم أنها ما تخالف لى قولا ولا تعصينى أبدا لما بان لها من محبتى فيها (قال الراوى) ياساده ياكرام لهذا الكلام والمقال فلما سمعت القناصه ذلك طمعت فى المال ولم تعلم أن أبو محمد قد أوقعها فى شرك الاحتيال فقالت له ياشاعر وذمة العرب لقد قلت الصواب فاخرج وعود بهذ الخطاب (ياساده) ثم ان البطال أخذ يد القناصه وعاهدها بذلك للاميره ذات الهمه على الحساب ثم قال لها ولايصعب عليك أيتها الملكة هذا الامر سيما وانه بقى لك علىّ حق العتاقه فلهذه الامور ولهذا الرجل وأمه علىّ حقوق كثيرة ومكارم غزيرة ومعلوم أن هذه المرأة الساعة مالكة نفسها فاذا دخلت حصنك صارت تحت حكمك بل أريد لها خاتم أمانك ويكون الزمام منك على ما ذكرناه من ذلك فوقع الشرط بينكما إن أسرتى هذا الامير كان لك نصف المال وإن أسرتيهم كان لك المال كله جميعه فقالت القناصه صدقت وهذا خاتم أمانى لك ولهم وأيضا لك

من المال الجائزة الحسنة على شعرك وعلى تعبك لأنك مدحتنى ولم أعطيك شيء (قال الراوى) ياساده فشكرها أبو محمد البطال ودعا لها بطول البقاء والدوام وطلب منها أن تقول لغلمانها يفتحوا له الباب فأمرتهم بذلك ففتحوا له الباب فخرج البطال وهو فرحان وسار طالب الاميره ذات الهمه فوجدها كأنها الحية على المقلة فدخل عليها فنهضت له شوقا إلى ولدها ومعرفة خبره وقالت له ياأبو محمد هل تخلص ولدى فقال يخلص ان شاء الله تعالى ثم انه أعاد عليها القصة من أولها الى آخرها ثم قال ان كنت تعلمى أن فيك كفاءة لمن فى الحصن ولا تفرطين فى نفسك وأما الامير عبد الوهاب فانه بكل عافية من رب الارباب وأنا ألعب بعقولهم وأخلصهم فى هذه الليلة ان شاء الله تعالى (ياساده) فقالت له الاميره ياأبو محمد دخلنى الحصن وانظر العجب فقال البطال إذا كان الامر على ما ذكرت فخذى أهبتك فعندها نهضت الاميره بعد ما أفرغت عليها لامة حربها وسارت مع أبو محمد وهى لا تصدق أن ترى وجه ولدها وقد أقامت مقدم على قومها مالك بن طوق وقالت له إن قصدنا نعمل على خلاصنا بالمال من غير قتال وإن كانت الاخرى فانجو بنفسك وبمن معك لان ما فيكم من يقوم مقامها ولا يروم مرامها على انى أرجو من الله النصر عليها ثم ان الامير أبو محمد البطال سار وسارت الاميره من خلفه وهى تتضرع الى الملك المتعال وتسأله خلاص ولدها على ذلك الحال (ياساده) ولما أن وصلوا الى الباب نادى البطال : افتحوا الباب فان الشاعر قد وصل بالمراد الى الملكه الكريمه والسيده العظيمه فمضت البوابين اليها وبوصول الشاعر أعلموها وانه على الباب يريد الدخول إليك والحضور بين يديك فقالت لهم خذوا حذركم أن يدخل معهم ثالث فلما عادت الغلمان وفتحوا الباب وصاروا بين يديها وسلم البطال عليها فردت عليه السلام وقالت له أيها الشاعر ذكرت لهذه الاميره ما عولنا عليه فقال نعم أيتها الملكة وقد جاءت إلى حضرتك وهاهو ذا ولدها أسير فى قبضتك فأيهما أراد أن يبرز إليك فليفعل (ياساده) والاميره ذات الهمه قد اجتمعت بولدها وجعلت تسأله عن سبب أمره وعن الجرح الذى انجرحه فقال لها يا أماه ما أنا إلا بخير من الله سبحانه وتعالى طيبى قلبك وقوى عزمك فما مضى للبطال اليك إلا من شفقته عليك لكى تحضرى ويطيب قلبك وإلا أنا كان قلبى طيب انى اذا ملكت سيفى وترسى ألقى كل من فى الحصن فقالت الاميره يابنى لا تتعب نفسك فأنا من الاسواء فداك وأنا إن شاء الله تعالى أكفيك مؤونة أعداك لأنك من ألم الجراح قد ضعفت قواك (قال الراوى) ياساده يا كرام

فالاميره مع ولدها فى الكلام واذا بالقناصه قد صاحت صيحة كأنها الرعد القاصف وقالت لهم ويحكم من هوالذى يبارزنى منكم فجاوبتها الأميره بصيحة أعظم من صيحتها وقالت لها ياويلك من انت عدموك قومك حتى يبرز إليك فارس الاسلام المذكور وبطلها المشهورمبيد الكفار وفارس الثغور الأسد الوثاب والليث الغلاب سيد أمراء بنى كلاب أمير المجاهدين عبد الوهاب ولكن أنا أفديه من الردى وبروحى أقيه وألقى عنه ربات الخرائد وأصحاب المقانع والقلائد (ياساده) فلماسمعت القناصه من الاميره ذات الهمه ذلك الكلام وثبت من على سريرها كأنها الأسد الضرغام وقد امتشقت فى يدها الحسام وأخذت فى يدها ترس من الحديد الصينى وزنه سبعين رطل تمام ثم انها زعقت على الاميره وقالت لها ياعاهره ستعلمين من عليه تدور الدوائر (ياساده) فصرخت فيها الاميره المجاهدة الطاهرة وقالت لها ويلك يافاجره يا كافره سوف تنظرين من تكون من ساعتها خاسره وحملت كل واحدة منهما على الاخرى وجرى بينهما من الحرب مايريد يجرى وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن فكانا كأنهما جبلين تصادما أو بحرين تلاطما ورأت الاميره من القناصه مالاتراه من غيرها (ياساده) وكانت القناصه وزنت نفسها مع الاميره فوجدتها ترجح عليها بكل درهم دينار فندمت على دخولها الحصن وقالت ما مكر بى إلا الشاعر الازرق العينين الذى يشبه فى أمره الحصين بمكره لأنه عرف أن هذه الاميره لها شجاعة وغرّ بى حتى حل بى عطبي وان سلمت صلبته على باب الحصن (ياساده) ثم انهما تضاربا وتقاربا حتى ضاقت منهما الأنفاس وزاد بينهما الامرعن حد القياس وكانت القناصة قد وجدت فى نفسها تقصير وعرفت الاميره منها ذلك الخبر لانها ماضربت مضرب إلا بالعطب واستد فى وجهها كل مذهب (ياساده) ذكر الناقل أن القناصة لما رأت نفسها صاحت فى قومها أدركونى واحطموا عليها بالسيف المشطب وأعينونى عليها وقد وقعت معها فى بحارالعطب (ياساده) فما انهم إلاأن سمعوا مقالها حتى زجرت رجالها ورفعت الى الاميره أبطالها وهم خمسة آلاف فارس وهم ليوث عوابس بالسيوف الصقال والدرق الثقال (ياساده) هذا والامير أبو محمد البطال قد قصد الى النسوان وقال لهم اعطونى عدة مانعة وصمصامه قاطعه وقد ذهبت عنكم هذه الواقعة ولا تعرفون هلاك هذا الاسود إلا منى وكان الامير عبد الوهاب فى هذه الفترة قد أخذ عدة من بعض الرجال وثار الى معاونة أمه ذات الهمة ثورة الاسد الرئبال وكان الاميرأبو محمد البطال لما قال للنسوان اعطونى

عدة أساعد بها الفرسان ظنوا أن كلامه حتما وقوله صدقا فأعطوه سيفاً قاطع ودرع مانع ودرقة من الحديد لايكاد يحملها إلا الرجال الصناديد فأخذهم ومضى وهو يقول خذوهم وبالسيوف قطعوهم (قال الراوى ياساده) والقناصة تنادى برجالها وأشجع أبطالها وتندب ماجرى عليها ونالها والبطال أراد أن يبرز حجة عندها فقال أيتها الأميرة اقبلى منى ما أقول وقد بلغنى المسئول والمأمول فقالت له القناصة وما عساك أن تقول يا طالعة الشوم فما رأيناك إلا فى طالع مذموم فقال لها البطال لاتفعلى أيتها الملكه ولا تظنى إلا الرأى الحسن وأنا الزأى عندى أن تدلونى على هذا الامير الذى عندكم واسمه طارق الحجازى صاحب الوجه المليح فانه عزيز عندهم حتى انى أخرجه مكتوف اليدين مكشوف الرأس وفى رقبته حبل وعلى رأسه سيف مجرد حتى انى أوقفه قدامهم وأقول لهم وحق البيت الحرام وزمزم والمقام إن لم ترموا عددكم وتسلمون نفوسكم وإلا ضربت رقبة صاحبكم لأنى إن فعلت ذلك فلكم الأمان فاذا سمعوا منى ما أقول طمعوا فى السلامة وربما رجعوا على أنفسهم بالملامه ويسلموا نفوسهم إلينا يبقى الأمر للملكه إن شاءت وهبتهم نفوسهم وإن شاءت أسكنتهم رموسهم فلما سمعت القناصة كلامه قالت لمن حولها ارشدوه الى مراده فسار معه بعضهم ودلوه على المطموره الذى فيها طارق ولم يكن بأسرع مما فتحها ثم تقدم الى طارق وحل كتافه وقبل أطرافه وسلم اليه عدته وكان قد أخذها البطال من النسوان فأعطاها لطارق وقال له قم وأدرك الاميره والأمير عبد الوهاب فانهم فى أشد ما يكون من الطعان والضراب وقطع الاطراف والرقاب فقال له طارق حباً وكرامة ونحمد الله على العافية والسلامة ثم انه وثب وثبة الأسد وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

قد جاء سعدى وملكت ترسى وعدت بعد الموت مالك نفسى
أنا الذى أعرف بين جنسى بطارق مهزم آل عبس

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان طارق صار عند الاميره والأمير ولما رأت النسوان من البطال ذلك الأمر الخطير قالوا له ويلك ياشاعر الشوم ما هذا الأمر الذميم فقال البطال وأنا إيش لى ذنب أنا عهدى بأن الأسارى لا يكونوا إلا فى الكتاف الشديد وفى أرجلهم القيود الحديد وما أنا إلا نزلت المطمورة وصرت بين يديه حتى وثب علىّ وثبة الأسد العظيم ولطمنى أرمانى وأخذ عدتى منى وطلع

الى أصحابه وكشف عنهم الشدة وحق ذمة القرب لولا مابينى وبينه من النسب لكان أسقانى كاسات العطب وقد بليو رجالهم بما لايطاق وقد نودى فى شملهم بالشتات والفراق فقالوا له قل لنا ماتفعل وكيف يكون العمل فى هذه الأسباب (قال الراوى) ياساده فقال لهم البطال وما بقى لنا فرج إلا أنكم تفتحوا الأبواب وتأخذوا معكم ماخف حمله من الأموال ثم تتسلقوا الى رؤوس هذه الجبال والأحجار والصخور فتملكون أعلاه وتقعدون فى رباه لأنه حصنكم فى هذا الوقت لكون أن هذا الحصن قدملك وكل من فيه قدهلك وما قلت لكم هذا المقال إلا من شفقتى على الحريم والعيال وأنا أكون أولكم لأننى قدأفسدت كلمتى مع قومى ومدحت القناصة قدامهم ورجعت على الأمير عبد الوهاب بالملام وأنا فما بقى لى عندهم مقام بعد ذلك المقام فقالوا النسوان لبعضهم البعض لقد أشار بالصواب فبادروا بنا الى فتح الباب واذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما فعاد أبو محمد الى داخل الحصن وقلبه على الأمير كاد أن يطير وخاف لايكون قد أسر وهو كالحية على المقلا أوالوالهة الثكلى الى أن قرب من المكان وسمع قوم يقولون هؤلاء أقوام جبابرة وماهم من البشر ومن طلب نزالهم فقدحمل نفسه على العطب أمارأيتم هذه المرأة كيف أخذت القنا فى أسرع وقت وبقيت كأنها العصفور فى يد الباشق الكسور ثم أنها أدارتها كتاف والأسود كيف يقطع الأطراف ويرجع الى العلاج ويفلل العزائم ويقطع الغلاصم ويبرى المعاصم والآخر الذى كان عندها أسير قد قتل الرجال وطير الرؤوس والأوصال فلماسمع كلامهم البطال طاب قلبه ورجع نحو الباب والنساء قد اشتغلوا عنه بزعقات الرجال ثم أنه جعل يعالج الأقفال حتى فتحها فى الحال وخرج واذا بالأمير مالك وأصحابه قدامه يسمعون الصياح ولاسبيل لهم الى معاونة الأمير والاميره فى الكفاح فصاح البطال عليهم ادخلوا الباب فقد جزر الأمير الابطال جزراوأبادهم خمسة وعشرا هذا وقددخل الامير مالك وصاح الله أكبر وكذلك أصحابه فلمارأوا أصحاب الحصن الى هذا الفعل الفظيع والحال الشنيع قدحل بهم فألقوا العدد من أيديهم وصاحوا الأمان الأمان فرفع عنهم الامير ضرب السيف ولم تكن سيمته ظلم ولا حيف وطلبوا الرجال الباب وملك الامير الحصن والاسلاب وأحضر الامير القناصة وكانت أحسن أهل زمانها فخطبها من نفسها فتزوج بها الامير فى الحال وتولى عقد نكاحها البطال ودخل الامير بها فوجدها بكرا كما خلقها ربها فبقى الأمير متعجب من أمرها فعلمت ما فى نفسه فقالت له أيها الامير أتظن أنه قد خطر ببالك الذى سمعته عنى وأنى قد تزوجت بجماعة من الرجال ثم أضرب منهم الرقاب فقال

الامير قد سمعت ذلك وكيف كنتى تعملين فقالت كنت اذا سمعت ببطل من الابطال أطلبه من أهله أو آخذه قنصا من الميدان أو بالطعن أو بالسنان فاذا تزوجت به وخلوت معه أتذكرها ماكان من أمره وكيف أسرته فتنفر نفسى منه على انى أكون له أهلا ويكون لى بعلا فامنع نفسى واضرب عنقه حتى لا يرجع إلى أهله ويحدثهم بما كان منى فتقع هيبتى فى قلوبهم وبقيت أنا بكر كما ترانى فسر الأمير بذلك وأقام عندها مدة أيام وكان اذا دخل أبو محمد الى عندها تقول فى نفسها هـذا الشيطان الذى ملك حصنى وأقام الأمير عبد الوهاب عندها فى أرغد عيش هذا جرى ههنا (وأماما كان) من الرشيد فانهم لما ودعوه وودعهم وسار طالب بغداد والقاضى عقبة فى صحبته ومازال إلى أن دخل بغداد وزينت لقدومه البلاد وسائر العراق وأرسل الطيور إلى سائر الآفاق وزينت جميع الأقاليم والرستاق ودخل عقبه على السيده زبيده فقالت له أهلا وسهلا بك أيها القاضى أين كانت هذه الغيبه فقال لها اسألى مولاى اين وجدنى ثم ابتدأ يحدثها كيف كانت عودته إلى مكة وكيف وقع وطارت أضراسه وهى تقول لعن الله الناس السوء أنت كنت فى تلك المواضع الجليلة والناس يقولوا كنت فى بلاد الروم وأنت الذى عملت على حصن أريل حتى أخذوه الروم ولا بد ما أقول للرشيد يطرد هياج الكردى لأنه تكلم فيك بالقبيح وقالوا هو الذى قلع أضراسك فقال لها بالله عليكى يامولاتى لاتقولى لمولاى لاخير ولاشر ولاتقطعى رزقه لأنى ما عرفت منه الا الخير وما أشتهى أن ينقطع رزق مسلم من أجلى ومعلوم انى أنا عند الله لى الأجر العظيم والدنيا زائله وأنا أخشى أن ألقى الله سبحانه وتعالى وفى صحيفتى ذنب واحد فقالت لله درك ما أحلمك على تقبيح خصمك وأعظم أجرك وما أخبرك بالعلوم فلا تبرح من عندنا فى بغداد فقال سمعا وطاعه لأمرك ياسيدتى ثم سار إلى داره فوجد ابنه قد اختبى ولم يكشف خبره فلما اجتمع به قال له يا بنى لقد لقيت الشدائد وبقيت مدة فى المواضع المشاع وسأله عن حاله فاعلمه بما جرى له وقال له عولت ان أرسلك إلى ملك الروم بكتاب وأسأله عن حاله وان كان له رغبه أن يغزو المسلمين ويأتى إلى بلاد الثغور والخروج اليها فليفعل ذلك قبل أن يأتى الاسود الزنيم والوغد اللئيم والعجوز العاهرة وأنا أعلم أن البلد الذى توجه اليه ما يرجع منه وعول عقبة أن يوجه إلى ملك الروم كتاب ويحرضه على الخروج الى بلاد الاسلام هـذا ما جرى ها هنا (وأما ماكان) من هياج الكردى فانه لما سمع بأن القاضى عقبة قد وصل مع الرشيد مبجلا مكرما فقال أقسم بالله لا بد لى أن أهجم عليه ولو كان فى حجر

الخليفة فما هو الا أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير وأشرك بالملك القدير وبات وهو قلق طول ليلته لم ينم وهو متفكر فى أمر عقبة ولعنته وحيلته ومكره وخبثه ولم يزل كذلك إلى أن أصبح الله بالصباح فهذا ما كان من هياج الكردى (وأما ما كان) من الخليفة فانه جلس على سرير ملكه عند الصباح وحوله الخواص من أرباب دولته والوزراء والحجاب والخدام والمماليك قيام متكئين على سيوفهم ودخل القاضى عقبه فتزعزع له الرشيد ولم يبق أحدا فى ذلك المقام إلا وقام قائما على الأقدام فلما جلس عقبه قال له الرشيد ياقاضى إنى قد بان لى منك فى مكة مافيه الكفاية وقد علموا الناس ذلك وكان الامير عبد الوهاب لما فتح القسطنطينيه وقد أخذ منها الستور مكتوب عليها اسمك وقناديل فما السبب لذلك فضحك عقبه وقال يامولاى مايخلو المرء من أمرين إما أن يكون مسلم والمسلم لايرى فى دينه من ذلك واما أن يكون منافق والمنافق لايعمل عملا حتى يهتك بستره وهذا من شؤم الروم حتى أنهم يوقعون بين المسلمين فلما سمع الرشيد ذلك قال يا قاضى اعلم أنى ما أقول لك هذا المقال إلا من طريق الانبساط وهذا هياج الكردى زعم أنك جئت إلى حصن أربل من بعد ما أبصرك فى خيمة الملك منويل فقال يا مولاى أنتم تقولون ان أربل خربت من مدة ستة سنين (قال) وكان الأمير هياج حاضرا فقال اعلم يا عقبة أن ما بقى بعد هذا الأمر أمر بعدأن رأيتك ياويلك فقال عقبة يامولاى أيهما أصدق عندك هياج أوأهل مكة قال أهل مكة شهدوا أن لك عندهم عشر سنين فلما سمع هياج ذلك هانت عليه الدنيا وصغرت نفسه عنده ثم امتضا سيفه من غمده وطلب عقبه فلما رآه مقبل اليه صاح بملو بطنه ردوا عنى هذا المجنون لايقتلنى فصاح الرشيد فى هياج فلم يلتفت اليه فقام عقبه يجرى طالب بيت الحريم ورفع الستور وهم بالدخول فلحقه هياج وضربه بالسيف قطع إبهامه وسال دمه فالتفت عقبه اليه من حلاوة الروح وشدة الضربه فطعنه هياج بأصبعه فى عينه قلعها فوقع عقبه الى الأرض ما فى عينه قطرة فأخذت هياج السيوف من كل جانب حتى بقى كأنه الابزار وأمر به الرشيد أن يرما الى التراب وقامت على الرشيد القيامه وعقبه مرمى كأنه الحجر الملق فأحضروا له الأطباء وقال لهم احضروا وانظروا حالكم فى القاضى عقبه وما قد أصابه من النكبة فقالوا يامولانا الجرح يداوى ولكن عينه ذهبت هذا حرى هنا (وأما هياج) فانه لما رمى على باب القصر وقد شاع خبره فى بغداد فسمعت زوجته وبناته فخرجن حافيات باكيات صارخات منشورات الشعور ولفوه فى ازار ومضوا به الى الدار وقد حملوا لهن أهل

بغداد الطعام ثم جعلن يبكين الى نصف الليل فغلب النوم على أعين الغيداء زوجة هياج فنامت فرأت فى منامها سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ورسول رب العالمين وكان شخصه الشريف واقف بالباب فجعلت تشكوا اليه فقال لها وبشر الصابرين فقالت يارسول الله ذلت بناتى بعد العزة فقال لها العزة لله فقالت زوجى فقال لاتخافى عليه فانه حى لم يمت فاذا استيقظتى قومى الى الباب فالفرج قريب من الملك المجيب فلما انتبهت من مرقدها قالت لبناتها قوموا الى الباب وافتحوا ففعلوا ذلك وإذا بشيخ كبير الشيبة حسن الهيبة وكان يقال له طاهر بن على الجرائحى وكان ذو دين ومعرفه ويقين فلما كان تلك الليلة فى منامه ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له ياطاهر امضى الى هذا الرجل الذى قطعوه فهو مظلوم ويكون هذا الحديث عندك مكتوم فان لله فيه تدبير وفى أجله تأخير فقال ومن هو يارسول الله فقال هو هياج الكردى فقم إلى منزله وأنا أعلم أهله بقدومك فقام طاهر من وقته وساعته وسار حتى أتى الى باب هياج وطرق الباب فقالوا من بالباب فقال طاهر جئت لسبب من الأسباب ففتحوا الباب وأخبروه بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فازداد الشيخ يقينا وقال لهم علىّ بأبيكم فأحضروا هياج بين يديه وهو كأنه الابزار المرقده فحار الشيخ فى أمره ولم يزل حتى وقعت يده على صدره فرآه وهو يخفق فلما أحس بذلك قال الله أكبر الله أكبر صدق الله ورسوله وصار يرم العظام المكسرة ويخيط الجراح النافذة وقطر فى فمه ثلاث قطرات من الماء وقال لهم كل من سألكم عنه تقولوا له قد دفناه وأنا أتردد اليه حتى يبرأ لئلا يسمع الرشيد بخبره فينفذ اليه ويقضى عليه فقالوا سمعا وطاعه وخلاهم ومضى (قال الراوى) هذا ماجرى هاهنا من الكلام وأما ما كان من القاضى عقبه الملعون فان الرشيد أقام عليه الأطباء شهرا كاملا الى أن برىء ودخل الحمام وقد عدمت عينه اليمنى ثم دخل على الخليفة وكبر عمامته وجنح طيلسانه فخلع عليه الرشيد ودخل على زبيدة فقامت له قائمة وهنته بالسلامة فشكرها على ذلك وخرج إلى داره وكتب كتاب الى ملك الروم يقول فى أوله كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فانى كتبت هذا الكتاب الى الملك أعلمه بما جرى على فى هذه النوبة وقد عدمت عينى اليمنى وساعة وقوفك على هذا المكتوب تسير بكل من فى بلاد الروم فان حماة المسلمين فى أرض الحجاز والأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فى الحجاز وبنى سليم ظاهر بغداد فاذا فتحت ملطيه احرقها بالنار واخرب بلادها وأما أنا فلا بد ما أعمل عملا على باقى الفرسان والمأسورين ثم ختم الكتاب ودفعه الى غلامه وسار الغلام

يقع الأرض والمناهل وأصبح عقبة ركب الى خدمة الخليفة وأراد أن يعمل على خادم الخليفة الخاص ليخلص الستور الذى جابها البطال وكان اسم الخادم صندل فلما رآه عقبة صاح عليه وقال بالله عليك ياصندل أريد منك أن تقضينى حاجة مهمة فأجابه الخادم الى ذلك وأتى الى عقبة فقام له قائما على الاقدام وترحب به وصندل يعرف منزلته عند الخليفة فتعجب من ذلك ثم ان عقبة أجلسه الى جانبه وقال له اعلم ياصندل أن البطال أخذ الستور من بلاد الروم وعمل عليها اسمى حتى يوقع بينى وبين الخليفة وقد حصل لك عندى ألف دينار واذا أوريتنى الستور ورجعت أخذتها فى الساعة والوقت وأعدتها الى مكانها ولا ينقص عليك شىء فقال صندل وقد رغب فى المال السمع والطاعة ثم خرج من عنده وغاب ساعة وعاد ومعه الستور والقناديل وأحضر الجميع قدام القاضى عقبة وطرحها بين يديه فلما رأى عقبة الى ذلك طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح فقال له الخادم يامولاى جدد نظرك اليهم وعيدهم إلىّ فانى من أمرى على عجل فقال له عقبة اجلس ياولدى حتى تأكل من زادى فان فيه صحة البدن ثم ان عقبة أمر غلامه ظاهر أن يأتيه بالطعام وما كان عقبة قد صنعه بيده لأجل هذه الاحكام فمضى ظاهر وعاد وعلى يده مائدة عليها من سائر الطعام وطرحها بين يديه فجعل عقبة يأكل ويلقم الخادم فما استقر الطعام فى جوفه حتى نزل لحمه عن عظمه فصاح عقبة بغلامه وقال له ادفع هذا الى لعنة المسيح قال الغلام وما الذى أصنع به ؟ قال اذا أمسى المساء خذه ارميه فى الدجلة يمضى الى حيث الفناء ثم انه رفع الستور الى خزائنه ولما أقبل المساء شال غلام عقبة صندل الخادم ورماه فى الدجلة وأخذ الستور والقناديل وسار من وقته وساعته (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا من عقبة . وأما ما كان من الرشيد فانه طلب صندل غلامه فلم يجده فقامت عليه القيامة ففتح الخزائن فما وجد الستور ولا القناديل فقال عقبة يامولاى هوّن على قلبك هذا الهم والغم فلو أن أبو محمد البطال ههنا ما جسر أحد أن يفعل هذه الفعال فان ظهروا عند المسلمين فلله الحمد فلما سمع الرشيد ذلك سلا عنه بعض ما كان يجده وقال لقد انقطع عنا خبر الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا . وأما ما كان من أمرهياج الكردى فانه بقى على الفراش مدة شهرين كاملين وبعد ذلك انصلح حاله ودخل الحمام سرا وقال مابقى لى فى بلاد الرشيد مقام ولابد من أخذ ثارى بيدى فهذا ما كان منه . وأما ما كان من غلام عقبة فانه سار يقطع الأرض طولا وعرضا حتى وصل بالستور والقناديل الى ملك الروم منويل

ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد رقرأ عليه الكتاب وهو يضحك وصار يحرضه بالخروج الى ملطيه حتى يفتحها لأجل خلوها من الرجال فكتب الى سائر الأقاليم يأمرهم بالخروج الى الثغور ويخلص الاسارى من أيدى المسلمين ويقول العجل العجل قبل فوات الأمل . هذا ماجرى هنا وأما الرشيد فانه قام ينتظرأخبار الامير عبد الوهاب فبينما هو كذلك واذا بالفضل بن الربيع داخل عليه ومعه خمسة نجابين وهم ينادون أين من يحامى عن مقام أبونا الخليل ابراهيم فسمع الرشيد ذلك فقامت عليه القيامة وقال ياويلكم ما وراءكم ومن بشره رما كم فقالوا ياأمير المؤمنين أسر الامير عبد الوهاب وقتل كل من كان معه من السادات الأنجاب سوى الاميره ذات الهمة وأبو محمد البطال والبدار البدار العجل العجل فى خلاص الأمراء وإلا ما يسلم ديار ولا نافخ نار ولا سلم من الجميع سوى عشرة أنفس فانهم دخلوا الى مكة هم والبطال (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام اسودت الدنيا فى عينه ولم بقى يدرى ما بين يديه وقال لمن أتاه بالخبر ويلكم ما السبب الذى أوقع الأمراء فى الأسر والعطب قالوا له يامولانا كل الذى جرى من القناصة لأنها سارت اليهم وسفكت الدماء وبقيت الخلائق ثلاثة أيام مجاورين الحرم وقد فتحت البلد وأخذت الأموال والخدم وكان معها ثلاث آلاف فارس وهذا كتاب البطال ثم ان الرشيد تناول الكتاب وفضه وقرأه واذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ياأمير المؤمنين إن التوفيق عزيز واعلم أن الأمير عبد الوهاب لما وصل الى القناصة ونزل على حصنها فخرجت اليه وطحنت عسكره وأسرت الأمير وقتلت خلق كثير وسلمت أنا والاميرة ذات الهمة وسلم منا عشرة من الرجال واستجرنا بالحرم ونريد منك يا أمير المؤمنين ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ الى ملطيه يأتوا بنى كلاب والسودان الأنجاب وسائر بنى سليم وتنفذ الى الامير الذى فى ملطيه لايخلى عنده أحد من الرجال فنحن فى انتظارك (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام ثم أنفذ كتاب على جناح طائر وكاتب عمرو بن عبيد الله فلما وقف على الكتاب جمع سائر من كان عنده من الأبطال وساروا القوم مجدين يقطعون البرارى والتلال حتى وصلوا الى بغداد وكانت بنى سليم ستين ألف ولم يمهلهم الرشيد دون أن سيرهم الى مكة والأمير ضيغم فى مقدمة بنى كلاب وأبو الهزاهز فى مقدمة السودان والأمير عمرو فى مقدمة بنى سليم وتقدمت النجابة مع الناس فسمع الامير هياج الخبر فتقدم الى زوجته وقال لها لابد ما أسير مع

هؤلاء القوم إلى الأميره ذات الهمة وأجاهد بين يديها إلى أن أموت فقالت له زوجته الغيداء أنا لا حياة لى بعدك ولاصبر لى على فقدك فقال ان كنتم عولتم على المسير فبسم الله عندها حملوا زادهم وخرجوا من جملة الناس واختلطوا فى عسكر بنى كلاب ثم أطلعوا على خبرهم ضيغم فقال عليكم مطر السماء فاخفوا خبركم وا كتموا أمركم وسركم عن بنى سليم لا يعلمون الخليفة هذا وقد أوغلت العساكر والكتائب والمواكب وجدوا فى المسير ليلا ونهار وغدوا وابتكار إلى أن وصلوا إلى بريه قليلة الماء فشكوا إلى الأمير العطش وشدة الظما فنزل وأمر الناس بالنزول تقدمت النجابة إلى الأمير عمر وقالوا له أيها الأمير نحن نسبق إلى مكة ونخبر بقدومك حتى تقوى قلوب المسلمين ويمسكوا المواضع فقال لهم نعم الرأى وسارت النجابة وبقى الأمير عمر ونازل إلى الصباح ثم رحل طالب مكة إلى أن وصل اليها فلم يجد أحداً نازل عليها فبقى حائر فى أمره فخرجت أهل مكة إلى لقياه فسألهم عن الخبر فقالوا له ما عندنا من هذا علم فقال فى نفسه هذه حيلة قد تمت علينا من كلب الروم لأنه علم ان السودان وبنى سليم وبنى كلاب فى ملطيه فعمل الحيلة وأخرجنا إلى هذه الأرض ثم أخبروه ان الأمير على حصن الفناصة فسار يجد المسير (قال الراوى) فهذا جرى ههنا (وأما كان) من خروج الروم فكان من تدبير عقبة المذموم لأنه لما أنفذ الكتاب إلى ملك الروم يأمره بالخروج فدبر على خروج أهل ملطيه فأمر بعض غلمانه أن يأتوه بعرب يكونوا غرباء من هذه الأرض فأتوه بعرب مجهولين فسألهم عن أرضهم فقالوا له نحن من أرض الحجاز ومعنا بضاعة نريد نبيعها فقال عقبة وما هى بضاعتكم فقالوا له أديم مكى فقال لهم كم تسوى قالوا خمسمائة دينار فقال لهم أقول لكم على شيء وتربحوا المثل مثلين وأنتم فى حل من الأديم وأعطيكم حقه قالوا له قل ياشيخ ما تريد منا فقال لهم أريد منكم تأخذوا هذا الكتاب وفى غداة غد تأتون به إلى الديوان وتدخلوا على الخليفة وتعطوه هذا الكتاب وعلمهم ما يقولون وقال لهم إذا وصل الجيش إلى مكة ارجعوا على حتى أعطيكم الجائزة فعندها ساروا ودخلوا إلى الخليفة كما ذكرنا وصبروا الى أن ساروا مع العساكر وعادوا إلى عقبة فأعطاهم الذى به أوعدهم وقال لهم ناموا الليلة عندى فأجابوه الى ذلك ولما أمسى المساء أحضر لهم الطعام فأكلوا وإذا بلحومهم قد نزلت عن عظامهم فأمر برميهم فى الجب الذى فى داره وكتب فى عاجل الحال كتاب الى منويل ملك الروم يأمره بالخروج

إلى ملطيه وقد ذكر له فى الكتاب يقول يامندويل اعلم انى دبرت وأحسنت التدبير حتى أخليت لك الأرض ولا بقى قدامك من يمانع ولا من يقاتل واعلم أن هذه الركبة آخر الركبات وانك لاتقصر فى ذلك وبعد الكلام الشكر للمسيح ثم أعطى الكتاب لولده مصعب وقال له ارحل من وقتك وساعتك الى ملك الروم وأعطيه الكتاب فقال السمع والطاعه ثم سارمن أماكن يعرفها حتى وصل الى القسطنطونيه وسلم الكتاب لمنويل فلما قرأه وفهم ما فيه أرسل من وقته وساعته يجمع العساكر حتى بقى عنده من العسكر ألف ألف فارس وقد رحل من ساعته الى مدينة ملطية فوصل الخبر الى أهل ملطية فقالوا نحن لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا وفى الحال زحفت الروم الى الخندق فدخلوا المسلمين البلد وأظهروا العدد ولم يكن لهم صبر ولا جلد وأغلقت الأبواب ونزل كلب الروم على ملطيه وأحدق بها إحداق الا كليل على رأس العروس المجلية وقد أيقن أن البلد فى يده وفى غداة غد مايقف بين يديه أحد . وأما أهل ملطيه فانهم كتبوا الكتب وأرسلوها الى الرشيد يعلموه بما وصل اليهم ونزل عليهم وأطلقوا الطيور يطلبون النجدة للثغور قبل نزول الهم والمقدور ودخل البراج على الرشيد بالكتاب فقرأه الوزير على الخليفة فقامت عليه القيامة فقالوا أرباب الدولة يامولانا ماهذا يحتمل اهمال ومافى الأمر إلا انك تنفذ عساكر العراق الى الثغور يقاتلون فى سبيل الله وبعد ذاك تنفذ الى خراسان تأتيك الجيوش من كل جانب ومكان وتسير أنت بنفسك الى بلاد الروم وتقلع آثارهم فقال الرشيد ياقاضى إيش تقول فى هذا الأمر فأنت صاحب الرأى السديد فقال أنا أشير عليك برأى فقال هات ماعندك فما فينا من يخالف أمرك فقد عرفنا نصحك الى المسلمين فقال يامولاى أما قول الجماعة من قبل إنفاذ العساكر الى ملطيه فليس لهم حصن يلتجئوا اليه ويميل كلب الروم عليهم يسقيهم كاس العطب ولا يجدون سبيلا الى الهرب ويقولون كسر عسكر الاسلام ومايدرون ما الخبر وانما الرأى الإمهال الى أن يصل الامير عبد الوهاب فى بنى كلاب والسودان الأنجاب فان كان البلد سالم فهو الذى نريد وان كان والعياذ بالله ملكوه الروم سرنا اليه وأخذناه أسرع من طبق الجفن على الجفن فقال الرشيد لقد أتيت بالأمر الذى لايعاب وأنت أهلا للخير والأسباب ثم قال للوزير جعفر اكتب الكتاب الى سائر البلاد يحضرون الجهاد فقال الوزير السمع والطاعة وكتب الكتب وعلقها على أجنحة الطيور وأرسلها الى البلاد وبقى الخليفة ينتظر العساكر هذا والعساكر

برزت الى عرقوف وطال عليها هذا الوقوف (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلوا على النبى الحبيب عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من أخبار ملطيه فان ملك الروم أصبح من الغد امر الناس بالزحف إلى البلد ونصب المناجيق ورمى الأصوار بالأحجار وتقدمت النقابين ونقبت الأبراج وطلعت الأعلاج وما نفرت بنى كلاب وكان ملك الدوقس فى ثلاثين الف الف رامى فما تركوا أحدا يطل من الاصوار ولا يرمى بسنان ولا حجر ونصبت العرادات على الابراج وطلعت الاعلاج وما قصرت بنى كلاب فقتلوا جماعة من الروم ونصرت المسلمين على اللئام الكافرين وأمسى المساء وانفصل القتال وباتوا المسلمين على الابراج وجردت الروم الصفاح وأقاموا على حصار البلد عشرين يوم فعظم ذلك على ملك الروم فقال ياويلكم هذا وما فى الامر الا أنكم مغلوبين وما فى البلد الا نفر قليل فكيف إذا أقبل عبد الوهاب فى سودانه وبنى كلاب فما كنتم تقفون على البلد ساعة واحدة فبينما هو معهم فى الكلام وإذا بغلام عقبة قد وصل وهو متنكر ومعه كتاب وتقدم الى ملك الروم واعطاه الكتاب فأخذه وقراه واذا فيه كلمة كفرهم وبعده أيها الملك ان الخليفة أراد أن يرسل اليك عساكر فأنا عطلت عليه ذلك وكالك بالعساكر قد وصلت اليك مع الاسود عبد الوهاب فافعل بما أشير به عليك وهو ان كان لا سبيل لك على أخذ البلد سرعه وقد اجتمعت الرجال فأنفذ ليلا مائة الف مع بعض الملوك وتأمره أن يقصد الى طريق السويدية فى الليل ويرجع من طريق بغداد فى النهار فاذا وصل اليك العسكر ورأوه أهل ملطيه يظنون ان الرشيد قد بعث اليهم أجناد واذا رأيت أنت ذلك فافسح لهم أنت عن البلد والخيام واقصد الهرب والانهزام فان أهل البلد يخرجون وللخيام ينهبون فاذا فعلوا ذلك فارجع أنت عليهم وقد ملكت البلد ووصلت الى ما لم يصل اليه أحد (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما قرأ الملك الكتاب وفهم ما فيه من الخطاب قال لا عدمنا هذه الهمة من الملة المسيحية والمشورة النجيجية ثم أقبل على الافرنج والارمن وقال لهم وحق المسيح ما لهذا الامر غيركم ثم انه انتخب منهم مائة الف وسار غلام عقبة امام الخيل الى أن سار ثلثاى الليل ورجع بهم من طريق الموصل الى ملطيه ولما أصبح الصباح قال الملك منويل يا ويلكم اشغلوا المسلمين بالقتال والحرب والنزال فرجعوا الروم من كل جانب ومكان وبأيديهم القنطاريات والسيوف اليمانيه وقاتلوا الى ضحى النهار واذا هم بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار

فلما رأوا المسلمين إلى ذلك الغبار من صوب بغداد زادت بينهم الأفراح وعلا ضجيجهم والصياح ونادوا يا كلاب الروم ويا من غضب عليهم الحى القيوم ها قد أتت اليكم عساكر الاسلام وهذه الرايات والأعلام فعندها انفرد ملك الروم وترك الخيام ونزلت الناس تنساق الى نهيب الأموال وصار الرجل يحمل ويحمل جواده حتى أنه لا يقدر يمشى من ثقل ما عليه (قال الراوى) ياساده فبينما هم على هذا الحال وإذا ملك الروم قد عاد وأقبل وانثنى بجيشه كانه الجراد المنتشر الى أن ملا السهل والجبل وأخذ على المسلمين طريق ملطيه وأنزل بهم كل بليه وملك الجميع أخذ بالكف ودخل البلد ولم يجد مانع يمنعه ولا دافع يدفعه وكثرت على المسلمين الفجائع وكل أحد بقى عقله منه ضائع وأخذت نسوان بنى كلاب وأخذت الأميره علوا ونساء السادات وأخذت زوجة عمرو وابراهيم بن عبد الوهاب وناح على ملطيه اليوم والغراب وخلص ملك الروم منهم أسارى الكفار وهدم البلد والأصوار وعاد راجع طالب القسطنطينية (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان من ملك الروم (وأما ماكان) من الأمير عبد الوهاب فانه أقام عند الغناصة عشرة أيام ورحل طالب بلاد الاسلام وإذا بالغبار تار وانتشر ونفرت الوحوش من سائر السباسب فسأل الأمير عن الأخبار فقالوا يا أمير اننا نرى عسكر جرار فأمر الامير رجلا من بنى كلاب يأخذ الاخبار فغاب ساعة وعاد وأخبر الامير انه عسكر بنى سليم فحرك الامير جواده وسار فى أبطال العرب وأبطال السودان (ياساده) وكان هذا الجيش جيش عمرو بن عبيد الله ولما نظر الامير الى عمرو بن عبيد الله ترجل وترجلت الامراء جميعا وترجل الامير عمرو والتقى بالامير وسلم عليه واعتنقه وكذلك الامير وقال الامير عبد الوهاب للامير عمر وأيها الامير ما سبب هذا الانزعاج وقطعكم للبرارى والفجاج فقال له أنتم طلبتم نجده من الرشيد وقد قطعنا اليكم الارض والبيد وسرنا سيرا عتيد فقال الامير والله ماعندى من هذا خبر قال عمر وفهذا الكتاب بخط أبو محمد ذكرانكم فى أعظم كربه وقد نصبت عليكم الغناصة نصبه وأخذتكم فى سجنها فأخذ أبو محمد الكتب من عمرو وقرأها وتبينها فاذا هى خط عقبه فقال أبو محمد والله ماكتب هذا الكتاب الا عقبة بن مصعب وفرق العساكر حتى يأتى ملك الروم ويأخذ ملطيه ويحتوى على ما فيها من الاموال والذرية ويخلص الاسارى ويأسر نساء العرب فقال عمرو وقد داخله الغضب اسكت يا أبا محمد وكف عن هذا الرجل لسانك كم تذكر بالسوء رجل مجاهد عن دين الاسلام

وترميه كل ساعة بالزور والبهتان فقال أبو محمد الساعه يبان لك الأمر والشأن ويحق الحق وتمضى منك هذه الصوله وتعلم ان كلامى صدق أو كلامه وتعرف كيف تسبى أمك ونساءك واخوتك ويبان لك حقيقة هذه الفعال فسكت عمرو وقد غضب غضبا شديد وأضمر فى قلبه الشر للبطال فبينما عمر وكذلك وإذا بزوجة هياج وبناتها قد تقدموا للامير عبدالوهاب وصاحوا بقلوب موجوعه وأكبادمفجوعة الأمان الأمان أجرنا ياسيف الاسلام فقد جار علينا الزمان ثم ان الغيداء تقدمت وقد بكت بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشدت تقول

أتيتك يا ابن الأكرمين الأطايب ... ويا من سما فى شرقها والمغارب
ويا من له جود وفضل ومنحة ... تعم الورى فى عجمها والأعارب
أجب ذات خدر قدأصيبت ببعلها ... وقد قطعوه بالسيوف القواضب
ولا ناظرا فى حاله ولقد رثت ... لقتلته الأعداء من كل جانب
ولا ذنب إلا انه قال عقبة ... كفور وحق الهاشمى تاج غالب
وأقسم بالبيت العتيق وزمزم ... بأنى بحق صادق غير كاذب
وكان بجيش الروم يعمل حيلة ... على أخذحصن والبنات الكواعب
فما صدقوه القوم فى حق عقبة ... وقالوا له أخطأت يا ابن الكواذب
وزاد واباكرام لعقبة عنوة ... وقد رفعوه فوق أعلا المراتب
ولما رأى بعلى الرشيد وفعله ... فهان عليه الموت ضربة لازب
فجرد سيف الحرب ثم هوى به ... إلى الكافر الملعون رأس المصائب
فأوثقه جرحا وأخرج عينه ... وصيره يمشى على فرد جانب
وقد أمر السلطان حقا بقتله ... وقد بضعوه بالسيوف النواضب
فلو نظرت عيناك يوما بناته ... وقد حملوه ناشرات الذوائب
فلما أتانا الليل صارت عيوننا ... لها عبرات مثل سيل السحائب
إلى أن مضى ربع الظلام وثلثه ... وقدذبت مما قد جرى من مصائب
فأبصرت خير المرسلين محمدا ... بوجه جميل مثل بدر الغياهب
يقول عليكم بالصبار فانه ... فعال النبيين الكرام الاطايب
وبشرنا ان الطبيب ينالنا ... وان أبانا سالما غير عاطب
فقمت بلا عقل فأبصرت قوله ... صحيح بلا شك ففازت مطالبى
فخذ بيدى يا ابن الكرام فاننى ... من البعد قد زمت اليك ركائب

وحا شاك أن تدعى لكشف ملمة ويرجع من يرجوك فى زى خائب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان الغيداء بكت حتى أبكت العيون وأيضا بكت بناتها بين يدى الأمير فسألهن الأمير عبد الوهاب عن القصة والحال فأخبرته الغيداء عن الامر من أوله الى آخره وما جرى لها ولزوجها (قال الراوى) هنالك التفت الأمير عمرو بن عبيد الله الى الأمير عبد الوهاب وقال له أيها الأمير لا تسمع منها كلام وتفعل غير الصواب ان أعطيت لهم الزمام فان الرشيد طالب هؤلاء الأقوام من دون الانام على انى ما أقصد هذه المرأة فيما تقول من الكلام لأننى أول من ضرب زوجها بالسيف فى مجلس السلطان فلما فرغ عمرو من كلامه قام هياج وأسفر عن لثامه وأبدى على الامير عبد الوهاب سلامه وطلب منه زمامه فنظر الامير عبد الوهاب اليه واذا هو مشطب من الرأس الى القدم فتعجب الامير من ذلك وقال سبحان الله العظيم محيى العظام وهى رميم فلما رآه عمرو نادى بالامير يا أبا ضيغم لا تعطى له زمام فانى لابد ما أسير به الى الامام فقال الامير عبد الوهاب والله ما فينا مسلم مؤمن على الحقيقة إلا هياج الكردى لانه اختار الآخرة على الدنيا الغادرة وبذل نفسه فى طاعة الله تعالى ونحن اطلعنا على خبث عقبه ولعنته ألف مره ونسكت له لأجل الرشيد فقال عمرو بن عبيد الله هذا طلبه الرشيد فلا تعطيه الزمام فقال الامير ضيغم دعنا من هذا الكلام وأعطى الرجل الزمام فقال الامير عبد الوهاب انى قد أعطيته الزمام وهو مجار من كل الانام والله ما بقى يقدر يأخذه منى أكل الخبز وشرب الماء وعليه مطر السماء ثم ان الامير قال لعمرو ما تدرى على ماذا عولت قال لا فقال الامير على ضرب رقبة عقبه ولابد على باب الذهب من صلبه وحرمة المقام والكعبة ولو انى أشرب دونه كاس الحمام وأضرب فى وجه الإمام بالحسام فسكت عمرو عن الكلام وأراح الامير الناس عشره أيام ورحل بهم فى اليوم الحادى عشر بعد ما ودع القناصة وكان سألها لترحل معه فاعتذرت اليه وقالت له يا أمير انى لا أحب الغربة عن وطنى ثم قبلت صدره ويده ورجعت الى حصنها ولم يزل الامير سائر بالعساكر الليل والنهار يقطعون الفيافى والقفار الى أن وصلوا الى الكوفة وخرجوا الناس الى استقبالهم وجعلوا يعزوا الامير فقال لهم الامير عبد الوهاب ما لكم وما معنى كلامكم قالوا أيها الامير أخذت ملطيه وما فيها من المال والذرية صارت العرب للروم خدم وجوار فغاب صواب الامير عبد الوهاب عند سماع هذا الكلام وبكى على سبى الحريم ومن قتل من الأصحاب وقال أقسم بالله الحى القيوم لاعمر ملطيه الا كلب الروم وسار الأمير وفى

قلبه على سبي الحريم نار السعير وما زال الى أن قارب بغداد وعرج بالعساكر والأجناد على منهل من بعض المناهل قليل الحصا والجنادل فبينما هو كذلك وإذا بغبار قد أقبل وهو يسير على عجل وبعد ساعة انكشف الغبار وبان عن رايات عباسية وأعلام اسلاميه وبيارق محمديه يتقدمهم الفضل بن الربيع وغلمان الدار وعليهم الجميع لباس السواد وقد ظهروا للابصار وفى أولهم شيخ وعليه حلة سوداء وهو كثير البكاء والتعداد وهو ينادى بأعلى صوته وا إسلاماه وا دين محمداه فتبينه الامير عبد الوهاب وإذا هو عقبه صاحب كل حيلة ونصبه ولما رآى عقبة الأمير عبد الوهاب رمى روحه إلى الأرض وصار يحثو التراب على رأسه حتى تعفرت شيبته وأثوابه وبكى إلى أن أبكى العيون وأثار الشجون وأنشد

أين من يحمى الحريم ويرعى　　حرمه البيت والمقام وزمزم
أين ليث الهياج فى كل صعب　　صاحب الطعن بالوشيج المقوم

(قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ترجل الأمير عمرو للفضل بن العباس وعقبه وكذلك الأمير عبد الوهاب لأجل خاطر عمرو وكذلك الأمراء وسائر الأصحاب إلا الامير هياج الكردى فانه قال معاذ الله أن أترجل إلى رجل رأيته يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكفر بالملك القدير فقال أبو محمد ما أتى الشيخ عقبة إلا فى أمر عظيم ونكبه ثم انه تقدم إليه وضحك فى وجهه ضحكه باردة وسلم عليه وقال له أهلا وسهلا بالشيخ الملعون والكلب المفتون الذى نحن من أجله كل يوم فى غبون أيش معك من الاخبار أظنك أخربت الديار وسلطت عليها الكفار فقال عقبه يا ولدى لا أؤاخذك فيما تقول فى حقى لكن ملكت ملطية واستولت على الحريم الأمة المسيحية وقد أرسلنى أمير المؤمنين أنصر المجاهدين وادعى للمسلمين فقال أبو محمد ياقاضى اشفاقك على المسلمين نفهمه وعلمناه والذى عمل هذه الفعلة سوف نسقيه كاس الوفاه وأما ملطيه فما يعمر ما خرب منها من الابراج والاصوار وغيره إلا كلب الروم إن شاء الله تعالى وقد أعلمتك بالقضية وأما قولك أخذوا الروم أهالى الناس والاولاد فهذا شيء ما جرى على أحد وحده بين العباد وأما قولك شمتوا الأعداء والحساد فأنا والامير عبد الوهاب معتادين بهذه النوائب الشداد وأما شفقتك على أسرانا فقد صح هذا الامر عندنا فالقاضى جعل الله فى عمره النرد والشيطان يكون فى هذا الامر فى أمان (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان عقبه النفت فرآى هياج إلى جانب الامير عبد الوهاب وهو

حى يرزق فتعجب من تلك الاسباب وجعل يكذب نفسه ويمسح عينه الصحيحة وله
يرمق فساعة يكذب وساعة يصدق فقال له أبو محمد مالى أراك تطيل النظر الى هياج
الكردى فقال نعم ياولدى لانه قلع عينى وازعج مجلس السلطان غاية الانزعاج وقطعوه
قدامى بالقواضب وأراه فى هذه الساعه سالم غير عاطب فقال أبو محمد ذكروا عنه أن
النبي سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى داواه ورقاه وأبراه وشفاه
وأوعده من الله تعالى أعظم المجازاه وبشره ببشارة لا بد ما أقولها لك بينى وبينك حتى
تطمئن نفسك وتقر عينك وستقف عليه انه خبر مذموم وعلى القاضى عقبة ميشوم
وتقدم هياج الى عقبه ليخبره بحياته وقد نظره عقبه وهو متقلد بسيفه فأيقن بمماته
وظن أنه قد جاء اليه ليقطع عمره فصاح عقبه بغلمان الرشيد قتلنى هذا الشيطان المريد
فتبادروا اليه وصاحوا من حواليه وصاروا بين يديه وكان معهم الفضل ابن الربيع
وجماعة من أكابر دولة الخليفة فقالوا أيها القاضى ماعليك بأس ولا ينالك مكروه
من جميع الناس فقال عقبه يا أولادى هذا الكردى ما يخاف من الموت ولا يخشى من
من الفوت وهو الذى قد قلع عينى وها هو قد أتى ليأخذ روحى فافرقوا بينى وبينه
فقال عمرو ومن هو الذى يقدر على هذا وأنا فى حياة الدنيا فقال عقبة ما كنت
حاضر يا أمير المؤمنين فى حضرة الخليفة وقد فعل تلك الفعلة المخيفه فقال الفضل
ابن الربيع والله لو علم الرشيد أن هذا الشيطان فى الحياة لما تركه ساعة واحدة
ولا أبقاه (قال الراوى) فلما سمع عمرو هذا الخطاب أقبل على الامير عبد الوهاب
وقال له أيها الامير ألا قد رأيت ماجرى للقاضى عقبه والرأى عندى أن تسلم
الامير هياج الى السلطان فلما سمع الامير عبد الوهاب هذا الكلام انقلبت عيناه
فى أم رأسه وقال والله لو طلبه منى كل من فى الارض فى طولها والعرض لما
وصلوا اليه ولا قدروا عليه ولكن فى الأمر شىء واحد فيه رضى للطائفتين قالوا
وما هو أيها الامير قال هل أنتم مقيمون على الكوفة ونكتب للرشيد نعلمه بذلك
وأخبره أنى قد زعمت له من كل أحد ونسأله أن يصلح بين الاثنين ويخلع على الخصمين
فإن فعل ذلك فهو المراد (قال الراوى) وكان هذا الكلام من الامير عبد الوهاب
أراد به حالين أحدهما أن يبلغ الخليفه حسن طاعته وأنه لايخالف كلمته ولا يفسخ
ذمامه والثانى كان فى نفسه أمر آخر وهو أنه إذا كتب الى الخليفة وجاء الامر منه كما
يجب وفعل فى حقه مايجب كان له سامع مطيع والجميل عند الامير مايضيع وان جاء
الامر بخلاف ذلك ويقول الخليفه لا بد من هياج فانه يتلف عقبه ويدخل بلاد

الروم ويعصى على السلطان ولا يرجع إلى الطاعة أبد الزمان هذا وقد أجابوا الأمير الى ما قد ذكر فكتبوا كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم كتبنا هذه الأحرف إلى المقام العالى والجناب الندى والمحل الهاشمى شرحه عن الأمر الخفى وهو أن الأمراء قد وصلوا الى الكوفة سالمين بعد ما قتلوا فى أرض الحجاز المفسدين وقد وصل مع الأمير عبد الوهاب الأمير هياج الكردى لما يشاء الملك العظيم محي العظام وهى رميم وقد أعطاه الزمام الأمير عبد الوهاب من كل انسان وضمن له من أمير المؤمنين الامان وان القاضى عقبة لما رأى هياج خاف منه الخوف العظيم وقال من سحب السيف فى حضرة الرشيد وأراد قتلى قدام أمير المؤمنين ومن طاعته واجبة على الخلق أجمعين فلا آمن منه أن يقتلنى اذا أمكنته الفرصة منى وقد كتبنا هذه الاحرف الصادرة ونحن منتظرين الجواب من الحضرة الباهرة أعطاه الله مأموله فى الدنيا والآخرة فاما أن يصلح بين الخصمين وأما أن يأمر بما فيه الصلاح والسلام على المواقف العلية النبوية والمقامات العباسية وعلقوا الكتاب على جناح الطير وأقاموا ينتظرون الجواب قبل السير هذا والأمير هياج خاف على نفسه فأرسل اليه الأمير عبد الوهاب ليلا وأخبره بما فى نفسه فسكن روعه وطيب قلبه وقال أيها الأمير خطر لى رأى إن رأيته صواب فعلته وان لم يكن صواب تركته فقال الامير عبد الوهاب للامير هياج وما هو قال يا مولاى اعلم ان من لم يسرق عندنا فما هو كرديا وقد عولت ان أسرق عقبة فى هذه الليلة وأسير به أنا وعيالى طول لياتى فما أصبح به الا فى أرض بعيده وأشفى فؤادى منه وأصلبه على بعض الشجر فقد تجارأ بكفرة على الله تعالى فقال له الامير عبد الوهاب وقد ضحك من قوله طب نفسا وقر عينا فما يكون الا الخير ولا يجب علينا أن نعمل عملا حتى يرد علينا الخليفة جوابه فما نريد منه سوى بياض وجوهنا بشفاعتى فيك ولا تشمت بك أعاديك فقال الامير هياج أيها الأمير ان رأيت الامر من الرشيد يضيق فلا تحمل على نفسك ما لا تطيق فقد فسح الله لى فى الطريق فأنا أمضى الى أرض الشام وأقصد هناك المقام وأغير حيلتى وأخلع ثياب جنديتى وأقم أنا هناك وأولادى وزوجتى وأغتنم زيارة بيت المقدس فقال له الامير عبد الوهاب قد قلت غير هذه المرة عليك مطر السماء من كل من أكل الخبز وشرب الماء (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الفضل بن الربيع وعقبه أرسلوا ذلك الكتاب على جناح الطائر وكتبوا كتابا ثانى يذكروا فيه ان عبد الوهاب قد أعطى هياج الزمام من السلطان ومن كل انسان وقال لو

طلبه منى الرشيد لما سلمته اليه وهذا مالايجوز لأحد أن يفعله ولا يجوز له أن يجير على إمام العصر وخليفة الدهر وأن هياج الكردى قال والله ما كنت أريد أن أضرب بسيفي إلا الرشيد لأنه كذبني لأجل القاضي عقبة وانما منعتني الهيبة وهذا الرجل لايأمن مولانا من شره لأنك أمرت بقتله وقدذاق من غلمانك وخدمك حدالصارم ويخشى منه أن يكون على طلب الثار عازم وان أمنته عن قريب صرت نادم وماهذا رأى حازم والسلام (قال صاحب الحديث) ووصلت الكتب الى الرشيد فقامت عليه القيامه وقال قد بلغ من قدر عبد الوهاب أن يجير علينا ما هذا غلامنا هذا خليفة مثالنا ولكن نحن بسطنا له الانس وقربناه فصار يدمم علينا فقال جعفر يامولاى اعلم أن العبد يدال على مولاه بالخدم التى قد أولاه ومن يعمل مثل ماعمل عبد الوهاب وبالأمس جعلت الروم أرض الموصل الى أرض العراق خراب ولم يبق لنا الى النجاة باب من الابواب حتى جاء الخبر بأنه فتح القسطنطونية الكبرى عين عز الروم وصيرها عبرا ورجع كلب الروم عنا خائبا والى دياره هاربا وخرج عبد الوهاب وقد عملنا فى حقه ماعملناه وفعلنا به ما فعلناه فما آخذنا بما كان منا بل سارفى الخدمة فى عساكره الى جرهم وقاتله وقطع أعضاءه ومفاصله وشتت عساكره وقبائله ومنعه عما عزم عليه وهدّ قواه وقصم ولأنفه أرغم وأذاقه هو وجيشه النقم وبعد ذلك فانك سرقت من خيمتك وسلبت من نعمتك وأبعد بك طارق عن ديار أحبتك وغيبك فى البرارى عن مملكتك فلم يكن أحد من أمراء دولتك وغرس نعمتك فعل مثل ما فعل عبد الوهاب فى خلاص مهجتك ووقع عدوك فى قبضتك فكيف انه لايدال على حضرتك وله اليد البيضاء ومحتق منك الرضاء فقام الرشيد وقد انكسر غيظه وحدته ودخل الى بيت الحريم فدخل على الست زبيده وقال لها قد جرى من القصة ماهو كذا وكذا فقالت خوشيت من هذا الكلام ومن الذى يؤمنك من هذا الكردى الذى فعل بالقاضي مافعل من غيرسابقة سبقت منه ولاسطا بأمرمن الامور عليه حتى ضربه فى مجلسك السامى فكيف يأمن منه بالثانى والرأى عندى أيها المولى أن تفعل به مثل الفعلة الاولى وأن مولانايعلم أن طبع عبدالوهاب إدلاله عليك وفى مطاوعته لهذا الامر إخراق وفساد الرعية وتطمع سائر الجند بالكلية فقال هاأنا أكتب لهم فى هذه الساعة أن هذا الكردى ليس له أمان وكل من جاره على يكون قد مرق من يدى فوحق آبائى وأجدادى لابد ما أبلغ منه مرادى وما ذلك لأجل القاضي عقبة ولكن لأجل ما فعل فى مجلسى مافعل ولم يرع جانبي فقالت زبيدة

ما هذا رأى سديد قال ولم ذلك قالت لأنك إن كتبت على انك تقبض على هياج وتأمن جانبه فيكون بغير هذا الوجه لأنك إن طلبته من عبدالوهاب وعنده الجاهل الأحمق الأزرق العينين الذى مثله فى الجبل لايلحق فيقول لعبد الوهاب ماهذا صواب أن نسلمه من بعد ما ذممت له وهذا عند العرب عار لاسيما عند ذوى الأقدار وربما جبره على العصيان ويخرج عبد الوهاب خارجيا على السلطان وربما رحل الى بعض النواحي والبلدان وما نعلم ما يتأتى منه من طاعة أو عصيان وكل ذلك بغضبه للقاضى عقبه حامل القرآن وربما يغتنم الفرصة ويقبضوا على القاضى عقبه ويرحلوا به حيث شاءوا ويقتلوه وتطالب أنت بإثمه وتعاقب بذنبه فقال الرشيد فما الرأى ؟ فقالت ترسل الى عبد الوهاب تقول له أنت صاحبنا وذمامك ذمامى وإكرامك إكرامى وأنت ترسى وحسامى فساعة وقوفك على هذا الكتاب ترحل طالب بغداد والأمير هياج له منا قرب المنزلة والمكان ولمن يعاديه الذل والهوان وترسل مع الكتاب الخلع السنية لعبد الوهاب ولهياج ولعمرو بن عبيدالله والقاضى عقبة وتأمرهم بسرعة المسير الى بغداد هنالك تبلغ منهم المراد لأنهم يقدموا وهياج معهم ويكون عند حضورهم لك رجال مرتبهم انهم حال حضورهم يخرجوا على عبدالوهاب وذات الهمه وهياج يقبضوهم وتأمر بهم الى السجن ثم انك لاتعمل عملا ولا تحدث أمرا حتى تصلب هياج على باب القصر حتى يتأدب من سواه (قال الراوى) ياسادة ياكرام وكان كل هذا من القاضى عقبه فانه أرسل الى زبيدة كتاب يذكرلها فيه ماهوفيه من سوء الحال وأن هذا الرجل الذى يسمى هياج والأمير عبد الوهاب طالب دمى لا محالة وأنا مطالبك إن غفلت عنى وأريد منك أن تشيرى على الرشيد بكذا وكذا ففعلت زبيدة ذلك وقد وقع هذا من الخليفة بموقع حسن وخرج من وقته وكتب ماتقدم ذكره وطوى هذا الكتاب وسلمه الى النجاب وقال أريد منك سرعة الجواب فقال سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين وسار لوقته حتى وصل الكوفة ومعه الخلع الأمير عبد الوهاب ولهياج الكردى ولعمرو بن عبيد الله وقرأ الكتاب الذى ورد من عند الخليفة فكان من مضمونه الذى يريده عبد الوهاب ويشير به هوالصواب واذا أبرم أمرا فنحن أبرمناه وإذا جار خائفا أجرناه ورضيناه لنا صاحبا وأكرمناه ورفعنا منزلته وقربناه وإذا كرم صاحبا أو شخصا أنعمنا عليه وزدناه وإذا أدحض إنسانا أدحضناه وعن حضرتنا الشريفة أبعدناه وهذا كله لجميل فعله فى دولتنا فليتقدم بالحضور الينا معظما مبجلا والامير هياج صحبته مكرما ففرح الامير بذلك فرحا شديدا

وعظم هذا الخطاب على عمرو بن عبيد الله وقال مثل المؤمنين يخاطب عبد الوهاب بمثل هذا الخطاب ثم قال الأمير عبد الوهاب خذوا أهبتكم للرحيل فى غداة غد الى بغداد فقد بلغنا بحمدالله غاية المراد ومانقيم فى بغداد أكثرمن يوم أو يومين ويجرد معنا الرشيد عسكر ويسير معنا بنفسه الى بلاد الروم وأجعل معونة الله فتح ملطيه على ملة النصرانية فتحا مشئوما وما تمضى هذه إلاوقد عادت مثل ما كانت وأحسن بناء وأحصن أصواراً ودروبا وأكثر بروجا وأبوابا ثم قام الأمير عبد الوهاب إلى خيمته وكذلك الأمير عمرو (قال الراوى) فلما جلس الأمير عبد الوهاب فى مضربه دخل عليه الأمير أبومحمد البطال وهومصفر اللون مضطرب الكون فقال له الأمير ماوراءك قال له وإيش تريد أكثرمن هذا فقال له الامير وماهوقال له الامير أبومحمد البطال والله إن هذا كله من الرشيد خديعة لأنه فعل شيء ما رأينا مثله قبل اليوم وذلك انه أنفذ الينا الخلع قبل أن نصل اليه وخاطبنا بمثل هذا الخطاب من وسط الغضب لأنك قد أجرت عليه رجلا هوطالبه وهو يعرف أن الرجل من العرب إذا جار رجلا قتل نفسه عليه لاسيما أنت أيهاالأمير وقد فعل هذا حتى يقع فى قبضته ويقتل الرجل ونكون قد سقناه الى مصرعه ويشمت الملعون عقبه بنكبته فقال الامير عبد الوهاب ياأبومحمد ما أنت إلا رجل فاسد الظن والاعتقاد والذى خطر ببالك غير صحيح لأن هذا غير صحيح وهو شيء قبيح لايحسن بالعوام فكيف يكون من الخلفاء ولابد من الرحيل فقال الامير أبومحمد أنا ماأصحبك فى هذه الطريق تريد ترحل ارحل فسكت الأمير عبد الوهاب ثم قال الأمير أبومحمد وإذا كان ولابد من المسير فأنا أقيم هنا حتى أبصر ما يكون منك فان لقيت من السلطان الجود والسلامة فأنا أقصد اليك بعد خمسة أيام وإن كان شيئا آخر فأكون مخلصا من هذه النوبة وأدبر فيها ما أرى فقال له الأمير عبد الوهاب ما هذا إلا ظن باطل فاسد (قال الراوى) ياساده وبات الامير مفكر فى قول أبومحمد والأميره ذات الهمه تقول توكلنا على الله فما يكون إلا الخير فلو قتل هذا الرجل للسلطان قتيل لانرى منه إلا الجميل (قال الراوى) ياساده ورحل الامير عبد الوهاب والسودان الأنجاب وأمراء بنى سليم وبنى كلاب صحبته وقالوا لأى شيء تخلف أبومحمد البطال؟ فقال لهم الأمير عبد الوهاب تخلف فى الكوفة له فيها حاجة يقضيها وأمور يمضيها ويلحق بنا فما أعجب القاضى عقبه هذا الأمر وقال للأمير عبد الوهاب نحن نتولى هذه الخدمة عن الاميرأبومحمد فانه حقيق بأن يخدم وكيف نمضى الى الرشيد وأبومحمد

ماهو معنا لأنه ينادم السلطان بالأحاديث العجيبة والأمور الغريبة ثم ركب ومعه الفضل بن الربيع وداود الهاشمى وساروا الى أبومحمد وقالوا له ماتطيب قلوبنا بتأخيرك عنا بالكوفة وتوحشنا محادثتك المأنوسة فقال أبومحمد لى شغل مايتولاه غيرى ولا يقضيه أحد سواى ومع ذلك فانى أجد فى نفسى تضعيف ولا أقدر على السير العنيف وأنتم محثين الركاب صحبة الأمير عبد الوهاب فودع كل واحد منهم صاحبه وكان آخر من ودع صاحبه عقبة وأبو محمد البطال فقال له البطال ياقرنان ماجئت محبة وإنما دبرت مكيدة فان كنت فعلتها فأكون قد خلصت منها وأبعدت عنها فقال له عقبة وحق دينى ماعندى مما تقول خبر فلايقطعك شيء ولايقعدك عن السفر فقال له أبومحمد دع عنك الغدر فانك بيت الحيل والمكر فقال عقبه قاتلك الله فانك مكار خبيث لاينطلى عليك حديث ورجع هووأصحابه ولحقوا بالقوم وساروا وأقام أبومحمد بعدهم فى الكوفة يوم واحد ورحل هووغلمانه فقالوا له نراك تعجل فى الرحيل فقال لهم لايأتى كتاب على جناح الطائر يأمر فيه أمير الكوفة بالقبض علىّ فأكون كأنى أنا مادبرت شيء فقالوا له غلمانه ما يكون إلاالخير فقال لهم سوف ترون الأمر كيف يكون لأن عبد الوهاب ماسلم هياج وفيه عين تطرف والرشيد مايخلوه وسائط السوء أن يترك هياج ويكون هذا الأمرلهلاك عبدالوهاب سبب وقدنصحته وحذرته فأبى ذلك والمثل السائر يقول :

لقد نصحك من حذرك وما غشك من أنذرك

(قال الراوى) ياساده وجدوا الأمراء فى المسير ووصلت أيضا عساكر خراسان فى ثلثمائة ألف ترك وعجم وقنجق وديلم ونزلوا على بغداد قبل وصول العرب من بنى سليم وبنى كلاب فأمر الرشيد بقدومهم عليه ووصولهم وخلع على أمرائهم وأقر أعينهم وأخرج لهم الضيافات والعلوفات ولما كان فى غداة غد وصل الأمير عمرو والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة والأميرهياج ومن معهم من الأمراء والأصحاب والغيداء زوجة هياج وبناته وهم فى شد من الخوف والفزع لأنهم خائفين من الرشيد وقد طالت بهم الغربة والسفرالبعيد والله يفعل مايشاء ويحكم مايريد (قال الراوى) ياساده وأخبروا الرشيد بقدوم الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب كماذكرنا وانهم فى دارالضيافة قد نزلوا فحملت اليهم الضيافة ثلاثة أيام على ما جرت به العوائد فلم ينكر الأمير عبد الوهاب من الرشيد فلما كان فى اليوم الثالث دخل الأميرعبد الوهاب الحمام هو وعمرو وأقاموا الى الصباح ودخلوا على الخليفة ومعهم الاميرة ذات الهمة هذا وعقبة لايقرله قرار

وكأنه تحته النار وهو داير على أرباب الدولة الليل والنهار ويبكى عندهم ويشكو لهم ما لاقاه من حياج ويحرضهم عليه ويحمل اليهم الهدايا والتحف والفصوص والجواهر وهو غاية قصده ومناه أن الرشيد يطلب هياج ليقع ما بينه وبين عبد الوهاب ويكون ذلك سببا للفتن وضرب الرقاب (قال الراوى) ياساده ولما دخل الأمير عبدالوهاب والأميره ذات الهمه والأمير هياج على الرشيد فرحب بهم غاية الترحيب وقال لعبد الوهاب كيف كان طريقك فقال يامولاى طريق محمودة العاقبة بسعادة مولانا أمير المؤمنين فقال الرشيد وقد نظر الى هياج ياعبد الوهاب اعلم أن من تجارأ على الملوك فى المهالك عرض نفسه للمهالك وهذا هياج قدعلمت ما كان منه ولكن لأجلك ما أقتله ولكن أضعه فى بعض المطامير وأخليه الى أن يموت ولولاك لصلبته على دجلة بغداد حتى يتأدب به أهل الفساد والبغى والعناد فقال الأمير عبد الوهاب يامولانا إن كان قصدك تعمله فى مطموره حتى يغيب عن عينك فأنا أمضى به الى قلعة الكوكب يكون هناك لاتراه ولايراك ويكون مجاهد فى سبيل الله ويحامى عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلينا ضمانه متى طلبته أحضرته لك وان حدث منه حادث كنت أنا المطالب به فقال الرشيد هذا شىء ما يكون ولا سبيل اليه وتكلموا أرباب الدولة الذين قد مشى لهم عقبه وحمل لهم الهدايا والتحف وكل منهم يقول قد تجارى على مالا يمكن رتجاسر بعظيم ويشدد فى غضب أمير المؤمنين ويحرضه إلا الوزير جعفر فانه قال والله إن عفو أمير المؤمنين مفتوح وهو للمذنبين ممنوح فان عفى مولانا أمير المؤمنين عن هذا المسكين فمثله من جاد وعفى عن الجفا بالرأفة والوفا وقالت الأميره ذات الهمه والله ان هذا الرجل هياج ما فى عسكر أمير المؤمنين خلد الله ملكه شجاعا مثله ولا أدين منه وهو لدين الاسلام عده وعلى أعداء أمير المؤمنين نقمه فمولانا أمير المؤمنين لايفرط فيه ويسمع كلام الأعداء فيه فقال عقبه أيتها الأميره ما كان على قلبك مثل ما كان على قلبى من الذى حصل لأمير المؤمنين من الارتعاب ولقد قدم على مالا تقدر عليه الأسود والابطال الصناديد وان كان قصدكم حمايته لكونه أنه ضمن لكم قتلى فقطعونى أنتم الساعه بسيوفكم فلعن الله هذه الذى شربت من أجلها شراب العطب وأمر الشراب وأنا كل يوم متوقع فى العذاب وأقرأ من الموت كتاب فاقتلونى أستريح وان كان أجرتموه وتقصدوا أن تكسروا كلمة الخليفة وتعزوا من سطا فى حضرته الشريفة فلذلك حكم آخر يرجع فيه الى أمير المؤمنين فقالت له الأميره ذات الهمه أسكت يا شيخ الفتن ومعدن الحيل لو أردنا قتلك ما احتجنا فيك لغيرنا وكنا قطعناك بسيوفنا وأما قولك

تكسروا كلمة الخليفة فهذا شيء قط ما كان ونحن عبيده والغلمان وانما تأخذنا حمية الدين والايمان والآن فقد أعطى عبد الوهاب لهذا الرجل الزمام ولا عاد يتخلى عنه ولو شرب كاس الحمام ومولانا أمير المؤمنين أكر من أن يحقر ذمته وأجل ممن يخيب مسألته فلما سمع الرشيد ذلك قال وكيف يعطى عبد الوهاب زمامه دون مشورة إمامه فقال الأمير عبدالوهاب يامولانا أعطيته الزمام لأنى أعرف أنك معدن الجود والكرم ولى عليك حق الخدم ومع ذلك فان الرجل قصدنى وألق نفسه علىّ وقال انك أمرت به وجرى ماجرى عليه فقلت إنما بقى فى قلبك منه شيء لأنه قدرنى له الشامت والحسود والأقارب والأجانب والصديق والمعاند وما أمكننى أن أرده خايب ولا أمنعه مما أتى اليه طالب فقال عمرو بن عبيدالله يامولانا قد كنت أشرت عليه أن لا يجيره فأبى ذلك ولم يقبل ولكلامى أهمل فقال الرشيد هذا يدل على أنه نافق علينا ولم يلتفت الينا فقال الأمير أعوذ بالله من النفاق والرياء ولكن علمت أن هذا الرجل مظلوم وأنا أقسم بمن رفع السماء وأطلع النجوم وهو الحى القيوم أن هذا الرجل هياج صادق فى قوله غير آثم فى فعله فلما سمع الرشيد ذلك من عبد الوهاب قال له على ماذا عولت فقال على أن لا أسلمه إلا أن تأمر بقتلى دونه فما بقى فىّ موضع يحمل الغبن ولا أبقى عند العرب معيرة ويقولوا عنى أن رجل قصد إلىّ وقدم علىّ وأزمت له زمامى ثم أسلمه إلى من يقتله قدامى فلما سمع الرشيد ذلك غضب غضبا شديدا وعقبه يبكى ويقول مايهون على مايحصل لأمير المؤمنين من التنفر والغبن والتعب ليت عقبه لم يخلق ثم التفت الى الأمير عبدالوهاب وقال له ياهذا الرجل سلم هياج إلى أمير المؤمنين فما يلقى منه إلا الخير إلى أن ينكسر غيظه ويعفو عنه فقالت الأميره لعقبة عليك اللعنة فما أنا لك مثل غيرى ان كان هياج قد قلع عينك وجرحك فى موضعين فأنا أضربك ضربة واحدة فما تحتاج إلى غيرها فاسكت عن هذا القول تكفى شرى فلما سمع عقبة ذلك قال قد قلت لأمير المؤمنين إن أقرب الناس اليك يتعلم من فعل هياج فصاح الرشيد بالديلم والترك وقال خذوا هذا الكلب الأسود ومن معه فخرج من المقصورة ثلاثمائة من الترك فلم يمانع الأمير عن نفسه فأخذوه وأخذوا ذات الهمة وهياج فأرسل الأمير عبدالوهاب مسرور إلى ولده ضيغم لحذره ونفره ويقول له يرحل عن بغداد هو ومن معه رحلة واحدة وكان معه أبو الهزاهز وبنى كلاب والسودان الأنجاب وقال والله لقد كان الرأى مع الأمير أبو محمد البطال فلما سمع أبو الهزاهز ذلك قال لضيغم ما الذى تريد أن تعمل قال نهجم على بغداد ونضرب أهلها بالسيوف فى الحداد ونخرب القصر

ونأخذ الرشيد قهرا فان العوام لنا محبون ولبنى سليم مبغضون فقال أبو الهزاهز الرشيد الآن قلبه من الغيظ محترق ونخشى أن نعمل عملا وهو فى شدة غيظه فيبطش بالأمير ويفرط الأمر والدنيا كلها ما تسوى عندنا شعرة واحدة من شعر رأسه وأيضا عنده ثلثمائة ألف فارس من الترك والديلم والقنجق سوى عسكر العراق ويكون هذا سببا لسفك الدماء وإرمال النساء ولكن نقيم مواضعنا وننتظر ما يتجدد من الاخبار فسكت ضيغم على غيظ منه . وأما الرشيد فانه لما قبض على الأمير وأمه قالت له ذات الهمه : اعمل يامولاى ماشئت فان لنا وقفة بين يدى ديان يوم الدين . هذا وقد وضعت القيود فى أرجلهم وألبسوهم الجبب الصوف على أبدانهم وكان ضيغم لما رحل رحلت معه الغيداء وبناتها فقال لهم اصبروا فان عاقبة الصبر محمودة والمصيبة قد صارت على وعليكم أنتم أصبتم بشيخكم وأنا أصبت بشيخى وعجوزى ولكن نؤمل من الله تعالى الفرج القريب (قال الراوى) ياساده وأمر الرشيد بالأمراء الى المطمورة الكبيرة التى فى قصر الحريم وكانت مطمورة مظلمة وكان قصده أن يفرق بينهم وبين هياج وقال فى نفسه اقطع رقبة هياج وأخرج الامير وأمه الاميره واخلع عليهما ويكون قد فات الأمر من قتل هياج ثم عمل هياج فى مطمورة أخرى ثم التفت الى عقبة وقال له طب نفساً وقر عينا فالليلة اذا تهور الليل أخرجت هياج من المطمورة وضربت رقبته فلما سمع عقبة ذلك قام الى الست زبيدة وشكرها وأعاد عليها القصة وقال لها من يستحل أن يغتابنى كيف يرى وجه الله تعالى (قال الراوى) ياساده ومضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقال الرشيد لخادم له يقال له توفيق ياتوفيق قال لبيك قال له امض وخذ معك عشرة أتراك ومسرور السياف إلى المطمورة التى فيها هياج وارجع برأسه عاجلا الى عندى فقال سمعا وطاعة يامولانا ومضى توفيق هو ومن معه الى المطمورة فوجدها مفتوحة والأقفال مطروحة وطلبوا هياج فلم يجدوه فقالوا للسجانين ياويلكم أين المحبوسين وكان السجان شيخ كبير السن يقال له منجح فوجده توفيق نائم فأقبل نحوه ليسأله فوجده مكحل وثوبه معقود رمان مثل الأطفال فصاح به ويلك اقعد أين هياج فقد طلبه الخليفة فقام الخادم منجح كأنه الولهان وقال يامولانا هياج فى المطمورة مقيد فقال له ويلك إن باب المطمورة مفتوح والقيد مطروح فقام الخادم الى المطمورة فوجدها باقع ليس فيها أحد فعظم عليه وكبر لديه وأيقن بالهلاك وقال ههنا كان معى وانى كنت فى أمان من قبل هذه المطمورة لانها فى وسط قصر الخليفة ولا يقدر عليها إنسان

ولا أدرى هذه القضية كيف كانت ولاشك أن منيتى قد حانت فقال الخادم توفيق لا أقدرأرجع إلىأميرالمؤمنين إلا بك فأخذه وعادإلى الرشيدفوجده جاث على ركبتيه وعنده الفضل بن الربيع وداود الهاشمى وقداستدعا بهم الرشيد نصف الليل واستشارهم فى ترك هياح فى السجن فقالوا ليس هذا بصواب لأنك إن تركته فى السجن وأخرجت الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه طلبوه منك لأنهما يظنان أنه فى الحياة وقد أعطياه زمامهما ولايسعهما القعود عنه فاذا قتلته انقطع إياسهما منه ثم أنك تخرجهما وتخلع عليهما وتطيب خاطرهما فلا يتكلمان فى فايت ما مضى ويكون قد وقيت من عاقبة أمره وكفيت شره وحقنت دم القاضى عقبه العابد والشيخ الزاهد فان هذا الكردى فى نفسه منه أمر عظيم ولا يفكر فى الموت وقد رأيت من فعله ما قد بدا منـــه فى مجلسك فصدق الرشيد كلامهما واستصوب رأيهما وبعد ذلك أرسل خلف هياج كما ذكرنا وقعد فى الانتظار وأبطأ عليه الأمر فبعث رسولا ثانيا فمضى وعاد كل منهما بالخيبة وأخبروه بالقصة وما جرى فلما سمع الرشيد ذلك قامت عليه القيامة وقال والله مليح على هذا الحساب نريد أن نحفظ أنفسنا وإلا نقتل فى فراشنا ويحكم يؤخذ من دارى واحد محبوس إطلبوه على كل الوجوه فانقلب القصر بأهله فما سمعوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فقال له الفضل بن الربيع يامولانا إن أردت رجوع هذا الملعون فلا يخرج عبد الوهاب وأمه من قبضتك حتى يعود هياج الكردى الى المطمورة فقال الرشيد أقسم بالله وتربة آبائى وأجدادى وإلا نفيت عن المهدى ان أخرجت عبد الوهاب ولاأمه من موضعهما إلى أن يرجع (هياج) موضع ما كان فيه ولأضربن رقبة من كان السبب فى خلاصه حتى لايتجارى أحدا على قصور الملوك لا غنى ولا صعلوك والآن فما ترون فى هذه القصة فقال الفضل وداود الهاشمى والامير عمرو ياMولانا مانى هذه القصة إلا انك تنفذ فى هذه الساعة الخيل يدوروا فى سائر الطرقات الى حول بغداد فى هذه الساعة فمن أنكروه قبضوه عسى أن يلحقوه فانه مابعد عن البلد فقال عمرو وأما أنا فالذى أراه من الرأى أن لايخرج خلف القوم أحد لان هذا الرجل هياج ما يتخلص ويقعد على الطريق ينتظرنا حتى نلحقه فقال داود الهاشمى فما الرأى قالوا اذا أصبح الصباح ركبنا فى عسكر العراق كله ونمضى ونقبض على جميع السودان بالخديعة وكذلك عسكر الامير عبد الوهاب معهم ولا نطلق منهم أحدا حتى نأخذ هياج من أى موضع كان

إن كان عليك عجلة يامولانا ولابد من طلبه فهذا الليل قد منعنا من إرسال الخيل فتنفذ إلى المطمورة التى فيها عبد الوهاب وذات الهمه وتحضرهم بين يديك وتطلب منهم هياج وتقول لهم أحضروه من عسكركم وإلا ضربت رقابكم فما يستخيروا هياج على أنفسهم فهما يرسلان إلى ضيغم بن عبد الوهاب يحضروه من أى موضع كان (قال الراوى) ياساده فسار مسرور وغلمان الخليفة معه وقد ضاقت على مسرور الأرض بمـا رحبت لشغل قلبه على الأمير عبدالوهاب حتى وصل الى باب المطموره فوجدها من جانبها منقوبة محفورة والقيود مرميه مكسوره ومالهم حس ولاخبر (قال الراوى) ياساده ففرح مسرور فى الباطن وجعل يظهر الهم والغم فى الظاهر ثم عاد الى الرشيد وأخبره بهذا الخبر وهوفى غاية من الصراخ فقال الرشيد ما الخبر وقد احمرت وجنتيه وازورت من الحنق مقلتيه ماوراءكم قالوا قد هربوا الأسارى وكلهم كسروا قيودهم ولانعرف ما كان منهم فضاقت على الرشيد الدنيا وتفكر فى هذا الأمر وقال مابقى لى مقام مادام أن كل من أراد شىء من قصرى وصل اليه فما فى القصر إلا عاريه ومتى طلبونى أخذونى وزادبه الغضب حتى تغيرت هيئته وخاف كل من فى القصر من نقمته وانزعجوا من سطوته فقال له الفضل يامولاى مالهذه الأمور من يدبرها إلا القاضى عقبة فأرسل اليه يأتى الساعه وقد انحلت هذه العقده ويشير علينا نفعل فهو رجل قد مرت به التجارب وتقدمت له معاشرة الخلفاء وذوى المراتب فقال الرشيد الساعة يسير له فرس النوبه ويأتينا به (قال الراوى) ياساده فأخذوا له الغلمان فرس النوبه والشمع والمشاعل وساروا إلى عقبه وطرقوا الباب فخرج اليهم ابنه مصعب مثل الفزعان الولهان وقال ما بالكم قالوا له إرجع الى القاضى عقبه وقل له يجيب أمير المؤمنين قال فلما سمع مصعب أن أباه ما هو عند الخليفة صاح وقال أبى ما هو عندكم قالوا له الخدم لا والله فقال سبحان الله والله ما مضى من الليل إلا هجعه حتى وصل الينا عشرة من الغلمان ومعهم المشاعل من عندالخليفة ومعهم بغلة النوبة فطرقوا علينا الباب وقالوا لأبى مولانا يدعوك إلى أمر يريده فى أمر هذا الكردى الكذاب وذات الهمه وعبد الوهاب فركب وساروا الغلمان بين يديه فقالوا غلمان الرشيد إن كان القاضى قد سرق فالليلة يود الخليفة لو كان ما خلق فلما سمع مصعب ذلك قال لهم قد بقى فى الأمر شىء واحد قالوا وما هو قال لا يكون ركب الى دار الفضل قالوا له الغلمان امضى معنا إلى الرشيد تعلمه بالقضية لأن الفضل وداود وعمرو الكل عندالرشيد فقال مصعب والله قد قتل أبى ودخل إلى الدار صارخا ولبس ثيابه وسار معهم إلى

قصر الخليفة هذا والرشيد منتظر قدوم عقبة اذ دخلوا الغلمان وما معهم أحد فقال لهم ويحكم أين القاضى عقبة فقالوا له يامولانا هذا ولده قد أتى الى بين يديك فقال مصعب يامولانا الأمر مهم وأبى قد أخذ حتى يكون فداء لهياج والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة فبالله عليك يامولانا لا تخلصهم حتى يخلص أبى وينكشف خبره فقال له الرشيد لا تقسم على بمالا أملكه فان القوم هربوا من المطامير وكسروا القيود والجنازير وتخلصوا وما نعلم ماسبب خلاصهم ولكن الحمد لله الذى ماطلبونى ولو كانوا طلبونى لأخذونى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لأطلبنهم ولو كانوا دخلوا تحت تخوم الأرض فما يكون العبد الأسود عبد الوهاب أوفى منى ذمام حيث أنه أعطى هياج الزمام وما تخلى عنه وأنا أعطيت للقاضى عقبة زمامى لحفزونى وفى غداة غد أطلب القوم ولو دخلوا تحت التخوم أو تعلقوا بالنجوم وبقى الرشيد لا ينام تلك الليلة حتى برق ضياء الفجر فركب وركبت الدولة خلفه وارتجت الدنيا لركوبه فى أربعمائة ألف فارس فأخبروه أن ضيغم رحل نصف الليل فعظم عليه وكبر لديه ورجع إلى بغداد ولم يبلغ مراد وقال للناس خذوا أهبتكم فأنا قد عولت على حالين الأول أطلب الغزو إلى بلاد الروم فان كاب الروم قد طمع إلى بلاد الاسلام وبالله أقسم لا رجعت حتى أطأ بقدمى على رقبته وأخلص المأسورين من قبضته وأعمر ملطيه بخراب بلدته حتى لا يقولوا الناس إنما كان يعمر ملطيه وأعمالها ويذب عن نسائها ورجالها وبناتها وأطفالها إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب والثانى أطلب هياج وعقبه فى أى موضع كان فيه (قال الراوى) وأمر الرشيد لعمرو أن يكتب كتب الى سائر العرب يأمرهم بالحضور إلى الغزو فكتب اليهم فأقبلوا هم وحلفاهم فى فى مائة ألف رامح وورد الخصيب من مصر فى مائة ألف وورد حسان بن قيس من دمشق الشام فى مائه ألف (قال الراوى) وما مضى للرشيد إلا أيام قلائل حتى صار فى ثمانمائة ألف ويتبعها مثل ذلك وأخرج لواء الحمد ورايات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبس البردة وأخذ القضيب الخيزران بيده وصحبته القضاة والفقهاء والعلماء والفقراء والصوفية والأطباء والحكماء وخزائن المال ومن الأمتعة والاسلحة ما لا عين رأت ولا أذن سمت وهو مع ذلك مسلوب الفؤاد ممنوع الرقاد كثير القلق زائد الأرق محترق الفؤاد على القاضى عقبه لأنه لا يدرى ماجرى له (قال الراوى) وكان من قضاء الله وقدره أن الرشيد لما قبض على الاميرة وولدها الامير

عبد الوهاب والامير هياج الكردي ووضعهم فى المطامير وكل أرباب الدولة استصوبوا رأى الرشيد فى ذلك تعصبا لعقبة إلا الوزير جعفر فانه ما أعجبه ذلك لانه كان أشار الى الخليفه لا يفعل فلم يرجع اليه بل هو مصمم على ماهو معول فلما رأى جعفر أن الخليفه لا يقبل منه قام من مجلس الرشيد كأنه يقضى حاجة وخرج من القصر الى داره وهو فى غايه الغضت والحنق ويود لو أنه ذبح أرباب المشورة مثال الفضل بن الربيع وداود الاديب وحازم بن شيخ الشيوخ وعقبة لان هؤلاء تعصبوا أو تحاملوا عليه وحملوا الرشيد وأغووه وأكثروا عليه الفضول وأغروه الى أن أوقعوه (قال الراوى) فبينما جعفر على هذا الحال واذا بالباب يطرق فقال من بالباب فأجابه قائل يقول حبيب من الاحباب فقال لغلمانه افتحوا له الباب ففتحوا الباب واذا بأربعة من الرجال فقال لهم ماتريدون وهو يبكى فقالوا له مايبكيك أيها الوزير فقال والله مارأيت الرشيد اخرق بالامير عبد الوهاب مثل هذه النوبة وسجنه فى سجن قراره بعيد وخلاصه منه صعب شديد وقد اشمت به حاسده لا سيما عقبه لا أحسن الله له عاقبه وكان المخاطب للوزير أبو محمد البطال فعند ذلك أسفر عن وجهه اللثام وتبسم وقال هون عليك يامولاى هذا الامر فان لنا عندك حاجة فان أنت قضيتها لنا خلصوا الجميع باذن الله تعالى فقال جعفر هيهات فان الموضع صعب ضيق والليلة لا محاله يقتل هياج ظلما فياليت الامير لما أتى به ال دار الخليفة فقال أبو محمد البطال اذكر لك شيأ قريبا ان أنت فعلته فعلى الليلة خلاص الجميع فقال جعفر وماهو قال له تقوم من وقتك وساعتك تركب الى الخليفة كأنك فى أمر من الامور واستكثر من الغلمان بين يديك وتدخل القصر ونحن فى صحبتك حول ركابك مستترين فى جملة أصحابك فنحن لما ندخل القصر نخلص أصحابك ان شاء الله تعالى فقال لهم احسبوا أنكم حصلتم فى القصر فكيف تحملون هذا الامر الجسيم وما تعملون اذا دهمكم الليل وخرجت أنا من عند الخليفة فمن يخلصكم من ذلك المكان فقال أبو محمد سوف ترى العجب العجاب بقدرة الكريم الوهاب (قال الراوى) فركب جعفر وقت غياب الشمس وقد تزيا أبو محمد بزى الغلمان وكان أبو محمد مادخل هذه النوبه الى العراق الا بلحيه سوداء وكحل عينيه فلو لقيه الامير عبد الوهاب لما عرفه ودخلوا الى دار الخلافه ووقفوا مع جملة الغلمان وجعفر يقول للرشيد يامولانا وصلت الكتب من بلاد كذا وكذا وأجبتهم بكذا وكذا والرشيد يقول له نعم ما فعلت وأمسا المساء وهم جعفر بالانصراف فمنعه الرشيد من ذلك وقال له ماتمضى حتى نأكل شيأ من الطعام

أنا وأنت فقال سمعاً وطاعةلله ولك ياأمير المؤمنين وكان ذلك من الرشيد يريد يطيب خاطر جعفر لانه علم أنه حصل له كسر خاطر اذ لم يسمع مشورته ولا يقبل شفاعته فتم عند الرشيد الى العشاء الأخيره ثم أنه استأذن فى الانصراف فاذن له فخرج من القصر وبقى أبو محمد وغلمانه بعد أن خرج جعفر الى ساحة القصر ثم قصد أبو محمد إلى بيوت الحرم وكان عارفا بالقصر لانه كان لا يخفى عليه فيه موضع لأنه كان ينادم الخلفاء فيه واحد بعد واحد إلى أيام الرشيد وكان خبير بجميع مساكنه وطرقاته ودهاليزه فقصد إلى بيت خادم أسود شاخ وكبره من أيام السفاح والمنصور فهجم عليه أبو محمد إلى بيته عند العشاء الأخيره فوجد عنده ضوء ضعيف قد أشرف على الانطفاء والخادم من ضعفه ما فيه مروة يقوم يصلح النور فالتصق بالباب فسمع الخادم يقول دفعت عنى شر الشياطين وكيد المرده والملاعين بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما سمع أبو محمد ذلك علم أنه يخاف على نفسه من الجن فصعد من الباب وتحرك له بتلك اللحية السوداء الطويلة فكاد يطير عقل الخادم وقال وحق الله ما زلت أتولع بهم وأذكرهم حتى جونى ثم أنه غطى رأسه ورقد فدخل أبو محمد وغلمانه إلى البيت ومسكوا الخادم وعملوا فى فمه أكرة جلد وأوثقوه كتاف وكلما فتح الخادم عينه وثب اليه أبو محمد وفرش دقته عليه وبحلق عينه فيغمض الطواشى عينه ويتناوم فقال أبو محمد لغلامه لؤلؤ يكون عقلك وذهنك لباب القصر إذا غلق من يعود بالمفاتيح فقال سمعا وطاعه وبقى لؤلؤ واقف حتى أراد الرشيد النوم ولم يبقى عنده أحد وغلقت الأبواب ورجع الخادم بالمفاتيح الى بيت الخادم الذى فيه أبو محمد وغلمانه قال فوثب الى الخادم الذى أتى بالمفاتيح ومسك على خناقه فلحقه سبك وبديع وعملوا أكرة فى فمه وكتفوه وأخذوا المفاتيح منه ولم يزالوا حتى نامت الأعين فنهض الأمير أبو محمد الى المطموره التى فيها الاميره وولدها عبد الوهاب ففتحها أسرع من البرق فسمع الأمير عبد الوهاب يقول لأمه ذات الهمة والله لقد كان الرأى مع أبو محمد ولقد خلصنا من الشدائد كذا وكذا مره والله ما بى روحى مثل مابى على هذا المسكين هياج فاننا سقناه الى البلاء والأذى فقالت الأميره ذات الهمة دع عنك هذا كله فانا خائفه على هياج الليلة من أن يقتله ونطالب باثمه فقال الامير عبد الوهاب ما بقى لنا فيه حيلة فما استتم الامير كلامه حتى نزل اليه الامير أبو محمد ومعه سيف مجرد وقد فرش لحيته على صدره فلما رأى الامير ذلك أيقن بالموت وقال للاميره يهنيكى قد بعث الرشيد الينا من يقتلنا فقالت له الاميره اعلم يا بنى ان الله يعطينا الاجر

من كل جانب اذا قتلنا مظلومين وكنا عند الله من الشهداء فقال والله مابى الموت ولا بى الا العربان وأهلى مأسورين وأنا لم أقبل من الامير أبو محمد ولم أبلغ من عقبة غرض (قال الراوى) فلما سمع الكلام دخل اليه أبو محمد وقال له يا أمير كيف ترى مشورة أبو محمد عليك قال (ياساده) فعرف الصوت وقال أبو محمد وكيف وصلت الى هاهنا قال ما هذا وقت سؤال ثم أخرج من وسطه مفاتيح حديد وفتح قيودهما وسلم الاميره والامير سيفين سيفه وسيف لؤلؤ وقال بسم الله قوموا على بركة الله سبحانه وتعالى وأصعدوا المطموره فقال الامير عبد الوهاب ايش عملت فى حق هياج قال تمضى اليه وتفرج عنه باذن الله تعالى وعونه قال فتعرف المطموره التى هو فيها قال نعم وكان المهدى حبسنى فيها مره ونقبتها وخرجت وسرقت ثياب المهدى من عند رأسه وخليته ومضيت ولما سألنى عنها أقررت له بها بعد أن انصلح أمرى معه وان أردت سرقت لك الرشيد الليلة وضيعته أربعين يوما ولا أرده حتى يحلف لك انه لا يتعرض لك ولا للامير هياج ويسلم لنا عقبه ونعمل فيه ما نريد فقالت الاميره ذات الهمة لا يا أبو محمد لا تفعل ذلك فان فيه اسقاط حرمة الخليفة قال وساروا الى المطمورة التى فيها هياج فنقبوها ونزلوا اليه فأيقن هياج بالعطب وقال بالله ان كنت نزلت الى قتلى الا ما حملت سلامى الى أهلى وان لى بنات عوانق قد لقين من أجلى العوائق وفرق بيننا الامر الطارق وعاقتنا عن الاجتماع العوائق فاذا بلغتهم سلامى أنشدهم عنى هذه الابيات

لقد كنت أرجو ان نعيش بجمعنا ولكننى عما رجوت بعيد
قضى الله بالتفريق بينى وبينكم فياليت شعرى ما الفراق بريد
عليكم سلام الله انى مجذول غريب ومظلوم قتلت شهيد
وقلبى على تلك البنيات طائر وشوقى مقيم لايزال يزيد

(قال الراوى) ياساده ياكرام لما فرغ من شعره قال له الامير أبو محمد أبشر فانا أخوك أبو محمد البطال ثم فتح له قيده وسلم اليه سيف غلامه سبك وصعدوا من المطموره وقصد أبو محمد الى البيت الذى فيه الخادم وأخذوا المفاتيح وفتح باب القصر وقال للخادمين والله ان خرج منكما هذا الحديث لاذبحنكما ولو كنتما فى حجر الرشيد وكانوا محبين للامير عبد الوهاب ومتعصبين له فلما رأوه قد تخلص قالوا والله ان خلاص هذا الامير عندنا أحب الينا من الدنيا وما فيها وخرجوا من القصر وغلقوا الباب وعادوا بالمفاتيح الى البيت المعروف بهما وبينما أبو محمد والامير عبد الوهاب

والاميره ذات الهمة والامير هياج بغلمان البطال طالبين الدجلة فقال الامير عبد الوهاب يا أبو محمد الى أين تمضى فقال أبو محمد سيروا واسكتوا فساروا معه حتى وصلوا الى الشط وإذا هم بمائة فارس فى السلاح غواطس وفى أولهم أبو الهزاهز وكان قد رتبهم أبو محمد وأوقفهم فى ذلك المكان (قال) فلما رأوا الأمير فرحوا فرحا شديدا بخلاص الأمراء (قال الراوى) وكانت الغيداء زوجة هياج فى جملة الناس هى وبناتها فقال أبو محمد قد عزمت على أمر قالوا وماهو قال آخذ لكم القاضى عقبه ونرحل من ساعتنا فما مقامنا هنا بصواب ولا بد للرشيد من طلبنا فقالوا يا أبا محمد كيف يكون أخذه فقال أبو الهزاهز وقعوا لى هذا الشيخ النجس فى يدى حتى ألطمه الى أن يعمى فأخذ أبو محمد غلمانه الخمسه ومضى الى جعفر وطرق الباب فخرج اليهم خادم وقال ماذا تريدون قال نريد الوزير فدخل الى جعفر وقالوا له غلمانه غلمان بالباب قال فخرج بنفسه اليهم وكان فى قلبه النار من أجل أبو محمد فلما رآه قال له كيف كان حالك قال فأخبره بالخبر وقال له اعلم أن الأميرة ذات الهمة قد أثر القيد فى رجلها ولم تقدر تمشى ولا خطوة وتريد منك بغلة من بغال النوبة وطيئة المركب سريعة المشى فقال سمعا وطاعة ثم طلب مشعلا وفانوس فأمر جعفر فى الحال باحضار جميع ماطلب فأخذه وودعه وانصرف فقصد بعض الأسواق وأشعل المشعل وأمر الغلمان أن يقودوا البغله إلى دار عقبة ففعلوا ذلك وقال لهم دقوا الباب دقا عاجلا فاذا خرج اليكم فقولوا له أجب أمير المؤمنين فانه يريد أن يشاورك فى أمر قتل هياج فلما عاد اليه ابنه وأعلمه بالقصة فمن فرحته ماالحق يلبس عمامته وطرحها على رأسه وخرج فرحا مسرورا وهو يقول فى نفسه عسى ان يكون المسيح قد رثى لحالى مما ألاقى من هؤلاء الكلاب وتورينى فيهم القدرة ثم فتح الباب وخرج فقدموا له البغلة فركب وساروا بين يديه وجعل أبو محمد يعبر به الأذقة والدروب فأنكر عقبة ذلك وقال لهم مالكم تتركوا الطريق وتمشون كذا وكذا حدثونى ماسبب ذلك فقال له بديع غلام البطال هكذا أمرنا الخليفة حتى لايجرى علينا عارض من أصحاب الأمير عبد الوهاب لانهم بعد قبض أميرهم لانأمن أن يكونوا يدورون حول البلد يطلبون من يخطفوه فيكون فدية للامير هياج فقال عقبة وقد انطلى عليه قول بديع الله يحفظ مولانا ما أزكاه وما أحسن رأيه وما أعلاه وسار معه وهم يدخلون من موضع ويخرجون من موضع إلى أن وصلوا إلى عند الأمير والأميره وأبو الهزاهز والأمير هياج فأنكر عقبة ذلك وقال ويلكم ايش هذه الأشباح التى بين أيديكم فقال له

بديع طب نفسا وقر عينا يا مولانا القاضى ماهؤلاء إلا أصدقاك وكلهم يتمنوا لقاك هذاصديقك هياج الكردى الذى هو الى لقاك محتاج وهذا صديقك أبوالهزاهزوالباقى أخوتك السودان الذين هم الى لقاك أشهى من العطشان إلى الماء الزلال (قال الراوى) فلما سمع عقبه كلام بديع أيقن بالعطب ولا لقى سبيل الى الهرب وقال ويلكم لاتفرطوا فى أمرى فرأس الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمة مرهونة فى يدى فقال له الأمير عبد الوهاب كذبت ياملعون وحدثتك نفسك بما لا يكون فقال له عقبة من أنت حتى تكلمنى بهذا الكلام وما الدليل على أنى كذاب فقال له الأمير عبد الوهاب هذا أبو محمد البطال وهذه الأميره ذات الهمة وهذا الأمير هياج وأنا عبد الوهاب وقد خلصنا الرحيم التواب فأيقن عقبة أنه هالك فصاح بهم أبو الهزاهز ويلكم رجلوه وألكموه حتى يتعلم الأدب قال فسحبته السودان برجليه وأرموه من على البغلة الى وجه الأرض وأخذته الكفوف بالطول والعرض ثم قال الأمير عبدالوهاب دعونا من هذا الكلام وانزلوا فى المسماريات واعبروا بنا الى ذلك الجانب قبل ذهاب الغياهب فان الرشيد لنا طالب (قال الراوى) وفى تلك الساعة قام الرشيد من نومه وأرسل خلف الفضل بن الربيع وداود الهاشمى وعمرو بن عبيد الله وطابب هياج والامير عبد الوهاب ومن معه وعبروا الى ذلك المكان والجانب الآخر وفتشوا فى المطامير فلم يجدوا أحد وأعادوا الخبر على الرشيد كما ذكرنا (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب ومن معه من الأبطال فانهم عبروا من هذا المكان ولحقوا بعسكر ضيغم وفرح ضيغم بهم ورحلوا لوقتهم فقال أبو محمد للأمير عبدالوهاب أى البلاد تريد فقال الامير وهل بقى إلا بلاد الروم وأنا عزمت أن أمضى إلى ناصح الدين يانس المتغرب فأقيم فى حصنه وأشتفى من عقبه فان فى نفسى منه أمر عظيم ثم أرسل الى ملك الروم على أن يرسل لعلى نساء بنى كلاب وأموالهم حتى لايذهب لهم عقال وأقيم عنديانس فان أرضه كثيرة الأشجار والأنهار فما بقى فى عمرى مثل مامضى وسار الامير على هذه النية وركب عقبة معه على جمل وكان عديله أبو محمد وهو يقول ماسافرت سفرة ايشم من هذه السفرة فقال عقبة من وقت قلت لك يا أبا محمد تعالى مع الامير عبد الوهاب وقلت أنا مريض لاشفاك المسيح علمت أنك صادق المكر ثم عدل أبو محمد الى طرطور من أذيال الثعالب فجعله على رأس عقبه وجعل يضربه وينكيه بكل نكاية قبيحة ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ملطية فلما رآها على تلك الحالة الذميمة بكى الامير عبد الوهاب وكذلك بنو كلاب ونظر أبو الهزاهز إلى المدينة

المحدثة وهي خراب فبكى وقال والله ان فقد الحريم هو البلاء العظيم ثم قال يابنى كلاب قد خربت لكم مدينة ولنا مدينه وقد أخذت جواركم وجوارنا الروميات فضحكوا الناس من وسط الغيظ (قال) ولما رأى الأمير عبد الوهاب البلد على هذه الحالة وهي خالية بكى بكاء شديد وأنشد وقال

سألت الدار عن الأحباب ما فعلوا　　أجابتنى أنا قفرا وسكانى ارتحلو
فناديت يا ترى أى منازل نزلوا　　شرقا وغر باترى سهلا ترى جبل

(قال الراوى) فأجابته الأميره ذات الهمه وجعلت تقول

هل علموا من ظعنوا يقينا　　بان قلبي معهم رهينا
ساروا شمالا أو غدوا يمينا　　قد صرت من بعدهمو حزينا
ويا حمامة اللوى ترنمى　　إن كنت للاحباب تندبينا
ويا غراب البين ظل ناعقا　　قد كان ما خلت أن يكونا
ويا رسوم الدار مذ ترحلوا　　ساروا شمالا عنك أو يمينا
هم تركونى يوم ذمت عيسهم　　أصحاب التذكار والحنينا
هم خلفونى بعدهم أبكى الدما　　على الزمان المسعف المعينا

(قال الراوى) ثم أنها بكت بكاء شديد وبكى كل من حولها ثم تركوا ملطيه ورحلوا حتى وصلوا إلى حصن الكواكب ونزلوا عليه فعندها نزل نافع إلى الأمير عبد الوهاب وصنع له الضيافات والعلوفات وكان قد هرب من بنى كلاب أقوام كثيرة وأقاموا فى البر فلما سمعوا بعودة الأمير عبد الوهاب قدموا عليه فصار الامير فى عشرين ألف ثم ان الأمير رحل بالناس وسار ولم يزل سائر إلى أن وصل الى حصن يانس المتغرب فلما سمع يانس بقدومه خرج اليه بكل من فى الحصن وتلقاه بالتحية والاكرام (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الملك منويل سمع بقدوم الامير عبد الوهاب فأرسل اليه رسول ومعه كتاب فسار الرسول حتى أشرف على حصن يانس المتغرب فأخذ يانس الرسول ودخل به على الأمير عبد الوهاب فأخذ منه الكتاب وقرأه فقال للرسول إعلم انى قد خدمت السلطان الخدم التى لاتعرفونها ولا رعى لى حق الخدمه وانى دخلت إلى ههنا ومعى من المال ما يقوم بى وبأصحابى وأما ما ذكره الملك لى انى أترك دين الاسلام فهذا شيء لايتفق ولايكون أبدا ولو شربت كاس الردى ولكن ان أراد الملك ان يعاودنى على شرط أن يسلم لى نساء بنى كلاب وبنى سليم ورجالهم وصبيانهم وإن هو أبى فانا لاأقعد عنه والسلام

(ياسادة ياكرام) ومضى الرسول حتى وصل الى الملك منويل وقال له هذا الخطاب فقال للرسول لوكان الخليفة يريد أن يأتينا لكان الشيخ النجيح عقبة أرسل الينا وأعلمنا ولكن لابد لى أن أجيبه الى ما قال ويكون على وجه الخديعة والمحال وأسير اليه فى ظلام الليل فى ثلثمائة الف فارس وآخذه أسير على غرة منه وأفرق بينه وبين ذات الهمة (قال الراوى) فبينما الملك فى ذلك الكلام وإذا بجاسوس قد دخل عليه وقال له هل معك علم من أخبار المسلمين أو خبر قال نعم قال اعلم ان الخليفة قد دخل الدروب فى ألف ألف وثمانمائة ألف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس فخذ حذرك منه فانه قد أتاك فى جيش لايطاق فلما سمع الملك منويل ذلك قال ومن أين صحبتهم فقال من الموصل فقال له هل اجتمعت بالشيخ النجيح فقال وحق المسيح ما رأيناه يا ملك وقد قيل انه قد سرق من داره من العراق فقامت على الملك القيامة وورد عليه من ضيعان عقبة أمر عظيم وخطب جسيم وأيضا من رحيل الخليفة اليه فجمع أرباب دولته وخواص مملكته وقال لهم ما الذى ترون من الرأى فقالوا وما عسى أن نقول ولكن الرأى أن نهادن هذا الرجل عبد الوهاب وترفع له الذى يريد قبل أن يصل سلطانه وينصلح معه شأنه فيهلكنا هو وسودانه فاستصوب الملك رأيهم وأرسل فى الحال الخلع السنيه والخيول العربية وبعث لهم كتاب بهذا الشرح فلما وصل الكتاب إلى الامير عبدالوهاب فرح بتلك الاسباب (قال الراوى) وأرسل الملك منويل الى سائر الاقاليم يوجهوا اليه العساكر فان خليفة المسلمين قد رحل على نية الجهاد وأرسل يقول لهم فى كتبه اننا قد اصطلحنا مع الامير عبدالوهاب وبنى كلاب على رد جميع الاسارى ولم يمض على ذلك الكلام الا أيام قلائل حتى جمعوا أسارى بنى كلاب وبنى سليم حتى صاروا الكل فى القسطنطونيه ثم أرسل ملك الروم إلى الامير عبدالوهاب البترك الكبير الذى عندهم وكان ذلك البترك له عندهم محل عظيم وقال له الملك ياأبونا أمض الى عبد الوهاب واستحلفه وخذ لنا عليه العهد والميثاق وتأخذ يده وتعود حتى أنفذ اليك جميع الاسارى الذين بأيدينا (قال الراوى) ووصل البترك إلى الامير عبد الوهاب وذكر له ما قال الملك منويل فقال له وحق دين الاسلام ما أفسخ الهدنة إلا أن أرى منكم شيء يوجب انفساخها ففرح البترك وعلم أنه صادق القول ورفع البترك رأسه فرأى أبو الهزاهز وهو يرمقه بعينه وقال والله هذا الذى قد غطسنى فى ماء المعمودية ونصرنى ولو خاطر الامير عبد الوهاب لكنت نتفت لحيته ولطمت قمته وقطعت رقبته (قال الراوى) ثم إن الامير عبد

الوهاب عاهد البترك عن الملك وكذلك الأميره ذات الهمة وسار البترك إلى أن دخل على الملك منويل وأخبره بما جرى فأرسل الملك اليه جميع الأسارى وقد سدوا الفضاء وملؤا المستوى من كثرتهم حتى كنت تسمع أصواتهم بالدعاء قد أقلب الدنيا من الرجال والنساء (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان عدد الأسارى عشره آلاف من بنى كلاب وبنى سليم مثلهم وتسعين ألف امرأة وصبى فلما وصلوا الى الأمير عبد الوهاب أخذه الدعاء من كل مكان فلما عاين الأمير ذلك فرح فرحا شديد ما عليه من مزيد وذبح لهم الذبائح وصنع لهم الأطعمة وقد أخذه الدعاء من بنى سليم فقال لهم اعلموا أنه قد وقع بينى وبين الخليفة الرشيد وعسكره وفيهم الأمير عمرو بن عبيد الله فانى أرسلكم اليه فشكروه على ذلك غاية الشكر وقعدوا على هذا الأمر فهذا ماجرى بهؤلاء (وأما ما كان) من أحوال الرشيد فانه وصل الى مرج وهو فى ألف ألف وثمانمائة ألف واجتمع أيضا على باب القسطنطينة عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى فلما علم ملك الروم بأن عسكر الرشيد قد وصل الى مرج الديباج والقعود عنهم حتى يصلوا الينا مذله والرأى عندى أن نسير اليهم ونهجم عليهم ماداموا فى تعبهم فقالوا نحن بحكمك ولكن إذا كنا على باب القسطنطونية كنا آمنين على من خلفنا من أهلنا وأموالنا وأثقالنا فما ندرى من يكون منا فان كانت لنا فنحن نتبعهم الى الدروب حتى لاينجو منهم أحد وان كانت علينا دخلنا إلى بلدنا فقال الملك هذا هو الصواب فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أرسل الأسارى الى عسكر الرشيد الى أهاليهم وأخبروا الرشيد بأن الامير عبد الوهاب قد خلصنا فلما سمع الرشيد ذلك قال هذا رجل مسعود ماتوجه فى شى إلا كان فيه موفق ياترى كيف خلصهم بوزن المال أو بالقتال فقالوا له رجال بنى سليم ممن كان فى الأسر يا أمير المؤمنين ان الرجل قد هادن ملك الروم الى الابد وهو مقيم على ذلك فصعب ذلك على الرشيد وقد أخذه القلق فقال جعفر البرمكى يا أميرالمؤمنين لاتحمل على قلبك هم واحسب أن عبدالوهاب فى بلد القناصه وأنت فى عسكر كثير ولاسيما الامير عمرو بن عبيد الله معك وكان قول الامير جعفر هزؤا على السلطان وعلى العسكر حيث يفرط فى مثل الامير عبدالوهاب وفرسان بنى كلاب (قال الراوى) وتكلم الفضل ابن الربيع بمثل ذلك وتكلمت سائر الامراء وسائر أرباب الدولة وقالوا يامولانا أنت فى عسكر جرار ومعك ثلثمائة ألف رامى ترك لوأردت أن تفتح بهم الدنيا وسائر البلاد لماصعب عليك فلاتفكر فى عبدالوهاب ان أقام أوقعد أو رحل فقال الامير عمرو وذمة

العرب ما دخل الامير عبد الوهاب فى حصن يانس إلا وفى نيته يتنصر وأكثروا الناس الكلام فى ذلك فوثب مصعب ابن عقبة وبكى بين يديه وقال ياأمير المؤمنين انقطعت أخبار أبى وما هو إلا مع القوم فى حصن يانس المتغرب والصواب انك لاتغفل عنه لأنهم يعاقبوه ليلا ونهار وهذا الأمر لايسعك فى دينك أن تتخلى عنه فى هذا الوقت وهو فى الذل والهوان فقال الرشيد تسيروا الى خلاص عقبة أو الى بلاد الروم فقالوا أرباب الدولة الرأى الصواب أن تقصد عبدالوهاب قبل أن يمضى إلى كلب الروم فقال الفضل عندى رأى آخر قال وماهو قال تكتب الى عبدالوهاب تقول له إن أنت أردت أن تتنصر وتعين ملك الروم على أمير المؤمنين سعيت فى قتلك ولكن أنا أرعى لك الخدمة السالفة فاذاقرأت كتابى هذا تخرج القاضى عقبة من حبسك وتخلع عليه عسى يلين بفعلك قلب السلطان ويكون عقبة سبب الشفاعة وإن أردت المقام فى بلاد الروم فالأمر إليك وما أنا محتاج إليك فقال الرشيد نعم مارأيت ثم قال الفضل ومعى رأى آخر وهو أن تكتب الى ملك الروم كتاب تقول له فيه أنا ما دخلت الى بلادك من أجلك وما دخلت إلا من غلامى الأمير عبد الوهاب وقد أقسمت انى لا أرجع حتى آخذ رأسه ورأس من معه فلا يرتاع قلبك ولكن أرسل الى ابن أخيك يانس وقل له يخرج هذا الرجل من حصنه وإلا وحق آبائى الطاهرين اجعل الحصن دكا وأنا اذا فرغت من ذلك عدت الى مهادنتك والذى كان يوقع العداوة بينى وبينك هو عبد الوهاب وتكون تحمل الينا المال على ماجرت به العادة وترسل كتابك الى عبد الوهاب تقول له الذى أعرفك به أنك قد وقعت بين بحرين زاخرين والرأى عندى أنك تطلق القاضى عقبة وتخلص من هذه النكبة (قال ياساده) هذا ما جرى لهؤلاء. وأما ما كان من ملك الروم فانه لما وصل اليه الكتاب ففضه وقرأه على من حضر من أرباب دولته فقالوا جميعهم الرأى عندنا انك لا تتعرض لهذا الرجل وكن معه ولا تكن عليه فانه لابد للرشيد أن يصطلح معه ولاتأمن من شره ولكن ارسل الى الرشيد وقل له أنا السامع المطيع وأنت وغلامك أخبر وترسل إلى عبد الوهاب تقول له إن أردت اجتمعت أنا وأنت على عسكر الرشيد ونطحنهم طحن الحصيد (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام واذا قد دخل عليهم غلام عقبة ومعه كتاب من عند مصعب ابن عقبة يخبره بما جرى على أبيه فلما قرأ الكتاب قامت عليه القيامة وقال ما يمكن القعود عن الاسود عبد الوهاب وأمر وزيره أن يكتب الى الرشيد كتاب يقول فيه أنا بحكمك وتحت طوعك وأرسله وقام ينتظر الجواب من

الرشيد فهذا ماكان من هؤلاء . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه وصل اليه كتاب الرشيد كما وصفنا فلما سمع ما فى الكتاب جمع الأمراء مثل أبو الهزاهز وهياج الكردى والاميره ذات الهمه وطارق الحجازى وأبو محمد البطال ويانس المتغرب ومن يحتاج الى مشورته وأوقفهم على مافى الكتاب وقال لهم ماعندكم من الرأى اعلموا أن الرشيد فى ألف ألف وثمانمائة ألف فماذا تقولون فقالوا الجميع عن لسان واحد منك الأمر ومنا السمع والطاعة فلما سمع الأمير كلامهم شكرهم على ذلك وقال إذا كان الأمر على ذلك فأنا عولت أن ألقى الكل بساعدى فقالوا جميع الناس بأرواحنا نفديك فلو أضرمت لنا نارا لولجناها ولو خضت البحار لخضناها فلما استقر الأمر على ذلك كتب أبو محمد على لسان عبد الوهاب كتاب الى الرشيد وهو يقول قد خرج الامر من يدى وكل يوم أنا فى نكبة من أجل الشيخ عقبة وأنا والله لابد لى من صلبه ولو اجتمعت على أهل المشرقين وأهل المغربين وأنا ما قبضته ولى حاجة فى خدمة الخلافة فانه عمل على قتلى ألف مرة وما كل مرة تسلم الجرة فافعل مابدا لك فانى أقول كما قال الله تعالى فى حق سيدنا يعقوب : (فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون) وأرسل الكتاب الى الرشيد فلما قرأه قامت عليه القيامة وقال الفضل ابن الربيع وعمرو بن عبيد الله وبلغ من قدر عبد الوهاب الاسود الزنيم أن يقابل أمير المؤمنين بهذا الجواب ولكن قد استحق العذاب ثم أنفذ الى ملك الروم يأمره بالرحيل على وجه السرعة إلى ما هو قاصد ثم قال قد أباح الله لى دماءهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم فلما وصل الكتاب الى ملك الروم قال الآن مابقى لعبد الوهاب من هذه العساكر خلاص ثم دق طبل الرحيل وكذلك الرشيد نادى فى الناس بالرحيل وسار حتى نزل على حصن يانس وقد ضربت البوقات ودقت الكؤوسات (قال الراوى) ياساداه ياكرام وقد أمسى المساء ولم يحصل بينهم كلام وأضرمت النيران وتحارس الفريقان فعند ذلك ادعى الرشيد بألف رامى وأمرهم أن يدورون حول سرادقه فاذا كان نصف الليل يناموا ويقوم غيرهم ويكونوا مستيقظين فقال له الفضل ابن الربيع ولم ذلك يا أمير قال من الموت الاحمر والبلاء الاكبر والثعبان الارقط أبو محمد البطال فلما سمع الفضل كلامه قال إن أبا محمد أحقر من هذا ومن أين يقدر أبا محمد علينا فلا تتحدث بهذا الحديث فيسمعون منك الملوك انك خائف من كلب لاقدر له ولا قيمة فتهون فى أعينهم ثم قام الفضل الى مضربه وباتوا تلك الليلة الى الصباح وجلس الرشيد فى دست مملكته فحضر عنده جعفر البرمكى وداود الهاشمى

وعمرو بن عبيد الله وطلب الفضل فى مجلسه فما وجده فقال لغلامه ما كان منه فقال له اعلم ياأمير المؤمنين أن من وقت دخل الى مضربه ما رأيناه خرج منه فقال الرشيد كان ذلك منه حتى يكثر كلامه بالفضول ويحتقر بالبطال ولكن كل واحد منكم يحتفظ على نفسه فقال الأمير عمرو بن عبيد الله ياأمير المؤمنين ان أبا محمد أخينا وصديقنا وهو ابن عمنا على كل حال ولا أقول عليه إلا خير أو قد خاف كل واحد منهم على نفسه من الامير أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان الفضل بن الربيع حديث عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نذكره على الترتيب بعد ألف صلاة وألف سلام ترضى سيدنا محمد الحبيب وذلك أن أبا محمد البطال قال للأمير عبد الوهاب أنا عولت على الدخول الى عسكر الخليفة ثم انه قد تزيا بزى الأتراك وقد دخل الى العسكر وكان الأمير أبو محمد البطال يتحدث باحدى وسبعين لسان ثم انه قد توصل إل أن وقف فى جملة الحجاب والنواب ولما أن سمع كلام الفضل ابن الربيع قدام الخليفة قال والله إن هذا أشد علينا من عقبة فصبر الامير أبو محمد إلى أن تهور النين ودخل الفضل ابن الربيع الى خيمته فما أحس بنفسه إلا والأكره فى فمه وقد أوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وحمله على كاهله وسار به حتى وصل الى عند الامير عبد الوهاب فقال الامير مامعك فقال معى الفضل ابن الربيع الذى يرمينا كل ساعة عند الخليفة فى الإذلال وقصدى أبليه بالنكال فضحك الامير عبد الوهاب وقد أرموه عند عقبة وهو فى أسوأ الأحوال فلما رآه عقبة صعب عليه (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الرشيد فانه أمر عسكره أن يتقدموا الى الحصن ليقاتلوا الامير عبد الوهاب واذا هم بعيار ثار وعلا حتى سد الاقطار ولم يكن غير ساعة حتى ذهب الغبار وبانت العساكر فى ألفين ألف يتبعها مثلها فقال الرشيد بالله مافى الأمر إلا اننا نطلب منهم المصالحة أربعين سنة (قال الراوى) فهما فى مثل ذلك السؤال وإذا بالبترك قددخل على الخليفة الرشيد فأكرمه غاية الاكرام وقال له فماذا أتيت فقال له جئت إليك رسول من ملك الروم منويل مشاورا لك فى أمر صاحبك فاذا أردت أن تزحف عليه الى ذلك الحصن المنيع نتركه خراب فلما أن سمع الرشيد ذلك الكلام قال انى قد علمت أن ملك الروم ماجاءنى فى هذه النوبة إلا خديعة لى وما كان يوقع بينى وبينه إلا الاسود الزنيم والوغد اللئيم المسمى بعبد الوهاب وأنا قد عولت فى هذه النوبة على مصالحته فلما سمع البترك ذلك فرح

فرحا شديدا واصطلح مع الرشيد عن ملك الروم ورجع وأخبر الملك بذلك ففرح فرحا شديدا إلا ملوك الروم فلم يعجبهم ذلك وقالوا لابد لنا ما نرى أنفسنا عليهم فقال البترك اعلموا أن المسلمين مالهم عندنا عهد ولا زمام ولكن اصبروا حتى نبصر ما يكون من هذا الاسود فاذا فرغنا من أمره انطبقنا على الرشيد ففرحوا بذلك واطمأنوا فلما مضى البترك بالخبر كتب جعفر كتاب فى السر للأمير عبد الوهاب يخبره بالخبر وبما جرى ويقول له إذا أردت ادخل بالليل فارسل اليه الأمير يقول جزاك الله عنا كل خير ولا يضرك كثرة العساكر فان الله لنا عليهم ناصر . وأما الهرب فلا سبيل لى إليه (ياساده) ووصل الجواب الى جعفر فقال فى نفسه ما على وجه الأرض مثل هذا الرجل فلما أصبح الصباح أرسل ملك الروم إلى الرشيد يقول له أنت أذنت لى أن تقدم وأتولى قتالهم اليوم بأصحابى (قال) فهم الرشيد أن يقول أنا أتقدم الى باب الحصن واذا بالأمير عبد الوهاب قد خرج ومعه بنى كلاب والسودان الأنجاب فجعل يرتب العساكر وقد قسم عسكره نصفين النصف الأول عشرين ألف وسلمها لابو الهزاهز وبقى هو فى النصف الآخر وقال أحدنا يكون على الكافرين والآخر ومن معه على المسلمين فتعجبوا الناس من شدة بأسه (قال) فوثب فارس من الديلم وطلب البراز وقال ياأمير المؤمنين أتأذن لى بالخروج إلى عبد الوهاب لآتيك برأسه فقال له اخرج اليه ولا تقتله وائتنى به أسير فان له علىّ خدمة كبيرة ثم خرج اليه الديلمى وطلب البراز وحمل على الأمير عبد الوهاب وحمل الامير عليه فلم تكن غير ساعة وزعق به الأمير أدهشه وانطبق عليه أخذه أسير وسلمه الى السودان فورد على قلب الرشيد أمر عظيم والتفت الى عمرو بن عبيد الله وقال له اخرج الى أسود بنى كلاب وائتنى به أسير وكان راكب بجانب الخليفة فقال يامولاى انه صديق وما أخرج اليه فقال ويلك تصادقه بعد هذا وهوقد دب فى وجهى السيف فلابد ما تخرج اليه فخرج وهو ينشد ويقول :

تلجى الضرورات فىالأمور الى ‏ ‏ سلوك مالايليق بالأدب
ماأحمل نفسى على سبب ‏ ‏ الا لأمر يليق بالسبب

(قال الراوى) فسمعه جعفر فقال للخليفة يامولاى إن عمرو ماهو من رجاله فان عسكرك ألف ألف وثمانمائة ألف مافيهم من يلقى عبد الوهاب فاغتاظ منه الخليفة وأمره بمسكه وضربه الضرب الوجيع وقال له لابد من صلبك وصلب البرامكة معك وكان السبب فى ذلك أن عقبة قال للرشيد اعلم يامولاى أن رجلا من أولاد

الحسين يقال له الحسن بايعه جعفر فكن منه على حذر ثم ان الرشيد أحضر الأمراء والمقدمين وقال لهم أما سمعتم ماقال جعفر ما فيكم من يقدر على عبد الوهاب فلم يقدر أحد أن يتكلم فعند ذلك أمر الرشيد العساكر بالحمله (قال الراوى) فعند ذلك خفف الأمير عبد الوهاب لباسه وأرمى العمامه عن رأسه ونادى يال كلاب أجيدوا الطعان والضراب ونظرت الأميرة الى ولدها وقد كشف رأسه وانزعجت حواسه فارمت العمامة عن رأسها ونادت برفيع من صوتها اليوم بلينا بقوم ظالمين ونظرت السودان الى الأمير عبد الوهاب والأميرة فكشفوا كلهم الرؤس وجعلوا يكسرون الاضلاع والرؤس والأمير هياج وزوجته وبناته قد كشفوا المقانع وخاضوا الوقائع وأبو الهزاهز وطارق قد أهلكوا الرجال على الحقائق ونشروا الرؤس نشرا وأبادوهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وقد تزايدت عليهم المواكب واستندوا للحصن بالمناكب وخابت الآمال ودامت الاهوال ورجفت القلوب لكثرة الزلازل وأرمت فرسان عبد الوهاب أنفسهم على الترك فبطلوا منهم رمى السهام وصبروا صبر الكرام وفلقوا الهام وهشموا العظام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن فرق بينهم الظلام ومنعهم عن مواقف الاقدام ورجعوا الى الخيام ورجع الامير عبد الوهاب وأصحابه إلى الحصن بعد التعب الشديد وقعد يفتقد رجاله وإذا قد فقد منهم ثلاثمائة فارس وقال يانس المتغرب الصواب عندى أيها الأمير ان تغلق من غد باب الحصن ودع الأعداء يفعلون مايريدون من الامور والأسباب لأن الملك يعلم أن الحصن منيع فقال الامير عبد الوهاب والله لا فعلت هذه الامور أبدا لان كل محاصر مقهول ثم ان الامير عبد الوهاب طلب الامير أبو محمد البطال فلم يجده فورد على قلبه أمر عظيم وخاف أن يكون قتل فى المعمعة فزاد قلقه فقال هياج الكردى يا أمير أنا أخرج اليه الى مكان القتلى فأمره الامير بذلك وأخرج معه ولده الأمير ضيغم ومعهم عشرين فارس من كل بطل مداعس وخرجوا ومعهم المشاعل هذا وقد هدأ الليل فجاؤا الى موضع المعمعة ينظرون ان كان البطال قتيل أو جريح فوجدوا الارض مملوءة من القتلى والوجوه مخضبة بالدما بحيث لا يعرف الاخ أخاه ولا الولد أباه فلم يكن لهم على المقام جلد فر[illegible] الى الامير وأعلموه بالخبر فكاد قلبه أن ينفطر وبقى على غايه من الحذر ([illegible]) فلما تنصف الليل واعتكر سمعوا باب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الامير انظروا ما الخبر فقالوا الحراس أيها

الامير إنا نرى شخصا يحمل شيئا من بعيد والحامل كأنه مغلوب فصاح الأمير عبد الوهاب وحق علام الغيوب جاء البطال وقد بلغ المطلوب فلما أن سمعوا ذلك من الامير عبد الوهاب تواثبوا الى الباب فلم يجد الأمير صبرا دون أن خرج فى أوائل الناس ونادى ياأبا محمد فقال له لبيك فقال ومن هو الذى على أكتافك فقال له اعلم أن هذا أخوك جعفر ففرح الامير بخلاصه وبادر اليه وجعل يقبل رأسه وعينيه ورجليه وهو يقسم عليه أن لايفعل هذا وقد جاءت الأميره وجعلت تهنيه بالسلامة فشكرها على ذلك فقال الأمير عبد الوهاب لأبو محمد ياأبو محمد كيف قدرت على خلاص الوزير فقال لما انفصلوا الجيوش من بعضهم بعضا رجعت أنا مع عسكر الرشيد فوجدت الخليفة على غاية من الحذرفلم أرى منه خلسة وقد سمعت منخواصه الأتراك أن مصعب بن عقبة قال للخليفة إن أردت أن يخلص أبى من يد القوم فقدم الوزير جعفر كأنك تريد تضرب عنقه فان الأمير عبد الوهاب لم يجد عنه صبرا لمحبته فيه أو أرسل رسولا من قبله وقل لهم أنا سمعت انكم قد قتلتم عقبه فاذا قالوا لك نحن ما قتلناه قل لهم أخرجوه إلى الوجود حتىنراه فاذا أخرجوه قل لهم أنا لاأعفو عن جعفر إلا به ولو كان عندهم عشرة مثل أبى سلموهم إليك فقال الرشيد لمصعب ابن عقبة هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب وأنت النجيب لأن الولد سر أبيه وقد قيل : إن عجائب أربعة حبيب قريب وحديث غريب ونديم أديب وولد نجيب (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها اتفق الرشيد على ذلك وأرسل القاصد بذلك الأمر فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من البطال فانه لما أخذ جعفر وسار كما ذكرنا فلما أن وصل الى الامير عبد الوهاب وأعلمه بما قال الرشيد فالتفت الأمير عبد الوهاب الى أبو محمد وقال له والله لو تم هذا الامر لكنت سلمت اليهم عقبة ولوطلبنى أنا أيضا ما كنت أمتنع شفقة على الأمير جعفر والوزيرالمعظم فشكره الوزير على ذلك وقدفك الأميرالقيد الذى فى رجله وقال له لا تحمل على قلبك هماً فقال جعفر والله همى أنت فان كنت ترى أنأ كون واسطة لك فى صلحك مع الرشيد فافعل فقال عبد الوهاب مالى الى ذلك من سبيل ومابقى فى عمرى إلا القليل ولابد ماأشفى قلبى من عقبة وأعاد على جعفر ماجرى فقال جعفر لافرّج الله عن هذا الملعون ولكن يعين الله عليه فقال أبومحمد والله لو رجع عبد الوهاب الى طاعة الخليفة لما رجعت أنا لانى لا آمن من عقبة أن يعمل علىّ مكيدة فبينما القوم كذلك واذا بصابر المرعشى وصل من عند عسكر الروم وقال أيها الأميرقد أتى فى عسكر الروم صبيمن بلدالمغليط وهوفارس

شديد وبطل صنديد والملوك كلهم يقصدون اليه ويسلمون عليه وضربوا خيمته عند بستان يانس المتغرب واسمه سيف النصرانيه وما رأيت أفرس منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك قال والله انى أخاف أن يطبقوا علينا المسلمون والروم ولكن نتوكل على الحى القيوم ومازال الأجل محتوم والرزق مقسوم ولم يزالوا كذلك حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبوا العساكر الذين للرشيد ولبسوا الزرد النضيد وأراد الرشيد أن يزحف إلى القتال فأرسل ملك الروم إلى الرشيد وقال له لا تبرز فانى أريد أن أبصر فارسى سيف النصرانيه فأجابه إلى ذلك (قال الراوى) ولما نظر الأمير إلى ذلك من فوق الحصن قال لأصحابه اعلموا أن الله تعالى حكم بالموت على رقاب العباد وإذا كان الامر على ذلك فأفضل ما مات العبد مجاهدا فقالوا له أصحابه أيها الأمير كلنا بين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك فشكرهم على ذلك وأمرهم بفتح الباب وخرجوا المجاهدين وأبطال الموحدين وبرزوا بنو كلاب للحرب والطعان وكذلك السودان وطلبوا الحمله على الروم الكلاب فبينما هم على نية الحمله وإذا بصيحة عظيمة من عسكر الروم فنظروا ما الخبر وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وفى ركابه وحوله ألف بطريق ماشين وهم يتلون الانجيل ولم يزالو يمشون فى خدمته لوسط الميدان ثم رجعوا عنه فلما نظره الأمير عبد الوهاب علم أنه الفارس الذى أخبر به المرعشى ونظر الامير شمائله فمال قلبه اليه لأنه كان من أظرف فرسان الروم وجال ذلك الفارس فى الميدان الى أن حير الابصار ثم قارب عسكر الامير عبد الوهاب وكان يعرف بالعربية ونادى برفيع صوته يا معاشر المسلمين وأبطال الموحدين من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا سيف النصرانية وحامى الملة المسيحية وناصر أهل ماء المعمودية وقد وصفوا لى أميركم عبد الوهاب بالفروسية وأريد أجرب روحى معه فى القتال والحرب والنزال فلا يخرج لى سواه فان هو قهرنى فيكون سبب رحيل عسكر الروم وان أسرته وقهرته فأنا وحق المسيح أطلقه وأمن عليه بنفسه لان من يكون وصفه على السنه الناس ينبغى أن لا يفرط فيه ولا يرى بأس بل أريد منه اذا أسرته يقر لى بالفروسية وبعد ذلك يأخذ ماله وعياله ويريح نفسه وان أبى ما أقول فسوف يرى منى أمرا يهول فلما سمع أمير بنى كلاب أراد الخروج اليه فسبقه الامير ضيغم وأقسم أن لا يخرج اليه أحدا غيره فقال الامير دونك وما تريد واحذر منه غاية الحذر (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على البدر التمام فبرز اليه ضيغم على جواد أصفر مليح المنظر وعليه درع مانع وبيده سيف قاطع وحمل

كل واحد منهما على صاحبه ونظر الروم والمسلمون إلى الفارسين وحسن شمائلها فتعجبوا من فعالها وما عاينوا من قتالهما وسيف النصرانية ألقى الله محبة ضيغم فى قلبه لما رأى من حسن شمائله وفروسيته لأنه كان فى صورة حسنة وشجاعه معروفه وقد تقدم وصفه فى غير هذا الموضع ثم ان سيف النصرانية لما طال الجولان مع ضيغم ضايقه ولاصقه ومد يده إلى أطواقه وأخذه أسير وسلمه إلى بعض الغلمان كتفه وعاد الى الميدان فلما رأت الأميره إلى ضيغم وقد أخذ أسيرا أرادت الخروج اليه فمنعها أبو الهزاهز وأقسم عليها وقال لها أنا أفديكى من الردا فقالت الأميره دونك واياه واحذر منه غاية الحذر لأنى أراه فارسا جبارا وبطلا مغوارا وما عليه من الفروسية عيار فبينما هم فى الكلام وإذا قد حرج طارق الحجازى أسرع من البرق وحمل عليه وحالا طويلا واعتر كامليا وهاجمه الرومى بشدة بأسه فأخذه أسير فعند ذلك حمل أبو الهزاهز البطل المناجز وهو على حصان أدهم عالى ململم فى الخيل كانه غيم وعليه لامة حرب يطول شرحها وبيده قنطاريه قنا متقلدا بسيف من ضربه به أتاه الفنا فلما رآه سيف النصرانية ورأى عظم خاقته تحير منه ومن صنعته غير أنه لم يلتفت إلى ذلك لأنه متمكن بالفروسية وأبو الهزاهز حمل عليه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان هذا الفارس سيف النصرانية له من العمر سبعة عشر سنه وعلى صغرسنه شديدا خبيرا بأبواب الحرب كرار فى موقف الطعن والضرب ولكن كان إذا ركب لا يقدر عليه عشرة من الرجال يرموه من على الجواد من شدة بأسه وقوة مراسه وكان أبو الهزاهز كبير الجثة إذا فصل يجي قدر سيف النصرانية خمسة مرار وأبو الهزاهز حمل على سيف النصرانية وقال ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية أنا أقسم برب البريه لأن لم تسلم نفسك والا أرمينك بالبليه وأعمك بالرزيه وأنا أبو الهزاهز المعروف عند أرباب الشجاعة بالقوة والبراعة وأنشد يقول

ستعلم ياسيف النصارى بأننى   خلاف الذى لاقيته فى الورى مثلى
فانى همام ماجدو وحيد   قتول الأعادى بالكعوب وبالنصل
فمن أنت ياكلب النصارى ونذلهم   أراك تأمل أن تصول على مثلى
فسلم وكن من سطوتى اليوم سالما   والا تيقن بالتلاف وبالقتل

(قال الراوى) ياساده ياكريم فلما سمع سيف النصرانية ذلك الكلام وانقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح برفيع من صوته ويلك يالون الغراب وعبد الكلاب

لقد أقبحت الخطاب ومن حدة خاطر الرومى مدح نفسه وهدى شىء قط ما عرف من رومى وأشار يقول

ستعلم ياحجام فعلك من فعلى وتندم حتما إذ خرجت الى مثلى
وتعلم من يضحى ذليلا معفرا يحوم عليه الطير فى مهمه السبل
أتحسب انى مثل من قد لقيته وجاولته فى ساعة الضرب بالنصل
فدونك يالون الغراب مضاربا ندعك بلا رأس عليك ولا رجل

(قال الروى) ياساده ياكرام فجار أبو الهزاهز من حدة خاطره وعلو همته فأخذ حذره منه وحمل كل واحد منهما على صاحبه ونظر الأمير عبد الوهاب إلى سيف النصرانية وسرعة انعطافه فقال وددت من الله تعالى أن يكون مسلما ليتنى كنت أوصيت أبو الهزاهز لايطلب قتله وقلق عليه غاية القلق وقال والله ما أخذتنى قط شفقة على من يكفر بالرحمن غير هذا فعسى أن يكون من أهل الايمان (قال الراوى) ياساده ياكرام وتصادما الرجلان البطلان والتحما الفارسان فكانا مثل بحرين التطما أو جبلين اصطدما وسمع لهما صياح مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف وتقسطل عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وتنافسا المرهفى البتار ونظر أبو الهزاهز روحه مع خصمه فالتقاه الرومى أرجح منه بكل رطل قنطار فأيقن بالتلاف وعول على الهروب والانصراف وكان تحته فرس كريم يدل بسبقه ليس لأحد مثله فجعل يطلب حيلة الهرب وأشرف من سيف النصرانيه على العطب فعلم الروم ما فى نفسه فضحك عجبا وقفز بجواده نحو عسكر الأمير عبد الوهاب فلما صار بينهما وقف وصاح يا أبى الهزاهز لاتطمع نفسك فى الهرب ولاتمنها اما تسلم نفسك وأما أسكنك رمسك وحق دينى لقد قدرت عليك مرارا وتركتك ولو كنت أردت قتلك لقتلتك ومكنت منك الحسام ولكننى أريد أقودك إلى الملك الهمام حتى لاترجع تقف فى موقف الافتخار ويطول لسانك على الكرام الأخيار فلم يجد أبو الهزاهز طريقا إلى عسكر الأمير عبد الوهاب فطلب عسكر الرشيد فخرج الحصان من تحته مثل السهم الصائب وكان سيف النصرانية له طالب وهجم أبو الهزاهز على عسكر الخليفة وهو فزعان وشاش عسكر الخليفة وأبوا الهزاهز بهم مستجير ومستنصر وأما سيف النصرانية قد واج خلفه العسكر ولا افتكر وأبوا الهزاهز قد أيقن بالمعاطب وجعل ينادى بعسكر الرشيد ويطلب النجدة من أصحابه فحماه الصامت ونادى ارجع ياكلب النصرانية فرجع الرومى وضرب الصامت قطعه نصفين وعاد الرومى يطلب أبو الهزاهز

فتفرقوا الرجال من بين يديه وأوموا بالسيوف اليه فظن ملك الروم ان عسكر الرشيد قد قاموا عليه فلم يجد صبرا غير أنه دق الناقوس وصاح بالنصرانية والرهبان والقسوس وحمل فى ألفى ألف فقال الرشيد غدر الملعون دونكم والحملة فحملوا ألف فارس واسود الأفق وعدم الضو واسود الجو وأعتمت الأقطار وقدحت حوافر الخيل شرار النار وانحلت العواتق والأكتاف وقطعت الأيادى والأرجل من الخلاف وغرقوا كلهم فى بحار التلاف ورشقت النبال فى كبود الرجال والرماح فى مقاتل الأرواح وأما الأمير عبد الوهاب لما نظر إلى ذلك دخل الحصن وأغلق الباب وترك القوم فى بحر العذاب يشربون من الموت أمر شراب وقد قطعت الرقاب وبجرت البطون وقلعت العيون وحارت الألباب ولانت الأمور الصعاب وصار السيف أصدق جواب وأيقن الرشيد بالعطب والذهاب فقال له مسرور أتظن يامولانا أى شيء فقدت من الأمير عبد الوهاب فقال الرشيد ويلك ما هذا النصرانى الذى بارز اليوم أبو الهزاهز أفرس وأشجع من الأمير عبدالوهاب (قال الراوى) ياساد وأما الامير عبد الوهاب فانه أيس من أبو الهزاهز وقال لاسبيل لنا عليه لانه قد حصل فى عالم لايحصى عددهم الا الله تعالى الحى القيوم من المسلمين والروم فتموا الى أن أمسى المساء وقد شربوا من الحتوف أعظم كاس وعادت كل طائفة الى مكانها وقد فقد من الطوائف ما لايوصفه الواصف وأما الرشيد فانه نزل فى سرادقه وجمع أرباب دولته وقال لقيت اليوم يوم عبوسا خطفت فيه النفوس وقطعت الرؤس وهذا كله من شؤم أبوالهزاهز وهزيمته الى عندنا وما لنا أن لانرسل الى كلب الروم نقول له انك قد غدرت وصاحبك الذى هو سيف النصرانية قد قتل منا واحدا ويضرب الرجال من طريقه يحسب أنهم يريدون تعويقه ونحن ما أتينا الى قتالك بل نريد صاحبنا فاما ان تدع بيننا وبينه وأما ان تبلغنا ما نريد من حينه فقالوا نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين فأرسل اليه رسولا بهذه العباره فلما سمع ملك الروم بذلك قال للبترك ماذا ترى من الرأى قال البترك الرأى عندى أن تصدق قوله واذا قتلت عبد الوهاب ترجع الى خليفة المسلمين فتبلغ منهم ماتريد طائعين كانوا أو كارهين فقال ملك الروم نعم ما رأيت يا أبونا هذا والأمير عبد الوهاب قد بات فى غاية من القلق لاجل من قتل من المسلمين فبينما هو كذلك واذا بصابر المرعشى قد وصل وقال يا مولاى قد علمت بخبر أبو الهزاهز قال لا قال رأيته وهو مكتوف اليدين بعمامته وسيف النصرانية يقوده قواد الدواب فبكا الامير عبد

الوهاب وبكوا السودان على فراق الأحباب فقال والله مايستبيه ملك الروم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما رأى أبو محمد البطال ما قد حل بالأمير من الهم والغم وثب قائما وقال أنا آتيك بالخبر على جليته ان شاء الله تعالى وخرج من وقته ودخل عسكر الروم فى صفة عوام البطارقة برجل مخلوعة وهو يمشى على عصى وقد ألصق إحدى عينيه بدم القراد فصار أعور شمال وخرق صفوف الروم ومضاربهم وسرادقاتهم حتى وصل إلى جماعة يتحدثون ويلعبون وبعضهم يقول لبعض لقد نظر المسيح الى دين النصرانية بعين العنايه وأسعدنا بسيف النصرانيه حتى قبض على أبطال الحنيفيه وقد أخذ هذا اليوم أبو الهزاهز وغدا يأخذ عبد الوهاب الأسود الزنيم فقال لهم أبو محمد بالرومى ما كنت أريد إلا قتل هذا الشيطان أبو الهزاهز لأنه قلع عينى وضربنى على وركى فأعطبنى كما ترونى فقالوا إن المسيح قد شفاك منه أما ترى تلك العين التى تخرج من ذلك البستان الذى يقال له بستان الطيور كثير الأشجار والثمار والأطيار والملك سيف النصرانية نازل هناك وهو على سرير من المرمر مصفح بالذهب الأحمر وتماثيل العنبر وياقوت وجوهر وهو يشرب هو وغلمانه وجواره وعنده أبو الهزاهز وابن عبد الوهاب الذى اسمه الضيغم ورجل فيهما موصوف بالشجاعة ولقد طلب الملك منويل أبو الهزاهز فقال وحق المسيح ما أعطيك إياه إلا وملك السودان والبطال الموصوف باللصوصية ومعد لكل بلية أبو محمد البطال فقال أبو محمد ياترى إذا مضيت ليته يدعنى أشتفى منه فقالوا له عليك بذلك الملك اذا رأى حالك وقصيت عليه قصتك يشفى منك جميع علتك ولم يزل أبو محمد سائر الى أن وصل البستان فلما توسطه وإذا بسيف النصرانية جالس على سريره ويشرب وأبو الهزاهز وضيغم وطارق بين يديه وهو يضحك عليهم ويهزىء بهم ويقلب فضلة كاسه عليهم فحانت منه التفاته فنظر أبو محمد البطال على تلك الحالة فصاح به الرومى بلغة المغليط وقال له ماشأنك أيها الراهب فكلمه أبو محمد بلغته لأنه كان يعرف بكل لسان وقال أنا المصاب فى نفسه المبتلى فى روحه ثم جعل يقص عليه قصته وأن أبو الهزاهز هو الذى قلع عينى وخلع وركى وقد أتيت أستوفى ثارى منه وأريد من المسيح أن يحننك على حتى تمكنى منه أوجعه ضربا فضحك سيف النصرانية وقال دونك وما أردت فوثب أبو محمد الى أبو الهزاهز وجعل يعرك آذانه ويلطم رأسه وكذلك يفعل بضيغم وطارق ولم يكن فيهم من عرفه لأنه فى تلك الصفة ثم جلس أبو محمد بين يدى سيف النصرانية وجعل يحدثه بحديث المتقدمين من الروم وسير الملوك الأولين وكيف

كان بناية القسطنطينية وهو يسمع منه وقد حلى له كلامه فكان اذا شرب سيف النصرانية كاسه وثب أبو محمد الى أبو الهزاهز يحرك أذنه ويجرد دقنه فقال أبو الهزاهز لضيغم من أين جاءنا هذا الديوث فى هذه الليلة فهذا تمام التقدير فقال ضيغم كأنه صورة ابليس فما برحوا حتى تهور الليل والتفت سيف النصرانية الى غلمانه وأمرهم بالانصراف وقال لأبو محمد يا أبونا أنت الليلة تحرس خصومنا فقال سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم طرح تحته دورج ديباج ووضع رأسه ونام وقد عمل فيه المدام ومضوا الغلمان وكل واحد انطرح من سكره فى مكان وجعل أبو محمد يكبس فى رجليه ويقص عليه أخبار الروم حتى سمع غطيطه فقال أبو محمد ما انتظارى وقد أمكنتنى الفرصة ثم وثب الى الشمعة طفاها ووثب الى أبو الهزاهز وحل كتافه وكذلك ضيغم وطارق وقال لهم قوموا وخذوا أنفسكم فسمع ضيغم كلامه بالعربى فعرفه قال أبو محمد قال نعم ففرحوا به فقال أبو الهزاهز ذنب سبق منى اليك لطمتنى حتى أشرفت على العمى فقال أبو محمد لولا ذلك لما وصلت الى بلوغ الآمال فما هو موضع عتاب فقال أبو الهزاهز يا أبو محمد اعلم أن فى قلبي من هذا البطريق أمر عظيم وبالله أقسم ما لهذا إلا عبد الوهاب ولا يقدر عليه غيره فى الشجاعة والصواب أن أعمل عملا تبيض به وجوهنا عند الأمير عبد الوهاب قال أبو محمد وما الذى تريدون قالوا نهجم عليه ونسد فمه ونأخذه على رغم أنفه وأنا أتولى حمله فما للروم مثله وإلا آن أصبح وخرج الى البراز فتك بالرجال وأباد الأبطال فقال أبو محمد ان عولتوا على عمل فعليكم بالعجل قالوا نعم فتصدره أبو محمد والاكره فى يده وصعد الى السرير وصعد ضيغم وطارق وأبو الهزاهز فقعد هذا عن يمينه وهذا عن يساره وأبو محمد عند رأسه وضربوا بأيديهم على يديه ورموا نفوسهم عليه حينئذ وثب وثبة الأسد من الغاب وقبض على ضيغم وأبو الهزاهز بكلتا يديه ورفس أبو محمد البطال بإحدى رجليه كاد أن يقضى عليه وطلب أبو الهزاهز وضيغم أن يخلصا من يديه فلم يقدورا على ذلك وأشرفا من شدة حيله على المهالك وما استتم صوته حتى أجابه مائة غلام من بين الأشجار بكل صارم بتار فأخذوا أبا محمد وهو مغشى عليه من شدة الرفصة (قال الراوى) وألهبوا الشموع والمشاعل وردوهم إلى الكتاف والقيود الثقال وأمر بأبو محمد أن يحضر بين يديه فأحضروه وقد أفاق من غشوته وقال كيف ترى يالص المسلمين حسبت أنك تمضى بى والله من وقت دخلت البستان علمت أنك لص المسلمين ثم فتح عليه التصاوير وأخرج منها درجا طويلا فيه سبعين صورة لابى محمد البطال وكانت الصورة التى دخل بها أبو محمد فى هذه المرة كانت

فى آخر الدرج مخلوع الرجل أعور العين كبير الذقن فى ثوب أسود لا زيادة ولا نقصان فلما رأى سيف النصرانيه ذلك عرفه لوقته وفرق غلمانه حيلة منه حتى يبصر كيف يفعل ويتعلم منه الحيل ولم يرتاع بخلاص طارق وضيغم وأبو الهزاهز لأنه بنفسه واثق وجرى من القصة ماقد ذكرناه وبلغ الخبر الى الملك منويل ففرح فرحا عظيما وركب بنفسه فى خواص قومه ودخل البستان فقام اليه سيف النصرانية ومشى فى خدمته فاعتنقه الملك وقال وحق المسيح لقد ظفرت بالذئب الامعط والثعبان الأرقط فقال على به فأحضره بين يديه فأمر بضربه فضرب الضرب الوجيع وكذلك ضيغم وأبو الهزاهز وطارق وقال له الملك أيها البطل وسيف الملة المسيحية ان الايام غير مأمونة لانها غداره خؤنة وعندى رأى وهو أننا نقتل هؤلاء القوم لانهم نصف المسلمين فإن نحن ظفرنا بالباقى فهو المراد وإن لم نظفر بهم نكون كفينا شرهم طول الايام فهم فى الكلام والبترك قد دخل عليهم ومد بيده على رأس سيف النصرانية وقال شكرا للمسيح الذى ما أماتنى حتى أرانى ثياب العز تشرق على الروم واطلع عليهم شموس الفرح وذهبت غيوم الهموم والغموم فقال الملك يا أبونا قد عولنا على قتل أبو الهزاهز وصحبه فقال البترك متى يكون ذلك فوحق المسيح انه صواب حتى اننا نستريح من هؤلاء الكلاب وقد تقدم فى السيرة ماكان بين أبو الهزاهز وبين البترك لما تنصر من العداوة والبغضاء ثم ان البترك وثب إلى أبى الهزاهز وجعل يضربه وكذلك أبو محمد البطال وطارق وضيغم ثم ان البترك قال أول ماتبدى بقتل ضيغم بن عبد الوهاب لانه أخرب بلاد الروم ولم يدع صغير ولا كبير حتى ساق اليه التدمير (قال الراوى) ياساده ياكرام وإذا أمر البترك بشىء فهو عندهم بمنزلة المسيح لا يقدر أحد يخالفه إلا أنه يمرق من الدين فلما قال ابدؤا بضيغم سحبوه الغلمان على وجهه فبكى أبو محمد شفقة عليه فقال أبو الهزاهز يا أبا محمد أراك تبكى والله كل ما نحن فيه من تحت رأسك لما أتيتنا بعورتك حل بنا ما حل فلم يجبه وإن القوم أحضروا ضيغم أن يقتلوه فنظر اليه سيف النصرانية والى حسن شيمته وحسن صبره على بليته مع ماعرف من حسن فروسيته فى حال مبارزته رق قلبه عليه وهذا شىء لم يعهده قط من نفسه ولا رق لبشر غيره وقال لهم لا أمكنكم من هذا ولا من أصحابه فى هذه الليلة تعلمون أن فى غداة غد أبرز الى عبد الوهاب ويقال انه أفرس أهل الارض على ما ذكرتم فى الحرب أنه مثالى وأخاف أن يكون فى المقدور مالم يكن فى الحساب وما ندرى أينا يظفر بصاحبه فان أنا ظفرت به فهو الذى نطلب ونسقى هؤلاء كاس العطب وإن ظفر بى كانوا فدائى

من أيديهم فقال البترك لعمرى أنه قال الصواب وما يفوتنا قتل هؤلاء الكلاب ولكن نحتفظ بهم ولا نأمن من شر هذا الكلب اللص المحتال أبو محمد البطال فعملت فى أرجلهم القيود الثقال وفى أعناقهم الاغلال وركب الملك إلى خيمته وأرسل من ساعته الى الرشيد يخبره بأن أبو محمد أخذناه أسير والسبب فى ذلك أنه جاء يسرق سيف النصرانية ولما سمع الرشيد ذلك فرح فرحا عظيما وقال والله مانمت الليلة خوفا منه وكنا نقول أن ما فى الارض أفرس من عبد الوهاب وغد يبرز له ويأخذه أسير مثل ما أخذ أبو الهزاهز ويجعله قتيلا فقال مسرور والله يا مولانا لو تم على عبد الوهاب ذلك يغدر بنا كلب الروم وماكنا نرجع الى بلاد الاسلام الا بعد جهد جهيد (قال الراوى) ورجع الجاسوس الى الامير عبد الوهاب يخبره بما جرى فضاقت عليه الدنيا وقال والله لقد أنسانى هذا الامر ولدى ابراهيم وأمه علوى الذين مالهم خبر يسمع ولا أثر يطلع ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولم ينم باقى ليلته حتى برق ضيـاء الفجر وارتفع صياح الروم وركبوا البطارقة والملوك وماجت الدنيا بأسرها وفتح باب الحصن وخرج هو وعسكره وهم غائصين فى الحديد وجعل يرتب الناس ميمنة وميسرة (قال الراوى) ياسادة وركب الرشيد فى عساكره مخافة أن يغدروا به الروم فقالت الاميرة لولدها الامير عبد الوهاب اعلم أن الرشيد قد ركب وأخاف أن يكون كلب الروم لعب بعقله وأرسل اليه يقول له اطبق عليهم أنت من خلفهم وأنا من بين أيديهم فرغنا منهم فى يومنا هذا قال لها الامير عبد الوهاب فما الرأى قالت أفردنى للرشيد وعسكره فى عشرين ألف وكن أنت فى وجوه الروم فى ثلاثين ألف وتطلب المعونة من الملك الذى لا يزول ملكه قال نعم ما رأيت وقسم الجيش على ما ذكرنا ووصفنا ونظروا العساكر الى فعال الروم فقالوا مالهؤلاء القوم قلوب يفزعون بها ولا عقول يرجعون اليها والاما كانوا قدموا على ما قدموا عليـه من الامر وكثر تعجب العسكرين من المسلمين والروم وإذا بعساكر الروم قد تمحضوا وترجل منهم ألف بطريق وخرج من أوساطهم فارس بزردية من ذهب مقفلة بأقفال فضية وفوق رأسه بيضة ململمة براقة فى رأسها حبة من ياقوت بهرمانى لها قيمه متقلد بسيف قاطع الثغار قاصم الاعمار قوى المسمار يخطف الارواح اذا به الضارب أشار ومعه ترس من الحديد الصينى محلى بكواكب ذهب لا تعمل فيه السيوف وهو راكب على مهر كأنه بختى قرطاسى فى لون الصباح يسبق الرياح قد غذى بلبن اللقاح فى معامع الطعان والرماح فتأملوا

الناس الفارس وإذا هو سيف النصرانية وبطل أهل ماء المعموديه والبطارقة من بين يديه رجالة اجلالا لقدره ولازال حتى وقف فى حومة الميدان فصاح بأعلى صوته يا أندال العرب وحمالين الحطب أتاكم الويل والعطب وما لكم سبيل الا الهرب فدونكم والبراز ولايخرج الا الفارس المنتخب وأنا لقطع أعماركم سبب الموصوف بكل عجب لان أجله قد اقترب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الكلام والخطاب قال للاميره ذات الهمة انى قد عولت على الخروج الى هذا الفارس الذى قد رأيتم فعله ولقد رأيت البارحة مناما لا أعلم تأويله فقالت الأميره يابنى وما الذى قد رأيت قال رأيت كأن شخصين يقولان أيها المجاهد فى سبيل الله لايكون قلبك خائفا على من أخذوه الأعداء فعلينا حفظهم ولاتحمل همهم ولا هم من أتى من هذه الأسباب حتى ترد الودائع الى أهلها والجواهر الى أربابها فقالت له والدته ذات الهمه يابنى هذا المنام لايدل الا على خير ان شاء الله تعالى (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب عول على الخروج الى سيف النصرانية فخلعوه الرجال فلم يلوى عليهم وقال ما لهذا الفارس الا أنا فوالله ما بارزت أحد قط الا وحدثتنى نفسى بقتله الا هذا الشخص وما أعلم السبب فى ذلك وما هو قال وخرج فى أحسن زى وأكمل هيبة وأشرف لامه وأعلى همه وجال على جواده وأشار الى سيف النصرانية وقال دونك والذى طلبت ثم أنشد وجعل يقول

اذا كنت سيفا للنصارى فاننى حسام لدين الهاشمى محمد
نبى الهدى والطيب الاصل رفقة عليه سلام الله فى كل مشهد
ولولا رسول الله مازال كفرنا ولا كنت بعد الجهل والغى مهتدى
سأحمى وبيت الله ما عشت دينه وأعلو بسيفى كل كلب وملحد
فدونك ياسيف النصارى مظفرا شجاعا كريما ضاربا بالمهند

(قال الراوى) فلما سمع سيف النصرانية شعر الامير عبد الوهاب وكان لذيذ الخطاب فهم بالحملة عليه وصاح بالعربيه وهو يقول ياويلك أنت فارس بنى كلاب فقال له أنا ذلك الفارس المهاب فقال له ان لك عند الروم ذكر عظيم فان كان جوهرك مثل مخبرك فما أنت الا أوحد المسلمين فقال له الامير عبد الوهاب سوف يظهر لك الخبر ياسيف النصرانية وعينيه تغرغر بالبكاء فنظر سيف النصرانية الى الامير عبد الوهاب فعرف منه البكاء فرق له وقال ما الذى يبكيك ان كان حذرا من الموت فارجع الى عسكرك فقال الامير عبد الوهاب والله ما الخبر على ما خطر ببالك وانما

ما بكيت إلا لأمر لا أعلم معناه فجرى دمعى كما تراه فدونك والقتال ثم أنشد وقال :

بكيت لأمر ليس أعلم معناه   وهذا لعرفى فى اللقا ما عهدناه
ولا جزعت أرواحنا يوم معرك   ولسنا نبالى فى الوغى من لقيناه
وان جميع الناس تشهد بأننى   إذا مالقيت الخصم فى الحرب أخشاه

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع سيف النصرانية شعر الأمير عبد الوهاب غضب وصاح بصوته المعروف وكلامه الموصوف ياجلاب التبن والصوف سوف ترى هذا البطل الموصوف والهمام المعروف ثم أنشد :

يامن هو المعروف قد زاد معناه   سيأتيك من صرف الزمان رزاياه
وتنظر منى ضيغماً غير قاصر   يطيب عليه الموت إذ ماتلقاه

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب شعره أعجبه وحمل كل واحد منهما على صاحبه فتطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق وبقيت الأميره ذات الهمه تطلب النصر من رب العالمين وهما قد التحما وتصادما وتضاربا وتقاربا وتباعدا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار ولم يزالا فى كر وفر وأخذ ورد حتى استوت الشمس فى كبد السماء واكفهر الحصى وقويت الرمضاء وصارت الأرض كأنها لظى ولم يزالا كذلك حتى كلّ الجوادين وعطشا الراكبين ونظر سيف النصرانية من الامير عبد الوهاب ما لم يره من غيره وكلما دام قتالها زاد نشاطهما وكانا لو وزنا فى ميزان العدل لم يرجح كل منهما على صاحبه فلما عطشا وضجرا صاح بعضهما ببعض صياح الاسود وهمهما همهمة الرعود واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الأمير عبد الاهاب سيد بنى كلاب فعلم سيف النصرانية أن الضربة واصلة اليه فأرمى نفسه الى الأرض فوقعت الضربة على سرجه قسمت الجواد نصفين وضرب الرومى جواد الامير عبد الوهاب فوقع السيف على أضلاع الجواد قدها ودخل كل واحد منهما فى صاحبه وهما رجالة لاخيالة وتضاربا حتى خدلت منهما السواعد وصار كل منهما كالجامد واختلفت الاقوال فقوم يقولون عبد الوهاب يغلب وقوم يقولون الرومى يغلب وطال الامر على الناس وتقصفت منهما الاتراس ووقف كل واحد منهما ينظر الى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا هذا والامير عبدالوهاب متفكر فى صغر سنه وماأعطاه الله سبحانه وتعالى من القوة والشجاعة والهمة والبراعة وإذا بالرومى ضحك وأظهر السرور فأنكر الامير عبد الوهاب ذلك وقال لم تضحك

هل رأيت منى تقصير حتى تفرح بذلك فقال الرومى لا وحق دينى غير انى مفكر فى أمرك وقد نزل بقومك من عسكر الروم والمسلمين وكيف طحنوا قومك طحن الحصيد ورموهم الى خندق الحصن فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك الكلام ظن أن قوله صحيحا واستبعد الخديعة من الرومى فالتفت الى عسكر الرشيد فانقض عليه ذلك الرومى انقضاض العقاب الكاسر ورفع السيف بكلتا يديه وضرب الاميرعبد الوهاب وأن الامير لما نظر العسكر ولم يرى لكلامه صحة علم أنها حيلة وخديعة فرفع الترس على رأسه وأراد أن يتلقف فسبقه الرومى بتلك الضربة فوقعت على رأس الامير فقطعت الترس نصفين والبيضة ونزلت على الرفاده وكانت ضربة خائف فعلم الرومى أنها بطلت والى الرأس ماوصلت فرمى السيف من يده وألقى نفسه على الامير وقبض مناكبه مثل الاسد اذا قبض على فريسته فلما رأى الامير ذلك رمى سيفه من يده ولاصقه فأراد الرومى أن يرمى الامير فوجد بينه وبينه حاجز وهو عنه عاجز فتعاركا وتماحكا حتى جرى العرق وقل الصبر وزاد الشر وحمى الحديد على أجسادهما عند ذلك افترقا بعد ما كانا التصقا وأرمى كل واحد ما كان عليه من االباس وعادوا الى المراس فكانا كأنهما أفرغا فى قالب واحد وكان الامير عبد الوهاب على يده شامة كبيرة وكان لسيف النصرانية مثلها فحن الامير عليه وجعل يضمه اليه ويعاركه الى صدره فبينما الامير كذلك إذ نظر الى ساعد سيف النصرانية وعليه دملج فضة يجرى عليه بالسواد وفى رأسه قرن حية مقمع بالذهب وكان هذا أولا للأمير عبد الوهاب وكان فى ساعده اليمين مثله لانه صاغ الاثنين وكتب اسمه عليهما وركب فيهما قرن حية وكان من خصائصهما أنه اذا حضر الطعام المسموم تقطر الدملجين مثل وكف المطر فلما رأى الدملج فى عضد سيف النصرانية وقف عن قتاله وقال له ويحك من أين لك هذا الدملج فوقف سيف النصرانية عن عراكه ونظر أيضا فى ساعد عبد الوهاب مثله فتغير لونه ثم قال اعلم أيها الامير إنى أريد أسألك عما سألتنى عنه فقال له الامير عبد الوهاب قل ما تريد وما بدا لك فقال له الرومى اعلم أنه كانت لى أم أجل ما فى بلاد الروم وكان اسمها (ميرونة) بنت البطرك وانها تزوجت بملك المغلبيط وأنا ابن سنة ولا علم لى ولا عقل وأنا أظن أنى ابن ملك المغلبيط ورزقت منه ولداً آخر فلما صار عمرى اثنى عشرسنة سرت أقنص السباع فمات ملك المغلبيط ووصى بالملك لأخى الذى هو دونى فقلت لأمى كيف يكون يرضى الملك لأخى الذى هو دونى وأنا الكبير لايرضاه لى فقالت لى أمى اعلم ياولدى ليس الملك أبوك

وانما هو عمك فقلت لها ومن هو أبى فأخلفت قولها على المرار العديدة وكان عندنا معلم يعلم بالعربى فعلمنى باللسان العربى وعظم شأنى وصار أخى يصول بى على ملك الروم وسمانى بسيف النصرانيه وقبل خروجى فى هذه النوبة حضرت أمى أقسمت عليها وقلت لها بحق المسيح من هوأبى ؟ فقالت لى اعلم ياولدى انك قد أقسمت على بالمسيح انى أقول لك على أبيك فاعلم أن أبيك صاحب هذا الدملج وقلعت الدملج من يدها ولم ترضى تذكر لى من هو أبى وأريته لكل أحد فلم أحد يعطينى خبر ولا جلية أثر على من هو أبى فسألتنى أجبتك بالكلام الصحيح وحق المسيح ولكن انى أرى فى ساعدك دملج مثله فانى أريد أن تحدثنى من أين لك هذا فقال له الامير عبد الوهاب لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر أنت والله ولدى ومهجة كبدى ورب الكعبة وأنا أبوك واعلم أن هذا الدملج دملجى واسمى مكتوب عليه بالسريانى عبد الوهاب وأنا أبوك وأنت من ظهرى واعلم ياولدى انى قدكنت أسرت أمك ميرونة بنت البطرك من مدة تسعة عشر سنة وقد واقعتها فحملت ولم أعلم ماجرى عليها وجرى من أجلها أمور عظيمة وأخذنى الرشيد وأسرت فى بلاد الروم وأخذت من فى الطريق لانى كنت فى صندوق أنا وأبو محمد البطال وخلصنا بعد أمور عظيمة وفتحت القسطنطينية بإذن رب البرية وأنا والله أبوك وأنت ولدى لامحالة فانظرالى الشامة التى على يدى على يدك مثلها ثم انه قال يابنى عد الى الله سبحانه وتعالى من قريب واعترف له بالوحدانية واعلم أن الدين عند الله الاسلام ولا تتبع الهوى وارجع الى المولى فان الدنيا فانية والآخرة باقية وكيف يكون المسيح إله وقد أكل الطعام ومشى فى الاسواق وركب الحمار وهذا كله فعل البشر فلما سمع الرومى ذلك من الأمير عبدالوهاب رق قلبه اليه وزرفت عينه بالدموع ومال قلبه الى الاسلام وقال كيف أعمل حتى أصير مسلما فقال قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله والرومى قال امدد يدك أنا أشهد أن لاإله إلاالله وأشهد أن محمد رسول الله فقال الامير عبد الوهاب وقد باس الارض شكرا لله تعالى ياولدى أنت اسمك سيف النصرانية والآن اسمك سيف الحنيفية ففرح بذلك وقال له الامير مابقى معى إلا ستك ذات الهمة تقر عيناها برؤيتك فقال معاذ الله أن أروح معك وأترك أخى والمسلمين الثلاثة فى أيادى المشركين ولكن الامر شىء واحد وهو انك تنهزم إلى عسكرك وأقصر أنا عنك وعن طلبك وأعود الى

الروم لأن الملك قد أمر بقتلهم بالأمس فأخذتنى عليهم الرحمة
والشفقة ولا أعلم أن بينى وبينهم قرابة ومحبة
وإذا أطلقتهم ونقدر على فعل فعلناه ونأتى
من ليلتنا وقد كملت مسرتنا واذا كان
فى غداة غد إن شاء الله تعالى اقعد
أنت فى الحصن لانك أنت
صرت كبير السن وأنا
آخذ عساكرك
أقاتل بهم

(تم الجزء الحادى عشر ويليه الجزء الثانى عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثانى عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام ولده دعا له بالتوفيق ثم قال له اعترك أنت وأنا ثم نفترق وأنا أنهزم بين يديك والله خليفتى عليك ثم افترقا عن بعضهما بعض وتعاركا على وجه الأرض وطال على الناس أمرهما ونظروهما قائمين فظنوا أنهما من التعب وقفا يريدان الراحة وخفى عل الناس أمرهما لتمام الإرادة وتطاولت إليهما الأعناق وكثر الزعاق وقامت الدنيا على قدم وساق ثم تركا المقايضة وعولا على التفريق وصاح فيه الرومى إلى أين يا أسود ياحجام إذ لم آخذك اليوم أخذناك غدا وأكثر الصياح على الأمير عبد الوهاب من العسكرين ورجع سيف النصرانية المسمى بسيف الحنيفية الى الروم ونظرت الأميرة ذات الهمة الى مجىء الأمير عبد الوهاب منهزما فقالت لأصحابها والله ما هذا إلا أمر عظيم ثم قالت لأصحابها كونوا على حذر من قبل نزول القضاء والقدر . هذا وقد زعقت الروم ورفعت أصواتها ودقت نواقيسها وخرج ملك الروم الى استقبال الرومى وقال لأصحابه : ما كنت أقول إن فى الدنيا من يقاوم هذا الاسود ولكن لما عاين المسيح حسن صبرنا ورزقنا هذا الفارس الذى لا يلتقى ولابد مانفتح به مدينة بغداد وأنال به مسرة الفؤاد وغاية المراد . هذا وسيف الحنيفية قد طلب عسكر الروم فترجلت له سائر ملوك النصرانيه إجلالا له وتعظيما لأمره وخرجت إلى لقائه القسوس والرهبان والغلمان والشمامسة والمطران والبطارقة وجعلوا يقبلوا الأرض بين يديه ويمشون فى خدمته وهو طالب موضع الملك . فهذا جرى ههنا . وأما ما كان من الرشيد فانه نظر اليهم فلم يعجبه هزيمة عبد الوهاب وقال والله إن هذا الرومى فاق على أهل زمانه ما دام انه ظاهر على عبد الوهاب

والله مايسرنى ذلك لانه اذا كان طال على بنى كلاب فكيف بنى سليم الانذال وهذا فى هزيمته فرحا للكفار وغما للاسلام ونحن كنا نؤمل أن غلامنا يقهره بين أيدينا وتبقى همته وهيبته باقية فى قلوب الروم فلا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم فقال مسرور بجوهر وبعض أرباب الدولة معلوم أن الامير عبد الوهاب أفرس أهل زمانه اذا كان راكب جواده ولابس عدته وجلاده واليوم كان رجلا ولاجل ذلك اليوم وجد فى نفسه تقصير فهم يأخذ عدته حتى لايفرط فى نفسه فقال عمرو بن عبيد الله ومحمد بن أبان السامى وجماعة من بنى سليم وكانوا فرحوا بهزيمته وانكسار هيبته عند الناس وانحطاط منزلته عند الرشيد فقالو يامولانا ما من طامة إلا وفوقها طامة أكبر منها لان الذى سرق عقبة وسرق الفضل بن الربيع وجعفر من تحت قبضتك هو أبو محمد البطال ومضى يسرق هذا البطل فلم يقدر عليه وهو عنده حقير ذليل وكذلك عبد الوهاب أراد أن يبقى سلطان الحجاز ويبقى له نواب وغلمان ويضرب بالسيف فى وجه خليفة الزمان فألقى عليه الحق الذل والهوان وانما كانت شجاعته بجاه أمير المؤمنين فلما سمع أمير المؤمنين ذلك من كلام أرباب الدولة لا سيما عمرو قال أيها الأمير إن الذى ذكرته من أمر عبد الوهاب صحيح غير أن الثغور من يحميها من الروم لا سيما وقد صار لهم مثل هذا الفارس الميثوم وتمام المصيبة أننا عدمنا الوزير جعفر وإلا كان يدبرنا فيما نفعل فبينما هم فى الكلام وإذا برسول ملك الروم دخل عليه وقال له يا أمير المؤمنين إن ملك الروم ورد عليه ملك الزوازره وماله منزلة غير المنزلة التى أنت فيها فارحل الى وراء مرجلة فما لنا غير ذلك ونحن فى غداة غد نكفيك مؤنة الأسود وأصحابه حتى لا يرجع أحد من غلمانك ينافق عليك ونرجع الى وراءنا ونصل الى بلادنا ونصطلح على ستة سنين على شرط أنك تحمل لنا من المال الذى كنا نحمله اليك فلما سمع الرشيد ذلك غضب وأمر بضرب رقبة الرسول فقام اليه داود الهاشمى وجماعة من وجوه الدولة وقالوا يامولانا ما على الرسول إلا البلاغ ولا تتبع سنة سيئة بقتل الرسول وأمر به الى دار الضيافة ساعة واحدة حتى ننظر ما يكون من الجواب فأمر بحمل الرسول إلى دار الضيافة وخلع عليه خلعة سنية ثم أن الرشيد أقبل على أرباب الدولة وقال لهم ما ترون من الرأى فان هذا الملعون قد طمع فى عبد الوهاب ومن معه من السادة والاصحاب وقد وصل اليه ملك الزواوره ويريد يرحلنا من موضعنا حيلة منه إذا ظفر بعبد الوهاب لانصبر على ذلك وان رحلنا يهلك هذا القوم وان لم نرحل غدر بنا فما أنتم قائلون فقالوا

يا مولانا إن رحلنا فهو ذل ومنقصة وإن ظفر بالأمير عبد الوهاب يجد فى طلبنا ويرسل إلى الدروب والامصار أنه ساد علينا لان الديار دياره والامصار أمصاره ومالنا الى لقاه فقال الرشيد ومالكم بكثرة الجيوش طاقة فهل لكم أن تكتبوا إلى الامير عبد الوهاب كتاب ننقم له بما جرى عليه ونقول له إن أمير المؤمنين رق قلبه لك وذكر مواقفك الكريمة وخدمتك العظيمة ورضى عنك بشرط أنك تسلم اليه القاضى عقبة والفضل بن الربيع وهياج الكرى وفى غداه غد تكون الكلمة واحدة ونلتقى بالعدو ويعطى الله النصر لمن يشاء فلما سمعوا القوم ذلك من الرشيد قالوا نعم مارأيت ياهولانا فقال عمرو بن عبيد الله لو كان القاضى عقبة عندنا فى هذه النوبة كنا نصيب خيرا بتدبيره ومشورته (قال الراوى) ياساده وان الرشيد كتب كتاب للأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب ورد الرشيد الجواد إلى ملك الروم يقول له أمهلنى فانى فى ديارك ضيف وان الضيف يكرم وأريد تمهلنى الى غد نصف النهار وأرحل وافعل بعد ذلك ماشئت فمضى الرسول الى الملك وأعاد عليه ماذكره الرشيد ولما وصل الرسول الى عبد الوهاب وقرأ عليه الكتاب وسمع بتسليم عقبة والفضل وجعفر وهياج الكردى حرك رأسه وقال والله إن من دون تسليم عقبة ضرب بالسيف الهند وأن يشيب له المولود ويتقطع الحجر الجلمود وأما هياج فمعاذ الله أن أسلم اليه رجل مسلم مجاهد فى سبيل الله فلو أنه ماكتب فى الكتاب تسليم عقبة وهياج رجعت إلى طاعته بشرط أن أصلب عقبة وان كان يفزع من خطيئته فأنا أحملها عنه ولا يطالبه الله تعالى بهذا لان عقبة يكفر بالرحمن ويعبد الصلبان وقتل من المسلمين ألف ألف انسان ولا يحترم القرآن ولا يرجع عن فعل العدوان فان فعل الرشيد ذلك رجعت الى طاعته وان أبى فلا يخاطبنى وكتب بعد ذلك كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعـــد فان الله تعالى لعن الكافرين وأباح دماهم وأموالهم للمسلمين وهذا عقبة قد صح عندى أنه كافر بالملك القدير ويشرب الخمر العصير ويأكل لحم الخنزير فان كان أمير المؤمنين يهون عليه صلب عقبة على باب الحصن ولى الامان للامير هياج الكردى رجعت اليه والى خدمته وإن أبيت فلا أرجع الى الطاعة أبدا والسلام وأرسل الكتاب الى الرشيد فلما قرأه صعب عليه وكبر لديه فقال الامير عمرو للخليفة يا مولانا ما أظن هذا الرجل عاقلا لانه اليوم مضى منهزم من تحت السيف ويكتب فى الكتاب غدا صدم الروم صدمة وأى صدمة لكن فى غداة غد يعطب

بلا محالة لأن الفارس الرومى لا بد له منه وباتوا تلك الليلة فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من سيف الحنفية فانه لما رجع الى الملك قال له لم لا قبضت خصمك لما انهزم فقال أيها الملك ما كان معى عده وما رأيت أن أتبع منهزم بعد ما مضى راحلا لكن غدا آتيك به أسيرا فلا يصعب هزيمته فعند ذلك خلع الملك عليه وجعل البترك يضمه الى صدره ويقول له يا ولدى اشتد بك عضد الملك ثم إن سيف الحنيفيه قام إلى البستان الذى تقدم ذكرته وحمل له الملك كل عجيبة وأوانى الشراب من الجوهر والبلور والحلوى فى أوانى الذهب وأقام مضمرا على مافى نفسه وضاقت عليه الدنيا بما رحبت وبغض المقام عند الروم لصحبته للمسلمين وما صدق الليل يأتى حتى أحضر أبو الهزاهز ومن معه من المسلمين فلما عاينوه أرسل وراءهم أيسوا من الحياة لأنهم سمعوا ما جرى له مع الأمير عبد الوهاب وقالو ما يمكن أن يكون فى هذا الزمان مثل هذا الرومى فقال البطال والله لقد رابنى هزيمة الأمير عبد الوهاب لأنى أعرف أنه لا يبالى بالموت ولا يخاف من الفوت وما أظنه إلا يخدع خصمه فهم فى الكلام والغلمان سحبوهم إلى بين يدى سيف الحنيفية فجعل يعبس فى وجوههم وقال فى غد آخذ أميركم فأعابه البطال وقال أيها السيد ان الانسان لا يدرى كيف يكون الحال فبحق دينك كيف رأيته اليوم وحق دينى ماهو إلا بطل شجاع وقرم مناع أوحد الزمان فقال البطال اعلم أيها السيد أن له أم أشجع منه فى اللقاء وأشد منه فى معترك الوغا فقال له دعنى من هذا ولا بد الليلة ما أسكن غضبى بقتل واحد منكم فقال البطال إن كان ولا بد فاطرح علينا القرعة فطرح القرعة فوقعت على أبو الهزاهز فقال أبو الهزاهز أنا ما أرضى بهذا والله ما يفتح لنا البطال باب خير فضحك الرومى وقال لابد ما أمهلكم لما آخذ صاحبكم فقال أبو الهزاهز نعم الرأى وأمر بربطه فى سريره وفرق غلمانه ونام الى نصف الليل ثم وثب وحل كتافهم وقبل رؤسهم وقال ابشروا جاءكم الفرج وجعل الله لكم من هذا الضيق فرج ومخرج فقالوا له من أنت فقال لهم أنا الذى خفتم من سطوته وأنتم منتظرين القتل منه غدا أنا سيف النصرانيه قديما وأنا سيف الحنيفية جديداً وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله فحمدوا الله تعالى وشكروه على ذلك وقالوا له كيف كان ذلك فأعاد عليهم القصة وقال لهم أنا ولد الأمير عبد الوهاب من ميرونة بنت البترك ثم أخبرهم بما جرى لهم هو ووالده عبد الوهاب وقال لهم إن كان عندكم رأى فيه منفعه للمسلمين فأخبرونى من قبل أن نمضى للحصن فقال أبو محمد عندى رأى

جيد لأن الرجوع بلا فائده شماتة للاعداء فقال سيف الحنيفية قل ولو أمرتنى أن أبدل سيفى فى هذا العسكر لفعلت فقال لا ولكن نأخذ كلب الروم ونمضى إلى الحصن وأمضى أنا الى عساكر الرشيد وأسرقه لأنه ما بقى عليه حرس وآمن من ناحيتى لأجل أسرى فقال سيف الحنيفة علمنى ما أصنع فعلمه البطال الحيله وما يعمل ثم ان سيف الحنيفيه قال للبطال انصرف أنت كما ذكرت فانى أبلغك مرادك فودعهم البطال وخرج وإذا هو بثلاثة أشباح فتبينهم وإذا غلمانه سبك ولؤلؤ وبديع وقد جاؤا فى طلب خلاصهم فناداهم البطال لما عرفهم فدنوا منه وجعلوا يقبلون يديه فأخبرهم بالحال فقالوا والله لقد فرجت عنا بعد ما خفنا على الأمير لما رأيناه منهزم فقال والله ما كانت هزيمته الا خديعة منه وحيله فقالوا نعم الرأى وها نحن بين يديك فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من سيف الحنيفية فانه قال لضيغم وأصحابه اعلم إنى عولت على أمر فان تم فهو المراد وان لم يتم دبرنا غيره فقال وما هو فقال يبان لكم ان شاء الله تعالى ثم انه وثب اليهم وشد أيديهم كتاف وعمل الحبال فى أرقابهم فقال أبو الهزاهز والله رجع عن دين الاسلام إلى ما كان عليه وذمة العرب فقال ضيغم لا تظن ذلك يا أبو الهزاهز فانه لايتم له حيله إلا بذلك ثم تركهم وركب من وقته الى ملك الروم فوجده قاعدا على سريره والغلمان حوله وسائر الملوك عنده وما لهم حديث الا فيه وفى انهزام الأمير عبد الوهاب منه والملك يقول أين عين الشيخ النجيح تنظر هذا اليوم ويعلم أن المسيح عنا بنا ولكن غداة غد يخرج إلى هذا الاسود الذميم ويأسره وقد انغلبت عساكره وانهزمت دساكره وبعد ذلك يهجم عليهم وعلى عساكر الرشيد ويجعلهم مثل الحصيد ولا يكفانى ذلك حتى أمضى إلى بغداد فى عامى هذا وأملك العراق وأحكم على سائر الآفاق فهم فى الكلام وسيف الحنيفية قد دخل عليهم فلما عاينوه فلم يبق أحد الا وثب اليه وسلم عليه فجعل الملك ينظر اليه بعين السرور حتى قرب منه فهنالك نهض الملك من مكانه وأجلسه إلى جانبه وقال مرحبا بالوجه الصبيح ومن شد دين المسيح ما الذى جاء بك فى هذا اليوم اليوم من التعب ومما جاهدت فى كلب العرب فقال اعلم أيها الملك ان الذى جاء بى إلى حضرتك فى هذا الوقت أمر عجيب فقال الملك ما هو فقال اعلم انى لما وصلت من عندك الى البستان كما جرت عادتى وكنت تعبان على انى غالبا ولم أكن مغلوبا الا من ثقل الحديد والحرب الشديد وما صدقت بالراحة فما غفلت عينى حتى رأيت المسيح وبشرنى ببشاره وحملنى اليك أمانة فقال الملك وقد تغرغرت عيناه بالدموع

عجل برسالتك يا ولدى فقال أيها الملك انى قد رأيته وقد أوصانى انى أجد فى قتال أعداه وقال لى أنك ما تصل الى أمير السودان حتى تقرب لنا قربانا فقلت عدا أنا أذبح مائة رأس من الخيل فقال وما ذاك طلبت فقلت ألف فقال ولاذاك فقلت وما أفعل فقال اذبح الذين أسرتهم فى مذبح شمعون الصف الذى فى دير مريم الكبرى فقلت السمع والطاعه وكان هذا الدير بينه وبين حصن يانس المتغرب ساعه واحدة والروم تحمل اليه النذور من سائر الجهات فلما سمع الملك قال وماهى الاشورة مليحة فقال سيف الحنيفية وقد وعدنى فى غداة غد بالنصر وأن أدخل الحصن وأملك عبد الوهاب وأمه وأمرنى أن أذبحهما فى المذبح الذى أذبح فيه أبو الهزاهز وأصحابه ففرح الملك بذلك وكذلك ملوك النصرانية وصلبوا على وجوههم وقالوا هذه منزلة ما نالها أحد من المسيح الا هذا الغلام ولكن من جاهد تلك المجاهده وخصه الله بهذه المشاهده فقال الملك هذه الرسالة لى خاصة والا الى الملوك جميعها فقال أيها الملك أنه قال لى أمضى الى الملك منويل وقل له خذ ملوك الروم معك وذكرهم لى فردا فردا فلما سمعوا ملوك الروم قبلوا التراب عن آخرهم ولم يبق منهم أحدا الا حمل الى سيف الحنيفية المال الجزيل والخلع والتحف حتى صار بين يديه أموال كثيرة ثم قال الملك فما الرأى قال المسير معى الى الدير ومذبح شمعون الصفا بحيث لايلحقهم سواكم الا أن يكون أبونا البترك فقال البترك أنا ما أجىء لان المسيح ما ذكرنى فقال سيف الحنيفية صاحب الدار لايحتاج الى الدعوى وأنت يا أبونا خليفة المسيح تدع الناس اليه ففرح البترك ووثب الملك من وقته وساعته والقوم معه وهم آمنين وسار سيف الحنيفية إلى البستان ودخل الى أبو الهزاهز وضيغم وطارق الحجازى وقال لهم أنا فعلت من الامر ما هو كذا وكذا والمكان الذى سائرين اليه أقرب الى الحصن من عسكر الروم وقد أخذت أربعة وعشرين ملك والبترك وهذه نوبه ما تم للاسلام مثلها وكل واحد يحمل يده الى وراه ويشك بعضه فى بعض وسأعلق السيوف فى رقابكم وأقول للملك اضرب كل واحد بسيفه واذا وصلت الى الدير وحصلنا فيه نغلق الباب وليس فيه أكثر من عشرة رهبان فيهوى كل واحد منكم الى سيفه الذى فى رقبته وكذلك أنا وان شئتم اعتزلوا فأنا لهم ولو كانوا فى عسكرهم فقال أبو الهزاهز طب نفسا وقرعينا فما فينا أحد الا هو بهذا القول مليا فعند ذلك حل كتافهم وأمرهم بتشبيك أيديهم وخرج بهم فنظر الملك الى أبو الهزاهز وقال ويلك يا أبو الهزاهز ظننت أنك اذا أسلمت يغفل عنك

المسيح بعد ما تنصرت رجعت إلى دين الاسلام ثم نظر الى ضيغم وقال له ويلك ياخبيث الساعة ينقاد أبوك الى الموضع الذى تنقاد اليه ونظر الى طارق الحجازى ولم يرى أبو محمد البطال فأنكر ذلك فقال وأين اللص المحتال الذى أحرق قلوب النساء والرجال المسمى بالبطال فقال سيف الحنيفية اعلم أيها الملك أن السيد المسيح ماأمرنى فى هذه الليلة بقتل البطال بل قال لى كيف يكون عندك حتى أنجز لك أمره ويصلب على باب الذهب حتى تشتفى منه أهل البلاد فقال الملك وحق المسيح إن هذا أكبر شهرتى ولقد علم المسيح مافى سريرتى ثم ساروا القوم حتى وصلوا الى الدير فطرقوا بابه فرأوهم الرهبان وقالوا لهم مالكم فنادى لهم البترك : افتحوا فلما عرفوه نزلوا وفتحوا الباب وجعلوا يمرغون على أقدامه ويقبلون يديه حتى دخلوا الجميع إلى داخل الدير ثم غلقوا الباب وقدمت الثلاثة الى ضرب الرقاب فأشار اليهم سيف الحنيفية بعينه وأبوالهزاهز طارت عيناه فى أم رأسه وضيغم وطارق فصاح ويلكم الساعة نضرب رقابكم فوثب أبوالهزاهز مثل البعير إذا حل من عقاله وأخذ السيف من عنقه وقال يابنى اللئام هذه الليلة عليكم أيشم الليالى فأديروا كتافكم وإلا أمكنت منكم الحسام ثم صاح ضيغم وطارق وحققت الحقائق وصاح سيف الحنيفية : الله أكبر فبقى الملك باهت وجعل يقول لهن وهم بين يديه ياويلكم إحنا فى منام أم هذه أضغاث أحلام ثم قال ياويلك ياسيف الحنيفية ماهذا الجنون فقال ياويلك يا كاب الروم فهل ثم إلا الشريعة الاسلامية والملة المحمدية وأنا قد كشف الله عنى الغطاء ونلت غاية المنى وأنا ابن عبد الوهاب وأمى ميمونة بنت البترك حملت بى من أسود بنى كلاب وهذه حالة لا تخفى على جميع الأنام فوالله إن صاح منكم صايح أو ناح منكم نايح لأتركن رأسه طايح فسلموا نفوسكم قبل أن تسكنوا رموسكم فحار الملك ومن معه من هذا الأمر وقبضت الملوك على مقابض سيوفها طمعا أن يمنعوا عن أنفسهم فصاح بهم أبو الهزاهز تطمعون أن تسلمون وتحسبون أنكم تنجون ويلكم انكم سوف تندمون إذا رأيتم السيوف فى رقابكم ونواعم أبدانكم ثم ان أبو الهزاهز جرد سيفه وضرب اصطفانوس على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه فلما نظروا الملوك ذلك أيقنوا بالهلاك فأرموا من أيديهم السيوف وسلموا أنفسهم طائعين فنهض الأمير ضيغم والأمير طارق وجعلوا يكتفوهم وما كان لأبوالهزاهز إلا انه قصد الى البترك فقبض عليه ولطمه على قمته حتى ورمت رقبته فقال البترك أنا ما قلت لك إن المسيح مادعانى قلتم بل أنت صاحب الدار حتى وقعت فى البوار

وما انهزم أسود بنى كلاب إلاخبثاً منه وخديعة وإلا لوأنه بارزه الموت ماانهزم منه
(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم شدوا الكل كتاف وقال لهم سيف الحنيفية
سوقوهم بين أيدينا واطلعوا الى الحصن ففعلوا ذلك وساروا طالبين الحصن وأمروا
أبوالهزاهز أن يتولى سوقهم فساقهم قدامه وصاركلما وقف واحد منهم ضربه
بالسيف صفحا حتى وصلوا الى الحصن (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان
من هؤلاء. وأما ما كان من الأمير أبومحمد البطال وغلمانه فانهم ساروا حتى وصلوا
عسكرالمسلمين الذىللرشيد وقاللغلمانه تفرقوا حول سرادق الرشيد ففعلوا ذلك حتى
لايفطن بهم أحد ولازال أبومحمد البطال يتخطى المضارب ورقاب الأبطال حتى انه
وصل الى سرادقالرشيد فوجد بعضالشموع موقودة والرشيد جالس وأربابدولته
حاضرين بين يديه ومالهم حديث إلافى سيفالحنيفية وشجاعته علىصغرسنه وانهزام
الأميرعبد الوهاب بين يديه فقال الرشيد والله ماخذل عبدالوهاب إلا عجبه بشجاعته
وبغيه على القاضى عقبه ولابد من أخذه غدا من ملك الروم وأشهره فى العراق حتى
لايطمع أحد فى النفاق وان قتلتم ملوك الرومأخذت رأسه وأشهرتها فى بلادالاسلام
حتى يعلموا أن هذا آفة البغى والمخالفة فانى مارأيت قط أذل منه لما انهزم وانهدم
ركنه بأسر ضيغم وأبوالهزاهز وطارق الحجازى والبطال وأرسلت أطلب منه عقبة
فلم يفعل إلا انه انهزم فقالوا له جميع الأمراء ياأمير المؤمنين مابينك وبينه إلا غداة
غد ويسقوه الروم كاس الردى والنكد فقال مسرور والله إن كان ذلك كما ذكرتم
فلابد للروم مايغدروا بكم ويطلبوا بعد ذلك حربكم فقالت أرباب الدولة والأمراء
وما عسى أن يغدروا ويصنعون وفينا رجال وأى رجال بسيوف حداد ورماح
مداد وسواعد شداد ونردهمصاغرين ونعود إلى ديارنا فرحين مستبشرين فقالالرشيد
ياجماعة وما أمنت الروم على أنفسها من السرقة والاحتيال إلا بأسر أبو محمد البطال
وبالله أقسم إنى ماأمنت على نفسى إلا من حين أسروه فعندها قال الأمير عمرو بن
عبيد الله: يامولانا هون عليك الأمر فان أبو محمد أحقر الرجال وأذل الأبطال
وانما لايسرق البطال إلا راهب من صومعته أو امرأة من دير أو صبى من طريق
أو واحد فى بحر الكرى غريق وإلا هو أحقر من يدور بواحد منا ولا سيما أمير
المؤمنين حرسه الله تعالى وأقول إن الله تعالى ما ابتلى أبومحمد بالأسر والإذلال إلا
بكذبه على القاضى عقبة العابد الزاهد كما يشنع عليه بالكفر والطغيان فأخذه الله أخذ
القرى وهى ظالمة ثم قام عمرو ومضى إلى خيمته وتفرقت الناس إلى خيامهم وأما

أبو محمد لما سمع من الأمير عمرو ماسمع أقبل على غلامه سبك وقال له ويلك ياسبك غير لحيتك وامضى من وقتك الى عمرو وقل له أنا رسول اليك من القاضى عقبه فانه ضمن لى بثلثمائه بطريق من بطارقة يانس مال عظيم وخلصوه من القيود وأوعدوه بتسليم الحصن الى الرشيد وقل له ان القاضى عقبة واقف على باب السر الذى للحصن ويقول لك انك تسير اليه بنفسك فى هذه الساعة العجل العجل قبل فوات الأمل فانه يريد يدبر معك الأمر فى أخذ الحصن ويكون لك المنزلة العالية عند الملك أمير المؤمنين فقال سبك السمع والطاعة وسوف ترى مايسرك إن شاء الله تعالى ثم ان سبك ركب لحية بيضاء وتزيا بزى بطارقة يانس المتغرب وسار حتى دخل الى الخيام وقصد بنى سليم وهو يقول من يدلنى على خيمة الأمير عمرو أمير الأمراء فسمعه عمرو فطلبه فأحضره بين يديه فقال له الأمير عمرو ماحاجتك أيها الشيخ فقال له ما أقول لك حاجتى إلا سرا بينى وبينك كما أمرت فانه أخذ علىّ العهود والمواثيق والايمان فعندها أمر عمرو من حوله بالانصراف فلما خلى المكان أعاد سبك عليه جميع ما قاله البطال فلما سمع الأمير عمرو ذلك الكلام كاد فؤاده أن يطير من الفرح وقال هذا هو المراد ومسرة الفؤاد وقال والله لئن فتح الحصن على يدى لأعرفن قدرى عند الرشيد فلا أعدمنى الله إحسان القاضى عقبة وقال له أيها البطريق أمهل حتى أمضى الى الرشيد وأعلمه بذلك وأشاوره فيما أعمل فقال سبك ما أوصانى عقبة بذلك فانه يريد أن يتفق معك على عبد الوهاب والى من يسلمه له فقال عمرو فهذا هو الرأى وخرج من خيمته وسار مع سبك حتى وصل الى وادى قريب من الحصن فوجد أبو محمد وغلمانه هناك فقال سبك يامولاى هاقد جئتك بالأمير عمرو فقال البطال لغلمانه دونكم وإياه أوثقوه كتاف فبهت الأمير عمرو ثم قال البطال والله ياأمير مانسرق إلا راهب من صومعته أو امرأة من دير أو صبى من طريق أو نائم فى بحر الكرى غريق وإنما الحاجة داعية اليك فقال عمرو يامولاى لاتؤاخذنى بعثرات اللسان وماهى الحاجة فقال البطال إن الأمير عبد الوهاب بذل لملك الروم فى ضيغم وطارق وأبوالهزاهز مال عظيم وهو خمسون ألف دينار فقال ملك الروم أريد على ذلك زيادة وهوأميرمنأمراء العرب يكون مسموع المكلمة وقد وقع الاتفاق عليك فعند ذلك أيقن بالعطب ومد عينه فرأى معهم شخص آخر مشدود على بغل فقال من هو هذا الشخص المشدود معكم فقالوا هذا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وقد أخذناه والآن عندنا فى الحصن عرس ونريد أن يحملنا بحضوره

ليكون له الثواب ثم ان البطال قال لغلمانه سيروا بنا على بركة الله وعونه ثم ربطوا عمرو خلف الرشيد على بغل فلما رأى الرشيد الى عمرو ضحك فقال الرشيد من يتجارى على العيارين فى مجالس الخلفاء يصبر على هذا البلاء فقال عمرو يامولانا هو أنا علمت أن هذا الشيطان قاعد بالمرصاد وكان السبب فى أخذ الرشيد أن البطال لما فارق غلامه سار إلى سرادق الرشيد وأمر غلمانه أن يتفرقوا حول السرادق فى زى الحراس ولم يزالوا يرصدوا حتى نهض الرشيد الى الخيمة الصغيرة التى فيها ينام وما نام حتى تقدم البطال ولؤلؤ الى وتد من أوتاد الخيمة فقلعاه ودخلا على الخليفة وكانوا غلمانه نيام وهم مطمئنين لأنهم فى وسط العسكر العظيم وكان الرشيد قد غرق فى نومه فما استيقظ إلا والأكرة فى فمه فكتفوه كتافا شديدا وحملوه فى الحال وخطوا رقاب النيام إلى أن أخرجوه ظاهر العسكر والخيام وهو الموضع الذى ذكرنا أنهم اجتمعوا فيه وهم لؤلؤ وسبك غلام أبو محمد البطال وساروا جميعا إلى أرض الحصن فكان بالأمر المقدر أن ساعة وصولهم الى باب الحصن كان بالاتفاق العظيم مع وصول ضيغم وسيف الحنيفية ومعه ملوك النصرانية والبترك وأبو الهزاهز وطارق وكل واحد من هؤلاء يسوق قدامه جماعة فلما اجتمعوا على باب الحصن رأوهم الحراس نادوهم من أنتم فقال أبو محمد البطال افتحوا الباب فقد جمع الله بين الأحباب ومنّ علينا رب الأرباب وأنا أبو محمد البطال فهنالك مضوا الحراس إلى الأمير عبد الوهاب وأعلموه بذلك الخطاب وكان الأمير لما عاد من قدام ولده من الميدان قال لأصحابه اعلموا أننى ما انهزمت من قدام هذا البطرق فزعا من الموت وانما هو ولدى وحشاشة كبدى وقد جمع الله بيننا فشاع الخبر فى الحصن إلى أن وصل إلى الملعون عقبه فقال هذا كله محال ولايدخل فى عقل عاقل من الرجال وأن الحراس لما أعلموا الأمير عبدالوهاب بقدوم الأمير أبو محمد البطال ومن معه من الأبطال فقام بنفسه وفتح باب الحصن وكانت الأميره إلى جانبه خوفا عليه من حيلة تصل اليه فلما فتح الباب كان أول من دخل أبو الهزاهز وضيغم وطارق وكل واحد منهم قدامه جماعة من الملوك يسوقهم إلى أن دخل الملك والبترك ودخل بعدهم سيف الحنيفية وفرح به أبوه وضمه إلى صدره وأيضا فرح بأسر الرشيد وأسر ملوك الروم (قال) وأبو محمد قال أيها الامير أنت رجل مسعود وما يعاديك أحد إلا وينصرك الله عليه ولكن أشتهى منك أن لاترمى عينك على الرشيد حتى أقول لك ماتعمل فقال الامير سمعا وطاعة فعندها أمر الامير أبو محمد البطال غلمانه برفع الرشيد إلى بعض الاماكن وبعد ذلك قال أبو محمد

البطال أريد أمضى الى عند اللعين عقبة وأفتت كبده ولايقول أحد أن الرشيد عندنا ولا عمرو فقالوا سمعا وطاعه ثم أن البطال أمر برفع الأمير جعفر والفضل بن الربيع إلى عند الخليفة الرشيد ففعلوا الغلمان ذلك فلما دخلا على الرشيد جعلا يقبلان الأرض بين يديه والرشيد يضحك ويقول لهم والله أردت الساعة أسأل عليكما ونظر الرشيد الى تذلل جعفر بين يديه فرقّ قلبه عليه فقال أهــلا وسهلا بالوزير الأجل الرفيـع المحــل مضى ما مضى ولا بقيت أسمع فيك كلام أحـد أبدا فقال لا كلام حتى نخلص من هذا المـكان ثم قال جعفر إنى أحدثك يا مولانا بحديث عجيب قد سمعته فقال الرشيد وما هو فقال جعفر إنى سمعت أن الفارس الرومى الذى كان هو والأمير عبد الوهاب فى الميدان هو ولد الامير عبد الوهاب فقال الرشيد أحق ما تقول فقال أى وحق رأسك يا أمير المؤمنين فقال له وكيف ذلك وما السبب الذى ظهر منه أنه ولده فقال الفضل سمعت أنه من ميرونه بنت البترك فقال الرشيد والله أنا عجبت أن يكون هذا الثعبان الأرقم إلا أن يكون من هذه الحية الرقطاء والله بعيد عن الروم أن يكون فيهم هذا الجنس وهذه الثمرة فهم فى الحديث وإذا بأبو الهزاهز دخل إلى داخل الحصن والى جانبه سيف الحنيفية فلما فتح الباب التقى بوالده عبد الوهاب فسر به سرورا عظيما وقال له أهلا وسهلا بسيف الحنيفية فقال أبو محمد أحسنت أيها الامير هذا هو الاسم الحقيق ثم ان البطال أخذه ودخل به الى الرشيد فقال سيف الحنيفية للرشـــيد يا هذا ايش عمل أبى معك من الشر حتى تجيش عليه الجيوس وتقصده بهذه العساكر تريدنى أن أعلو رأسك بهذا الحسام ثم وضع يده على قائم سيفه فمسك أبو الهزاهز يده وقال له لاتفعل يا مولاى وان كان ولا بد فاضربه بهذا العامود حتى اذا انـكسر منه عضو يكون عنده من يداويه والا ان ضربته بالسيف يموت وربما يقع علينا من الامير عبد الوهاب العتب (قال الراوى) فلما سمع الرشيد من أبوالهزاهز هذا الخطاب طار الدم من وجهه وقال يا أبوالهزاهز ايش هذا القول خذ هذا العامود من يده فأنا والله أتألم من عود ريحان فلعل ينصلح الحال مع الامير عبد الوهاب فانه عندى أعز من جميـع الخلق وخرج سيف الحنيفية وهويقول وحق ذمة العرب لابدلى من قتله ودع يكون ما كان هذا والخليفة أشرف على الموت من شدة الفزع ولم أمن على نفسه قال ترى يا قوم ان ملك الروم جاءه معهم كماقالوا فهم فى الحديث والـكلام وأبو محمد دخل عليهم ومعه الملك منويل وسائر ملوك النصرانيه وقصد بهم المطموره التى فيها عقبه وقعد عنــــده وقال

كيف رأيت يا قاضى عقبة وكيف أنت قال بخير إذ لم أرى شخصك فقال له البطال طب نفسا وقرعينا فقد علمنا شوقك الى ملك الروم فجمعنا شملك به وعولنا غد على ضرب عنقك وعنقه فهم فى الكلام وإذا بالسودان دخلوا على هذا المكان وهم يقودون ملوك الروم واحد بعد واحد الى أن حصلوا عنده الجميع ثم اتى أبو الهزاهز وهو يسحب بدقن البترك وهو يقول ما حملك أيها الشيخ السوء ان ترجع عمرك تنصر أحد ولكن بعد ساعة تبصر مايحل بك فلما جلسوا الكل عند عقبة كادت مرارته تنفطر وقال لملك الروم بعد ما سلم عليه كيف ما صار هذا الملعون ولد الأمير عبد الوهاب فقال الملك منويل الأمر صحيح لاخلاف فيه وأنه ولده من ميرونه بنت البترك وقد جرى علينا من الأمر ما لا أقدر أصفه فقال عقبة وحق المسيح هذا كله بغيبتى عنكم وبعدى منكم وقد ضاقت على الدنيا لاجـــل ما جرى عليكم ولـكن أنا خائف على العساكر التى بقيت كالغنم بلا راعى ولا لها من ترجع اليه ولاتعول عليه ولا آمن عليهم من الرشيد ان يدهمهم بالعساكر والجنود ويعود عليهم بغدره مع ما عندهم من الغم من فقدكم فلا يجتمع منهم اثنان والرأى عندى مداراة القوم والدخول على الامير عبد الوهاب وأرغبوهم فى المال فانها تجتمع الا لمثل هذه الأحوال وتصالحـه وتعود الى قتال الرشيد وإذا صالحتهم على قتال الرشيد جاءك الامر على ما تريد وأنت اذا وزنت المال لعبد الوهاب ولو عشرين قنطار ذهب ما هو كثير على سلامتك وسلامة أرباب دولتك واذا كسرت الرشيد أخذت منه ومن الذى عنده أضعاف ذلك ولو لم يكن من الأمر الا أنك أول ما تقتل من المسلمين عشرين الف فيكون كل واحد مسلم قتلته بدينار وتربح النصرانية منه ولك الأجر والثواب فقال له وكيف السبيل الى الصلح مع عبدالوهاب بعد ما وصل بنا الى هذا المكان وأصابنا هذا المصاب فقال له عقبة اعلم ان المال يلعب بعقول الرجال فقال للسجان صيح على أبو محمد البطال فبادر السجان الى أبو محمـد البطال وأعلمه بالحال فاتى اليهم وقال لهم ما بالكم فقال عقبه اعلم يا أبو محمد اذا قتلت أنا ما علينا من شىء وان قتل ملك الروم تبقى النصرانية بلا ملك وتشتهى منك أن تتوسط للملك فى الصلح مع الأمير عبدالوهاب والفداء عليهم كلهم وكلما يطلب من المـال ونرجع الى عسكر الرشيد ونطحنهم طحن الحصيد فقال الامير أبو محمد أنتم تعلمون ان عبد الوهاب سفاك الدماء وما قصده مأسور يقع فى يده ويأخذ منه فداء وما بقى الا أن تلعبوا بعقله بكثرة المال فان أجاب الى ذلك انما

يكون لتحصين آجالكم لأنى رأيت فى نفسى أنه عند الصباح يضرب رقابكم على الحصن وكذلك قال لعقبة فكم يكون لى عليك من المال لعله أن يقبل منى فيكم سؤال فلما سمع الملك ذلك قال له على كل ماتريد وعلى الملوك كل واحد خمسة آلاف دينار وعلىّ أنا قدرهم كلهم فلما سمع أبو محمد كلامه قال له ويلك أنا عفوت عنك إكراما للملوك وإلا فما الرشيد عندنا حاضر حتى أكرمك لأجله فقال عقبة لو أكرمت الرشيد ماضربت فى وجهه بالسيف وكنت تخلى الأمر بينه وبين الروم ويعطى الله النصر لمن يشاء فقال أبو محمد وحق النبي المنتخب لابد ما أسرق الرشيد ولو كان فى عمرى يوم واحد وأبيعه للروم حتى لايرجع يعمل فى حق شيء فضحك عقبة وقال ياأبامحمد من أين لك قدرة على ذلك وهو فى غاية الحفظ فقال إذ لم يكن فى هذه السنة يكون فى السنة الأخرى ثم إن الأميرمحمد خرج الى الامير عبد الوهاب وعاد عليه ماجرى وقال تأخذ منهم غناك الى أبد الابد وأى وقت أردنا أخذناهم ونخلص علوى وولدها أحب الينا من الجيش النحس فقالت الأميرة والله صدقت ياأبا محمد افعل مابدا لك ثم قال البطال اعلمى انى قد عولت على هتك ستر عقبة فقالت وكيف ذلك فقال سوف ترى العجب ثم وثب وأخذ معه الاميرعبدالوهاب والأميره ذات الهمة وأبوالهزاهز وضيغم وهياج الكردى ودخلوا على الرشيد وفى أيديهم السيوف المجردة فلما أن رأى الرشيد الى ذلك وثب قائما على قدميه وقال ياأبا محمد على ماذا عولت قال قدعولت على أمر لك فيه الصلاح لأن سيف الحنيفية أراد قتلك لأنه قال ما تركنى أكفر بالرحمن وأعبد الصلبان إلا الخليفة الرشيد لأنه أراد أخذ أمى ميرونه بعدماحملت بى وقبض أبى وعمى وحملهما طالبين بغداد فأخذتهم الروم فى الطريق وجعلت فى بلاد الروم وجئت أنا فلولا كان السابق فى علم الله تعالى لما رجعت عن دين النصرانية ولابد من قتله لامحالة ولقد اشتريتك منه بمائة دينار والأمر اليك يا أمير المؤمنين فرفع الرشيد رأسه الى سيف الحنيفية فوجد عيناه فى أم رأسه قد انقلبت وهو ينظر اليه كنظرة الأسد فلما رأى الامام ذلك قال الأمر كما ذكرت ولك أنت عشرة آلاف دينار فالتفت الى سيف الحنيفية وصار يتكلم معه كلام سر كأنه يدخل عليه ثم بعدذلك التفت البطال الى الفضل بن الربيع وقال له أقسم نالله لقد توسطت اليك فى خمسين ألف دينار بعد جهد لأننى لا أدرى من أعلمه انك أنت الذى جئت إلينا وأمرت بالقبض علينا وإن لم تزن بأفضى هذا المال فاعلم انك مقتول لامحالة فقال الفضل ياأبا محمد سمعا وطاعة ولك حق طريقك خمسة آلاف دينار وأعرف لك الفضل علىّ

والمنة ففرح البطال بقوله وقال هذا أمر قد انبرم وبقى حال الروم وسائر الملوك فقال الرشيد ويلك وأين الملوك فقال عند صديقك عقبة وكل ملوك الروم أتوا ليسلموا عليه فقال الرشيد إن كان كلامك صحيح فأنا أقتله ولك عندى الجائزة وأرتب لك فى كل سنة خمسة آلاف دينار وتفوز بها على حالك وأريد منك يا أبو محمد البينة تقيمها على عقبة انه كان يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير ويكفر بالرب القدير وأنا ما أخرج من هذا الحصن حتى أفعل به مايغم الصديق ويشمت العدو فقال أبو محمد لك ذلك ثم ان الرشيد أعطاهم خاتم الأمان وأقطعهم أرض السويدية وسجستان ففرحوا بذلك وجعل يتحلل منهم ثم قال لهم ائتونى بالأمير عمرو بن عبيدالله حتى آخذه معى فارسلوا جاءوا به فى الحال فلما رآه قال له قم معنا حتى تشرف على فعال عقبة الذى تشد منه فقال سمعا وطاعة ثم قال بالله عليك يا أبا محمد لاتردعلى ولاتصادرنى فان أموالى أخذتها الروم وساروا الكل الى الموضع الذى فيه عقبه وملوك الروم فقال البطال يامولاى وأنت وجعفر وعمرو قفوا هنا حتى تروا ما قد قلناه ثم دخل البطال وعبد الوهاب وأبو الهزاهز والسيوف فى أيديهم مشهورة فلما نظروهم على تلك الحالة فزعوا منهم وماتوا فى جلودهم إلا اللعين عقبة فانه لما رآهم لم يفزع ولم يخاف فقالوا أيها الشيخ النجيح قد متنا من الفزع وأنت لم تفزع فقال عقبة وحق المسيح ما قصدهم منكم إلا المال وما يقتلون منكم أحد ثم جعل يظهر الفرح والسرور ويقول أنا لو ضربونى بكل خشبة على وجه الأرض ما أرجع الى دينهم ولا ألقى المسيح إلا بوجه نقى غير شقى وأما قتلى فما يقدرون عليه لأن المسيح سخرلى خليفتهم ألعب بعقله كل يوم وهو يسمع منى ولا يلتفت اليهم ولا لقول عبدالوهاب وأبو محمد البطال وأنا أعمل على خراب بيوتهم وأنا عندهم فى طبقة الأولياء وهذا كله من معونة المسيح والخليفة جالس فى موضع يشرف على الجميع فلما سمع كلام عقبة وعقبة لايراه قام شعر بدن الرشيد وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلىّ العظيم والله جميع ما قالوه عنه صحيح وقد كنت على غاية الخطأ مع رعايتى لهذا الملعون ثم جلس أبو محمد وجلست الأمراء فقالوا الآن اقطعوا على أنفسكم المال وقد انصلح الحال وإن أردتم تشتروا منا عقبة فافعلوا وكان يعلم الرشيد انهم يشترون عقبه بالأموال لأجل رغبتهم فيه فلما قال أبو محمد ذلك قال الملك منويل ماالذى تريد من المال فقال أريد من كل واحد من الملوك مائة ألف دينار ومن الملك منويل مثلهم كلهم فقال الملك رضيت بما قلت وأوهبنا الشيخ عقبة يخرج معنا فان أراد العودة الى بلادنا وإلا وصلناه

بلاد الاسلام فقال عقبة أيها الملك وحق المسيح مابقى لى رغبة فى الاقامة فى بلاد الاسلام لأنى قد ضجرت من أكل السياط وأنا كل يوم فى عياط وأعاشر من لاأريد وهو على صعب شديد ولا أقيم إلا فى كنيسة سوفيا الى أن يأتى الموت فقال أبو محمد قد أجبناك فى القاضى عقبة بشرط أن نريد منك علوى وولدها إبراهيم فقال الملك وحق المسيح ماعندى منهما خبر فقال أبو محمد رضينا بذلك لكن نخاف أن يرجع القاضى عقبة إذا تخلص يردك عن طلب ابراهيم وأمه علوى فقال عقبة ياأبامحمد أنت تعلم أنى اذا حلفت بدين النصرانية أكون صادقا وأنا أقسم بماريحنا المعمدان ومريم والصلبان لابد لى أن أعاون الملك على خلاص علوى وولدها ابراهيم (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلام عقبة لم يجد صبرا عنه وهم أن يصيح فمنعه الوزير جعفر وقال يامولانا اصبر على القوم الى الآخر فهذا مايفوتك لأنك ان دخلت عليهم ينفسد الحال ولا يحصل لهم مايريدون من الحال فقال الرشيد لابد لى من الدخول عليهم حتى أوافقه على فعله وقوله فقال جعفر هذا فيه انكسار لهيبتك وانحطاط لمنزلتك لأنك مقبوض عليك وكان قصد جعفر انبرام أمر الروم وانهتاك ستر عقبة فانه رهن على علوى وولدها ابراهيم وتقرر الحال وجرى العهد على الأمير عبد الوهاب إنه متى وصل المال أطلق الملوك إلا عقبة فانه مرهون على علوى وولدها إبراهيم وطلب عقبة الخلاص فلم يقدر على ذلك وأرسل الملك خمسة أنفس من أصحاب يانس وخمسة من أصحاب عبد الوهاب وأعطاهم خاتمه وخواتم الملوك وعلامة للروم ومعهم البترك يحمل المال الذى عليهم (ياساده) فهذا ماجرى ههنا . وأما ما كان من الروم فانهم لما أصبحوا وعدموا ملوكهم صعب عليهم ذلك وكذلك المسلمين أيضا لما فقدوا الرشيد هموا بالرحيل فجاءوهم الجواسيس وأخبروهم بعدم ملوك الروم فطمع بعضهم فى بعض وامتلأت الدنيا بالركض وجردت القواضب وعمت المصائب وزحفت عساكر الروم على عساكر الرشيد وارتفع الغبار وزاد الصياح فسمعوا أهل الحصن ذلك فقلقوا على القتال وخاف الرشيد على عسكره فأدعا بالبطال وقال له الله الله فى عساكر الاسلام وكن سبباً الى طلوعى الى المسلمين كما كنت سببا فى مجيء الى هذا المكان فقال البطال والله ماجئت بك الى هنا إلا حتى أطلعك على أمر القاضى عقبة ثم إن البطال دخل الى ملك الروم وقال له اعلم أن القتال وقع بين العسكرين وأنتم فى أسرنا والمال ما وصل وماندرى يكون النصر لمن والرأى عندى أن ترسل بعض الملوك الرومية مع القوم الذين يقبضوا المال من مدينة القسطنطونية

أن نفعل ذلك وإنما كان الذى جرى بيننا على سبيل المباسطه وأنت أكرم من عفى ولا فى حكمك خفى فقال الرشيد وحق النبى المصطفى لابد من حمل المال الى الأمير عبد الوهاب والى ولده سيف الحنيفية حتى يجتمع له بها رجال ويستخدم بها أبطال ونقطع له بلاد شمشاط وأرض هيلان ويكون ركنا لنا وللمسلمين ويعز الله به المؤمنين فقال عبد الوهاب وقد فرح بكلام أمير المؤمنين الأمر أمرك يا أمير المؤمنين فانظر ماذا تعول عليه فأنا مبادر اليه فقال الرشيد أنا أمضى وأنتم مقيمون إلى أن يأتى المال وتطلقوا من عندكم من الرجال وتسلموا لى عقبة حتى أوبخه وأبصق فى وجهه وأسلمه إليكم بحيث تراه الناس وما شئتم بعد ذلك فافعلوا به فلا رحم الله من يرحمه وانى قد حسيت بالمرض الذى يأتينى كل سنة وهو الفوالنج وأريد أن أمضى الى العراق وما أدرى ما يكون فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على ماذكرت فنحن نأخذ المال الذى يأتينا من الروم ونرحل فى صحبتك ونخلى سيف الحنيفية يمضى ومعه من بنى كلاب ألف فارس فان فيه الحماية والكفاية ويطلب الصناع وأرباب البناية من كل مكان من السرى والبلدان ويأمرهم ببناية ملطيه الى أن أخرج أنا من بلاد الروم ثم قال الأمير عبد الوهاب تمضى معنا ياأمير المؤمنين فقال لا بل أنت تمضى معى الى العراق فقال الأمير عبد الوهاب كيف أصبر عن زوجتى علوى وولدى ابراهيم فان فى قلبى من فراقهما النار وقد انقطعت عنى الأخبار واندثرت الآثار فقال الرشيد والله ياأمير وتربة قبر سيد المرسلين لولا شدة ما أحس به من الضعف وأريد أسير إلى بلاد العراق قبل ما يثقل علىّ ويشتد بى الأمر وإلا كنت وافقتك على ما تريد فقال الأمير عبد الوهاب أنا فى بركة أسلافك الطاهرين فعندها خرج الرشيد من عنده الى عسكره والأمير بين يديه ووقعت البشائر بخلاص الرشيد من عبد الوهاب وخلاص جعفر والفضل بن الربيع . هذا وعقبة ما عنده من هذا خبر والأحكام تجرى والمقادير فى الخلائق تسرى والحق سبحانه وتعالى يقضى والعبد بين ذلك أسير سخط أم رضى وأقام الأمير ذلك اليوم فى عسكر الرشيد ثم انه رجع الى الحصن وأطلق من كان عنده من الأمراء الذين كان أسرهم من عسكر الرشيد وأقام بعد ذلك عشرة أيام ووصل اليه البترك ومعه المال فى الصناديق على البغال فقدموه الى الأمير عبد الوهاب واصطلح مع ملك الروم وسائر الملوك سنة ونصف ثم قال لهم وعقبة رهن عندى على الشرط الذى جرى فقالوا نعم وسار ملك الروم وقد افتقر وهو لايصدق بالنجاة وسائر الملوك الذين معه وأرسل ملك الروم الى الرشيد فى معنى الصلح

فأجابه الى ذلك واستقر الحال وأرسل الرشيد الى الأمير عبد الوهاب يطلب منه عقبة فلما سمع عقبة بذلك أيقن بالفرج وجلس الرشيد فى سرادقه وأرباب دولته من حوله وأقام يترقب قدوم الأمير عبد الوهاب وركب الأمير وتجمل جمال عظيم وألبس ولده سيف الحنيفية ثياب الملك منويل وجعل ضيغم عن يمينه وقشعم عن شماله والأميره ذات الهمه من خلفه والأمير هياج الكردى وأبو محمد البطال بين يديه وأبو الهزاهز وسادات بنى كلاب وأحدقوا بالقاضى عقبه وهو مطلوق غير موثوق وساروا وما زالوا سائرين حتى دخل الأمير عبد الوهاب على الخليفة فعندها نهض له وأدناه وقربه وحياه وقال له مرحبا بك أيها الأمير المسعود الناصح لدين الملك المعبود ورحب بالأميره وأقبل سيف الحنيفية على الخليفة وعلموه كيف يبوس الأرض بين يديه ففعل ذلك وجعل الرشيد يدعو له بالتوفيق بعد أن خلع عليه خلعة سنية وقاد اليه الخيول العربية وأقبل عقبه فما رفع الرشيد له رأس ولا قربه وكان عقبه أخبث أهل الأرض وأدهاهم فقال فى نفسه والله ماتعودت من الرشيد هذا الاعراض وماهو إلا من الشيطان أبو محمد البطال أتى به الى الحصن وسمع كلامى فى حق الروم وشتمى للمسلمين وإقرارى بالكفر فان كان الرشيد سمع كلامى فما يسمعه فى دينه فالساعة يأمر بقتلى فمالى إلا أن أبادره قبل أن يوبخنى وبالكلام يدهمنى ولا يسمع منى كلام ولا يقبل منى نظام فهو كذلك وإذا بالرشيد رفع رأسه ثم أشار إلى من حوله من أرباب دولته وقال قوموا الى هذا القرنان الذى يكفر بالرحمن ويعمل على هلاك أهل الإيمان ويطلب أن يهدم ركن الاسلام بنفاقه والعدوان وأقلعوا عن رأسه هذا الطغيان واضربوه حتى تقع أضراسه مع الأسنان حتى يعتبر به كل إنسان وبعد ذلك اقتلوه بسيف أهل الايمان (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب والأمر المطرب الغريب بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (ياساده يا كرام) فعندها وثب الملعون عقبة قائما على قدميه ورفع صوته وقوله تعالى : (ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) ثم انه قال ياأمير المؤمنين ارحم شيبتى واكشف ظلامتى واسمع قصتى واضرب بعد ذلك رقبتى فلما سمع الرشيد مقالته قال له ويلك ياشيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة كيف أسمع منك مقال وأنت بين يدى كفرت بالرحمن وعضدت أهل الطغيان فقال ياأمير المؤمنين إن الله حليم لايعجل وجواد لايبخل أما تعلم أن حاكى الكفر ليس بكافر وأنا ياأمير المؤمنين ضربت بالخشب وبالسياط

ووضع القصب حتى فى أظافرى وسقيت الخل الجيد حتى كرهت الحياة ونسيت الدين وقالوا لى قول كذا وكذا واعترف بالذى نريد منك وإلا أوصلناك بهذا العذاب الى أن تموت فما بقى لى جلد على العذاب لأنى أشرفت على العطب فقلت فى نفسى الله يعلم صدق نيتى وصفاء سريرتى وما أمرنى الله بتلاف مهجتى وأكثرما يعملون أن يشهدون على الفضل بن الربيع ومولانا أشرف عقلا وأكثر فهم أن يصدق هؤلاء على وأنا بعد مايعلم انى بين يدى الأعداء يعاقبونى صباحا ومساء وأنا شيخ كبير ومالى صبر على الضرب فقال الرشيد ياملعون أتريد أن تأكلنى بالكلام وأنت كفرت بالملك العلام فتحقق الملعون أن الحيلة مادخلت عليه فغاص فى بحرفكره وبحر حيله ومكره ثم رفع رأسه وقال ياأميرالمؤمنين بينى وبينك موقف يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم المحاسبة يوم المناقشة يوم الطامة يوم الراجفة يوم الآزفة يوم الفراق يوم البكاء يوم المآب يوم الحساب يوم يصدر الناس أشتاتا يوم لايجزى الوالد عن ولده يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة يوم تنصب الموازين يوم تنشر الدواوين يوم يقتص المظلومين من الظالمين ويتجلى رب العالمين يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب وترى القلب خائف ولهان مرتاب فاختصم فى ذلك اليوم أنا وإياك ولايكون لى خصم سواك وأقول بين يدى الحق ظلمنى الرشيد وتعود شقيا بعد ماكنت سعيدا ياأمير المؤمنين ارحم شيبتى وانظر عبرتى وارحم شيخا قد أجهده الكبير والله لتقفن بين يدى الجبار ويقول لك هذا رجل من الأبرارسلطت عليه هؤلاء الأشرار وتنظر موقفك بين يدى من أهلك من الأمم الخالية وهوالذى بيده ملكوت كل شىء تقدس عن الجهات وجل عن المخلوقات شديد البطش عظيم العرش (ياساده ياكرام) ثم انه صاح صيحة عظيمة وغشى عليه فلما أفاق قال يا أمير المؤمنين كيف تشك فى أمرى وأنا حامل كتاب الله العزيز بالروايات المختلفات وأحفظ الأخبار المرويات وما حجتى عند الله يوم القيامة إذا أقبل على بالملامه وهو يوبخنى ومن ينجينى من موقف صاحب القيامه ومن يشفع لى إذا حرمت شفاعة سيد تهامه ؟ أم كيف اختار دين النصرانية على دين الاسلام فبحق من أسبغ عليك سوابغ إنعامه وخصك بفضله وامتنانه إلا ماكشفت عنى هذه الظلامه وإن كان ولابد من قتلى فيكون بحسامك وأنت فى حل من دمى ولا آخذك الله به اذا غص المحشر بازدحامه وتقسطل دخان النار بظلامه فما بقى من عمرى إلا دون مامضى من ساعاته وأيامه ثم إن الملعون بكى وأن واشتكى وكشف للناس بدنه وقال انظروا

إلى ما قاسيت من هؤلاء الظلمة والى هذا العذاب الأليم فلما نظروا الناس وأرباب الدولة الى ذلك بكوا رحمة له فقال الفضل بن الربيع والله لقد نصبوا على هذا المسكين ومابقى لنا مقام ما دام لنا خليفتين وتكلم داود الهاشمى والرشيد قد بهت من كلام عقبة واندهش كل من كان حاضر فقال الخليفة فى نفسه : كل هذا من تدبير البطال فلا كان ولا استكان ولا كانت ساعته ولقد أردنا قتل هذا الشيخ المسكين الضعيف وندخل النار بخطيئته (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن عقبة لما علم أن سحره تمكن من الحاضرين تماوت وتغاشا ووقع الى الأرض لايضرب بيد ولا برجل فلما عاين الرشيد ذلك قال للخادم رش على وجهه ماء الوردعسى يفيق فرش عليه ماء ورد وهو كالخشبة الملقاة فقال الرشيد وا فضيحتاه من الله تعالى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ودخل ابنه مصعب وجعل يمسك شيبته ورأسه ويقول ياقتيل الظلم فلم يبق إلا من رق ورثى وبكى الأمير والأميره ونظروا الناس إلى أبو محمد وأضمروا له الشر فقال الأمير عبد الوهاب ياأبا محمد مات الملعون وتعود الناس تلعنا الى يوم القيامة فليته عاش ويأخذه الرشيد حيا والله لقد خجلت غاية الخجل وعرق بدنى من الوجل فقال أبو محمد وأنت الآخر تظن أن الملعون قد مات هذا والله خبثا منه ولعنه ثم وثب أبو محمد البطال وقال يا أمير المؤمنين الناس لهم الظاهر والله متولى السرائر وأنا أرجو أن ينجز الله فيه وحده ويحكم فيه بعدله وأنا لا أرجع أتعرض إليه فقال له الرشيد ياأبا محمد تريد تؤذى الأحياء والأموات فقال يامولانا فكأنه مات فائذن لى فيه وهو الساعة يقوم فقال له الرشيد دونك فتقدم الأمير أبو محمد البطال الى عند رأس عقبة وأوراهم أنه يقرأ عليه وكلمه بالرومى وقال له تقوم ياشيطان وإلا والله أحمى لك المكاوى بالنار وأعملها فى فؤادك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عقبه من الأمير أبو محمد البطال هذا الكلام علم أنه لاقدرة له على الكى بالنار ففتح عينه الصحيحة وبقى ينظر الى الناس بطرف مكسور فوثبت اليه أرباب الدولة وجعلوا يتمسحون به وأمر الرشيد أن يحمل الى بين يديه وقال له ياقاضى عقبه أنت وأخصامك تحضروا يوم القيامة واجعلنى فى حل من هذا ثم أقبل الرشيد على الأمير عبد الوهاب وقال له أنا أسألك فى هذا القاضى عقبه بحق قرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تزيد على مرضى وكربى فبكى الأمير عبد الوهاب شفقة منه على الرشيد وقال له يامولانا إن أمرتنى سلمت نفسى لعقبة فأخذه الشكر والدعاء من أرباب الدوله فقال عقبه كل ما نحن فيه من أبو محمد

البطال ثم انصلح الحال (قال الراوى) فلما أصبحوا رحل الرشيد ومعه سيف الحنيفية فى ألف فارس ومعه الأموال التى أخذها من الروم وبقى الأمير منتظر الى خبر ولده ابراهيم وزوجته علوى وأقام على ذلك مدة وهو فى شدة وأى شدة (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما كان فى يوم من بعض الأيام وصل قاصد من ملك الروم الى الأمير عبدالوهاب ومعه كتاب فأخذه منه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه وإذا هو فيه أحسن الله عزاك أيها الأمير فى الزوجة والولد وأنا أقسم بدين المسيح والا برئت أيضا من دين النصرانية ان كان لى قدره على خلاص ولدك وأهلك لأن الأمر لايدرك والطريق لاتعرف والحال لا يوصف وقد أرسلت الى سائر الجهات وأخذت العهود على سائر الملوك بالكشف عن خبر ولدك وأهلك فلم أسمع لهم خبر فلما أن كان يوم من الأيام ووصلت قافلة من وادى فى السرو والمروج وهو مرج العلق وهى ديار ماوصلها قط مسلم وهم فى آخر الدنيا وما خلفهم عمران ولا بجوارهم إنسان وهم لا يحصى لهم قدر ولاعدد إلا الذى خلقهم ولايقدر عليهم بشر وهم دروب وحصون عظيمة والدروب عليها باب صغير وعليه حجر على مقداره وفى أسفله من داخله ماء بارد إذا شربت منه الدابة يجمد شحم كلاها وتموت من وقتها وساعتها وهذا الدرب مسيرة يوم كامل ثم بعد ذلك يخرج منه الى آخر الوادى ويطلع الى ضياع ورستاق وقلعة مشرفة على ذلك الوادى وفيها ملك يقال له كيدروس وعدد عساكره مائة ألف ويسمون الشمسية لأنهم يسجدون للشمس إذا طلعت ويعبدوها إذا سقطت ووراء ذلك الوادى وادى يسمى وادى العاق ويخرج منه الى قلعة القرى وهى فى الجو شاهقة والى السحاب لاحقة وفيها ملك يسمى كندروس وهو أخو صاحب هذه القلعة الاولى وعسكره مائة ألف فارس يرمون بالنشاب على الحدق وبعد ذلك يخرج الى مرج التنور فى آخره قلعة من الحجر الأسود لايدب النمل عليها إلا وقع فيها واحترق وفيها أخو الملكين الاولين ثم بعد ذلك نخرج إلى مرج وبعده درب الظلمه وهو درب ضيق مظلم ولاسبيل لأحد على سلوكه إلا بالمشاغل فى النهار ومسيرته مسيرة فرسخ كامل وتخرج منه الى وادى الجوهر وهى أرض بيضاء كافوريه كأنها الفضة النقية وحصاها مثل الزمرد والماء الجارى فى جنباتها يتكسر والدوالى على عريش مسقف وفى آخره حصن فى قدر عموريه وفيه عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى وصاحبه على دين المسيح ثم بعد ذلك أيها الأمير تخرج الى وادى السباع ولايسلك هذا الوادى إلا جيش كبير والا أكلتهم السباع وفى آخره جسر عظيم من الحديد على نهر من الماء الأحمر كأنه الدم من أصل

الخلقه وتراب أرضها مثل الزعفران وصاحب قلعتها اسمه عين المسيح لأنه أعور والملوك الذى تقدم ذكرهم هم أخوته إلا أنه جبار عنيد وشيطان مريد وبعد ذلك تخرج من تلك الأراضى والقلاع الى مرج يسمى مرج الياسمين والرياحين وفى آخره قلعة اسمها قف ترى العجب اذا طلع اليها الطالع من علوها يتعب ويخرج من بعدها الى مرج يسمى روضة الرياحين وهو أحسن من المرج الأول وأكثر رياحين وهى كثيرة الأزهار من ريحان مكى وبنوفر برقى وبنفسج عكاوى وفيها الأشجار بأنواع الثمار فى الصيف والشتاء من سائر الفواكه وأنهار هذه الأدوية كلها تتدفق بالماء إذا أشرقت الشمس على الأقطار والأوراق مثل الستاير على الارض قدأطبقت وهى ديار قط ماطرقت وأيضا فى آخره حصن اسمه حصن الدولاب لايدرك ولايرام ولايجد الانسان اليه سبيل كأنه لاحق بعنان السماء وحوله عالم عظيم وعسكر غزير وهم رجال طوال الاجساد كأنهم الرماح الطوال أو من بقايا قوم عاد موصوفين بالشدة والبأس ولهم ملك اسمه الأشميطش التنورى أقوى أهل زمانه وأشجعهم وفريد دهره وأوانه وأنه فى القوة والكفر يرهب الابعال ويخاف منه صناديد الرجال وهو مع هذه القوة والشجاعة محتال غدار مكار لايصلى له بنار كأنه ابليس المصور ويلبس لبس النسوان ويتزيا بزيهم ويسرق بنات البطارقة واذا ضرب بالسيف لاترد ضربته خائبة ولا طارقه ينهب أموال الروم والعمالقه وهو أيها الامير جبار لا كالجبابرة ولا يرام وبطلا قوى الصدام شديد الضرب بالحسام (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد ذكر ملك الروم فى الكتاب ان زوجة الامير عبد الوهاب علوى وولدها ابراهيم فى حصن الدولاب (ياساده يا كرام) وكان السبب فى ذلك أنهم لما وصلوا الى بلاد الروم ودخلوا بهم الى بلاد اليونان فوصلوا قوم من مرج التنور ونظروا الى علوى وولدها أسارى فاشتراهما لانه قط ما دخل تلك الارض مسلم ودخلوا بهما الىالحصن الثالث وقد أيسوا من خلاصهما وبلغ خبرهم الى الملك الأشميطش صاحب الحصن السابع فأخذهما عنده وكان يتقرب الى المسيح بضربهما وهما صابران للقضاء والأحكام (قا الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الخطاب بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد وتأسف على ما أصابهما ثم أنه التفت الى أصحابه وقال لهم اعلموا أن الانسان صنيعة الاحسان ومن لم يكن فيه غيرة على الحريم فليس هو رجل كريم وأنا لا بد لى أن أسير الى هذا المكان وأطؤه وأطلقهما وأتوكل على الكريم الرحمن فان قدرت على خلاصهما بمال وزنته وان كان بقتال قاتلت وعلىالله توكلت فمن أراد

منكم أن يعود الى ملطيه فليعود ولاعتب عليه ومن أراد الجهاد فى سبيل الله تعالى فذلك اليه (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها قالوا كلهم عن لسان واحد والله ياأمير مانسير إلا بين يديك ولانبخل بأرواحنا عليك ولوخضت البحار لخضناها ولو ولجت النار لولجناها ولنا أسوة بك فلما سمع الأمير عبدالوهاب كلامهم سر بخطابهم وقال لهم بارك الله فيكم ونصركم على أعدائكم وردكم سالمين الى أهاليكم وبالخير يرضيكم فاذا كان الأمر على ما ذكرتم والحال على ما به قد أشرتم فالصواب أن نترك الأموال ههنا فى حصن الأمير يانس المتغرب ونرحل نحن الى بلاد اليونان على بركة الله تعالى وعونه فقالوا له نعم الرأى قال فعندها كتب الأمير عبدالوهاب الى ملك الروم منويل كتاب يقول فى أوله : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى قد عزمت على الدخول الى الحصون وسوف يكون إن شاء الله تعالى ما يكون من قدرة الله وصح عندى انك قد أجهدت فى خلاصهم فلم تجد لك قدرة وكان الأمير عبد الوهاب قد سأل الأمير أبو محمد البطال على ماذكر الملك منويل فقال له صدق أيها الأمير فان الأمر عظيم والخطب جسيم فهؤلاء بينهم وبين ملك الروم منويل حقود عظيمة وماهم ممن يطيعوه فقال له فى كتابه صح عندى ماذكرته وهاأنا عولت على الدخول فى هذه الأرض التى ذكرتها وسوف يصل اليك ما أعمل بأصحابها وسوف ترى إن شاء الله تعالى ما يسرك ثم طوى الكتاب وأنفذه الى ملك الروم فلما وصل الكتاب اليه وقرأه وفهم معناه فرح بذلك وأقبل على البطارقة وقال لهم وحق المسيح قد فرحت بذلك وسرنى هذا الامر لأن الكل أعداءنا ومن قتل منهما استرحنا منه إلاأن الامير اذا فتحها لايقيم فيها ويعود أمرها الينا وتصير أهلها تحت حكمى ولكن وحق المسيح لو كان مع عبد الوهاب عسكر بعدد النجوم ماوصل اليهم وماقدر عليهم ثم ان ملك الروم كتب للامير عبد الوهاب كتاب يقول فيه أيها الاميرالذى عولت عليه هوالصواب ولوكان من الامور الصعاب وان كان ولابد فعلى كل ماتريد من مال ورجال (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع عبد الوهاب مافى الكتاب قال للرسول قل للملك أنا ماأريد منه إلا رجل واحد يكون خبير بالأرض فقال البطال أيها الامير صاحب البيت أدرى بالذى فيه والله ان كل من فى الدنيا ما يعرف هذه الارض مثل معرفتى ولا يخبرها كخبرتى لأنى دخلت الى هذا المكان وأنا أخبر ببلاد اليونان فسير على بركة الله تعالى اللطيف الخبير فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يهون علينا العسير ببركة نبيه الكريم وآله وأصحابه أهل اليقين ففرح الامير بذلك الفرح الشديد لما سمع خطاب

الأمير أبو محمد البطال صاحب الأفعال الحسان وقال لأصحابه الرحيل يارجال يكون فى غداة غد انشاء الله تعالى وعليه تكالى وهو المعين ووصل الى الامير كتاب من عند مارس وأخيه دارس يعلموه أن الملك قدقال لك على الصحيح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء ياساده ياكرام . وأما ما كان من الإمام الرشيد فانه لما سار ووصل الى ملطيه ونزل عليها أمر بعمارتها فجمعوا الصناع من سائر البقاع وشرعوا فى البناء بكل ما أمكن من ذلك الايناع وبعد ذلك سار الخليفة الى بغداد ودخل فيها وجلس على كرسى خلافته وكان عقبة حاضر فى ذلك المجلس ونظر الى جعفر بين يدى الرشيد وكل أحد يتكلم على قدرمايشتهى ويريد ومن جملتهم الوزير جعفر ابن يحي البرمكى وقد تكلم فى حق الأمير بما يليق بأخلاقه الكريمة فصعب ذلك على الملعون عقبه ولم يستطع أن يسمع المدح فى حق الأمراء فنهض من وقته من مجلس الخليفة وقصد الى داره وقد صح عنده تعصب جعفر للامراء وانه رآه يشكر لهم الاحسان ويرد غيبتهم عند السلطان فقال وحق المسيح والحواريون لابد لى ما أعمل على هلاك البرامكة أجمعين ثم إن الملعون اتفق مع الفضل بن الربيع وزوّروا كتاب على خط جعفر البرمكى حتى انه اذا رآه لايشك فيه أنه خطه بيده ولم يزل الأمر الى الرشيد . والسبب فى ذلك أن جعفر كان له مملوك جميل الصورة يحمل الدواة وكان الغلام يحب جارية من بنات البغادده وكان ذلك المملوك لاينام ولايهدى من أجل تلك الجارية وأن عقبة طلب ذلك الغلام وأحضره بين يديه وقال له ماقولك فيمن يجمع بينك وبين محبوبتك التى تهواها وأحضرها فى أسرع وقت وأعطيك ألف دينار تفتح بها دكان وتستغنى عن جعفر وغيره فقال له قل لى ماحاجتك حتى أقضيها لك فقال القاضى إن قضيت حاجتى أقمت لك بكل ماذكرته ولك الأجر والثواب ثم ان الملعون حلف الغلام على ذلك وانه لايتأخرعن قضاءها فقال الغلام أنا أعلم انك صادق ولكن ماهى حاجتك فقال ياولدى تأخذ هذا الكتاب واذارأيت مولاك جعفر نزل من الركوبة وقلع عمامته ونام تجعل هذا الكتاب فى طيات العمامه بحيث لاتظهر على ذلك أحد فقال الغلام سمعا وطاعة اعطينى الكتاب وأنا أكون عندك آخرالنهار ثم أحدثك بما تختار فشكره عقبة على ذلك وقال له اعلم انك تنال بقدر حاجتى الثواب الذى هو أعظم من المال وأنفع من الرجال ثم ان عقبة أعطاه الكتاب فأخذه الغلام ومضى فلما كان آخرالنهار رجع الغلام الى عقبة وقال أيها القاضى هاأنا قضيت حاجتك فقال له ياولدى الآن وجب علينا حقك وإكرامك ثم انه أجلسه وأحضر

له الطعام وقال له ياولدى كل من طعامى حتى يكمل لك إكرامى فما أكل الغلام أكثر من ثلاثة لقم حتى نزل لحمه عن عظمه فأمر عقبة غلمانه أن يرموه فى الجب الذى عنده فى داره وكان عنده جب أوسع من مغارة وكان الملعون رمى فيه ناس كثيرة يزيدون عن ألف مسلم فرمى فيه ذلك الغلام وما طلع له خبر ولا وقف له أحد على أثر (ياساده) وركب الملعون من وقته وساعته وسار الى دار الخليفة ودخل على الرشيد فكانوا بنو برمك كلهم حاضرين وكذلك جميع أرباب الدولة فجلس اللعين عقبة عند الرشيد أقرب من الجميع ولما استقر به المقام تحادثوا ساعة فلما وجد عقبة له موضع الى الكلام دنا من الخليفة وقال يامولانا معى نصيحة ولكن ما أذكرها إلا بينى وبينك فى الخلوة فعندها نهض الرشيد قائما وقال للحاضرين كونوا على ما أنتم عليه حتى أعود ثم ان الرشيد جعل يتوكأ على كتف القاضى عقبه حتى دخلوا الى بعض الحجر وقال هات ما عندك ياقاضى فقال أنا مايحل لى أن أسكت عن نصيحة الامام وماحملنى الى ذلك إلا دينى وشفقتى عليك وعلى حريمك ومالك على من سوابغ النعم لأنه أمر فيه خراب وفساد وسفك دماء المسلمين وهتك حريم الموحدين فقال الخليفة وقد تغير لونه وما ذاك أيها القاضى الناصح الذى دائما يستعمل النصح ويسعى فى المصالح فقال عقبة اعلم يامولاى أن البرامكه جملتهم أربعة آلاف وقد بايعوا الظافر ابن الرضا الذى بخراسان وعولوا أن يسلموا اليه قصرك وأن يزوجوه بأهلك لأنه شكى الى جعفر أن عنده من السيدة زبيدة هوى عظيم وقد أجابه الى ذلك وجعفر ضامر على أنه يقلعك من الخلافة وقد نوى لمولانا كل آفة ولى بهذا الخطاب أكبر شاهد والرأى بعد ذلك اليك وقد أعرضت القصة عليك من شفقتى وسوف تندم إذا تمكنت منك السيوف المرهفات وخرجت نساؤك مهتكات حافيات (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلام عقبه طارالدم من أنفه وأخذه الفزع والجزع والرجفة والرعدة ثم قال أيها القاضى وفى دولتى من يخامر على ويوصل الأذية الىّ ويقطع أثرى ويسعى فى خراب قصرى فقال نعم ياأميرالمؤمنين فقال الرشيد أوقفنى على حقيقة الأمر فقال اعلم يامولانا أن العين الصافيـة أخبرتنى أن الوزير أتته كتب من عند الظافر وقد كتب جوابها وخبأ الجواب فى عمامته خوفا من أهل داره فلما سمع الرشيد ذلك صعب عليـه وكبر لديه وصار لايدرى مابين يديه وقال والله ياقاضى ان كان الأمر كما ذكرت فما أبقى على وجه الأرض من البرامكه أحدا أبدا ولا خليت منهم ولا ديار وأقطع منهم الآثار وأصلب جعفر على دجلة نهر بغداد وأخلى منهم الديار

لأننى قد خولته فى نعمتى وقلدته أمر دولتى يعمل على قتلى وهتك حريمى وعيلتى ثم ان الرشيد قال أيها الناضى ادخل بنا الى المحل الذى يقلعوا البرامكه فيه ثيابهم وعمائمهم فان كان الامر على ماذكرت فسوف ترى العجب ثم انهم دخلوا إلى الحجرة ولم يكن معهما ثالث ثم قال الرشيد لعقبه ياأبا الوليد فى أى العمائم الذى فى الحجرة فتقدم عقبه ولم يخف عليه موضع ثم انه أخذ عمامة جعفر وفك الطيات وقال فى هذه العمامة ياأمير المؤمنين فتش هذه العمامة ثلاث أربع طيات وإذا بالكتب قد ظهرت فأخذها وخرج إلى الخادم الذى على باب الحجره وقال له إذا تكلمت بكلمة واحدة وأعلمت بنا أحدا أننا دخلنا ههنا عجلت دمارك فقال يا مولاى سمعا وطاعه وسار هو وعقبه الى أن دخل إلى مكان خلوته وفك الكتاب وإذا به خط جعفر البرمكى فقرأه وفهم معناه فلما أتى على آخره فلم بقى يعى من الخوف والفزع وسار الرشيد يرتعد مثل السعفه فى الريح العاصف وقال لعقبه يا أبا الوليد اكتم هذا الأمر واحذر أن يعلم به أحد غيرك فقال سمعا وطاعه ثم ان الرشيد أتى لموضعه فنهضوا الحاضرين وجلس الرشيد وهو لايبدى جواب ولايرد على أحد خطاب وبعد قليل ركب جعفر ورجع الى داره وركب بعده عقبه ومضى الى دار الفضل بن الربيع وعرفه بما فعل فكاد أن يطير من الفرح وعلم أن عقبه قد عمل على ضرب رقاب البرامكه وكان الرشيد قد أعطى جعفر امارة خراسان يتصرف فيها كيف يشاء ويرسل اليها من أراد قال عبد الملك بن صالح رأيت هذه العطايا لانقضاء السعاءة وزوال النعمه عن البرامكه ولم يطلع على سره أحد يثق اليه ولا ممن يعتمد عليه ومع ذلك فانه لم يغير وجهه على جعفر وكان يزيد له فى الاكرام ويغمره بالانعام قال سهل بن هارون كنت فى الديوان أخدم الوزير جعفر البرمكى وكنت أقرب الناس اليه وكان يفشى لى سره ولا يخفى عنى أمره فلما كان فى بعض الأيام أنفذ الىّ وأتى بى إلى داره التى تسمى دار السرور فدخلت وقبلت يده ووقفت حتى أمرنى بالجلوس فجلست وتأملت فى وجهه وإذا عليه آثار السهر ولوائح الفكر فقلت له يا مولاى زاد الله انعامك ما لى أراك متفكرا فقال والله يا سهل كأنك بدولتنا وقد انقضت فقلت يعيذها الله من ذلك فقال يا سهل اعلم أننى البارحة صليت وقرأت وردى وانضجعت على فراشى فهتف بى هاتف وقال هذه الكلمات أيا ابن يحيى تأهب للنقمة وزوال النعمة فقد انطمست كواكب السعود ومضى الملك المعهود وتقدمت نحوكم الأهوال وزال حكمكم إلى الزوال وتمثل يقول هذه الابيات :

بنى برمك ولت نجوم سعودكم فأى زمان لى يعود يطيب
بنى برمك ان القلوب تقلبت وما الدهر إلا مخطئ ومصيب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام قال سهل فقلت يا مولاى هذه رسل من الشيطان وخطراته فنعوذ بالله من هذا الخاطر وادفع عنك شر هذا الشيطان قال سهل وأردت النهوض من عنده فمنعنى من ذلك وجعلت أحدثه وأسامره بقية ليلتى ويومى ذلك الى الليل فلما جن الليل نام وجعلت أكبسه ساعة من الليل وإذا به قد استيقظ وهو منزعج الخاطر فقلت يا مولاى أعيذك بالله السميع العليم ما الخبر فقال ياسهل ألم أقل لك ان دولتنا قد انقرضت وأنت تقول لا ففى هذه الساعة هتف بى هاتف وهو يقول هذه الأبيات :

بنى برمك حل الفناء بجمعكم ومضى زمان العز فهو قصير
ستخلو ديار العز من بعد جعفر وتندبكم أطلالكم وقصور

فقلت يا مولاى انك قد أشغلت قلبك بهذا الكلام وهذه أضغاث أحلام والله تعالى يخلد دولتك ويديم نعمتك فقد ملأتم الأرض عدلا وأوسعتموا على الناس كرما وفضلا ثم انى قمت وانصرفت من عنده وأتيت من الغد اليه واذا به قد ركب وسبق الى الديوان قبل الناس فقلت يا مولاى أراك اليوم قد سبقت فما الخبر فقال يا سهل ما قمت الا من ضيقة حضيرتى فان الدنيا ضاقت على ولم أجد شيئا يخفف عنى ما أنا فيه وأنا قد قمت وجئت الى ما سطر على جبينى أستوفيه فلا دافعا لما قضى ولا رادا لما حكم (قال الراوى) يا ساده يا كرام وبلغنى أن جعفر البرمكى خرج يوما من بعض الأيام أن يتصيد الى ناحية الديوان فنظر أمامه الى ظبية فتبعها وانفرد عن موكبه فلما اقتنص بها سمع هاتفا يقول هذه الأبيات :

أتطلب صيدا والمنايا تطلبك اما بليل أو نهار تعطبك
بجسر بغداد بجامعه يصلبك وليس فى الناس حبيبا يقربك

(قال الراوى) فلما سمع جعفر ذلك الكلام من الهاتف سكت وانكسرت نفسه وقال والله لا أعلمت أحدا بما سمعت ثم رجع من صيده واحتجب عن الديوان وبعث الرشيد يأمره بالركوب فبعث اليه يقول انه متوعك فأقام على ذلك مدة الى أن قام وكان يوم من بعض الأيام خرج الرشيد يتصيد ومعه مائة راكب من أرباب دولته وكبراء عشيرته فجاز فى طريقه على بستان قد أينع شجره وطاب ثمره وجنت دواليه وهب الهوى فيه وفاح نسيمه وطاب نعيمه وعلت أشجاره وتجاوبت أطياره وجرت أنهاره فقال يا قاضى لمن هذا البستان فقال يا مولاى هذا للوزير جعفر

البرمكى فسكت ثم مر على قصر قد شدت أركانه وأشرق بنيانه وعلت قبابه وابتهجت أبوابه وراشته مشرقه وشرار يفه عالية ومقاصيره مزوقة قد أحاط به السرور وبعد عنه كل محذور فقال الرشيد يا هـذا لمن هـذا القصر وكان الكلام للقاضى يحي كاتب الديوان فقال يامولانا انه للوزير جعفر فسكت ثم مر على قرى عامرات وبساتين ظاهرات ودواب سارحات فقال لمن هـذا فقال يامولانا للوزير جعفر وسار قليل فنظر الى قرية عامرة كثيرة المزارع خضرة المرابع فسأل الخليفة عنها فقيل له هـذه للفضل بن يحي أخو جعفر ثم سار قليلا فوجد قرية أخرى أحسن منها فسأل عنها فقيل هذه لموسى بن جعفر فحرك رأسه وسار إلى أن أشرف على قرية فوجد جدرها خراب فسأل عنها فقال هذه لولدك المأمون فسار فرأى قرية أشعث منها فسأل عنها فقيل هذه لولدك المعتصم بالله فحرك رأسه ثم سار إلى أن وصل إلى بساتين ومزارع وقرى خراب ليس فيها أحد من الأصحاب والسواد من الناس قدخرجوا منها وبعدوا عنها فقال الرشيد لمن هـذه البلاد والقرى الخراب فقال القاضى هـذه لمولانا الخليفة فقال والله لقد أفقرنا بنى هاشم وأسعدنا البرامكة فقال القاضى للخليفة والله يامولانا هل هو إلا قادحة من زنادكم وهل للعبد الا سيده والعوارى مسندة إلى أربابها وماهم الا غرس نعمتك وعبيد دولتك وقد علمت أن الرشيد ما تكلم هـذا الكلام الا من شدة الغضب فقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال الرشيد ياقاضى يحي أنتم تقولون ان البرامكة أقاموا دولتنا وشيدوا بنيانها فقلت يا أمير المؤمنين ما أقام دولتكم إلا الله تعالى فقال الرشيد يا قاضى انى أرسلت إلى جعفر مرارا وهو يقول أنا عليل فقلت يا أمير المؤمنين لقد دخلت عليه وهو متوعك البدن فقال ياقاضى أنت تدافع عنه والخرق يتسع قال القاضى فبينما نحن فى ذلك الحديث وإذا بغبرة نحو الدجلة قد قامت من ناحية نهر عيسى فوقف أمير المؤمنين لينظر ما تلك الغبرة وإذا بها قد انكشفت عن بزادره وكلابره وفهادره وصيد منقاد مع الغلمان وشىء على المناكب والجنائب قد ازدحمت بها الفتيان والمماليك والفرسان والوزير جعفر قد أقبل بجماعته والركيداريه من ورائه سائرين والناس من خلفه متقاطرين وقد انخطف لون الخليفة فقال ياقاضى أنت تحلف لى بانك رأيته متوعك البدن فقلت والله ياأمير المؤمنين ما حلفت لك الا صدقا ولعله وجد العافية وقد خرج يشاغل نفسه فقال الرشيد ياقاضى كان يجب على جعفر الخدمة والمودة أن يخرج معى ويجملنى بنفسه ومواكبه فانى والله الآن ما أجىء إلاربع ما خرج معه من العساكر والهيبة

والنظام وأنا ما خرجت الا كواحد من العالم فقلت يأمير المؤمنين ولعله ما علم أن مولانا يركت للصيد والقنص ولو علم كان أول من سارع الى الخدمة فحرك رأسه وقال صدقت ثم ان الرشيد تم سائر على حاله قال فعلمت ان الرشيد قد تغير طبعه على البرامكة ثم انه تصيد وعاد الى بغداد ثم ان الرشيد دخل الى قصره ولم يجتمع بجعفر ولا رآه قال القاضى يحيى وبات الرشيد فى قصره تلك الليله ولما ان كان من الغد أتانى خادما وقال يا مولانا أجب أمير المؤمنين فقمت وركبت وسرت الى أن وصلت واستأذنت ودخلت على الرشيد فوجدته على ظاهر القصر على مكان عالى فأذن لى بالصعود اليه فقبلت الأرض وجلست قال لى يا قاضى اكتم هذا ولا تعلم به أحدا فقلت وما هو يا أمير المؤمنين قال كيف ان جعفر فى يوم الصيد والقنص وهو فى مقدار الف فارس وأنا فى مائة يا قاضى أما رأيت صنيع البرامكة وفعالهم ولكن اكتم فقال سمعا وطاعه وتحدثنا ساعة ونهضت وكان جعفر له على أيادى جميلة فقصدت الى داره وقلت فى سرى على انصحه وكان الرشيد أخذ على العهدانى لا أتفوه بهذا الكلام لأحد وما ساعنى السكات عن جعفر فلما وصلت الى داره فاستأذنت فى الدحول ودخلت عليه فلما رآنى نهض الى واعتنقنى وقربنى وضاحكنى وقال لى ضيف عزيز قال فجلسنا ثم أكلنا وشربنا وتنادمنا ثم قلنا كلام الناس الماضية وأحاديث الأمم السالفة فقلت لما وجدت لكلامى طريق ياسيدى لى اليك حاجة قال لى تقضى فقلت له يا مولانا أأنت متوجه الى خراسان فليتك توهب لاولاد الخليفة بعض ضياعك البستان الفلانى والضعة الفلانية فيكون ذلك جميلا عنده فلما أن سمع منى جعفر هذا الكلام صار الضيائى وجهه ظلام وقامت عيناه فى أم رأسه وقال لى بالله عليك هل سمعت من الرشيد انه مد عينيه الى أملاكى وهى وقف على الفقراء والمساكين وأرباب الديوان فقلت وعينيك أيها الوزير ما عندى من هذا خبر فقال ياقاضى أظن انهقد تغير عقلك فاطرقت رأسى ولم أرد جواب ثم قال لى جعفر يا قاضى مادام ان بنى العباس يقوا يتطلعوا الى ما فى ايدى غلمانهم فمالنا حاجة بخدمتهم ولا يقينا نعاشر الاالعوام ونصير تجارو بزارين ونرجع عن هذا كله ونترك لهم هذه الضياغ والبساتين فقال القاضى فقلت له والله ماقلت لك هذا الا مما اعتقدته منك ومن محبتك لأولاد الخليفه ثم نهضت وخرجت من عنده وانالا أكاد أن انظر ما بين يدى وبت تلك الليلة فى بيتى ومن الغد اتانى بعض الخدم وقال لى أجب أمير المؤمنين فنهضت وسرت معه وسلمت عليه وقبلت الأرض بين يديه فرد على السلام بأحسن رد وقال ياقاضى يحيى ان الكبر قد غير عقلك فقلت لا وحياة راسك

يا أمير المؤمنين وقد علمت أن العين الصافية قد أعلمته بنا وأردت أن أجلس فى مكانى الذى هو معهود لجلوسى فيه وإذا بالرشيد حرك رأسه والتفت إلى وقال لى يا قاضى حيثما أن بنى العباس بقيت تنظر إلى مافى أيدى غلمانهم مابقى إلا عشرة العوام ونترك لهم البساتين والقرى قال فقلت فى نفسى والله إن للخليفة على جعفر عيون يحدثوه بكل ماهو فيه ثم قال لى ياقاضى تقدم إلى عندى وطل فى هذا الروشن قال فأتيت إلى عنده وطليت من الروشن فأجد بيت الوزير جعفر تحت ذلك الروشن واحدى الاسطبلات قدام روشن الخليفة فقال لى الخليفة انظر الى خيل الوزير جعفر وهى على الطوائل ورؤسهم إلى عنده وأكفالهم إلى عندى وهذا شيء لا يفعله جعفر إذا كان جاره جندى والله إنه أكثر خيلا منى وأزيد عليق بطواله زائده عنى فقلت والله يا مولانا ما هو إلا عبدك وغدى نعمتك ولو وصل الى ما وصل فانه غلامك قال فسكت الخليفة على مضض (وقال) وكان للرشيد خادما رومى يسمى قمر وكان جعفر يحبه ويقربه ويدنيه فلما علم الرشيد ذلك قال للمملوك إنى أريد أهبك للوزير جعفر لامر أريده منك وهو أنه يقربك ويدنيك ويقم بك على أبناء عمه وأقاربه وأرباب دولته فاذا سمعت شيئا من أخبارهم فارسل اعلمنى به فقال المملوك سمعاً وطاعة بسم الله يا أمير المؤمنين وهذا كان سبب نقل الأخبار قال القاضى يحيى فبينما أنا جالس يوما عند الرشيد إذ وصلت اليه رقعه من قمر الخادم فلما قرأها وعلم ما فيها تمر مرت عيشته وقال ياقاضى أخرج من دارى بغير مطرود فخرجت وأنا أتعثر فى أزيالى وما أصدق بالنجاة ولم أدرى مافى الرقعة وكان ذلك فى يوم الاربع وجعفر برز خيامه وهو على نية الرحيل إلى بلاد خراسان وخيامه مضروبة على النهر فلما كان يوم الخميس قال الرشيد يامسرور ائتنى بجعفر فمضى مسرور الى أن أتى الى جعفر وقال له يامولاى أجب أمير المؤمنين فنهض جعفر وسار اليه فلما نظر الرشيد اليه قام قائما على قدميه ولم يزل يقربه ويدنيه حتى صار معه على كرسى الخلافة فضمه الرشيد إلى صدره وقبله فى وجهه وأجلسه فلما استقر به الجلوس قال يا أخى أمس ركبت الى الصيد والقنص وماكنت معى ولقد أوحشتنى لا أوحش الله منك فقال له الوزير ما منعنى إلا الكسل فى بدنى فقال الرشيد يا أخى انى اصطدت ظبية وأريد أن تذبحها فقال يامولاى أنا ما ذبحت قط فقال بحياتكم الا تذبحها بيدك فقال جعفر على بالظبية والطشت فأحضروها بين يديه فدنا جعفر من الظبية وتشهد وذبحها فضربت بيديها ورجليها فجاء من دمها نقطة على خد جعفر فنهض الرشيد من موضعه ومسح الدم بكفه وقبله موضع الدم ثم جلسا

فقال جعفر يا أمير المؤمنين قد عولت على المسير فى غداة غد فقال يا أخى لا تسافر غد فان السفر فيه صعب لأنه فيه ساعة مذمومة ولكن اصبر حتى أنظر لك طالع سعيد فقال جعفر سمعا وطاعة وتفرقت الناس وعاد جعفر الى داره فصبر الرشيد حتى جن الليل قال مسرور فدعانى اليه وكانت ليلة الجمعة فدخلت وقبلت الأرض وإذا هو فى بعض الحجر وعلى بدنه بدلة حديد وعلى رأسه تخفيفة بولاد وعن يمينه وشماله نحو مائة مملوك من المماليك الخواص ومائة من الأتراك كلهم بصدور الزرد وبأيديهم السيوف والعمد والرشيد جالس على ركبته فلما حضرت قبلت الأرض وقد هالنى ذلك وراعنى ما شاهدت فلم أجسر أن انطق بحرف واحد فقال ويلك يامسرور انهض من وقتك هذا واضرب فى وسط القصر قبة الأديم وافرشها بالرماد ووكل بها ثلثمائة غلام من أصحاب النوبة يكونوا لابسين السلاح وعد الى سريعا فقال مسرور سمعا وطاعة ثم انه بادر الى مابه رسم من الأشغال وعاد اليه قال مسرور فلما رآنى قال لى هل فعلت فقلت نعم يا أمير المؤمنين فقال للغلمان تفرقوا من حول الحجرة ففعلوا ذلك فقال يامسرور من أنا فقلت يا أمير المؤمنين أنت هارون الرشيد ابن الهادى ابن المهدى أخو المنصور أخو السفاح بن محمد بن على بن عم محمد صلى الله عليه وسلم فقال وحق اتصالى من حمزه وعقيل لئن لم تفعل ما أمرتك به لآخذن ما بين جنبيك فقال مسرور وقد قبلت الأرض وقلت أعوذ بالله من غضبك يا أمير المؤمنين ومن مخالفتك فقال اذهب الساعة الى دار جعفر واجهد نفسك فى الاجتماع عليه فاذا وصلت بين يديه قل له الساعة قد وصل شريطة البريديه من بلاد خراسان ونريد أن تحضر حتى تنظر مافيها فاذا اعتذر اليك فتلاطف به وافتح له باب المجيء ولا تخليه يركب فأنا أعلم أنه مايجيء الا ومعه عالم عظيم من خواصه وتكون قدمت الوصية الى البوابين بأن يقطعوا قوم جعفر بين الأبواب حتى يصل الى القصر فاذا وصل اليه احمله الى القبة واضرب رقبته وائتنى برأسه واياك أن تخلى مما ذكرت لك لفظة أو تستأذن مرة ثانية آخذ ما بين جنبيك قال مسرور فابيض وجهى واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ولا أمكننى المخالفة ولا المراجعة فخرجت من حضرة الرشيد وطلبت دار جعفر وكان الوقت بعد نيام الناس واستأذنت اليه فقيل لى أنه قد رقد فقلت لا بد من الاجتماع به ثم انى هجمت عليه وكان لى بذلك عادة عليه وهو على أى حالة كان ولما وصلت اليه وجدته نائما والى جانبه خادما كان الرشيد أهداه له وجعله عينا عليه وهو لا يعلم فسلمت عليه فرفع رأسه الى وقال ماحاجتك فقلت يامولاى أجب أمير المؤمنين فقال سبحان الله

بقينا مثل جن سليمان بن داود تخدم الليل والنهار فقلت يامولاى خريطة البريدية من خراسان وصلت وأمير المؤمنين يأمرك بالسير اليه حتى يقف على مافيها من الأخبار ولم يشك جعفر فى كلام مسرور فنهض ولبس ثيابه ووضع عمامته على رأسه فتخبلت ثلاث مرات فقال ياترى ما هذا الفال الميشوم ثم وقعت الرجفة فى الدار فركب لركوبه مائة غلام وساروا فى خدمته فقال مسرور سبقت أنا واثنين الى البوابين وأوصيتهم بما تقدم ذكره من أمير المؤمنين وقعدت فى انتظاره ولما وصل إلى الباب الأول مسكوا من غلمانه جماعة وكذلك فى السبعة أبواب فما وصل معه الى القصر إلا ثلاث غلمان منهم حامل الدواة والذى ماسك ركابه والذى ماسك بشكيمة البغلة ونظر جعفر الى القبة الأديم والشموع والمشاعل تقاد من حولها والسيف مجرد مصلت فقال الوزير ماهذا يامسرور فقال مسرور لا أدرى يا مولاى سر بنا حتى ننظر ماهذا فأحس قلبه بالبلية وقال مالى الى ذلك من حاجة فقال مسرور يامولاى لا بد لى من ذلك ثم انى مسكت شكيمه البغلة وقدمتها الى ناحية الخيمة فقال الوزير يامسرور لى عليك حق الصحبة ولى عليك احسان وأنا أعطيك فى هذه الليلة مائة ألف دينار واذهب وخلى سبيلى فى هذه الساعة فانى ما أظن أنها ساعة خير فقال مسرور يامولاى وايش ينفعنى المال والذهب اذا شربت كاس العطب مالى الى ذلك سبيل هذا وقد تواثبوا اليه الغلمان ورجلوه عن البغلة وقبضوا على الغلمان الذين معه فقال جعفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم قال يامسرور بحق الصحبة الا ما سلمتنى الى هؤلاء الغلمان ومضيت الى أمير المؤمنين وقل له يا أمير المؤمنين قد فعلت الذى أمرتنى به فان رأيت ذلك صعب عليه واسترجع فى نفسه وأمره وقد قال لك ليتك كنت أمهلت عليه فقل يا أمير المؤمنين قد فعلت ذلك وان قال أرنى رأسه فعد الى وافعل ذلك قال فعند ذلك بكى مسرور واسترجع الى الله تعالى ووكل به الغلمان وعقل السيف مكانه وسار من وقته وساعته ودخل على الرشيد وقبل الأرض وقال يامولاى قد فعلت ما أمرتنى به فى حق جعفر فقال قتلته قلت نعم قال ائتنى برأسه قال فرجعت ودموعى جارية على خدى وعلمت ان هذا الأمر لا بد منه قال فدخلت على جعفر فرأيته راكعا ساجدا يتضرع إلى الله تعالى فأتيت وراء ظهره وصبرت عليه الى أن رفع رأسه من السجود وضربته أطحت رأسه عن بدنه ووقعت مغشيا على ولما أفقت أخذت الرأس ووضعته فى طشت

وحملته الى أن قدمته بين يدى الرشيد فلما رآها صرخ صرخة عظيمة وغشى عليه فلما أفاق أشار الى الرأس يخاطبها ويقول ويلك ياجعفر ما الذى فعلت معك من القبيح وجازيتك وقاسمتك نعمتى واخترتك عن دولتى وتآمر على وتفعل كل قبيح ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد وجعل يكرر القول فى ذلك مرارا وبعـــد ذلك قال يامسرور ائتنى بولدى محمد الأمين ابن زبيده فلما حضر قال له ياولدى قد أعطيتك دار الفضل أخو جعفر بما فيها ثم قال على بولدى المأمون فلما حضر قد قال أعطيتك دار يحيى بما فيها ثم قال على بولدى المعتصم فلما حضر قال قد أعطيتك دار جعفر بما فيها ثم أمر بيحيى والفضل أن يحبسوا فقبضوا عليهم وثقلوهم بالقيود والأغلال وأقبل على مسرور وقال ويلك اركب فى هذه الساعة واقصد الى النهـــر واحتوى على سرادقات جعفر وتركته وخزائنه وتقتـل جميع ماهناك من البرامكة وأمر العساكر بالعودة فقال مسرور سمعا وطاعه ثم انه فعل ما أمره الرشـــيد ورد العساكر والرجال واحتوى على الأموال وكان الرشيد من وقت ما عول على قتل جعفر أنفذ الكتب الى سائر الأماكن أنهم فى الليلة الفلانية يقطعوا أثر بنى برمك ففعلوا ذلك ولم يأتى يوم الجمعة حتى قتلت البرامكه وهرب من هرب واختفى من اختفى ثم أمر الرشيد أن ينصب جزع خشب على طريق الجسر ويصلب عليه جعفر ويوكل به أربعة وعشرين عريفا من أرباب المصالح مع كل عريف عشرون رجل يحفظوه ليلا ونهارا وأنفذ اليهم وصية ان كل من حضر الى جعفر وبكاه أورثاه لا يستأذن عليه وأمرهم أن يكونوا مرتبين نوبة بالليل ونوبة بالنهار ونادوا فى البلدان من رثا البرامكه ولو بنصف بيت من الشعر وبكى عليهم لا يشاور عليه ولو كان مهما كان فلم يجسر أحـــد أن يذكرهم وأقام يحيى وولده الفضل فى المطمورة يتقلبان فى القيود والأغلال ليوم من بعض الأيام قال للسجان يا هذا قد اشتهيت عليك شهوة قال وما الشهوة ياسيدى قال تطبخ لى سكنبياج ثم ان السجان طبخ له سكنبياج ووضعه فى قدح وقدمه بين يديه وكانت يداه مغلولتان فمد يده وهو فى الغل وغمس لقمة واحدة فانقلب القدح فقال السجان وهو يبكى والله قد حسبت هذا الحساب لاننا طبخناه سبع مرات وهو يتبدد نوبة انكسر الماعون ونوبة وقع من على النار ونوبة اندلق فقال يحيى صدقت ياهذا لأن العتب والملام على الزمن بل انى أريد من إحسانك أن تأتينى بقطعة كاغد ودواة حتى أكتب الى الرشيد ورقه فقال السجان واذا أنت كتبت الورقه من هو الذى يوصلها اليه قال

المطلوب من احسانك أن توصلها الى مسرور يوصلها الى الرشيد فقال السجان سمعا وطاعه فأحضر له ما طلب وكتب رقعتين واحده صغيرة والآخرى كبيره وسلم الصغيره لولده الفضل وقال ياولدى اذا قضيت نحبي ولحقت بربى فلا بد أن يحضرك الرشيد بين يديه ويقول لك بم أوصاك أبوك فقل له أوصانى بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فيقول لك وبماذا تقول فى هذه الورقه فان قال لك وأين الدفاتر والذخائر فقل له لاعلم لى ثم دفع الرقعة الأخرى الى السجان فمضى بها الى عند مسرور فما وجده فجلس السجان الى أن أتى مسرور من خدمة أمير المؤمنين ولما أن أقبل نهض اليه وسلم عليه وسلمه الرقعه فقال له من أين هذه قال من والد جعفر ثم حملها الى الرشيد فأخذها وقال ما هذه يامسرور فقال يامولاى من عند يحيى بن خالد البرمكى فقرأها الرشيد واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين وابن عم خاتم النبيين الغل قد آلم يدى والسلاسل قد أوهنت جلدى والا نتحاب قد اقلقنى لاسيما فقد الولد وانهدم ركنى والسند وأنا بقيت شيخ كبير وولدى الفضل كالغصن الرطيب وقد أصبحت بعد الكثرة قليل وبعد العز ذليل فبحق آبائك الطاهرين واتصالك من حمزه وعقيل وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ما تعطفت علينا برأفتك وتصدقت علينا برحمتك وأعتقتنا وتطلقنا من سجنك حتى نسكن فى بعض المساجد فما بقى فى العمر قدرما مضى فقد أخذت المسألة حقها وعوقبت النفوس بما تستحقها وان كان ولدى جعفر قد عامل عليك فقد لقى غب ما فعل والانسان مركب على الخطأ والذلل ورثاه ببعض أبيات (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم رمى الرقعةالى مسرور وقال ردها الى صاحبها فأخذها وأتى بها الى السجان ورجع السجان بها الى يحيى فلما قرأها بكى بكاء شديدا وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وما لبث بعد ذلك الا أربعة أيام وتوفى الى رحمة الله تعالى فطلع السجان الى مسرور وأعلمه فمضى مسرور وأعلم أمير المؤمنين بموت يحيى وأنه لحق بربه فقال اذهب الى السجن وادفنه فى المطموره بالجبة الصوف والقيود والاغلال وأتنى بولده الفضل فقال سمعا وطاعه ثم مضى الى يحيى وواراه التراب بالحديد وأقبل على الفضل وقال لهأجب أمير المؤمنين فنهض الفضل فلم يقدر مما حل به من الكرب والهموم فأجلسه مسرور فى صحفة لطيفة وحملوه الغلمان ووضعوه بين يدى أمير المؤمنين فلما رآه الفضل جعل يتقلب ويقبل الأرض فقال له الرشيد بما ذاك أوصاك أبوك فقال أوصانى بقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال وبماذا قال بما فى هذه الورقة قال وأين الورقة قال هاهى

يا أمير المؤمنين وأراد أن يخلصها من جيب الجبة فلم يقدر على ذلك من الغل والحديد فقال لمسرور تناول الرقعة منه وفتحها فرأى فيها هذه الأبيات

ألا وأبيك ان الظلم لؤم ومازال المسيء هو الظلوم
ألا يابائعا دنيا بدين بظلم لايدوم له نعيم
تروم الخلق فى دار المنايا وغيرك دام مثلك ما تروم
ستعلم يارشيد إذا التقينا غدا عند الا له من الظلوم
وينقطع التردد من أناس أداموه وتنفصل الخصوم

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الرشيد ذلك قال يا عبد الله أما تسمع كلام يحيي بعد الكال ثم أنه أشار الى مسرور وقال اخرج بالفضل إلى برا القصر واضرب رقبته وأتيني برأسه فنهض عبد الملك بن صالح وقبل الأرض وقال بآبائك الطاهرين يا أمير المؤمنين لاتذيق الفضل طعم الحديد ورده فى السجن على ماكان عليه فعند ذلك أمر به إلى المطموره (ياساده ياكرام) الا أن الفضل ما أقام بعد أبيه إلا ثلاثة أيام ومات رحمة الله عليه فبلغ الرشيد ذلك فأمر بدفنه عند أبيه فى المطموره ومضت على ذلك أيام وفى قلوب أهل بغداد على قتل البرامكة أمر عظيم وخطب جسيم الا أنهم لايذكروهم ولايرثوهم ولا يندبوهم ولا بكلمة واحـــدة وجعفر مصلوب على طريق الجسر يحرسوه الرجال ليلا ونهار خوفا من سارق وإذا قد أقبل رجل شيخ مليح الشيبة حسن الهيبه طيب الرائحة عليه أثواب جميلة وتحته بغلة بمركب ذهب يقصر عن وصفها ألسنة العرب فوقف بازاء جعفر وبكا وتحسر وقال رحمك الله يا جعفر ورضى عنك وأرضاك وجعل ما نقلت اليه خيرا مما كنت فيه وكان من قطع جرثومتكم وتجارأ عليكم فلقد أساء فو الله لقد مات الفضل والجود والكرم فيجمعنى الله واياكم فى محل قدسه ورثاه بأبيات (قال الراوى) فلم يستتم كلامه حتى وثبوا اليه الغلمان وقبضوا عليه فوجدوا تحت ابطه الايسر شيء أبيض فتأملوه وإذا هو كفن فساروا به عند الخليفة ودخل بن الرضى وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين قد جرى كذا وكذا ثم شرح له القصه وما قاله الشيخ فقال على به فأحضروه فقبل الأرض وسلم سلام الخلافة فرفع الرشيد رأسه اليه وهو مغضب الوجه وقال ياشيخ أما سمعت النداء فى حق البرامكة ومن يرثيهم بكلمة واحدة من الشعر قال بلى يا أمير المؤمنين فاغتاظ عليه أكثر من أول فقال له فما الذى حملك على ذلك فقال الشيخ والله يا أمير المؤمنين ما بقى لى رغبه فى الحياة ولا فى النجاة وقد هانت على المنيه من

بعدهم فقال الرشيد وحق آبائى الطاهرين توضح لى عن أمرك وما فعلوا البرامكة فى حقك وتوضح لى حجة تنجو بها والا ضربت رقبتك فقال الشيخ يامولاى ينبغى لك أن تخلى ثلاثة قال وماهى الثلاثة قال سمعك وبصرك وذهنك حتى أذكر لك ماجرى لى مع جعفر بن يحيى البرامكى فوالله لو كتب بماء الذهب لكان عجب فقال له الرشيد قل وأوجز ياشيخ فقال اعلم يا أمير المؤمنين انى رجل من أهل البصرة وتوفى أبى ولى من العمر عشرين سنه وخلف لى ضياع وبساتين وبضائع تساوى ثلاث مائه ألف دينار ومسقفات وشجر بخمسمائة ألف دينار وأنا مع ذلك مولع بالأكل والشرب مع الرفقاء والأصحاب والأقارب والأحباب فأقمت على ذلك مدة من الزمان ليوم من بعض الأيام وأنا جالس فى بعض القصور ومعى عشرة من أصدقائى وندمائى ونحن فى ألذ مايكون واذا ببعض الأصدقاء التفت الى وقال لى ياسيدى كنا نحب أن نصطبح فى بعض بساتينك فقلت سمعا وطاعة ثم أوصيت من الليل أن تطبخ لنا الطباخات الحلويات وأن يعملوا لنا مقام فى البستان وعلقت التعاليق فى الأشجار وزينت أبدان النخيل بأنواع الديباج وملئت البركة بماء الورد وكانت البركه طولها عشرة فى عشرة ولها أربعة أركان على كل ركن أسد من النحاس وماء الورد يجرى من أفواهها وأحداقها وآذانها ثم نظرت الى تلك البركه والأشجار محملة من الثمار والنخيل كلها كأنها العرايس المجلية والماء يتدفق من السواقى وعلى ظهر السباع أربع أساطين وعليهم قبه من الأبنوس وأخذنا فى الأكل والشرب الى أن جن الليل واشتعلت الشموع ومضى ثلث الليل الأول فأظهرت رأسى من التنبه رأيت ألوانها وزرقها والكواكب وزهرتها فافتكرت قول القائل :

يا طالبا لذة هـــذه دنياكم   لو أنها بقيت على الانسان

(قال الراوى) ثم قال يا أمير المؤمنين وابن عم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين فعندها يا مولانا أخذ الفكر عقلى على عشائرى وأهلى بما أنا فيه فكرى والناس عندى أقرانى من أيام الصبا فقالوا سبحان الله ما فى الدنيا أحسن من هذا المكان إلا أن يكون فى الجنان وهل أحد مثلنا فى انتهاب اللذات واغتنام الأفراح والمسرات فقال واحد من الجماعة لو رأيت ياسيدى الى خراسان وبساتينها وأنهارها وأشجارها لنسيت الدنيا وما فيها ورفعتها بما عليها وقال الثانى وقد أسرع فى كلامه ولو ترى يا سيدى الجنة الصغرى وهى دمشق الشام وأنهارها وأزهارها وأثمارها وبساتينها لقلت ما خلق الله الا هذه البندر وليس فى الدنيا مثلها لأحد فقال الثالث فلو رأيت الى الرحبة وما فيها من المسرة

واللذة ولم يزل كل واحد منهم يصف لى بلد إلى أن وصف لى منهم تسعة أشخاص وبقى الآخر العاشر مطرق برأسه الى الأرض لايعيد ولايبدى فقلت له ويحك يافلان أنا ما سافرت أصل فى طول عمرك فرفع رأسه وقال ل ماأقول ما سافرت وما أنا إلا سافرت وان هؤلاء ماشاهدوا مثل ماشاهدت وكلامهم كله هذيان ولكن عليك بجنة الدنيا الموجودة التى ليست مفقودة الشريفة على جميع البلاد وهى بغداد وعيشك ياأمير المؤمنين لقد نظرت الى التسعة التى وصفوا لى البلاد وهم قد أطرقوا برؤوسهم الى الأرض فقلت لهم مالكم قدأطرقتم رؤوسكم فقالوا لى نحن وصفنا البلادوماوصفنا الجنان فان العشرة وصفوا الشط والشباريات والرواشن المثقلات والبستاتين والأغانى والمطربين ودار النجار والبرامكة وعشرتهم وطيب أخلاقهم وصحبتهم للغرباء وقال أحدهم والانتفاع فى البصرة لأن فيها مائة نهر وبغداد فيها نهر واحد يقال له نهرعيسى مايرى مثله إلا ان كان بحر مصر فتعلق قلبى بذلك وقلت لهم قد تعلق قلبى بماذكرتم من بغداد وأهلها وقد أحببت أن أقيم فيها ولو شهر من الزمان فقالوا لى الجماعة ما لتقادر عذر لأن الله قد أعطاك المال وماذا يعيقك ؟ فقلت لهم اليوم مضى وغدا لله الأمر وعند الصباح شرعنا فى أمر السفر وتجهيز ما يصلح حمله الى بغداد وأحضرت الوكلاء وأمرتهم أن يشتروا لى الحبوب وغيرها من البضائع وأول الشهر الثانى نزلنا فى الشباريات وسرنا الى وادى العراق أقمنا فيه خمسة أيام وفى اليوم السادس سرنا نطلب مدينة السلام بغداد فما مضى إلاأيام قلائل حتى وصلنا الى بغداد فقلت لبعض أهلها دلونى فى أى موضع تسكن فقال إن أردت العصبة والمروءة والمكرمة ومحبة الغريب فعليك بحارة الكرج وأتوا الينا الحمالين فحملوا كل ما معنا الى الدكاكين للمبيع وقصدنا درب الزعفران أكرينا فيه منزل كل يوم بدينار واشترينا فرش وطرح لابد منها وآنية ثم أمرت وكلائى يقبضون حق ماصحبنى من البضائع وأنا وأصحابى مشغولين فى الأكل والشرب والاصطباح وبعد أن مضى علينا شهر قلت لأصحابى كأننا مابرحنا من مكاننا لأننا ماأتينا بغداد إلا لمباشرة أهلها والدوران فيها وفى حاراتها وأزقتها فقال واحد من الندماء يامولاى بعد شهر تنظر العجب قلت وما هو العجب قال لى يأتى عيد النصارى يقال له عيد أشمونيا يشربون المدام فى السفن الكبار والصغار والبنات الأبكار كأنهن الأقمار ويقعدون ثلاثة أيام فننزل نحن فى بعض ونتفرج ونتقرب فقلت هذا مايفيد كما قال القائل حيث قال :

يقولون فى قابل نلتقى ... فمن لى أن أعيش الى قابل

ياأمير المؤمنين ثم اشتاقت نفسى اليهم والى النظر لهم فمضيت عند الصباح الى الحمام ولبست بدلة نفيسة ومضيت الى السوق صادفنى رجل وفى يده قضيب وثوب انطاكى مشدود الوسط بمنديل شرب مقصب مذهب وعلى رأسه عمامة نهزوانى عجيب وفى يده قضيب خيزران مقمع بفضة فوقعت عينى عليه فقال لى أهلا وسهلا ومرحباً ياسيدى أبا الحسن فلقد آنست تلك الديار ياابن السادة الأخيار ثم وضع يده فى يدى فالتزمته ورديت سلامه وقلت له من تكون فقال لى أما تعرفنى فقلت له اللهم لا قال أنا غلامك أبو محمد النحاس وأنا أسأل الله وأسألك أن تحضر عندى حتى أتشرف بك وأخدمك فلقد والله شرفت بغداد بقدومك فتبينته واذا به رجل كان كل سنة يأتى الينا بالجوار ولما عرفته قلت بسم الله فسار وأنا معه إلى أن أتى به الى حجرة فى ضرب المقراطيس ودخلت الى الدرب وغلق الباب وقدم الى كرسى من الحديد الصينى مطليا بالديباج منشى بميشاق القز من الحرير فجلست عليه وأمر أن ينصب لى كرسيا ثانيا ثم أشار بيده الى خادم عنده وقال يانجاح هات ماعندك لسيدك من التحف فغاب العبد ساعة وعاد ومعه جارية تقصر الألسن عن وصفها وكمالها ودلالها وتقصر الأوهام عن بعض مافيها من الجمال والبهاء والكمال وأشارت الينا بكمها وطرفها فردينا عليها سلامها ثم جلست على كرسى من العاج مصفح بالذهب الوهاج ولم يزل اليها النحاس حتى رفعت الخمار من على وجهها فنظرت الى صورة بديعة فقال لها النحاس بسم الله ياسيدتى فوضعت أصبعها فى صماخ أذنها وغنت لنا أبيات وبعد ذلك أتاها الخادم بعود محكوك ومبرود صنعة بلاد الهند ووضعته فى حجرها ولمته الى صدرها وجبست أوتاره فأذابت القلوب والاسرار واندفعت تغنى من نغم سيكا من هذه الأبيات :

فقلت لها إما غد أو متى أو فى غداة غد ... فنا البيت يا هذا
وأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... وردا وعضت على العناب بالبرد
بدر اذا نظرت للشمس ماطلعت ... من بعد رؤيتها يوما على أحد
كأنها بين كاسات الجفون لها ... أسد الحمام مقيمات على الرصد
وخافتنى طرفا وهى قائلة ... قفوا انظروا كيف أهل الذل والوجد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فبينما نحن كذلك واذا بالباب يطرق فنهض النحاس وفتح الباب واذا بجماعة من أهل بغداد وهم تجار ثم أن واحد منهم قال نحن من المغضوب عليهم ليتنا ماحضرنا فأخذت العود واندفعت تقول :

تذلل لمن تهوى فتكسب رفعة فكم رفعة قد نالها المرء بالذل

وأعجب من ذا عاشقاً متنكرا يخاصم من يهوى ويطمع بالوصل

(قال الراوى) فكان غناها بلذات وطرب وحلاوة وضرب أوتار فوالله يا أمير المؤمنين لقد حصل لنا من الطرب ما غيبنا عن الوجود هنالك نهض النخاس على الأقدام وقال اعلموا ياأصحاب الاموال أن هذه الجارية معها جاريتين برسم مطلوبها ومع كل جارية صندوقان متاع ومصاغ وثياب بمائتان دينار وكل ذلك معى فيه ألفين دينار فمن معه زيادة فليتكلم فقلت له ومائة فقال الآخر وأربعمائة فقلت أنا وخمسمائة دينار فقال النخاس بعتك يامولاى فقلت لعبدى امضى وائتنى بالمال فمضى فى عاجل الحال وأحضر المال فوزن له الألفين وخمسمائة دينار وفرقت على غلمانه مائة دينار وأتيت بها وجوارها الى منزلى وأنا من محبتى لها ذاهل عقلى وغائب لبى وكنت قبل خروجى من المنزل قد أمرت باحضار الشراب وأقمنا ذلك اليوم معها فى أكل وشرب وأنا فى ألذ عيش وأهناه الى أن أمسى المساء ولما جنّ الليل تقربت منها لأقضى منها وطرا فقالت يامولاى ابعد عنى واحفظ راسك فقلت لها انت مجنونة أخذتك بمالى وتقولى لى احفظ رأسك فقالت يامولاى ماأنا كارهة لك ولكن أنا أعرفك بقضيتى أنا جارية الوزير جعفر بن يحي البرمكى وأن زوجته ربتنى وعلمتنى هذه الصناعة والأدب وقرأت القرآن وفى بعض الأيام هجم على الدار الوزير جعفر على غفلة منا فرآنى وتحقق صورتى فتعلق قلبه بى فسأل عنى فقيل له انها جارية زوجتك فأرسل اليها يطلبنى منها وألح عليها فى الطلب فنالها منال عظيم ومن غيرتها منى أرمتنى الى النخاس وأمرته يبيعنى ولو بدرهم واحد فجرى على ماجرى وهذا حديثى وأنت غلام غريب وربما الوزير مايصبر عنى فاصبر عنى شهر من الزمان فاذا لم يطلبنى فأنا بين يديك وان طلبنى ووجدنى بكر عذراء فيكون أحسن وأجمل وتحظى أنت عنده بالجميل لأن الوزير جعفر لم يضيع عنده المعروف أبدا ولو كان بعد حين فعند ذلك ياأمير المؤمنين صبرت شهرا وطلبتها فقالت اصبر شهر ثانى فصبرت فسألتنى شهر ثالث وبعد الثلاث شهور قلت لها هذا منك محال أو مكر أو لك عن اشتغال فقالت والله ياسيدى ما قلت ذلك إلا شفقة عليك منى والآن فأنا بين يديك وأنا جاريتك وبحكمك فيا أمير المؤمنين دخلت عليها فرأيتها بكرآ عذراء فأقمت معها مدة واشتقت الى أهلى ووطنى فشاورتها فى

الانحدار إلى البصرة فأجابتنى الى ذلك فأنزلتها فى شبارة ونزلت أنا ومن معى فى شبارة أخرى وسرنا من بغداد الى أن وصلنا البصرة فالتقونى أهلى واخوانى وصعدنا الى القصر الذى لنا وديارنا وظهر حمل الجارية ففرحت بحملها فتصدقت وأوهبت وأقمت أربع شهور أخرى واذا ببعض غلمانى دخل علىّ وقال لى يا مولاى على الباب خادم يستأذن عليك فأذنت له ولما دخل على قال لى أجب مولاى محمد بن سليمان الزينى فقلت سمعا وطاعه ونهضت من ساعتى لبست أثوابى وخرجت معه حتى وصلت الى دار المتولى فسبق الخادم واستأذن لى فأذن له ولى فدخلت وسلمت على محمد بن سليمان الزينى فرد على بأحسن رد وقال لى يا فتى قد قيل لى عنك أن معك من بغداد جارية ما فعل الدهر بها فقلت له يطول عمر مولانا نعم وصلت معى ووضعت وماتت الى رحمة الله تعالى فقال لى ارجع فى دعة الله وبعد ثلاثة أيام كبس دارى وصار معى أكثر من مائة غلام بالسيوف المجليه فوضعوا منديلى فى رقبتى وأخذوا الجارية ووالدتى وأختى وأنا وصاروا بنا الى بغداد ولم يزالوا سائرين حتى وصلنا الى دار جعفر فدخلوا بالجارية ووقفت أنا ووالدتى وأختى على الباب ولم يبق معنا من الغلمان أحد فقالت والدتى ويلك الموكلين بنا تركونا وفارقونا ونقف نحن حتى يأخذونا ويهلكونا فقلت اتبعينى أنتى وأختى على الجسر فقاموا وسرنا الى القنطرة فصادفت القافلة دخلت فى ذلك اليوم فسرنا معها وسمعناهم يطلبون الرحبة فسرنا ساعة وتوارينا معهم فحنوا علينا أهل القافلة فحملونا وأطعمونا الى أن وصلنا الى الرحبة فقلت لأمى دعينا نقيم ههنا نأخذ الراحة من مشقه التعب فدخلنا الى البلد وأوينا الى بعض المساجد ومكثنا يومنا وليلتنا لم نستطعم بطعام فقلت لأمى قد أحل الله لنا أكل الميتة قالت يا ولدى أخرج الى البلد عسى أن يفتح الله عليك بشىء نأكله فخرجت من عندهم ودرت الى البلد فلم أستحسن أطلب من مخلوق فدخلت فى بعض الشوارع واذا آخر الشارع دار حسنة وعلى بابها شيخ مليح الشيبة عليه أثواب جميلة فأردت أن أدنو منه وأشرح له قصتى وأسأله فى شبع جوعتى فلم تطاوعنى نفسى أن أذكر له شيئا من ذلك فتوسمت فيه الخير فقعدت على رأس الدرب فرأيت معلم يقرى الأولاد فطلبت منه دواة وقرطاس فأعطانى ما طلبت فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم كاتب هذه الأحرف رجل غريب ومعيل ومضيق فخانه زمنه وفارق وطنه وتباعد سكنه ورماه الزمان بطوارق الحدثان فأصبح بعد العز ذليل وبعد الكثرة قليل ومعه حرمتان لابستان ثياب الذل وهن يبكين على ما فات سواكب العبرات وقد أضناهما الجوى

وقل منهما الحيل والقوى وسؤال العبد سد جوعته وروعته لتفوز بأجره ودعوته فقد بدا بين يديك وجهه فاياك ثم اياك أن تأمن الزمان الغدار كما قال القائل العلوى هذه الأبيات :

لم أبده حتى انقضت حيلتى فبذلته وهو الأعز الأكرم
ومن العجائب أننى فى بلدة ذل العزيز بها وعز الدرهم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انى يا أمير المؤمنين طويت الرقعة وأتيت الى الشيخ ويدى تقصر عن هـذه الاشارة اليه ثم قويت قلبى ومددت يدى اليه فأخذها من يدى وقرأها وعرف معناها ثم رفع رأسه الى وتأملنى طويلا ثم قال لغلامه خذ بيد هـذا الشاب وسر به الى دكان أبى ماجد الحداد وقل له يا سيدى هـذا غريب ما يحسن صنعه فخذه استخدمه عندك لأجل سيدى واطعمه واسقيه ثم قال لى امضى معه وسار قدامى وأنا من خلفه الى أن أتى بى الى الحداد وأعاد عليه المقال فقال نعم ودخلت الدكان فسلم لى المفتاح وعلمنى كيف الفتح وقال لى كراك درهمين كل يوم فقلت ياموﻻى خلفى حريم جياع عن اذنك أمضى اليهم فقال لى سير نحوهم وﻻ تغيب وأعطانى درهمين فأخذت بدرهم خبز ودرهم شواء وأتيت الى المسجد ووضعته بينهما فقالت لى أمى من أين لك هذا فقلت لها كان من الأمر ماهو كذا وكذا فبكت والدتى وولولت وقالت كان ذلك فى الكتاب مسطورا بعد الملك العظيم والحال المنيم صرت تنفخ عند حداد فقلت كان ذلك فأكلت معهم شىء يسير وعـدت الى دكان الحداد ووقفت خلف المنفاخ ونفخت الى ان تصرم النهار وأقبـل الليل بالاعتـكار فدخل النوم على الأجير الذى يضرب قدامه بالمرزبه وغلب عليه النوم فأخذ بالـكلبتين مسمار طويل غليظ وطعن به الصانع حتى انه ينهه بغاص فى أضـلاعه فمات لوقته وساعته ولمـا رأى المعلم الى ذلك رمى العدة من يده وخرج من الدكان هاربا وبقيت أنا يا أمير المؤمنين واقف ﻻ أدرى أين أذهب وﻻلى مكان أعلمه فخرجت من الدكان مهروﻻ واذا أنا بمشعل ورجاله وخياله داروا من حولى واذا به الوالى الذى للبلد وداروا بى الرجال وقبضونى والى الوالى قدمونى وأتوا بى الى الدكان وقد نزلت بى طوارق الحدثان ولمـا عاينوا المقتول قالوا ويحك أنت قتلت هذا فمن خوفى منهم قلت نعم فحملونى الى السجن أدخلونى وعند الصباح الى ظاهر البلد أخرجونى وأنا بينهم ﻻ أعلم ما يراد بى فرجوت المولى لأنه يعلم سرى وجهرى وأمى وأختى ما يعلمون ما جرى والناس يرجمونى ويضربونى والناس يعتقدون انى قاتل هذا الرجل فناديت

فى سرى وقلت إلهى وسيدى ومولاى وسامع كلامى ونداثى هؤلاء الخلق ما يعلموا قصتى وأنت تعلم بحالتى يامن لايخفى عليه خافية فوالله ما تم كلامى وإذا بالحداد قد هجم وشق الناس وفرش ثيابه وزاد نداه ومصابه وقال بالله عليكم لاتقتلوا هذا الغلام فانه برىء وأنا القاتل بيدى وما يحل لى من الله أن أقتل واحد وأتقلد بذنب الآخر فلما سمع الوالى كلام الحداد وإقراره على نفسه خلصونى وعلى الأيادى رفعونى وضجت الناس فبينما نحن كذلك واذا بزعقة أقبلت وخيل تبادرت ورجال تصارخت وأخذونى أنا والوالى المقدم على الخيالة فبادر الوالى وقبل قدمه بعد أن قبل التراب فسأله عن الحال فحدثه الوالى عن تلك الأمور والأسباب فزاد به العجب وأخذه الطرب وقال الحداد فيشنق لإقراره على نفسه وما فعل وأما هذا الغريب فأنا آخذه معى ثم أخذونى ونصبوا لى ولهم خيام ومضارب وأرموا علىّ الخلع والمواهب وكان الذى فعل معى تلك الفعال وفى خدمته تلك الابطال كان يحي البرمكى أبو جعفر ولما أن خلى بى قال ياغلام كأنك من أرباب النعم ولكن عد ماجرى لك على وماعملت من أعمالك عند ذلك حدثته حديثى من أوله إلى آخره حتى كأنه حاضر ولم أكن أعرفه فلما سمع مقالى قربنى وأدنانى وقام إلى وقبلنى وقال ياولدى اعلم أن جعفر ولدى فى قلبه منك حسرة ومراده لو رآك ولو قدر بروحه لفداك فلما سمعت كلامه زاد بى الخوف والفزع والوجل وكان يحي قد لحقه مرض ووصفوا له دمشق الشام يمكث فيها مدة أيام لاجل هواها فسار اليها بالاتفاق وجرت تلك الاحكام ثم أكرمنى غاية الاكرام ومضى الى دمشق وأقمنا بها أيام حتى صلح للعافيه ورحل منها ووصلنا إلى بغداد وأنا فى كرم زائد وأمى وأختى بعد ماتعجبوا من قصتى وفرحوا بسلامتى وكان قد أفرد لنا دارا حسنة وكان يحي عند دخولى الى بغداد التقوه البرامكه وجعفر ولده أيضا فقال له ياوالدى جارية البصرى عندك الى الآن قال نعم ياوالدى وفى قلبى حسرة على سيدها وأخاف أن يدركنى المات ولا أتحلل منه فقال ياولدى انه عندى فكاد جعفر أن يطير من الفرح وقال على به ولما أن وصلت اليه ضمنى الى صدره وقال لى يهنيك الغلام الجديد فانه والله ولد مسعود ثم قال والله من حين غبت عن جاريتك ما رأيت لها صورة ولا قائمة وأن أموالك وأرزاقك محجوبة مضمونة مضبوطة بالقلم وغلمانك فى خدمتك وماضاع لك ولادرهم ثم خلع على خلعة سنية وحملونى الى دار السعد بها قد دار على بابها ستر من الحرير وأيضا من الخدم والحشم ولما أدخلونى الى تلك الدار واذا بجاريتى واقفة على رأسها جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وهى جالسة كالبدر عند تمامه وعليها

الحلى والحلل والجواهر وشيء زائد الحد ولما أن رأتني قامت على الأقدام وبكت فى وجهى وقالت يا مولاى من يوم دخلت على سيدى وحدثته بما جرى منك وانك لم تدن منى الا بعد ثلاثة أشهر فطلبك حتى يوديني اليك وينعم عليك فما وجدك فأخلالى هذه الدار وأحسن إلى غاية الاحسان ولما أن كان من الغد أتونى ببغلة بمركب ذهب وأركبونى بعد أن عضدونى وسرت الى دار الوزير جعفر ولما أن دخلت عليه قام قائما على قدميه وفرح بى فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال يا أخى هذه خمسة آلاف دينار وتجعلنى فى حل مما جرى لك من الخوف والهياج فقلت والله يا مولاى انى أعجز عن شكر ماقد أوليتنى من الاحسان ثم سرت الى الدار وقد فرحت أمى وأختى وجاريتى بالاجتماع بى ووجدت مالى تضاعف وزاد وهذا ما جرى الى مع جعفر وحين رأيت ذلك تمنيت الممات ولا أعيش بعده فان كان مولانا يقتل فليقتل وهو غاية المراد وان كان يعفو فليعفو وهو من شيم الكرام فلما سمع الرشيد ذلك من الشيخ أطرق برأسه الى الأرض وقال والله يا شيخ لقد جازيته وتفضلت عليه ولكن أنت رثيته وأنت تحت الخشبة وأنت خائف وفزعان فترثيه بين يدى ولك الأمان فعند ذلك أطرق الشيخ برأسه إلى الأرض ساعة ونبه سرائره وزاد افتكاره وأنشد هذه الأبيات :

أيا من أسهروا عينى وناموا ... فعينى لا تعاد بها منام
وما أرقى بأنى مستهام ... إذا سهر المحب المستهام
ولكن الحوادث أرقتنى ... أبت سهران إذ هجع الأنام
وكانوا فى السماء لنا نجوما ... بهم نسرى إذا اعتكر الظلام
فقلت وفى الفؤاد دسيس حزن ... ودمع العين أيسره سجام
على الدنيا مع المعروف جمعا ... ودولة برمك ألفى سلام
جزعت لجعفر مما أتاه ... وان أجزع فمثلى لا يلام
فجئت لجعفر لما دهاه ... وما عجبى اذا غضب الامام
جرى بالليل طائرهم فبلغ ... وأصبح جعفر منها مضام
أمين الله جعفر فهبه ... بجودك أيها الملك الهمام
لقد حكم الزمان بطول حكم ... وصار لنا بمصرعه انهزام
إذا ما جئت جعفر من يحيا ... مضاما لا تذل ولا تضام
وكان الوجد مستطل عليه ... فبان الفضل وانقطع النظام

فواعجباه لو عقد المنايا ... صنائعه الجميلة والكلام
مقامات له ومقال صدق ... كريم ليس يشبهه مقام
فتى يحمى الديار وكل مجد ... ودفاعا إذا ما القوم ساموا
أصابتنا مصائب فيه وهنا ... وهدتنا مصائبه العظام
هم الأبرار ان ظعنوا وساروا ... وهم أعلا المكارم ان أقاموا
وهم أهل المكارم والمعالى ... إذا ما الجو أدعته الأنام
أسفت لبعدهم والدار تنعو ... وليس بها لساكنها خيام
وكيف يطيب لى عيش وأدنو ... بعينى بعدهم دار السلام

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ الشيخ من انشاده قال له الرشيد يا شيخ لقد جازيته بما فعل فى حقك وأمر بدفنه من ساعته فنى عاجل الحال أنزلوه وجهزوه ودفنوه (قال الراوى) ولقد حدثنى عمرو بن موسى البرمكى أنه كان حدثه شاعر من بعض الشعراء يقصد جعفر بن يحيى البرمكى فى كل سنة ويمدحه بقصيدة من الشعر فيعطيه ألف دينار فيأكل فيها من السنة إلى السنة الأخرى ولما بلغ الشاعر قتل جعفر أقبل من بلد الكوفة وأتى الى قبره وبكى وأنشد يقول :

أفل البدر بعد ما كان تماما ... ومضى نوره وعاد ظلاما
وأحاط الكسوف بالشمس حتى ... أظلم الجو ثم عاد قتاما
ومن الحزن صارت الخلق صرعى ... وحيارى جهارا وزادوا سقاما
حين قالوا الوزير غدا قتيلا ... بسيوف الحمام من الاماما

(قال الراوى) وما زال الشاعر يرثى جعفر بمثل هذه الأبيات حتى غلب عليه النوم فسبحان من لا ينام فنام على القبر فلما غرق فى النوم رأى جعفر فى المنام وقال له يا هذا اعذرنا لأنك كنت تأتى الينا فى كل عام نغمرك بالعطاء والانعام والآن كما ترى قد سكنا بعد القصور القبور مجاور من له شهور وأعوام فاذا استيقظت من نومك فسير من وقتك وساعتك الى البصره فاذا وصلت اليها فامشى فى سوق التجار وقف على ثالث دكان على يمينك وقل لصاحبه يا صاحب هذا الدكان يقول لك جعفر البرمكى بأمارة القول اعطينى ثلاثة آلاف دينار فخذها منه واحتفظ عليها فى يدك وبيع بها واشترى وعيش فيها باقى عمرك ولا تضيق من أجلى صدرك وقد كان لى رزق وأجل واستوفيته وكذا جميع الخلائق (قال الراوى) يا ساده يا كرام فعند ذلك انتبه الشاعر من نومه وهو مما رأى حائر وقال فى نفسه

هذا منام لايصح والله لو كان جعفر يعيش على ظهر الدنيا وأرسل له خطه معى مايعطينى الرجل هذا المال ولا ثلاثة آلاف درهم فلوس جدد فضلا عن الذهب فكيف لو سمع كلامى عن جعفر بعد الممات وهو فى القبور المظلمات فهذا شىء لم يكن ولكن رحمك الله ياجعفر ياباب المكارم مكارمك تخطر على الأوهام فى اليقظة وفى المنام (قال الراوى) ثم إن الشاعر سار من وقته وساعته الى البصرة ودخل اليها وبات فيها الى الصباح قال والله لا بد لى أن أدخل السوق الذى للتجار وأنظر وأتفرج فلق كل دكان فيها مايساوى عشرة آلاف دينار قال ثم انى عديت أول دكان وثانى دكان وثالث دكان وجدتها مردومة من أفخر الحراير والمقصب والمطاير والمرايش (قال ياساده) ثم نظر الى صاحبه فوجده شاب من أحسن الشباب وعنده مملوك برسم وزن الذهب والفضة وصاحب الدكان يبيع ويشترى والمماليك تقبض وتصرف فلما نظر الشاعر إلى ذلك هاب الدخول عليه وقال فى نفسه ان قلت له رأيت جعفر فى المنام فيضحكوا على جميع الناس وأنا غنى عن هذا الأمر والشان ثم انه قال والله لا بد أنى أقول له على ما رأيت حتى أنظر ماذا يكون من أمر هذا المنام وضع يضحك على كل انسان ثم ان الشاعر قوى جنانه وأطلق لسانه وتقدم الى التاجر وقال السلام عليك أيها التاجر فقال له وعليك السلام والتحية والاكرام ماحاجتك ياهذا فقال له الشاعر ياهذا حاجة المملوك ان تسمع منه كلام وتعطيه جواب ولا تشغل عقله فى ذلك والسلام قال له التاجر وماهو الكلام فقال له اعلم يامولاى أنى رجل شاعر وفى كل عام أمدح الأمير جعفر بقصيدة وآخذ منه ألف دينار أصرف منها من العام الى العام الآخر وأحكى له جميع القصة وقال له وقد رأيته فى المنام وهو يقول لى كذا وكذا بأمارة الفول اعطينى ثلاثة آلاف دينار فلما سمع التاجر ذلك الكلام بكى الى أن غشى عليه ولما أفاق قال للمملوك اعطى هدا ثلاث آلاف دينار فقال التاجر والله لو قلت اعطينى مائة ألف دينار لأعطيتك اياها ثم بكى بكاء شديدا ولما أفاق وجد المملوك قد كيس الثلاثة آلاف دينار فى ثلاثة أكياس ثم قال التاجر خذ يا أخى نصيبك فأخذ الشاعر من ذلك العجب وقال يا أخى والله العظيم ما آخذ منها شىء حتى تقول لى على سبب هذه الاماره وما الذى جرى لك حتى أعطيتنى هذا المال ولم يكن لى على بال فقال التاجر وما تصنع بما أبدى لك من المقال فقال الشاعر والله لابدلى أن أسمع ماجرى لك لأن هذا والله شىء عجيب يجب أن يؤرخ ويكتب بماء الذهب لما فيه من العجب فقال التاجر بسم الله يا أخى قم بنا الى البيت ثم ان التاجر

أخذ الشاعر وسار به الى داره وأمر الغلمان أن يغلقوا الدكان وما زال الشاعر مع التاجر الى أن دخل به الدار السعد بها دار يطول شرحها وما استقر بهم الجلوس حتى أتاهم أفخر الطعام وقال للشاعر بسم الله كل مما سهل الله به فى هذه الساعة فأكل الى أن اكتفى وأتوهم الخدم بالماء ورد والمسك والمناشق وبعد ذلك أكل من الحلوى على حسب الكفاية ثم إن التاجر ابتدأ يحدث الشاعر بحديث الفول وقال له يا أخى اسمع كلامى اعلم أننى رجل من أهل بغداد وكنت رجل صعلوك فوال لا أملك من الدنيا سوى غير نصف ويبة فول وهى رسمالى ومهما طلع من الفائده أتقوت أنا والعيال به وقد أقمت على ذلك برهة من الزمان لليلة من الليالى وكان أوان الشتاء فصادف الحال ان هذه الليلة المعلومة أمطرت فيها السماء مطرا شديدا الى ان أغرقت الأرض والتلال وأصبحت بغداد لا يقدر أحد أن يخرج من بيته لعظم ذلك المطر فلما رأيت ذلك قلت لزوجتى ان الفارس لا يقدر فى هذا اليوم يمشى بنفسه فى شوارع بغداد فكيف أقدر أنا على بيع الفول على رأسى وخلنى قاعدة جريدان هذه أحوال لا يقدر عليها مخلوق فقالت لى زوجتى ياسبحان الله تبطل اليوم ويتلف الفول ولا يبقى معك رسمال ونموت بالجوع فنوم ولو أنك تبيع بشيء نتقوت به (قال) فعند ذلك قمت وسلقت الفول وتدفيت أنا وأولادى على النار وخرجت والطبق على رأسى والمطر ينزل كأفواه القرب وأنا خائض فى الماء الى الركب وقد اعترانى الهم والغم والحزن والفكر والجوع والتعب وكان الوزير جعفر هو وزوجته بالقضاء والقدر فى هذه الساعة جالسين فى أعلى مكان فى داره وهو مشرف يتفرج على ذلك المطر والسيول وعلى ذلك الغيم والماء المهول فى مثل هذا اليوم فلما نظر الى وأنا على تلك الحالة قال لزوجته ألا تنظرى الى الفوال فى مثل هذا اليوم يبيع فيه الفول وان الخيل العتاة تعجز عن المشى فيه فقالت له زوجته لا بد ان يكون من الاحتياج فقال جعفر والله لأرسلن وراءه وأكشف خبره فان كان فقيرا باذن الله اغنيته لولد الولد وان كان غنيا وعمل على هذا الحرص للدنيا الفانية لأجعلنه عبرة لمن اعتبر (قال الراوى) ثم ان الوزير زعق لبعض غلمانه وقال اخرج مسرعا وأتينى بهذا الفوال فمضى الغلام واحضره بين يديه فى ساعة الحال فلما صار بين يديه قال له ما حملك على هذه الفعال فقال والله يامولاى الفقر والاقلال والجوع والعيال فعند ذلك التفت الى زوجته وقال لها والله لقد افرح قلبي بكلامه وما قال من خطابه ثم زعق على خادم كان قدامه وكان اسمه صواب فقال له ويلك يا صواب ازعق لى على كل ما حوته هذه الدار من مماليك وغلمان وجوار ففعل ذلك فحضروا أكثر من

ألف من كبار وصغار فعند ذلك قال جعفر من يحبنى ويعزنى منكم يشترى من هذا القول بما كان يملكه من الذهب والفضه والفصوص والمعادن فلما سمعوا ذلك الكلام من الوزير صار كل واحد يعطى ما يملك فى ذلك الوقت من الفصوص والذهب اللؤلؤ وهم يتزاحمون على والشاطر من يصل اليه وإلى الوزير والوزير يقول له بيع خلاصك فما كان غير ساعة حتى جبرت ما كان معى من الفول وقد تعرم الطبق فضة وذهب ولؤلؤ وفصوص وياقوت أحمر وقد امتلأت القاعدة من الملبوس والقماش المفتخر وكان يساوى أكثر من مائة الف دينار ولما جبرت الفول الذى كان معى جميعه قال لى جعفر بقى معك فول فقلت لا والله يامولاى ما بقى شيئا قال فتش لعلك تجد شيأ فقلت لا والله ياسيدى قال فتش ففتشت ما وجدت معى غير فولة واحدة فقال لى هاتها فناولته اياها فأخذها من يدى وقسمها نصفين وقد حط قدامه نصف وقدام زوجته نصف ثم قال جعفر لزوجته كم عليكى فى النصف الذى قدامك فقالت له على بالف دينار فقال جعفر ما يخلصه بل أنا على فى النصف بتاعى ألفين دينار ولم يزل جعفر يزيد ألف فى ألف مع زوجته وهى تزيد عليه حتى بلغ كل نصف عشرين ألف دينار ووزنوا الى ذلك الذهب من تلك الساعه (قال) وبعد ذلك أذنوا إلى بالانصراف وأمر بعض العبيد أن يعاونونى على حمل ما معى من المال الى منزلى فسرت بتلك السعادة والانعام إلى أن دخلت الدار ورأت زوجتى شيء يذهل العقل فتحيرت فى عقلها وقالت من أين لك هذا فأخبرتها بما جرى على فى بيت الوزير جعفر ففرحت بذلك ثم قلت لها اعلمى ان ما لنا مقام فى هذه المدينة لأننا بعد الفقر أتتنا هذه السعاده ولو تكلمت أنا وصبى من هذه البلده يقول لى كبرت نفسك بأقواله والرأى اننا نسير الى البصره ونسكن فيها الى الممات فقالت زوجتى ما أشرت من المقال الا بالصواب فأصبحت مالى شغل الا انى اكتريت على زوجتى وأولادى مع رجل جمال وحملت ما كان حصل لنا من المال وسرنا الى هذه البلد واشتريت هذه الدار وفتحت هذه الدكان لنا فى كل عام يزيد مالى الى أن صرت فى هذا الحال وقد كثر مالى وصلح حالى وحصل لى بعد الفقر اليسر وذلك كله من فضل الله وفضل الوزير جعفر ولما سمعت بانه قتل لبست السواد أنا وزوجتى وأولادى وتصدقت بما يزيد عن خمسة آلاف دينار وأعطيتك ذلك وزودتك فى المقدار لأنى والله كلما أنا فيه من فضل الله وفضل الوزير وانى اليوم لا أعلم عدد ما معى من المال من كثرة السعاده واتساع الحال وهذا حديثى والسلام (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع

الشاعر ذلك الكلام تعجب غاية العجب وقال سيجعل الله بعد عسر يسرا ويجعل لكل شيء سببا ثم انه بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح عزم على السفر فأعطاه التاجر مائة دينار وزيادة على الثلاثة آلاف دينار وسار الشاعر إلى بلده واكترى له بها كان فأقام يأكل ويشرب وقد زاد ماله وحسن حاله (قال الراوى) ياساده يا كرام هـذا جرى من بعض مكارم البرامكة وكان يحيي أبو جعفر صاحب مكارم جسيمه وكذلك الفضل أخو جعفر صاحب عطايا عظيمه ومكارم جسيمه فرحم الله أهل المكارم وجعل مسكنهم الجنان فى العز الدائم (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الرشيد بعد أن أمر بدفن جعفر خاف من عتب الأمير عبد الوهاب وأمه ذات الهمه فى قتل جعفر والبرامكه وأراد أن ينفى الظن عنه فأرسل الا الأمير عبد الوهاب والأميره ذات الهمه كتاب وإلى أبو محمد البطال والكتاب الذى زور على جعفر وكتب اليهم فى الكتابين اعلموا يا معاشر الامراء انى ما فعلت فى حق جعفر والبرامكه ما فعلت الا من أمر عظيم وخيانه وقد قابلتهم بما أرادوا أن يقابلونى به وهـذا الكتاب بخط جعفر إلى ابن الرضى بخراسان وأراد أن يجعله امام العصر والزمان فأطلعوا الامراء على ذلك الكتاب وانظروه حتى يظنوا الناس بأنى ما أخذت البرامكة الا بحق واجب وسلم الرشيد خريطة الكتب الى النجاب وأمره أن يجد فى المسير ويحث الركاب فأخذ النجاب الكتب منه من ساعته وسار إلى ملطيه وخرج من هناك على الدروب وسار إلى حصن يانس المتغرب وكان ذلك النجاب أحب خلق الله تعالى الى الوزير جعفر فلبس على جسده السواد وثياب الحداد ولما وصل إلى حصن يانس وشق بين المضارب وأكثر من البكاء والنواح والانتحاب وحث على رأسه التراب وخرق ما عليه من الثياب وصاح بأعلا صوته وقال والله لقد أظلمت الدنيا وأظلمت شمس النهار وانكسف بعد كماله بدر الفخار وغاص علم اقام فى الثرى واندرس معالم الفضل وفقدت الأكرمين من الدنيا ورثاه النجاب بأبيات فلما سمع الأمير عبدالوهاب تلك الأبيات قال له ويلك ما وراءك من الأخبار قل وأوجز فى المقال قال يامولاى الوزير جعفر ضرب الرشيد رقبته وصلبه وأمر بقتل البرامكة من سائر الجهات وقد دارت عليهم طاحون الشتات وشربوا من الموت كاسات فقال الامير لا حول ولا قوة الا بالله العظيم ثم ان النجاب قال يامولاى ان جميع الناس حزنوا عليه ورثوه بالاشعار ومن جملتهم مالك بن حنظلة لانه كان يعطيه فى كل سنة ثلاثة آلاف

دينار وبكى النجاب بكاء شديدا ما عليه من مزيد ثم ناوله خريطة الكتب فأخذها معه ورسم له بخمسين دينار وأعطى الخريطة للبطال واستخرج منها الكتب وقرأ كتاب الرشيد على الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ثم ان البطال قرأ الكتاب الذى زوره عقبة على جعفر ولما أن حققه اصفر لونه واضطرب كونه وتغيرت حالاته ودق بيد على يد وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فأنكر الأمير من البطال ذلك الحال وداخله الشك فى الكتاب الذى زور على جعفر وقال والله لقد كنت عاتبت على الرشيد ولم أعلم باطن هذه القصة ثم قال يابطال والله إن هذه نوبة عظيمة فقال البطال أيها الأمير وأنت إن طال عليك هذا الحال وتحققت أن جعفر هو الذى كتب ذلك الكتاب فقال عبد الوهاب نعم لاشك ولا ريب فقال البطال لا والله الذى لا إله إلا هو لأن هذا الخط زور على جعفر فقال الأمير من يقدر يزور على جعفر مثل هذا الخط ومن أين علمت بهذه الأمور فنهض أبو محمد من وقته وساعته ورجع على عجل ومعه لؤلؤ يحمل مزود فيه كتب كثيرة بخط جعفر واستخرج من المزود ثلاثة أوراق وطرحها قدام الأمير عبد الوهاب وجعل الخط الى جانب الخط الذى أتى به النجاب وصار يتأمل الألفاظ والأحرف حرفا حرفا وقال انظر ان كان اللفظ والاحرف تشبه الأحرف فنظر الامير الى ذلك وميزه فصدق البطال فيما قال وقال كيف الرأى يابطال ومن يقدم على تلك الفعال قال أريد أسألك قال قل مابدا لك فتقدمت الأميره وقالت يا أبا محمد أخبرنى عن هذه القصة المشكلة لأنك تشبه سطيح قال هل سمعت أن عقبة فى بغداد قالت نعم فدق بيد على يد وقال ماخوفى إلا أن يكون ذلك الأمر منه وما فعله غيره فتبسمت الاميره وقالت هذا ظن بعيد ولكن لابد لى من الانحدار الى العراق حتى أصحح الأخبار وبعد ذلك ندخل الى بلاد اليونان فى طلب علوى وإبراهيم وأمرت أصحابها بالرحيل ورحلت بعد ثلاثة أيام طالبة أرض العراق ومعها أربعين ألف عنان من بنى عامر وبنى كلاب وعشرين ألف من السودان الانجاب ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الى العراق وسبقت أخبارها الى الرشيد ففرح بقدومها وسمع الفضل بذلك فقال ياقاضى تعلم لأى شىء قدمت ذات الهمه قال لا أعلم وكادت نفس عقبة أن تزهق من الفزع لما علم بوصول الاميره فقال الفضل ياقاضى ما الذى ترى فى تلك النوبة فقال القاضى ماخوفى إلا إن الرشيد يوريهم الكتاب الذى زورناه على جعفر والقوم عندهم كتب كثيرة بخط جعفر لأن بينهم صحبة ومراسلات كثيرة وماخوفى إلا من البطال لأنه أخبث من كل

من مشي وأمكر من كل من نشا وان نحن اختفينا ثبتت النوبة علينا ومافى الأمر إلا اننا نصبر ونحتسب ونكابد وأما الأميره فانها لما وصلت الى بغداد التقوها أرباب الدولة بأحسن ملتقى ودخل عليّ بن ظاهر على الأميره وعليه ثياب الحداد ولما رأى الامير عبد الوهاب بكى وأن واشتكى وكان عنده جماعة من الأمراء والاعيان وأخذوا الكل يتحدثون فيما كان فقال على بن الظاهر يا أمير أنا آتيك وأحدثك بشيء جرى وهو من العجب وهو انى كنت قد ضميت بغداد من كل ما يدخل من البضائع التى مع التجار فأقمت مدة ثم كثر على القاصد والوافد فبذلت وتكرمت ووهبت وتصدقت وكانت تلك السنة لم يدخل المدينة أحد فانكسر علينا ثلاثمائة ألف دينار فقبض على الرشيد وأحاط على جميع مالى وأخذ الذى له فبقى للتجار مائة وخمسين ألف دينار فسلمنى اليهم وقال هاخصمكم افعلوا به ماشئتم فقالوا هذا ما معه شيء وما لنا إلا قتله حتى اننا نشتفى منه لأنه أخذ أموالنا وأعطاها للخليفة ولا يملك شيء من المال واجتمع رأيهم على قتلى فأخذونى وأخرجونى من بين أهلى والأولاد يبكو على ووصلوا بى الى جانب الدجلة وهموا بقتلى واذا بقائل يقول اصبروا ياقوم حتى يعبر الوزير فصبروا الى أن عبر فنظر الى سوء حالى فسأل عنى فأخبروه بقصتى فقال خذوه وألحقونى به إلى داره فلما وصلوا بى إلى داره إلا ونحن خلفه فجلس وقال للتجار كم عليه من الدراهم قالوا مائة وخمسين ألف دينار قال فلماسمع منهم ذلك قال ياقوم أنتم تعلمون أنى على سفر لكن أنا أدفع جانب من المال تأخذوا به بضائع من بغداد وتأخذوا البضائع من جملة بضائعكم من قمح وقماش فاذا رجعتم هاتوه معكم إلى بغداد فاذا حصلتم إلى هنا طرحت عنكم المكس وأعطيتكم من الربح مالكم ويعود مالى إلى فقالوا أيها الوزير إذا فعلت ذلك فقد رددت علينا مالنا وحييت هذا الرجل من القتل فقال ياقوم قد فعلت ذلك ثم انه أحضر لهم مال عظيم فأخذوا وباعوا واشتروا فكان الربح أكثر من ثلاثمائة ألف دينار فأوفاهم مائة وخمسين ألف دينار وقال لى بعد أن خلع على : خذ بقية هذا المال وتاجر فيه بقية ذلك العام والآخر لعلك تربح شيء فأخذت المال وتاجرت فيه أربع سنين حتى صار سبعمائة ألف دينار فأحضرت المال بين يديه فانه أصله مائة وخمسين ألف دينار وقلت يأخذها والباقى يقسموه بيننا فأطرق رأسه إلى الأرض قليل ورفعها ونظر إلى وقال لى ياابن ظاهر تريد تعلمنى مساوىء الاخلاق خذ جميع المال بارك الله لك فيه فوالله لاأخذت منه شيئا لا كثير ولا قليل وانما أمرتك بذلك فى الاول لأجل أن تحترس عليه فينفعك ثم أمر الغلمان أن تحمل

المال الى دارى ففعلوا ذلك فصرت أغنى أهل بغداد كلهم وكل ماأنا فيه من الله ثم منه بكى الأمير عبد الوهاب وكل من كان حاضر من الأمراء والاصحاب استأذنوا فى الدخول على الرشيد بالله فأذن لهم ولما أن وصلوا قبلوا يديه وسلموا عليه سلام الخلافه فرد عليهم السلام بأحسن رد وأمرهم بالجلوس فى حضرته فلما استقر بهم الجلوس سألهم عن أخبارهم وأحوالهم فنهض أبو محمد قائما على الأقدام وقبل الأرض ودعا للرشيد ووضع الكتاب المزور على جعفر على جانب السده فأخذه الرشيد وقال ما هذا قال مولاى هذا الكتاب الذى زوّر على جعفر قال الرشيد من أين علمت أنه زور قال يعطينى أمير المؤمنين خاتم الأمان رأنا أتكلم قال له لك ذلك قال ياأمير المؤمنين من أعلمك بذلك الأمر قال عقبة فالتفت البطال الى الاميره وغمزها فنهضت قائمة وقبلت الأرض وقالت ياأمير المؤمنين قد كنت ادخرت لأولادى وأولاد أولادى يواقيت وجواهر ومعادن قيمتها ثمانية آلاف دينار وأوصيت انهم لأولادى بعد وفاتى ومعى بذلك الخط الشريف فقال لها نعم كان ذلك فقالت يامولاى كم دية المسلم إذا قتل قال ألف دينار قالت فالمملوكة تسأل من إنعامك وجودك وامتنانك تسلم الينا القاضى عقبة فان مات كانت أموالى التى عندك وديعة كلها فى ديته وإذا لم يمت كانت أموالى كلها باقية عندك على حالها واشهدوا علىّ بذلك يامن حضر فى ذلك المجلس فقال الرشيد قد سلمته إليكم هنالك قد وثب البطال ووضع حمائل سيفه فى رقبته وأخذته الاميره بين أصحابها وخرجت من المجلس ومضت الى خيامها التى مضروبة على ظاهر بغداد ولما استقر بها قدمت عقبة قدامها وقالت هات ماعندك ياقاضى وعرفنى بالقصة على الصحيح فوحق المصطفى ما ينجيك منى إلا الصدق فى المقال وإلا أوصل اليك النكال فقال عقبة لاعلم لى على ما تقولى فناداها أبو محمد البطال وقال لها هذا ما يقر لك بذلك على هذا الأمر ثم خرج من عندها وغاب قليل وعاد وهو حامل سلالم الجامع ومعه حبل ثم أخذ عقبة وشده من فوق السلم شدا وثيقاً وأمرسته من السودان يتبدلوا عليه اثنين بعد اثنين فنزلوا عليه بالضرب وهو يستغيث فلا يغاث ولما زاد عليه الألم قال امسكوا عنى وأنا أقر فامسكوا عنه فقال إن الفضل هو الذى كتبه وأنا الذى أوصلته الى الرشيد ثم حدثهم بالقصة من أولها الى آخرها ولا فى الإعادة إفادة إلا الصلاة على النبى فائده (ياساده) ولما علمت الأميره بالحال كتبت برأى البطال ووصلت إلى الرشيد وقالت يامولاى ائذن للفضل بن الربيع أن يحضر على هذه المواقعة وأرسل معنا من يحفظ مايجرى ومايقال فقال الرشيد

يافضل سير معهم وأنت أيضا يامسرور فعند ذلك سار الفضل وهو يظن أنه عندهم موقر لأنه قائد الجيوش وصاحب رتبه عند الامام وساروا حتى وصلوا إلى الخيام ودخلوا الى السرادق الذى فيه عقبة ومسرور معهم يحفظ كل مايجرى ولما أن دخل الفضل نظر إلى عقبة وهو على تلك الحالة فأنكر ذلك والتفت الى البطال وقال ماهذا الفعل يا كلب العرب الذى تفعله بالقاضى فضربه البطال على رأسه رمى عمامته وقال خذوه فتواثبوا اليه السودان كأنهم الجان ومسكوه وكتفوه حتى طار الدم من أظافره ثم أمر بسلم ثانى وربطوا عليه الفضل وشدوه شدا وثيقا وأشارت الاميره إلى نافع وقالت قم أكرم هذا العزيز وقد ركبت ستين ألف عنان وجعلتهم أمام الخيام وأمرتهم بدفع ما يأتى من عند الرشيد فقال مسرور للأميره مايحتاج إلى ذلك فتقدمت الأميره وكلمته كلام سر وأما نافع تقدم إلى الفضل وبيده صوت مضفور وضربه إلى أن كاد أن يهلكه فقال الفضل حسبك الله يانافع فرفع نافع عنه الضرب فقال البطال اكتب لنا مثل هذا الخط الذى كتبته وزورته على جعفر فان صاحبك عقبة أقر بما فعلته فقال الفضل إيش تقول ياقاضى فقال إيش نقول عرفتهم بما فعلنا وقد ذكرنا أن عقبة اجتمع بالفضل لما أتوا من عند يانس المتغرب واتفقوا على ماجرى وزور الفضل على جعفر وأوصل عقبة الكتاب الى الرشيد كما ذكرنا وأن الفضل لما رأى عقبة أقر على ماجرى حار فى أمره واعترف بما فعله وما كان واصفر وجه مسرور وهم أن يبطش به فغمزه البطال وقدم له دواة وقلم وقال له اكتب مثل هذا الخط وإلا وحق سيد البشر تموت من تحت الضرب فكتب الفضل مثل الخط المزور حتى لايشك فيه بشر انه خط جعفر فسبه مسرور وضربه أبو الهزاهز بالسيف فلاقى الضربة بيده قطعت له ثلاثة أصابع من يده اليسرى وهم أن يثنى عليه فمنعته الأميره فوقع الفضل مغشى عليه . هذا كله يجرى وعقبة مشدود فوق السلم (قال) وسمع الرشيد بماجرى على الفضل فغضب غضبا شديدا وأما أبو محمد والأميره فانهم أخذوا الخط الذى كتبه الفضل وساروا الى الرشيد ولما أن دخلوا عليه وجدوه مغضبا فعلموا مافى قلبه وقبلوا الارض ومدت الاميره يدها بالخط بعدأن قبلته وقدمته بين يديه فقال بعد أن تأمله هذا الذى كتبه جعفر قالت الأميره يامولاى هذا خط الفضل بن الربيع بحضرة مسرور وهو الذى كتبه وزوره على جعفر وسعى فى هلاكه بتدبير عقبة القاضى فقال وأين الفضل قالت الأميرة فى الخيام وما كنت منتظرة فى قتله إلا أمر الامام فقال الرشيد أريد حضوره فأمرت الاميره باحضاره هو وعقبة فلما أن حضر قال له

الرشيد يا ويلك ومن حملك على هذا قال شىء كان فى نفسى من أيام الصبا ونظره وهو مجروح فقال له من فعل بك هذا قال يامولاى أبو الهزاهز فقال لاشلت يده ثم أمر أن يثقل بالحديد فى دار مسرور ثم قال وأين القاضى عقبة قالت الأميرة عندى مربوط فأشار الامام الى حاجب من الحجاب وقال له خذ عقبه عندك حتى أسألك عنه واستوثق منه ففعل الحاجب ما أمره الامام ثم ان الرشيد أطرق برأسه الى الأرض متفكرا وندم على قتل جعفر وقال للأمراء اكتموا عنى هذا الأمر الشنيع قالت الأميره ماالمقصود إلاحتى نعلم الحقيقة ونحن نلتمس الأمر الشريف حتى نخلص ابراهيم وأمه علوى وراحلوا من بغداد الى أن وصلوا الى الثغور خرج الى لقائهم الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه سادات بنى سليم واستقبلوا الأمير عبدالوهاب وولده سيف الحنيفية وأمره بالقيام على البناء والاهتمام به وأوصاه على ما يعمل وتوجهوا طالبين الى ناحية الدوب ووصلوا الى حصن يانس المتغرب وأوصوه بنساء بنى عامر وكلاب وأمر الناس بأخذ الأهبة للسير الى بلاد الروم بعد ثلاثة أيام فأخذوا الناس أهبتهم وفى رابع الأيام رحلوا الناس والأميره فى المقدمه فى أربعين ألف وألفين من أصحاب يانس المتغرب وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى وصلوا إلى القسطنطينيه وأخرج لهم ملك الروم الضيافات والعلوفات والاقامات وخرج ملك الروم الى الأمير عبد الوهاب وقال له تريد أن أبعث معك أحدا من عسكرى فقال الأمير عبد الوهاب لاحاجة لى فى ذلك إلا رجل من عندك له خبرة بالطريق يعرفنا فمنعه البطال من ذلك وقال له أنا أخبر بالطريق من كل أحد سير على بركة الله تعالى ورسوله فسار العسكر والأمير فى أول بلاد اليونان ثلاثة أيام حتى أراح واستراح وسار حتى وصل إلى درب المنفذ الذى تقدم ذكره فوجده موضعا لايرام ولا لأحد فيه مقلم فعندها قال الأمير أبو محمد للامير عبدالوهاب أيها الأمير هذا الدرب لابد منه ولابدله من طلائع عليه تضرب بالنيران حتى يرفع الدخان وتعلم أهل الحصن الذى لهذا الدرب فيأتون الينا ويسدون باب الدرب علينا ولايقدر أحد يصل اليهم فقال الأمير ماالذى عندك من الرأى قال أن تنزل هاهنا وأسبق أنا أكشف لك الطريق وأعود اليك وتدخل على معرفة ويقين فقال الامير نعم مارأيت فعندها وثب أبو محمد ولبس جبة سوداء وعمل لرأسه برنس من الشعر وفى وسطه زنار وبيده عكاز ودخل الدرب وترك الامير أصحابه وبقى فى انتظاره ثم أنه تفكر فى أمر أبو محمد فخاف عليه وقال لقد فرطنا فيه لأن هذا الموضوع ما دخل فيه قط مسلم (وأما أبو محمد) فانه دخل

فى زى الرهبان إلى ذلك الدرب ورفع صوته بقراءة الانجيل وكان صوت حسن فأجابته الرجال وجعلوا يقبلون الارض بين يديه وقالوا له يابونا مالك على حال الانفراد وحدك والمسلمون قد دخلوا الى هذه البلاد فقال ياأولادى ما أنا إلا بعد عرفت هذا الحال ولكننى مشيت بينهم مارأونى وانى ماضى الى الحصن أعلم الملك الكندسطوس بأخبار المسلمين فقالوا ياأبونا سمعنا أن الملك جهز عسكر ثقيلا وهو عازم على أن يلتقى المسلمين (قال الراوى) فتحدر أبو محمد من الجبل طالب صوب الحصن فوجد الملك قد جمع من البطارقه خلقا مايحصى عددهم إلا الذى خلقهم بعدد الرمل والحصى وهو يطلب يمنع المسلمون من الوصول الى الحصن وقد أوصى ولده قسط على الحصن وترك عنده مائتين فارس ولم يزل البطال سائر الى أن وصل الى باب الحصن فوجده حصن لايرام ولايقدر عليه أحد من الانام مزين بالعدد والطوارق والدروع والبوارق فبقى البطال احئر لايدرى كيف يدخل الحصن وهو خائف فبينما هو كذلك إذأقبلت جماعة من البطارقه من عند الملك يوصون ولده بالاحتياط على القلعة فدخل الامير أبو محمد فى جملتهم وتوصل الى الكنيسة واختلط بالرهبان فهذا ماجرى من أمر البطال (وأما) الاميرعبدالوهاب فانه أبطأ عليه خبر أبو محمد فقلق قلقا عظيما وقال لأبو الهزاهز ولبقية الامراء أناعازم على أنى آخذ معى جماعة وا كشف خبر البطال فتكونوا على أهبة القتال إذا قدم عليكم ملك الروم ولاتتهاونوا فى ذلك ثم إن الامير انتخب من المسلمين عشرة أبطال كل واحد منهم يعد بأبطال منهم الاميرة ذات الهمة ولم يزل سائر فى ظلام الليل الى أن وصل تحت القلعة فطلعت عليهم البطارقة من فوق الحصن وقد ظنوا أنهم من الحرس فبينماهم كذلك واذا قد وقع اليهم سهم نشاب وفيه كتاب فتأمله عبدالوهاب وإذا به من البطال مضمونه اذا كانت ليلة غد تقدموا الى عندى حتى أطلع بكم من فوق الصور الى أن أملككم القلعة وأدلى لكم الحبال فحمدوا الله تعالى على ذلك الحال وصبروا الى الليلة القابلة وأظلم الظلام فأتوا فوجدوا البطال قد دلى لهم الحبال وشالهم الجميع الى أن بقوا فوق الحصن فلما دخلوا كبروا وأشهروا السيوف وسقوهم شراب الحتوف لانه لم يكن فى الحصن أكثر من مائتين فارس فدعس فيهم الامير وقتل الصغير والكبير وملك الحصن وكتف الرهبان والقسوس وأما ضيغم وبنى كلاب والسودان الانجاب فانهم التقوا بالملك الكندسطوس وعساكره وكان الملعون خبير بالحرب لايهاب الابطال ولايكترث بالاقيال همام هجام فى ضرب الحسام فلما نظر الى عسكر المسلمين وعرف كم هم فطمع فيهم وقال لرجاله وفرسانه خذوهم فان

الأمر يسير والرجال غير كثير فعند ذلك حملت الرجال على الرجال وتراشقوا بالنبال وتطاعنوا بالرماح العوال وتضاربوا بالسيوف الصقال وجاء الحق وذهب الباطل فهذا بلايمين وهذا بلاشمال وحامت الطيور تروم القتلى فى حومة الميدان وزادت النار اشتعال وارتفعت الزعقات فجاوبتهم الجبال وبرقت السودان عيونها وبربرت على أهل الكفر والضلال بلغاتها ونثروهم نثر الحصيد على الرمال ودعس أبو الهزاهز فى الروم كالأسد الريبال وهجم ضيغم فى اليمين وسملق فى الشمال وصارت الأودية من كثرة الزلازل فى أهوال (قال) فبينما أبو الهزاهز فى معترك الحرب والمجال إذ التقى بالملك سكندسطوس وكان جبارا كما ذكرنا هجوما كما وصفنا فلما رآه أبو الهزاهز علم أنه ملك الروم فحمل عليه كالأسد الهجوم فتطاعنا طعنا أمر من الجمر وأمر من الصبر وزاد عليهم الأمر وأمسى المساء وما وصل أحد منهم إلى صاحبه ورجعت الأبطال بعضها عن بعض ونزلا على وجه الأرض فلما نامت العيون دعا الملك برجل من بطارقته يقال له شمطون وكان فارسا لايطاق وضم خمسة آلاف فارس وقال له تمضى أنت ومن معك رجالة غير خيالة وتصعدون فى لحف الجبل حتى تجوزون الأشجار والأنهار ثم تطلبون الطريق الغربى إلى عين الصبى وتخرجون من وراء هذا العسكر وتكونوا خلفهم عند انفجار الفجر فاذا صرتم هناك وعلمنا بكم انهزمنا قدامهم بقدر ما يتبعونا ويبعدوا عنا خيامهم وتخرجون أنتم تملكون خيلهم فاركبوا ما شئتم فان مالهم وخيلهم وعددهم نبقى خلفهم ونرجع نحن عليهم فما بقى لهم باقية فقالوا القوم سمعا وطاعة أيها الملك ثم ترجلوا عن خيولهم وساروا على ماقال لهم الملك وما أتى عليهم الصباح إلا وهم خلف القوم وكان من قضاء الله وقدره أن من السودان عشرة آلاف فارس قالوا نحن غداة غد نقاتل مشاة لاننا نرى هؤلاء القوم يرمون السهام وهى أمضى من الحسام وقد قتلوا خيولنا فاذا عدمناها ههنا ما لنا عوضا عنها واجتمع رأيهم على ذلك فلما أصبح الصباح وعلم الملك أن الكمين الذى قد بعثهم وصلوا وقد صاروا من خلفهم عند ذلك ركب الملك وضرب بوقاته ونشر راياته وصاح فى البطارقة وقال خذوهم على أطراف الأسنة فعند ذلك خرجت السودان ومعهم أبو الهزاهز وبربر الجيشان وأما بنو كلاب فانهم حملوا هم والعربان الكرام الأصول وحمل البطل وصار على خصمه يصول واختلطت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال وتقصفت الرماح الطوال وهجمت الرجال وبان الفارس المفضال من الجبان الناقص الأوصال . وبعد ذلك

تقهقر ملك الروم هو وعسكره وطمع فيه عسكر المسلمين وتبعه فما كان إلا ساعة وقد خرج الكمين من ورائهم وهم خمسة آلاف فارس ونادوا بكلمة كفرهم فورد على الناس مورد عظيم وحمل الملك على الناس وأشغلهم عن الرجعة وقد أخذوا خيل السودان وملكتها عبدة الصلبان وأيقنوا الروم أنهم قد ملكوهم (قال الراوى) فعندها صاح أبو الهزاهز بالأمير ضيغم وقال يا أمير أخذت الخيول فاختر لنفسك أى جهة من الجهات إما أن ننفرد للذين دهمونا وإما أن نقف فى وجوه الذين بين أيدينا فقال ضيغم أنا للذين ملكوا خيولنا ثم حمل عليهم فى ألفين فارس من بنى كلاب والتقى أبو الهزاهز بعسكر الروم فى بقية الجيش وحمل بعضهم على بعض وضربت السودان فى وجوه الروم وقطعت الطوارق وحطمت البوارق ونزلت السيوف فى المفارق وحقت الحقائق وضاقت الأرض على الخلائق ولم يبق فى الكف غير المقابض وقطعت اللجم والعوائق وأما ضيغم فانه خلص الخيول ومدد الخمسة آلاف عرضا وطول ورجع إلى أبو الهزاهز فوجده قد طحن المواكب ومحقها محقا وأبلى فرسانها بالبلاء الملاحق والتقى فى المعمعه بالملك سكندسطوس وقد عزم على الهزيمة فمال اليه أبو الهزاهز وطعنه بالرمح فى صدره فانحلت عزائم الروم وولوا على أعقابهم طالبين حصنهم فأدركتهم بنى كلاب فيالها من فجعة وقعت فى الروم وأى فجعة لأنهم شابت منهم المفارق من هول تلك الوقعة . هذا والأمير عبد الوهاب على غاية القلق من أجل عسكر المسلمين فلما أن توسطت الشمس فى قبة الفلك واذا بالغبار قد علا فقال الأمير والله هذا عسكرنا قد انتصر الله أكبر فتح الله ونصر وحيانا باللطف هذه والله عساكر الروم قد أقبلت مكسورة وعسكر الاسلام منصورة فقال له الأمير أبو محمد من أين علمت ذلك فقال إنى أرى الغبار غبار قوم خيولهم قد طلبت الفرار وعمل فى أكتافهم الصارم البتار ولم تكن إلا ساعة حتى وصلت الروم مكسورة وهم طالبين الحصن والمسلمين من ورائهم وأبو الهزاهز فى أقفيتهم حتى وصلوا الى الحصن نادوا وقالوا : عجلوا لنا بفتح الحصن فقد حل بنا العذاب وقتل منا الأصحاب فقال الأمير عبد الوهاب افتح لهم يا أبا محمد الباب وكل من دخل نسقيه كاس الحمام فقال أبو محمد ما هذا صواب لأن الخلق كثير والحرب سجال يوم لك ويوم عليك ولكن أنت نادى من أعلى الحصن بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير حتى تنقطع قلوبهم فقال الأمير هذا هو الصواب فافعل ما شئت فعندها صعدوا على الأسوار ونادوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجعلوا يرموهم برؤس القتلى

الذين كانوا عندهم داخل الحصن فلما نظروا الروم الى ذلك أيسوا من الحياه وانقطعت آمالهم وولوا الأدبار طالبين وادى العلق وقد طارت قلوبهم من النزع والقلق ولم يزالوا الى أن وصلوا المسلمين الى الحصن ونظروا الى الامير وأصحابه وهم يعلنون بكلمة الاخلاص وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلموا أن الامير ملك الحصن فرفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير والاستغفار حتى سبحت معهم الجبال والاشجار والاودية والاوعار والوحوش والاطيار ونادت سكان تلك الاوديه من الصالحين والعمار ما أطيب سماع ذكرك فمن علينا بحقيقة شكرك فقد أسمعتنا كلمة التوحيد وأوريتنا وجوه أهل التمجيد وضجت الوحوش والسباع الى مولاها شاكرة لما قد أعطاها ونادت الى عالم سرها ونجواها وسيدها ومولاها من لو توارت ذرة تحت الارض السابعة رآها الهنا إنا نسمع توحيدك فى هذه الارض وما عهدناها ونسمع آيات باهره ماسمعناها فعندها هتف بهم هاتف من السما أيتها الوحوش والطيور التى جمعت عند سماع كلام من خلق الاشياء وأنشاها فكم لله من مسبح فى رؤس الجبال ورباها وتحت أطباق الارض وما تحت العرش وسماها كل ذلك بحكمته التى أنشاها وسواها (قال الراوى) ياساده يا كرام وفتح باب الحصن ودخلوا الموحدين ونظرت الروميات الى عشرين ألف أسود كأنهم الغربان فكادت عقولهم أن تطير وكذلك الصبيان وملكوا الحصن بكل مافيه من جواهر وأموال ونساء وصبيان فقال الامير الحمد لله من قبل ومن بعد والله ما كان لنا فى حساب هذا الامر والشان ثم أمر بفتح الخزائن فوجدها ملآنة بالاموال وأمر أن يطلقوا القسوس والرهبان (قال الراوى) فلما أطلقوهم تقدم راهب من تلك الرهبان الى بين يدى الامير عبد الوهاب وقال اعلموا وحق المسيح إنى وجدت فى كتاب الملاحم انكم يامعاشر المسلمين تفتحون هذه الحصون أجمعين ولكم على بشارة وأريد بها عن ولدى وزوجتى فقال أبو محمد ما بشارتك ياراهب فقال اعلموا أننى حكيم هذه الأرض وطبيبها وعالمها وأديبها وانى أجد فى الكتب أن هذه الارض يفتحها رجل مجاهد فى سبيل الله وهو الذى يفتح مطلب العيص بن اسحاق عليهما السلام وهو مطلب فى وادى العلق الذى على طريقكم وفيه أموال الارض وفيه خزانة سلاح ملآنة سيوف صواعق وكتب الاولين والآخرين وأخبار المتقدمين فى ألواح من ذهب وفضه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الشيخ قال أيها الشيخ أنت عارف هذا المطلب فقال الراهب وحق المسيح انى عارف به أكثر من معرفة الطفل لثدى أمه وانه ماخرج هذا الكلام منى

لأحدوذلك أنه ما يقدر عليه أحد من الروم وما يفتح إلا للمسلمين فقلت فى نفسى ان قلت للروم عنه وما ينفتح لهم أصير كذاب فقال الأمير عبد الوهاب أين سملق فأجابه بالتلبيه فقال له انى خارج الى وادى العلق وأريد باقى الحصون وانظر الى قول هذا الشيخ الراهب عن المطلب فكن أنت ههنا فى مائة فارس من أصحابك واغلق الحصن ولا تفتحه لأحد حتى ترانى فقال سمعا وطاعه ثم أراح الأمير عبد الوهاب بقية ليلته ورحل فى عسكره ودخل الى وادى العلق طالب قلعة القرن ومعه الراهب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المنهزمين من الروم فانهم قطعوا وادى العلق ووصلوا إلى الحصن الذى يسمى حصن القرن فدفعوا البكاء والصياح ونادوا بصوت واحد وزعقوا بملك القلعة اسكندروس فقال لهم ويحكم ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا ياملك الأمر عظيم والخطب جسيم اعلم أنه قد دخل علينا قوم لايشبهون البشر سود الأبدان كانهم الغربان لايهابون الموت ولايخشون الفوت وهم على صور الجن والشياطين وقدقتلواالرجال وجندلوا الأبطال وأخذوا الغلمان والنسوان وقد قتلوا أخوك وولده قسطرى وملكوا الحصن ونزلوا علينا نزول السخطة فلما سمع الملك كندروس ذلك قال وحق المسيح هذا خبر منحوس وقد حل بكم الضر والبؤس وها أنا سائر اليهم قبل أن يصلوا الى ويقدموا علىّ وأوريكم قتلى لهم واشتفى منهم وآخذ بثاركم وثار أخى وولده ثم صاح فى قومه ونادى يا عبدة الصلبان انطلقوا إلى ماكتب عليكم من الجهاد (قال) وكان الملعون فى عالم عظيم يزيدون على مائة ألف بطريق من كل جبار عنيد ثم استخلف فى حصنه من قومه خمسمائة فارس وصار فى أحسن زى وأكمل أهبة بالأتراس الصفاق والرماح الشقاق الرشاق والبيارق والطوارق وساروا طالبين الأمير عبد الوهاب فانه لما توسط هو وعسكره وادى العلق ووصلوا الى لحلف الجبل وإذا فيه مغارة واسعة الباب فوقف عندها الأمير عبد الوهاب وجماعته والأصحاب فقال لهم الراهب وقد ضحك فى وجوههم وقال للامير عبد لوهاب ياسيدى اعلم ان المطلب الذى فيه ملك الأرض فى هذا المكان ثم ان الراهب نزل وضرب مسمار فى باب المغارة وجعل فيه خيطا طويلا وجعل يمد الخيط ساعة ويقف بحيث تسير الشمس ومازال كذلك حتى صار نصف النهار ثم قال الراهب لعسكر الأمير احفروا ههنا فقال الأمير للسودان دونكم وما أمر به الراهب فعند ذلك وثبت السودان وحفروا فما كانت إلا ساعة حتى ظهر لهم وادى وفيه قبر طويل طوله أربعين ذراع وعند رأسه لوح نحاس

وفى اللوح مكتوب هذا قبر الملك دامغ بن شداد بن عادل الأول عاش الف سنة وملك الف مدينة وفتح ألف قلعة وتزوج ألف بنت بكر عذراء ولم يجد من الموت مفر وعلى القبر مكتوب هذه الأبيات

كم قد وقفت كما وقفت وكم طربت وكم شربت مع الغانيات
وكم مشيت مع العصاة وكانى بك عن قريب يسأل عنك فقيل مات

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما قرأ الأمير عبد الوهاب هذه الأبيات بكى بكاء شديد ما عليه من مزيد ثم ان الراهب قصد الى ذلك الجرن وكان عليه سبع من النحاس فقال للسودان اقلعوا هذا الجرن ففعلوا فبان من تحتها أزج معقود وفى صدره أزج معقود وفى صدره لوح من نحاس وسلسلة فضه فنزل الراهب إلى آخر تلك البيوت وقال لهم اذا غبت عنكم ساعه ولم ترونى فاقلعوا هذه الصوره واقلعوا هذه السلسلة المربوطة وانزلوا خلفى تجدونى قد قضيت الحاجة (قال الراوى) ثم ان الراهب قد غاب فى هذا البيت مقدار ساعة زمانيه فتقدمت السودان إلى تلك الصورة النحاس فقلعوها والسلسلة قطعوها ونزل منهم قوم خلف الراهب الى البيت (قال الراوى) ياساده يا كرام فما وقعت الصورة الى الأرض حتى فاض الوادى بالماء من سائر الجنبات وامتلا الوادى أسرع من البرق فصاح الاميرأبو محمد بالناس اركبوا خيولكم واطلبوا لأنفسكم النجاة فقد مكر بنا الراهب الملعون وهذه الصورة هى المهلكة فركبت الرجال خيولهم وما لحقوا أن ينزلوا من لحف الجبل إلى الطريق التى فى وسط الوادى حتى صار فى الوادى تيار يقصف المسمار ويجر الصخرر والأحجار من شدة التيار فلما نظر أبو محمد الى ذلك أيقن ان الجيش هالك فقال اطلبوا لحف الجبل فمازوا طالبين الجبل هذا والماء نازل اليهم وقد أيقنوا بالعطب ونزلوا عن الخيل وساروا مشاة وقد طارت القلوب من الخوف وهبت عليهم رياح باردة لكثرة المياه الوارده هذا وقد بقيت الأرض سماء وماء وزاد الماء حتى بلغ الجبل فهلك أكثرها وتعلق فى الجبل أيسرها وصاح أبو محمد فى الناس اعلموا أن الراهب لايخلو حاله من أمرين اما أن يكون شيطان أو انسان فى صورة شيطان فان كان إنسان فلا بد أنه عرف موضعا وقد طلب لنفسه النجاة وان نحن بقينا فى هذا الموضع هلكنا بالماء فانزلوا بنا إلى المكان الذى نزل فيه الراهب وتوكلوا على رب المشارق والمغارب فهو ينجيكم من المعاطب وتظفروا بهذا الراهب فنزل أبو الهزاهز وقد صار أنفه من البرد مثل فرطوسة العجل وهو يقول ان أبقى الله فى أجلى ما أبقيت على راهب ولا قسيس (قال الراوى)

ياساده يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب نزل ونزلت الأميره ذات الهمه وقد ضاقت بها المذاهب لما رأت المياه تندفق من كل جانب ودخلوا فى المطلب فنظروا الى بيوت ودهاليز ماده فدخلوا يطلبون لهم منفذ فوجدوا فى آخر دهليز وفيه شخص قائم وفى يده سيف صاعقة وهو يدور على لولب مثل دوران الرحاه من شدة الماء فلو ضرب بتلك الصاعقة جبل لهدمه فلم يقدر أحدا منهم أن يتقدم فبينما الامير أبو محمد وأصحابه كذلك وهم يدورون فى تلك الدهاليز وأى دهليز دخلوه يلتقوا فى آخره شخص بسيف صاعقه يدور مثل الأول فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالصياح على باب المطلب قد علا والصراخ قد نما وكان السبب فى ذلك لما قال للامير عبد الوهاب أنه سيوريه المطلب الذى فيه السيوف والذهب وإنما هى كانت خديعة حتى يوقعهم فى العطب وكان لايعرف هذا الموضع الاهو وحده فكتمه لأنه عنده فى كتاب فلما كتمه نفعه فى وقته وان تلك الصوره كانت طلسم الماء حتى انفك عن مكانه فاض ذلك الوادى ولو دام جاوز الجبال (قال الراوى) وكان هذا الراهب يقال له شومدرس وكان الملعون خبيث أهل زمانه وانه لما دخل قدامهم بطل تلك المهالك بشىء يعرفه وسار تحت الأرض حتى طلع من وادى العلق وسار من تحت الأرض حتى ظهر من تحت قلعة القرن فعند ذلك وجد الملك سكندروس وهو فى عسكره طالب عسكر المسلمين لحثا التراب على رأسه وتقدم الى الملك (قال الراوى) وكان هذا الراهب شومدرس عندهم معظم وهو الكبير وعالمهم الخبير فلما رآه الملك قال يا أبونا الحمد للمسيح على سلامتك وعافيتك هون على قلبك فالأمر أهون من ذلك وأنا أمضى الى هؤلاء القوم وأشفى فؤادك منهم فلا يأخذك القلق فان القوم قد وقعوا فى بحر الغرق ثم ان شومدرس أعاد على الملك ما فعل بهم فكاد يطير فرحا وضحك عجبا ومرحا وقال لا بد ما أشرف عليهم وأنظر اليهم ثم انهم ساروا على عجل حتى أشرفوا على الوادى وهو كالبحر الزاخر وله موج تاير فقال الملك سكندروس يا أبونا لقد انقطعت الطريق وما نرى أحد من المسلمين غريق فقال شومدرس اعلم يا سيد الملوك أن المسلمين لما رأوا المياه نازلة اليهم فنزلوا خلفى فى المطلب وهم تحت الأرض مالهم فرج إلا من بيوته وان فى ذلك زقاق وفيه شخص وفى يده سيف صاعقه له ارعاد وابراق لو وقع على جبل لهدمه فما منهم من يقدر يدنو اليه على أنك تأخذهم الجميع قبضا باليد فقال الملك فكيف الوصول اليهم والقدرة عليهم وبيننا وبينهم بحر زاخر لا له أول ولا آخر فقال أيها الملك اذا أردتم زوال الماء ارفعوا تلك الصخرة

التى على فم باب القليب فأمر الملك جماعة من البطارقة أن يزيلوا ما أمرهم به الراهب فقصدوا اليها فوجدوها صخرة عظيمة فعالجوها بالحبال حتى انكشفت وبان من تحتها وادى يبلع الدنيا فما هم الا قلبوا تلك الصخرة حتى تحدر ذلك الماء وغاض ولم يعلموا أين مضى ونظر الراهب الى حوض رصاص فأمرهم بقلعه فقلعوه فانقطع ذلك الماء النازل فعند ذلك بانت الأرض والطريق السالكه فقال الراهب املكوا عليهم باب المطلب وقد سقيتموهم شراب العطب فسار الملك حتى وقف على باب الموضع فعند ذلك قال يا أبونا ما الذى تشير به علينا فقال أشير عليكم أن تقطعوا الحطب وتلقوه فى هذا المكان وهو باب المطلب الذى فيه الأمير والأميره وبقية الأمراء وتوقدوا فيه النار فيدخل اليهم اللهيب والدخان وأى من خرج اليكم وقع فى الذل والهوان ومن لم يخرج صار رمادا على طول الزمان فقالوا له نعم ما رأيت يا راهب ثم قطعوا الحطب وأتوا به إلى فم السرداب وأطلقوا فيه النار ورفعوا أصواتهم بالصياح وجعلوا ينتظرون الأفراح وسمعوا المسلمين صياحهم فقال لهم الأمير عبد الوهاب انظروا ما هذه الأصوات فخرج منهم جماعة تنظر الى الروم اللئام وهم بالسيوف قيام وقد سدوا فم السرداب بالاحطاب وأطلقوا فيها النار فعادوا وأخبروا الأمير فقال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم هذا والله البلاء قد أتانا من كل جانب فقالت الأميره ذات الهمه معلوم يا بنى أن الروم ما وقفوا على باب هذا الموضع الا وقد قطعوا الماء النازل ورموا النار حتى إذا خرجنا نحترق وان أقمنا مكاننا فبالدخان ننخنق وما لنا إلا نرمى نفوسنا عليهم وندوس النار والحطب ويسلم من يسلم ويعطب من يعطب ونلقاهم بوجوه وقاح وقلوب صحاح ونضربهم بالصفاح حتى نردهم عن باب المغار وإلا ما نحن من الأخيار ولا نحسب من المجاهدين فى دين الملك الجبار فان احترقنا بالنار فتكون نار الدنيا ولا نار الآخرة فى دار البوار وان قتلنا بسيوف الكفار فسوف نصل إلى دار القرار فقال الأمير عبد الوهاب هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) فهم على هذا الحال وقد هموا أن يفعلوا هذا الأمر الذى وقع عليه الاتفاق وإذا بأبو محمد البطال يصيح بهم إلىّ إلىّ قد جاء الفرج من عند صاحب الفرج فالحمد لله على ذلك فقال الامير عبد الوهاب لله درك يا أبا محمد فأنت صاحب الهمم ولا زلت عالى الشيم قل وأوجز فقال أبو محمد اعلموا أنى قد أجلت فكرى فى هذه الصور المتحركه التى تكون بطالق الدوران فاذا قرب الانسان منها أدارت ولاشك أنها لها تحت الارض شيئا يردها فاحفروا من حولها ولاتقربوها فحفروا

بسيوفهم من حول تلك الصور مقدار ذراع فى الأرض واذا قد بانت لهم فى الأرض حركات وهى برابخ مملوءة زيبق فى مجارى نحاس وهى مسلطة على ذلك الطلسم والزيبق له جريان فى ذلك الموضع أشد من الماء لأجل نقله وبكرات مشدودة مثل بكرات الدولاب ولها لوالب قائمه من تحت تلك الدهاليز فلو دبت نملة فى ذلك الموضع فيجرى الزيبق ويدور الطلسم فمن وقع عليه ذلك السيف قطعه نصفين فأمر عند ذلك أبو محمد أن تكسر الأخشاب بالسيوف فقطعوها ودنوا من ذلك الطلسم وقد بطلت حركته وأخذوا من يده تلك الصاعقة وخرجوا منه إلى فلاة عظيمة وقد كثر من خلفهم أجيج النار ودخل فى مناخيرهم الدخان إلا أن الفرج قد أتاهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن الله بالسلامة عليهم وان القوم ساروا والأميرة ذات الهمة وعبد الوهاب وأبو محمد البطال أمامهم يقطعون الأرض لا يفترون وطال عليهم المدا فأيسوا من أنفسهم وأيقنوا بالوفاة وقالوا ياترى يكون لنا من هذا الضيق فرجا ومخرجا ونحن علينا بالخروج من هذه المهالك فقال أبو الهزاهز وهو مثل الجمل الهائج لولا معرفتنا بهذا الراهب المشوم ما كنا نحتاج أن نجرى تحت التخوم (قال الراوى) ثم انسدل عليهم الظلام وأظلم عليهم المكان حتى أن كل واحد منهم لم ينظر وساروا القوم على الحس وهم ينادون بعضهم بعض وقد أقلقوا بصياحهم عمار تلك الأرض (قال الراوى) ياساده فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الملك كندروس فانه لما أضرم النار فى الحطب على باب فم المطلب ووقف ينتظر حتى يخرج اليه أحد من المسلمين فلم يخرج اليه أحد ولا أتاه من طلب منه أمان فبقى موله حيران وقال لشومدرس نحن مقيمين الليله هنا ونرحل الى القلعة فى غداة غد وننظر كيف نأخذها بسرعة غير أننى خائف أن يكونوا المسلمين لما دخلوا إلى هذا الموقع قد ساروا تحت الأرض وخرجوا من المكان الذى خرجت أنت منه فقال شومدرس لا وحق المسيح لأنى قد بطلت اللوالب بحكمتى ودخلت وعدت رديتها على حالها والموضع ضيق مظلم (قال الراوى) فلما سمع الملك من الراهب ذلك طابت نفسه وقال هذا هو الصواب ثم بات الى الصباح فلما انفجر الفجر ولاح نادى الملك بطارقته وسار من وقته وساعته وما زال ساير حتى أشرف على القلعة ودقت النواقيس وصاحت القسوس والرهبان حتى ارتفعت الأصوات الى العنان ونظروا إلى خيل العرب والسودان مطروحة فى الوادى غرقا من قوة الماء وشدة جريانه وقد ظنوا أن الكل قد هلكوا على هذه الصفه (قال) وقد طلع عليهم الأمير سملق هو ومن معه

لما سمعوا الأصوات التى ما عرفوها فرأوا عساكر الروم تسير مثل البحر الزاخر ليس لها أول من آخر فقال لقومه والله ما أتوا هؤلاء من بين يدى الأمير إلا وقد وقع فى الشرك ولا بقى يقدر لنفسه نفعا ولا ضرا ولقد رابنى هذا الأمر أن يكون للموضع طريقان وقد اختلفوا فى الطريق فعند ذلك أدعا الأمير سملق براهبة من بعض الرهبان وكان اسمها شوما وكانت هذه زوجة شومدرس وقال لها سملق ويلكى ياراهبة هذه الطريق الذى تخرج الى وادى العلق لها طريقان أو طريق واحده فقالت لاتخف على المسلمين فما عليهم شر ولا خوف لأنهم قطعوا وادى العلق ودخلوا فى المطلب وقد تقاسموا الفضة والذهب فعند ذلك قالوا أصحاب الأمير سملق والله ما عملوا معنا جميل لأنهم قد أخذوا المال وبقينا نحن هنا بأسوأ حال فقال لهم الأمير سملق أبشروا فان الأمير عبد الوهاب لا بد له أن يناديكم وأصحابكم ولا شك أن الأمير اشتغل هو وأصحابه فى المطلب وأخذوا الفضة والذهب وجاؤا هؤلاء على ماهم عليه يطلبونا قبل أن تطأ أصحابنا أرضهم وماعلموا أنه قد دخل فلا تخافوا فالموضع حصين والمكان أمين ولا يصل اليكم أحد أبدا (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت الراهبة ذلك ضحكت وقالت لا تخافوا فالأمر أيسر من ذلك وقد عرفتهم ماعمل معهم الراهب شومدرس من الجميل وسوف ينال منهم أوفى عطية ويصل اليه منهم الخلع والهدية وانى لو كان دينى دين النصرانية فانى تبع لزوجى وبعلى لأن المرأة من ضلع الرجل ويجب على أن أقارن فعلى بفعله وأنا أعمل معكم جميل على أنكم تكسروا هذا العسكر العظيم حتى أنهم لا يصلون اليكم ولا الى قلعتكم ويكون الذكر لكم ولأصحابكم لأن أصحابكم الأولين تحت الأرض وهم فى شغل من ملاقاة الرجال والأبطال بجمع الأموال فقال لها الأمير سملق ما هو الرأى الذى عندك فقالت اعلموا أن هذا الجيش الذى قد نزل بكم لاشك أنهم قد فارقوا حصنهم وخلفوا أميركم فى الطريق فأنا أعمل على هذا العسكر وأكسره فهنئا لكم بهذا الفتح مقابلة أخذ أميركم المطلب ويساويكم فى قسمة الذهب ويكون زوجى قد عمل مع أميركم ذلك الفعل الجميل وأكون أنا قد عملت معكم هذا التفضيل فقال لها سملق افعلى ما بدا لكى قالت يامولاى عندى فى ذلك الموضع موضع تخرجوا منه إلى خلفهم ومعكم النفط فتكبسوهم وهم غافلون ليحترقوا بالنار وهم نائمون وأنا أعمل على خيمة الملك سكندروس فتهبروه بسيوفكم فان قتل الملك فما يجتمع منهم اثنان وتكون عليهم كسرة وخذلان ويعودون الى الحصن الذى لهم فيجدون أميركم

قد حال بينكم وبينه فلا يكون له قصد إلا الحصن الثالث وأريد منكم أن تشهدوا لى بذلك عند أميركم حتى يكون لى منه الصله والعطية ففرح الأمير سملق بذلك وقال لها ياراهبة لكى علينا ذلك ولقد من الله سبحانه وتعالى علينا بكى وبرؤيتك وبزوجك شومدرس ثم ان سملق أقبل على القوم الذين معه فى الحصن وقال دونكم وقتال الروم فصعدوا على الأصوار والابراج ورموا بالأحجار إلى وقت الظهر والروم يقولون لهم يامسلمين دعوا عنا هذا القتال فقد قتلنا أميركم وأبطالكم وسملق لايلتفت إلى قولهم إلا مواظب على حربهم (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يزالوا كذلك إلى أن انسدل الظلام واختلط القتام وأقبل سملق على الراهبه شوما وقال لها نريد وعدك الجميل فقالت سمعا وطاعة ثم إنها وثبت من وقتها وساعتها وقد أخذت نسوان معها إلى أن جاءت بهم إلى وسط الحصن فقالت احفروا ههنا فحفروا مقدار ثلاثة أذرع فلاح لهم طابق كبير من النحاس فأمرتهم بقلعه فقلعوه وإذا تحته سلالم عراض فقالت لهم هذا موضع قد بان وانكشف خذوا معكم الآن قوارير النفط وخلوا معكم عشره على الأبراج حتى إذا أدهمتموهم من ورائهم يظنون أن أميركم قد رجع اليهم وأنا أعلم أنه مايجتمع منهم اثنان فقالوا سمعا وطاعة ثم فتحوا خزانة النفط وأخذوا منها بقـــدر مايحتاجون اليه ثم أدعى سملق بأبو الهول وضم اليه عشرة من السودان وتركه فى ذلك المكان من بعدما أوصاهم باليقظة هذا والعجوز بين أيديهم تدلهم وساروا حتى وصلوا إلى طابق من الحديد وعليه قفل وقالت لهم هذا باب الحصن الذى لا يعرفه إلا أنا وزوجى ومتى فتحتموه تمكنتم من عدوكم وها أنا خارجة معكم إلى القوم فقالوا لها كيف السبيل إلى فتح الباب فقالت فتحه على ثم أومت إلى طاقة فى الحائط وقالت المفتاح هناك ولكن يرفعنى أحدكم على كتفه وأنا آتيكم بالمفتاح فأنتم عندى مثل الأولاد قال فرفعها سملق على كتفه فطلعت إلى تلك الطاقة وكانت فى مقابلتها فلما دخلت منها لم تكن إلا ساعة حتى خرج من الطاقة مشط حديد كأنه الجمل العظيم ونزل فى عتبة من النحاس وبقى حاجز بينهم وبين الموضع الذى دخلوا منه ولم يبق لهم سبيل الى الخروج فأيقنوا عند ذلك بالهلاك وندموا حيث لا ينفعهم الندم وطلبوا منفذا أو مسلكا فلم يجدوا اليه سبيل ثم انهم تقدموا الى ذلك المشط وعالجوه فلم يقدروا على قلعه وقالوا من ههنا إلى الحشر والنياحه وأيسوا من الحياة والسلامه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماكان منهم (وأما ماكان) من العجوز شوما

فانها لما حصلت فى الطاقة فأدارت دولا با تعرفه هناك وإذا بذلك المشط قد نزل عليهم ثم دخلت من طاقة أخرى إلى الحصن وقد أوقعت سملق وأصحابه فى الهلاك ثم أنها اقبلت على نسوان الحصن وقالت انى عملت على المسلمين حيله ولم يبق منهم غير عشرة وأنتم ههنا أكثر من عشرين ألف امرأة وأنا أفتح لكم خزائن السلاح فخذوا سيوف فى أيديكم واهجموا عليهم وقد ملكتموهم فقالوا اعلموا اننا ان آتيناهم مقابلة ما تقدر عليهم ويقتلوا منا خلق كثير ولا يتركوا منا كبير ولاصغير فقالت لهم أنا أعمل لكم عليهم ثم أنها صعدت الى البرج ونادت بأبو الهول فقال لها ما بالك فقالت أنا شوما الراهبهوقد جئت اليكم طالبه لأن أميركم قد أمرنى برأى جيد فقالوا وما ذلك الرأى قالت اعلموا انى نزلت إلى أن وصلت الى القوم الذين هم أصحابكم إلىأن وصلت إلى باب الحصن وهو باب السر فخرجوا منه إلى خارجه وقد قصدوا إلى عسكر الروم فيوقعوا بهم الشرور والغموم وقد أمركم أن تأخذوا بقيةالنفط والحقواأصحابكم فاذا وقع النار فى خيام الروم ولم يبق لهم ثبات وقد أشرت لكم بهذه الشورة العظيمه فقالوا لها بشرى وسيرى معنا فسارت بهم إلى أن أتت بهم إلى باب مغلوق ففتحه لهم وإذا به ملآن نفطا فطرحوا سيوفهم وعبروا الى النفط وأخذ كل واحد أربعقوارير نفط وحملت هى سيوفهم وخرجت وكانت الملعونة قد رتبت النسوان وقال إذاسمعتم صرختى فبادرا الى نصرتى فلما خرجت شوما بالسيوف أرمتهم فى جبهناك ورفعت صوتها بالصياح فعند ذلك خرجت النسوان أسرع من البرق الخاطف بالسيوفوقد رفعوا أصواتهم بالصياح فخيل لأبو الهول وأصحابه ان الحصن قد انقلب ووثبت العجوز أسرع من البرق وصارت بين السودان وقالت يا كلابالعربوحمالينالحطب سلموا أنفسكم وإلا وحق المسيح قطعناكم قطع وبضعناكم بضع فقد عمل زوجى على أميركم وأصحابه فان استسلمتم حملتكم إلى السجن فان سلم أميركم ورجع إلى الحصون فتكونوا أنتم فداء لمن يكون معه من أصحابنا وإن عطب ألحقناكم به وصاحت فى النسوان خذوهم بالسيوف وكتفوهم فقال أبو الهول لأصحابه الحيلة قد تمت حتى أخذت سيوفنا من أيدينا ومالنا طاقة بما بلينا به وما لنا لا نسلم أنفسنا والا نحن هالكين (قال الراوى) فعند ذلك أرموا النفط من أيديهم وسلموا أنفسهم فقبضت عليهم شوما ثم أمرت بكتافهم فدنت منهم النسوان وفى أيديهم السيوف وجعلوا يقيدوا كلواحد منهم ويشدوه كتافحتى يحسان الدم طار منأظافيره وساقتهم إلى بعض البيوت وقفلت عليهم الباب وأخذت مفاتيح الحصن وأتت الى أعلا البرج

وأوقدت الشموع والمشاعل حتى صار الليل كالنهار وعرفت الملك بالحيلة التى دبرتها على المسلمين ففرح الملك بذلك فرحا عظيما ثم ان شوما نزلت وفتحت باب الحصن وقال الملك لشومدرس لقد أوليتنا أنت وزوجتك ما لم نقدر نكافئك به فالمسيح يكافئك على ذلك (قال) ثم دخل الملك وخواصه الى الحصن ومعه شومدرس وقال لزوجته أين الذين قبضتى عليهم قالت له بعضهم فى السرداب وبعضهم فى الخزانة التى خلف الباب فضحك الملك وقال أريد القوم الذين أخذتيهم حتى أضرب رقابهم وآخذ ثار أخى وثار ولدى فقال شومدرس يا ملك ان المسيح قد قتلهم بأدنى العذاب وقد ماتوا من العطش فدعهم على ما هم عليه فأكثر ما يقيموا خمسة أيام وقد ماتوا من الجوع فان شئت أن تقتل هؤلاء العشرة فافعل ما بدالك فقال الملك على بهم فأحضروهم بين يديه وهم على أقبح صورة وإذا بالصياح قد علا فى وسط عسكر الروم وصراخهم قد نما فقام الملك من مكانه فزعا مرعوبا وقال انظروا ما الخبر فهو على ذلك الحال وإذا قد دخل عليه بطريق يقال له مسطاووس بن بولص وهو الذى كان استخلفه الملك فى الحصن عند ولده مرتوما فقال له ما وراك ومن بشره رماك فقال له ورائى الموت الأحمر الذى لا يبقى ولا يذر ولا لنا منه خلاص ولا مفر فقال الملك وما هو الموت الأحمر فقال البطريق يا ملك قتلت الرجال وهلكت الأبطال وأخذت الصبيان وملك الحصن وما سلم منهم غيرى فقال له ويلك وكيف ملك الحصن وهو موضع لا يرام فقال ما شعرنا إلا والقوم قد طلعوا علينا من الحصن كأنهم الجن وما كانت إلا ساعة حتى خلوهم رءوس بلا أبدان وأخذوا بنتك أسيره فان كان عندك من القوم أحد فاحتفظ عليه حتى يكونوا فداء ولدك وابنتك والا ما يخلصوا أبدا فلما سمع الملك ذلك بكى بكاء شديد وبكت معه الحاضرين لأجله ولأجل أولادهم فجعل الملك سكندروس يسكن روعهم ويقول هذا الحصن عوضا عن حصنكم وعندى أسارى نفادى بهم أهالينا وقد حصلوا فى أضيق مضيق وقد ملكنا الدروب عليهم فما هذا الذى قد نزل بكم ثم أمر أن يفتح باب السرداب ويخرج سملق وأصحابه فقالت الراهبة ما هذا صواب لأن القوم كأنهم الجن ومعهم عددهم وسلاحهم وكل واحد يريد لرأسه ألف فارس ولكن خلوهم يومين أو ثلاثة حتى تضعف قوتهم وننزل اليهم وهم لا يقدرون أن يدفعوا عن نفوسهم فقال الملك نعم ما رأيتى ثم قال للراهب شومدرس يا أبونا من أين طلعوا المسلمين الى القلعة فقال لا أعلم إلا أنى متفكر فى ذلك (قال الراوى) وكان من قضاء الله وقدره أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه لما وقعوا فى المهالك كما ذكرنا ومشوا

تحت الأرض كما وصفنا فجدوا فى سيرهم إلى أن أصبح الله الصباح فلما وصلوا الفجر وصلوا الى الموضع الذى خرج منه الملعون شومدرس ونظر أبو محمد إلى ذلك ففرح فرحا عظيما وقال الحمد لله على نعمه هذا والله هو باب الملك وهو يخرج إلى هذا المرج ولكن كونوا على حالكم حتى أخرج وأعود اليكم ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فعند ذلك طلع أبو محمد من تلك الحفرة فنظر إلى قلعة الغرن وهى شاهقة بالقرب منه فقال هذا والله الحصن الثانى وان العسكر قد ساروا فى طلبنا وما رجعوا ثم عاد إلى الأمير عبد الوهاب وأصحابه وقال لهم اصبروا ولا تطلعوا من هاهنا فان قلبى يحدثنى أن هذا السرداب ينتهى بنا إلى تحت القلعة والله الموفق ثم قال اتبعونى وسار تحت السرداب والمسلمون خلفه فقالت له الأميره ذات الهمه ياأبا محمد اعلم أنك إذا سرت لا يخلو أمرنا من حالتين اما ينتهى بنا الطريق إلى القلعة أو يكون فى هذا الوضع مهلك آخر فنهلك وإلا كنت خرجت بنا من هذا الموضع فقال أبو محمد ليس هذا صواب لأنكم قد عطبت خيولكم وهذه القلعة عالية حصينه لا سبيل لكم اليها وان رجع عليكم عسكر الروم وأنتم مشاة طحنوكم بسنابك الخيل بل اتبعونى وتوكلوا على الله عز وجل فاستصوبوا رأيه وساروا خلفه حتى انتهى بهم الطريق إلى باب من الحديد فقال أبو محمد للسودان أريد منكم قلع هذا الباب فقال أبو الهزاهز وعى يا أبا محمد أن يقلع هذا الباب فيطلع علينا الماء من تحت السرداب فلا ينجو منا أحد ولا من بنى كلاب فضحكوا من قوله ولم يزالوا يلخلخوا حول الباب حتى قلعوه فعند ذلك وجدوا درج صاعد إلى أعلا فقال أبو محمد الله أكبر فتح الله ونصر هذا والله علامة الخير والظفر اصعدوا بارك الله فيكم فصعدوا وقد جردوا سيوفهم وتوكلوا على ربهم ولم يزالوا صاعدين حتى انتهى بهم الصعود إلى باب مغلق فسمعوا من وراءه كلام القوم وهم يقولون قد أبطأ علينا خبر الملك سكندروس فقال لهم بعض من كان فى القلعة الأولى من المنهزمين وأبو محمد يسمع والرجل المتكلم يقول أيها الملك ان الأمر عظيم والخطب جسيم لأن هؤلاء القوم الذين قتلوا ملكنا وأخذوا قلعتنا قوم سودان فقال مرتوما وحق المسيح ولو كانوا من قوم عاد لأتينا بهم فى الأصفاد فعند ذلك قال أبو محمد للأملا عبد الوهاب اعلم أن القوم فى حديثنا ولا سبيل اليهم إلا بالحيلة فكونوا على ماأنتم عليه ثم ان أبو محمد طرق الباب طرقا خفيفا فقالوا من بالباب وقد قلوا لمرتوما أماتسمع الذى بباب السر يطرق فقال لاشك ان أبى أرسل الينا رسولا فلما سمع أبو محمد ذلك طرق ثانيا فقال من الطارق فقال أنا شومدرس

وانى قد عملت على المسلمين كلهم وقد اهلكتهم فى المطلب وقد جئت لامر أشير به عليكم فلما سمعوا بذلك بادروا الى فتح الباب وعلم أبو محمد ذلك فقال للامير عبد الوهاب ولأبو الهزاهز والأميره ذات الهمة ولسائر الأبطال المذكورين اذا رأيتم الباب قد فتح فأسرعا الدخول ومكنوا السيوف بالضرب فهم فى الكلام واذا بالباب قد فتح فعند ذلك وثب أبو الهزاهز ووثب من بعده عبد الوهاب ووثبت من بعده الأميره ذات الهمه كأنها اللبوة المهمهة فعند ذلك نادى مرتوما اغلقوا الباب فقدامتلأ الحصن من الكلاب الذين طلعوا من السراب فهجمت البطارقة على عبد الوهاب فالتقاهم عبد الوهاب بالصارم القرضاب وحل أبو الهزاهز والأميرة ذات الهمة فى أوائل الناس وقتلوا مقتلة عظيمة ثم نظرت الروم الى ثلاثة رجال قد خطفوا الأرواح وهم يرمون من الروم الأشباح وطلع ضيغم وقشعم وطمطم وشيظم والأفلاج وسعد وسعدان والأصلع وتجروم والأسطح وغيلم وبلدم وملابط البغال وشارب الدم وخساف الصدور وباغض رأسه وكاره حياته وطمطم والدموك وكرم (قال الراوى) ثم طلعت بقية السودان وبنى كلاب حتى امتلأ الحصن منهم هذا وقد سالت الدماء وامتلأت عرصات الحصن بالقتلا ولم يزالوا طالعين الى أن صاروا فى الحصن وهم فى خمسة وأربعون ألف فارس فعند ذلك نادوا أهل لورك لورك يعنى الأمان الأمان فأمنهم الأمير عبد الوهاب وأخذ كل من فى الحصن أسير وفرح بذلك الفرح الشديد ولم يبق فى الحصن إلا البطرق الذى ذكرناه وهرب وأوصل الخبر الى الملك سكندروس كما وصفنا وأن الأمير عبد الوهاب بات تلك الليلة وأصبح جميع أصحابه وقال لهم اعلموا أن فى هذا الحصن من المال مالا يعد ولا يحصى فان كان فاتكم المطلب فقد نلتم من هذا الحصن غاية المراد والأرب والآن فنحن نخلى فيه ولدى الأمير ضيغم ومعه مائة فارس ونخرج نحن الى مرج الثغور والقلعة السودا فقالت الأميره ذات الهمة يابنى على مهلك فوالله لقد رابنى أمر الملك سكندرس فانه لما ظفر بنا وقد مضى الى القلعة التى فيها سملق وأصحابه ولعمرى لقد فرطنا فى أمرهم ولو كنا تركنا فى القلعة قدر ألف فارس لكان رأيا سديدا ومن الرأى عندى أننا نأمر ضيعم أن يغلق باب الحصن ونسير راجعين الى القلعة ونفصل من سكندروس الملعون هذه النوبة وننظر ماجرى من أصحابنا ولا بد لى ما أمضى اليه وأهجم عليه فعسى الله أن يظفرنى به وبالملعون شومدرس فقال أبو الهزاهز والله لأن مكننى الله منه لأجعلنها عليه أيشم السنين وألطمه بالشمال وباليمين فقال الامير عبد الوهاب ان كان ولابد من الرحيل

الى ورائكم فيكون فى يومكم هذا فعند ذلك خرجت العساكر وتركوا ضيغم فى قلعة القرن وساروا مجدين حتى وصلوا إلى المطلب فوجدوا بين أيديهم الغبار قد علا والصراخ قد نما وخيول قد ملأت المستوى وفى أوائلهم الملك سكندروس وبين يديه رجال وأبطال وهم فى العدد مائة مصفدين فى الأغلال فتبينهم الامير عبد الوهاب وإذا هم أصحابه الذين تركهم فى الحصن فقالت الاميره ذات الهمه وأبو محمد ما ترى فى هذه القصة أخذوا والله أصحابنا وملكوا الحصن فكيف السبيل الى أننا نتركه ونسير فقال أبو محمد نحن نطلب من الله أن يجعل العسير يسير ثم قال أيتها الاميره كل الامر عجب ألا ترين هذا العسكر الذى قد ملا البرارى بصهيل الخيل وجعل النهار كالليل وقد شعشعت بوارقه وانتى تسألى عن الحصن وعوائنه فقالت الاميره والله يا أبا محمد ما أبالى فى طاعة الله تعالى دخل الموت علىّ أو دخلت عليه فقال أبو محمد لله دركى يا سيدة المجاهدين ما أصبرك على لقاء الكتائب وملاقاة المواكب فقال الامير عبد الوهاب وقد أقبل على الاميره وقال ما الرأى عندك قالت الرأى عندى أن نلتقى القوم قبل أن يلقونا ونبدوهم قبل أن يبدونا فان البدرة لمن بدر فقال لها الامير افعلى ما بدا لك فهى فى الكلام والجيش قد قرب منهم وكان الملعون سكندروس أمكر أهل زمانه وأشجعهم وهو فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق وأنه لما وقعت عينه على عسكر المسلمين قال لشومدرس هذا عسكر المسلمين قد رجعو الينا طالبين ونحن لا شك بعددهم مرتين وفى قتلهم ضعفين فهل ترى أن نرمى أنفسنا عليهم فقال شومدرس اعلم أيها الملك أن الحرب خديعة ونريد أن نرسل لهم أنتم قد أخذتم حصنين ولكم عندى أسارى ولى عندكم مثلهم وانى قد أرسلت الى أخى الذى فى الحصن الثالث وكأنكم بالعسكر وقد أطبقت عليكم من خلفكم ومن بين أيديكم وعلى أننى أمنعكم المسير الى بقية الحصون فقال الملك وإيش الفائدة فى ذلك إذا أجابوك إلى الصلح فقال نطلب منهم الأمير الاشقر الازرق العينين صاحب الرأى الأوحد أن يأتى الينا حتى نقرر معه الحديث فاذا جاء الينا قبضناه ولا يمكن أن نبعثه اليهم فقال وإيش نعمل به قال اعلم أن ذلك الشيطان يقوم بالحصن وحده وهو مشيرهم ومدبرهم ولقد رأيت أميرهم يناديه بأكرم المناداه لدفع الأعداء فانك ان أخذته وعولت على قتله أعطوك كلما عندهم من أسارى ومن مال وحصون فقال الملك فكن أنت الرسول اليهم والقادم عليهم فقال لا أقدر على ذلك لأنى فعلت فى حقهم ما لا يفعله أحد ولعبت بعقل أميرهم فى طلب المطلب ولكن ارسل اليهم ولدى دهرشوم وهو يقوم مقامى فادعى به الملك وقال له يا دهرشوم امض الى هذا

المقدم على هذا العسكر وبلغهم الرسالة التى قالها أبوك فقال سمعا وطاعة وما لهم عندى أكثر من الحيل والكذب وهو بضاعتى ثم حزم وسطه وخرج من العسكر من وقته وساعته وسار الى أن وصل الى عسكر الامير عبد الوهاب فلما رآه الامير أبو محمد قال للأمير عبد الوهاب هذا رسول وصل الينا وان صدقنى حذرى ولم يخطئنى فهو ولد شومدرس لأنى أرى الشمائل شمائله وما أتى إلا لأمر قد أحكمه (قال) وأن الملعون دهرشوم قد قبل الأرض بين يدى الأمير عبد الوهاب ثم انه قال بالرومى سلام عليكم اعلموا أنى رسول اليكم فاسمعوا رسالتى ولا عتب فى مقالتى فان سائر الأمم قد أجمعوا ما على الرسول إلا البلاغ فلما سمع أبو محمد كلامه قال هذا والله من لعنة شومدرس ثم وثب اليه وقال له فيما أتيت قال اعلم أن الملك قد حقن الدماء وأرسلنى من أجل فكاك الأسارى حتى يقع الصلح على الفداء ثم انه ذكر الرسالة التى تقدم ذكرها . هذا والأمير عبد الوهاب يسمع ما يتحدثون به فقال يا أبا محمد كل ما أراده الملك نحن نفعله ونبلغه الى ما يريد قلبه ويدبره من احتراقه على ولده وان أراد الملك يدفع لنا أصحابنا وندفع له أصحابه وولده فقال دهرشوم فاذا لم تفعلوا فأنتم تعرفون الملك بأنه جبار عنيد وبطل صنديد وهو فى اضعافكم فقال أبو محمد رضينا أن نفدى أصحابنا بأصحابكم الذين أخذناهم من الحصن وبعد ذلك القتال فامض الى الملك وقل له ينزل الى أن نرسل الى الحصن ونأتى بمرتوما فقال دهرشوم إذا كان الأمر استقر على هذا الحال فتأتى معى الى الملك كيما يسمع كلامك فقال أبو محمد فى نفسه هذه والله غاية الحيلة ثم التفت الى الامير وقال له إيش رأيت فى هذه الحيلة فقال الامير وكيف ذلك يا أبا محمد فقال ان القوم ما لهم غرض بالفداء وإنما أتوا يدبرون الحيلة حتى أحضر عندهم ويقبضون علىّ وكل ذلك من ترتيب الملعون شومدرس فضحك الامير عبد الوهاب وقال ان الرسول ما عنده إلا البلاغ وما يتعرضون لك بشر فقال أبو محمد فان كان ولابد من رواحى فاعقل هذا الرسول عندك فى الاغلال ودعنى أمضى اليهم فقال الامير حبا وكرامة ثم قال للرسول اقعد عندنا حتى يمضى رسولنا إلى صاحبكم فان أكرمه أكرمناك وان أهانه قتلناك فلما سمع ذلك دهرشوم الملعون ابن الملعون وقع به البلاء والغموم ولم يعجبه ذلك وقال وحق المسيح هذا الامر غير محمود وان كانت قلوبكم غير طيبة فانى أرجع الى قومى ثم ألوى رأس جواده وسار الى قومه وهو لا يصدق بالنجاة وقد نظر الى السودان وهم يبربرون فقال أبو محمد يا مولاى هذا ما أتى إلا ليدبر الخديعة فاقبض عليه فقال الامير هذا لا يكون من

شيم الكرام ولا من فعال الابطال (قال الراوى) ووصل دهرشوم الى الملك سكندروس فقال الملك ما الذى جئت به من الجواب فقال أيها الملك الكتاب الذى كتبناه قرأه ذلك الازرق العينين وأعاد الذى جرى من أوله الى آخره فقال الملك مافى الامر إلا القتال وحق المسيح لأتركن أجسادهم حتى تأكل منها الوحوش وتشبع من لحومهم ثم صاح فى البطارقة وقال دونكم والحملة على القوم ونظر الامير عبد الوهاب الى أفعال الروم الكلاب فأمر السودان الانجاب وسادات بنى كلاب بالحملة على القوم اللئام فحملوا عليهم السودان وفرسان بنى كلاب كأنهم أسود الغاب ودام بينهم الطعان والضرب بالبتار حتى علا عليهم الغبار والضباب وشابت فى تلك الساعة الشباب ووقع الضرب خطأ وصواب وتقطعت الاسباب وضربت الرقاب ولعبت الخيل بروؤس الركاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل بين القوم من الصبح الى الغياب وقد سكر الفارس من غير شراب وطلب الناس الفراق فأتى الملك سكندروس وطلب القتال فى الليل الهادى وقطعت الايادى ونادى بفروغ الأجل المنادى (قال الراوى) ياساده ياكرام فعند ذلك صاح الامير عبد الوهاب بالسودان الانجاب وقال : يابنى حام ياشبه الظلام اصبروا على ضرب الحسام ولا تخافوا من هؤلاء اللئام واستعينوا عليهم بالحى الذى لاينام (قال الراوى) فعندها قطعت العوائق والاكتاف وشربت النفوس شراب التلاف وتقطعت الرقاب من خلاف وتعب الفارس الجبان ومن الموت خاف فكم قد هوى من صريع وكم قد شربت الارض العطشانة من النجيع (قال الراوى) فبينما الناس كذلك واذا بالصياح من خلف عسكر الامير عبد الوهاب قد علا ونما وملأ الوادى وزعزع الفلاة وعظم البلاء وصاح الصياح ألا وان صاحب القلعة السوداء قد أتى فى ثمانين ألف فارس من كل بطل مداعس وكان اسمه مر طاووس وقد استخلف ولده موضعه وقد دقت النواقيس وصاح كل راهب وقسيس فأطلفوا على عسكر الامير من خلفهم ومن أمامهم وتصادمت الخيل وحل الويل ولم يعرف فى تلك الساعة الأخ أخاه وكثر القتال ودام وتصادموا صدام وأى صدام وزعق على رؤوسهم غراب البين وحام ونادى الامير عبد الوهاب ياسادات بنى كلاب اطلبوا إحدى الطائفتين وصاح بالسودان ياآل حام احملوا على هؤلاء اللئام وابشروا بالثواب واعتمدوا على ضرب الحسام فعندها صاح أبو الهزاهز عليهم وقال أنا وأصحابى النادمين وكان أكثر السودان رجاله غير خياله لأن خيلهم هلكت كما ذكرنا وتلك الخيل التى مع بنى كلاب كانوا

قد أخذوها من قلعة القرن وجملتها خمسة وعشرين ألف من الخيل الجياد فركبها بنى كلاب وباقى الناس رجاله (قال) وان بنى كلاب مع الامير عبد الوهاب . وأما أبوالهزاهز فانه جرد السودان على القادمين وكانوا خلق كثير فصاح بالسودان ياويلكم اصبروا على الضراب والطعان ودوسوهم فى قاع الصحصحان فقالوا سمعا وطاعة فانظر الى قتالنا فى هذه الساعة (قال الراوى) ثم صاح كل واحد من السودان وقصدوا الروم من اليمين ومن الشمال وكل واحد يمسك الرومى من أطواقه ويجره مثل الخنزير الى الارض وينحره ثم يركب على ظهر فرسه حتى تكاملت السودان على ذلك الشان وصاروا كلهم خيالة ونزلوا على الروم نزول القضاء فأسقوهم شراب الردى والتقى الامير عبد الوهاب ومن معه من بنى كلاب عسكر الملك سكندروس فلقوا منهم كل صعب وبؤس ودعس فيهم طارق الحجازى بالسيف وجرت دماهم مثل السيل حتى كلت منهم الرجال والخيل وقل منهم القوى والحيل ومالت المسلمين على الروم فى هذه الليلة كل الميل حتى تقطعت القوائم من الركب وشربت الكفار شراب العطب وتعبت الروم والعرب ولم يجدوا للنجاة سبب وانسد عليهم كل مذهب ولم يجد الجبان لنفسه مهرب ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل حتى ذهب الليل بظلامه وأقبل النهار بابتسامه ورجع الخصم عن خصمه وضجر من حربه ورجع الامير عبد الوهاب هو وأصحابه وصار الامير يفتقد أصحابه ومن فقد فى تلك الليلة من رجاله فلقى الذى فقد منهم راشد بن ضمرة وعوف بن مرة ومالك ابن طوق وظاهر بن المسيب وفرقد بن طارق والأشعث بن صادق وهياج الكردى وبناته وزوجته ومدركة وعبد الله وطارق الحجازى وأبو محمد البطال وجماعة من الأقيال وافتقدوا السودان فوجدوا قد فقد منهم طمطم وطاطم وأبوالمسح وملاكز الريح وكاره الحياة وباغض راسه وأكال مداسه والمزمع وأكال الضفدع وقاطع الرؤوس وكاسر الأضلاع وخامد النفوس وهم مقدار أربعين أسود ومن جملتهم أبوالهزاهز فعندها قال الأمير لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم وثب الأمير ووثبت جماعة من السودان وجماعة من بنى كلاب وصاروا يفتقدون من عدم من الأصحاب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان الملك سكندروس لما أصبح الصباح زعق لقومه وقال لهم : ياويلكم لاتزجعون عن القتال حتى تهلكوا هؤلاء الأندال فقالوا له الروم : أيها الملك المفضال وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم

والتحليل ما بقى فينا قوة للقتال ولا جلد للمعاركة والنزال فلما سمع كلامهم نزل بهم على رأس الطريق حتى لا يكون لهم منه خروج ولا خلاص ولا من مكانهم مقاص ونزل صاحب القلعة السوداء ومرج التنور على يمينه فى ثمانين ألف وجعلوا يتحدثوا بما لاقوا من السودان من الذل والهوان وبكوا على من قتل من الرفقة والخلان والأصحاب والجيران فقال لهم الملك طاؤوس صاحب القلعة السوداء على اليوم أن آخذ بالثار وأكشف العار وأحرق الكل فى تنور النار حتى لا يرجع أحداً يطأ هذه الديار ولكن استريحوا بنا حتى يطلع النهار وقوموا الى ضرب البتار واطلبوا النصر من التنور والنار (قال الراوى) هذا ماجرى ههنا من الكلام وأما ما كان من المسلمين فانهم جعلوا يطوفون على القتلى وقد تخضبت وجوههم بالدماء فلم يعرفوا منهم أحد فأيقنوا بفناء أصحابهم الى الابد ونظروا الى القتلى من الروم واذا بهم عالم عظيم فعادوا الى الخيام وأخبروا الامير بهذا الكلام فقلق وزاد به الهم والأرق فقال للأميره قد عدمنا من أبو محمد مشورته ومن أبو الهزاهز شجاعته فقالت الاميره يابنى انى رأيت أبو محمد نصف الليل وهو مثل المجنون وهو ينادى بمالك بن طوق وراشد بن ضمرة ثم قصد الى السودان فظننت أنه يحرض الجميع على القتال والنزال ولكن لا أعلم ما كان منه فقال الامير والله ماهو إلا فى أمر عظيم وحال جسيم فالله يعينه على ماهو فيه وينصره على من يعاديه ويوفقه الى الخير والتوفيق (قال الراوى) وكانت قصة غيبتهم عجب عجيب يفهمه كل ذى عقل لبيب وذلك أن الامير أبو محمد لما اشتد القتال فى تلك الليلة المذكورة ودام فيها النزال والضرب بالحسام خرج من المعمعة ومعه غلمانه سبك ويانس وبديع وجوهر وقصد الى لحف الجبل يطلب أن يعمل شيئًا من الحيل ونزل من وراء عسكر الروم الملك سكندروس لعله يتوصل الى خلاص سملق وأصحابه فهو كذلك وقد نزل وتواطأ من الجبل واذا بسملق وأصحابه على الطريق ومعهم مائة بطريك وشومدرس أمامهم وهو يقول ما الرأى عندى انكم تردون هؤلاء السودان الى الحصن حتى نرى ماذا ينفصل العسكران ويجتمع الجيشان فقالوا البطارقة وحق المسيح هذا هو الرأى الصحيح غير اننا لا نقدر على ما تشير به علينا إلا بأمر الملك فقال شومدرس هاأنا أخوض القتام فى هذا الليل الهادى وأحضر لكم بأمر الملك ثم دخل العسكر وهو يتلو الانجيل بصوت جميل (قال الراوى) فلما رأى الأمير أبو محمد الى هذه الفعال وهذا الحال ادعى بغلمانه وقال قفوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم فأنا أؤمل من الله الخلاص بسملق وأصحابه وفتح حصن العلق

وقبض شومدرس ولو أنه فى ظلام الغسق ثم رجع أسرع من البرق إذا برق وثيابه قد شمرها على أكتافه ودخل الى المعمعة وجعل ينادى برجل بعد رجل وهو يقول أتبعنى على عجل وأسرع بنا الى هذا الجبل وأخذ من السودان أربعين ومن العرب عشرين أقيال أنجاد بسواعد شداد ورماح مداد وسيوف حداد وقال اطلبوا بنا لحف الجبل وسيروا على مهل (قال الراوى) ياساده يا كرام ولم يزالوا سائرين حتى عبروا العسكر فوجدوا القوم على حالتهم فى وسط الطريق وقد وصل الشيخ الزنديق الملعون شومدرس رأس الضلال واجتمع بالملك سكندروس فقال للبطارقة أوصلوهم الى الحصن ولا ترجعوا حتى أعود إليكم فقال شومدرس : لا تفزع أيها الملك على الحصن إذا كنت أنا فيه وزوجتى فلو نزل عليه جميع الموحدين لتركتهم يرجعوا خائبين (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك شكره وسار والقوم معه والأسارى بين أيديهم والأمير أبو محمد سائر فى عراضهم فكلما انتشرت خيلهم يأمر من أصحابه رجل يختلط بهم والليل قد نشر سواده على العباد . فلما اختلطوا فى جملتهم قال أبو الهزاهز : ما انتظارنا يا أبا محمد دعنى حتى نمكن منهم المهند فقال أبو محمد لا تعجل فقد يكون مع المستعجل الزلل وأنا قد دبرت احتيال فلا تفسده يا أبا الأشبال بل ترجل معهم الى الحصن عسى أن نملكه فقال أبو الهزاهز أحسنت ياأبا محمد لله درك فيما دبرت من الامور فأمر بما تريد فكلنا لك عبيد فنحن ستين والاسارى خمسين فلو كان فى الحصن ألفين ما بالينا بهم وسترى العجب وساروا حتى وصلوا الى باب الحصن فصاح شومدرس : افتحوا الباب فقد بلغنا المراد فأجابوه الحراس وقالوا لانفعل ولا ندخل الى الحصن الرجال أو يأتى الملك سكندروس صاحب الجبل والناموس فناداهم : ويلكم أنا شومورس افتحوا فصاحت « شوما » عند سماع كلامه على الحراس : افتحوا الباب ونزلت حتى تتمشى قدامه ففتحوا الباب ودخلت الروم والسودان والأعراب وغلق باب الحصن (قال الراوى) هذا والأمير أبو الهزاهز لما أن توسط الحصن صاح بأعلى صوته : الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر فعند ذلك أجابته الستين ألف عن صوت واحد وصاح أبو محمد وذكر النبى محمد (ياساده يا كرام) وسمع الامير سملق تكبير أبو الهزاهز وأصحابه فأيقن بالفرج وأن يكون له من الضيق فرج هذا وأبو الهزاهز قد شمر أثوابه وكشر على أنيابه وفعلت السودان مثل فعاله وحملت على الروم فكان عليهم ليلا ميشوم وناح عليهم الغراب والبوم وتصادمت الرجال

وهى تارة تقع وتارة تقوم . هذا والأميرأبوالهزاهز زعق فيهم زعقته
المعروفة أدهشهم وقفز الى نحوسملق وقتل البطريك الذى معه
وخلصه من الأسر والضيق واصطحبا الاثنين فى قتال
الروم فأبادوا الأبطال وملكوا الأطلال
وانهزموا النساء والأطفال ولما نظر
شومدرس إلى ذلك أيقن بالهلاك
ولم يكن له فكاك إلا الباب
والنجاة من هذه
الأسباب

(تم الجزء الثانى عشر ويليه الجزء الثالث عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثالث عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم ان أبو محمد وأبو الهزاهز لما ملكوا الحصن هو وأصحابه طلب الراهب شومدرس وقال على به فوالله لا بد لى أن أخرج الحكمة من قلبه وأمكن يدى من شعر ذقنه فدارت عليه الغلمان وفى قلوبهم منه شعل النار فلم يجدوه وكان ذلك عليهم أكبر المصائب وأشد النوائب وأقبل الأمير سملق الى أبو الهزاهز ومعه عجوز كبيرة وهو يجرها بشعرها فغدمها لأبو الهزاهز فقال له ماهذه يا ابن العم فقال هذه أم الدواهى التى تركتنى فى نار المقالى شوما أم دهرشوم زوجة شومدرس ولابد لى ماأزيقها العذاب وأعرفها كيف تكون الهموم والغموم وأصبحها صباح ميشوم (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام والمشاجره واذا بأبو الهول قد أقبل ومعه هرشوم نسل الشيخ الظلوم فقال أبو محمد هذا والله الذى جاء يطلبنى ويخدعنى ثم قبض عليه وعلى شوما وملكوا الحصن بكل مافيه من الأموال والصبيان والاطفال والنساء والرجال (قال الراوى) وكان الملعون شومدرش لمانظر إلى ما قد حل بأصحابه ومن قتل من أحبابه طلب الراهبة شوما فماقدر على خلاصها فقصد الباب وخرج وهو غارق فى بحر كثير اللجج وسار فى ظلام الليل حتى غاب كوكب سهيل وطلع الى جبل وهو على سرعة وعجل ومازال يمشى بين الأشجار وهو خائف من أسد يفترسه أوسبع هدار حتى أشرف عند العصر على عسكر الملك سكندروس فوجد الحرب قائم على قدم وساق وقد تثلمت السيوف الرقاق والناس فى الصياح والزعاق (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما أصبح فى صبح تلك الليلة التى فقد فيها أبو محمد البطال أتى هو وأصحابه فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب وكذلك الملك سكندروس ركب من ساعته ورتب عساكره وكذلك صاحب القلعة السوداء وحملت الرجال على الرجال

والأبطال على الأبطال ودارت طاحون الآجال وحمل الأمير عبد الوهاب وتبعته السودان الانجاب لخرقوا الصفوف وجدعوا الانوف هـذا والملعون شومدرس قد خرق الصفوف وهو يغدو مثل الشيطان أو عقاب انقض على ورشان حتى وصل الى الملك سكندروس فلما رآه تعجب وقال له ما الذى أتى بك يا أبونا فقال أيها الملك حل بنا الويل والعطب وجارت علينا فرسان العرب وملكوا الحصن ونالوا الارب واحتووا على ما فيـه من الفضة والذهب وما علمنـا بهم إلا وهم معنا فقال الملك أعوذ بالمسيـح من هـذا اللفظ القبيح وما أقول ان هؤلاء إلا طيور وإلا فما هذا بتدبير الامور وما الصواب إلا القتال والضرب بالنصال ثم عدل الى نحو الامير عبد الوهاب وكان الملعون أطعن أهل زمانه بالقنطاريات لانه كان رجل جبار وله قنطارية كأنها السارية لا يحملها إلا السواعد القوية فخرج الى بين الصفين وجال بين الفريقين والناس فى جز المعاصم وبرى الجماجم ونظره الامير عبد الوهاب فقال هذا لاشك ملك الروم لحمل عليه وتقاربا والتصقا وافترقا ثم اختلف بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة الامير عبد الوهاب فجاءت فى صـدر الملك طلعت من ظهره ونظرت طوائف الروم إلى سـيدها وهو قتيل وعلى الارض جديل فولت طالبة لاخيه ابن أمه وأبيه وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما وصلوا اليه قال ما وراءكم ومن بشره رماكم قالوا قتل أخوك سكندروس وحل به الفناء والبؤس فلمـا سمع صاحب القلعه السوداء بقتل أخيه صعب عليه وكبر لديه وصاح بقومه ويلـكم ما هذه إلا فضيحة وعار وذل وشنار يقتل أخى وخشيتم هؤلاء القوم الضعاف ثم حمل على الامير عبد الوهاب وجالا وصالا وزعقت المشركين على المسلمين وحملت الطائفتين واختلطت الامم وشابت اللمم وجرى على الفريقين ماالله به حكم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى أن ذهب النهار وأتى الليل بالاعتـكار ورجعت كل طائفة الى مكانها ورجع الملك مرطاووس وفى قلبـه الهم والبؤس وقال لقومه اعلموا أننا قد وقعنا فى أمر عظيم وقد عولت أن أبارز هذا الفارس الذى هو مقدم القوم فان ظفرت به فهو المراد ومسرة الفؤاد وان هو قتلنى لحاموا عن أنفسـكم واقصدوا ولدى الاكبر والليث الغسور فهو فارس الخيل فى النهار والليل فاذا وصلتم اليه قولوا له ينظر بين يديه (قال الراوى) يا ساده يا كرام وباتوا النوم على أنجس مبيت وفى أفئدتهم الموت فلمـا أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر محمد سيد الملاح ركب الملك مرطاووس فى مائة ألف وعشرين ألف لان الـكل قد مالوا اليه

واجتمعوا عليه (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان الراهب شومدرس لما نظر ما نزل بالناس من القتل والباس وقع به الهم الكثير وبكى بكاء غزير واستأذن الملك مرطاؤوس فى المضى الى ولده سمعان فأذن له وسير معه عشرة من البطارقه وقال يا أبونا أنظر بين يديك ووصى ولدى فى أمرك ونهيك فسار بجد السير ليل ونهار وغدواً وابكار لا يقر له قرار ولم يعبر على طريق قلعة القرن لأن الامير ضيغم هناك بل سار فى الجبال وخاض الآجام والدحال ولم يزل حتى وصل الى مرج التنور فوجد سمعان يتقرب الى النار والنور فسلم عليه وبكى بين يديه وأخبره بالاخبار وأوقفه على الآثار وقال له قتل عمك سكندروس وسقوه المنية أمر الكؤوس وأبيك لاشك فى الهم والبؤس وقد أرسلنى اليك من خوفه عليك فلما سمع سمعان بن مرطاؤوس كلام شومدرس قال أنا فارس اليونان ومبيد الاقران والفرسان ولابد من الذهاب اليهم فى الحال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام سمعان قال له يابنى اعلم أن المسيح يقول العجلة من الشيطان والتأنى يورث الامان فلا تأخذ أمرك على عجل فتورث أهلك وقومك الزلل اصبر حتى يقدم اليك أبيك فقال سمعان لابد من المسير والجد فى التشمير وترى ما أعمل وما أدبر من الحيل فهم فى الكلام والمشاجرة وإذا بغبار قد طبق الآفاق ولمعان السيوف الرقاق وأظلم الجو واغتم الضوء وتسابق فرسان وركض أقران فى قاع الصحصحان وزجرت الاقيال وصلصلت الحديد وهمهمت الاماجيد وجيش قد طبق الفضاء وسد المستوى فلما نظر سمعان الى لمعان الصلبان قال لبعض الغلمان اركب وا كشف الخبر وأوقفنى على جلية الاثر فقال سمعا وطاعه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك لما أصبح الصباح فى ليلة رواح شومدرس من حضرة الملك مرطاؤوس أمر مرطاؤوس العساكر أن تضرب صفوفا وقال لهم قد عولت على مبارزة الذى قتل أخى وآخذ منه بالتار وأكشف العار ثم انه صف الصفوف ورتب الالوف وخرج الى مقام الحتوف وتحته جواد أصفر وعليه درع يقيه من الردى وبيده حسام لو ضرب به جبل لنزل الى الثرى ثم وقف فى ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب وقال يا رومى يافرسان العرب وحمالين الحطب لا يبرز لى إلا قاتل أخى سكندروس لأسقيه المنية والبؤس (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب قد كان صف صفوفه ورتب ألوفه وأيقن بالظفر والنصر وخرج الى وسط الميدان وجال وصال وطلب البراز والقتال فتقدمت الاميره ذات الهمه الى ساحة الميدان وقالت يابنى لا أمكنك من

الخروج الى هؤلاء العلوج واعلم أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقال لها الامير عبد الوهاب يا أمى لو أتى إلى ألف برزت لهم فى طاعة الله ومحبة رسول الله فقالت يابنى عذرى عليك لاينفع ولكن عينى تدمع وأحشائى تتقطع فدعنى أخرج الى هذا الملعون وأسقيه كأس المنون فقال ياأم لاتخدعينى بالكلام فلابد لى من ضرب الحسام فى طاعة الملك العلام فقالت يابنى لاتطيل الخطب ولاتكثر الجواب فلابد لى من الطعان والضراب (قال الراوى) فهما فى المحاورة والكلام والمشاورة ومرطاووس حمل على صفوف السودان فقتل رجلان وعاد فقتل آخر وطلب البراز فقفز اليه الأمير طارق الحجازى وتقاتلا وكانا مثل جبلين تصادما أو بحرين تلاطما حتى ضاق الصدر وعيل الصبر وتزايد الجرم وعظم الكر والفر ثم ان مرطاووس ضرب بيده الى الوهق ولم يكن الاميرطارق عارف به ولاسمع بقصته فرماه مرطاووس الى الهوى فنزل على الامير طارق فلم يجد له محيد وصاحت العرب بطارق خذ حذرك أيها الأمير من هذا الوهق فبقى طارق حائر لايدرى مايعمل وقد ضاقت به الحيل . هذا والوهق نازل فى الهوى حتى وقع فى عنق الامير طارق ثم جذبه مرطاووس اليه قلعه من سرجه وصاح ببطارقته فترجل منهم جماعة وأخذوا طارق وهو فى الوهق (قال الراوى) ياساده ياكرام ونظر الأمير عبد الوهاب الى ماقد فعل مرطاووس فلم يجد الصبر دون أن صاح وهم أن يخرج الى الميدان وإذا بالاميره قالت مه يابنى ارجع عن قتال هذا البطريق فلا تحملنى مالا أطيق (قال الراوى) فلما سمع الامير هذا بقى كأنه كثير الاعجاب وقال لها ياذات الهمة عليك بالغزل مع النسوان ودعى ولدك لمقاومة الشجعان فلو خرج الى مقاومتى ألف بطريق حل بهم البلاء والضيق (ياساه) فلما سمعت الاميره مانطق به الامير زاد بها الغيظ الكثير وسكتت عن منعه ولم ترد عليه مقاله وبان الغضب فى عينها (قال الراوى) فخرج الامير الى مرطاووس ونظر أبو محمد الى الاميره والغيظ قد لعب بها فقال لها ياأميره لا تحزنى على ولدك بما قد صدع به فؤادك وكبدك فهو معود بالنصر على الأعادى ولذكره يهتدى الهادى فقالت ياأبا محمد فان قتل فقد قتل من هو أشرف عند الله منه وأعلى درجة ومكان وهو الحسين بن على بن أبى طالب صاحب الجود والمناقب ولو أخذ لم أحزن عليه وحق ذمة العرب ومن ضرب فى البيداء طنب لاحضرت اليوم معكم مصاف فضحك الامير أبو محمد فى وجهها ومسح أعطافها وقال أيتها الاميره مافعل ذلك إلا حمية فى الدين وهو دين الاسلام وتطوعا الى الملك العلام (قال الراوى) هذا والاميره

قد خرجت من الميدان وخلعت عدتها ودخلت الى خيمتها وقد اشتغلوا الناس بمبارزة
الامير ومرطاووس ووجد الرومي التقصير من جواده فصاح الامير يامسلم سمعت أن
دينكم على الانصاف وقد وقع بجوادى الاتلاف من الجولان والانعطاف فأمهلنى
حتى يأتينى الجواد الذى قد خبأته للطراد فقال الأمير حباً وكرامه (قال الراوى)
ياساده فرجع مرطاووس وغير الحصان وإذا بغبار قد ظهر من خلف مرطاووس
كأنه الليث العبوس وهو طالب الامير عبد الوهاب من غير عتاب ولا خطاب بل
هجم عليه كأنه العقاب وقد أفرجت له الروم الكلاب وعليه درع قصير الا كمام
مليح النظام لايعمل فيه الحسام من فوقه ثوب ديباج متغلل بالذهب الوهاج وفى
وسطه منطقة من الذهب الاحمر وعلى صدره مرآة من الجوهر فى شرابه حرير أخضر
ومن فوقه تخفيفة زرنباقه صوف أصفر وفى يده صارم أبتر وهو على حصان أشقر
(قال الراوى) فلما نظر الامير الى الفارس والفرس فأعجبه وطاب نظره اليه أسرع
من النفس (ياساده) ولما رأى الملك مرطاووس الى الفارس الرومى وقد طلب
الامير رأى ذلك من أعظم المسرات وكان له قرة عين ووقف ينظر مايجرى بين
الاثنين وحمل كل واحد منهما على صاحبه واعتمد على طعنه ومضاربه واشتد القتال
ودام النزال ونظر الامير ياساده الى الفارس كلما طال قتاله عظم نزاله وزاد نشاطه
وقوى انبساطه فأخذ حذره منه وتعاركا وتشابكا وتصادما وتهاجما واحمرت عيونهما
وبقيت كأنها عاق الدماء وطلع عليهما الغبار وغاب عن الابصار وتماشقا بالبتار
ساعة من النهار فخال الامير من ذلك وقصد جواده عسى أن يبلغ منه مراده ثم
ضرب رأس الجواد أطلعه كالبرق فوثب الرومى الى الارض وقد ضاق صدره
وحاذى جواد الامير وضربه أرمى قوائمه فوثب الامير حتى صار على وجه الارض
قائما وطلبه الرومى ولاصقه وضربه فوقعت الضربة على الدرقة وكانت من الحديد
الصينى فقطعها نصفين فرماها الامير من يده شطرين وبقى يلتقى الضرب بسيفه وقد
أيقن بحتفه . هذا ولما نظر الامير أبو محمد الى ذلك فزع على الامير وقال والله مامن
طامة إلا وفوقها طامة وما خذل الامير إلا بما وجع قلب الاميره ومالى إلا أن
أمضى اليها وأقص القصة عليها فربما يجرى على الامير حال من الاحوال وتقوله
ما أعلمتنى بقتل ولدى وحشاشة كبدى ثم قصد إلى خيمة الاميره فوجد خادمها
منجح واقف على باب الخيمة فقال ادخل بالعجل وقل للأميره انى على بابها أبغى
إعلامها بحال ولدها فلما سمع الخادم ذلك دخل الخيمة ثم خرج وقال يامولاى

الأميره تسلم عليك وتقول لك قد حمى كبدها من كلام ولدها وقد وجدت الضعف فى قواها ولا سبيل الى الدخول عليها وقد قالت لك لاعتب على للقوم ولاينفع العذر وما أنا واجدة عليه لأن عندى شفيع قوى وهو حنانى وشوقى إليه فرجع أبو محمد وهو فى نارالسعير وقال والله لقد دخلت العين علينا ثم عاد إلى ساحة الميدان وموقف الضرب والطعان ينظر ماجرى من بعده وقد ضاق صدره فوجدها على الحالة الأولى الفارس الرومى فى زياده والأمير فى نقص فقال أبو محمد هذا والله عقوق الوالدين يفضى إلى الهلاك والشين هذا وقد شخصت الابصار وتطاولت النظار وهاجمه الرومى مهاجمة الليث ومد يده ومسك مراق بطنه ورفعه حتى بان بياض ابطيه وقال له بالعربى ياعبد الوهاب يقع بك التعب من الكواعب الأتراب فكيف لو بليت بليث الغاب ثم كشف اللثام وبان من تحته وجه كأنه البدر التمام وإذا به الأميره ذات الهمه وحطته الاميره على وجه الارض وقد زال عنها الغيظ فقال ياأماه منعتينى عن الجهاد والجلاد فقالت يابنى جوابك أحرق فؤادى فلا زلت مهلك الأعادى دونك وإياى خذنى أسيرة واخرج من الميدان كأنك أسرتنى حتى تقع لك الهيبة فى قلوب الروم ويحل بهم البلاء والهموم فأخذها وخرج وكبر المؤمنون وهلل الموحدون وقال الامير أبو محمد مافى الزمان مثل عبد الوهاب (قال الراوى) ياساده ياكرام ومن ههنا ينقسم الحديث حتى لايجوز الغلط فى الكلام وأن الامير أبو محمد والاميرأبوالهزاهز وسملق لما ملكوا الحصن الاول حفظوه بالابطال وصاروا حتى قدموا على الامير وهو فى براز دلك الملك سكندروس الذى قتله الامير عبد الوهاب وهذا كان السبب فى قدوم الامير أبو محمد (قال الراوى) ورجعنا الى سياق الحديث وتعجبت أهل الصلبان وملة الطغيان من الامير عبد الوهاب وشدة بأسه وقوة مراسه وخرج أبا محمد وقبله بين عينيه وقال قرت عيناك بالنصر والظفر فأنت الذاب عن البيت الحرام وقاك الله البلاء والانتقام فقال الامير عبد الوهاب ياأبا محمد خذ هذا الفارس اليك واحذرأن يحقد عليك فتبين أبو محمد ونظر الى وجهه واذا بصينية تلوح مثل عين الأرقم أو نسر قشعم فعرفها وقال ذات الهمه ورب الكعبة الحرام والركن والمقام وقال أعزكم الله بعزه وكشف عنكم جوره وحكمه فقالت الاميره جزاك الله خير ياأبا محمد فأنت الأخ الودود وقاك الله من عين الحسود فقال أبو محمد ياست ولا سيما من عين المفتون والرجل المغبون القاضى عقبة فضحكت الاميره ذات الهمه وقالت ياأبا محمد لاتنساه فى الشهور ولا فى الدهور (قال الراوى) وقد ركب عبد الوهاب ورجع الى

مرطاؤوس مثل الأسد العبوس هذا ومرطاؤوس وقف فى وسط الميدان ومعترك الأقران ولم يعلم أن الامير يرجع الى الميدان ولايقدم عليه بعد الذى جرى عليه وخرج الامير كما وصفنا فجالا ساعة من النهار وطلع عليهما الغبار فضربه الامير بالصارم البتار وإذا برأسه عن بدنه طار فعندها انهزمت العساكر وطلبت الديار وتبعتها المؤمنون الأخيار وأمة محمد المختار إلى أن أشرفوا على مرج التنور وعبدة النار والنور (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان سمعان فى المشاورة والكلام مع الراهب شومدرس فلاحت الغبره وبانت العساكر منكسره فخرج سمعان بالجواد كأنه شيطان وصاح ماوراكم ومن بشره رماكم فقالوا ورانا الموت الأحمر والاسد الغضنفر فلما سمع كلامهم قال لهم وما فعل مرطاؤوس فقالوا له طارت رأسه كما طارت الرؤوس فعندها نفر وكفر وقال وحق النار والنور والمرج والتنور لابد لى ما ألقاهم (قال الراوى) ياساده ياكرام وحدوا عظمة من لايغفل ولا ينام خالق الجن والإنس مسبب الأسباب ولم تزل العساكر واردة والجيوش متزايدة حتى كملوا ثمانين ألف وقربت لحصن سمعان وقويت نفسه على قتال عبدة الرحمن فقال له شومدرس الرأى انك تسد المضيق على هؤلاء الزناديق حتى تأمن من الكبار والصغار وتطلع الى حصنك وترسل الى أعمامك حتى يأتوا الى نصرتك فما يصلوا هؤلاء الى الديار وفعلوا هذه الفعال إلا وهم أبطال الحرب وليوث الطعن والضرب (ياساده ياكرام) فلما سمع سمعان ذلك قال يا أبونا اعلم أن الديار ديارنا ونحن أخبر بها وأريد أجعل فى رؤوس هذه الجبال دبادبه يأتونى بالأخبار ويوقفونى على حقيقة الآثار فقال يابنى القوم سباع الغاب ومناهم ضرب المشرفيات وفيهم رجل أشقر أزرق العينين وهو خداع محتال تضرب به الأمثال وحق المسيح لابد ماأحتال عليه وأوصل مكرى إليه فهو الذى كان سبب قتل سكندروس وحق بالنصرانية الويل والبؤس فقال سمعان افعل ماترى ياأبونا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء .
وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما سكن فؤاده وقتل أضداده وطردهم يومين كاملين حتى أشرف على قلعة القرن ثم وقف وبات موضعه ولما أصبح الصباح دخل القلعة ورفع أمواله وذخائره إليها وسار طالب مرج التنور وعبدة النار والنور فى اليوم الرابع فهو قد وصل إلى لحف الجبل وإذا أشباح تظهر تارة وتغيب أخرى فقال الامير انظروا ما هذه الاشباح فتطايرت السودان كأنهم جن سليمان واذا بهم قد أتوا بثلاث سودان كأنهم الغربان وفى أرجلهم القيود

والاغلال يرق لهم الحسود فلما رآهم الامير على تلك الصفة أكثر عليهم البكا وسألهم من أين أقبلتم وبماذا فعلتم حتى قد فعلت بكم هذه الفعال قالوا له إعلم أننا قوم من طرسوس سافرنا فى البحر نريد انطاكيه نخرجت علينا مراكب الكفار فأخذونا أسارى ولجوا بنا فى البحر حتى وصلونا الى بلاد اليونان وأوقعونا فى الذل والهوان وأوصلونا الى قوم من مرج التنور نخرج علينا مراكب حراميه من الروم فأسرونا وأقمنا فى بعض الجزائر عندهم وكان سبب وصولنا الى هذا الموضع تجار أتت إلى الجزيرة التى كنا فيها وكان معهم تجارة فأخذونا معهم ومضى قوم آخرون فأوصلوا بهما الى حصن الدولاب وتركوهم هناك وأما نحن لما سمعنا الخبر بقتل مرطاؤوس وسمعوا بهذا الخبر أخذوا أهبتهم وأتوا بنا الى هذا الجبل فرأينا البيارق الاسلامية والاعلام الحفية فجئنا اليكم طمعا فى الفرج فقلنا عسى أن يكون لنا من الضيق مخرج فقال الامير عبد الوهاب لاشك أنكم أسرتم فى السنة التى أسرت فيها زوجتى وولدى فأنتم إن أردتم القعود عندنا وإلا بعثت بكم الى ملطيه فقالوا مالنا عنك اصطبار بل نكون تحت ركابك فشكرهم وأعطاهم العدد والخيول وساروا الى أن أشرفوا على المرج كما وصفنا ونظروا الى عسكر سمعان وكان وقت المساء فأضرمت النيران وتحارس الفريقان ولما أصبح الصباح وركب الامير عبد الوهاب وجعل يصف مواكبه وكتائبه وكذلك سمعان وعبدة الصلبان وبقى فى القلب كأنه الشيطان وتحته جواد مثل السرحان هذا والامير عبد الوهاب قد طلب أبو محمد البطال فلم يقع له على خبر وله وجد له أثر فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسأل عنه فقيل له مارأيناه من حين قام من عندك ومعه الثلاثة السودان الذين تخلصوا من الاسر فضاق صدر الامير عبد الوهاب كثير وصار فى قلبه مثل نار السعير فهو كذلك واذا بصايح يصيح فقالوا من هذا الصايح فقالوا قد لقينا فى خيمة أبو محمد عبده صالح ويونس مذبوحين وفى الخيمة مطروحين فتاه فكر الامير عبد الوهاب وقال ياقوم لايخلوا هذا الامر أن يكون من الأسارى ثم طلب الاسارى فلم يجدهم فقال الامير لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقالت الاميرة ان الأسارى الذين رأيناهم لاشك أنهم أتوا بالمكر والحيلة ولكن الحمد لله الذى سلمت كان الذى أخذ أبو محمد يهم عليه أخذك فقال الامير عبد الوهاب والله لقد صار فى الروم من يعمل الحيل وقد انقطع ظهرى من غيبة الامير أبو محمد ثم بكا الامير فقالت الاميره يابنى لاتخف عليه فان المنية لاتصل اليه فان كان غير ذلك فكل نفس ذائقة الموت (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان

السبب فى غيبة الأمير أبو محمد البطال حكيم النصرانية وراهب الملة المسيحية شومدرس لعنه الله لأنه كان حريصا على أخذ أبو محمد البطال ليكفى شره ويأمن مكره وكان الملعون فى هذه الفترة قد طلع إلى الحصن وأخذ رجلين من حكماء الروم ودخل بهم إلى الحمام وقد ركب أدوية واصباغ لا يقدر عليها أحد من الأنام فصبغ نفسه والاثنين معه فلو أبصره ولده لما عرفه وعمل الغيود فى أرجلهم وجرى من القصة ما جرى وقلب الأمير كالحية على المقلا أو المرأة الثكلا وقد صف عساكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وكذلك سمعان قد تقدم للضرب والطعان وتقابل العسكران وتقدم من الروم فارس موصوف وبالشجاعة معروف وهو كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وكان هذا الفارس يقال له قرياقس الساحر وبهذا الاسم كان يعرف فى الروم وكان حبشيا كافرا فاجرا إذا نزل الحرب يتكلم على خصمه بكلمات فيتخايل له رماح وأشخاص فيتحير عن القتال فيأخذه أسير ويقوده ذليل حقير فلما أراد الخروج للميدان تقدم إلى سمعان وقال أيها السيد الكريم أنا أقسم بالنار والنور لابد لى ما آتيك بأبطال المسلمين وفرسان الموحدين فوعده سمعان بالخلع والجائزه فخرج إلى الميدان وتحته جواد يطير طيران وينادى برفيع من صوته يا معاشر الفرسان وأبطال الزمان من لم يطلب القتال كان جبان والمبارزة تصلح للشجعان فليبرز الى فارس معود الطعان محترز من غوائل الأبطال والأقران فما تم كلامه حتى خرج اليه طماطم وفى يده صارم هائل عريض من أثقل الصوارم حسن الصقال والبريق فلما نظر قرياقس اليه وإلى عظم خلقته وكبر جثته عظم فى عينه وحمل عليه ومال بكليته اليه وتطاعنا حتى تقصفت الرماح وتضاربا بالصقال إلى أن وقف الجوادين وطلع الغبار على الاثنين فلما نظر قرياقس إلى طماطم وجود صبره على الجلاد علم أنه فارس من الفرسان الأجواد فدفع إلى نحوه واعتمد على غدره ومكره فسحر جواده عن الجولان فوقف عن الجرى فى الميدان فجعل طماطم يهز بالمهامز ويضرب رأسه وهو كأنه حجر جلمد وصخر يابس قاعد فعظم عليه وكبر لديه وهم أن ينزل عن ظهره إذا نظر إلى قدامه وتأمل أمامه وإذا بحصان مليح الصوره قصير الظهر مدور الكفل مليح المقل عليه سرج من العرعر مصفح بالذهب الأحمر فظن طماطم ان الجواد انفلت من الفرسان فى الجلاد فقال فى نفسه الحمد لله الذى ساقه الىّ وأوصله إلى بين يدى ومد يده إلى شكمته وأراد أن يمسكه فلم تقع يده على شىء فحار عقله

وطار لبه وإذا بقرياقس قد انقض عليه وأرمى الوهق عليه وجذبه أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه الى الروم ونادى يا معاشر العرب وحمالة الحطب دعونا من رعاة الغنم ولا ببرز الى إلا كل فارس غشمشم فما استتم كلامه حتى خرج اليه ميمون الجماس وقال دونك والقتال ياسيد الأنذال وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأظهر قوته وعجائبه وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار ونظر قرياقس الى ميمون الجماس وحسن احترازه وجودة جلاده فخيل له كما خيل لطاطم فنظر ميمون الجماس الى عشر رجال قد ترجلوا اليه وهجموا عليه وعلقوا برأس الجواد ونفذ فيه حكم رب العباد فشب به الجواد حتى وقع على وجه الأرض فحمل عليه قرياقس وأخذه أسير فضاق بذلك صدر الأمير وهم بالخروج اليه فخرج اليه الاسد مدركة عم الأمير عبدالوهاب وهو سيد كبير وتحته جواد كأنه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من الأنبوب فأشار اليه الأمير مدركة وقد رجع الى طبع العرب وأنشد يقول

ستعلم ياقرياقس اليوم انني خلاف الذى لاقيته فى المعارك
وانى من قوم كرام أعزة الى عامر بن الطفيل بن مالك
اذا مابرزنا يوم حرب فاننا حماة كماة لانخاف لذلك
وقدعودت أرواحنا الخوض فى الوغا كما ألفت قطع السرى والمسالك
فدونك حربى أيها الفارس الذى عليه من الهيجاء حله هالك

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام ثم أنه حمل عليه وأوصل الطعن اليه وحمل أيضا قرياقس وقد داخله الوساوس ورأى منه فارس وأى فارس فصاح به أيها الأمير الخطير الأمر فى هذا حقير فلا تخاطر بروحك وترميها الى الامر النكير فقال له مدركه من أى وجه ياكلب تقول هذا المقال ولا بد من الضرب والطعن والقتال فقال له قرياقس اعلم ان عندنا فى الانجيل اذا خرج فارس الى خصمه لايكون معه غيره لأن الانصاف من فعال الاشراف وأنت قد خرج معك عشرين فارس وهذا فعل اللئام لا فعل الكرام فقال ويلك ياملعون تريدان تخدعنى وبسيفى اذا التفت تقتلنى فقال قرياقس لاوحق المسيح والانجيل الصحيح لاضربتك حتى تنظر الى الفوارس فهو معه فى الكلام واذا بخيل تصهل وقعقعة اللجم واصطفاف رماح وزمجرة أبطال وهمهمة اقيال فالتفت مدركة ينظر فحمل عليه قرياقس وطعنه بعقب الرمح ألقاه على الأرض وأكب عليه فأخذه أسير وعاد للقتال ومحاورة الابطال فعندها شخص الجيش الذى للاسلام فخرج اليه الأمير أبو الهزاهز وقد حلف وصاح

وأطبق وجال فى الميدان ولعب بالرمح وافتخر على الأقران ووقف فى وسط الميدان ونظر بين يديه وإذا بالأرض كلها حيات وعقارب تسعى اليه والجواد من تحته قد نفر ولعب بقوائمه وشخر فوثب أبو الهزاهز عن ظهره وطلب يحمل على قرياقس وهو راجل فوجد بين يديه حيات مختلفات الألوان كل واحدة مثل عود الزان فأيقن بالهلاك وطلب من ذلك الموضع الانفكاك فلم يجد إلى ذلك سبيل فلما تخيل له أن الحيات قد أحدقت به من كل جانب صار يضرب بسيفه يمين وشمال ووراء وقدام وتخيل له أن أربعة قد ترجلوا وأتوا ليقبضوا لجام فرسه وهو يضرب فيهم بسيفه على عنق جواده فبراه كما يبرى الكاتب القلم فوقع هو والفرس إلى الأرض فانكب عليه قرياقس وأخذه أسير وقاده ذليل حقير (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندها أراد الأمير عبدالوهاب أن ينزل اليه فقالت له الأميرة يابنى تأنى واستمع

قد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الذلل

واعلم يابنى أن القوم بليوا بأمر عظيم وقد حرت فى أمرهم ولا أعلم حالهم وأنا أرجو النصر من الله عز وجل ولا بد لى من الخروج اليه والهجوم عليه وضاق صدر الأمير وأشار للعساكر بالحملة فحملوا وضجوا المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فهنالك طار طائر الفنا وتخضبت الأرض بالدما وامتلأت الأرض بالقتلى ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أمسى المساء وقد قتل من الروم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وبات الناس تلك الليلة إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس وركب الأمير عبد الوهاب وركبت الأبطال والأقيال وكذلك أصحاب سمعان ورفعت الصلبان وضجت القسوس والرهبان وقرياقس فى أوائل الفرسان فلما رآه الأمير عبد الوهاب قال هذا الملعون الذى نكل بالفرسان وقد عولت أن أبارزه فى ساحة الميدان فهم فى الكلام والمشاجرة والنظام واذا بقرياقس قد برز الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونادى هل من مبارز هل من مناجز فخرج اليه نصر ابن ثابت فقتله وخرج اليه سعد فجندله وأباد ابن تميم فأهلكه ولم يزل كذلك الى أن قتل اثنى عشر فلم يخرج اليه بعدها أحد ونظر الأمير عبد الوهاب الى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم بالخروج اليه واذا بالأميره سبقته وزعقت بجوادها فضرب بيديه ورجليه ومحاجر عينيه وعطفت فى الميدان وتقلبت على ظهر الحصان فأذهلت الفرسان وحملت على قرياقس وقالت دونك ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية

وجالت بجوادها وأرعدت وأبرقت وزعقت بصوت يهد الجبال ويخلع قلوب الرجال وفتحافى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا ونظر قرياقس الى فارس مليح الاعطاف حلو الانعطاف وقال ان المسلمين فرسان وأقران ثم مال الى سحره والاحتيال ووقف ينظر الى شمائلها وقد احترز من مضاربها فبينما جواد الأميرة يجول وهى عليه تصول اذ وقف وشب حتى كاد أن يقع فعلمت أن الحصان قد دهى فى نفسه ثم تخايل لها كأن أربع رجال يمسكوا قوائم الحصان فعلمت المقصود وتوكلت على الملك المعبود صاحب الكرم والجود العالم بما فى الصدور لا إله إلا هو له الملك وله الحمد وهو الحق الودود ثم رفعت الى السماء طرفها ونادت ودعت وابتهلت ونادت بصوت حزين فيه سيم وتحسين اللهم انى أعوذ بك من شر الأشرار وكيد الفجار وما اختلف به الليل والنهار ياعالم الأسرار أسألك بما اشغلت به قلوب العارفين وأنعمت به على سرائر المحبين وبالعناية التى ناديت بها سحرة فرعون حتى وقعوا على جباهم ساجدين ورفعوا رؤسهم وهم يقولون آمنا برب العالمين رب موسى وهارون اللهم انى أسألك وأتضرع اليك والى كرمك أن تصرف عنى ما أخاف وأحذر وتكفنى شر ما أخاف بحق سورة طه والأعراف ياولى الجود والانصاف انصرنى وأنت خير الناصرين بجاه محمد خير خلق الله أجمعين وببركة طه وياسين يارب العالمين (قال صاحب الحديث) فوالله ما استتمت دعاءها وكلامها إلا والفرج قد أتى لها ومشى الجواد كأنه قد خرج من معاد وعلم ربها سبحانه وتعالى سريرتها ومافى الفؤاد وبطل سحر قرياقس بأمر رب الأرباب ومعتق الرقاب الحنان المنان ثم مدت يدها اليه وقبضت على أطواقه قلعته من سرجه فصار كالعصفور فى مخلب العقاب ووصلت به الأميره وهو ذليل حقير الى الأمير عبد الوهاب وقالت له يابنى هذا الملعون السحار المكار هذا الشيطان الغدار (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظرت الروم الى ذلك الفعل الذى حصل من الأميره ذات الهمه حملت حملة راجل واحد وسجدت للشرق وقد مادت الأرض وتزلزلت وطارت الرؤس وتململت وصهلت الخيول فأزعجت وطلبت النفوس للخلاص فما وجدت وجارت السيوف وما عدلت ونار الحرب تشعل إلى أن أمسى المساء وافترق الجيشان وعاد الأمير وفى قبضته سمعان يقاد فى ثياب الذل والهوان ولما نظرت الروم إلى ملكهم أسير حل بهم الويل والتعتير وانهزمت فى غياهب الظلام وحل بها الويل والانتقام ونصر الله تعالى العصابة الاسلامية والملة المحمدية وملكوا مضاربهم وخيامهم بالكلية

وغنم الأمير الغنيمه السنيه وطلب أبو الهزاهز والأسارى فلم يجد لهم خبر ولا وقع لهم على أثر فعظم عليه وكبر لديه فقالت الأمير لا تحمل على قلبك هم فان الأمر يسير والخطب هين غير عسير هـذا والأمير قد أمر الناس بجمع الأموال والرجال وقال لرجل من بنى كلاب يقال له تميم خذ معك مائة من الرجال وأوصل هـذه الغنيمة إلى قلعة القرن عند ولدى ضيغم حتى لا يبقى على قلوبنا هم ولا بين أيدينا شغل وكتب له اعلم يا بنى أنى قد عولت على الصعود الى القلعة السودا وأسأل الله أن يفتحها (قال الراوى) يا ساده يا كرام فاحتوى تميم على الأموال وسار الى أن وصل الى ضيغم وأوصل اليه ما معه من النعم ثم رجع طالب الأمير عبدالوهاب وجد فى السير حتى خرج من السفح وشق المروج فوجد الأمير قد رحل وهو تحت ربط القلعة قد نزل وبابها وشيق لم يجد أحد اليه طريق وعلى أبراجها العرادات والمناجيق ليس للص فيها تسليق هـذا وقلب الأمير مشغول بأبو الهزاهز ورفقته والأمير أبو محمد فقال علىّ بسمعان ملك الروم حتى أسأله عن أبو محمد ان كان معه منه خبر فعساه يوقعنى على جلية الأثر (قال الراوى) يا ساده يا كرام فأتى بسمعان وأوقف بين يدى الأمير عبد الوهاب وكذلك قرياقس الساحر فقال له الأمير يا سمعان اعلم أنك فى يدى وقد عولت على قتلك وقتل هـذا الملعون قرياقس الساحر إلا أن تخلص نفسك وتفدى روحك بما لا يضرك فقال له سمعان وماذاك يا أمير فقال تخبرنى بالذى سرق أبو محمد فى هذه الليلة فقال وحق المسيح مالى به علم فقال بلى أريده وأريد أبو الهزاهز ومن معه من الأسارى فقال أيها الأمير ان المأسورين فى القلعة السودا إلا أنى أمرت بدفعهم اليها قبل نزولك عليها وأما صاحبك أبو محمد فما عندى منه علم ولا خبر غير أنى رأيت حكيم النصرانيه كان معولا عليه وسار من عندى اليه وحدثنى بعض أصحابى أنه دخل الحمام فى هذه القلعة ومعه رجلين وصبغ نفسه مع الاثنين الذين معه وسار إلى عندكم وكان قد قد عمل نفسه وأصحابه الاثنين فى زى الأسارى ولا أعلم به وحق المسيح بعد ما فارقنى (قال) فلما سمع الأمير عبدالوهاب ذلك علم أن كلامه حق وقال والله ما يقدر أن يفعل فعل هذا الملعون أحد ولأقتلنه والله شر قتلة لأن الله قد خالف لنا عقبه ثم قال لسمعان أريد منك أبو الهزاهز والسودان وتسلم الى هذا الحصن فان أنت فعلت ذلك سلمت اليك نفسك وأطلقتك وان لم تفعل قطعت رأسك وأخمدت أنفاسك فقال سمعان اعلم أيها الأمير أننى معك أسير وفى هذا الحصن خلق كثير ولا سبيل لى أن أسلم اليك الحصن وها أنا بين يديك واذا كان الصباح قدمنى وأنا أقول كلام تسمعه فان فعلوا فهو الذى تريد وان أبوا فمالى الى القلعة سبيل

فعند ذلك زحف الى القلعة وزحفت معه السودان الأنجاب وسادات بنى كلاب وكان قد دخل الى القلعة خلق كثير لما غلقوا الباب ظنوا أنهم لا يقدر عليهم أحد وطلعوا على الاصوار وكانت هذه القلعة شاهقة فى الهوا لايقدر عليها أحد من الناس وان الامير لما زحف اليها أخذته الأحجار من كل جانب ومكان وعطعطت عليهم الروم من أعلا الابراج فناداهم الامير اعلموا أن صاحبكم سمعان بن مرطاؤوس معنا أسير وان سلمتم الينا هذا الحصن أعطيناكم إياه وان أبيتم أرميناكم برأسه فقال لهم بطريق كان قد خلفه سمعان على الحصن ان أنت رميتنا برأسه رميناكم برءوس أصحابكم وكان عندهم من المسلمين مائة وعشرين رجل فقال الامير عبد الوهاب للأميره ذات الهمه أما سمعان فما نقدر على قتله من جهة الاسارى الذين لنا عندهم وما لنا ألا نحضر سمعان وقرياقس ونقول لهم لعلهم يعلمونا من أين يفتح هذا الحصن (قال الراوى) فلما أحضروهم فقالت الاميره ذات الهمه أقسم بالواحد المنان الذى ليس له ثان ان لم تعلمانى من أين يفتح هذا الحصن لابد من قتلكما ثم انقضت حسامها عند منتهى كلامها وقالت ماعندكما من الجواب فقال لها قرياقس ما يسعنا فى ديننا أن نوقفك عليه فلما سمعت الاميره كلامه قالت له لا خير فيك ثم ضربته بالسيف على قمته فنزل السيف يهوى إلى سرته فلما نظر سمعان إلى تلك الضربة مات من الخوف وقال لها الامان فقالت له الامان عندى ان فعلت ماأقول لك فقال لها أمهلينى إلى غد لعلى أنادى لهم وأطمعهم بسلامة الانفس دون المال فأمهلته وان هى قتلته فما تدرى ما يجرى على أبو الهزاهز وأصحابه (قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الاسارى فانهم لما أسرهم قرياقس الساحر حملوهم إلى القلعة ووضعت فى أرجلهم القيود الثقال وفى أعناقهم السلاسل والاغلال وطرحوهم فى مطمورة بعيدة القرار مظلمة النهار وأوصى بحفظهم زوجة قرياقس الساحر واسمها كندرونه فسلم اليها مفاتيح المطموره ووكلها على عذابهم وكانت كزوجها ساحرة ماكرة داهية من دواهى الدهور لاتراقب العزيز الغفور وقال لها يا كندرونه لاتريحيهم من العذاب حتى يلاقون غصص الموت ولعل السيد المسيح أن يجهد فى خلاص زوجك فقالت كندرونه ما تحتاجون أن توصونى عليهم فأنا أكفيكم مؤنتهم ثم انها وثبت من عنده ونزلت إلى المطموره وجعلت تحثى التراب على وجوههم وترش التراب على ثيابهم وتكلمت بكلام فخرج عليهم برد مثل الثلج فأشرفوا على العطب ونظروا البرد يلوح والامطار تنزل عليهم والهوى ينفخ من كل جهة فصاح أبو الهزاهز لا صبح الله

هذه العجوز النحس بعافية ولا أعطاها سلامة ثم ناداها ياويلك ما هذه الأفعال ولم تراقبي الملك المتعال وما ترين حالنا فى هـذه المطمورة وقد وصلت لنا الضرورة فقالت لهم أنتم قتلتم زوجى وصاحبى ومن كنت أعده لنوائبى فقال أبو الهزاهز قد علمت أن ما يجرى منك خير ولا من زوجك ونحن معك تحت الصعوبة والردى فضحكت من كلامه وكانت تحفظ الأدب وتعلم الشعر من قول العرب وهى عارفة بالعربية كأنها بدوى بالفصاحة قد ربيت فعندها قالت سوف أعذبكم العذاب الشديد وأضربكم الضرب العتيد فقال مدركة ويلك ياشيطانة ارفعينا إلى بعض الأبراج حتى نصيح الى أميرنا أو نفك أسراكم وتفكوا أسرانا فقالت حباً وكرامة أنا أوقفكم على الأبراج ولو لم يكن فى أرجلكم القيود فلا تقدرون على نزول ولا صعود ثم تكلمت بكلام واذا بالمطمورة قد امتلأت قرود وفى أيديهم الرماح والبنود فقال أبو الهزاهز سبوح قدوس ماهؤلاء القرود وكان الأمير مدركة رجل عاقل لبيب فاضل فعلم أن هذا سحر فقال لها ياهذه نحن نوصلك الى ماتريدى فقال أبو الهزاهز ليت كان الأمير عبد الوهاب ههنا يتفرج على حال الازار ويتعلم من هذا الشعر قليل ويبصر هذه القرود والخنازير ويوكل بالقاضى عقبة مثل هذا التوكيل فضحكوا الجماعة من قوله ثم إن مدركة بدأ بقراءة سورة طه بصوت حنين لذيذ نغمته فجرح القلوب وزال الهم والكروب وبكى المسلمون وناح الموحدون والعجوز تنصت الى الكلام الذى يحيي النفوس وقد امتلأ فؤادها غرام فلما سمعت كندرونه القرآن ارتعد جسمها وأوحى الله تعالى الى ملك من الملائكة أن يفتح قفل قلبها للهداية حتى تعرف وحدانية ربها ففعل الملك ما أمره العزيز المنان الملك الديان الذى إذا قال للشيء كن فكان فعندها نادت العجوز بالأمير مدركة يامسلم كيف أقول حتى أصير مسلمه ومن الكفر سالمه فقال لها أبو الهزاهز مايفعل ذلك حتى تفكى من أرجلنا القيود وتفرقى عنا هذه الخنازير والقرود فعندها تكلمت بينها وبين نفسها فذهب ذلك الخيال عن عيون الرجال فقال الامير مدركة : اعلمى أن الواجب عليك أول شيء الاقرار لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وهى أن تقولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كندرونه تلك الشهاده وقد وفقها الله للسعاده وأقرت من طيب قلبها وحسن يقينها وقالت ماعلامة القبول فقال لها مدركة المواظبة على فعل الخير فقالت أول شيء أعمل أحلكم من القيود ولا أشمت بكم الحسود فقال مدركة إذا كان تقصدى الثواب والمغفرة من رب الأرباب وحسن الوسيلة بخمس رجال

من أصحابنا وقد ملكنا الحصن فقالت كندرونه فى القلعة خلق كثير وجم غفير ولا سبيل اليها إلا بالرجال وسراة الأبطال فقال مدركة طيبي نفسى وقرى عينا فما ترى إلا ما يسرك فمضت وعادت بالسيوف والقسى والنشاب وفكت عنهم القيود وتمت المكرمة والجود فلما تخلصوا أخذتهم الى البرج الذى لها وفيه بيتها وأخفتهم فيه هذا والأعلام على الأبراج وهم فى القتال والانزعاج وكندرونه قد أتت بحبل شديد طويل مديد وقالت من ينزل منكم يأتى بما ذكرتم فقال أبو الهزاهز أنا فشدوا الحبال فى وسطه (ياساده) وكان كما ذكرنا ضخم الخلقة فوجدوا من ثقله مشقة حتى وصل الى الارض وهو أسود اللون والليل أسود فلم ينظره أحد حتى وصل الى عسكر المسلمين وفى تلك الليلة كان الأمير عبد الوهاب هو الذى تولى الحرس بنفسه خوفا من مكيدة الكافرين فلما رأى خيال أبو الهزاهز قرب الجواد اليه وهجم مثل البرق عليه وصاح من أنت ثكلتك أمك فقال مهلا ياأميرأنا أبو الهزاهز أمير السودان الأنجاب (ياساده) فلما سمع الأمير صوته كاد فؤاده أن يطير فرحاً لأنه فى نار السعير من فقد أبو محمد البطال والجماعة الذين مالهم نظير فاعتنقه الأمير عبد الوهاب وقال له ما وراءك ومن بشره رماك فقال ماههنا شىء إلا الفرح والخير وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها فلما أن سمع الأمير سجد شكرا لله تعالى ثم انتخب من قومه خمسين رجلا وأرسل الى الاميره أعلمها بهذه القصة وقال ياأميره قد عولت على الصعود والاتكال على الملك المعبود وإذا برق ضياء الفجر اقصدى الحصن واطلبى النصر من الملك المتعال لعل أن أفتح لك الباب وقد هانت الأمور والأسباب فلما سمعت الاميره كلام ولدها أقبلت على أبو الهزاهز وقالت له ما عندك خبر من أبو محمد البطال فقال والله ياستاه إنى ماأظنه فى القلعة السوداء فانه لو كان فيها كان عندنا فى المطمورة أو يكون لنا به خبر وكان قد توكلت به الكلاب والقرود مثلنا . هذا وقد انفصل الكلام بينهم وأرسل الأخير خلف الرجال الجمال وأبو الهزاهز قدام القوم كأنه فحل من الفحول حتى وصل إلى تحت البرج فوجد الحبل مدلى فشد أبو الهزاهز نفسه بالحبلين وحركه فرفعوه حتى وصل الى الطاقه ثم بعده الأمير عبد الوهاب ولم يزالوا على ذلك حتى رفعوا الكل وصاروا فى وسط البرج فقال الأمير ماهذا الانتظار مكنوا من الكفار الصارم البتار فنزل وهو فى عجل حتى توسط الحصن وصاح الله أكبر فتح الله ونصر وزعقت الأمراء والأقران واضطرب من زعقاتهم المكان وكبرت معهم الطيور فى أوكارها

والجبال وأحجارها والثمار بأشجارها فخيل لأهل الحصن أن القيامة قد قامت والأموات من قبورها بعد الموت قامت وأن الأمير عبد الوهاب قد بزل السيف وجال وصال وقال أنا عبد الوهاب وأسود بنى كلاب وترس قبر النبي الأواب فقطع بالسيف الأوداج وسقاهم من المنية كاس العذاب . هذا والاميره ذات الهمه سمعت الصياح فصاحت على الخيول القداح حتى وصلت الى الباب فلم تجد فيه لمحتال حال من الأحوال فى فتح هذا الباب حتى ولى الليل وأقبل النهار والدم فى داخل الحصن قد جرى مثل السيل وأبو الهزاهز قد اغتنم الفرصة وقصد إلى الباب والروم تضربه بالسيف والحراب إلى أن وصل الى الباب وضرب القفل بالسيف كسره وقال ادخلى أيتها الأميره فدخلت الأميره وجردت السيف اليمان وفتكت فى الأبطال وجالت بنفسها افتخرت وصالت على الأقيال وزعقت حتى صاحت الروم لورك لورك يعنى الأمان الأمان فما قبلت حتى فتكت وضربت رقابهم وماقصرت وللحصن ملكت وللاعداء هلكت وفرح الامير بهذا الحصن الكبير وقال هذه الأسباب من الأمير أبو الهزاهز سيد السودان الأنجاب فقال لا والله بل هذا من العجوز الصالحة وهى كندرونه فقال الأمير علىّ بها فأحضرت بين يديه فسألها عن الامير أبو محمد البطال فقالت مالى به علم ولكن أقول لك ياأمير فقال لها قولى ما بدا لك فقالت ترى يقبلنى ربى بعد ما أكلت من رزقه وعبدت غيره فقالت لها اعلمى أن كرمه ييسر العسير وهو نعم المولى ونعم النصير فلما سمعت ذكر اللطيف الخبير صاحت ووقعت مغشى عليها فحركتها الأميره واذا هى قد فارقت الدنيا رحمة الله عليها فبكى الامير عبد الوهاب وقالت الأميره ما رأيت قط مثل هذه المرأة عاشت بلا عمل وختم لها بصالح العمل (قال الراوى) ياساده ياكرام ولقد ذكر مؤلف هذا الكلام عن شيخه أنه قال سألت عن هذا الحديث فقال من كان مع القوم فى الحصن إن الاميره رأتها تلك الليلة فى المنام بوجه مثل بدر التمام فقالت لها مافعل الله بك ياكندرونه فقالت أوقفنى بين يديه وعفى عما كان منى إليه وجعلنى أشفع فى مدركه يوم القيامة لانه كان أوصلنى إلى دين الاسلام (قال الراوى) ياساده يا كرام ومن ذلك اليوم تزهد مدركه حتى كانت تسميه العرب الزاهد وأما الامير عبد الوهاب فانه ترك فى الحصن مالك بن طوق ومعه مائة أمير وسار يطلب القلعة المانعة . هذا ماجرى هنا . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال فان شومدرس لما انهزم وسار الى القلعة السوداء وسار إلى درب الظلمه وخرج الى مرج الجوهر وقلعة : قف ترى العجب فيها أخو الملك

مرطاؤوس وكان أشد منه باس وأقوى مراس واسمه نقولا وكان خلق كثير وجم غفير (قال) وان الراهب شومدرس صعد الى القلعة وترك أبو محمد عند البوابين وجلس عن يمين الملك نقولا وقرأ فصلا من الانجيل يقتضى الدعاء والشكر فقدمه الملك ورفع مكانه وأكرمه فعرفه شومدرس بنفسه وقال قد أتيت بالرجل المحتال وسارق الرجال أبو محمد البطال ثم أمر باحضاره فلما نظره الملك استصغر شأنه ودخل شومدرس إلى حمام القلعة وغسل الصبغ الذى عليه وعلى جسده حتى عاد الى لونه الأول فعجب الملك كل العجب وأعاد شومدرس إلى نقولا الأقوال والأخبار وقال له كن مكانك على حذر فان البلاء قد نزل فأشير عليك بأن تسد باب الدرب ولابد ما أشبعهم طعنا وضربا (قال الراوى) وكان هذا الضرب لم يكن له مخرج وهو مظلم ضيق المسلك كثير المهلك مسيرة نصف يوم منقور فى الجبل ما لذلك الموضع سلوك إلا منه وإذا قصد اليهم العدو يقفون على باب الدرب وهو الدرج ويسدونه فلاسبيل لأحد عليهم ولا طريق إليهم فقال شومدرس لما سمع مقال الملك نقولا أيها الملك إذا كنت لاتقبل ولاتسد الطريق فلابد من الجواسيس والديادبه والرجال إلى خارج الدرب وقدام الدرب ليحفظوه من الجانبين ثم ندب من قومه خمسة آلاف رجل بالدروق والسيوف وأمر أن تقف منهم ثلاثة آلاف وسط الدرب وألفين خارج الدرب وساروا ثم أقاموا ينتظرون قدوم عسكر الأمير عبد الوهاب . وأما شومدرس فانه أخذ الامير أبو محمد البطال الى الكنيسة التى فى القلعة وأخلى بيتا فيها وانفرد لعقوبته وأبو محمد يقول فى نفسه ماذا يريد أن يفعل هذا الملعون ولم تكن إلا ساعة حتى قدم بطريق كبير وبيده سوط من جلد الجاموس مقدود بسير عريض قد نقع باللبن الحليب لو وقع على ظهر بعير ما أكل فول ولا شعير ثم ضربه حتى غاب عن الوجود ووقع كما يقع الانسان للسجود وشومدرس يقول : أقسم بالكنائس الاربع والقساوسة الطمع لأذيقنك العذاب حتى تأكلك الكلاب . هذا والأمير أبو محمد يقاسى غصص الموت ثم شد يديه كتاف وتركه فى ذلك البيت وشومدرس فى الجانب الآخر على سرير من العرعر وهو نائم على وجهه ومن حوله عشرة غلمان قد أخذهم من الملك نقولا برسم خدمته هذا وقد تهور الليل ومضى النصف الأول وأفاق الأمير أبو محمد البطال ونظر الى ماهو فيه فأبصر روحه مربوط والقنديل يضىء فأيقن بالموت وأبصر سيف معلق على وتد فعالج الكتاف فلم يقدر على قطعه فقام وأخذه بفمه وأقامه على الحائط وأدار يديه وطرح الكتاف على السيد فقطعه ووجد

الراحة وشكر الله تعالى على هذه النعمة وقام كأنه مجنون وجعل يدور فى البيت فتح الباب فلقى بطريق واقف فقال مافعل الراهب بالأسير الذى عنده هل قتله أم هو باق عنده وما كان الواجب أن يقتله وكم للمسلمين مثل هذا الرجل والرأى انه كان يبقى أسيرا فان لم يفادى به أخذنا من المسلمين المال فأبو محمد يتكلم معه إذ نظر باب الحصن قد فتح فسأل عن ذلك فقال البطريق اعلم أن الملك نقولا قد أرسل جواسيس يأتوا بأخبار عسكر المسلمين وقد حملوا معهم الزاد للقوم الكمناء فقال أبى محمد نعم مارأى الملك ثم عاد كالبرق وذبح العشرة الذين عند شومدرس وكان سكران وقد عمل فيه السكر ولم يلبث أبو محمد دون أن ألقمه الأكره وحشاه بالقطن وكتف يديه الى رجليه حتى تركه مثل الحجر الملقى فى أرض فلاة فعندها أفاق شومدرس من ثقل ماضربه وأراد أن يصيح فما قدر بل علم أنه قد تم عليه الأمر والحال وبقى مؤمل الفرج من أهل الحصن ثم أخذه الأمير أبى محمد البطال وأخذ الدراج الذى تحت الراهب ووضعه فيه وحمله على كتفيه وخرج إلى باب الحصن فوجد أكثر من مائة بطريق على أكتافهم الزاد والدقيق فدخل الأمير أبو محمد فى وسطهم وخرج معهم من باب الحصن وقد ستر عليه الملك العلام خالق الإنس والجان وقد ساروا حتى وصلوا الى باب الدرب وقد أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح . هذا وأبو محمد بقى حائر لايدرى مايفعل إذ كثر عليه الضوء خاف أن ينظروه الروم وينظروا الذى على كتفه فى ذلك الدرج ولا يخفى عليهم حمل الآدمى من غيره وان هو سبقهم إلى الدرب يخاف من الخمسة آلاف الذين قد كمنوا فبقى يتفكر فيما يعمل ويقص على نفسه أصناف الحيل ونظر إلى لحف الجبل وإذا فيه مغائر وكهوف فترك أصحابه يدخلون فى الدرب ومضى عنهم كأنه يقضى حاجة حتى عبر عنه الجمع ثم صعد إلى ذروة جبل ودخل فى كهف واسع تحت الجبل فوضع شومدرس عن أكتافه كأنه الاكره وفتح الباب واذا بالراهب فتح عينيه فوجدالذى أخذه أبو محمد البطال فأيس من نفسه وأيقن بالوفاة وقال اعلم ياأبا محمد أن الأفلاك قدتدور وقد ظفرت بى فاما بحسن صبرك وإما باعجابى بأخذك ولك على من المال مهما طلبت ولا تؤذينى وتقتلنى وفى النصرانية مثلى كثير وتحرم أنت الدنانير فخل عنى فانى شيخ كبير لا أقدر على الهرب ولا لى الى الخلاص سبب واعلم أنى كنت آخذ الزكاة من النصرانية وأحوز المال لمثل هـــذا اليوم ولى فى لحف هذا الجبل حوض من الرصاص ملآن من المال وفيه صلبان ذهب فانى أسلم اليك الجميع وتطلق سبيلى فقال له أبو محمد البطال ياشيخ

الضلاله ومعدن الجهاله أظنك جاهل بأمرى تريد أن تخدعنى والله لأنتقم منك ثم ان الأمير رد الأكرة فى فمه وافتقد كتاف يديه ورجليه وخرج الى باب المغار وسدها بالأحجار وكان الأمير أبو محمد قد لبس ثياب بعض البطارقة الذين ذبحهم فى البيت ثم نزل وهو خائف على الأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب لايدرى ما كان منهم مع عدوهم فلما وصل الى الدرب طلب أن يكشف الخبر لان فى قلبه من أجل الأمير نار لا تطفى واذا هو بالبطارقة منهم رجاله وخياله وهم مخضبون بالدما وأكثرهم مجروحين فلما رأى ذلك علم أنهم قد جاءوا منهزمين فعجل يسألهم وهم لا يردون جوابا ولا يبدون خطابا بل يبكون وفى وجهه ينتحبون إلا شيخ منهم جريح وهو قاعد على باب الدرب يستريح فقال له أبو محمد ويلكم ما وراكم أخبرنى بما جرى وماتم فقال اعلم أن الرجال قد قتلت والبطارقة قد خذلت وقتل سكندروس وهلك مرطاؤوس وعطب قرياقس ومات دقيانوس وقتل سمعان ومات مسرور المطران وملكت القلعة السوداء وأخذ ما فيها من الرجال والنساء والصبيان وامتلأ الوادى من القتلى وخرجت أنا يابنى كاترى وأخذت عصائى والكساء فضحك أبو محمد من كلامه وقال لك اسوة بجميع ما أخذته من الروم من الأموال والخيول والأثقال قال الشيخ ياولدى أقسم بالمسيح المكرم وبنور النور المعظم وكنيسة النور والزرزور ومريم لو أخذت المسلمين جميع العلو والقلاع وقتلت الروم ما كان على قلبى من الحزن والأسى مثل ما دخل على من فقد الكسا لانه من تركة أبى وقد غبر عليه عندى من السنين عشرين عاما لا يبرح على كتفى فى البيت والسوق وله عندى حقوق فقال له أبو محمد أراك بالعربى فصيح اللسان فقال ياولدى أنا من منتصرة حرب ابن شيبان وذلك أنى قتلت قتلا منهم وطلبوا منى المال ولم يكن لى طريق الى الاسلام فيصدنى الى هؤلاء القوم الأخيار الذين هم فى القلعة السوداء الى أن جرى عليهم ماجرى ومالى بعدهم صباح ولا مساء سيما وقد عدمت الكساء فقال له أبو محمد وقد ضحك من قوله ياشيخ طب نفسا وقر عينا أنا أعطيك خير من كساء منظر وأعلا ثمنا ثم غاب لحظة وعاد ومعه درج من الديباج وقال خذ هذا اليك فقد مننت به عليك فقال الشيخ هيهات أن أبتدل بكسائى عن سواه وأقطع طول الدهر إلا بذكراه أو يجمع المسيح علىّ إياه فقال أبا محمد ما أنت إلا شيخ قد عدمت عقلك وبان جهلك هذا درج يسوى خمسين دينار وأنت قلبك مع الكساء وقد احتوت عليه المسلمين بالعز والاقتدار فخذ ما يصلح لك ودع الطمع والأعذار فقال الشيخ سوف

آخذه ولكن ان حلاوة لف العبا وهذا لايرد عنى برد الصبا والشمال فقال البطال فما قولك فيمن يرد عليك الكساء بعينه قال كنت أكون له مملوكا طول الزمان فقال البطال وقد دخلت له الطريق ما يرجع اليك إن تصير مع المسلمين وترجع إلى حقيقة الدين وتقر برسالة محمد خاتم المرسلين فقال له الشيخ أظنك ياولدى مسلم قال هو ذلك فقال له ياولدى بحق دينك تضمن لى رد الكساء فى أى موضع كان من غير زيادة ولانقصان فقال نعم أنا أضمن ذلك إذا أنطقت بالشهادة وكنت من أهل السعادة فقال مد يدك فأنا أشهد أن إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح أبو محمد باسلامه وقال والله ان فتحت هذه القلعة فما أفتحها إلا بهذا الشيخ ثم قال ياشيخ تمضى برسالتى هذه الى عسكر المسلمين وجيش الموحدين وتأخذ خاتمى هذا توصله الى الأمير عبد الوهاب وتعرفه ان الروم اكمنت كمين وتعلمه انى فى قلعة قف ترى العجب أعمل فيها ما يكون لفتحها سبب وتأخذ والله ياشيخ من الأمير الخلع والذهب فقال الشيخ والكسا كيف يجرى الأمر فيه فقال الأمير أبا محمد تأخذه منى متى شئت فقال الشيخ يامولاى وإن كانوا المسلمون ما يسمعون منى فما يكون الأمر فقال الامير أبو محمد هذا شيخ قد خرف وما يثبت على كلام فقال له ما اسمك ياشيخ فقال له اسمى شواس فقال أبا محمد ياشواس اذا أنت وصلت اليهم قل لهم هذا خاتم أبا محمد البطال وقد نلت منهم غاية الأمال فقال الشيخ ها أنا ماض وودع أبا محمد ودخل الى العقب وقطع الدرب وكان وقت خروجه من باب الدرب وقت نزول الامير عبد الوهاب وقد نظر الامير عبد الوهاب الى باب العقب وضيقه والدرب وظلمته فقال والله لقد قطع بنا أبا محمد البطال فى أضيق المواضع وما ندرى مابه الله صانع فهو كذلك اذ خرج عليه الشيخ شواس وسلم عليهم وصاحت عليه السودان وداروا به من كل مكان فنادى بلسان عربى ياقوم أنا رسول اليكم من أبو محمد البطال صاحبكم فسمع الامير كلامه فقال على به فأحضروه بين يديه فقال له من أين ياشيخ فقال من منتصرة بنى شيبان على قديم الزمان ولى حديث عجيب وأمر غريب وماهذا وقت التطويل بل أنا رسول أبا محمـــــد البطال ولى عندكم كساو حالى بعدها قد أسا ومالى صباح ولامسا وقد رجعت الى دين الآباء والاجداد واعترفت بتوحيد رب العباد على انكم تردون على الكسا بعينه فوعد الكريم مثل دينه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال له حدثنى حديث أبو محمد البطال قال فأرمى اليه الخاتم ثم ان الامير قال أخبرنى أوصاك بشيء قال نعم يامولاى يقول لك هذا الدرب لاتدخله

إلا وأنت معتد واجعل بالك من الكمنا فان العدو فيها كامن فاذا فرغت منهم دخلت آمن فلما سمع الأمير ذلك كاد فؤاده أن يطير فرحا وخلع على الشيخ خلعة سنية وأعطاه فرس عربيه وقال له لك على كل ما تريد إذا نحن رجعنا الى ملطيه فقال يامولاى لو أعطيتنى ملك الأرض فى الطول والعرض ماوفا لى ساعة من ساعات الكسا الذى أخذ منى فى المصاف الذى قتل فيه سمعان فضحك الأمير من قولها وقال على بالسودان وسألهم عن الكسا فطلبوه من الجميع فوجد معهم من الأكسيه المختلفة الألوان ما لا يقع عليه حساب فلم يجدوا كسا الشيخ شواش (ياساده) وكان هذا طاعن فى السن وقد قل عقله فلما فتشوا على الكسا ولم يجدوه سأل دمعه على خديه وبكى حتى أغمى عليه فلما أفاق بكى وأنشد يقول هذه الأبيات

لقد جارت علىّ يد الزمان وصيرنى الزمان كما ترانى
وفارقت الأقارب عن قريب ولم أدهى بما قد اعترانى
فهل لى راحم مما دهانى وما قد نالنى وبه اعترانى
زمان ما له عهد قديم على شيخ كبير السن فانى
وكان لحاقه فى يوم برد وكان من الحوادث فى أمان
فلم يبق على لشوم بختى وضاع كساى فى يوم الطعان
فصرت أنوح من حزنى عليه وأبكى من غرام قد عرانى
فصادفنى ياهذا فرحا وقد أصبحت فى قلق الهوان
وقال اذا أردت كساك يلقى عليك بدين أصحاب القران
فيعطيك الكساء بغير شك وتحظى بالخلاص وبالجنان
هناك شهدت الله ربى قديم واحد من غير ثانى
وأن محمدا خير البرايا نبى صادق جا بالمثانى
هنا لك قال لى أمضى رسولا الى نحو الامير بلا توانى
سيعطيك الكسا وتنال خيرا ولو كان الكسا من أرجوان
أتيت اليك يامولاى لما رمانى الدهر منه بما رمانى
فان رجع الكسا فذلك سؤلى وأبقى عندكم طول الزمان
والا عدت نحو الروم أبكى عليه ولا أراك ولا ترانى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب منه ذلك عجب ثم قال والله لانقوم من هنا إلا برجوع الكسار وإلا بعثنا الى سائر الحصون والقلاع ليأتى

بكساء هذا الرجل فضحك الشيخ وأعجبه كلام الامير وقال يامولاى الساعة نطقت بالحق وقلت الصدق (قال الراوى) فهو معه فى هذا الكلام واذا قد أقبل رجل من بنى كلاب يقال له سام بن مزاحم ومعه كساء طويل عريض فيه صناعة حسنة إلا أنه قد درسه الأيام وقد مضت عليه الأعوام فلما نظر اليه صاح صيحة روع بها الأنام وقال والله هذا هو الكسا وقد ذهب الهم والأسى ودخلت فى دين المسلمين بقلب قوى وجوارحى الآن تنطوى فضحك الأمير حتى بانت نواجذه وقال الآن ادخلوا فى هذه المغارة فدخلوا الناس واذا بالصياح قد علا ووقعت العين على العين من الكمناء فضربوهم بالسيوف وسقوهم كاسات الحتوف هذا والشيخ شواش قد التق بالكساء وصعد فقعد على صخرة عالية ونادى برفيع من صوته ياقوم ادخلوا فى دين الإسلام واصحبوا هؤلاء القوم الكرام تنجو من ضرب الحسام وان كان ضاع لكم شيء فهم يردوه عليكم ويجمعوه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل فولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتبعوهم أمة محمد المختار ولم ينفلت من القوم غير شخص واحد فى أول المعمعة يطلب الدرب وخرج من النقب . هذا والأمير عبد الوهاب أخذ الخيول والأسلاب وفرقها على السودان وبنى كلاب ودخل الأمير عبد الوهاب الدرب وهو يقول سبحان الله العظيم مافى الدنيا أكثر همة من أبو محمد البطال وقد جرى ماجرى وماغفل عن هذه الكمناء ولو كنا دخلنا هذا الباب كنا أشرفنا على العطب والذهاب لكن لطف الله بنا رب الأرباب وسار الأمير والشيخ شواش بين يديه فى درب الظلمة وهو يقول يامولاى عليك بالجد والسير قبل أن يملكوا عليكم رأس الدرب فلا تقدروا تخرجون فى ذلك المرج فسار الأمير سيرا حثيثا (ياساده) وكان الذى سلم من الوقعة قد وصل الى الملك نقولا وأخبره بأن ما دخلوا القوم الى الدرب حتى عرفوا محل الكمناء وضربوهم بسيوف الفناء ولم يسلم إلا أنا فلما سمع الملك نقولا ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال هذا وحق المسيح برأى شومدرس ومع ذلك فانا من أمس مارأيناه فمضت الغلمان الى البيت فرأوه مغلق وبالقفل موثق لأن أبو محمد عند خروجه غلق الباب وأوثق الاقفال حتى تنقطع عنه الطلاب وأن القوم لما وجدوا الباب موثق عالجوا الاقفال الى أن فتحوها ودخلوا ال ذلك البيت فوجدوا الرجال مذبوحين وعلى الارض مطروحين وشومدرس ماله خبر ولاأثر فلما نظروا الى ذلك رفعوا أصواتهم بالنداء وضجوا بالويل والردى ووقع فى الحصن الصوت حتى بلغ ذلك الى الملك نقولا فسأل عن الخبر فأخبروه بصورة الحال فقامت عليه القيامة وقال ان قد فات الامر فى الطلب لانه من أمس

قد هرب وما بقى لنا مقام بعدفقد الكرام ثم خرج هو وأصحابه فى عساكره ودساكره ونادى فى القلعة والريض ونفروا إلى وادى الجوهر سبعين ألف واستخلف ولده شماس فى خمسة آلاف من الناس وكان الأمير أبو محمد لما أرسل الشيخ شواش المتنصر إلى الأمير عبد الوهاب قد صعد إلى الجبل وتوسط المرج وقرب من المرسع الدرب وإذا بثلاث نفر فقال أبو محمد هؤلاء من أصحاب الحصن ولا بد ما أختلس بعضهم فأقتله وآخذ ثيابهم وأدخل إلى الحصن ثم جلس لهم حتى وصلوا وإذا بالواحد منهم يقول وحق النبي محمد ولو قتلنا من أجله فلا لنا حياة تطيب بعده فلما سمع الأمير أبو محمد كلامهم عرفهم فنادى الله أكبر اذا جمع بينى وبينكم وقد أقر بكم عينى ووثب اليهم واعتنقهم وكانوا غلمانه يانس وسبك ولؤلؤ وجعلوا يقبلون يديه ورجليه ويشكون ما لاقوا اليه فقال إيش عندكم من خبر الأمير عبد الوهاب فقالوا فارقناه البارحة وكنا اليوم مكمنين الى ساعتنا هذه حتى لا تقع بنا العين والآن قد جمع الله بيننا فعلى ماذا عولت فقال قد على أنى أمضى إلى الحصن فأكون فيه الى أن يأتى عسكر الأمير عبدالوهاب فأعمل على فتحه ان شاء الله تعالى فقالوا ونحن معك وبين يديك فقال لهم فهل أتى معكم من العدة شىء فقالوا معنا البنج والمناقب والسلالم الابريسم والمفاتيح وثياب الحيل من ثياب الروم قال فضحك أبو محمد وقال على بالثياب واطلعوا بنا الى المغار الذى حبست فيه شومدرس فقالوا له قد أخذت الملعون قال نعم وهو فى تلك المغارة وفتحوا بابها ودخل هو وغلمانه وقال لهم ان عولتم على أنكم توقدون عليكم سراج فسدوا باب المغارة علينا ففعلوا ذلك وقدحوا النار وأوقدوا شمعة ونظر شومدرس الى أبى محمد وقد صار فى أربعة أنفس ثم أخرجوا الثياب التى وصلت معهم فلبس أبو محمد منها ثياب بطريق وركب عليه لحية سوداء كبيرة والراهب شومدرس ينظر اليه ثم قال لهم أبو محمد بالرومى معكم مكحله قالوا نعم ثم أخرجوا مكحلة فكحل عيونه حتى صارت الزرقة التى فى عينه سوداء وجعل يحدثهم بكل لغات الروم والراهب شومدرس سمع كلامهم ويقول فى نفسه مافى الزمان مثل هـــذا الفرنان وأواه قد لبس هذه اللحية ولا شك أنه يريد يعمل مصيبة ثم أقبل أبو محمد على غلمانه وقال لهم هل وصل معكم الليلة شىء نأكل أنا وضيفى شومدرس فقالوا أى والله ثم أخرجوا ثلاث أسواط من الجلد البقرى المنقوع فى الخل وقالوا ماتضيف الشيخ بأحسن من هذا ثم وثبوا اليه والأكرة فى فمه وعروه من ثيابه وضربوه إلى أن وقع لحم بدنه وصدره وأبو محمد يقول له ويلك لما كنت تضربنى كيف كنت تقول

قل لمحمد عليه السلام يخلصك منى ثم أمر الأمير غلمانه أن يرفعون الضرب عنه فقالوا له لم لاتتركنا كنا نقتله ونستريح منه فقال لو أردت قتله لفعلت ولكن أريد أحمله الى الأمير عبد الوهاب يشتفى منه وكذلك أبو الهزاهز لأنى كنت قد قلت له اننى لا بدلى من هذا الملعون شومدرس ثم أخرجوا غلمان أبو محمد طعام كان معهم فأكلوا وأكل الأمير وناموا الى أن أصبح الصباح وإذا بجماعة من الروم الذين كانوا مكمنين وهم منهزمين وقد أقبلوا مجروحين والى الحصن طالبين فلما رآهم أبو محمد البطال قال لغلمانه مالنا رفاق الى الحصن غير هؤلاء فنزلوا معه غلمانه حتى اختلطوا بالقوم وجعلوا يتحدثون بما لاقوا من السودان وأبو محمد يقول المسيح ما بعثنا الا الى آجالنا فقال واحد هذا كله من الراهب شومدرس لاقرب الله له ديار ولا جعل له أنصار وساروا إلى أن طلعوا الى القلعة وأعادوا على الملك جلية الحال كما ذكرنا وطلب الراهب كما وصفنا فما وجدوه وسار الى درب الظلمة وباب النقب كما وصفنا فلحق الأمير عبد الوهاب قد سبق وخرج من باب الدرب وملك رأس المرج وان الملك نقولا لما نظر الى عسكره صغر فى عينه وقال وحق المسيح ما نحن إلا أضعافهم وكان نقولا أشد ممن تقدم من اخوانه بأسا وأعظمهم مراسا وعنده رجال موصفين وبطارقة معروفين فلما استصغر عسكر الأمير لم يقف الى أن يرتب صفوفه بل حمل بعسكره وهم سبعين ألف حملة واحدة والأمير وأصحابه خرجوا من درب الظلمة وعليهم آثار التعب والنصب والعطش والدهش ولكن معهم شجاعة وصبر وكان قصدهم بذلك الأجر وما فيهم الا من هانت عليه الحياه وطلب لنفسه القتل فى سبيل الله هذا وقد أخذوا سماع القرآن بقبول وايمان فلما جرى من الأمور ماجرى من الحملة صاح المسلمون على بعض حتى ارتجت لكثرة صياحهم الأرض وكشرت عن أنيابهم بنى حام ولعبوا بالهزاهز والحذافات والسهام واحمرت أحداقهم وقامت الحرب على ساقها ونظرت الروم الى السودان كأنها الخشبة المحروقة فأرجفت قلوب منهم حتى أن البطريق كان يهون عليه أن يلاقى من بنى كلاب الثلاثة والاربعة ولايقاتل أسود واحد من السودان ودام بينهم الطعان ولعبت الخيل بجماجم الفرسان وبقيت الروس بلا أبدان وملت الخيل من الجولان واشتد الامر على الشجعان ومات من الخوف الجبان ودام القتال بين الفرسان وخرس اللسان وعمل الصارم اليمان وأظلم الجو وعدم الضو وبطل قول لعل وعسى ولم يزل الفريقان على هذا الحال حتى استوت الشمس فى قبة السما واشتد بالناس الظما وافترق الجمعان ورجعت عن القتال الطائفتان ونزلت العساكر

وقد هلك منهم بالقتل جماعة من الجيش وأراح الناس واستراحوا إلى وقت العصر وأن الملك نقولا ركب من قلعته وركبت معه بطارقته وجعل يرتب الصفوف وقال لقومه لقد علمت انى اكثراخوتى مالا وأصلحهم حالا وأطيبهم غرسا وأطهرهم نفسا وأشجعهم فى ميدان الحرب وأثبتهم فى موقف الطعن والضرب وأوفى نظاما وأصدقهم كلاما وأحكاما وهذا عسكر العدو بين أيديكم وأنا أقسم بالمسيح أن من بارز مسلم وأتانى برأسه فله بوزنها ذهبا (قال الراوى) ياساده ياكرام . فلما أن سمعوا الرجال ذلك أخذهم الطمع وقال الفقراء من البطارقة ما نخاطر بأرواحنا أيها الملك حتى نرى المال بين أيدينا فأرسل الملعون الى قلعته فأحضر المال وأفرغه مقابل الرجال ولعب بعقول الابطال وجسرهم على ارتكاب الاهوال وصف الصفوف ورتب الالوف ولما نظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فعل مثل فعاله ورتب رجاله وأصحابه وقال لهم يا إخوانى كم جهدى أنا أبذل لكم فقالوا أيها الامير ما فينا إلا من قد قدم الآخرة على الدنيا الساحرة فان قتلنا فى سبيل الله علمنا أنها سفرة وافرة وان رجعنا سالمين علمنا انها سفرة رابحة ففرح الامير عبد الوهاب بذلك منهم وأعجبه وقال الله يعطيكم مناكم وينصركم على أعداكم فهو معهم فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر بين الصفين ونادى برفيع من صوته هل فيكم يامعاشر المسلمين من يخرج الى البراز ويروم الانجاز (قال الراوى) ياساده ياكرام فما استتم الفارس كلامه وهو فى الميدان حتى برز إليه فارس من بنى كلاب يقال له سعيد بن الفرج فتطاعنا وتقاتلا حتى اختلف بينهما طعنتين وكان السابق بالطعنة سعيد بن الفرج طعن الرومى فى صدره طلع السنان من ظهره وخرج من بعده فارس على مهر قرطاسى شديد العصب . ديال الذنب من جياد خيل العرب هبوب طلوب كريم منسوب وطى المركوب جيد الوثوب كأنه شعلة نار لاتلحق منه الخيل الغبار فلما وقف الفارس بين الصفين وجال بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه سعيد بن الفرج وحمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعانه ومضاربه واختلف بينهما طعنتان فكان السابق بالطعنة سعيد بن الفرج فوقع السنان فى لبته خرج يلمع من قفاه وخرج ثالث فقتله ورابع جندله وخامس فأرداه إلى أن قتل خمسة عشر بطلا فحارت من شجاعته الطائفتين ثم وقفت عنه الفرسان ولما نظر ملك الروم الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال ويلكم ماأنتم رجال لقد وقع بكم القتال والنكال والخبال حتى ان رجل من المسلمين قتل منكم عشرين خرج بنفسه على جواد أدهم معتدل ململم كالغراب الاسحم سريع اذاحمحم وهو بين

الخيل علم تليغ سابق سريع جامع الأوصاف سريع الانعطاف سليم الأطراف واسع الخطوه صبور فى الميدان وهو لايركبه ذليل إلا ويصـير فارس نبيل وعليه درع داودى متقلد بسيف هندى معتقل برمح خطى عليه سنان مضى فوقف بين الصفين ونادى بالرومى من عرفنى فقد اكتفى شرى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا نقولا بن الاقريطش بن الاشميطش بن قسطنطوس بن لاوى بن دقيانوس فليخرج الى أمير جيشكم وصاحب أمركم وقائد عسكركم وجامع شملكم لأن ما يخرج إلى الكريم إلا كريم (قال الراوى) ياساده ياكرام فما استتم كلامه حتى خرج اليه الأمير عبدالوهاب وفى يده صارم قرضاب وعلى صدره زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد وفى تلك الساعه وصل لؤلؤ غلام الأمير أبو محمـد البطال وقال يامولاى مولاى يسلم عليك ويذكر فرط شوقه اليك ويقول لك ما بينك وبين قلعة قف ترى العجب إلاأن تكسر هذا العسكر الذى بين يديك وهو ان شاء الله تعالى يسلمها اليك وانى قد جئت أيضا من أجل الراهب شومدرس لأن الأمير أبو محمد البطال قد حبسه فى مغاره فى هـذا الجبل قد خاف ان يعبر بعض الروم اليه ويدخل عليه ويخلصه أو يهلك من الجوع والعطش ويموت وقد عزم الأمير أبو محمد يشتفى منه فلما سمع الأمير عبد الوهاب بحديث شومدرس كاد قلبه أن يطير فرحا وقد رجع إلى عسكره وقال على بالأمير أبو الهزاهز فأجابه بالتلبية وقال يامولاى ما الذى تريد فكلنا لك عبيد فشكره الأمير على ذلك وقال له لك عندى بشاره قال أبو الهزاهز يا أمير لم تزل مبشر بالخير فقال ابشر فصديقك شومدرس قد ملك فقال أبو الهزاهز الذى قد أرمانا فى المطلب تحت الأرض يوم وليله فقال الأمير هو ذلك قال أبو الهزاهز لأن مكننى الله منه لانتفن ذقنه ولاخسفن بيدى صدره فقال الأمير الآن أمضى مع لؤلؤ غلام أبو محمد البطال وخذ معك عشرة من السودان فان أبو محمد قد حبسه فى مغاره فى هذا الجبل فتأخذه وتأتى به الى هنا على عجل فقال سمعا وطاعه وأخذ معه من السودان جماعة وسار طالب الجبل هـــذا وان الملك نقولا لما نظر إلى عبد الوهاب وقد رجع خوفا وفزعا فلما تيقن ذلك حمـــل ميمنة عسكر الأمـير عبـــد الوهاب فقتل فارس من بنى كلاب وحمـل على الميسرة قتل ثانى من السودان فلقيه الأمـير برد بن الأزهر على جواد أصفر حسن المنظر جيد المخبر صافى الجوهر شريف الخطا يسبق النظر وفى يده حسام أبتر ليث همام ضيغم بطل غضنفر (قال الراوى) ثم حمل برد بن الأزهر على نقولا وحمل نقولا عليه وتصادما فكانا مثل الجبلين إذا

التطما أو بحرين تلاطما ولم يزالا فى الكر والفر والقتال حتى طلع عليهما الغبار فغيبهما عن الابصار وتطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقامت الحرب على ساق وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وبالرمحين حتى تقصفت وزاد عليهما الأمر وضاق الصدر وملت النفس من اللقاء وكرهت البقاء فعندذلك ظهر الامير (بردبن الأزهر) على خصمه نقولا وأيقن بأخذه فصاح بجواده فخرج من تحته كالبرق فبالأمر المقدر وإنفاد المشيئة وتمام الإرادة ويجعل الله لكل شيء سببا عثرجواد (بردبن الازهر) فى بيت الجربوع فوقع الى الارض فانقض عليه نقولا فأخذه أسير وقاده ذليل حقير فصعب ذلك على الامير لأنه من خواص أصحابه وعشيرته فأراد الامير أن يخرج اليه فمنعته الاميره فقال سعيد بن الفرج أنا أخرج اليه ثم خرج مثل البرق البارق وفى يده رمح خارق وهو معلق سيف ماحق وقلبه الى القتال شائق وحمل كل واحد منهما على صاحبه ودام بينهما القتال حتى تثلمت النصال وزاد الاشتعال ولم يبق لأحد منهما بال (ياساده ياكرام) وأن نقولا وزن نفسه مع سعيد بن الفرج فوجده يرجح عليه بكل درهم ألف فخشى على مهجته وخاف من منيته فأشار الى عساكره بالرومى بالجملة أن يحملوا على الملة الإسلامية فعند ذلك حملت الروم وأكبت رؤوسها فى قرابيص سروجها وتفرقت مواكبها كراديس ودقت النواقيس وعضت الخيل على اللجم وتقطع من الجرى حزامها وعطشت أكبادها ونظر الامير عبد الوهاب الى ذلك فقال غدروا القوم الملاعين ومكروا بالأمير سعيد بن الفرج ورب الكعبة ثم أكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل وحملت الاميره ذات الهمه وبنوكلاب وأجادوا الطعان والضراب وتقطعت الأسباب وقطعت المفاصل والاعضاء وضاق عليهم فسيح الفضاء وعمل الصارم المنتضاء فهذا جديل وهذا قتيل وهذا دمه يسيل وهذا بلاءه طويل وهذا به خطب جليل وهذا جريح بسيف صقيل إلى أن أمسى المساء وعادت كل طائفة الى مكانها وأوقدت العساكر نيرانها وتمارست فتيانها. هذا جرى من حال العساكر (وأما ما كان) من الامير أبو الهزاهز فانه سار ومعه عشرة من السودان ولؤلؤ غلام البطال يدلهم على المكان حتى وصلوا الى تلك المغارة وفتحوا الباب المسدود بالحجارة ودخل أبو الهزاهز فوجد شومدرس فى أسوأ الاحوال وفى غاية الشر والنكال فقال له كيف حالك ياشومدرس والله لألطمنك الى قابل ولأجعلنك مثلا لكل قائل ثم تقدم إليه وقلع الاكره من فمه وحل رجليه وربطه فى حلقه بحبل وجعل يقوده مثل الكلب

وينزل فى رقبته بيده الخفيفة وكل واحدة عشرة أرطال ولما نظر الراهب شومدرس إلى أبو الهزاهز أيس من الحياة وأيقن لنفسه بالوفاة وقال يامولاى قد علمت أن غضبكم على لأجل أنى وعدتكم بالمطلب ولم يصح لكم الوعد وحق المسيح أنى ما كنت لكم إلا على عزم جيد لكن غرنى الشيطان لانه لم يزل يلعب بعقل الانسان وقال فى وسوسته إنما أنت تسلم اليهم المال والجوهر والسيوف الصقال وبعد ذلك يقتلوك والى الحياة والوعد الجميل لا يوصلوك فلما وقف ذلك فى صدرى عملت ماعملت وكان ذلك هربا من الموت وخشية من الفوت فما كان لى غير الرحيل والبعد عنكم والآن أنا معكم أسير وأنتم تمضون بى الى الامير عبد الوهاب وحق المسيح انى يقتلنى منه الحيا والعار وذلك عندى أصعب من ضرب البتار ومالى عنده جواب بعد مافعلت ذلك الفعل ولم أصدق فى المقال وعندى وحق المسيح شىء أبيض به وجهى عند الامير عبد الوهاب ويكون له منه الشرف الكثير على شرط انك تتوسط لى أن يمن على بروحى لأنى شيخ كبير وما بى إلا أن يقتلنى الامير بعد ما أسلم اليه المال الكثير فلا تتخلى عنى فقال له الامير أبو الهزاهز ياشومدرس ماهو الذى تبيض به وجهك عند الامير عبد الوهاب وقد صح عندنا أنك غدار كذاب فقال له الملعون أنا أدخل بك من أسفل المرج الى موضع يقال له بساط الروم القديم وتمشى تحت أزج معقود بالآجر فما يشعرون أهل الحصن إلا ونحن عندهم وأنت السودان وأنا معكم مكتوف اليدين وبعض أصحابك يقودنى وان لم ترى صحة ذلك وإلا افعل ماتريد فقال له أبو الهزاهز ياشومدرس كيف يكون ذلك فقال لأنك تصعد الى الحصن وأنت وحدك فتملكه فتنال عند الامير المنزلة العليا وان صعب عليك ذلك الامر فأنفذ الى الامير عبد الوهاب بعض أصحابك فيرسل لك مائة فارس وقد ملكت القلعة بلا قتال ولا نزال وهذا يكون سبب كسر هذه العساكر التى مع الملك نقولا لأن قلبه لان له موضع إذا كسر يرجع وأنا وحق المسيح ماقصدى بهذا إلا محو ما سلف منى إلى الامير من الخطأ (قال الراوى) وكان لؤلؤ غلام أبو محمد البطال قد وقف أبو الهزاهز وسلم اليه شومدرس كما ذكرنا وقال له تسلم هذا الشيطان ولا تسمع له مقال فكل مايقوله كذب ومحال وها أنا أطلب أبو محمد البطال لانى لا أدرى ماجرى عليه لانه كان أرسلنى فى طلب عدة كنا دفناها وقد خشينا عليها فدفناها فى هذا المرج وهى معاول ومناقب وقد احتاج اليها لأجل هذه القلعة ثم تركه مع الراهب شومدرس وانصرف وتحدث الملعون مع أبو الهزاهز بما ذكرنا فصفى له عقله وقال وقد طمع أن يفتح الحصن

وتكون له اليد البيضاء عند الأمير عبد الوهاب فقال وحق الكعبة ياراهب ان كان الذى ذكرت صحيح لأستوهبنك من الأمير عبد الوهاب فبكى شومدرس وقال يابنى وحق المسيح مابقى جسدى يقوى على الضرب فعندها سار أبو الهزاهز خلفه وفى رقبته الحبل يجره حتى نزل سهريج من سهاريج الدرب وله درج عراض فنزل أبو الهزاهز والعشرة السودان حوله وكل واحد منهم يريد فراسة ألف حتى ساروا فى أرض السهريج وسار بهم فى أرض سهلة إلى أن وصل بهم الى عقبة متصاعدة فصعد فيها ثم نظر الى عامود قائم من فوقه طبق حديد وعليه طير من نحاس فقال الراهب شومدرس حلوا يدى من الكتاف حتى أتقدم الى هذا الطير وأقرأ السطور التى تحت أجنحته فهى سبب الطلوع الى الحصن وما أنا بين أيديكم فمد أبو الهزاهز يده وصد الى رأس العامود ثم ضرب بيده الطير أداره عن موضعه فدار أسرع من البرق فما هو الى أن دار الطير حتى تحدر عليهم من تلك العقبة رمل أصفر يقطع المصمار بحدته ورياح تقلع الشجر والحجر فارمت السودان على وجوههم وتحدر الرمل عليهم فما سلم من من القوم غير أبو الهزاهز لأنه شرد وطلب الموضع الذى دخل منه وأما الراهب شومدرس لما علم أن السوادن هلكوا تحت الرمل وقد طلع الرمل الى وسط العامود هنالك أدار الطير الى مكانه فسكت الريح وانقطع الرمل النازل من العقبة فعند ذلك نزل الملعون (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما أبو الهزاهز فجعل يعدو كأنه الدب الكبير الى أن خرج من الموضع الذى دخل منه ولم يصدق بسلامة نفسه حتى خرج من ذلك القليب وقال فى جهنم شومدرس ثم طلب عسكر الامير عبد الوهاب الى أن وصل اليهم ودخل عليهم وأعاد عليهم القصة من أولها الى آخرها وقد حارت عقولهم مما سمعوا ثم ان الامير بكى على العشرة السودان لما أن سمع بهلاكهم وقال سبحان الله الفعال لما يريد ثم جد على أبو الهزهز وقال له والله ماوفيت بقولك لأنك قلت اذا مقع لأفعلن ولأصنعن حتى كان هو الفاعل ولأصحابنا قاتل والله لا أوصلت اليك من غنائم هذه الغزاة درهم واحد حتى أشترى عشر عبيد يجاهدوا فى طاعة الملك المجيد فقال أنا أرجو أن يقع هذا الملعون شومدس فى يدى مرة أخرى أخرج الكل من جلده فضحك الأمير من وسط الغيظ وبات على غاية من الهم والغم (ياساده) وأما شومدرس فانه طلع من مواضع يعرفها وقد سار فيها مرار حتى خرج من وسط الحصن ودخل على شماس بن الملك نقولا فلما رآه وثب له قائما وقال يا أبونا وحق المسيح ماقلنا الا أنك هلكت فقال شومدرس ماكنت الا من الهالكين لكن

المسيح فرج عنى وعنكم لأن القلعة كانت الليلة تخرج من أيديكم قال شماس بماذا ياأبونا قال ان الذى سرقنى هو أبو محمد البطال وهو عندكم فى الحصن ولكن اياك أن تبرح بسرى ودعنى جالس خلف سريرك وابعث الساعة الى رجال الحصن كأنك تشاورهم فى أمر من الأمور فلا بد لابو محمد وغلمانه ان كانوا فى الحصن من أن يحضرون ويسمعون ما أنتم عليه فاذا حضروا أمرتك بقبضهم (قال الراوى ياساده ياكرام وبالامر المقدر كان أبو محمد فى الحصن هو ولؤلؤ ويانس اذ سمعوا المنادى من قبل الملك شماس يأمر بجميع الناس ويقول قد عول ابن الملك على أمر يريد يعمله فقال أبو محمد لغلمانه لا شك أن القوم يريدون حيلة على عسكر الاسلام وان كان هذا الامر فأنا أرسل واحد منكم من جملة القوم الى الامير يوقع بهم التدمير وأبقى أناههنا وأتسلم الحصن بالحيلة فقوموا بنا ننظر ما الخبر ونتفق فيما نعمل على يقين ويظهر لنا السرور فقالوا غلمانه هذا هو الصواب ولم يعلموا مافيه شماس (قال الراوى) هذا وشماس حوله البطارقة بالسيوف البارقة كأنه يريد يشارهم فى أمر فوقف أبو محمد وغلمانه فى جملة البطارقة فما استتم بهم القيام حتى خرج الملعون شومدرس من خلف السرير وقال ياشماس خذ هؤلاء الاوباش فهذ أبو محمد البطال وغلمانه الابطال فصاحت بهم البطارقة وأحدقوا بهم من كل مكان وأن أبو محمد بقى فى حيرة لا يدرى من أين ذهب فأخذوهم وأقبل اليهم شومدرس وقال يا أبا محمد من يحبس الرهبان فى المغار ويعمل على القلاع والامصار يغفل عن نفسه هذه الغفلة فلما نظر أبو محمد الى شومدرس أيس من الحياة وقال فى نفسه كيف خلص هذا الملعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد فرطت فى أمره اذ أرسلت الى الامير من أجله ولا شك الا أنه لما حصل عندهم فى العسكر عمل عليهم حيلة وتخلص بها وما الفزع من خلاصه الا كيف قبض على وسوف يوصل الأذية الى وتخلص القلعة من يدى فالحمد لله على ماقضى وحكم لا اعتراض عليه فيما أخر وقدم (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب فانه لم ينام طول ليلتـه من الهم والغم على العشرة السودان الذين هلكوا مع أبو الهزاهز فلما أصبح الصباح وثب الى جواده ورتب الرجال وركبت الخيول وجودت النصول هذا وشماس أرسل إلى أبيه نقولا يخبره بخلاص الراهب شومدرس والقبض على أبو محمد وغلمانه وشاوره فى صلبهم حتى يعتبروا الناس بهم ويكون ذلك وهناً للمسلمين وهدماً لاركان دين الموحدين فقال لهم الملك نقولا هذا هو الصواب ولكن عذبوهم أشد العذاب حتى لا يرجع أحد يتسبب بهذه الاسباب ثم إن نقولا أراد أن يكون هذا بمشاهدة

عسكر المسلمين حتى يكون رهنا لهم ثم أمر الأمير عبد الوهاب عسكره أن يرجعوا إلى خلفهم الى أن قرب قلعتهم ووقف فى وجوههم وظن أنهم انهزموا فرجعوا من ورائهم مقدار فرسخ حتى أشرفوا على القلعة المسماة قف ترى العجب وإذا هى قلعة شاهقة حتى كأنها للأرض مفارقة وللجو لاحقه وهى مليحة رائقه إذا وقع منها حجر كأنه ساحقة وقد زينت بالطوارق والملبوس فهى تلوح كأنها عروس فقال الأمير فى نفسه والله لو كانت هذه القلعة عندنا فى ملطية لما بالينا بأهل الدنيا وعلى باب الحصن أربعة آلاف غائصين من الحديد وصف الأمير عسكره وعدل أوله وآخره وهم بالحملة وإذا بالصياح من فوق القلعة قد علا والصراخ قد نما حتى ماجت الدنيا فرفع الامير رأسه وإذا بالحصن يموج بساكنيه من الرجال والنساء والعسكر والاماء والعمالقة قد قدمت أربعة. رجال عراه حفاه ملطخين بالقطران عليهم آثار الضرب والهوان قد سالت دماهم ومزقت جلودهم ووصلت الأذية اليهم وحامت الطيور عليهم وهم ينادون وا إسلاماه وا دين محمداه ويشيرون الى عسكر المسلمين بالوداع والانقطاع ويشكون اليه ألم الفراق والانقطاع فلما نظر الامير عبد الوهاب الى القوم وعرفهم وقال أبو محمد ورب الكعبه فيالها من سفرة ما أوجعها وللقلوب ما أفجعها وأقبل على أصحابه وقال لهم دونكم والحمله واعتمدوا على أخذ الاسارى حتى نفادى بهم إخوانكم وحمل وحملت المسلمون ونادى الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وكذلك الاميره ذات الهمة أخرجت يدها من جلباب درعها وحملت وصدموا الروم صدمة رجل واحد وكان السيف أكبر شاهد واستعانوا المسلمون بالملك الواحد وحملت السودان من أبناء الحبشان كأنها جن سليمان وفى أوائلهم أبو الهزاهز وهمهم همهمة الاسود الضواغم وزفرة النسور القشاعم وحميت الابطال القماقم وقومت الاسنة وأطلقت الاعنة فلم تكن إلا ساعة حتى بقيت الرؤس بلا غلاصم والابدان بلا جماجم وانتطحت الروم بين أيديهم وخرق الامير عبد الوهاب الصفوف وجدع الانوف فهو بين الخيل يجول ويضرب الفحول بالنصول وقد اعتمدوا على شدة البأس إذ لقى نقولا وهو يحدث الناس ويزجهم بالعدد واللباس فهجم عليه الامير عبد الوهاب أعجل من البرق وأسرع من نزول الودق فلما نظر نقولا إلى الامير وهو عليه قد حمل حمل أيضا على الامير ولكن الامير من حدته فما أمهله دون أن صرخ فيه صرخته المعروفة أدهشه ولاصقه وضايقه ومد كل واحد منهما يده إلى صاحبه وقد تمكن الامير من

جلباب درعه وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يبق أحد من السودان إلا وأخذ من الروم أسير وكذلك بنى كلاب فأخذوا من الروم فى هذه الوقعة ما ينوف من أربعين ألف أسير ونظرت الروم إلى ما قد حل بها فولت منهزمين وللنجاة طالبين فمنهم من طلب الحصون ومنهم من تعلق بالحبال ومنهم من طلب الحصن الخامس وتفرقوا فى كل مكان وقد نزل بهم الذل والهوان ونصروا عليهم أولياء الرحمن ونزل الأمير وقد ملك ربض الحصن واحتوى على ما فيه من الاموال والرجال وأمر أن يحضرون الاسارى وهم أربعين ألف فعدوهم وأحضروا نقولا ذليل حقير فأيقن بالموت وجعل يبوس الارض ويقول يا أمير المسلمين لك ما تطلب من الرجال والاموال فقال الامير يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لمثلى يقال هذا المقال أو على مثلى يهول بصلب الرجال أقسم بالبيت ومن حج والتلبية ومن عج والعرش وما علا والكرسى وما سما لا بد أن أضرب عنقك ورقبة أربعين ألف أسير إلا أن تترك أصحابى الاربعة سالمين فى هذه الساعة فاذا نزلوا أصحابى أطلقت مائة ممن يعز عليك من أصحابك وتطلع الى حصنك وأنا فما أبرح من على هذا الحصن حتى أفتحه فلما سمع الملك نقولا ذلك من كلام الامير قال يا مولاى على إنى آتيك الساعة بأصحابك الاربعة وأما أنت فاصنع بعد ذلك ما أردت أن تصنع وأما قولك أنك إذا أطلقتنى تقدر على أخذ الحصن وهذه القلعة التى اسمها قف ترى العجب فوحق المسيح مالك الى وصولها سبب ولو أقمت شهور وأعوام فلما سمع الامير ذلك صغى لكلامه وقال ويلك سوف ترى العجب أما سمعت بفرسان بنى كلاب وصاح بالسودان وقال اسحبوا ما معكم من الاسارى الى حيث يروهم أهل الحصن فلما سمعوا السودان ذلك سحبوا البطارقة على وجوههم عراة الاجساد وشماتة الحساد ونظروا أهل الحصن الى السودان وقد أتوا ومعهم خلق كثير من الاسارى فانحلت عزائمهم ورفع نقولا رأسه ونادى بولده شماس أما ترى ما نحن فيه أما ترى ما حل بأبيك ومانزل بأهلك يا بنى لا تفرط فيما عندك من الاسارى فرؤسهم مرهونة بهؤلاء المأسورين وقد جعلوهم فداء لى ولمائة من خواص البطارقة (قال الراوى) فلما سمع شماس ذلك من كلام أبيه قال لقومه ما الذى ترون من الرأى قالوا وما الذى نرى وما عسى أن نقول وما فينا إلا من قد أسر أخاه أو ولده أو أباه وما فى الامر إلا أن نسلم هؤلاء الشياطين الذين عندنا الذين كانوا على أهلنا ميشومين حتى قبضوا أصحابنا قبض القطا وما صلب هؤلاء إلا ضرر علينا فقال لهم شماس إذا كان الامر على ما وصفتم والحال على ما ذكرتم فحلوا كتافهم

واخلعوا عليهم وأحسنوا اليهم ويخرج من عندنا واحد من القساقسه الى المسلمين فيستخلف أميرهم على اننا إذا أطلقنا سراحهم يطلق الملك نقولا من يقع عليه الشرط وباقى الرجال يبذل منهم المال فقالت البطارقة هذا هو الرأى الصواب فعندذلك أنزل أبو محمد وغلمانه من الخشب وخلعوا عليهم خلعا منسوجة بالذهب والأمير ينظر إلى فعالهم وقد سره ذلك بعد ما أيقن لهم بالعطب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وان شماس قال لأصحابه انظروا من يكون السفير بيننا وبين أمير المسلمين فقالوا ما ههنا أقوى جنان فصيح اللسان غير الراهب شومدرس وهو الذى قبض هذا المسلم الذى هو أبو محمد البطال وقد قتل من أجله رجال وأيس كل من فى الحصن من الابطال وما لنا الا نخرجه الى المسلمين يتحاجج عنا وعنه فقال شماس على به فو حق المسيح والانجيل والابرئت مما فيه من التحليل والتحريم لابد أن يخرج اليهم مع هؤلاء المأسورين فلعل شؤمه يقضى عليه فمضت البطارقه خلفه يطلبونه فطافوا الحصن من أوله الى آخره فلم يجدوه فعادوا الى الملك شماس يخبروه أنهم فقدوه فقامت عليه القيامة وقال أنا أدور عليه بنفسى فدار عليه بنفسه وأقلب عليه الحصن ونادى فى الناس لايخفيه أحد لانه اذا خرج الى المسلمين كان سبب خلاصنا وخلاص النصرانية أجمعين فما وجد له خبر ولاسمع له أثر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان شماس لما دار الحصن جميعه ولم يجد الراهب شومدرس رجع الى أصحابه وقال لهم كيف مضى شومدرس وباب الحصن ما فتح فقالوا أنه أتى وباب الحصن ما فتح كذلك معنا اما أن نقول انه مضى من تحت الأرض الى سائر الحصون الى مواضع فيها مهالك ومعاطب وهو يعرف الجميع فلما أيس شماس منه عاد الى راهب عنده يقال له هماز بن صلبوت وكان كبير فى السن فقال له تنزل الى عسكر المسلمين وتأخذ لنا عليهم العهد والميثاق وتستحلفهم بالايمان والطلاق فقال الراهب سمعا وطاعه وخرج من باب الحصن الى عسكر الأمير عبدالوهاب ونظر الى السودان وبنى كلاب كأنهم أسود الغاب والأسارى بين أيديهم مثل الكلاب فلما نظر الى ذلك رمى نفسه وقبل الارض وقال يامولاى العفو عن الاسارى فانا نجد فى الانجيل أنه من جبر كسير أو رحم أسير وجبت له المجازاة من الملك القدير فاننا نخرج اليكم الأسارى الذين عندنا على أنكم تطلقون من فى أيديكم ولكم ما أردتم من المال فقال الامير ياشيخ كيف نطلق أربعين الف بأربعـــة ولكن أنا أطلقهم على انكم تسلموا الى الحصن ويكون من أمرى معكم ما يكون (ياساه) فلما سمع الراهب ذلك من الأمير قال يامولاى اعلم ان الآمال

تضرب رقاب الرجاب وها أنت تنظر الى هـذه القلعة والذى بين يديها من القلاع أحصن وأكثر رجال وأعز نفر فخذ من المـال لكل واحد الف دينار وارجع من حيث أتيت فقد نلت ما تمنيت واعـلم انى قرأت ان الدنيا اذا أقبلت أدبرت واذا أنجزت صدعت فقال أبو الهزاهز ياشيخ السوء وما قرأت فى كتاب الانجيل ان محمدا رسول الله فضحك الامير عبد الوهاب من قول أبو الهزاهز وقال اعـلم أيهـا الراهب انه سوف يبان لك الصـادق من الكاذب وهيهات ان أرجع بالخداع وأفتح الحصون والقلاع وحق النبي المنتخب وذمة العرب لا رجعت من هـــذه الحصون كلها حتى يقضى الله ما يكون فلا تطمع فيما لا يسمع ووعظك أيها الراهب لاينفع وأنا من تعرفه الروم ولا تنكره وأنشد

أيا راهبا ويحـــك فاستمع ... مقالة ليث فى الحروب صميـــدع
همام كريم ماجـد ذو حمية ... صبور على الأهوال فى كل موقع
تعود ضرب السيف مذ كان مرضع ... وحسبك من قد عود السيف موضع
تقوم لمثلى ارجع اليوم سالمـا ... ولست أريد السلم يوما بموضع
أما سمعت أذناك يوما بموقفى ... اذا ما جرى نفس الجبان المودع
ولا نفرت نفسى من الحرب ساعة ... ولست أبالى فى الورى أين مصرع
ولست أريد المـال بل ان مطلبى ... ثوابى من الرحمن ياصاح فاسمع
وأقسم ببيت الله والركن والصفا ... مع الحجر الصلد المنير المشعشع
ومن طاف حول البيت من كل مسلم ... وكل عبيد مخلص ومطوع
بانى لا أمضى عن الحصن راجعا ... ولا نعمت روحى بعيش ومضجع
الى أن ترانى قد فتحت حصونكم ... وأترك عمران الحصون كبلقع
وأمضى الى حصن السباع بمعشر ... كرام وفيهم كل ليث مدرع
وأمضى الى أرض الرياحين التى بها ... من النبت زهر كالعقيق المجزع
وأمضى الى الوادى الذى عرفته ... وسميته وادى السرور المطوع
إلى روضة الياسمين وبعدها ... إلى حصن دولاب لكم غير منزرع

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الراهب شعر الامير عبد الوهاب عـلم أنه رجل لايرام وبطل همام فقال يامولاى الامر اليك وهـذا صاحب الحصن نقولا بين يديك فان أراد فهو يسلم الحصن اليك فقال الأمير ياملعون سوف تعلم ان كلمة الباطل تمحا وكلمة الحق تعلو (ياساده) وكان الشيخ شواش الذى أســـلم على يد الامير أبو محمد البطال ورد عليه الامير الكسا قائم يسمع الكلام فدنا من الامير عبد

الوهاب وقال يامولاى قد أطلت الـكلام مع هذا الراهب وكثرة الخطاب خذ كساه وهو يسلم فى الحال فضحك الأمير من هذا المقال وأقبل على نقولا وقال قد عولت على قتلك وقتل الاربعين ألف وبعد ذلك لا أبقى صغير ولا كبير ولاشيخ ولاغلام إلا وأمكن منه الحسام فلما سمع نقولا ذلك أيقن أنه هالك فقال يامولاى قدمونى إلى باب القلعة بحيث أرى ويسمع مقالى فقال الامير قدموه الى القلعة بحيث يسمع كلامه أهل الحصن فقدموه فنادى برفيع من صوته ياولدى إن الحصون عمادها الرجال والابطال فاذا قتلت رجالها ملـكت أطلالها وقد أقسم هذا الأمير أنه لايتعرض لصغير منا ولا كبير ويمضى الى باقى الحصون ويملـكوها أجمعين وإن كانت عليهم فنحن نأخذ الحصون من أيديهم لانهم لايقيمون فى هذه البلاد ويتركون أرضهم وديارهم وأمصارهم فلماسمع ولده ذلك قال أنا الذى لاأسلم هذه القلعة ولى عين تطرف وعندى المال والزاد والسيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك صاح بالسودان وقال دونكم ورقاب الرجال فاضربوها فما هو إلا أن أمر بذلك حتى قدموا البطارقة للسيوف والخناجر وضربوهم فى المحاجر فما كانت إلا ساعة حتى ضربت منهم ألف رقبة وسالت دماهم على العصبة وصاح باقى الاسارى الامان الامان فقال الامير لاأمان لكم عندى إلا أن تسلموا الحصن فلما سمعوا ذلك جعلوا يستغيثون بأهاليهم وأقاربهم وأولادهم وإخوانهم وكل من فى الحصن من أهاليهم وقالوا ماتنظرون حالنا أما نحن أحب اليكم من الاموال والاطلال فصاح عند ذلك النسوان والبطارقة من كل مكان والشيوخ والشباب والاطفال والصبيان وقالوا لاصبرلنا على قتل الاقارب والاخوان والاهلين والجيران وإن لم تسلم أنت ياشماس الحصن على ما تريد وإلا سلمناه نحن على مانريد فان قتل الاحباب صعب شديد فدع عنك هذا التعنيد فلما سمع شماس ذلك من كلامهم علم أنه إن لم يسلم الحصن إلى الامير وإلا سلموه غصبا فقال لهم إذا عزمتم على ذلك فاصبروا على قليلا حتى آخذ لـكم العهود والمواثيق على ذلك من المسلمين على انهم لايتعرضون لأحد منا ولا أولادنا ونساءنا (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان قصد الملعون شماس بذلك أنه أضمر فى نفسه أن يقتـل أبومحمد البطال ومن معه لانه رأى أنه هالك وقد نوى ذلك وقال فى نفسه إذا أخـذ الرجال ثارهم لايبالون بأى موتة يموتونها إن كان أجلهم قد انتهى ثم ان اللعين شماس قصـد الى ناحية الامير عبد الوهاب ونادى به من أعلى الحصن : أمهل أيها الامير إلى وقت المساء حتى أستوثق من أصحابك الذين عنـدى بالعهود والمواثيق بأنك تجعل لى إلى

الحصون طريق وأنا أسلم اليـك هذا الحصن بالتحقيق (ياساده ياكرام) فلما سمع الامير كلام الملعون شماس فرح منه وقال فى نفسه إن قوله حقاً وكلامه صدقا وقال للسودان خلوا عن الرجال حتى تنظروا هذا الملعون وما يبديه من الخطاب والمقال (ياساده ياكرام) ثم ان الملعون شماس لما نظر إلى البطارقة الذين فى الحصن وقال لهم على بهؤلاء القوم الذين هم محبوسين حتى أستوثق منهم باليمين فأحضروهم بين يديه وأمر جميع قومه بالانصراف ولا بقى عنده إلا غلمانه بلا خلاف ودخل بهم بعض المجالس ومعه حسام كأنه صاعقة لايرده ترس ولاطارقة وأقبل على أبومحمد البطال وقال له اعلم أنى قد عولت أن أرسل الى أميركم أستوثق منه بالإيمان وأكون من أمرى على برهان لأن الغبن طبع الانسان فلما سمع أبومحمد ذلك قال اعلم أيها الملك العظيم الشان انى أبلغك كل ماتريد وأزيدك فوق المزيد ثم ان البطال نظر الى عيون شماس فتبين له منه الغدر وعلم أنه مضمر له المكر ورأى يده على قائم سيفه فأنكر أبومحمد ذلك وعظم عليه وعلم أنه هالك فرجع الى الخديعة والمكر والمحال وقال عساها أن تنفع فى هذا السم الناقع القاتل فأقبـل على شماس وقال اعلم أيها الملك أن الأمر فات وأن لـكل شىء سبب وإنى أريد أدخل فى دينـكم وأتبرى من دين العرب وذلك أنى نظرت الى جارية من أهـل الحصن من بنات البطارقـة والصليب على صدرها والزنار على خصرها وقد أرمتنى من لحاظها بسحرها وسواد شعرها وقد ملـكت قيادى وسلبت رقادى وقد رغبت فى دين المسيح لأجلها وأريد منك أن تزوجنى بها على شرط انى أسلم اليك أميرالمسلمين وعشرة من أصحابه المقدمين وأمكر بهم بالـكلام حتى يحضروا عنـدك فى هـذا المـكان وتبلغ منهم المراد وغاية المرام ونقول للأمير إن القوم يريدون أن يستوثقوا منك باليمين على شرط انك لاتتعرض للنسوان ولاللبنات ولاللصبيان وأخدعه بالـكلام وهو يصدقنى فيما أقول ولايخالف لى قولا أبدا حتى يصير عنـدك هو وأصحابه العشرة وأنت تـكون فى ألف بطريق بالسيوف والمزاريق واذا حضروا عنـدك اقبض عليهم وأوصل الأذية اليهم وإن خطر لك فأنت تفادى بهم كل بطريق عنـدهم ولا تطلقهم من الوثاق حتى أحلفهم بالأيمـان والطلاق والعهود التى أعرفها أنا حتى انهم يرحلوا عن حصنكم (قال الراوى) لهذا الـكلام ياساده يا كرام فلما سمع شماس ذلك الـكلام من أبومحمد البطال فظن أنه حقا وما علم أنه كله محال فقال شماس فى نفسه أنا كنت عولت على قتل هؤلاء الأسارى وأنا أعلم انى كنت أقتل من بعدهم لامحالة أنا وكل من فى الحصن والآن فما بقى غير

السلامة ولقد أتانا من هذا البطال ما لم يكن فى الحساب فلعل المسيح قد نظر إلينا ثم قال للبطال يامسلم وحق المسيح والدين الصحيح لئن فعلت ما ذكرت لأزوجنك من شئت وأجمع بينك وبين من هويت وتكون عندى فى الحصن ههنا ولك عندى كل ماتريد من المال الجزيل والجوار والغلمان وتكون عندى أعز من الأهل والإخوان فقال أبو محمد يامولاى لاتعرف هذا إلا منى واعلم انى إذا ناديت بأمير المسلمين وناديت معه بالعشرة وامتنع منهم واحد تقول لايطلع إلا الذى قال عليه أبو محمد البطال وأشار به علينا فى القول والفعال فانى ما أدعو إلا الذى أعلم أنه لو طلبت عوضه منهم الاسارى كلهم لفعلوا ذلك فقال شماس افعل ما بدا لك فأنا تابع فعالك فقال أبو محمد حتى تعرض على الجوار وأعين لك التى وقعت فى خاطرى وأشغلت سرائرى فقال شماس سمعا وطاعة ثم انه أعرض عليه الجوار عشرة بعد عشرة والبطل ينقدهم بنظره حتى وقعت عينه على جارية كأنها غزال عطشان بديعة فى الحسن والجمال تربية الدلال على خدها الأيمن خال ولها وجه أضوأ من الهلال فقال أبو محمد لشماس هذه الجارية التى ملكت فؤادى وأحرمتنى رقادى وملكت قلبى وأشغلت خاطرى ولبى فقال له شماس لاتعرف زواجها إلا منى (قال الراوى) فعندها وثب البطال كأنه أبو الحصين المحتال ومعه غلمانه وقد حلوهم من الشد والاعتقال . وقد نجا من الموت بحسن حيلته وخديعته وما زال الى أن وقف على برج الباب ونادى برفيع صوته : يامعاشر المسلمين والأصحاب أنا أبو محمد البطال وقد استقر الحال بأمر مسبب الاسباب بأنهم يسلمون الحصن الى الامير عبد الوهاب غير أن القلوب قلوب الروم خائفة وأفئدة النسوان راجفة وهم يخافون من الغدر والهلاك وحاشا الامير عبد الوهاب من ذلك وقد قالوا القوم ما تسكن قلوبنا وتقوى نفوسنا إلا أن يطلع الأمير عبد الوهاب الأجل إلينا ومعه عشرة من أصحابه الاماجيد ويحلف لنا بكل مانريد حتى يسكن فزع الصبيان ويهدئ روع النسوان وقد حلفتهم بالإنجيل أنهم لايتعرضوا للأمير بشىء فلا يطلع إلينا إلا الذى أصفه من المسلمين أصحاب الصدق والعدل والدين مثل الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه والعبد الصالح أبو الهزاهز والحاج الاجل برد بن الازهر والفقيه هياج الكردى والشريف النسيب هارون العلوى والحاج ميمون الجماس والزاهد راشد بن ضمرة والعابد مدركه (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمعوا القوم من الامير أبو محمد هذا الكلام علموا أنها حيلة وخديعة من البطال حتى يهلك الحصن ولا يخلى فيه من الروم أحد فقال الامير

عبد الوهاب للبطال يا أبو محمد وما الذى يؤمنا على أنفسنا إذا طلعنا لهم فى عشرة وهم فى عشره فقال ماهم أكثر من ثلاثة آلاف فى الحصن قال له الامير نصعد اليهم فى خمسمائة رجل فقال البطال ماهو صواب لأنكم طالعين الى غير قتال ولا حرب ولا نزال وماثم إلا إصلاح الحال ومع ذلك انه لو قبض عليكم لكان عندكم ما تفادوا به من الأسارى أضعاف ما عندهم وهذا مالا يكون لانى حلفت القوم وحلفت لهم وأخذت عليهم العهد والميثاق (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبو محمد البطال ذلك الكلام قال اذا كان الامر على ذلك فأنا أفعل مابه أشرت وأتبع ما به أمرت (قال الراوى) هذا وشماس قد طار قلبه فرحا بإجابة الامير عبد الوهاب الى ذلك وقال فى نفسه ترى لو كانوا هؤلاء سباع الارض ماقدر كل واحد منهم يلقى أكثر من عشرة فيكونوا الكل مائة ويبقى ألفين وتسعمائة بطريق خلاف مافى الحصن من النساء والصبيان والإماء والإخوان (قال الراوى) وبقى شماس منتظر طلوع الامير ومن معه من الرجال وهو لايصدق بهذا الحال وقد قال للبطارقة إذا رأيتمونى قد ضربتهم بالسيف افعلوا كفعلى واعملوا كعملى فقالوا سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده يا كرام هذا ماجرى من أهل الطغيان. وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فقد قال للأميره ذات الهمه: ماترين أيتها الاميره فى الطلوع اليهم والهجوم عليهم فقالت ومن يمنعنا من ذلك وإذا كنت وحدى كنت ملية بمن فى الحصن وأسقيهم شراب المهالك فقال أبوالهزاهز: بالله عجلوا فى الطلوع حتى أخلى من الروم الاطلاع والربوع وأقطع بسيفى الدروق والدروع وأنا أرجو من الله تعالى أن يكون ذلك الشيخ النحس فى الحصن يعنى شومدرس حتى كنت أصبحه صباح ميشوم وأعذبه عذاباً ما عذبته لأحد من الروم قال له الامير يا أبو الهزاهز أنت تقول كلام بلا فعال وكلامك كله زور وباطل فقال أبو الهزاهز يامولاى سترى مايسرك وتنظر كيف أجعل رأسه على حجر ولا أزال أنطحه برأسى حتى يبقى مثل مرهم الطبيب وأقر له فى العذاب أوفى نصيب فضحك الامير عبد الوهاب من قوله وقد ساروا الامراء وكل واحد يريد لرأسه ألف مدرع ولما نظر اليهم شماس وقد أقبلوا أمر بفتح الباب وقال فى نفسه لقد بلغنا غاية الأرب وهو شىء ما كان لنا فى حساب. هذا وقد دخلوا الأمراء الى الحصن وقد أيقنوا ببلوغ الآمال فعندها أمر شماس بغلق الباب فى ساعة الحال فغلق ومن عجلة شماس وغدره صاح فى البطارقة: خذوهم واقصدوا الى الاربعة الذين عندكم فاقتلوهم فهم حماية المسلمين

واذا قتلتموهم وصلتم الى فكاك المأسورين فنظروا البطارقة إلى عشرة فاستقلوهم وانكبوا عليهم فصاح بهم الأمير عبدالوهاب كاد أن تسقط من هول صرخته الحوامل وخيل للروم أن الارض قد انقلبت من شدة الزلازل وصاح بعده أبوالهزاهز مثل الجمل الهائج وكشر على أنيابه فصارت مثل أنياب الوحوش . وأما ميمون الجماس فانه أشغل الناس بأشد باس وأما برد بن الأزهر فانه حمل مثل الأسدالقسور . وأما مدركة وعبد الله وهياج فانهم هاجوا مثل الجمال . وأما الأميرة ذات الهمة فانها استقبلت الروم بقلب قوى وجنان جرىء وقد مكنت سيفها فى الأمخاخ ورجع العهد إلى الانفساخ وانحلت من الروم العزائم وعملت الصوارم وقامت على أهل الحصن المآتم ولم يعرف العاطب من السالم وحلت بالروم العظائم وأصبح كل واحد منهم لنفسه عادم وقال وحق المسيح ما فعلت فعل حازم ولا هؤلاء القوم من بنى آدم . هذا والروم قد نظرت الى ماحل بها من المعاطب والمصائب وأيقنوا بالبلاء اللازب ولم تمضى عليهم غير ساعة حتى قتل من الروم أربعمائة فارس ولم يجرح أحد من المسلمين وكلما قاتلوا ازداد انبساط وقوة ونشاط وقدكثر من الروم الصراخ والعياط (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام فلما التقى شماس بأبو الهزاهز خاف منه وأراد الهروب من بين يديه فخطا أبو الهزاهز اليه وعطف عليه وضربه بكلتا يديه أطاح رأسه من بين كتفيه وعطف على آخر فقطعه نصفين وضرب آخر فجعله قطعتين فعند ذلك أرمت الروم نفوسها الى الارض طولا وعرض ونادوا عن صوت واحد لورك لورك يعنى الأمان الأمان وقد رأوا الذل والهوان ونظروا من سيوف الأمراء من الموت ألوان وقد قبضوا على باقيهم وكل واحد من الروم فزعان وقال الأمير عبد الوهاب افتحوا ياويلكم الباب ففتحوا الأعداء للأمير عبد الوهاب باب الحصن ونادوا الأسارى الى أصحابهم العبور ففعلوا ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن المسلمين طلعوا الى الحصن أجمعين وملكوا ما فيه مسرعين وملك الامير عبد الوهاب الأموال والرجال والذخائر الغوال فكان شىء يسد الفضاء ويملأ المستوى (ياساده) وفى طلوع المسلمين الى الحصين هربت الاسارى الذين كانوا فى عسكر المسلمين على وجوههم فى البرارى حائرين فلحقت الناس منهم قوم وهرب قوم وكان لهم يوم وأى يوم ثم إن الأمير عبد الوهاب لما رأى تلك الأموال العظيمة قال الحمد لله على هذه النعمة التى أنعم الله على بها وأن يجعل بقية فتح الحصون على يدى . هذا وأن أبو الهزاهز فتش الحصن جميعه على

الراهب شومدرس فما وقع له على أثر فسأل عنه الروم فقالوا أيها الاميران شماس طلبه قبلكم واغتاظ عليه لما فقده وكاد ان تنفطر مرارته واجتمع الامير عبدالوهاب بالأمير أبو محمد البطال وهناه بالسلامه وقال له ابشر من الله بجزيل الثواب وكثرة الانعام من رب الارباب فقال له أبو محمد يا أمير كيف تخلص الملعون شومدرس من أيديكم لما أرسلته اليكم فقال الامير عبدالوهاب كل ما جرى عليك من أبوالهزاهز وهو الذى لعب شومدرس بعقله وأعاد عليه القصه فقال أبو محمد لعن الله شومدرس فما أمكره وأحيله وأغدره وللرجال ما أقتله وأما أبو الهزاهز فهو معذور لان شومدرس يلعب بعقول العقلاء ويدس الحيل على الفضلاء والله لقد ضربنى بالسياط حتى آيست من الحياه وكذلك غلمانى وهذا كله من تحت رأس شومدرس لان أبو الهزاهز كان عنه عاجز فقال أبو الهزاهز يامولاى هذا وجهى بين يديك وروحى ما أبخل بها عليك وانى نادم على ما جرى الا انى قلت انى أحصل عندك وأعينك على فتح الحصن وأكون بين يديك مثل عبدك فقال البطال يا أخى لايكون على قلبك هم فلا بد ما آخذه وأسلمه اليك (قال الراوى) ثم ان الامير سلم الحصن الى الامير برد بن الازهر وسلم اليه مائة فارس من بنى كلاب وهم أبطال أنجاب وقال لهم أنتم ههنا الى أن آتيك ان شاء الله تعالى فقال سمعا وطاعه ثم ان الامير عبد الوهاب قال للناس يامعاشر الناس أنكم غدرا حلين فقد مضت الايام والشهور والسنين وقلبي على مكاوى النيران لاجل ولدى ابراهيم وأمه علوى فقد طاب شوقى اليهم وزادا شغافى عليهم ثم ان الامير أحضر باقى الاسارى وأباعهم أرواحهم بالمال الوافر وكان المال مدفون تحت الارض فصار شيء كثير وبات الى أن برق ضياء الفجر وسلم الحصن الى الامير برد بن الازهر كما ذكرنا وأوصاه بكل ما يقدر عليه ورحل والامير أبو محمد معه وجميع السودان وبنى كلاب وفى قلب الامير مالو وقع على جبال تهامه لهزمها من الراهب شومدرس وجد فى سيره حتى عبر من وادى الجواهر الى وادى السباع وكان هذا المرج كثير السباع لانه كثير الغابات لايقدر يجوزه الا الجمع الكثير والجم الغفير فلما وصل الامير اليه طلبوا الناس الراحة مما لقوا من المشقة والتعب والسير والنصب فقال الامير لا أفعل ذلك لان الوادى كثير السباع والضباع والحيات والافاع وأنا أخاف عليكم من ذلك فقال أبو الهزاهز وسائر الناس أنزل بنا فى هذا الموضع وقد كفاك الله مؤنة السباع فعند ذلك نزل الامير وتفرقت السوادان النوبيين والحبشان من كل جانب ومكان حتى لم يبق عند

الأمير منهم إنسان وضربت طبولهم وبوقاتهم والغرون وظهر منهم ما يوجب الجنون وصفت السودان درقها بعضها مع بعض حتى بقى الناس كأنهم سد من حديد وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا العبيد والحبشان كأنها جن سليمان ودخلت الدخائل وقد نفرت منهم السباع ودارت حولهم السودان وقد أرموا أرواحهم عليها واصطادوها وداروا من حولها (قال الراوى) وأقبلوا يسبحون الأسود من كل مكان والأمير بفرج ويدعو لهم إلى أن ارتفع النهار ورحل الأمير من هنالك طالب نهر الدم وقلعة الدم ومرج الزعفران وكانت هذه القلعة تعرف بقلعة الدم لأنها حجر واحد أحمر من شدة حمرته كأنه الدم وصاحبها يقال له عين المسيح لأنه كان بعين واحدة وهو أخو الملوك الذين تقدموا لأنهم كانوا متفرقين السبعة الاخوة فى السبع حصون وأبوهم الأقريطش وكان هذا عين المسيح تحت يده عالم عظيم ومع ذلك فما كان فيمن تقدم مثله لأنه كان شجاع ولما وصل الامير الى نهر الدم وجد نهر كأنه حمرة العقيق فقال الامير سبحان الله ويخلق ما لا تعلمون (ياسادة يا كراه) وكان على هذا النهر جسر كبير فعبر عليه الاغنام والرجال والخيول والعساكر (قال الراوى) وأما المنهزمين لما رجعوا الى الحصن الخامس هاربين ومضوا بين يدى عين المسيح أجمعين وجعلوا يلطمون على وجوههم فقال لهم الملك يا ويلكم ما وراكم فقالوا له يا ملك ان المسلمين قد أتوا وقد أخذوا أخيك وقتلوه وأخذوا الحصن الرابع وهاهم قادمين عليك فقال لهم الراهب أبو الشرشومدرس اكتب الى أهل القلاع والسودان حتى نستعين بهم على هؤلاء القوم لأن فيهم أقوام سودان كأنهم الغيلان أو جن سليمان قال لهم ياويلكم أنا فى مائة ألف وأحتاج الى نجدة وأطلب من غيرى معونة لا كان ذلك أبدا وسوف أريكم مايسركم فى الأعداء ان أتوا اليوم أو غدا وتعلمون أن هذا العسكر مالقيهم شجعان ولا قاتلهم أقران وسوف يظهر ما أقول لكم ويبان ولكن اقطعوا الجسر حتى نأخذ أهبتنا ونقضى أشغالنا (قال الراوى) فلما سمعوا الروم كلامه نزلوا أهل القلعة فى جماعة من المنهزمين من خوفهم على أنفسهم من الامير وأصحابه فقطعوا الجسر فبقى النهر مثل البحر يجرى ليس له مكان يعبر فيه أحد وعادوا الى القلعة وقد أعلموا الملك بذلك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أتى الى النهر فوجد الجسر مقطوع فقال لقومه كيف السبيل فقالوا لاتعرف هذا إلا الامن أبو محمد البطال فنزل أبو محمد على جانب النهر وطلب جلود السباع ووضع فيها الأمتعة والثياب والعدد وربطوها فى بعضها بعض

وركبوا فوقها وعدوا البحر ومنهم من ركب الخيل عرى فرأوا دير على بعد يلوح منه نور ساطع فمشى اليه أبو محمد فوجده دير كبير وله شبابيك وخارج منه نور وسمع فيه لعب وضحك وغناء فتعلق وطلع إلى الشبابيك فوجد عشر جوار نهد كأنهن الأقمار وعندهم ثلاثة من الرهبان والكاس يدور عليهم وهم يغنوا فاندهش عقله وحار لبه ثم إنه رأى فى وسطهم جارية كأنها البدر بين الكواكب فلما رآها تحير فى عقله واشتغل قلبه فأطال النظر اليها وبقى باهت لايدى كيف يصنع ثم انها تصارعت مع الجوار وصارت كل من صرعتها كتفتها حتى كتفت العشر جوار ثم إنها أحضرت راهبة كانت عندها وقالت لها حدثينى بأخبار الملوك المتقدمين وأخبار العرب والروم وماهم عليه ثم ان الراهبة صارت تحدثها بأخبار العرب وما عملوا مع الروم وأخبار أبو محمد البطال وحيله وما يصنع فى الروم من الأمور العجيبة ومكره ووقائعة فقالت الملكة نورا أنا أشتهى أن يجمع المسيح بينى وبينه وكانت هذه الملكة نورا تهوى النساء وتبغض الرجال وكانت تهوى هذا الدير واسمه دير الذهب وهو مشرف على مرج الزعفران ثم نادت الملكة نورا يا أبا محمد احضر عندنا وإذا هو أجابها ودخل من الشباك فلما رأوه تعجبوا منه غاية العجب وأحضروا له أكل وشرب وجلس معهم يحثهم فأعجبهم حديثه ودخلت محبته فى قلب نورا فقالت للجوار قوموا والعبوا حتى يتفرج عليكم أبو محمد البطال ثم حلتهم من الكتاف فقاموا ولعبوا وانشرحوا وهى تضحك وأبو محمد قد طار عقله ثم انه قال لها ياستى يامن هلكت فؤادى إن لى أصحاب واقفين تحت الشباك أريد أن يدخلوا يلعبوا مع الجوار فقالت حبا وكرامه ثم أمرته أن يناديهم فناداهم فطلعوا ودخلوا عندهم وهم لؤلؤ وعبد الوهاب وأبو الهزاهز وراشد وميمون ومدركه وعبد الله وطارق ولما رأى عبد الوهاب هذه الجاريه قال سبحان المصور وأطال النظر اليها واندهش فى عقله وحار فى لبه وصارت الجوار تضحك عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها قالت للبطال قم نتصارع أنا وأنت فقال لها حبا وكرامة وكان هذا قصده وبغيته ثم انها غيرت ملبوسها ولبست بدلت مفتخرة وشدت وسطها بشعرها وشمرت عن ذراعيها (قال الراوى) وقرب منها أبو محمد وقبض على أعكانها ولمها الى حضنه فغاب عن ذهنه ثم إنهما تقابضا وتعاركا فسالت ريالته وغاب عن ذهنه فأرمته الى الأرض وأمرت جوارها أن يكتفوه وإذا بالأمراء قاموا اليها وأردوا مصارعتها فقالت ارموا القرعة بينكم فكل من جاءت عليه يتقدم ففعلوا ذلك وهى تغلبهم واحد بعد واحد وكل من غلبته تكتفه

حتى كتفت الجميع فقالوا لها أنتى ماغلبتينا إلا بحسنك وجمالك فقالت وحق المسيح ان هذا قولكم صحيح لأنكم ظاهر عليكم الشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قالت للجوار دلوهم من الطبقان بالجبال فقال لها أبو محمد الى أين تودينا قالت الى بلادالروم فقال لها ياستى ودى هؤلاء وأنا أجلس عندك وأخدمك وأحدثك فقال أبو الهزاهز لانكون إلا كلنا سوى فضحكت وقالت لكم الأمان كلكم إذهبوا الى موضع ما تريدوا (قال الراوى) فبينماهم معها فى الكلام وإذا هم براهب قد دخل عليها وقال لها إن عالم النصرانيه وشيخ الملة المسيحية يريد الحضور بين يديك ففرحت وقالت دعوه يحضر فدخل عليها شومدرس وسلم وترجم وكان سبب مجيئه أنه لما انهزم سار ليل ونهار حتى وصل الى نهرالدم واستقبل مرج الزعفران ودخل على الملك عين المسيح فمشى اليه وأكرمه وبجله وعظمه وجعل يسأله عن حاله وما جرى له وأخبار الحصون وهو يحدثه بما جرى عليهم من المصائب وما لقيوا من النوائب فقال له عين المسيح فما عندك من الرأى يا أبونا وماخبر عسكر المسلمين فقال أيها الملك لاتسألنى عن قوم لايخافون الموت ولايرهبون قد ألفوا القتال وتعودوا بالنزال ولا يبالوا من ملاقاة الرجال ولاسراة الأبطال وهم فرسان البر سباع الفلاة وهم فى أكمل عدة من السيوف والعدد وصدور الزرد والدرق والأتراس الملطيه والخيول العربيه فهم أبطال إن قاتلوا جيشا هزموه وان ناضلوا عسكر قهروه وان بارزوا صنديدقتلوه وان حاصروا حصن ملكوه وان ناراهم ملك أهلكوه أميرهم قد خلق من الهيبة وله صاحب كثير الحيل والعجائب لايسلم منه قسيسا ولا راهب له وقائع مشهورة وحيل مسطورة ترهب من خوفه الأسود وتعقد على رأسه الرايات والبنود وقد صورته الروم فى الكنائس والملوك فى المجالس مخافة من مكره وشره أعاذنا المسيح وإياك منه وقدجرى لى معه أمور عجيبه وأحوال غريبه يطول شرحها ولا يمكننى الآن كشفها من عظم قدرها وان القوم اليوم نزلوا على نهر الدم فخذ لنفسك الحذر ولاتمهل أمرهم فيقع عليك شرهم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع الملك من شومدرس هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ودمعت عيناه وقال له يا أبونا وأنت الآخر داخلك من هؤلاء الخوف وقتلك الجزع ولا يمكنك أن تقول إن هذا إلا من كثرة مادخل على قلبك من خوف الأعداء وأنا أقسم بالمسيح والمذبح وإلا ضربت راهب بيعة بالسطيح وفعلت فى حقه كل قبيح لأمزجن نهر الدم بدمائهم ولأعدمنهم دينهم ودنياهم ولأجعلنهم عبرة لمن يراهم ولأرملن نساءهم ولأقتلن أميرهم وكبيرهم وصغيرهم.

وشريفهم وكأنك ياشومدرس قلت عين المسيح كمن لاقوه من اخوتى وأنت أخبر بقوتى وقوة قلبى وشجاعتى وأما نور ابنتى تحمل على عشرين ألف من بطارقة الروم وهى التى تأخذ الخراج من بلاد اليونان ومن سائر الرسوم وقد خطبها منى من الملوك مثل الملك منويل صاحب القسطنطونيه فامتنعت من ذلك وجميع الملوك فيها رغبت فما رضيت وعمرها ما قهرها فارس ولا غلبت ولا ولت وقد ذلت لها رقاب الجبابرة وخضعت لهيبتها ملوك الأكاسرة فاذا كانت هذه صفات جارية خرجت من ظهرى فكيف أنت تستصغر أمرى ويهون عندك قدرى وأنت أخبر بجلدى وصبرى فقال شومدرس أعوذ بالمسيح من هذا الظن القبيح وقد علمت جميع النصرانية أن ما فيها مثلك وما يقدرالزمان ينتج بمثلك فأنت السبب المعروف والشجاع الموصوف ومبيد الالوف وأنا قد وصفت صفة القوم حتى إذا بليت بهم لاتعود علىّ باللوم ومع ذلك فانى مشتاق الى ابنتك الملكه نورى فقال الملك ياأبونا هى فى دير سمعان المسمى بدير الذهب لها نصف شهر من الزمان (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام الملك قال له أيهاالملك وكيف يطيب على قلبك أنك تخلى ابنتك غائبة عن حصنك وعساكرالمسلمين قد قربت والقلاع من ورائهم قد خربت وأخذت فقال له الملك كنت أرسلت اليها محذراً فأرسلت تلومنى وتقول لى هذه قلوب النسوان لا قلوب الفرسان وأنا ما على بالى مجىء فى هذا الزمان فطيب قلبك وكن فى أمان فلوأن أعداءك فى عدد رمل وادى كنعان أفنيتهم بالسيف والسنان ولا أخلى يصل إليك منهم إنسان فقال شومدرس أيها الملك أنا لابد لى أن أصل اليها وأحضر بين يديها وأقص حالى عليها (قال الراوى) ثم ان شومدرس وثب وقال أيهاالملك أنا ما أخليها على رأيها وهاأنا ماضى اليها وآتى بها الى حصنها وما ندرى الزمان كيف يكون فكن أيها الملك على حذر وجد قبل أن ترى عدوك فى أرضك (قال الراوى) ثم ان الملك ودع الملعون وسار على عجل الى أن أتى الى الدير وفيه حصل وقد جرى على عبد الوهاب ما جرى وأخذتهم نورا أسارى (ياساده) ولما وصل شومدرس الى المجلس الذى فيه نورا قامت له هى والجوار الذين لها وجعلت تقبل يديه وتسلم عليه وكذلك الجوار وترامو على أقدامنا فلما نظر أبو محمد الى شومدرس مات فى جلده ونسى عشقه ووجده وقال فى سره الليلة النيرة من العصر تظهر فيالها من ليلة طويلة ثم انه أقبل على بأبوالهزاهز وقال له يهنيك قد جمع الله بينك وبين شومدرس فى مضيق الأوقات والدهر له آفات والساعات لها لسعات حتى لاحظت انه فى مهلك الوصل مات (قال الراوى)

ياساده ياكرام وقد أيقنوا العشرة بالبلاء هذا وشومدرس قد نظر إلى الملكة وهى مشدده محزمة وقد سال عرقها وفاح طيبها واحمرت وجنتيها وغزلت عيونها وبقيت نزهة لمن يراها فسبحان من خلقها وسواها فقال شومدرس أعيذ هذا الوجـه المليح بالانجيل والمسيح ثم أنه ضمها الى صدره وقبل بين عينيها وجعل يبوس وجنتيها فقال أبو محمد للامير عبد الوهاب أما تنظر إلى هذا المصاب ماكفى ما نحن فيه من العذاب حتى ان هذا الملعون يبوس الملكة نورى قدامنا ويستقودنا هذا الأنحس نسل الكلاب فقال الامير أبو الهزاهز وحياتك يا أبا محمد ان تتأن ولابد ما علينا أضرمنك لانك إلى ههنا جبتنا وبهذا الأمر أبليتنا فقال البطال أنا قلت لكم صارعوا الملـكة نورا حتى جرى عليكم هذا المجرى ولـكن ارجو من الله تعالى أن تحدثه نفسه بحديثنا ولا تخبره نورى بخبرنا فبينما هم فى المحاورة والكلام واذا بالراهب شومدرس قد قال لنورى يابنيه ما لى أراكى كأنـكى كنتى فى معاركة ومشابكة فضحكت عند ذلك وقالت له نعم يا أبونا وذلك انى كنت العب مع جوارى كما جرت العادة والراهبة زوجة العوادة كانت تحدثنا بأحاديث الروم والعرب وحدثتنى بكل عجب الى أن جرى ما جرى وجرى على لسانها حديث رجل يقال له أبو محمـد البطال وذكرت لى ما يعمل من الأعمال ثم أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وعرفته بمضمون الحال وكيف أنها أطلقت الثلاثة غلمان لابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس بأمر البطال كاد قلبه أن يطير من الفرح وصاح أسعدك المسيح أنتها الملـكة والرهبان وسعد بك الزمان فقد أخذتى بالتار لجميع النصرانية والأخوان أتدرى ياملكه من الذى أطلقتى من الغلمان فانهم أشد من مولاهم وأقوى حيله ثم قال لها ومن هم الذين معهم من الفرسان فقالت أنا ما أعرف منهم انسان بل تسير معى الى مجلسهم وانظر اليهم فأنت أخبر منى بهم فى هذا الأوان (قال الراوى) فعند ذلك وثب الراهب شومدرس قائم على قدميه وهو لايصدق بذلك الى أن وصـل الى عند الأسارى فأول ما رأى أبو محمـد البطال ففرح غاية الفرح وقال وقعت ياخبيث وحق المسيح لابد لى من صلبك ومنك أستريح بعد أن أسقى من ضربك قلبى الجريح ثم انه نظر الى أبو الهزاهز وصاح عند مانظره وكاد من فرحته أن يغمى عليه وقال وحق المسيح انك لما تخلصت من نوبة قتل السودان كان بقى فى قلبى منك ومن خلاصك مثل شعب النيران ولـكن ابشر بالصلب ومن قبل الصلب بالعذاب والضرب ثم نظر الى مدركة وعبدالله وميمون الجماس وراشد بن ضمره وطارق الحجازى فغاب رشده من الفرح وعلم ان فساده

قد انصلح وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة هؤلاء أبطال المسلمين وفرسان الموحدين ثم نظر الى الأمير عبد الوهاب فعرفه فصاح صوتا عظيما حتى خيل للحاضرين أن الدنيا قد انقلبت بأهلها أجمعين وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة قد أخذتى أمير قوم الموحدين هذا الذى ملك الحصون وقتل البنات والبنون فلما سمعت نورا فرحت فرحاً شديداً وعلمت أن نجمها مستقيما وقالت للأمير عبد الوهاب بحق دينك ما أنت الأمير الذى للقوم فقال لها نعم أنا ذلك فافعلى مابدا لك فعندها قال لها شومدرس على بالقيود فأحضرت فجعل فى رجل كل واحد منهم قيد ثقيل شديد ولما علم الملعون أن القوم قد صاروا فى الحديد وثب الى سيف الملكة نورا وهو سيف مجوهر فقالت له على ماذا عولت أن تفعل يا أبونا فقال لها على قتلهم ولا أبقى منهم بشر فإنا لا نأمن من غدرهم وشرهم أو يأتوا عسكرهم فى طلبهم ويعملون على خلاصهم من غيظهم واذا قتلوا هؤلاء ما يبقى منهم رجل يحسن أن يضرب بالسيف فلما سمعت الملكة ذلك قالت اعلم يا أبونا أنى أنا ما أقتلهم حتى انى أسلمهم الى أبى وأما قولك انهم يهربوا فوحق المسيح انه لو كان فى الدير مثلهم ألوف وكنت مالكة سيفى هذا لأسقيتهم كأس الحتوف ولكن لا سبيل الى قتلهم إلا أن يراهم أبى عين المسيح ويفرح بفعلى المليح ومع هذا فانى أعلم أن الانسان يوم له ويوم عليه وما كل يوم ينجح الطلب ونحن لابد لنا أن نلتقى بهم وما نعلم ما يكون بيننا وبينهم وأصلح ما يكونوا هؤلاء عندنا مقيمين الى أن نلتقى عسكرهم وندبر ما يكون فيه المصلحة من أمرنا وأمرهم لأنه قيل فى الأمثال (من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب) (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع شومدرس كلامها علم انها لا تمكنه من قتلهم فقال لها أيتها الملكة انظرى الى حالى وابصرى ماجرى لى ثم كشف عن بدنه واذا بآثار الضرب بالسياط التى ضربه بها أبو محمد البطال فى المغار وبقى له على جسده آثار فقالت له ماهذا ياأبونا فقال لها من ضربه وعقوبته ثم انه أعاد عليها حديثه من أوله الى آخره فقالت دونك وإياه واضربه عوض ماضربك فما أمنعك من أخذ تارك وطلبك فوثب الملعون وأخذ أبو محمد البطال ومده وضربه حتى وقع لحم كتفيه وغاب رشده وأغمى عليه ثم انه بطح أبو الهزاهز وضربه ضرب الأولين والآخرين حتى أشرف على الموت وأبوالهزاهز يقول له ويلك ياشيخ السوء أنا ما أخرجتك من المغارة وخلصتك من الذل والاضرار فلا تفعل بى هذه الفعال وهو يضربه ولا يسمع له مقال حتى طار لحمه من عظمه وضرب ميمون الجماس حتى أشرف على الاياس

عسكر المسلمين حتى يكون رهنا لهم ثم أمر الأمير عبد الوهاب عسكره أن يرجعوا إلى خلفهم الى أن قرب قلعتهم ووقف فى وجوههم وظن أنهم انهزموا فرجعوا من ورائهم مقدار فرسخ حتى أشرفوا على القلعة المسماة قف ترى العجب وإذا هى قلعة شاهقة حتى كأنها للأرض مفارقة وللجو لاحقه وهى مليحة رائقه إذا وقع منها حجر كأنه ساحقة وقد زينت بالطوارق والملبوس فهى تلوح كأنها عروس فقال الأمير فى نفسه والله لو كانت هذه القلعة عندنا فى ملطية لما بالينا بأهل الدنيا وعلى باب الحصن أربعة آلاف غائصين من الحديد وصف الأمير عسكره وعدل أوله وآخره وهم بالحملة وإذا بالصياح من فوق القلعة قد علا والصراخ قد نما حتى ماجت الدنيا فرفع الامير رأسه وإذا بالحصن يموج بساكنيه من الرجال والنساء والعسكر والاماء والعمالقة قد قدمت أربعة رجال عراه حفاه ملطخين بالقطران عليهم آثار الضرب والهوان قد سالت دماهم ومزقت جلودهم ووصلت الأذية اليهم وحامت الطيور عليهم وهم ينادون وا إسلاماه وا دين محمداه ويشيرون الى عسكر المسلمين بالوداع والانقطاع ويشكون اليه ألم الفراق والانقطاع فلما نظر الامير عبد الوهاب الى القوم وعرفهم وقال أبو محمد ورب الكعبه فيالها من سفرة ما أوجعها وللقلوب ما أفجعها وأقبل على أصحابه وقال لهم دونكم والحمله واعتمدوا على أخذ الاسارى حتى نفادى بهم إخوانكم وحمل وحملت المسلمون ونادى الأمير عبد الوهاب يا آل كلاب يا آل كلاب وكذلك الاميره ذات الهمة أخرجت يدها من جلباب درعها وحملت وصدموا الروم صدمة رجل واحد وكان السيف أكبر شاهد واستعانوا المسلمون بالملك الواحد وحملت السودان من أبناء الحبشان كأنها جن سليمان وفى أوائلهم أبو الهزاهز وهمهم همهمة الاسود الضواغم وزفرة النسور القشاعم وحميت الابطال القماقم وقومت الاسنة وأطلقت الاعنة فلم تكن إلا ساعة حتى بقيت الرؤس بلا غلاصم والابدان بلا جماجم وانتطحت الروم بين أيديهم وخرق الامير عبد الوهاب الصفوف وجدع الانوف فهو بين الخيل يجول ويضرب الفحول بالنصول وقد اعتمدوا على شدة البأس إذ لقى نقولا وهو يحدث الناس ويزجهم بالعدد واللباس فهجم عليه الامير عبد الوهاب أعجل من البرق وأسرع من نزول الودق فلما نظر نقولا إلى الامير وهو عليه قد حمل حمل أيضا على الامير ولكن الامير من حدته فما أمهله دون أن صرخ فيه صرختة المعروفة أدهشه ولاصقه وضايقه ومد كل واحد منهما يده إلى صاحبه وقد تمكن الامير من

جلباب درعه وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يبق أحد من السودان إلا وأخذ من الروم أسير وكذلك بنى كلاب فأخذوا من الروم فى هذه الوقعة ما ينوف من أربعين ألف أسير ونظرت الروم إلى ما قد حل بها فولت منهزمين وللنجاة طالبين فمنهم من طلب الحصون ومنهم من تعلق بالحبال ومنهم من طلب الحصن الخامس وتفرقوا فى كل مكان وقد نزل بهم الذل والهوان ونصروا عليهم أولياء الرحمن ونزل الأمير وقد ملك ربض الحصن واحتوى على مافيه من الاموال والرجال وأمر أن يحضرون الاسارى وهم أربعين ألف فعدوهم وأحضروا نقولا ذليل حقير فأيقن بالموت وجعل يبوس الارض ويقول يا أمير المسلمين لك ما تطلب من الرجال والاموال فقال الامير ياكلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لمثلى يقال هذا المقال أو على مثلى يهول بصلب الرجال أقسم بالبيت ومن حج والتلبية ومن عج والعرش وماعلا والكرسى وما سما لا بد أن أضرب عنقك ورقبة أربعين ألف أسير إلا أن تترك أصحابى الاربعة سالمين فى هذه الساعة فاذا نزلوا أصحابى أطلقت مائة ممن يعز عليك من أصحابك وتطلع الى حصنك وأنا فما أبرح من على هذا الحصن حتى أفتحه فلما سمع الملك نقولا ذلك من كلام الامير قال يامولاى على إننى آتيك الساعة بأصحابك الاربعة وأما أنت فاصنع بعد ذلك ما أردت أن تصنع وأما قولك أنك إذا أطلقتنى تقدر على أخذ الحصن وهذه القلعة التى اسمها قف ترى العجب فوحق المسيح مالك الى وصولها سبب ولو أقمت شهور وأعوام فلما سمع الامير ذلك صغى لكلامه وقال ويلك سوف ترى العجب أما سمعت بفرسان بنى كلاب وصاح بالسودان وقال اسحبوا ما معكم من الاسارى الى حيث يروهم أهل الحصن فلما سمعوا السودان ذلك سحبوا البطارقة على وجوههم عراة الاجساد وشماتة الحساد ونظروا أهل الحصن الى السودان وقد أتوا ومعهم خلق كثير من الاسارى فانحلت عزائمهم ورفع نقولا رأسه ونادى بولده شماس أما ترى مانحن فيه أما ترى ماحل بأبيك ومانزل بأهلك يابنى لا تفرط فيما عندك من الاسارى فرؤسهم مرهونة بهؤلاء المأسورين وقد جعلوهم فداء لى ولمائة من خواص البطارقة (قال الراوى) فلما سمع شماس ذلك من كلام أبيه قال لقومه ما الذى ترون من الرأى قالوا وما الذى نرى وما عسى أن نقول وما فينا إلا من قد أسر أخاه أو ولده أو أباه ومافى الامر إلا أن نسلم هؤلاء الشياطين الذين عندنا الذين كانوا على أهلنا ميشومين حتى قبضوا أصحابنا قبض القطا وما صلب هؤلاء إلا ضرر علينا فقال لهم شماس إذا كان الامر على ما وصفتم والحال على ما ذكرتم فحلوا كتافهم

واخلعوا عليهم وأحسنوا اليهم ويخرج من عندنا واحد من القساقسه الى المسلمين فيستخلف أميرهم على اننا إذا أطلقنا سراحهم يطلق الملك نقولا من يقع عليه الشرط وباقى الرجال يبذل منهم المال فقالت البطارقة هذا هو الرأى الصواب فعندذلك أنزل أبو محمد وغلمانه من الخشب وخلعوا عليهم خلعا منسوجة بالذهب والأمير ينظر إلى فعالهم وقد سره ذلك بعد ما أيقن لهم بالعطب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وان شماس قال لأصحابه انظروا من يكون السفير بيننا وبين أمير المسلمين فقالوا ما ههنا أقوى جنان فصيح اللسان غير الراهب شومدرس وهو الذى قبض هذا المسلم الذى هو أبو محمد البطال وقد قتل من أجله رجال وأيس كل من فى الحصن من الابطال وما لنا الا نخرجه الى المسلمين يتحاجج عنا وعنه فقال شماس على به فو حق المسيح والانجيل والإلابرئت مما فيه من التحليل والتحريم لابد أن يخرج اليهم مع هؤلاء المأسورين فلعل شؤمه يقضى عليه فمضت البطارقه خلفه يطلبونه فطافوا الحصن من أوله الى آخره فلم يجدوه فعادوا الى الملك شماس يخبروه أنهم فقدوه فقامت عليه القيامة وقال أنا أدور عليه بنفسى فدار عليه بنفسه وأقلب عليه الحصن ونادى فى الناس لايخفيه أحد لانه اذا خرج الى المسلمين كان سبب خلاصنا وخلاص النصرانية أجمعين فما وجد له خبر ولاسمع له أثر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان شماس لما دار الحصن جميعه ولم يجد الراهب شومدرس رجع الى أصحابه وقال لهم كيف مضى شومدرس وباب الحصن ما فتح فقالوا أنه أتى وباب الحصن ما فتح كذلك معنا اما أن نقول انه مضى من تحت الأرض الى سائر الحصون الى مواضع فيها مهالك ومعاطب وهو يعرف الجميع فلما أيس شماس منه عاد الى راهب عنده يقال له هماز بن صلبوت وكان كبير فى السن فقال له تنزل الى عسكر المسلمين وتأخذ لنا عليهم العهد والميثاق وتستحلفهم بالايمان والطلاق فقال الراهب سمعا وطاعه وخرج من باب الحصن الى عسكر الامير عبدالوهاب ونظر الى السودان وبنى كلاب كأنهم أسود الغاب والأسارى بين أيديهم مثل الكلاب فلما نظر الى ذلك رمى نفسه وقبل الارض وقال يامولاى العفو عن الاسارى فانا نجد فى الانجيل أنه من جبر كسير أو رحم أسير وجبت له المجازاة من الملك القدير فاننا نخرج اليكم الأسارى الذين عندنا على أنكم تطلقون من فى أيديكم ولكم ما أردتم من المال فقال الامير ياشيخ كيف نطلق أربعين الف بأربعة ولكن أنا أطلقهم على انكم تسلموا الى الحصن ويكون من أمرى معكم ما يكون (ياساده) فلما سمع الراهب ذلك من الأمير قال يامولاى اعلم ان الآمال

تضرب رقاب الرجاب وها أنت تنظر الى هـذه القلعة والذى بين يديها من القلاع أحصن وأكثر رجال وأعز نفر فخذ من المال لكل واحد الف دينار وارجع من حيث أتيت فقد نلت ما تمنيت واعـلم انى قرأت ان الدنيا اذا أقبلت أدبرت واذا أنجزت صدعت فقال أبو الهزاهز ياشيخ السوء وما قرأت فى كتاب الانجيل ان محمدا رسول الله فضحك الامير عبد الوهاب من قول أبو الهزاهز وقال اعـلم أيها الراهب انه سوف يبان لك الصادق من الكاذب وهيهات ان أرجع بالخداع وأفتح الحصون والقلاع وحق النبي المنتخب وذمة العرب لا رجعت من هـــذه الحصون كلها حتى يقضى الله ما يكون فلا تطمع فيما لا يسمع ووعظك أيها الراهب لاينفع وأنا من تعرفه الروم ولا تنكره وأنشد

أيا راهبا ويحـــك فاستمع مقالة ليث فى الحروب صميـــدع
همام كريم ماجـد ذو حمية صبور على الأهوال فى كل موقع
تعود ضرب السيف مد كان مرضع وحسبك من قد عود السيف موضع
تقوم لمثلى ارجع اليوم سالما ولست أريد السلم يوما بموضع
أما سمعت أذناك يوما بموقفى اذا ما جرى نفس الجبان المودع
ولا نفرت نفسى من الحرب ساعة ولست أبالى فى الورى أين مصرع
ولست أريد المال بل ان مطلبى ثوابى من الرحمن ياصاح فاسمع
وأقسم ببيت الله والركن والصفا مع الحجر الصلد المنير المشعشع
ومن طاف حول البيت من كل مسلم وكل عبيد مخلص ومطوع
بانى لا أمضى عن الحصن راجعا ولا نعمت روحى بعيش ومضجع
الى أن ترانى قد فتحت حصونكم وأترك عمران الحصون كبلقع
وأمضى الى حصن السباع بمعشر كرام وفيهم كل ليث مدرع
وأمضى الى أرض الرياحين التى بها من النبت زهر كالعقيق المجزع
وأمضى الى الوادى الذى عرفته وسميته وادى السرور المطوع
إلى روضة الياسمين وبعدها إلى حصن دولاب لكم غير منزرع

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الراهب شعر الامير عبد الوهاب علـم أنه رجل لايرام وبطل همام فقال يامولاى الامر اليك وهـذا صاحب الحصن نقولا بين يديك فان أراد فهو يسلم الحصن اليك فقال الأمير ياملعون سوف تعلم ان كلمة الباطل تمحا وكلمة الحق تعلو (ياساده) وكان الشيخ شواش الذى أســلم على يد الامير أبو محمد البطال ورد عليه الامير الكسا قائم يسمع الكلام فدنا من الامير عبد

الوهاب وقال يامولاى قد أطلت الكلام مع هذا الراهب وكثرة الخطاب خذ كساه وهو يسلم فى الحال فضحك الأمير من هذا المقال وأقبل على نقولا وقال قد عولت على قتلك وقتل الاربعين ألف وبعد ذلك لا أبقى صغير ولا كبير ولاشيخ ولاغلام إلا وأمكن منه الحسام فلما سمع نقولا ذلك أيقن أنه هالك فقال يامولاى قدمونى إلى باب القلعة بحيث أرى ويسمع مقالى فقال الامير قدموه الى القلعة بحيث يسمع كلامه أهل الحصن فقدموه فنادى برفيع من صوته ياولدى إن الحصون عمادها الرجال والابطال فاذا قتلت رجالها ملكت أطلالها وقد أقسم هذا الأمير أنه لايتعرض لصغير منا ولا كبير ويمضى الى باقى الحصون ويملكوها أجمعين وإن كانت عليهم فنحن نأخذ الحصون من أيديهم لانهم لايقيمون فى هذه البلاد ويتركون أرضهم وديارهم وأمصارهم فلماسمع ولده ذلك قال أنا الذى لاأسلم هذه القلعة ولى عين تطرف وعندى المال والزاد والسيوف الحداد (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك صاح بالسودان وقال دونكم ورقاب الرجال فاضربوها فما هو إلا أن أمر بذلك حتى قدموا البطارقة للسيوف والخناجر وضربوهم فى المحاجر فما كانت إلا ساعة حتى ضربت منهم ألف رقبة وسالت دماهم على العصبة وصاح باقى الاسارى الامان الامان فقال الاميرلاأمان لكم عندى إلا أن تسلموا الحصن فلما سمعوا ذلك جعلوا يستغيثون بأهاليهم وأقاربهم وأولادهم وإخوانهم وكل من فى الحصن من أهاليهم وقالوا ماتنظرون حالنا أما نحن أحب اليكم من الاموال والاطلال فصاح عند ذلك النسوان والبطارقة من كل مكان والشيوخ والشباب والاطفال والصبيان وقالوا لاصبرلنا على قتل الاقارب والاخوان والاهلين والجيران وإن لم تسلم أنت ياشماس الحصن على ما تريد وإلا سلمناه نحن على مانريد فان قتل الاحباب صعب شديد فدع عنك هذا التعنيد فلما سمع شماس ذلك من كلامهم علم أنه إن لم يسلم الحصن إلى الامير وإلا سلموه غصبا فقال لهم إذا عزمتم على ذلك فاصبروا على قليلا حتى آخذ لكم العهود والمواثيق على ذلك من المسلمين على انهم لايتعرضون لأحد منا ولا أولادنا ونساءنا (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان قصد الملعون شماس بذلك أنه أضمر فى نفسه أن يقتل أبومحمد البطال ومن معه لانه رأى أنه هالك وقد نوى ذلك وقال فى نفسه إذا أخذ الرجال تارهم لايبالون بأى موتة يموتونها إن كان أجلهم قد انتهى ثم ان اللعين شماس قصد الى ناحية الامير عبد الوهاب ونادى به من أعلى الحصن : أمهل أيها الامير إلى وقت المساء حتى أستوثق من أصحابك الذين عندى بالعهود والمواثيق بأنك تجعل لى إلى

الحصون طريق وأنا أسلم اليك هذا الحصن بالتحقيق (ياساده يا كرام) فلما سمع الامير كلام الملعون شماس فرح منه وقال فى نفسه إن قوله حقاً وكلامه صدقا وقال للسودان خلوا عن الرجال حتى تنظروا هذا الملعون وما يبديه من الخطاب والمقال (ياساده يا كرام) ثم ان الملعون شماس لما نظر إلى البطارقة الذين فى الحصن وقال لهم على بهؤلاء القوم الذين هم محبوسين حتى أستوثق منهم باليمين فأحضروهم بين يديه وأمر جميع قومه بالانصراف ولا بقى عنده إلا غلمانه بلا خلاف ودخل بهم بعض المجالس ومعه حسام كأنه صاعقة لايرده ترس ولاطارقة وأقبل على أبو محمد البطال وقال له اعلم أنى قد عولت أن أرسل الى أميركم أستوثق منه بالإيمان وأكون من أمرى على برهان لأن الغبن طبع الانسان فلما سمع أبو محمد ذلك قال اعلم أيها الملك العظيم الشان انى أبلغك كل ماتريد وأزيدك فوق المزيد ثم ان البطال نظر الى عيون شماس فتبين له منه الغدر وعلم أنه مضمر له المكر ورأى يده على قائم سيفه فأنكر أبو محمد ذلك وعظم عليه وعلم أنه هالك فرجع الى الخديعة والمكر والمحال وقال عساها أن تنفع فى هذا السم الناقع القاتل فأقبل على شماس وقال اعلم أيها الملك أن الأمر فات وأن لكل شيء سبب وإنى أريد أدخل فى دينكم وأتبرى من دين العرب وذلك أنى نظرت الى جارية من أهل الحصن من بنات البطارقة والصليب على صدرها والزنار على خصرها وقد أرمتنى من لحاظها بسحرها وسواد شعرها وقد ملكت قيادى وسلبت رقادى وقد رغبت فى دين المسيح لأجلها وأريد منك أن تزوجنى بها على شرط انى أسلم اليك أميرالمسلمين وعشرة من أصحابه المقدمين وأمكر بهم بالكلام حتى يحضروا عندك فى هذا المكان وتبلغ منهم المراد وغاية المرام ونقول للأمير إن القوم يريدون أن يستوثقوا منك باليمين على شرط انك لاتتعرض للنسوان ولاللبنات ولاللصبيان وأخدعه بالكلام وهو يصدقنى فيما أقول ولايخالف لى قولا أبدا حتى يصير عندك هو وأصحابه العشرة وأنت تكون فى ألف بطريق بالسيوف والمزاريق واذا حضروا عندك اقبض عليهم وأوصل الأذية اليهم وإن خطر لك فأنت تفادى بهم كل بطريق عندهم ولا تطلقهم من الوثاق حتى أحلفهم بالأيمان والطلاق والعهود التى أعرفها أنا حتى انهم يرحلوا عن حصنكم (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمع شماس ذلك الكلام من أبو محمد البطال فظن أنه حقا وما علم أنه كله محال فقال شماس فى نفسه أنا كنت عولت على قتل هؤلاء الأسارى وأنا أعلم انى كنت أقتل من بعدهم لامحالة أنا وكل من فى الحصن والآن فما بقى غير

السلامة ولقد أتانا من هذا البطال ما لم يكن فى الحساب فلعل المسيح قد نظر إلينا ثم قال للبطال يامسلم وحق المسيح والدين الصحيح لئن فعلت ما ذكرت لأزوجنك من شئت وأجمع بينك وبين من هويت وتكون عندى فى الحصن ههنا ولك عندى كل ماتريد من المال الجزيل والجوار والغلمان وتكون عندى أعز من الأهل والإخوان فقال أبو محمد يامولاى لاتعرف هذا إلا منى واعلم انى إذا ناديت بأمير المسلمين وناديت معه بالعشرة وامتنع منهم واحد تقول لايطلع إلا الذى قال عليه أبو محمد البطال وأشار به علينا فى القول والفعال فانى ما أدعو إلا الذى أعلم أنه لو طلبت عوضه منهم الاسارى كلهم لفعلوا ذلك فقال شماس افعل ما بدا لك فأنا تابع فعالك فقال أبو محمد حتى تعرض على الجوار وأعين لك التى وقعت فى خاطرى وأشغلت سرائرى فقال شماس سمعا وطاعة ثم انه أعرض عليه الجوار عشرة بعد عشرة والبطل ينقدهم بنظره حتى وقعت عينه على جارية كأنها غزال عطشان بديعة فى الحسن والجمال تربية الدلال على خدها الأيمن خال ولها وجه أضوأ من الهلال فقال أبو محمد لشماس هذه الجارية التى ملكت فؤادى وأحرمتنى رقادى وملكت قلبى وأشغلت خاطرى ولبى فقال له شماس لاتعرف زواجها إلا منى (قال الراوى) فعندها وثب البطال كأنه أبو الحصين المحتال ومعه غلمانه وقد حلوهم من الشد والاعتقال . وقد نجا من الموت بحسن حيلته وخديعته وما زال الى أن وقف على برج الباب ونادى برفيع صوته : يامعاشر المسلمين والأصحاب أنا أبو محمد البطال وقد استقر الحال بأمر مسبب الاسباب بأنهم يسلمون الحصن الى الامير عبد الوهاب غير أن القلوب قلوب الروم خائفة وأفئدة النسوان راجفة وهم يخافون من الغدر والهلاك وحاشا الامير عبد الوهاب من ذلك وقد قالوا القوم ما تسكن قلوبنا وتقوى نفوسنا إلا أن يطلع الأمير عبد الوهاب الأجل إلينا ومعه عشرة من أصحابه الاماجيد ويحلف لنا بكل ماتريد حتى يسكن فزع الصبيان ويهدئ روع النسوان وقد حلفتهم بالإنجيل أنهم لايتعرضوا للأمير بشىء فلا يطلع إلينا إلا الذى أصفه من المسلمين أصحاب الصدق والعدل والدين مثل الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمه والعبد الصالح أبو الهزاهز والحاج الاجل برد بن الازهر والفقيه هياج الكردى والشريف النسيب هارون العلوى والحاج ميمون الجماس والزاهد راشد بن ضمرة والعابد مدركه (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام فلما سمعوا القوم من الامير أبو محمد هذا الكلام علموا أنها حيلة وخديعة من البطال حتى يملك الحصن ولا يخلى فيه من الروم أحد فقال الامير

عبـد الوهاب للبطال يا أبو محمد وما الذى يؤمنا على أنفسنا إذا طلعنا لهم فى عشرة وهم فى عشره فقال ماهم أ كثر من ثلاثة آلاف فى الحصن قال له الامير نصعد اليهم فى خمسمائة رجل فقال البطال ماهو صواب لأنـكم طالعين الى غير قتال ولا حرب ولا نزال وماتم إلا إصلاح الحال ومع ذلك انه لوقبض عليكم لكان عندكم ما تفادوا به من الأسارى أضعاف ما عندهم وهذا مالا يكون لاننى حلفت القوم وحلفت لهم وأخذت عليهم العهـد والميثاق (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الامير عبد الوهاب من أبو محمد البطال ذلك الكلام قال اذا كان الامر على ذلك فأنا أفعل مابه أشرت وأتبع ما به أمرت (قال الراوى) هذا وشماس قد طار قلبه فرحا| بإجابة الامير عبد الوهاب الى ذلك وقال فى نفسه ترى لو كانوا هؤلاء سباع الارض ماقدر كل واحد منهم يلقى أ كثرمن عشرة فيكونوا الكل مائة ويبقى ألفين وتسعمائة بطريق خلاف مافى الحصن من النساء والصبيان والإماء والإخوان (قال الراوى) وبقى شماس منتظر طلوع الامير ومن معه من الرجال وهو لايصدق بهذا الحال وقد قال للبطارقة إذا رأيتمونى قد ضربتهم بالسيف افعلوا كفعلى واعملوا كعملى فقالوا سمعاً وطاعة (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ماجرى من أهل الطغيان . وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فقد قال للأميره ذات الهمه : ماترين أيتها الاميره فى الطلوع اليهم والهجوم عليهم فقالت ومن يمنعنا من ذلك وإذا كنت وحدى كنت ملية بمن فى الحصن وأسقيهم شراب المهالك فقال أبوالهزاهز : بالله عجلوا فى الطلوع حتى أخلى من الروم الاطلاع والربوع وأقطع بسيفى الدروق والدروع وأنا أرجو من الله تعالى أن يكون ذلك الشيخ النحس فى الحصن يعنى شومدرس حتى كنت أصبحه صباح ميشوم وأعذبه عذاباً ما عذبته لأحد من الروم قال له الامير يا أبو الهزاهز أنت تقول كلام بلا فعال وكلامك كله زور وباطل فقال أبو الهزاهز يامولاى سترى مايسرك وتنظر كيف أجعل رأسه على حجر ولا أزال أنطحه برأسى حتى يبقى مثل مرهم الطبيب وأقر له فى العـذاب أوفى نصيب فضحك الامير عبـد الوهاب من قوله وقد ساروا الامراء وكل واحد يريد لرأسه ألف مدرع ولما نظر اليهم شماس وقد أقبلوا أمر بفتح الباب وقال فى نفسه لقد بلغنا غاية الأرب وهو شىء ما كان لنا فى حساب . هذا وقد دخلوا الأمراء الى الحصن وقد أيقنوا ببلوغ الآمال فعندها أمر شماس بغلق الباب فى ساعة الحال فغلق ومن عجلة شماس وغـدره صاح فى البطارقـة : خذوهم واقصـدوا الى الاربعة الذين عندكم فاقتلوهم فهم حماية المسلمين

واذا قتلتموهم وصلتم الى فكاك المأسورين فنظروا البطارقة إلى عشرة فاستقلوهم وانكبوا عليهم فصاح بهم الأمير عبدالوهاب كاد أن تسقط من هول صرخته الحوامل وخيل للروم أن الارض قد انقلبت من شدة الزلازل وصاح بعده أبوالهزاهز مثل الجمل الهائج وكشر على أنيابه فصارت مثل أنياب الوحوش . وأما ميمون الجماس فانه أشغل الناس بأشد باس وأما برد بن الأزهر فانه حمل مثل الأسدالقسور . وأما مدركة وعبد الله وهياج فانهم هاجوا مثل الجمال . وأما الأميرة ذات الهمة فانها استقبلت الروم بقلب قوى وجنان جرىء وقد مكنت سيفها فى الأمخاخ ورجع العهد إلى الانفساخ وانحلت من الروم العزائم وعملت الصوارم وقامت على أهل الحصن المآتم ولم يعرف العاطب من السالم وحلت بالروم العظائم وأصبح كل واحد منهم لنفسه عادم وقال وحق المسيح ما فعلت فعل حازم ولا هؤلاء القوم من بنى آدم . هذا والروم قد نظرت الى ماحل بها من المعاطب والمصائب وأيقنوا بالبلاء اللازب ولم تمضى عليهم غير ساعة حتى قتل من الروم أربعمائة فارس ولم يجرح أحد من المسلمين وكلما قاتلوا ازداد انبساط وقوة ونشاط وقد كثر من الروم الصراخ والعياط (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام فلما التقى شماس بأبو الهزاهز خاف منه وأراد الهروب من بين يديه فخطا أبو الهزاهز اليه وعطف عليه وضربه بكلتا يديه أطاح رأسه من بين كيفيه وعطف على آخر فقطعه نصفين وضرب آخر فجعله قطعتين فعند ذلك أرمت الروم نفوسها الى الارض طولا وعرض ونادوا عن صوت واحد لورك لورك يعنى الأمان الأمان وقد رأوا الذل والهوان ونظروا من سيوف الأمراء من الموت ألوان وقد قبضوا على باقيهم وكل واحد من الروم فزعان وقال الأمير عبد الوهاب افتحوا ياويلكم الباب ففتحوا الأعداء للأمير عبد الوهاب باب الحصن ونادوا الأسارى الى أصحابهم العبور ففعلوا ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن المسلمين طلعوا الى الحصن أجمعين وملكوا ما فيه مسرعين وملك الامير عبد الوهاب الأموال والرجال والذخائر الغوال فكان شيء يسد الفضاء ويملأ المستوى (ياساده) وفى طلوع المسلمين الى الحصين هربت الاسارى الذين كانوا فى عسكر المسلمين على وجوههم فى البرارى حائرين فلحقت الناس منهم قوم وهرب قوم وكان لهم يوم وأى يوم ثم إن الأمير عبد الوهاب لما رأى تلك الأموال العظيمة قال الحمد لله على هذه النعمة التى أنعم الله على بها وأن يجعل بقية فتح الحصون على يدى . هذا وأن أبو الهزاهز فتش الحصن جميعه على

الراهب شومدرس فما وقع له على أثر فسأل عنه الروم فقالوا أيها الاميران شماس طلبه قبلكم واغتاظ عليه لما فقده وكاد ان تنفطر مرارته واجتمع الامير عبدالوهاب بالأمير أبو محمد البطال وهناه بالسلامه وقال له ابشر من الله بجزيل الثواب وكثرة الانعام من رب الارباب فقال له أبو محمد يا أمير كيف تخلص الملعون شومدرس من أيديكم لما أرسلته اليكم فقال الامير عبدالوهاب كل ما جرى عليك من أبوالهزاهز وهو الذى لعب شومدرس بعقله وأعاد عليه القصه فقال أبو محمد لعن الله شومدرس فما أمكره وأحيله وأغدره وللرجال ما أقتله وأما أبو الهزاهز فهو معذور لان شومدرس يلعب بعقول العقلاء ويدس الحيل على الفضلاء والله لقد ضربنى بالسياط حتى آيست من الحياه وكذلك غلمانى وهذا كله من تحت رأس شومدرس لان أبو الهزاهز كان عنه عاجز فقال أبو الهزاهز يامولاى هذا وجهى بين يديك وروحى ما أبخل بها عليك واننى نادم على ما جرى الا اننى قلت انى أحصل عندك وأعينك على فتح الحصن وأكون بين يديك مثل عبدك فقال البطال يا أخى لايكون على قلبك هم فلا بد ما آخذه وأسلمه اليك (قال الراوى) ثم ان الامير سلم الحصن الى الامير برد بن الازهر وسلم اليه مائة فارس من بنى كلاب وهم أبطال أنجاب وقال لهم أنتم ههنا الى أن آتيك ان شاء الله تعالى فقال سمعا وطاعه ثم ان الامير عبد الوهاب قال للناس يامعاشر الناس أنكم غدرا حلين فقد مضت الايام والشهور والسنين وقلبى على مكاوى النيران لاجل ولدى ابراهيم وأمه علوى فقد طاب شوقى اليهم وزادا شغافى عليهم ثم ان الامير أحضر باقى الاسارى وأباعهم أرواحهم بالمال الوافر وكان المال مدفون تحت الارض فصار شىء كثير وبات الى أن برق ضياء الفجر وسلم الحصن الى الامير برد بن الازهر كما ذكرنا وأوصاه بكل ما يقدر عليه ورحل والامير أبو محمد معه وجميع السودان وبنى كلاب وفى قلب الامير مالو وقع على جبال تهامه لهزمها من الراهب شومدرس وجد فى سيره حتى عبر من وادى الجواهر الى وادى السباع وكان هذا المرج كثير السباع لانه كثير الغابات لايقدر يجوزه الا الجمع الكثير والجم الغفير فلما وصل الامير اليه طلبوا الناس الراحة مما لقوا من المشقة والتعب والسير والنصب فقال الامير لا أفعل ذلك لان الوادى كثير السباع والضباع والحيات والافاع وأنا أخاف عليكم من ذلك فقال أبو الهزاهز وسائر الناس أنزل بنا فى هذا الموضع وقد كفاك الله مؤنة السباع فعند ذلك نزل الامير وتفرقت السوادان النوبيين والحبشان من كل جانب ومكان حتى لم يبق عند

الأمير منهم إنسان وضربت طبولهم وبوقاتهم والغرون وظهر منهم ما يوجب الجنون وصفت السودان درقها بعضها مع بعض حتى بقى الناس كأنهم سد من حديد وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا العبيد والحبشان كأنها جن سليمان ودخلت الدخائل وقدنفرت منهم السباع ودارت حولهم السودان وقدأرموا أرواحهم عليها واصطادوها وداروا من حولها (قال الراوى) وأقبلوا يسبحون الأسود من كل مكان والأمير بفرج ويدعو لهم إلى أن ارتفع النهار ورحل الأمير من هنالك طالب نهر الدم وقلعة الدم ومرج الزعفران وكانت هذه القلعة تعرف بقلعة الدم لأنها حجر واحد أحمر من شدة حمرته كأنه الدم وصاحبها يقال له عين المسيح لأنه كان بعين واحدة وهو أخو الملوك الذين تقدموا لأنهم كانوا متفرقين السبعة الاخوة فى السبع حصون وأبوهم الأقريطش وكان هذا عين المسيح تحت يده عالم عظيم ومع ذلك فما كان فيمن تقدم مثله لأنه كان شجاع ولما وصل الامير الى نهر الدم وجد نهر كأنه حمرة العقيق فقال الامير سبحان الله ويخلق ما لاتعلمون (ياسادة يا كراه) وكان على هذا النهر جسر كبير فعبر عليه الاغنام والرجال والخيول والعساكر (قال الراوى) وأما المنهزمين لما رجعوا الى الحصن الخامس هاربين ومضوا بين يدى عين المسيح أجمعين وجعلوا يلطمون على وجوههم فقال لهم الملك يا ويلكم ما وراكم فقالوا له يا ملك ان المسلمين قد أتوا وقد أخذوا أخيك وقتلوه وأخذوا الحصن الرابع وهاهم قادمين عليك فقال لهم الراهب أبو الشرشومدرس اكتب الى أهل القلاع والسودان حتى نستعين بهم على هؤلاء القوم لأن فيهم أقوام سودان كأنهم الغيلان أو جن سليمان قال لهم ياويلكم أنا فى مائة ألف وأحتاج الى نجدة وأطلب من غيرى معونة لا كان ذلك أبدا وسوف أريكم مايسركم فى الأعداء ان أتوا اليوم أو غدا وتعلمون أن هذا العسكر مافيهم شجعان ولا قاتلهم أقران وسوف يظهر ما أقول لكم ويبان ولكن اقطعوا الجسر حتى نأخذ أهبتنا ونقضى أشغالنا (قال الراوى) فلما سمعوا الروم كلامه نزلوا أهل القلعة فى جماعة من المنهزمين من خوفهم على أنفسهم من الامير وأصحابه فقطعوا الجسر فبقى النهر مثل البحر يجرى ليس له مكان يعبر فيه أحد وعادوا الى القلعة وقد أعلموا الملك بذلك (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الامير عبد الوهاب فانه أتى الى النهر فوجد الجسر مقطوع فقال لقومه كيف السبيل فقالوا لاتعرف هذا إلا من أبو محمد البطال فنزل أبو محمد على جانب النهر وطلب جلود السباع ووضع فيها الأمتعة والثياب والعدد وربطوها فى بعضها بعض

وركبوا فوقها وعدوا البحر ومنهم من ركب الخيل عرى فرأوا دير على بعد يلوح منه نور ساطع فمشى اليه أبو محمد فوجده دير كبير وله شبابيك وخارج منه نور وسمع فيه لعب وضحك وغناء فتعلق وطلع إلى الشبابيك فوجد عشر جوار نهد كأنهن الأقمار وعندهم ثلاثة من الرهبان والكاس يدور عليهم وهم يغنوا فاندهش عقله وحار لبه ثم إنه رأى فى وسطهم جارية كأنها البدر بين الكواكب فلما رآها تحير فى عقله واشتغل قلبه فأطال النظر اليها وبقى باهت لايدرى كيف يصنع ثم انها تصارعت مع الجوار وصارت كل من صرعتها كتفتها حتى كتفت العشر جوار ثم إنها أحضرت راهبة كانت عندها وقالت لها حدثينى بأخبار الملوك المتقدمين وأخبار العرب والروم وماهم عليه ثم ان الراهبة صارت تحدثها بأخبار العرب وما عملوا مع الروم وأخبار أبو محمد البطال وحيله وما يصنع فى الروم من الأمور العجيبة ومكره ووقائعه فقالت الملكة نورا أنا أشتهى أن يجمع المسيح بينى وبينه وكانت هذه الملكة نورا تهوى النساء وتبغض الرجال وكانت تهوى هذا الدير واسمه دير الذهب وهو مشرف على مرج الزعفران ثم نادت الملكة نورا يا أبا محمد احضر عندنا وإذا هو أجابها ودخل من الشباك فلما رأوه تعجبوا منه غاية العجب وأحضروا له أكل وشرب وجلس معهم يحثهم فأعجبهم حديثه ودخلت محبته فى قلب نورا فقالت للجوار قوموا والعبوا حتى يتفرج عليكم أبو محمد البطال ثم حلتهم من الكتاف فقاموا ولعبوا وانشرحوا وهى تضحك وأبو محمد قد طار عقله ثم انه قال لها ياستى يامن هلكت فؤادى إن لى أصحاب واقفين تحت الشباك أريد أن يدخلوا يلعبوا مع الجوار فقالت حبا وكرامه ثم أمرته أن يناديهم فناداهم فطلعوا ودخلوا عندهم وهم لؤلؤ وعبد الوهاب وأبو الزاهر وراشد وميمون ومدركه وعبد الله وطارق ولما رأى عبد الوهاب هذه الجاريه قال سبحان المصور وأطال النظر اليها واندهش فى عقله وحار فى لبه وصارت الجوار تضحك عليهم (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انها قالت للبطال قم نتصارع أنا وأنت فقال لها حبا وكرامة وكان هذا قصده وبغيته ثم انها غيرت ملبوسها ولبست بدلات مفتخرة وشدت وسطها بشعرها وشمرت عن ذراعيها (قال الراوى) وقرب منها أبو محمد وقبض على أعكانها ولمها الى حضنه فغاب عن ذهنه ثم إنهما تقابضا وتعاركا فسالت رياله وغاب عن ذهنه فأرمته الى الأرض وأمرت جوارها أن يكتفوه وإذا بالأمراء قاموا اليها وأرادوا مصارعتها فقالت ارموا القرعة بينكم فكل من جاءت عليه يتقدم فعملوا ذلك وهى تغلبهم واحد بعد واحد وكل من غلبته تكتفه

حتى كتفت الجميع فقالوا لها أنتى ماغلبتينا إلا بحسنك وجمالك فقالت وحق المسيح ان هذا قولكم صحيح لأنكم ظاهر عليكم الشجاعة والفروسية والبراعة ثم أنها قالت للجوار دلوهم من الطبقان بالجبال فقال لها أبو محمد الى أين تودينا قالت الى بلادالروم فقال لها ياستى ودى هؤلاء وأنا أجلس عندك وأخدمك وأحدثك فقال أبو الهزاهز لانكون إلا كلنا سوى فضحكت وقالت لكم الأمان كلكم إذهبوا الى موضع ما تريدوا (قال الراوى) فبينماهم معها فى الكلام وإذا هم براهب قد دخل عليها وقال لها إن عالم النصرانيه وشيخ الملة المسيحية يريد الحضور بين يديك ففرحت وقالت دعوه يحضر فدخل عليها شومدرس وسلم وترجم وكان سبب مجيئه أنه لما انهزم سار ليل ونهار حتى وصل الى نهرالدم واستقبل مرج الزعفران ودخل على الملك عين المسيح فمشى اليه وأكرمه وبجله وعظمه وجعل يسأله عن حاله وما جرى له وأخبار الحصون وهو يحدثه بما جرى عليهم من المصائب وما لقيوا من النوائب فقال له عين المسيح فما عندك من الرأى يا أبونا وماخبر عسكر المسلمين فقال أيها الملك لاتسألنى عن قوم لايخافون الموت ولايرهبون قد ألفوا القتال وتعودوا بالنزال ولا يبالوا من ملاقاة الرجال ولاسراة الأبطال وهم فرسان البر سباع الفلاة وهم فى أكمل عدة من السيوف والعدد وصدور الزرد والدرق والأتراس الملطيه والخيول العربيه فهم أبطال إن قاتلوا جيشا هزموه وان ناضلوا عسكر قهروه وان بارزوا صنديدقتلوه وان حاصروا حصن ملكوه وان ناراهم ملك أهلكوه أميرهم قد خلق من الهيبة وله صاحب كثير الحيل والعجائب لايسلم منه قسيسا ولا راهب له وقائع مشهورة وحيل مسطورة ترهب من خوفه الأسود وتعقد على رأسه الرايات والبنود وقد صورته الروم فى الكنائس والملوك فى المجالس مخافة من مكره وشره أعاذنا المسيح وإياك منه وقدجرى لى معه أمور عجيبه وأحوال غريبه يطول شرحها ولا يمكننى الآن كشفها من عظم قدرها وان القوم اليوم نزلوا على نهر الدم فخذ لنفسك الحذر ولاتمهل أمرهم فيقع عليك شرهم (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما أن سمع الملك من شومدرس هذا الكلام ضحك حتى استلق على قفاه ودمعت عيناه وقال له يا أبونا وأنت الآخر داخلك من هؤلاء الخوف وقتلك الجزع ولا يمكنك أن تقول إن هذا إلا من كثرة مادخل على قلبك من خوف الأعداء وأنا أقسم بالمسيح والمذبح وإلا ضربت راهب بيعة بالسطيح وفعلت فى حقه كل قبيح لأمزجن نهر الدم بدمائهم ولأعدمنهم دينهم ودنياهم ولأجعلنهم عبرة لمن يراهم ولأرملن نساءهم ولأقتلن أميرهم وكبيرهم وصغيرهم

وشريفهم وكأنك ياشومدرس قلت عين المسيح كمن لاقوه من اخوتى وأنت أخبر بقوتى وقوة قلبي وشجاعتى وأما نور ابنتى تحمل على عشرين ألف من بطارقة الروم وهى التى تأخذ الخراج من بلاد اليونان ومن سائر الرسوم وقد خطبها منى من الملوك مثل الملك منويل صاحب القسطنطونيه فامتنعت من ذلك وجميع الملوك فيها رغبت فما رضيت وعمرها ما قهرها فارس ولا غلبت ولا ولت وقد ذلت لها رقاب الجبابرة وخضعت لهيبتها ملوك الأكاسرة فاذا كانت هذه صفات جارية خرجت من ظهرى فكيف أنت تستصغر أمرى ويهون عندك قدرى وأنت أخبر بجلدى وصبرى فقال شومدرس أعوذ بالمسيح من هذا الظن القبيح وقد علمت جميع النصرانية أن ما فيها مثلك وما يقدر الزمان ينتج بمثلك فأنت السبب المعروف والشجاع الموصوف ومبيد الالوف وأنا قد وصفت صفة القوم حتى إذا بليت بهم لاتعود علىّ باللوم ومع ذلك فانى مشتاق الى ابنتك الملكه نورى فقال الملك ياأبونا هى فى دير سمعان المسمى بدير الذهب لها نصف شهر من الزمان (قال الراوى) فلما سمع شومدرس كلام الملك قال له أيها الملك وكيف يطيب على قلبك أنك تخلى ابنتك غائبة عن حصنك وعساكر المسلمين قد قربت والقلاع من ورائهم قد خربت وأخذت فقال له الملك كنت أرسلت اليها محذراً فأرسلت تلومنى وتقول لى هذه قلوب النسوان لا قلوب الفرسان وأنا ما على بالى مجيء فى هذا الزمان فطيب قلبك وكن فى أمان فلوأن أعداءك فى عدد رمل وادى كنعان أفنيتهم بالسيف والسنان ولا أخلى يصل إليك منهم إنسان فقال شومدرس أيها الملك أنا لابد لى أن أصل اليها وأحضر بين يديها وأقص حالى عليها (قال الراوى) ثم ان شومدرس وثب وقال أيها الملك أنا ما أخليها على رأيها وهاأنا ماضى اليها وآتى بها الى حصنها وما ندرى الزمان كيف يكون فكن أيها الملك على حذر وجد قبل أن ترى عدوك فى أرضك (قال الراوى) ثم ان الملك ودع الملعون وسار على عجل الى أن أتى الى الدير وفيه حصل وقد جرى على عبد الوهاب ما جرى وأخذتهم نورا أسارى (ياساده) ولما وصل شومدرس الى المجلس الذى فيه نورا قامت له هى والجوار الذين لها وجعلت تقبل يديه وتسلم عليه وكذلك الجوار وتراموا على أقدامنا فلما نظر أبو محمد الى شومدرس مات فى جلده ونسى عشقه ووجده وقال فى سره الليلة النيرة من العصر تظهر فيالها من ليلة طويلة ثم انه أقبل على بأبو الهزاهز وقال له يهنيك قد جمع الله بينك وبين شومدرس فى مضيق الأوقات والدهر له آفات والساعات لها لسعات حتى لاحظت انه فى مهلك الوصل مات (قال الراوى)

ياساده ياكرام وقد أيقنوا العشرة بالبلاء هذا وشومدرس قد نظر إلى الملكة وهى مشدده محزمة وقد سال عرقها وفاح طيبها واحمرت وجنتيها وغزلت عيونها وبقيت نزهة لمن يراها فسبحان من خلقها وسواها فقال شومدرس أعيذ هذا الوجه المليح بالانجيل والمسيح ثم أنه ضمها الى صدره وقبل بين عينيها وجعل يبوس وجنتيها فقال أبو محمد للامير عبد الوهاب أما تنظر إلى هذا المصاب ماكفى ما نحن فيه من العذاب حتى ان هذا الملعون يبوس الملكة نورى قدامنا ويستقودنا هذا الأنحس نسل الكلاب فقال الامير أبو الهزاهز وحياتك يا أبا محمد ان تتأن ولابد ما علينا أضر منك لانك إلى ههنا جبتنا وبهذا الأمر أبليتنا فقال البطال أنا قلت لكم صارعوا الملكة نورا حتى جرى عليكم هذا المجرى ولكن ارجو من الله تعالى أن تحدثه نفسه بحديثنا ولا تخبره نورى بخبرنا فبينما هم فى المحاورة والكلام واذا بالراهب شومدرس قد قال لنورى يابنيه مالى أراكى كأنكى كنتى فى معاركة ومشابكة فضحكت عند ذلك وقالت له نعم يا أبونا وذلك انى كنت العب مع جوارى كما جرت العادة والراهبة زوجة العوادة كانت تحدثنا بأحاديث الروم والعرب وحدثتنى بكل عجب الى أن جرى ما جرى وجرى على لسانها حديث رجل يقال له أبو محمد البطال وذكرت لى ما يعمل من الاعمال ثم أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وعرفته بمضمون الحال وكيف أنها أطلقت الثلاثة غلمان لابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع شومدرس بأمر البطال كاد قلبه أن يطير من الفرح وصاح أسعدك المسيح أنتها الملكة والرهبان وسعد بك الزمان فقد أخذتى بالثار لجميع النصرانية والاخوان أتدرى ياملكه من الذى أطلقتى من الغلمان فانهم أشد من مولاهم وأقوى حيله ثم قال لها ومن هم الذين معهم من الفرسان فقالت أنا ما أعرف منهم انسان بل تسير معى الى مجلسهم وانظر اليهم فأنت أخبر منى بهم فى هذا الأوان (قال الراوى) فعند ذلك وثب الراهب شومدرس قائم على قدميه وهو لايصدق بذلك الى أن وصل الى عند الأسارى فأول ما رأى أبو محمد البطال ففرح غاية الفرح وقال وقعت ياخبيث وحق المسيح لابد لى من صلبك ومنك أستريح بعد أن أسقى من ضربك قلبى الجريح ثم انه نظر الى أبو الهزاهز وصاح عند مانظره وكاد من فرحته أن يغمى عليه وقال وحق المسيح انك لما تخلصت من نوبة قتل السودان كان بقى فى قلبى منك ومن خلاصك مثل شعب النيران ولكن ابشر بالصلب ومن قبل الصلب بالعذاب والضرب ثم نظر الى مدركة وعبدالله وميمون الجماس وراشد بن ضمره وطارق الحجازى فغاب رشده من الفرح وعلم ان فساده

قد انصلح وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة هؤلاء أبطال المسلمين وفرسان الموحدين ثم نظر الى الأمير عبد الوهاب فعرفه فصاح صوتا عظيما حتى خيل للحاضرين أن الدنيا قد انقلبت بأهلها أجمعين وقال للملكة (نورا) أيتها الملكة قد أخذتى أمير قوم الموحدين هذا الذى ملك الحصون وقتل البنات والبنون فلماسمعت نورا فرحت فرحاً شديداً وعلمت أن نجمها مستقيما وقالت للأمير عبد الوهاب بحق دينك ماأنت الأمير الذى للقوم فقال لها نعم أنا ذلك فافعلى مابدا لك فعندها قال لها شومدرس على بالقيود فأحضرت فجعل فى رجل كل واحد منهم قيد ثقيل شديد ولما علم الملعون أن القوم قد صاروا فى الحديد وثب الى سيف الملكة نورا وهو سيف مجوهر فقالت له على ماذا عولت أن تفعل يا أبونا فقال لها على قتلهم ولا أبقى منهم بشر فإنا لا نأمن من غدرهم وشرهم أو يأتوا عسكرهم فى طلبهم ويعملون على خلاصهم من غيظهم واذاقتلوا هؤلاء ما يبقى منهم رجل يحسن أن يضرب بالسيف فلما سمعت الملكة ذلك قالت اعلم يا أبونا أنى أنا ما أقتلهم حتى انى أسلمهم الى أبى وأما قولك انهم يهربوا فوحق المسيح انه لو كان فى الدير مثلهم ألوف وكنت مالكة سيفى هذا لأسقيتهم كأس الحتوف ولكن لا سبيل الى قتلهم إلا أن يراهم أبى عين المسيح ويفرح بفعلى المليح ومع هذا فانى أعلم أن الانسان يوم له ويوم عليه وما كل يوم ينجح الطلب ونحن لابد لنا أن نلتقى بهم وما نعلم ما يكون بيننا وبينهم وأصلح ما يكونوا هؤلاء عندنا مقيمين الى أن نلق عسكرهم وندبر ما يكون فيه المصلحة من أمرنا وأمرهم لأنه قيل فى الأمثال (من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب) (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع شومدرس كلامها علم انها لا تمكنه من قتلهم فقال لها أيتها الملكة انظرى الى حالى وابصرى ماجرى لى ثم كشف عن بدنه واذا بآثار الضرب بالسياط التى ضربه بها أبو محمد البطال فى المغار وبقى له على جسده آثار فقالت له ماهذا ياأبونا فقال لها من ضربه وعقوبته ثم انه أعاد عليها حديثه من أوله الى آخره فقالت دونك وإياه واضربه عوض ماضربك فما أمنعك من أخذ تارك وطلبك فوثب الملعون وأخذ أبو محمد البطال ومده وضربه حتى وقع لحم كتفيه وغاب رشده وأغمى عليه ثم انه بطح أبو الهزاهز وضربه ضرب الأولين والآخرين حتى أشرف على الموت وأبوالهزاهز يقول له ويلك ياشيخ السوء أنا ما أخرجتك من المغارة وخلصتك من الذل والاضرار فلا تفعل بى هذه الفعال وهو يضربه ولا يسمع له مقال حتى طار لحمه من عظمه وضرب ميمون الجماس حتى أشرف على الاياس

وضرب مدركة حتى أشرف على الهلكة وضرب الجميع حتى وقع كل واحد منهم مثل القتيل ثم أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له يا أسود يازنيم كم عين قد أدمعت وكم ملك قد أقمعت وكم جيش قد فرقت وكم قلعة قد أخربت وكم أمة قد أهلكت حتى أخذك المسيح أخذ قادر ونصرنا عليك ثم انه ضربه حتى انه أشرف على كاس المنون فناداه الأمير ويلك ياشومدرس خلى للصلح موضع فما تدرى ماذا يكون فلم يلتفت اليه ولا الى كلامه وضربه حتى أشرف على حمامه ثم ان الملعون قال للملكة (نورا) أيتها الملكه مابقى للمقام فى هذا المكان وجه بعد ما اليه قد وصلت واليه قدرت فقالت له يا أبونا مالنا مضي من هذا الموضع حتى يصبح الصباح وننزل الى عسكر هؤلاء القوم ونلقاهم فى الحرب والكفاح وأنا أقول انهم ما يثبتوا بين أيدينا لعدم حمايتهم وساداتهم الأبطال فقال الملعون وحق المسيح يا ملكة انهم ما ينهزمون إلا من أمر عظيم وخطب جسيم والاميره ذات الهمه فهى أشر أهل الأرض فقالت له (نورا) ومن ذلك قال هى امرأة يقال له لها ذات الهمه وهى أم هذا الأسود وكأنها اللبوة المصممه ثم جعل الملعون يصف لها شجاعتها وقدرتها على أقرانها وبراعتها وما شاهد من شدتها فلما أن سمعت نورا ذلك قالت له ياأبونا اذا كانت هذه صفة نسائهم فما يكون حال رجالهم فقال سوف ترين منها العجب وتنظرى منها شيء لا رأيتيه من الروم ولا من العرب فقالت لا كلام حتى ترانى أنا وإياها فى الميدان ثم انها جعلت تنظر الامراء فى الاعتقال وتضحك وتمايل عجبا ودلال وترمى بنفسها على الجوار احتقارا بالاسارى وإهمالا لأمرهم فقال أبوالهزاهز الذنب ما هو لك الذنب لمن يصارعك ويطمع أن يتزوج بك فلا كان شومدرس ولا كانت ساعته وليتنا ما كنا عرفنا طلعته وهى تضحك عليه وتقول لجوارها انظروا الى هذا الاسود كأن خرطومته خرطومة عجل جاموس وكان ساقه محراك التنور . هذا وأبوالهزاهز يتقلى من قولها و فعلها وضحكها عليه (قال الراوى) فهذا ما كان منهم . وأما ما كان من الاميره ذات الهمه فانها نظرت الى الاميرعبدالوهاب وقد خرج فى طلب أبومحمد البطال فقالت له أمه ياولدى على ماذا عولت من الفعال فقال لها اعلمى أن أبا محمد قد عدم وأنا ماأعلم ما كان منه وها أنا سائر فى طلبه وان معى خلان لنكشف خبره فلما أن رأت معه تلك الفرسان اطمأن قلبها عليه إلا أن (نورا) لم تكن فى حسابها ولم تدرى أن القوم ينفتح لهم هذا الباب وأن الاميره أبطأ عليها الخبر ولم

تقدر انها تخلي العسكر وهي فى وسط العدو من المشركين وما تدرى ما يكون منهم أجمعين ثم انها بقيت على مقالى النار والقلق وزفرات الحرق حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ولا سمعت له خبر ولا وقعت له على أثر (قال الراوى) ياساده ولما أن أصبح الصباح أرادت المسير فلم يمكنها لأجل غيبة الأمير فعند ذلك أخذت معها مائة فارس وسارت لتكشف الخبر فلاح لها صومعة فظنت انها هى التى كان يلوح منها الضوء فى الظلام المعتكر فقالت أين سعيد بن الفرج فأجابها بالتلبية فقالت له لك التقدمة على العسكر الى أن أعود فإن أتاك عدو فادفع عن نفسك حتى إليك أعود إن شاء الملك المعبود فان الأمير قد غاب عنا من البارحة ولا أعلم ما كان منه وقد اشتغل قلبي عليه ولم أطق الصبر عنه (قال الراوى) ياساده وسارت الاميره على وجهها فى طلب ولدها حتى انتهت الى الصومعة التى لاحت لها فلم تجد أحداً عندها أبدا فعلمت أنها تاهت ولاتدرى بأى طريق تسلك ولا مكان تدرك فما هى إلا قد رجعت واذا هى بغبرة قد ارتفعت فقالت لبعض رجالها اطردوا خيولكم لتأتونا بالخبر على جليته فقالوا سمعاً وطاعة فساروا وعادوا ودموعهم سائلة فقالت الاميره ما وراكم وما دهاكم فقالوا أيتها الاميره ادركى الناس فعين المسيح قد نكل بهم وسعيد بن الفرج انهزم وهربت الناس على وجوههم وهذا الغبار عبار المنهزمين وكلهم قد سلكوا الطريق الذى سلكتيها فلما سمعت الاميره بذلك ضاق صدرها وضاقت عليها الأرض بما رحبت وقالت والله هذا لم يكن فى الحساب وما غاب الأمير ومن له من الأصحاب إلا وله سبب من الأسباب فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انها أرخت عنان الجواد وطلبت رد الناس حتى لحقتهم وقد حل بهم الخطب الجسيم (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى ذلك أن الاميره لما خرجت فى طلب الامير عبد الوهاب خرج فى تلك الساعة عين المسيح فى عسكر الحصن والربض الذى حوله فكانوا ثمانين ألف فنظر الى عسكر الأميره وأراد أن يحمل وإذا برسول من عند شومدرس قد وصل وأخبره بما فعلت ابنته ويأمره بالحضور اليه فأمر عين المسيح عسكره بأن يتقدم الى قتال المسلمين وأمر بطريق يقال له أرمانوس عليهم وانفرد الملك فى خمسمائة وسار الى دير الرهبان الى نحو شومدرس وهو لايصدق بالفرج وأن أرمانوس لما ولاه عين المسيح على العسكر حمل على المسلمين ونظر سعيد بن الفرج الى ذلك فصاح بالناس وقد انكسرت قلوبهم أجمعين من أجل غيبة الأمير عبد الوهاب وتكاثرت عليهم المشركين وقويت عليهم الأعداء

وسقوهم كاسات البلاء فما كان لهم إلا انهم انهزموا نحوالاميره ذات الهمه فطلبوها وأن الملعون أرمانوس جد خلفهم فى الطلب حتى لقيتهم الاميره ذات الهمه وقد أمعنوا فى الحرب فصاحت بهم ياويلكم ما هذه الفعال فلما رأوها قويت قلوبهم وحمات الاميره فى المائة فارس الذين كانوا معها وعادوا الناس الى عودتها واشتد الضرب وأنفذ باب الحرب وكثر الغضب ولا يغنى حسب ولا نسب وحامت الطيور على القتلى ولاح النصر على المسلمين ولعبت الاميره بالابطال فسلم من سلم وقتل من قتل حتى رجعوا المسلمين والكفار بين أيديهم منهزمين وهم من جيش الاسلام خاسرين وأقامت الاميره ذلك اليوم الى أن أمسى المساء ولولا خوف أرمانوس من عين المسيح كان قد طلب الحصن منهزما فقال لقومه كأنكم بعين المسيح وقد أتى إليكم ووصل وترون البلاء على العدو وقدنزل سيما اذا علموا أن أميرهم ومن معه قدأسروا أجمعين (قال الراوى) ياساده فلما سمعوا كلامه أجابوه ونزلت الروم قدام عسكر الامير عبد الوهاب وأضرموا النيران وتحارسوا الفريقان وباتت الاميره فى غاية القلق لأجل ولدها وقالت والله ما غاب ولدى عن أصحابه وعسكره هذه الغيبة إلا وقد جرى عليه شيء فبينما هى حائرة فى أمرها مفكرة وإذا بفارس من السودان أتاها ببطريق أسره واستولى عليه فأخذته الاميره وكلمته بالعربى فلم يفهم فكلمته بالرومى فأجابها فقالت له هذا المقدم عليكم هو عين المسيح فقال لها لا ولكن هو نائب غيبته إذا غاب عن عسكره فقالت له ولماذا تخلف الملك عنكم قال لها لأنه وصل اليه غلام الراهب شومدرس وأخبره أن ابنته الملكه نورا قد ملكت الأمير عبد الوهاب ومعه عشرة من الأبطال ومعهم أبو محمد البطال فلما سمعت الاميره ذلك تغير لونها واضطرب كونها وقالت هذا ماكنت أحذره فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قالت له وكيف ملكتهم وقدرت عليهم الملكه نورا (قال الراوى) فقال بخداعها وحسنها لأنه قد شاع فى اليونان والروم حسنها وشجاعتها وعدم اكتراثها بالرجال و الفرسان لأنها وحدها مقاومة فى حومة الميدان بعشرين ألف فارس وأن المأسورين فى دير الرهبان وأن عين المسيح ذهب اليهم ليقتلهم وهم ليوث عوابس فقالت له كيف قدرت عليهم الملكه نورا فقال لها اعلمى انهم فى هذه الساعة فى دير الرهبان الذى هو قدام عينيك من هذه الطريق وأن الملك عين المسيح سار اليهم ليقتلهم ولما سمعت الاميره ذلك فاضت عبرتها (قال الراوى) فبينما هى معه فى الكلام واذا قد لاح لها كوكب الصباح فوثبت وركبت وأخذت معها

نحو مائة فارس من الشجعان الموصوفة وسارت من وقتها وساعتها وهي باكية العين حزينة القلب لأنها فى أرض الغربة وبليت بفقد الأحبة وإذا هى قد سمعت صهيل الخيل فقالت لأصحابها خذوا أهبتكم وشدوا عزمكم فهذه الخيل لابد انها خيل عين المسيح ولاشك أنه يكون قدقتل ولدى وان شاء آخذ تاره بيدى وإن قتلت اجتمعت بولدى فى دار القرار ولما سمعوا منها هذا الكلام صار الضياء فى وجوههم ظلام ثم قالوا لها امهلى حتى يعبروا علينا القوم ونعلم كم عددهم فصبرت عن الحملة (قال الراوى) ياساده وكان السبب فى قدوم هذا الجيش وهو أنه عين المسيح لما سار الى الدير ومعه خمسمائة فارس فسمعت ابنته (نورا) بوصوله خرجت له بجوارها وسلمت عليه وسلم عليها ثم قال لها يابنتى يجب علىّ إكرامك إذ أخذتى بثار أعمامك ثم سارت معه الى دير الرهبان فجلس على سرير وجلست بجانبه على سرير آخر وقدمت لهم أوانى الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ثم قال عين المسيح ائتونى بالأسارى فقدموهم له وهم فى القيود والاغلال وكان الملعون شومدرس ثقل عليهم الحديد ولما رآهم الملك صلب على وجهه وقال لشومدرس يا راهب هؤلاء الذين كنت تصفهم لى وذكرت أنهم يقتلون الرجال ويفتحون الحصون ولكن هؤلاء لايقدرون على ذلك ولو اجتمع على مثل هؤلاء ما أبالى بهم فسمع أبو محمد البطال وأخبر عبد الوهاب بذلك ففرح فرحاً شديداً وقال جاء الفرج فقد ظن الملعون أن ابنته أسرتنا بجهدها فقال الأمير لأبو محمد البطال ماأوقعنا إلا شدة الهوى والغرام فقال له أبو محمد البطال والله انها تزهو كالقمر فى ليلة الظلام فانى قد عشقتها والسلام فقال له دع عنك هذا الكلام وانظر فيما هو أهم وأعظم فهم فى الكلام وإذا بالملك يقول لشومدرس إن فكرتى مشغولة وقلبى على عسكرى الذى أرسلته مع أرمانوس فقال له شومدرس : لا تخاف فان عسكرك شجعان ليوث وفرسان فقال عين المسيح لولا انى مشغول القلب لكنت أظهرت لك العجائب ثم إن شومدرس التفت الى عين المسيح وقال له ياملك اعلم أن عندك حامية عسكر المسلمين فقال عين المسيح وحق حنا ومريم إن قلبى يحدثنى ياأبونا مافى هؤلاء من يحسن يضرب بسيف ولا يحمله ولا يقدر أن يصرعه ولا يصرع رجل واحد فقال الأمير عبد الوهاب وقد فهم ما قال الملك ياأبا محمد قل له يطلق سبيلى وأنا وحق محمد المصطفى أعود بعد ذلك إلى قيدى فقال وما الذى أقول له قال قل له اننى أصرع كل بطريق عنده فى هذه الساعة ولو كانوا عشرة آلاف وبعد ذلك أعود الى القيد فقال أبو محمد

لعين المسيح بالرومى أيها الملك المدال بنفسه المتكبر على أبناء جنسه اعلم أن هؤلاء القوم الذين تراهم أبطال الدنيا وانما أسرتهم الملكة نورى للقدر السابق وان أردت أن تعرف حقيقة قوتهم فاطلق هذا الأمير يصارع من تريد من البطارقة فقال شومدرس لا وحق المسيح لا فعل ذلك فقال عين المسيح لابد من ذلك يابونا ثم أمر البطارقه فما زال يصرع واحد بعد واحد الى أن صرع مائتين من البطارقة ومددهم بين يدى الملك على التحقيق فعند ذلك علم عين المسيح أنه شديد الباس صعب المراس وأن ابنته ماصرعته إلا بحسنها وجمالها ثم أمر برده الى الكتاف وقيده (قال الراوى) ولوكان مع الأمير عبد الوهاب سيف لما قدروا عليه ولا وصلوا اليه ثم بعد ذلك أقبل شومدرس على الملك وقال له أيها الملك ماتصنع فقال قد عولت على ضرب رقابهم فقال شومدرس الآن عرفت أنك عين المسيح على التحقيق ثم قال أنى سمعت عن سيدنا المسيح فى بعض الأخبار أنه من قتل موحد الله رب العالمين وجبت له دار القرار وهؤلاء القوم موحدون لرب العالمين فعند ذلك أمر عين المسيح باحضارهم فأحضروا ثلاثة من بنى كلاب وأمر بضرب رقابهم ثم أمر أبو الهزاهز فسحب وقد أيقن بالعطب والتفت الى أبو محمد وقال له لولا أنك تعشق ماضربت رقابنا فنظر أبو محمد الى الملكة نورى ونظر السائل الفقير بين يدى الأمير الكبير فعلمت أنه نظر اليها نظر السائل الفقير الحقير المستجير فرق له قلبها فأقبلت على أبيها وقالت له بحق المسيح وحزقيل لاتقتل هؤلاء حتى تكسر عسكرهم فقال لاوحق المسيح ولكن سيرت اليهم عسكرى فعند ذلك قالت له اذا كان الأمر على ماذكرت لقد أخطأت بقتل من قتلت من هؤلاء لأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وهذا مثال جاهل لأننا لا نأمن الدهر وما ندرى على من تدور الدوائر فان كانت لنا فلا أحد يمنعنا من الناس عن قتلهم وان كان علينا فدينا أنفسنا بهم (قال الراوى) فلما سمع عين المسيح كلامها علم أن كلامها صحيح فنهى البطارقه عن ضرب رقابهم وأقام فى أكله وشربه وشومدرس يحدثه بكل عجيب وهو يقول له كلما تريد منا من الفضة والذهب على وهو يقول ماأريد إلا ضرب رقاب هؤلاء المسلمين الذين ينزهون ربهم عن البنات والبنين والزوجة والقرين فقال الملك قد أبحت لك ضربهم بالسياط وأما ضرب رقابهم فلا فصار شومدرس كل ساعة يضربهم بالسياط على الأضلاع والأجناب حتى نزل لحمهم عن أبدانهم من شدة الضرب والعقاب وأكثر ما كان ينزل على أبو الهزاهز فيقول له ويلك ياشيخ السوء لاتجور علينا فربما تقع فى أيدينا فيقول له وحق المسيح تكذب

يا أسود يازنيم ولكن استغيثوا فمن يخلصكم من هذا العذاب الأليم فلم يقدروا يجاوبوه بكلمة واحدة وهو يتولى عقوبتهم ذلك النهار الى أن أقبل الظلام فقال أبو محمد ماظن أن مامضى علينا أطول من هذا اليوم (قال الراوى) ياساده وان عين المسيح لما أمسى المسا قال لشومدرس احتفظ بهم لأنه قد انقطعت عنا أخبار أرمانوس ولو كان فى خير لما كان يبات رسوله إلا عندى وبما جرى على المسلمين يبشرنى وأخاف أن يكون عسكرى قد كسروا أو وصل الذل اليهم وقد عولت على أنى أمضى اليهم وأشرف عليهم ثم ركب من وقته وساعته وسار حتى وصل الى الموضع الذى وصلت الأميرة اليه والتقى هو والأميره (ورجعنا الى سياق الحديث) وان الأميره لما عاينت الخيل فى ظلام الليل نادت الله أكبر وجعلت طالبة من كفر وحملت من بعدها الأبطال من بنى كلاب والتحمت الأقران بالأقران ودام الطعن والضرب وانقطع العتاب وقد تزاحمت الأبطال وتقطعت الرؤوس والجماجم وامتلأت البيدا من كثرة الامم وأظلمت الاقطار من كثرة الغبار وقد لمعت السيوف فى أيدى الفرسان وتثلمت من كثرة الضرب فى قمم الرجال (قال الراوى) ونظرت الأميره الى عين المسيح والى وجهه القبيح فعلمت أنه الملك لامحاله فانكبت عليه وحمل هو أيضا عليها فرأتة فارسا لايلتقى صعب المراس وان الاميره لما رأت حربه ونزاله علمت أنه أمير الجيس لامحاله وأن ثباتهم به فلاصقته وضربته فقطعت طارقته ومدت كفها اليه كأنه عامود حديد من شدته وقبضت عليه وعلى مراق بطنه وجذبته بقوة حيلها رجلته عن سرجه ونادت يا آل محمد فبقى فى يدها مثل الطفل الصغير ثم أعلنت بالتهليل والتكبير وصاحت الله أكبر فتح الله ونصر هذا عدو الله الذى كفر (قال الراوى) فلما رأت المسلمين أن الاميرة أخذت عين المسيح أسير وسمعوا نداها قويت قلوبهم وأعلنورا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وضربوا فى وجوه الكفار بالصارم البتار وطعنو فى صدور الملحدين بالرمح الخطار وقطعوا من الكافرين الاضلاع فكانوا الذى قتلوه ثلثمائة بطريق وانهزموا الباقين ورجعت الاميره الى عسكرها من خوفها عليه ففرحوا المسلمون وبقدومها اليهم ونظروا أصحابها الخيل والمواكب المرصعة بالذهب ورأوا معها عين المسيح أسير فقالوا لها من هذا الذى معك قالت ملك الروم الجبار ثم نادت فى قومها ما الذى تنتظروا من عسكر الروم صبحوهم صباح ميشوم وجاهدوا فى طاعة الحى القيوم ثم برزت الى ميدان الحرب ودوكب الطعن والضرب (قال الراوى) وان البطريق أرمانوس صف عساكره وتبع عساكره وهو يشجعهم ويقول لهم كأنكم

بعين المسيح وقد وصل وتظفروا بالآمال فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك نادت يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية قد قتلت كل بطريق كان مع عين المسيح وتركت الديار تصيح وان كنتم فى شك من قولى فهذا عين المسيح فلينظره كل ناظر صحيح عند ذلك نظرت الروم الى ملكها وهو فى ذلة الأسر والهوان فعظم ذلك عليهم وكبر لديهم فأرمت نفسها لى المشرفيات طمعا فى خلاصه فعند ذلك التقتهم الاميره ذات الهمه وبنى كلاب ووضعوا الأسنة فى النحور وخسفت الصدور وقصمت الظهور والدم يفور وجاء أمر الله وكان هذا اليوم مثل يوم النشور (قال الراوى) فما كانت إلا ساعة مثل طرفة العين حتى ولت الروم منهزمين وقد قتل منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وأخذت الاميره ورجالها الرجال والأموال والأثقال والمضارب والخيام والعدد الكثيرة والمأسورين ووصلت المنهزمين الى الحصن وبعضهم قصد إلى دير الرهبان حتى يعلموا الملكه (نورا) بما جرى وأن الاميره أحضرت عين المسيح وقالت والله يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى ماء المعمودية لئن سقط من شعر رأس القوم الذين عندك شعرة واحدة لأقطعك قطعا وأبضعك بضعا فقال لها ان أصحابك وولدك سالمين ولقد أردت قتلهم برأى شومدرس فما مكنتنى ابنتى (نورا) وكان الرأى معها وأن الاميره لما سمعت من عين المسيح ذلك الكلام رحلت من ساعتها وسارت الى أن وصلت الى دير الرهبان ومعها مائة بطريق من الاسارى والملك عين المسيح معهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء. وأما ما كان من الامير عبدالوهاب ومن معه فان شومدرس لما سار عين المسيح عن الدير أقبل على الملكه (نورا) وقال لها انى وحق المسيح لى عليك حق واجب ومع ذلك فأنا لك ناصح وأريد أن تفعلى ما أشير به عليك فقالت يا أبونا ما الذى تشير به على قال تأخذى الاسارى من ساعتك هذه وتصعدى بهم الى الحصن معى وهذا فيه وجهين من الصواب : أحدهما إنك تأمنين عليهم . والثانية نأمن نحن على أنفسنا فقالت له ياأبونا لقد وقع فى قلبك من هؤلاء المسلمين أمر عظيم مع انى قد أسرت أبطالهم فقال لها اعلمى أيتها الملكه ما فيهم فارس إلا ويقول أنا ما فى عسكرهم مثلى لاسيما ومعهم أم الامير الاسود والبطل الأوحد وهى صاحبة رأى وتدبير وشجاعة وبراعة وهى أخبر بكل من فى الحرب ولا تفزع من الطعن والضرب والرأى أن تسيرى الى القلعة التى لنا فهذا مايضرك (قال الراوى) فلما سمعت ذلك من قول الملعون شومدرس قالت له سوف أبلغك آمالك ثم أمرت جوارها انهم يأخذوا أهبتهم للمسير

فوثبوا وقد أخذوا فى تحويل متاعهم وقد ذكرنا ما تقدم من أمرها بأن لها عشرين جارية من بنات البطارقة قد تعلموا الفروسية والقتال وركوب الخيل الى أن صارت كل واحدة منهن تعد بألف فارس من الروم والملكه نورا تعد بالجميع فعندذلك ركبوا الخيل العربيات واعتقلوا بالقنطاريات وتقلدوا بالسيوف وحملوا الاسارى على البغال وساروا سيرا عنيفا ولما وصلوا الى القلعة كان اجتمع فيها جماعة من المنهزمين الذين كانوا مع أبوها عين المسيح فى الكسرة الأولى فقالت لهم يا ويلكم ماوراكم ومن بشره دهاكم فقالوا لها أيتها الاميره قد وقعنا فى شباك الهلكه وقتل منا جماعة من الأصحاب وأسروا أبوك عين المسيح فلما سمعت ذلك قامت عليها القيامة وقالت ياويلكم كيف أسر الملك فهل هو وقع عن جواده قالوا لا وحق المسيح بل أتاه فارس أخذه ومن سرجه خطفه وأخذه أسير وبقى كأنه العصفور فى يد الباشق الكسور فقال شومدرس وحق المسيح لو أقمنا فى الدير مالقينا خير فقالت (نورا) أما الليلة مايمكن السير ولكن سيروا بنا الى حصننا الى غداة غد فأنا أمضى اليهم وأوريكم ما يكون منى ومنهم ثم انها دخلت الى حصنها وقامت طول الليل متفكره فى أمرها (قال الراوى) وأن الأمير عبد الوهاب لما سمع بأخذ عين المسيح أيقن بالخلاص والفرج وأن شومدرس حبس أبو محمد البطال وأصحابه فى مطمورة من مطامير الحصن فقال له أبو محمد لاستر الله عليك ياشيخ الشوم تبخل علينا أن نكون قريب من الملكه (نورا) وننظر الى وجهها فقالوا له أصحابه دعه يغيب عنا وجهه فقد أهلكنا بالضرب والعقوبة فقال أبو محمد والله أيها الامير ان الضرب بين يدى هذه الملكه راحة وأن شومدرس قال للملكه نورا اعلمى أنه لو كان مع المسلمين ألف أسير نفديهم بهذا الامير يعنى عبدالوهاب فاذا كان فى غداة غد فلا تنزلى اليهم فانك فى حصن حصين لايصل ولا يبلغ منه أمل فان قاتلوك المسلمين فهوبى عليهم بقتل المأسورين وان طلبوا منك الفداء فاوضعى لهم هذا الاسود فى أبوك يعنى الامير عبدالوهاب واضربى رقاب الباقين وإياك أن يغرك القدر أن تنزلى الى هذه المرأة التى للمسلمين فهى وحق المسيح التى خطفت أباك من سرجه فقالت له نورا ياأبونا إن كان ولابد لى من قتالهم وقتالها فان الروم تعرف فعالى وأنا أقول ان ارمانوس يقوم بالكل واذا بالصياح على باب الحصن فقالت انظروا ما الخبر فمضوا وعادوا يخبروا بالكسرة الثانية وأن الابطال قد هلكوا وأرمانوس قد هلك فأمرتهم بفتح باب الحصن فدخل بعض الناس وبعضهم طلب الحصن السادس وبعضهم طلب دير الرهبان وأن الملكه لما علمت بما جرى أيقنت أن الأمر عظيم والخطب جسيم وأن

المنهزمين الذين دخلوا إلى الحصن كانوا خمسة وعشرين الف فارس (قال ياساده ولما أصبح الصباح ومضت الأميره إلى دير الرهبان فلم تجــــد فيه غير الشيوخ من الرهبان فارادوا قتلهم السودان فمنعتهم الأميره من ذلك وقالت لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الرهبان المنقطعين عن الأوطان ثم ان الأميره سارت طالبة للحصن الى أن وصلت وأشرفت عليه ونزلت على أسفل العقبة فى آخر مرج الزعفران فنظرت إلى قلعة لاترام وهى مبنية بالصخر الأحمر الذى كأنه العقيق ليس لأحد عليها تسليق ولذلك سميت قلعة الدم وان الملكة نورا نظرت إلى عسكر الأميره ذات الهمة فلم يأخذها صـــبر فامرت بفتح الباب وقالت لابد لى من النزول اليهم والقدوم عليهم فقال لها شومدرس إذا كان ولابد لـكى أن تنزلى اليهم فعندى رأى فقالت وما ذلك الرأى فقال ترسلى الى أميرة المسلمين وتقولى لهـا انى الآن تطلبي محاربة الرجال وأنا مثلـكى إمرأة وقد عولت على النزول اليكى وأرمى روحى عليكى ويعطى الله النصر لمن يشاء وقد نزلى فى لحف القلعة وهو موضع لايصلح للمجال فان أردتى القتال فارجعى الى خلفكى حتى انزل أنا موضعك فقالت له لقداشرت بالصواب ثم أرسلت الى الأميره وأخبرتها بما أشار به شومدرس فلمـا سمعت الأميره ذات الهمة ذلك رجعت الى خلفها وقالت ما كنت أقول ان هذه الجارية تخرج إلى لقائى بعد ما شاهدت فعالى بالـكتائب والمواكب وان الأميره صـبرت حتى فتحت نورا باب الحصن وخرجت وخرج كل من فى الحصن الا شومدرس فانه تخلف فى خمسمائة بطريق من خوفه على نفسه (قال الراوى) وكان نزولها فى أحسن زى وأ كمل أهبه وعليهم الدروع السابورية والجواشن اليونانية والسيوف الهندية والقنطاريات الذهبية والطوارق البنادقية والخيول العربية والحراب الروقسية والنبال الـكرخيه والثياب الحرير والزنانير الابريسميه ونزلت نورا فى زى ما اتصفه الواصفون ولا تنعته الناعتون ولها عيون تهتك قلوب الأبطال وتخطف عقول الرجال وأنها نزلت فى مقابلة الأميره ذات الهمة وصفت عساكرها وعبت مواكبها والبطارقة قويت قلوبهم بها لما يعرفون منها بانها أفرس من أبيها وأشجع وكذلك الأميره ذات الهمة صفت عساكرها وعبت ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ثم أرادت أن تأمر الناس بالحمله واذا بفارس قد ظهر من عساكر الملـكة نورا على جواد أصفر كأنه السحاب اذا أنهر يسبق النظر ويفوت البصر فسار حتى توسط الميدان ووقف بين الصفين ونادى باعلا صوته ما هذا يوم الجزع فى القتال هذا يوم مبارزة الرجال حتى يعرف البطل من الجبان هل من مبارز (قال الراوى)

وكان هـذا الفارس من جوار الملـكة نورا وكان اسمها دكنا فخرج لها طوق بن الثنا واصطدما الفارسان فما كانت الا طرفة الطارف حتى أخذته أسير وخرج اليهـا ثانى فقتلته وثالث فأسرته وخرج اليها جبر المـكى فأخذته أسير فانقطع الناس عن الخروج فعندها خرج اليها فرقد بن بشار الكلابى وكان يعد بألف فارس من البطارقة فعنـد ذلك حمـل بعضهما على بعض حتى ارتجت من تحتهما الأرض ثم صاح فرقد بها وقد دنى منهـا ومسك بدرعها وجذبها اقتلعها من سرجها ونظر اليها واذاهى جارية فطار قلب فرقد بهـا فرحا ثم انه سلمهـا للمسلمين وطلب البراز فخرج اليه فارس كأنه القضاء المبرم وكانت أيضا جارية من جوار الملـكة نوراوكان اسمها زورة (قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتطاعنا طعنا أمر من الجمد وأمر من البصر وتضاربا بالسيوف حتى تثلمت وعلا عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار وعمل بينهما الصارم البتار وان الجارية ضربت فرقد بن بشار على رقبته واذا برأسه قد طار وعجل الله بروحه الى الجنة دار القرار ومجاورة محمـد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار (قال الراوى) فلما نظرت بنو كلاب الى فرقد وقد قتل وعلى وجـه الأرض قد جندل عظم ذلك عليهم وكبر لديهم (قال) ولم تزل الجارية زوره كل من خرج اليها أخذته أسير الى أن أخذت اثنى عشر رجلا عند ذلك خرج اليها الامير بشار وهو من الامراء الموصوفين والأبطال المعروفين الا انه استولى عليه الـكبر وقلت قوته وكان عند العرب معظم وعند السادات مكرم وكان لـما قتل ولده فرقد أراد أن يخرج الى زورة ثم جعل يتوقف لاجل كبر سنه الا أنه لما انقطعوا الناس عن الخروج الى لقائها ألقى روحه اليها ثم وقف يشكو فراق ولده ويرثيه (قال الراوى) ثم حمل عليها قتلها ثم حملت من بعدها الملـكة نورا على العسكر الى آخر النهار فقالت الاميره ذات الهمة هل فيكم من نظر الى نورا فقالوا بنى كلاب والله رأيناها فارس شديد وله وجه كأنه الهلال اذا أسفر وعيناها للقلوب تسحر وهو يخطف الرؤوس ويسفك الدماء ولقد كان يومنا معه يوم عبوس ومعه غلمان كأنهم الولدان ولقد نكلوا بالشجعان وأبادوا الفرسان فعند ذلك قالت والله لقد طلبتها اليوم فى المعركة فما وجدتها وفتشت عليها جهدى فما رأيتها حتى ذهب النهار ولو كنت وجدتها لشفيت مرادى منها فما يقاوم العسكر الا بها لـكن أنا آمل من الله تعالى أنها غدا تبرز الى الميدان حتى أبرز لها (قال الراوى) هذا ما كان من الاميره (وأما ما كان) من الملـكة نورا فانها نزلت فى مقابـلة عسكر الاميره وضربت لهـا سرادق من الديبـاج الاصفر ونصب لهـا سرير من الحديد الصينى

وجلست عليه ثم انها أقبلت على قومها وقالت لهم وحق المسيح ماكنت أظن أن المسلمين فيهم مثل هؤلاء القوم لأنهم لا يرهبون الموت ولا يخشون الفوت ولقد لقيت منهم الجهد الجهيد ولكن قد قتلت منهم ستة عشر فارس فلما سمعوا قومها ذلك من كلامها قالوا أيتها الملكة المسيح يرفع قدرك فلو رأيتى الفارس الأسمر الراكب على الجواد الأحمر لقد قطع رؤس الرجال وجندل الأبطال وأفنى بنى الأصفر وترك رؤسهم مثل الأكر لرأيتى من ذلك العبر وهو مضيق اللثام فلقد كاد أن يفنينا بالحسام فقالت لا شك أن الذى تصفوها هى الأميرة ذات الهمة ولقد طلبتها اليوم فما وجدتها وان أمكننى المسيح منها لم يثبت عسكر المسلمين بين يدى طرفة عين وقد عولت فى غداة غد أطلبها الى البراز وتنظروا ما يكون بيننا من القتال والحراب ثم باتوا على ذلك وأما شومدرس لعنه الله فانه (ياساده) انتقم من الأمراء وما كان يمضى عليه يوم حتى يعذبهم العذاب الأليم ويعاقبهم بأشد العذاب والأمير عبد الوهاب يقول له دع عنك البغى فان الدنيا دول ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال له شومدرس بحق دينك إن وقعت فى يدك فلا تبق على وبعد ذلك ما بقى لكم من هنا خلاص إلى يوم العرض والقصاص وحق المسيح لا بد ما أصلب كل واحد منكم على حصن من الحصون فقال له أبو محمد وأين أنت ياشيخ السوء إن ملكت الأميرة ذات الهمة الملكة نورى وتفادى بنا ونعمل بعد ذلك على أخذك ولو غصت فى الأرض فقال له شومدرس إذا كان الأمر على ما وصفت وصح قولك وأسرت الأميرة التى لكم الملكة نورى فانى لا أقبل فداء ولا أسلم الحصن أبداً واذا اشتد الأمر ولم أجد نصير ضربت رقابكم واسترحت منكم وأخذت فى الهرب فقال الأمير عبد الوهاب عند ذلك دعه يا أبا محمد لئلا يعمل على قتلنا فسكت أبو محمد على غيظ منه (قال الراوى) وأصبح الصباح على العسكر وتبادرت خيل العسكران واصطفت الرجال وطلبت الخيل المجال واشتاقت النفوس الى القتال وطلبت الناس من يخرج ويفتح باب الحرب فغلبت الخيل ركابها وحملت بأصحابها وحملوا عند ذلك المسلمون وكبرت الموحدون ونادت العامع وقامت الزوائع وخابت المطالع وبقى الجبان خائف خاضع عند ذلك نادت الطائفتين بالانفصال ورجعوا عن القتال ووقفت كل طائفة على خيولها مقابلة الأخرى وفى تلك الساعة خرج من الروم فارس على حصان طويل العنق مليح الخلق ديال الذنب قوى العصب سريع الجرى لحوق إذا ماطلب من أنخر خيول العرب ما للوحش منه مهرب (قال الراوى) وعلى الفارس زردية من الذهب الأحمر

مكاللة بالدر والجوهر وعلى رأسه مغفر مجوهر مكوكب وفى يمينه رمح معصب ثم إنه وقف بين الصفين وجال بين الفريقين ثم كشف الفارس الزرد والمغفر عن وجهه وإذا به كالفرقد لو رآه الزاهد لسجد بخد مورد وثغر كأنه الخاتم الذهب ثم انه نادى بكلام رخيم يشفى فؤاد السقيم يا معاشر العرب ان الموت منكم قد اقترب أنا الملكة نورا ابنة عين المسيح وعندى أميركم وجماعة من أصحابكم فان أردتم الفداء خلوا عن عين المسيح حتى أطلق لكم أميركم لاغير وان أردتم القتال والحرب والنزال فلتخرج إلى الاميرة ذات الهمة الموصوفة بالشجاعة المعروفة بالبراعة حتى نلتقى أنا وإياها فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب فان أنا ظفرت بها فعليكم بالهرب وان ظفرت بى كنت للخلاص سبب فلما سمعت الأميرة كلامها فرحت بخروجها الى الميدان ثم خرجت اليها الاميرة ذات الهمة على جواد كريم كالليل البهيم وعليها درع من عمل داود لا يعمل فيه الحسام صاحبه فى أمان وقد اعتقلت برمح طويل وفى كفها صارم صقيل وساعدها مبيل وحملا على بعضهما البعض وصاحا حتى ارتجت لهما الارض وتطاعنا بالرمحين حتى تقصفا وتضاربا بالسيفين حتى تثلما ثم بعد ذلك ترجلا عن الحوادين للصراع وكان فى سودان أبو الهزاهز أسود يقال له أبو عرقوب ولما رأى الملكة نورى شغف بها وخرج من غرامه الى وسط الميدان فأقبلت نورى عليه وقالت له ما الخبر وجعلت تمايل وهى تنظر اليه كأنه حوض بان أو غزال عطشان فظن أبو عرقوب لما نظرت اليه أنها قد أحبته فضحك فى وجهها وقال لها أبشرى أيتها الأميرة فى قتالك وما تلقى إلا كل خير (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم زحفت كل واحدة منهن على صاحبتها وتعاركا وتماحكا ورأت كل واحدة منهن من صاحبتها مالم تظن فيها من كثرة الشدة والقوة والمراس وثبات الأساس حتى تحيرت منهما الناس هذا وأبو عرقوب خلف الاميره كلما جذبتها يقول ارفق بها أيتها الأميرة فما هذا وجه تعود بالشقاء وغلب الهوى على أبو عرقوب فجعل يدحرج الحجارة بين رجلين الاميرة حتى تعثر ببعضهم فتقع (هذا) وقد ترجل من البطارقة جماعة ووقفوا بالقرب من الملكه نورى خوفا عليها من أبو عرقوب فلما نظروه فى خدمتها مايل معها على الاميرة ويدفع الحجارة بين رجليها كما ذكرنا وإنها علمت بذلك والله تعالى يحرسها فظهر الغضب على وجهها وخافت من أبو عرقرب أن يحمله الهوى فيطلب اتلافها فعند ذلك حافتها وجعلت الاميرة تقارب أبو عرقوب حتى لاصقته وضربته على ساقيه برجلها واذا أعلا مافيه رجلاه وكادت أن تقضى عليه ثم بعد ذلك صاحت

الأميرة فى وجه نورى صيحه خيل لها أن الخضراء انطبقت على الغبراء وقالت لها يا ملعونة يا كافرة يا مغبونة وبلغ من قدرك أن تقاومين المسلمة المصونة التى مافى قلبها لغير الله موضع ولا للشيطان موقع ثم همزت عليها ورفعتها من الأرض على يديها ونظرت الروم الى سيدتها وما قد نزل بها من الأميرة ذات الهمة فما منهم إلا من قد حمل طمعا أن يخلصوها فعند ذلك حملت المسلمين وانتصرت الموحدين ودام القتال واشتد النزال وتعلقت الرجال بالرجال فيالها من ساعة لا تشبه الساعات وزاد البلا على الروم وعلموا أنه عليهم نهار ميشوم فولوا منهزمين والى الحصن طالبين وتبعتهم المسلمين فقتلوا منهم مالا يقع عليه عدد بعدد الرمل والحصى فلما وصلوا إلى عند الحصن ترجلوا الروم عن خيولهم طلبا للنجاة لانفسهم ونظر شومدرس إلى ماحل بهم ففتح لاول الناس باب الحصن ولما نظر الى المنهزمين والمسلمين فى أثرهم فخشى على الحصن وكان رجلا محتالا مكارا حكيما منجما فأمر البطارقة الذين على الابراج أن يرموا الناس بالحجارة والصخور والعمد فقتل من الروم والمسلمين الذين هم فى أثرهم خلق كثير وعادوا على أعقابهم راجعين وقد أشرفوا من البطارقه الذين على الابراج على أمر عظيم وأن المسلمين أسروا من البطارقه ألف وقتلوا عالم عظيم وخلق كثير (قال الراوى) وأن الاميرة لما أخذت الملكه نورى وسارت معها فى العرب نظرت الى صورة تفتن النساء عوضا عن الرجال سنية الطرف كاملة الوصف رقيقة الخصر لينة العطف فقالت الاميره فى نفسها والله قط ما مالت نفسى إلى الرجال ولا أردت غير الملك المتعال ولو كانت هذه الجارية رجل لسلبت عقلى وما على الامير عبدالوهاب ملام فى محبة بدر التمام فما رأيت مثلها فى الانام ثم انها جمعت بينها وبين أبوها عين المسيح وقالت لها مابق غير الفداء فابعثى الآن الى القلعة وأمرى الذين فيها أن يخرجوا الامير وأصحابه وأنا أطلقك وأطلق كل من كان عندى وكذلك الملك عين المسيح فاذا حصلتم فى قلعتكم إن شئت رحلت عنكم وان شئت أقمت عليكم فان قدرت على حصنكم بمعونة الله تعالى أخذته وان منعنى الله تعالى فأنا أعبر الى غيركم (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع عين المسيح ذلك قال لنورى يا بنية ما فى الامر غير الفدا وأما قولها بأنها تفتح حصننا فهذا مالا تصل اليه أبدا لان المكان حصين والحصن عالى رفيع فعندها قالت نورى للاميرة ذات الهمة أريد ان تطلقى عشرة من هؤلاء البطارقة حتى نرسلهم الى شومدرس أن يطلق الامير وأصحابه فعند ذلك فعلت الاميرة ما أشارت به نورى وسارت البطارقه طالبين الحصن (قال الراوى)

وكان شومدرس لعنه الله قد حسب هذا الحساب وعلم أن القوم لابد لهم مايطلبون الفداء ويسلمون الأمراء فلما علم ذلك أخذ سيفا فى يده ووثب من مجلسه الى المطمورة التى فيها الأمير عبد الوهاب وأصحابه فلما أشرف عليهم أيقنوا بالعطب إلا انهم لايمكنهم الهرب فعند ذلك قال له الامير أبو محمد أرى الراهب قد أتى قال له شومدرس ماجئت إلا حتى أضرب أعناقكم قال له أبوالهزاهز هذه بشارة تستاهل عليها خلعة (قال الراوى) وكان من قضاء الله تعالى وماقد سبق فى غامض علمه أن الامير أبو محمد كان من قبل ما يجيبهم الراهب شومدرس قد عالج قيده وفكه من رجليه فى هذه المدة فلما نزل شومدرس والسيف فى يده فقال أبو محمد لأبوالهزاهز اعلم أنى فكيت قيدى ولو كان هذا الملعون غاب ساعة واحدة كنت عملت فى خلاصى وخلاصكم ولكن الأمور مقدرة ولاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم وماأتى الملعون على وجه تهديد وما أتى إلا على نية قتلنا لامحالة ومابنا موتنا بل والله يشتفى منا فقال أبوالهزاهز اعطينى إياه حتى أشتفى منه قبل مايعجل علينا ودع يقضى الله ماهو قاض فمدأبو محمد يده وناوله القيد . هذا وقد هجم الراهب عليهم وقصد الى الامير عبدالوهاب وشال السيف فى يده إلى أن بان بياض إبطه وضرب الأمير عبدالوهاب فقفز الأمير ميمون الجماس وألقى نفسه على الامير عبد الوهاب فوقعت الضربة فى كتف ميمون فجرحته وأراد أن يثنى عليه ثانية فلما رأى أبوالهزاهز ذلك من الملعون هجم عليه وضربه بالقيدالذى أعطاه له أبو محمد فوقعت الضربة على رأسه انفتح فيه ثلاث مواضع ووقع مغشيا عليه ورمى أبوالهزاهز روحه عليه وجعل يضربه ويلطمه ويقول له ياملعون الى متى تعيش وما فى حياتك فائدة ولقد أهلكتنا (قال الراوى) ياساده ياكرام ووصلت البطارقة الذين أرسلتهم الملكة نورا الى تحت الحصن ونادوا افتحوا لنا الباب فطلبوا شومدرس حتى يشاوروه فى فتح الحصن فلم يجدوه فقصدوا الى المطمورة فسمعوا ما جرى له مع الاسارى فنزلوا اليهم وجردوا السيوف عليهم وأهووا بها الى أبوالهزاهز وجرحوا ثلاثة من الاسارى الذين مع الامير وكان أبوالهزاهز قد ملك السيف الذى كان مع شومدرس وهم أن يضرب به فقالوا وحق المسيح لئن قتلته لابد من حريقكم فقال البطال دعه ياأبا الهزاهز ولا يكون الملعون ميشوم فى حياته وبعد مماته فتركه أبو الهزاهز فحملوه البطارقة وأخرجوه وهو على آخر نفس فلما رأته الروم وهو على تلك الحالة ارتفعت أصواتهم بالصياح لانه كان عندهم بمنزلة البترك الكبير فرشوا على وجهه الماء البارد الى أن أفاق فقالوا له من فعل بك هذه

الفعال فقال المأسورين الذين عندنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا الروم ذلك جردوا سيوفهم وطلبوا المطمورة يريدون قتل الأمراء فقالوا لهم المشايخ أصحاب الرأى ماهذا صواب لأن الملكه وعين المسيح وألف بطريق رؤوسهم مرهونة بهؤلاء وقد وصل قوم من أصحابنا هناك فرجعوا على ماكانوا عزموا عليه وفتحوا باب الحصن ودخلت البطارقة وقالوا أين هو عالم النصرانية أبو الشر شومدرس فقالوا انه أشرف على الموت ثم أعادوا عليهم القصة فلما سمعوا ذلك قالوا لا سبيل لنا على إتلافهم لأن الملك والملكه وألف بطريق أسرى عند المسلمين ومتى فعلنا بهؤلاء أمر من الأمور فعلوا المسلمين بأصحابنا كذلك ونحن قد أتينا لأجل الفداء ويكون شومدرس هو المدبر فاذا كان على هذه الحالة فنحن نخرج الأسارى الى باب الحصن ثم رجعت البطارقة الى عند الملكه (نورا) وحكوا لها ما جرى فقامت عليها القيامة لأجل الراهب شومدرس ثم انها قالت للأميره أريد أنك تطلق سبيلى فإذا صرت فى الحصن أطلق سراح الجميع وكان ذلك من نورا فزع من الأمير عبد الوهاب بأن يكون فى قلبه هوى منها فلا يمكن من المفاداة بها (قال الراوى) فأطلقت الأميره (نورا) فلما وصلت الى الحصن ورآها البطال أقبلت عليه الدنيا وقال أهلا وسهلا بالملكة الرحيمة والسيدة الكريمة التى هى بقصتى عليمة ثم انها قالت اخرجوا هذا الأشقر الأزرق العينين حتى يطلق عين المسيح فقال أبو محمد مايطلقوه أيتها الملكه بى بل أطلق الأمير وهذا المجروح يعنى ميمون الجماس وأبو الهزاهز فأخرجوهم إلى أن وصلوا الى الاميره فأطلقت عين المسيح ثم ان نورا أطلقت غلمان أبو محمد وطارق فأطلقت الاميره مائة من الروم ثم قالت ياقوم أرى أبو محمد قد تخلف لا تكون الملعونة تريد تغدر به فقالوا لا والله انها أمرته بالنزول فامتنع من الأول وقد طاب له المقام عندها وهذه الفتنة منه كانت (قال الراوى) وانها لم تزل تطلق قوم بعد قوم حتى بقى عند الاميره مائتى بطريق من كبار البطارقة وعند الملكة نورا أبو محمد البطال فعندها قالت له الملكة نورا قم انزل وروح حتى نخلص أصحابنا بك فقال لها ياملكة أنا أقيم عندك أنادمك وأكون خادمك وبين يديك فقالت له لاعدمتك ولاعدمت منادمتك قم انزل ياشيطان فقال ما أنزل فصاحت فى البطارقة ويلكم أخرجوا هذا الشيطان من عندى وإلا سرقنى الليلة فصارت البطارقة يخرجوه وهو يتملص منهم ويرجع الى الحصن ونورا تضحك عليه وتبصق فى وجهه وهو كلما جاءته البصقة فتح لها فاه ويقول لها ما أطيب ريقك وما أحلاه ولم يزالوا البطارقة حتى

أنزلوه من الحصن ووصل إلى عنده الأميرة فلما رأته أطلقت ما بقى عندها من الروم واجتمعت بالأمراء فوجدت قد فقد منهم ثلاثة رجال منهم كنانة ومالك ونجم ثم عاينت ميمون الجماس فوجدته مجروح فقالت لابو محمد ما فزعت من الله تعالى بأنك تكون دخلت إلى هذا المكان على نية الجهاد فى سبيل الله تعالى وتفعل بالمسلمين هذه الفعال فقال لها شهد الله أيتهـا الاميرة لا أردت إلا منفعة لى وللمسلمين فجاءنى ما لم يكن فى الحساب فقالت والله ان جميع ما تم عليهم من يدك ويطالبك الله عز وجـل بما فعلت فقال لهـا إذا طالبنى أقل يارب هؤلاء أرادوا أن يصارعوا الملكة فقالت الاميرة لولدها الامير عبدالوهاب ياويلك أنت أتيت الى هذه الارض للعب والهوا أو للجهاد والله يابنى ما أعرف على وجه الارض كهل كان أزهد منك ولا أعبد ولا أثبت عند الضراع ومنازلة الاقران والبطل الشجاع فقال البطال أيتها الاميرة عـذر الامير واضح ليس كل من شاهد ذلك المتاع ما يبقى له قوة ولافراغ ومن أجل ذلك وقعنا كلنا فى الصراع فضحكت الاميرة من وسط الغيظ وقالت يا أبو محمد ما بقى لنـا معك كلام لانك صرت عاشق مستهام (قال الراوى) ياساده ياكرام وان الامير عبد الوهاب عمل معه التوبيخ من كلام الاميره ذات الهمه ومما جرى عليه أنشأوجعل يقول بعد الصلاة على طه الرسول

أذ لهمة كفى المـــلام فانه	يزيد غرام الرامق المتحرج
وكفى عن العزل المضيء بمهجتى	فان فؤاذى عند ذاك التبرج
فلو نظرت عيناك بهجة وجهها	كبدر تمام فى دجى الليل يسرج
وطرف كحيل فائق وحواجب	ولحظ مريض ساحر الطرف أغنج
وخد ونهد فوق قد مهفهف	وصدر وخضر وساق مدملج
وشعر كاحلا لا الدجى وجبينها	كمثل صباح الليل عند التبلج
وخلق رضى كامل الوصف قاتل	ورونق أعطاف فوق ساق مدملج
فديت الذى قالت لنا عند دير ها	إذا كان فيكم راغب فى التزوج
يقوم إلى حال الصراع فاننى	أصارعه من مطل هذا التحجج
فقام اليها أصول الناس كلهم	ويعرف بالبطال من نسل خزرج
فما كان إلا ساعة ثم طرحت	به نحوهم تطريح أعرج أفلج
وقام اليها طارق وكنانة	ومدرك معه مالك ومفرج
ونجم وعطاف وميمون بعدهم	وراشد لاأنساه من آل مذحج

ولم يبق غير مراضى ومن له هزاهزه ما بين سار ومدلج
فلم تك إلا ساعة من صراعنا وقد صرعتنا بالبنات المضرج
فلا تعذلينا فى الذى كان بيننا وعما عدانا هذه اليوم عرجى
فلو صارعتنى اليوم أسداً صرعتها وكل هدير شـــدقم غير محرج
وأما صراع الغـــانيات فانه يبلبل عقـــل الحازم المتلهج

(قال الراوى) ياساده فلما سمعت الأميره ذات الهمة هذه الأبيات قالت انه قد عمل معه الهوى وتباريح الجوى فأمسكت عنه هذا جرى ههنا . وأما ما كان من الملكة (نورا) فانها لما دخلت الحصن سألت عن شومدرس فأعلموها بأنه مجروح ولما مثل بين يديها كلمته فلم يكلمها الى أن أفاق فسألته عن حاله فقص عليها قصته ثم قال لها أين المأسورين فأخبرته بأنها فدت نفسها بهم فكادت مرارته أن تنفطر وقال وحق المسيح ما فى قلبي حسرة إلا انى ما قتلت عبد الوهاب والشيطان وأبو محمد البطال فقالت له لاتضيق صدرك فأنا فى غداة غد أنزل عليهم وآخذ كبرائهم مثل النوبة الأولى فقال لها هيهات هيهات البدرة لمن بدر وحق المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما بقيتى تظفرى منهم بطائل لاسيما وفيهم الحية الرقطاء واللبوة الشمطاء التى تصرع القلوب وتترك المعافى مكروب ولكن أيتها الملكة سوف أريك كيف آخذ لى بالثار وأكشف عنى العار ولكن لا كلام حتى أداوى رأسى من هذه الجراح فقالت يا أبونا ما الذى نصنع بهم فقال لها اعلمى أن فى هذا الحصن مصنع يقال له مصنع القتلى وهو الذى صنعه جدك الاقريطش لما نزل عليه منويل الأكبر عند ذلك عمل هذا المكان فقالت وما رأيته ينفد فقال يابنية فيه منافذ الى خارج الحصن وأيضا فيه مهالك ماجازها أحد إلاونكب ولثوب العافية سلب فقالت ياأبونا قم بنا اليه وأوقفنى عليه فاعل أن يكون لنا فيه فرج فقال لها أريد أن تداوى رأسى فأتت له بالطبيب وشد رأسه وقام هو و (نورا) الى ذلك المصنع ونزلوا فيه الى آخره وإذا بفيل من نحاس وعليه ركاب فى أيديهم صواعق إذا قرب الانسان منه ضربته بتلك الصواعق التى لو وقعت على الجبال لقدتها وأيضا فى خرطوم الفيل سيف إذا ضرب به الانسان قطعه نصفين ثم ان (شومدرس) غير ذلك الفيل بصنعته التى لايقدر عليها كل من على وجه الأرض ونورا تتعجب منه إلى أن أتى الى أزج واسع وفيه عشرين رجل أشخاص مقابل عشرين وفى أيديهم سيوف واذا حصل

الانسان فيما بينهم ضربته الأشخاص بالسيوف ثم ان شومدرس قد تقدم عند الازج وإذا على الباب مرآة من الحديد الصينى وعليها أسطر مكتوبة بالقلم اليونانى فمد الملعون يده وأخذ المرآة ثم تقدم الى سقف الباب ودخل هو ونورى وتقدم الى طابقة هناك فأرالها وإذا بحبل من الابريسم فمسكها وشد بعضها الى بعض فبطلت الحركه التى للفيل ثم صعد الى جوفه وفيه حبال وهى حركات الرجال القيام فشدها وخرج من البيت ثم خرج هو ونورى من باب السرداب وإذا بنورى قد رأت خيام المسلمين وعاينت سرادق الأمير عبد الوهاب على جانب العين ففرحت بذلك وعادوا الى الحصن فلما مضوا الى بين يدى الملك عين المسيح أعادت نورى عليه ماجرى وقالت له يا أبى احفظ هذا الراهب فهو ثبات هذه الملة المسيحية ثم قالت اعلم أنى قد عولت أن أصنع فى هذه الليلة بالمسلمين صنع يكون فيه هلاكهم وقتل رجالهم وفناء أبطالهم فقال لها وكيف ذلك فقالت نأخذ الرجال ونفرق عليهم قوارير النفط وننزل بهم فى الليل الى عسكر المسلمين ونحرق الخيام ونفنيهم بالحسام فقال عين المسيح يا بنيه تقبلى منى فقالت نعم فقال اتركوا القوم وتتولعوا بهم حتى يعجزوا عن المقام ويرحلوا عنا بسلام فقال شومدرس أيها الملك وحق المسيح ما أطاوعك على ذلك ولا بد لى ما أهلكهم فى هذه الليلة وان كنت أنت تفزع على ابنتك فدعنى فقال الأمر اليك فأمر الرجال أن يحضروا لحضروا فى دون ساعه أربعة آلاف فارس (قال الراوى) ياساده وباقى رجالهم منهم من هلك ومنهم من هرب فقال الملك ماهذا إلا قريب من هذا العالم العظيم ومابقى الا هؤلاء فقال شومدرس أيها الملك لا تعول على ما مضى فلولا أن المسيح قتلهم ماقتلوا ثم ان الملعون فرق النفط على الرجال وأقام ينتظر الليل (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من المجاهدين فانهم أقاموا يا ساده ذلك اليوم وميمون الجماس قد أشرف على التلاف من الجراح التى فيه ومع ذلك لا يشتغل بما أصابه بل قال اعلمى أيتها الأميرة إنى رجل جرى علىّ ماجرى من أجل ولدك وأنا أريد ان سلمت من هذا وملكنا هذا الحصن تساعدينى على أخذ الملكه نورى وإلا أموت فقال البطال والله ياميمون إن أردت تموت وإن أردت تعيش والله ما تذوقها فقالت الأميرة إنا لله وإنا اليه راجعون لقد احتوت هذه الجاريه على قلوبكم فدعونا من حديثها فأنا والله خائفة أن يطول مقامنا على هذا الحصن لأن مالنا اليه سبيل الا أن يشاء الله فقال الأمير عبد الوهاب علينا أن نقاتل فى سبيل الله ونبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود وأما

النصر فانه بيد الله يؤتيه من يشاء فقال الأمير أبو محمد البطال امهلونى ثلاثة أيام وأنا أسلمه اليكم فطاب قلب الأميره بذلك وقالت والله يا أبو محمد انك سيد أهل زمانك وماتوعدنا بشىء إلا وأنت توفى وان الأمير أبو محمد خرج من عندهم من المضرب وجعل ينظر الى الحصن فلم يجد فيه تسليق ولا لأحد عليه طريق فبقى حائر لايدرى ما يفعل ثم أنه وصل الى العيون ونظر الى القناطر المعقودة والأزج المنبية والماء يجرى منها فقال فى نفسه إن وجدت سبيل إلى هذا الحصن ما يكون إلا من هذا الموضع ثم أنه أتى الى الأميره ذات الهمة وقال لها أريد منك فى غد أن تقسمين العسكر قسمين تقاتلون أهل الحصن وتشغلونهم وندخل نحن من بعد اشتغالهم من هذه العيون والقناطر المعقودة والأزج المبنية فما أظنها إلا نافذة الى الحصن فقالت الأميره يا أبو محمد أمل بعيد ولا يصح ولو كان الأمر على ماذكرت لما كان يخلو هذا المكان من مهالك فان حرمة مسلم عندى أحب الىّ من كل ما على وجه الأرض وقالت له ما عليك ملام ولا لأحد معك كلام لأنك عاشق مستهام فقال الأمير أبو محمد فاذا لم تسمعوا منى لا محالة يكبسوكم فى ظلام الليل إذ يخرج عليكم العدو من هذه العيون والقناطر المعقودة لأن الملعون شومدرس ما يغفل عنكم والرأى عندى أنكم ترحلون عنها ليلا وتعودون اليها فقالت الأميره هـــذا لايتفق وهو كلام من لايبقى له معقول ونحن لانسمع منك فى هذا الأمر ماتقول فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك حمل هما عظيما من كلامها ومضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فهنالك جمعت الأميره الرجال وجعلت بعضهم على الحرس وأوصتهم باليقظه وقالت لهم ان الأمير أبو محمد قد ألقى الى كلام وأنا حاملة منه هما عظيما لأنه رجل لايلتقى مثله فى الدنيا وأنا قد عولت فى غداة أن أقطع الأشجار من هذا الوادى وأعمل السلالم والأبراج وأفتح هذا المكان (قال الراوى) ياساده وناموا الناس فى خيامهم وكذلك الأمير عبد الوهاب وأصحابه فانهم ناموا وقد وجدوا الراحة من المطامير (قال الراوى) ياساده يا كرام وان عين المسيح والملكه (نورا) والراهب شومدرس لما جنهم الليل وعولوا على ما قد عزموا عليه قال لهم عين المسيح اعلموا أننى خائف من هذا العسكر الذى فيه أقوام كالسباع الضارية وان مقامنا فى حصننا أفضل ولنا أصلح وأجمل وأنتم تعلمون أننى كنت فى مائة ألف وسبعين ألف قتل أكثرهم وانهزم أميرهم وما سلم منهم إلا قليل وكأنهم بعساكر أخوتى وقد أتوا ويكثروا عندنا الكتائب والمواكب ويحل بأعدائنا المصائب وقعودنا أوفق ولا نتعرض لهم فهو الرأى الصائب فقالت (نورا) لاسبيل لك بل نحرق خيامهم

بالنار ونمكن منهم البتار ولا نبقى منهم ديار ولا نافخ نار فلما سمع أبوها ذلك سكت عن جوابها فقال شومدرس ما قالت الملكة إلا حقا ولها من المسيح الأجر والثواب وان كنت أيها الملك تخاف من الخروج فأنا أخرج ومعى طائفة من البطارقة وندهم الأعداء ويحل بهم الردا ونجعل أنفسنا لك الفدا وتكون أنت فى الحصن واذا رأيت خيام المسلمين بالنار قد احترقت والبلاء عليهم قد نزل اخرج أنت من باب الحصن وقد فرغنا منهم فقال لعمرى انه لرأى سديد فعند ذلك وثب شومدرس وقال للناس خذوا أهبتكم من غير صياح ففعلت البطارقة ما أمرهم وأخذوا قوارير النفط ولبسوا البنود والطلقانيات التى نقعت فى الخل الحاذق حتى لاتعمل فيها النار عند لبستهم وقال شومدرس للملكة نورا لاتفتحى باب الحصن حتى تسمعى الصياح من الخيام فعند ذلك افتحى باب الحصن واخرجى فى الظلام فما تكون إلا ساعة واحدة وقد أصبحت الدنيا منهم خامدة لان الصياح فى الليل له هيبة والنار فزعة زائدة فقالت سمعا وطاعة انزل أنت فى هذه الساعة فعندها نزل هو والبطارقة وعلوج العمالقة بالقوارير النفط التى ذكرناها والعدد التى وصفناها الى ان نزلوا فى تلك المهالك والحركات فبطلها شومدرس كما ذكرنا وعبروا وجازوا الازج والعقود وكانوا من بناية الاولين والحكماء المتقدمين حتى خرجوا من العيون التى عليها المسلمين هنالك قال لهم الراهب اقصدوا السرادق الكبير واضربوه بنار السعير ثم اضربوا ما حوله من المضارب أجمعين فاذا أحرقتم المضارب خرجوا أصحاب الخيام فاضربوهم بالحسام واهجموا عليهم بالنار فانها تعمل فى لباسهم والاجسام فلا يصلون إليكم ولا يهجمون عليكم فقالوا سمعا وطاعة نحن نبذل مهجتنا لديكم (قال الراوى) ياساده وما أحسوا المسلمين إلا والروم معهم فى الخيام وقد دهموهم بالنار فى الظلام فوثب القاعد واستيقظ النائم وصاح الصياح وناح النواح وضربوا الروم بالنار فى الخيام فعلقت ومن ساعتها احترقت وتواترت السودان وتزاعقت وعرفت الاميرة صحة قول أبومحمد وتحققت وفتحت نورا باب الحصن وخرجت وعلى الناس اطبقت وتعثرت الرجال بالرجال ولم يعرف الوالد ولده فى تلك الاهوال واحرقت النار الابطال ووقع بالمسلمين الصياح يمينا وشمال وضربت الطائفتين بعضهم بعضا وجرح الامير عبد الوهاب جرحا قاتلا فى احدى المفاصل وضربت الاميرة ذات الهمة بقارورة نفط فلولا رمت زوجها الى الماء لكانت هلكت وملكت الروم الخيل وحازوهم عن الأصحاب وبقوا

المسلمين رجالة غير ركاب وحل المصاب وعملت السيوف فى الرقاب وجرح أبو الهزاهز جرح أشرف منه على التلف والبوار وقتل الشيخ المجاهد بشار وتقطعت الاوصال والاعمار واحترقت جماعة بالنار وتحامت السودان وخلصت ميمون الجماس وطال الليل وزاد البلاء على الناس وركب كل واحد هواه ونادى بعالم سره ونجواه وأخذت الاميره وسط الماء أسيره وقاتلت عليها السودان تطلب خلاصها من الروم الاندال فضربوهم الروم بقوارير النفط فأحرقوا منهم رجل وفتكوا فى أبطال وأقيال فعادوا على أعقابهم فى غاية الذل والوبال (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وأبو محمد البطال يقول والله لقد حسبت هذا الحساب وقرأت عنوان هذا الكتاب ولكنهم ما سمعوا منى لما أشرت بالصواب والرأى الذى لايعاب (قال الراوى) ياساده ولم يكن للمسلمين غير الهرب لأنهم لايقدرون على حريق النار ذات اللهب فهجت وطلبت الخلاص من الهلاك والوبال (ياساده) وبقيت الدنيا فى ذلك الوقت بحر من نار وقتل من بنى كلاب أربعة آلاف بطل من المسلمين الابرار والسودان مائة أسود كرار وكانوا الناس فى تلك الليلة ما بين قتيل وحريق وأسير وغريق وأسرت الأميرة ذات الهمة ومعها خلق كثير والتقى الأمير أبو محمد بالامير عبد الوهاب وقد جرح جرحاً عسير فقال له أبو محمد قد أشرت عليكم وما قبلتم منى إذ كنت مشيرا بطلب نهر الدم الى الصباح حتى تهمد النار فعند ذلك لايقدر أحد من الروم أن يتبعهم عند الفرار (وعادت الملكه نورا) إلى حصنها وقد ظفرت بالمنى وبلغت أعلى مكان وطلع شومدرس من موضع مانزل وأعاد المكان كما كانت أولا وأرجع المرآة إلى مكانها فعاد الفيل الى دورانه والاصنام إلى حركاتها (ياساده) وأما المسلمين فانهم ما كان عليهم أشد فى تلك الليلة من أبى عرقوب الاسود الحجام وهو الذى جرح الأمير عبدالوهاب وما أراد إلا قتله ويسقيه كأس الحمام وذلك لأنه ازداد به الهوى فى نورا والغرام وتمنى أنه يكون فى الحصن مقامه على طول السنين والاعوام كيما يرى وجه الملكه نورا فى سائر الأوقات والأيام فمالت نيته الى الكفر وحدثته نفسه بالردة عن دين الاسلام والكفر بالملك العلام وكان الملعون من أشجع سودان أبو الهزاهز وأضربهم بالحسام فلما عول على الكفر بعد الإيمان قال فى نفسه : لابد أن أعمل عملا أبيض به وجهى عند الملكة نورا لأكون عندها فى أعلى مكان وما أنال ذلك إلا بقتل الأمير عبد الوهاب وأنال بذلك حالتان : إحداهما ان ينهزم العسكر والثانى يكون لى بذلك عندها اليد البيضاء طول الزمان فقصد الى الامير وقاربه وعرفه لسواد وجهه

فلم يحذره لأنه يعرفه من جملة السودان فضرب الامير (ياساده) على غفلة منه كاد أن يقضى عليه ويسقيه كاس الهوان وهو الذى عرف شومدرس والرجال الذين كانوا معه بالأميرة ذات الهمة لما ضربت بالقارورة وأرمت نفسها الى الماء تطلب الخلاص من النيران فناداهم دونكم وإياها فانها أميرة القوم فعندها انطبقت عليها الرجال من كل مكان وأرموا عليها الطوارق وأخذوها قبضا بالكف ثم قصد الى الملكة نورى وقال لها ابشرى بالظفر فقد قتلت الأميرة المشهور وبطلت عزمه وأسرت أمه فلما سمعت ذلك قوى عزمها وحملت فى قومها وكان هذا سبب الكسرة على المسلمين فى يومها وطلع أبو عرقوب مع القوم الى الحصن فلما رأته أرادت قتله لأنه من أخصامها فقال لهم ياقوم لا تفعلون فأنا الذى قتلت الأمير وأعلمتكم بالأميرة وهزمت العسكر ومع ذلك فأنا راغب فى دينكم فقال شومدرس لقد صدق وأنا أشهد له على مانطق ثم ان القوم نصروه وقالوا أنت قتلت أميرهم بعلم ومقدره فقال أبو عرقوب أنا ضربته بسيفى ضربة واحده فولى منها هاربا ولم أدر ماجرى بعدها وولت القوم منهزمين وهم الآن يمضون الى القلاع التى لهم فقالت الملكة نورى وحق المسيح أنك عملت معى جميل لما كنت أتصارع أنا وذات الهمة ورأيتك ترمى الحجارة تحت رجليها فقال لها أبو عرقوب كذا كان وحق المسيح ياروحي فضحكت من قوله وقالت ما اسمك فقال يعقوب وكنيتى أبو عرقوب وأنا وحق المسيح لكى محبوب فزاد ضحكها عليه وعجبها حتى كاد أن يغشى عليه فقالت له نورى طيب قلبك ولكن يا ترى برحوا المسلمين فقال لها اعلمى أن المنهزمين مالهم ملجأ إلا الحصون التى أخذوها منكم فان كان الأمير سالم ترسلى اليه وتقولين له أمك أسيره ومعها جماعة كثيرة وقد عولت على قتلهم إلا أن تسلم الى الحصون والقلاع فأنا أعلم أنكى لو طلبتى منه فى مقابلة الأميره ذات الهمة الدنيا بأسرها لهان عليه ذلك قالت وحق المسيح لقد صدق أبو عرقوب وان صح ذلك أعطيته أى حصن أراد فقال أبو عرقوب ما أريد لا حصن ولا غيره ولا قلعه وأنا ما فارقت دينى وقتلت أميرى وفارقت أصحابى وتغربت عن وطنى إلا أن أكون خادما بين يديكى ولا أغيب عنك ساعة واحدة فقال له شومدرس السمع والطاعة وان الملعون شومدرس أحضر الأميرة ذات الهمة وقال لها ياعدوة المسيح الى متى يمهلك فقالت له ياعدو الله لاتغتر بالمهلة فلا بد بأخذك أخذ عزيز مقتدر فلما سمع منها أمر بها فمدت وضربها مائة صوت فقالت له الملكة نورى يا أبونا اتركها فانها لما أسرتنى ما رأيت منها

بغي فتركها وقد اشتفي وقال ما أبق المسيح فى قلبي حسرة (قال الراوى) ياساده وأما أبو عرقوب الأسود لما فعل بالأمير عبد الوهاب ما فعل إلا أنه أراد قتله لأنه زاد به الهوى والغرام حتى تمنى أن يكون له بالحصن مقام على طول السنين والأعوام وهذا كان السبب فى انهزام المسلمين كما ذكرنا بعد أسر الأميرة وما وقع لها من أبو عرقوب وتمليكه عليها البطارقة كما ذكرنا ودخولهم الحصن وضرب الأميرة كما ذكر من الملعون شومدرس ثم بعد ذلك (ياساده) أمر بالأميرة إلى بعض الخزاين وهو يقول لها وحق المسيح لا خلصتى من يدى حتى تخلص زوجتى شوما وولدى دهر شوم ثم جعل يعرض المأسورين واحد بعد واحد إلى الصباح واذا بالغبرة قد طلعت وسمعت الروم الصياح فصعدوا الى الأصوار واذاهم بالأمير عبد الوهاب قد عاد وفى أبطاله ورجاله وقد شردت منهم الخيل فى ظلام الليل وان الأمير لما نظر الى أصحابه وقد فقد منهم كل فارس صنديد فبكا بكاء شديد وفقد الأميرة أيضا ففاضت عيناه بالدموع وضاقت عليه الدنيا بما رحبت فنزل مقابل الحصن وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا والروم لما عاينوا عبد الوهاب وقد رجع اليهم كالأسد الوثاب صلبوا على وجوهم من خوف بأسه وهيبته وقال لهم أبو عرقوب ان أردتم أن لا يقاتلكم ولا ينظر الى حصنكم فهولوا عليه بقتل والدته وقد كف عنكم لأجل قتل أمه فعند ذلك أشرف الراهب شومدرس وناداهم ياشلوح العرب وأخس من ضرب فى البيدا طنب أنا شومدرس الذى تعرفونه وتخبرونه ولا تنكرونه واذا طول المسيح فى عمرى لأفنيتكم أجمعين فوحق المسيح لئن رمى أحدا منكم بسهم لأرميتكم برأس ذات الهمة ومن معها من المسلمين إلا أن تسلموا الينا القلاع التى فى أيديكم الاسارى وفى أولهم ولدى دهرشوم وزوجتى شوما وبعد ذلك نسلم اليكم أميرتكم والمأسورين فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك عظم عليه ونزل بالقرب من الحصن ولم يتعرض لقتال بل قال لشومدرس دعنا نستريح الى غداة غد أنا ومن معى فاما أن أسلم اليكم ماقلتم أو أقاتلكم وتصنعوا ما شئتم ثم ان الامير نزل وبنى كلاب جميعا وقال لهم ان فقد الاميرة قد قطع ظهرى وحيرنى فى أمرى وأنتم ترون هذا الحصن المنيع والمكان الرفيع وقد عدمنا أبو محمد وعهدى به فى المعمعة وهو يقول لى ادخل الى نهر الدم وإلا ما يصبح معك أحد لا أبيض ولا أسود ولم يرد شومدرس ذكره ولو كان عندهم لكان يهول علينا بقتله وما خوفى الى أن يكون

بعد فراق له جرى عليه أمر من الامور فيالها من ليلة ما كان أشرها (ياساده) ثم أمر الناس أن يفتقدوا القتلى فقال الأمير لعله أن يكون مع القوم أسير فوالله لقد بقيت فى حيرة ان أقاتلهم أخاف أن يفعلوا ماقالوا وان أقمت بلا قتال مضت الليالى والايام وهم فى حصنهم ما يبالون بمقامنا وما تم إلا أن الله يرين لهم الخروج الى قتالنا وأقام الامير طول نهاره وتفرقوا السودان فى القيعان وافتقدوها فوجدوا خيولا كثيرة ساردة فردوها وانسدل الظلام واختلط القتام وركب الامير فى أصحابه الى الحرس من خوفه من الليلة التى مضت وجازت عليه وانقضت (قال الراوى) ياساده فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الاميرة ذات الهمة فانها أقامت فى الموضع الذى سجنها فيه شومدرس وكان الملعون قد فرق جماعة من الاسارى عن بعضهم بعض ووكل بالبيت الذى فيه الاميرة ذات الهمة عشرة من البطارقة فلما كان فى االيلة الثانية وهي متفكره فيما وقعت فيه وقلقها على الامير عبد الوهان ومن معه من الاصحاب وإذا بالباب قد فتح عليها فظنت أن شومدرس عول على قتلها وأتى اليها فقالت لا إله إلا الله لكل موتة سبب والقضاء لا يرد اللهم اختم لى بخير فانى أمة ضعيفة وانى ما عبدتك حق عبادتك ثم نادت ياشومدرس بحق دينك ان كنت تريد قتلى أخبرنى عن ولدى هل هو فى الحياة أم لا فقال ما أنا شومدرس أنا غلامك أبو محمد البطال فقالت له مرحبا وقد فرحت به غاية الفرح كيف وصلت الى هذا المكان فقال لها أنا فى الحصن من البارحة لما دخل شومدرس ورجاله من تحت القناطر دخلت معه ورأيت اللوالب والمهالك والحركات وهى فيل من نحاس ومرآة وقد رأيت حبالها وأنا طول النهار فى ذلك الموضع حتى أخرجت المرآه وصح لى تبطيل الفعل والمهالك وصعدت حتى أدبر فى خلاصكم وها قد وصلت اليكم وسمعت من البطارقة أن الامير نازل برا الحصن والفرج قد قرب وها أنا الساعة أمضى اليه وأقص عليه القصة وما ينتصف الليل الا وكل من فى الحصن قد هلكوا وجميع البطارقة قد هلكوا فطيبي قلبك وسكنى روعك وأريد فى مقابلة هذه الفعال تساعدينى على الملكة نورى ولا يأخذها أحد غيرى ثم تركها وخرج من موضع ما ولج ومن تحت الفيل والهين خرج والى عسكر الأمير عبد الوهاب عرج واذا بالامير عبد الوهاب فى جماعة من بنى كلاب على خيول عسكرهم فناداهم أبو محمد فى الظلام فعرفوه بصوته وبكلامه وقالوا الحمد لله على سلامتك يا أبا محمد وأين كانت غيبتك فقال ماهذا وقت كلام فترجل أنت وخمسة آلاف أيها الامير يكونوا أجلاد أمجاد

فقال وما الذى تصنع بهم فأخبره بالخبر فكاد قلبه أن يطير وقال سبحان من فرج عنا هذه النائبات كما قال فيها الشاعر هذه الأبيات

إذا النائبات بلغن الهى وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء فعند التناهى يكون الفرج

(قال الراوى) ياساده ثم أعلم الرجال بعضهم بعضا من غير ضجيج ولا عجيج وقصد بهم أبو محمد البطال المصنع والمشاعل بين أيديهم حتى عبروا المهالك ولم يزل سائر بهم حتى صعد من وسط الحصن وطلعت الرجال وصعدت الأبطال والأمير عبد الوهاب وأبو الهزاهز وبنى كلاب والسودان الانجاب حتى صعدوا الى الحصن ثلاثة آلاف رجل ولم يستطيع الأمير عبد الوهاب أن يتمهل بل قال الله أكبر واستعمل العجلة فجاوبته الثلاثة آلاف بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) ياساده فانقلب الحصن بأهله تارت الروم من أماكنها فما أحد منهم يقدر يأخذ عدته إلا والسيف يعمل فيه وفى قمته (ياساده) وصعدوا بقية الناس وسمعت الملكة نورا التكبير معها داخل الحصن فعلمت أنها دهيت فوثبت صارخة ونادى عين المسيح وهو طائر العقل وصاحت السودان وقاتلت الروم عن الحريم والصبيان وتضاربوا بالصفاح وعلموا المأسورين بذهاب الموكلين بهم فثاروا من مواضعهم وقطعوا الكتافات وتصارخوا من كل الجهات (قال الرواى) ياساده هذا والملكة قد فتكت فى الرجال وقتلت الأبطال وأبو عرقوب بين يديها كأنه الجمل الهائج وكلما نظر إلى وجهها فى ظلام الليل حمل على الناس كأنه المجنون وقد تعجبت من فعاله وقالت يا أبو عرقوب قواك المسيح وكلما سمع منها ذلك صال وجال وأنشد وقال

انى أنا الليث أبو عرقوب غضنفر وكاشف الكروب
لابد لى فى ساعة الخطوب أبيد فيها الجمع عن قريب
حتى أنال الوصل من الحبيب فان نورا فى الهوى نصيبى
من أجلها قاتلت فى الحروب بأبيض وأسمر كعوب
حتى يصير وصلها مطلوبى لعلها تصفح عن ذنوبى

(قال الراوى) ياساده ولما فرغ أبو عرقوب من شعره ونظمه ونثره وإذا بمولاه أبو الهزاهز قد لقيه وقال له ويلك ياملعون كفرت بالذى خلقك وسواك وبحكمته

أنشاك وإذا كفرت به عاقبك وكافاك وبلاك وإذا استكفيته كفاك وإذا رجعت اليه قبلك واجتباك وإذا أشركت به جعل الجحيم مثواك أما تستحى ممن يراك ولاتراه عيناك ياعديم العصمه ياسليب التقوى والنعمه طاب أن تترك به سواه ما خشيت أن يضربك بسيف جفاه وينزل عليك سخطه وبلاه فقال أبو عرقوب كف الملام ودع الكلام فانى قد برح بى الغرام ثم أنشد يقول

أبو الهزاهز كف اللوم والغزلا فما أريد بنورا فى الهوى بدلا
إذا اشتغل قوم فى محبتهم فما وجدت سوى حبي لها شغلا
والله ما هتفت روحى إلى أحد يوما ولا نظرت عينى لها مثلا
ولا تنصرت إلا فى محبتها والحب أصعب ما يبلى به الرجلا

(قال الراوى) ياساده ثم نادى أبو الهزاهز وقال له لك على حرمة وزمام وما أشتهى أن أضربك بحسام فخل عنى ودع سواك يدنو منى فقال أبو الهزاهز ويلك وبقى لك عندى زمام بعد كفرك بالملك العلام فدونك والضرب بالحسام ثم حمل أبو الهزاهز على أبو عرقوب وتضاربا بالبتار وغابا عن الأبصار وتضاربا وتباعدا واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة أبو الهزاهز وقال خذها يا ملعون فقد وفاك المنون فوقعت الضربة على رأسه شقت مخه مع أحناكه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما رأت نورا أبو عرقوب قتل حملت على أبو الهزاهز فلما رآها ارتجت مفاصله وتصادما وادركهما الامير عبدالوهاب وضربها بالسيف صفحا لفاها على الأرض واحتوى عليها والتقى أبو الهزاهز بعين المسيح وضربه على قمته نزل السيف إلى سرته وعمل السيف فى الكفار الكبار والصغار ودارت عليهم كؤس الأقدار ونادت الروم لورك لورك يعنى الأمان الامان فرفع عنهم السيف ولم يكن له همة الا الاميره ذات الهمة أطلقها من القيد وقال لها أبشرى بجزيل الثواب من الملك الوهاب ونادى الامير فى الناس اطلبوا شومدرس المحتال حتى أشتفى منه كما أشتفى منا فعندها تفرقوا الناس فى جوانب الحصن ولم يخلوا فيه موضع الا فتشوه ولم يعلموا كيف ذهب ولا كيف غطس (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب قبض على البطارقة الذين فى الحصن وجعل يعرض عليهم الاسلام وهم لايجيبوه إلى ذلك وهو يضرب رقابهم الى أن هجم الليل بعساكره وولى النهار راحلا بجيوشه وأعلامه ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد تزايد بالامير السرور والافراح ثم جلس الامير عبد الوهاب وأمر أن يحضروا الملكة نورى بين يديه فحضرت فنظر اليها فى حلة

بنفسجيه باللؤلؤ وقد ضفرت شعورها أربعة عشر ضفيره ونظر الأمير عبد الوهاب إلى حسن وجهها مع سواد شعرها فوق جبينها وقد أضاء اللؤلؤ عليه والحلة قدزادت بها محاسن ونظر الى رقة خصرها فى الزنار فسبح الله الواحد القهار فقال لها يانورى كيف ترى ألطاف البارى الذى حكمه فى خلقه جارى وكيف لطفه بعباده المؤمنين فلما سمعت خطابه قالت له بكلام أحلى من الشهد اعلم أيها الأميران ان الدنيا دول والناس تتنقل وحق المسيح لئن أهانى أحد منكم لقتلت روحى بيدى فقال أبو محمد ومن الذى يخاطبك بما لاتريدى أو يكلمك بما لاتهوى ومن فعل معك ذلك أوقعته فى المهالك وإذا وصلتى إلى بلاد الاسلام تصير القلاع والحصون بحكمك ولو طلبنى بنات الملوك أتيت بهم جوارا إلى خدمتك (قال الراوى) ثم ان الأميرعبد الوهاب لما فرغ من قتل الأسارى واحتوى على كل من فى الحصن من مال ونوال واطفال وصبيان قال الامير لعسكره لابدغدامن الرحيل إلى الحصن السادس إن شاء الله تعالى ثم انه دعابالاميرة ذات الهمة وقال لها من الذى توليه أمر هذاالحصن قالت من رأيته أنت هو الصواب فقال أبو محمدان كان ولا بدتخلونى فيه فماله مثلى يحفظه لان شور مدرش

لا نأمن شره وأنه يعود إلى هـذا الحصن من المكان الذى خرج منه

فقال ميمون الجماش اعلموا أن هذا الجرح الذى فى كتفى قدآلمنى

ومنعنى من الركاب على الخيل ويقوى وجعه على فى

الليل وما أقدر على المسير معكم فدعونى هنا مقيم

ان عذرى واضح وأنا سقيم فقال أبو الهزاهز

الحصون مايحفظها الا الرجال وهذا

حصن كبير وما تجدوا من

يحفظه مثلى مقدم الرجال

والامر راجع اليكى

أيتها الاميرة

على كل

حال

﴿ تم الجزء الثالث عشر ويليه الجزء الرابع عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الرابع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمعت الاميره ذات الهمة كلام الرجال علمت ان أكثرهم قد شغف بحب نورا وطمعوا فى وصلها والجمال قالت لايطلب أحدا منكم المقام ها هنا بسبب من الاسباب فان الذى تطلبوا المقام من أجلها لايقدر أحد يتعرض لها ولو ان ولدى عبد الوهاب وقطعت منه الاسباب ان هذه الجارية لكل أحد من المسلمين فيها نصيب وإذا رجعنا الى ملطيه إن شاء الله تعالى ووقعت فى الندا فهى لكم خاصة دون غيركم من بنى سليم وهذه الغزاة ما للسلطان ولا لغيره فيها درهم فاذا نودى عليها يدفع كل أحد منكم ما يقدر عليه ولا يضيع على المسلمين شىء فقال ميمون الجماس هذا الكلام نفعة عائد على ولدك لان ما فينا أحسن منه ولا أكثر مال وقد ينادى فيعطى فيها من المال ما لانقدر عليه ونصل الملكة نورا على كل حال اليه فقالت الاميره وذمة العرب أنها إذا وقعت فى الندا وصارت لواحد منكم يدفع فيها ما أرادوا أنا أقرضه من مالى ولا أدع لاحد منكم على ملام ثم أفردت للملكة نورى مجلس من أحسن المجالس ووكلت بها خادمها منجح ثم ادعت بالامير صالح ابن بكار وكان شيخا من شيوخ بنى كلاب ممن يوصف بالشجاعة والبراعة والرأى والتدبير وضمت اليه ألف فارس من بنى كلاب وسلمته الحصن ثم ان الاميره نظرت فى وجه أبو محمد كلام غيظ لاح فى وجهه فقالت يا أبو محمد لى معك كلام وقامت فوثب أبو محمد يمشى معها وقالت ايش يا أبو محمد فانى ما فعلت ذلك الا حتى تنقطع الاطماع منها بسببك ويأتيك الامر على ما تريد ثم انها نفذت الى ميمون الجماس بعد ما قالت لابى محمد فقبل يدها وشكرها ودعا لها ومضى وهو تحت وعدها فلما حضر ميمون الجماس قالت له طب نفسا وقر عينا فما أنا الا فى معونتك وسوف أبلغك

على السلاسل والقيود ياويلك أما ينفع فيك الوعظ والتهديد وتعود الى الملك المجيد وقد والله رق قلبي ولانت جوارحى للاسلام وانى ما أتيت الى هذا المكان إلا أطلب من هذه الاميره وولدها الأمان واستشفع بهما اليكم والدليل على صدق قولى هـذا الخنجر الذى فى يدى نخذه وهؤلاء الأسيرين لحل كتافهما فإنى ما جئت إلا لأجل حلهما (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلام الملعون شومدرس ورأى الامير ابراهيم وأمه علوى قال ياملعون حل كتافهم واخرج بين يدى الى عند الأمير وجدد إسلامك بين يديه فقال يا أبا محمد أخاف أن يكون قلبك على ملآن ولا تصـدق انى قد صرت من أهل الإيمـان فتقلتنى غلط وتطالب يوم القيامة بدمى ولـكن ارمى السيف من يدك حتى أفعل ذلك (قال الراوى) فعندها رمى أبو محمد السيف من يده وقد تخيل عقله بخلاص علوى وولدها ابراهيم فلما رآه لفح السيف وثب اليه ولم يمهله دون أن ضربه بالخنجر فى كتفه خرج من الجانب الآخر فوقع الى الأرض وأشرفت نفسه على التلاف وبرك عليه ليأخذ رأسه فأدركه بولص وصاح عليه وكان بولص قد تبع أثر أبو محمد فلما صاح على شومدرس خشى أن يكون معه جماعة من المسلمين وأبطال الموحدين فألقى نفسه هارباً فى جب الشياطين فلم يقدر بولص أن يدخل المغار من خوفه من شومدرس لأنه كان يعرف خبثه ومكره وشره وغدره وترك أبو محمد على حاله ومضى الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما فعل الشيخ الـكذاب فقام الامير بنفسه لاستنقاذ أبو محمد وولده وزوجته ولم يزل سائر إلى أن وصل الى المغاره وهجم اليها فوجد الدم على وجه الارض مثل القربة اذا انفتحت ولم يجد أبو محمد فعظم عليه وكبر لديه وأدار فى المغارة عينه فرأى الامير ابراهيم كأنه الخيال وهو لايقدر ينطق بحرف واحد من الجوع وكذلك أمه الاميره علوى ففاضت عينيه بالدموع حين رآهما وأنشد يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما　　يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

(قال الراوى) فدنا اليهما وتقرب منهما وترشفهما وهو لايتمالك من نفسه ودمعت عيناه فرحاً وحزنا الفرح بسـلامتهما والحزن على الأمير أبو محـمد البطال وفك قيودهما وقال الحمد لله على سلامتكما من بعد طول الغيبة ووحشة الأربة فعنـد ذلك انتحبت الاميره علوى انتحاب الفرح والاجتماع وأنشدت تقول هذه الأبيات :

شكرت الإله على فضـله　　فأعقبنى الشكر خيراً كثيرا

وسـلمنى من جميع الردى　　وسلم ابنى الهمـام الاميرا

وأرسله مع بعض البطارقة ورحل فى تلك الساعة وسار الرسول طالب حصن الدولاب ومرج الياسمين وتأخر شومدرس فى حصن العمد يدبر على المسلمين الحيل وسار عبد القداس طالب هلاك المسلمين وأبطال الموحدين ولما أشرفت الغبرة على الأمير عبد الوهاب ونظر (ياساده) الى عسكر جرار فقال يافرسان المسلمين وأبطال الموحدين هذه عساكر قد قصدت إليكم وما أظنها غير مائتى ألف فارس فاننى قد عرفتنى التجارب وعرفت وقع الغبار والكتائب فقالوا الناس ان كان الأمر على ما ذكرت فهذا عسكر عظيم ونحن قد قتل منا خلق كثير وتفرق منا فى الحصون خمسة آلاف وقد وقعنا فى أمر عظيم وخطب جسيم فقال اعلموا أن الله عز وجل وعد المؤمنين بالنصر وهو لايخلف الميعاد وهو القائل (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) فقالت الأميره: يابنى طب نفساً وقر عيناً فلوانهم أضعاف ذلك وأنا فى عشرة آلاف لقيتهم بمعونة الله تعالى فان الانسان إذا كان قصده الجهاد فى طاعة رب العباد فما عليه من العدو قليلا كانوا أوكثيرا فما يصيبه سوى قتلة واحدة فقال لها الأمير وقد سمع كلامها لله درك أيتها الاميرة ما أحسن صبرك. هذا وقد انجلى الظلام وظهرت الخيل للنظار فنظر العساكر وقدأقبلت كأنها سد من حديد بالسيوف القاطعة والدرق المانعة والبيض الساطعة والخيل السابقة والرماح القارعة والنبال الناقعة فعند ذلك أمر الامير الناس أن يصطفوا صفوف ومواكب وكراديس وكتائب وقال ان حملوا عليكم فأبدءهم بضرب القواضب وتوكلوا على رب المشارق والمغارب (قال الراوى) وجاءت الفوارس مثل فيض السحاب مواكب وكتائب على خيول كالسلاهب ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل الملك عبد القداس وامتلأ المرج بكثرة الناس ونصب الخيام والسرادقات ونظر المسلمين الى رجال مارأوا مثلها أبطال وكانوا هذه العساكر رماة يرموا عن قوس واحد وقدنزلوا وضربوا الطوالات وربطوا خيولهم الصافنات فقال الامير عبد الوهاب لأصحابه القوم ما لهم اليوم نية فى القتال انزلوا أنتم أيضا واستريحوا وريحوا خيولكم وريحوا أنفسكم ولم يزالوا إلى أن أمسى المساء وأشعلوا النيران وتحارسوا الفريقان وأن الملك عبد القداس أقبل على قومه وقال قد كسانا شومدرس من العار والفضيحة ثوبا لايبلى فليت ابن أخى عبد الصليب كان قد سار اليهم وكفانا مؤنتهم لأنهم شرذمة يسيرة لكن شومدرس هو الذى عظم الامر علينا حتى سرنا اليهم فى هذه الخلائق العظيمة وما تخلفت اليوم عن القتال إلا حتى تأتينا رءوس المأسورين ونرميهم بها حتى ينقطع أمل أميرهم ويرجع منهزماً الى بلده هذا والأمير

عبد الوهاب غافل عن هذه المصائب والأمور والمقادير تجرى بفراق الحبايب وقد أصبح الصباح ولم يقاتل عبدالقداس ولا ركب أحدا من الناس فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب وقال لقومه انزلوا ما ترون من الرأى فقالوا نحن الى الراحة أحوج منهم فدعهم إلى أن يبدؤنا بالقتال فصبر الامير اليوم الثالث وإذا بعسكر الروم على حاله لم يبدؤ بقتال ولا بحرب ولانزال فقالت الأميرة ذات الهمة ماترى فى هذا الأمر فقال الأمير عبد الوهاب هؤلاء يريدون المطاوله وأنا الذى لا أقدر على ذلك فهم فى الكلام واذا بأبى محمد البطال قد أقبل ومعه شخص غريب وعليه زى الرهبان وصفته صفة مطران إلا أن نور الاسلام فى وجهه يتلألأ وبهجة الإيمان فى وجهه ظاهرة فقال للامير عبد الوهاب هذا يا ابن العم رسول اليك من أعز الناس اليك ومعه كتاب مختوم يحتوى على در منظوم مايحسن مثله الروم فقال الأمير عبد الوهاب على بهذا الكتاب فدفعه الراهب اليه ففضه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه ورمى عمامته وأسبل دمعته وقال يعز على والله ماجرى والتفت الى الأميرة ذات الهمة وقد اصفر لونه واضطرب كونه فلما رأت ماحل بولدها قالت ياولدى ما ذلك فقال أأمر أبو محمد يقرأ الكتاب على الناس وانظرى ما فيه من الفصاحة والبيان الذى يعجز عنها قس وسحبان ثم ان الأمير بكى حتى بل لحيته بالدموع ونسى الاطلال والربوع وأنشد وجعل يقول :

أذا لهمة لو تعلمين بقصتى ... وما قد دهانى فى حبيبى وزوجتى
فياليتنى من قبل هذا مجندلا ... وقد شربت روحى شراب منيتى
قطعت بلاد الروم شرقا ومغربا ... لعلى أن أعطى المنى عند سفرتى
الى أن بلغت المنتهى من حصونهم ... وأيقنت أنى قد ظفرت بهجتى
وأطلق أعناق الاسيرين عنوة ... وأرجع فرحانا بتفريج كربتى
فخانتنى الايام عما أريده ... فياليت انى عجلت بى منيتى

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت الاميره ذات الهمة ذلك من شعر الامير عبد الوهاب دمعت عيناها خوفا على ابراهيم وأمه علوى ورحمت الامير عبد الوهاب وقالت له يا بنى الصبر عواقبه محموده وما أنت أول من أصيب وبلى بفراق الحبيب لان الزمان له تصاريف وعبر ولم يزل يخرب ماعمر ويفرق الشمل الجامع ويجعل الطرف الصحيح دامع والسكان من دارها بلاقع يابنى أين الامم الماضية والقرون الخالية أين الملوك العاتية أين الدول المتوالية قد طال ما أنست بهم المنازل

وافتخرت بهم المحافل فأصبحت منازلهم موحشة العرصات نادمون على مافات ثم أمرت أبو محمد البطال أن يقرأ الكتاب وإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم وبعد فان الدنيا اكتساب آثام وسرورها أوهام والفراق بلية الصحبة وأشدها فراق الأحبة وقد بلينا بخدمة الكنائس عند فقد الأبطال والفوارس ولكن جرى بذلك المقدور وكان ذلك فى الكتاب مسطور والآن فقد دنا قتل الاسيرة والمأسور بعد شده مالقياه من الذل والهوان ومقابلة العذاب ألوان لكن نؤمل الفرج من عالم السر والاعلان ولما أشيع أن كتائب أهل الايمان والمجاهدين فى طاعه الرحمن ملكوا من وادى العاق الى مرج الزعفران تعلقت الآمال بجمع شملنا بالإخوان وعودنا بعد الغربة الى الأوطان ومفارقة عبدة الصلبان وأهل الكفر والطغيان وان الدهور جارية بطوارق الحدثان وعادت أفراحنا أحزان والقوم فى غداة غد يقتلونا ويرسلون اليكم برؤسنا بعد صلب أبداننا فعليكم من الله السلام ما غرد القمرى وما ناح الحمام على الأغصان وحن غريب الى الأوطان واعلم أيها الأمير انك الذروة الشامخة والشجره البازخة والشجرة التى أورقت أغصانها بالمروءة والجمال وأثمرت بالفتوة والكمال ولما زادت شجونى والأحزان فاضت عبراتى والمدامع فكن لما قلته منصتا وسامع وفى شرح حالنا أقول :

إن الدموع على الخدين تنسكب	إن الحريم مع الأولاد قد صلبوا
قد كنت آمل أن الدهر يجمعنا	قبل الممات وان البعد يقترب
وكنت أصبر والاعلاج تضربنى	ظلما وأصبر إن جاروا وإن ضربوا
وكنت آمل أن تقرب منازلكم	منى وتصبح آمالى كما يجب
حتى سمعت بأن المسلمين أتوا	نحو الحصون كمثل الاسدان غضبوا
ثم احتووا كلما تحوى الحصون وقد	ذلت لها الروم لما استظهروا العرب
وأصبح الروم من بعد السرور على	حال الغيور وعاد الحصن ينقلب
فقلت أرجو من فرط السرور بكم	وأحسب الرسل عنكم أنهم كذبوا
حتى أتانا كتاب فيه مشورة	بقتلنا فغشينا الويل والحرب
بالله ياحادى الأظعان قل لهمو	رسالة من أسير كان يقترب
ياراهب الدير قل للست ذلهمة	لعل تكشف عنا الضر والكرب
ياراهب الدير قل للست ذلهمة	رفقا فعلوى وابراهيم قد صلبوا
ياراهب الدير قل للست ذلهمة	ما أصعب الذل بعد العز ياعرب

ياراهب الدير قل عندالأمير أما	يدعا لنا صحبة ما شأنها غضب
ياراهب الدير نادى فيهمو عجلا	أبا محمد أين الجد والطلب
أبا محمـــد لا تنسى مودتنا	أبا محمد أين العهد والنسب
أبا محمـــد ابراهيم منتظرا	منك الغياث وان القلب يلتهب
أبا محمد من للحريم اذا	جار الزمان وقد عمتهم الكرب
أبا محمد قل للست ذلهمة	جد الفراق وما يرعى لنا حسب
ما بال ضيغم عنا غافلا ولنا	صبر جميل به ماسارت النجب
منى عليكم سلام الله ماطلعت	شمس على أحد أم حس مقترب

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع الناس الكتاب لم يبق جفن إلا انجرح ولا فؤاد إلا انقرح وفاضت العبرات والدموع وعدموا فى تلك الليلة الهجوع ثم إن الأمير أبو محمد أقبل على الراهب وقال لقد من الله علينا بك بإيصال هذا الكتاب فقال وكيف لا أخاطر بروحى وأواسيهم بمهجتى وبها عرفت الإيمان وتعلقت بتوحيد الرحمن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان السبب (ياساده) فى إسلام الراهب الاميره علوى وولدها ابراهيم وذلك أنهما لما وقعوا فى حصن الدولاب وصبروا على مر عذاب لم يشتغلا ساعة واحدة عن عبادة رب العالمين وكانا صائمان النهار وقائمان الليل وأن الراهب لما رأى حسن عبادتهم ونور وجوههم فقال لهما اعلما أننى ما رأيت هذه العبادة التى أنتما عليها الا فى الانجيل وهو أن الله يبعث رسولا الى العباد يكون الرجل من أمته إذا عمل سيئة كتبت عليه واحدة وان عمل حسنة كتبت له عشره فقال ابراهيم هذه صفة أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه فى كتابنا المنزل على نبينا من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقال الراهب اعلما ان هذا الذى ذكرتم صفته هو الشاهد فى الدنيا والآخرة على جميع الامم بين يدى الله تعالى فقال ابراهيم هو نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو الشاهد فى الدنيا والآخره لقوله تعالى يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأما شهادته فى الآخره فهو قوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقال الراهب اعلما أن هذا النبى يأمر أمته بالصلاة عليه فقال إبراهيم صدقت هذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلو عليه وسلموا تسليما فقال الراهب يا هذا رأيت فى الإنجيل أن هذا النبى يعرج به إلى السماء

ويخاطب العلي الأعلى فقال ابراهيم صدقت هذه صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله فقال الراهب اعلما أن هذا النبي الذى وصفته لكما يصوم شهر رمضان فقال ابراهيم صدقت هذه صفة نبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فقال الراهب حسبك أن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الراهب يكتم إيمانه ويتعلم القرآن ولما وصل خبر الأمير عبد الوهاب أنه وصل إلى مرج الزعفران ومعه السودان الأنجاب وسادات بنى كلاب طار قلب الراهب فرحا وقال لها قد أتاكما الفرج وأنا معول اذا حصل لكما الخلاص أعود إلى بلاد الإسلام وأكون معكما مقيما فى بلاد الاسلام هاجرا من يشرك بالملك العلام (ياساده) وبعد ذلك بأيام وصل الرسول بقتل الاثنين فقالت علوى للراهب يا هذا إن الأجل قد اقترب وفى غداة غد تكون المنية وتصعد أرواحنا الى رب البرية وأريد منك قبل حلول الاجل تحمل مناكتاب إلى أمير المسلمين فقد سمعت أنه وصل الى مرج الرياض واحرص واجتهد كل الاجتهاد ولعل أن يحصل الفرج قبل النفاد ولك جزيل الاجر والثواب من الملك الجواد يوم الميعاد فقال الراهب سمعا وطاعة فقالت أريد منك دواة وقرطاسا فأتاها بما طلبت ومشقت قلما وكتبت ما ذكرناه من أمرها وشرحناه وطوت الكتاب ورمت به اليه وقالت له سر على بركة الله تعالى فما خاب عبد توكل عليه فسار الراهب وجد المسير حتى وصل العسكر وقصد يسأل عن الامير عبد الوهاب فلم يكن سؤاله إلا للأمير أبو محمد البطال فأتى به الى الامير وسأله عما به أشار (قال الراوى) ياساده ياكرام وأن أبا محمد وثب من وقته وساعته وقال أيها الراهب متى سمعت أنهم يقتلوهم فقال الراهب فى غداة غد فقال أبو محمد هل عندك علم بالراهب شومدرس فقال نعم هو فى حصن العمد وقلعة الصخر فقال أبو محمد الحمد لله على ذلك وأخذ غلمانه وتظاهر بزى البطارقة ولم يعلم بهم أحد العسكرين هذا وإن الاميرة أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت له قد عولت أنا على المضى اليهما ولا يمكننى المقام بحالتين أحدهما أخاف الله تعالى إذا أوقفنى بين يديه وقال لى استنصرت بك امرأة أسيرة فى بلاد الاعداء وقصرتى عن نصرتها والثانى لما بيننا من القرابة والنسب فقال الامير وكيف تمضين قالت أقسم العسكر الذى لنا قسمين واختار أيهما شئت فان أردت أن تلقى العساكر الذين بين يديك وأسير أنا اليوم والليلة جد وكدعسى أدركهم فى غداة

غد وأشغلهم عن قتلهم وإما أن تسير اليهم أنت وتقدم عليهم فقال الأمير اقسمى العسكر كما تريدين وخذى من الأبطال ماتطلبين وقد أجبتك الى ماترغبين فقالت الاميره يابنى إن العدو الذى بين يديك كثير العدد وإننى خائفة عليك ولكن اترك عندك خمسة وعشرون ألف وأسير أنا فى بقية الجيش متوكلة على الله تعالى وأسأله أن ينصرنى عليهم فقال الأمير عبد الوهاب اعلمى أن الامير أبا محمد قد سار اليهم خفية وأنتى فما يمكنك ذلك لما بين يديك من العساكر ولا يمكنك من العبور الى ديارهم وهم من دونها فقالت سوف أحمل عليهم حملة واحده ولو كانوا فى لجة بحر لخضته ثم أقبلت على بنى كلاب وقالت أريد فلان ورجاله وفلان وأبطاله الى أن اختارت منهم عشرة آلاف ثم ادعت بمقدمين السودان الانجاب واختارت منهم خمسة آلاف كأنهم أسود الغاب وركبت الناس لركوبها وركب الامير عبد الوهاب وركبت عساكره فظنوا الروم أن المسلمين يريدون الحملة عليهم فركب عبد القداس فى مائتى ألف فارس مابين مدرع ولابس فماجت بهم الارض فى طولها والعرض وهمهمت الروم والعلوج وزمجرت مقابلها السودان والزنوج وأخرقت الاميرة بمن معها صفوف الروم وأفنت رجال وجندلت أبطال وعلوج وأمسى المساء ورجع الناس إلى الخيام وهم سكارى من غير مدام ونزل الروم وكان يومهم يوم مذموم وافتقد عبد القداس عسكره فوجده قد فقد منه خلق كثير وجم غفير فقال لقومه لو طال عليكم النهار لهلك منكم الكبار والصغار وما بقيتم تريدون أكثر من هذا الذل والعار أن يكون عسكر المسلمين فيكم مثل الشامه وقد فعلوا فيكم ما فعلوا وقتلوا منكم ماقتلوا لقد أغضبتم المسيح بهذا الفعل القبيح فلما سمعوا قومه كلامه عظم عليهم وكبر لديهم وقالوا اعلم أيها الملك إننا أهملنا أمرهم فوصل الينا شرهم ولو نعلم أنهم بهذه الشجاعة وحيث ظهر لنا منهم ما ظهر لا بد لنا أن نبيض وجوهنا بين يديك وترى أمير المسلمين أسيرا فى حصنك وكل من معه أسيرا فى خدمتك فشكرهم على قولهم وبات منتظرا عند الصباح وعدهم وأما الامير عبد الوهاب فانه افتقد رجاله فوجدهم قد فقد منهم خمسين رجلا وبات الامير مهموم ومشغول الفكرة بعسكر الروم وكثرته وأبو محمد وغيبته والاميره وغيبتها ومن أخذته من العساكر بصحبتها وبات عسكره مطروح ومن الروم مجروح وقد ذكرنا أن عبد القداس عسكره رماه (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح جردت الصفاح وركبوا أهل السلاح وعملت الصوارم والرماح والامير عبد الوهاب

شمر عن ساعديه وصاح معاشر المسلمين قد فتح لكم باب النجاح دونكم والجهاد فى طاعة الملك الفتاح فعند ذلك مالت بنى كلاب على الروم القباح وأثخنوهم بالجراح وجرى منهم الدم على الارض وساح وضجرت النفوس من الكفاح وقاتلت السودان قتال الأسد فى البطاح وضاقت بالروم الاماكن الفساح وكثر بينهم على من فقدوه الصياح فهم كذلك واذا بالصياح من عسكرهم قد صاح فلما سمع المسلمون الصياح عظم عليهم وكبر لديهم ولم يمكنهم التأخير عن ضرب الحسام فى الكفرة اللئام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل الى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلامه ونادى المنادى بينهم بالانفصال والرجوع عن القتال فرجعت كل فرقة الى خيامها ونزل الجيشان وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان . هذا وعبدالوهاب قد نصب له سرير من الفضة وكذلك ملك الروم نصب له سرير من الذهب والبطارقة بين يديه وسأل عن الصائح ماهو فقالوا أيها الملك أتى من حصننا عبدا وأخبر أن المسلمين عدوا الينا ووصلوا الى حصننا ونزل اليهم عبد الصليب فى عشرة آلاف بطريق وابتدروهم من غير تعويق واختلط الرجال بالرجال ولقيوا منهم النكال وما كانت إلا ساعة حتى قتل منهم من الحصن جماعة وقتل من المسلمين فرد رجلين وأسروا من الروم مالا يحصى يزيدون على ثلاثة آلاف بطريق وانهزم عبد الصليب الى الحصن وهو لايصدق بالنجاة وغلق باب القلعة وقد عبر عسكر المسلمين من مرج الياسمين والى حصن الدولاب طالبين وقد أرسل عبد الصليب يطلعك على هذه القصة لتكون من أمرك على يقظة فلما سمع عبد القداس ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح ماهؤلاء بنى كلاب آدميين وفعالهم فعال أسد الغاب وما أظن إلا أنهم ما دخلوا على حصننا إلا لما سمعوا اننا أرسلنا نقتل أصحابهم ثم ساروا فى خلاصهم واننى فى غداة غد ما ألم شهر النداء من أتانى برأس مسلم خلعت عليه وإلا ما أقدر أبارزهم (ياساده) فهم فى الكلام والراهب شومدرس قدم فقام اليه عبدالقداس قائما وقال ياأبونا ماالذى أتى بك فى هذه الساعة وما معك من الأخبار فقال الراهب شومدرس أما الحصن وأهله فى خير وعافية لكن قتل منهم ثلاثة آلاف فارس كانوا مع عبد الصليب فوقع عليهم فى الحصن البكاء والنحيب وقد دخل المسلمين الى مرج الياسمين والى حصن الدولاب طالبين وأما أنا فقد أتيت إليكم من خوفى عليكم فقال عبد القداس ياأبونا لقد كنت تصفهم لى وما كنت أظن أن فيهم هذه الشجاعة والقوة والبراعة وقد عاينت منهم أضعاف ماقلت عنهم ووصفت وقد عولت فى غداة غد إذا صففت

الصفوف واشتهرت السيوف امزق خزاين المال بين يدى وآمر العساكر أن تبرز الى المسلمين وكل من أتانى بأسير أو رأس مسلم أنعمت عليه بالخلع والمال وأوعدهم بجزيل النوال فقال شومدرس اعلم أيها الملك انك قد عولت أن لاتبقى من البطارقة من لايحمل سيفا ولا طارقة فقال وكيف ذلك فقال اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم أبطال العرب ألفوا الحرب من صغرهم واعتادوه ولو وقعوا فى أعظم من هذا العسكر أفنوه وأبادوه وعندى من الرأى أنك تعين من عسكرك عشرين ألف فارس وتفرقهم أربعة فرق كل فرقة خمسة آلاف وعليها بطريق مقدم ويكمنوا فى أربع مواضع فاذا كان فى غداة غد تقبل عليك من نحو الحصون خيل ورجال ويرفعون أصواتهم بالصياح ويأمروك بالارتحال فترحل لوقتك بحيث انك تترك الخيام والطعام والعدد والاموال فاذا وليت يظنوا أن أصحابهم قد عملوا عملا يوجب ذلك وأنا أعلم انهم قد قل زادهم ونفدت عدتهم وقل عددهم فيظنوا أنها غنيمة ومكسب فيشتغلوا بالنهب فعند ذلك تخرج عليهم الكمناء من الأربع جهات بالسوية وترجع أنت كذلك وتسقوهم كؤوس المهالك فلما سمع عبد القداس من شومدرس هذا الكلام فرح وطاب خاطره وانشرح صدره وقال لقد أشرت بالصواب ثم انه لوقته أشار الى أربعة من البطارقة وضم لكل واحد خمسة آلاف بطريق ثم أمرهم أن يتفرقوا من ساعتهم على الأربع جهات وانهم عند الصباح أن سمعوا الصياح أقبل من نحو الحصن وأظهر الملك الهزيمة ونزلوا العرب للنهب والغنيمة تكون كل فرقة محترزة على طائفتها فيخرجوا عليهم من أربع جهات ويراهم الملك فمضوا الى القصة التى ذكرنا والمكيدة التى وصفنا ثم ان شومدرس قام قائما وودع الملك فقال الملك أراك قد عزمت على المضى من عندنا ونحن قصدنا أن لاتفارقنا ولا نفارقك لأنك رحمة علينا وبركتك تعم علينا فقال شومدرس ماأقدر أقيم لأن لى أشغال وأريد أن أسير لأحوال أقطع بها هذا العسكر وآثاره ولا أدع مسلما يصل الى دياره فلما سمع عبد القدوس ذلك من كلام شومدرس قال له بارك المسيح فى عمرك ثم خلاه الخبيث وخرج وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت ولايدرى مايعمل ولأى حيلة يدبر (قال الراوى) وانقضى الليل وأصبح الصباح وركب الجيشان خيولها وقد طمعت الروم ببلوغ آمالها وحملوا الجيسان بعضهم على بعض وارتجت من ركضهم الأرض وقام الحرب على ساق وقدم وعملت السيوف الرقاق ففى تلك الساعة ارتفع الصياح من خلف الروم فرجعوا عن المسلمين وتوقف عنهم الأمير عبد الوهاب فلما رأى الخيول تتبادر

والرجال بعضا لبعض تتقاطر قال ماخوفى إلاأن تكون حيلة علينا من الملاعين وقد حار مما رأى وقال تمهلوا على واذا بالكمناء طالعين فحمل عليهم واذا بالملك عبد القداس التقى بالامير عبد الوهاب فضربه بالسيف على رأسه شقه نصفين فولت الروم هاربة وقد غنموا المسلمين أموالهم وقد دخلوا على عبد الصليب وأخبروه بالخبر فتجهز للمسير وقال شومدرس انهم قليلين هؤلاء الأعداء فبقوا المسلمين قسمين قسم ههنا وقسم هناك وكان الباب الذى بين حصن العمد وبين حصن الدولاب ومرج الياسمين رأس جبلين قد التقيا ثم طريق غيره وله باب من الحديد ومن فوق رأس الجبلين برجين شامخين لايصل اليهما سهم الرامى ولا منجنيق ولا لأحد عليه طريق يتسلق وقد أمر شومدرس بقفل الباب (قال الراوى) وكان للأمر المقدور وتمام الامور لما صار الامير عبد الوهاب من القرب من الحصن ونزل عبد الصليب بعساكره وكتائبه ومواكبه وضرب مع الأمير عبد الوهاب مصاف فى الميدان فى محل الطعن والضراب وكان عسكر الامير مثل الفرخ فى الزجاج وأن عبد الصليب التفت الى قومه وقال لهم اعلموا أنكم أضعاف هؤلاء المسلمين ولابقى للقوم سند ولا ملاذ فقاتلوهم واكشفوا عنكم العاروفرق عليهم عدد وسلاح (قال الراوى) وصف الامير رجاله فلما اعتدلت الصفوف خرج من عسكر الروم فارس على جواد أصفر اللون مليح الكون حسن القوائم كأنها دعائم مليح من العيوب سالم شريف النسب شديد العزائم كأنه الشهاب بغية الطالب خفيف إذا مشى سريع اذا غدا واسع الخطا ميمون الغره مليح الطره يسوى من المال بدره عليه تخاصيف من الحرير الأخضر وصحائف حديد مغموسة فى الذهب الأحمر وبين عينيه ياقوتة تزهو وفى عنقه قلادة جوهر وفارسه كثير الزخرفة والبهجه كأنه قد خرج الى فرجه منتصب فى سرجه عليه درع سلطانى مليح الصفايح والنظام قصير الأكام لايعمل فيه الحسام وسيفاً مانعاً لايعمل فيه السهام فى صدره مرآة جوهر وصليب من الذهب الأحمر ومن تحتها درع مكتوب فيه أسطر بالعبرانية بماء الذهب معادية للملة الحنيفية وعلى رأسه بيضة عادية لاتعمل فيها السيوف الهندية ولا الرماح السمرية ليس فيها لحام ولا تشعيب معتدلة الصنعة والتركيب وقصبة طيب من الذهب المرصع بالفصوص قضيب على قضيب وبيده سيف صقيل وبيده قنطاريه لها سنان كالحية (قال الراوى) وأن الفارس وقف بين الصفين وحال بين الفريقين ثم كشف عن وجه كأنه القمر المنير مليح التدوير واسع الجبين أسيل الخدين رقيق الشفتين غنج العينين أحمر الصدغين

مقوس الحاجبين عريض الكتفين لين المعاطف والكعبين رقيق الخصر كأنه صنع من لجين يسبي الأنام ويقطف الروم بالحسام (قال الراوى) وكان هذا الفارس من فرسان الروم المشهورة وأبطالها المذكوره لكنه عاشق وبمحبوبته رامق متيم ولهان حيران بحب أخت الملك عبد الصليب وقد خطبها منه فأبى أن يزوجه فخرج من ذلك يقصد ان يبين فروسيته وكان اسمه بولص وكانت مخطوبته فيه عاشقة وإلى وصاله شائقه وكانت تضاهيه فى الجمال وتفوقه فى الكمال وقد تعلمت الفروسية والحرب والنزال ولها فى المعامع أقدام الا أنها قد زاد بها الغرام فى حب هذا الغلام وقد أقسم عبد الصليب بالمسيح والانجيل أن لا يزوجها بعد ان شاع عشق كل واحد منهما بصاحبه فلما نزل عسكر الأمير عبد الوهاب عليهم أرسلت الصبية للغلام وقالت له اعلم ان الهوى والعشق قد غير أحوالنا وقرب آجالنا وقد أشرفنا من أمرنا على التلاف ومادام أخى عبد الصليب فى قيد الحياه ما يكون بيننا وصل ولا التئام وقد عولت انى أنزل الى عسكر المسلمين فان قتل أخى أقمنا على ما نحن فيه من ديننا وبلدنا ونتصل ببعضنا ولا يمنعنا مانع ولا يدفعنا دافع وان لم يقتل ونجاو انتصروا المسلمين هربنا اليهم وقلنا مقالتهم وخرجنا معهم الى أوطانهم فارسل لها بولص يقول نعم مارأيتى وحق المسيح ان دين الاسلام هو الدين الصحيح وايش هو الذى يقعدنا حتى يقتل أخوكى ولكن نهرب نحن الى المسلمين فهم يزوجونى بك من ليلتناو نبيت معتنقين واتفقا على ذلك ثم أنه نزل الى ميدان الحرب ومواقف الطعن والضرب فلما نظر عبد الصليب الى بولص فى تلك الأهبة دعاه اليه وقال له ياويلك يابولص ما قولك فيمن يزوجك فقال له بولص يامولاى وكيف لى بذلك ولو بذلت مهجتى فى جميع المهالك فلما سمع عبد الصليب منه ذلك قال له ما أريد منك مال ولا رجال ولكن أريد منك أمير المسلمين أسير أو قتيل وقد أوصلتك الى ماتريد وأكون أنا وأختى لك جوار وعبيد (قال الراوى) فلما سمع بولص ذلك من عبدالصليب قال له على ما طلبت وأنا آتيك بالذى وصفت ثم حملته نيران الهوى وصبابةالجوى وغرام الشوق والفنا وكان مع ذلك فارس لايطاق وعلقما مر المذاق سيما وقد علم ان الجاريةقطالون فى الصف ناظره اليه ومشغوفة عليه فوقف فى الميدان وموقف الضرب والطعان ونادى لايخرج الا أمير الجيش ومقدم العسكر فانى قد خطبت بسبب الوصال الى ذات الغنج والدلال التى فى قلبى منها نيران الاشتعال فلما سمع المسلمون ذلك من كلامه قالوا والله ما نترك الامير يخرج الى غلام مهابة للبطل اذا خرج الى غير أمثاله ثم انه خرج اليه

من بنى كلاب غلام أمرد كأنه حسام مجرد مليح القوام حلو الابتسام عالى المقام وهو على جواد أحمر مثل الشقيق قوى العصب دقيق وعليه تخاليق من الحرير الأزرق وعلى الفارس زردية داودية وبيضة عادية متقدا برمح خطى وكان هذين الفارسين يحكموا بحسنهم النيرين (قال) فتجاولوا وتقادموا وتطاولت نحوهما الأعناق وشخصت اليهما الاحداق وقامت الحرب على قدم وساق وارتفع عليهما الغبار فرغب بولص ولم يجد اصطبار ونادته برفيع صوتها يابولص انجدنى بقتل هذا الفارس فلما سمع بولص حديث محبوبته خشى انها تستعجز وأخذته الحمية من فرط المحبة والشوق فحمل على خصمه بقلب قوى وجنان جرىء ونظر الامير الى ذلك فعظم عليه وعلم أن صاحبه هالك فناداه : إيه ياابن العم اطلب الثواب من بارئ النسم وأقحم عليه كما عليك قحم فلما سمع صوت الأمير وكان صباح بن عامر الكلابى فناداه سمعاً وطاعة أيها الأمير ثم حمل على بولص وصاح فيه أدهشه واشتد بينهما القتال فعند ذلك لاصقه الامير وضايقه ومد يده اقتلعه من سرجه ونادى الله أكبر فتح ونصر وخرج به من المعمة وهو فى كفه أسير كالطفل الصغير ولما نظرت قطالون الى ذلك احترقت بنار السعير وزادت بها الغبون وأشرفت من عشقها على الجنون وقالت لأخيها عبدالصليب وحق المسيح إن كنت فعلت هذا ببولص إلا عامداً على قتله ثم انها خرجت الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب . هذا وقد سلم صباح بولص الى الامير عبد الوهاب فجعل الامير ينظر الى حسن ذلك الشاب ويقول : سبحان خالقك سبحان منشيك سبحان من خلقك من تراب . فهم فى الكلام وإذا بالجارية قد برزت وهى مضيقة اللثام وطلبت براز ذلك الغلام فخرج اليها أسرع من البرق وهو يظن انها غلام فحملت عليه وحمل عليها فرأى منها مالم يره من بولص وأخذ حذره منها لما رأى من حسن قتالها فجرى بينهما من الحرب مالا مزيد عليه حتى تقصفت الرماح واعتمدوا على ضرب الصفاح حتى طارت ولم يبق بأيديهما غير المقابض وضجرت من طول مقامهما الصفوف فلما رأت قطالون مانزل بها من الأمير صباح علمت أنها لاتصل اليه إلا بالحيلة عليه لما رأته شديد الامتناع قوى الذراع واسع الباع سريع الصراع لايرهب الموت ولا يرتاع عند ذلك كشفت الجارية عن وجه كأنه مصباح فتبلبل وجه صباح وكان وجهها يزيد على البدر حسناً ولايبقى لمن يراه ذهناً فلما رأى صباح ضياء وجهها الوضاح وقد رمته بسهم من ألحاظها فصاح : ويلك أجارية أنت فقالت نعم فلما عاينته أدهشته وعلمت أن سارية الحب علقت به وقادته ذليل حقير ووقفت بين الصفين وقد نظرت

إليها عيون الفريقين ونادت برفيع صوتها حتى سمع العسكرين ياعبد الصليب وحق المسيح ما أمرت بولص خرج الى قتال المسلمين إلا وأنت تريد قتلى ومابقى لنا عندك بعدها مقام وأخذت بالمأسورين معها ورجعت الى المسلمين ووقفت بين يدى الأمير عبد الوهاب وقالت خذ صاحبك ومن علىّ بحبيب قلبى ومالك عقلى ولى بولص ابن يوحنا أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهدأن محمدا رسول الله وعلى ذلك كنت معولة من حين نزلتم على خصمنا فأجابها بولص بالشهادة وختم الله لهم بالسعادة فعندها جاد عليهم الامير بالعطاء والخلع السنية وزوجها به ففرحا بذلك ودخل الإسلام فى قلوبهما . وأما صباح فانه بقى بالجارية مستهام ولاسيما وقد رأى بولص اجتمع شمله بشملها والجارية أسلمت من أجله فعند ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لأبيه عامر والله يا أبتاه لقد فاتتنى هذه الجارية (قطالون) وصرت بحبها مجنون وان كان الأمير عبدالوهاب مايطلبها منه ويزوجنى بها ليكونن سببا لقتله لأننى لاقصرت عنها ولو تلفت روحى فقال عامر ياصباح لابد ما أخاطب الأميرعنها فى فسخ هذا النكاح لعل يجمع شملك بها الكريم الفتاح ثم أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يامولاى أنت تعلم حلاوة الولد وأن ولدى صباح شغف بهذه الجارية قطالون وأصبح بها مفتون وأخشى عليه الجنون والولد مايهون وأريد أن تنظر لحالى وتقبل سؤالى وتجمع شمل ولدى بشملها وتصل حبله بحبلها فقال الاميراعلم ياعامر أن هذا ماصواب وإن كان ولدك أسر بولص فقد أسرت ولدك قطالون بحكمتها وما جاءت به الينا من غلبة ولا أخذناها من المعمعة والذى حملها على ذلك الشغف والهوى وقد هداها رب السما فاعترفت هى وصاحبها بوحدانية الله تعالى ورسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد صارت زوجته ولايجوز لى أن أمنعه ذلك وإذا رجعنا الى بلادنا نخبر قطالون فان اختارت إقامتها مع بولص فالأمر إليها ولا نخالفها وان اختارت أن تقبل صباح فهو المراد فلما سمع عامر كلامه علم أنه حق وأعاد ذلك على ولده فقال له ولده لاتطيل الخطاب ولا تكثر العتاب فقد رمتنى هذه الجارية بنبلة فى فؤادى وسلبت منى رقادى وان لم أتصل بها على كل حالة فإنى هالك لامحالة وان لم تزوجنى بها لأعملن عملا يكون فيه وهناً للإسلام وأقتل الأمير عبدالوهاب فضحك أبوه من قوله وقال له أنت عجزت تأخذ الجارية فى مقام الهياج يكون فيك للبحر العجاج وهو الامير عبد الوهاب فقال له آخذه بغتة وأملك الجارية سرقة وأدخل بلاد الروم حمية وأضرب رقاب الرجال وأعز روحى ولا أبقى تحت الضيم ولولا أن الجارية فى حومة الميدان أسفرت عن لثامها لما

سبتنى ولولا سهام عيونها رمتنى لما كانت أسرتنى (قال الراوى) ياساده فلما سمع الأمير عامر من ولده هذا الكلام عرف أنه ما يرجع لملام وحمل هم عظيم وقال فى نفسه الشباب شعبة من الجنون وهذا شاب وبطل شجاع وعمل معه العشق وأخاف أن يتم على الأمير عبد الوهاب أمرا من الأمور فيكون وهنا للاسلام وأطالب به بين يدى الملك العلام وخشية الله الواحد أحب من مراعاة الولد ولابدان أعلم الأمير عبد الوهاب بهذا الخطاب حتى يأخذ حذره منه ونكتفى شره وإذاسلم الأمير منه دعه يمضى الى أى موضع أراد فلا مرد لقضاء رب العباد ثم أنه أقبل على الأمير عبد الوهاب وقال له من قبل أن تحمل على الروم خذ حذرك أيها الأمير من ولدى صباح لايتم عليك منه مثل ماتم من أبى عرقوب اللعين فقال الأمير عبد الوهاب ولم ذلك فأعاد عليه القصة وجميع ما قاله ولده صباح فقال الأمير يا عامر جزاك الله خيرا إعلم أن ولدك صبي وما على قلبي منه مما تقول ولو حدثته نفسة بهذا فاننا نطمعه بالاتصال بها عند عودتنا الى البلاد فاما يموت أويقتل أو يبلغ الآمال وبعد ذلك فأنا مساعده لعل الله أن الجارية يحن قلبها عليه وترق له وتميل اليه حتى لايتقرب ولدك بالكفر بالملك الديان ويعبد الصلبان بعد الجهاد وتلاوة القرآن فشكره عامر على ذلك ثم أن الأمير عبد الوهاب دعا صباح اليه وأقبل عليه وقال له ياصباح أرى وجهك علاه الاصفرار وقلبك فيه وهن وانكسار فان كان من أجل الجارية قطالون فعلى ان أتسبب بكل سبب إذا رجعنا إنشاء الله الى ديارنا انى أوزجك بها وانا اقسم بالله انك أعز عندى من بولص فطاب قلب الامير صباح وخف ما به من الغرام واستراح فهو فى الكلام والروم حملت حملة واحدة فلمانظر الامير حمل وحملت أبطال المسلمين وفرسان الموحدين وصاحت فرسان الملحدين وزعقت المشركين وصاحت العلوج وتمايلت الابطال فى السروج وعاد النهار من الغبار كالليل وجالت الفرسان فى الميدان بالخيل وحكم الحسام والسنان وطارت الرؤوس فى الميدان وذهل من الهول كل انسان وبريت المعاصم من زنودها وزمجرت فرسان الحرب وأسودها وحمى الحديد على أجسادها وتهدمت أركان البطارقة من القتال وملاقاة الرجال وناح غراب البين على ربوعها والاطلال ووقعت الخيل فى حومة الميدان وبربرت الانجاب وزعقوا فى الرجال ومالوا على الابطال فعند ذلك رمت الروم بالنبال وطلبت مقاتل الرجال وبنى كلاب قومت الاسنه وأطلقوا الأعنه وأجادوا فى الروم الطعن والنزال ولم يزل الحرب كذلك الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فهنالك افترق الجيشان وعادت كل طائفة الى

مكانها وأضرموا النيران وتحارسون الفريقان هذا والغلام صباح قد أكثر النواح وزاد به الجوى والغرام ولم يأخذه منام وهو يراعى النجوم فى غسق الظلام فعندها أنشد وقال هذه الأبيات

رأيت الهوى سهلا إذا أمكن الوصل ومرّ مع الهجران لا بل هو القتل
رمتنى بألحاظ الجفون فأصبحت بها مهجتى ما أن لها غيرها شغل
فلا تعزلونى فى هواها فاننى نظرت الى شخص وليس له مثل
وقد قيل إن الحب أفنى لعروة ومجنون ليلى مات من كثرة المطال
أبات أراعى النجم منى كأننى أرى شده حتى يلوح لنا سهل
فان سمح الدهر الخؤون بوصلنا أكون لها عبدا إذا أمكن الوصل

(قال الراوى) ياساده يا كرام وقطالون ماعندها من هذا الغلام خبر لأنها تعشق بولص وبه تتيمت ومن أجل عشقه أسلمت فكان كما قال الشاعر المفضال

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا وأخرى بها مجنونة لاتريد
قريبة عهد بالوصال وانما هوى كل نفس أين حل حبيبها

(قال الراوى) ياساده ولم يزل صباح فى نشيد ونواح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت عساكر الروم وركب الأمير عبد الوهاب وقال لقومه اعلموا أن الأمر قد طال ولا أعلم ماجرى على الأميره ذات الهمه وأنا خائف عليها لأنها وقعت فى بحر زاخر ليس له أول من آخر وهذا اليوم يوم الانفصال وملاقاة الرجال وأنا أعلم ان القوم كثير لكن أطلب النصر من الملك القدير ولا بد لى ما أبرز الى الحرب ثم أنه برز فى حومة الميدان على جواد أشقر مليح القوائم شديد العزائم ديال الذنب قوى العصب طويل العنق فصار وجال ولعب فى الميدان وطلب البراز ورفع صوته هل من مبارز هل من مناجز يافرسان الروم من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا عبد الوهاب أسود بنى كلاب فعندها برز اليه فارس فى الحديد غاطس فقتله وثانى وثالث ورابع إلى أن قتل من أبطال الروم عشرين فارس ليوث عوابس مامنهم إلا ماهو بشجاعته منهم مشهور واسمه مذكور فعندها امتنعت الروم من الخروج اليه فصاح عبد الصليب ياويلكم ما الذى نزل بكم فهل هو إلا رجل مثلكم فقالوا أيها الملك ان المسيح

مافرض الجهاد إلا علينا ماهو على الملوك ولا خص به بطريق ولاصعلوك فابرز اليه أنت فانه أمير المسلمين وأنت ملك الروم وأحق مالقى الغريم غريمه والخصم خصيمه وكان الملعون كما ذكرنا غدار مكار صاحب حيل وخداع بمضاربة الرجال وكان شومدرس لما وصل اليه قبل وصول الامير الى الحصن وفتح له تلك الحيلة التى ماوصل اليها أحد وفارقه من الخيام وقال له مايمكننى المقام عندك لأن عسكر الأمير قد قصد حصن الدولاب وأنا ماضى أعمل على هلاكهم وقطع آثارهم حتى لا أدع يعود منهم الى بلاد الاسلام ديار ولا نافخ نار قبل أن يبلغوا المراد ويصلوا الى خلاص الأسرى (قال الراوى) ثم مضى وقد أسر اليه سر وعلمه ما يعمل وان عبد الصليب لما رأى ما قد تم على الناس من الأمير عبد الوهاب أقبل عليهم وقال لهم اعلموا اننى خارج الى هذا الفارس الذى نكل بالروم وما أصل اليه إلا بالحيلة والمكيدة وان وافينا القتال مع هؤلاء القوم أفنونا عن بكرة أبينا لأنى أرى كلما قاتلناهم ظفروا بنا وقد ملؤا الأرض منا وما يقتل منهم أكثر من خمسة أو عشرة ولم أعلم كيف هذا وأريد أدبر مكيدة علمنى إياها شومدرس وهى تكون سبب هلاكهم وسبب قتل أختى وبولص فقال لهم دونكم وإياى اخرجونى الى بين الصفين واضربونى بالسيوف صفحا ورجلونى عن فرسى وخذوا لامة حربى حتى ترى المسلمين ماجرى على ونادوا على مطرود : مطرود من باب المسيح وأنا أقول لكم إن دين الاسلام هو الدين الصحيح فتقولوا لابد لنا ما نقتلك شر قتلة فأنا أعتذر اليكم وأقول لكم انما أردت أن أنظر الى حميتكم لدينكم لما رأيت ما قد نزل بكم فأخاف قلتكم فردوا على لامة حربى وما يصلح للطعن والضرب وقولوا مانصدق فيما تقول ولانقول مالكنا ونقبل كل ما أردت وأمرت إلا أن تخرج الى هذا الفارس فانى سوف أخرج اليه وأهجم عليه وكيف رأيتمونى لاتتعرضوا لى فوحق المسيح لأملكن رقاب الجميع فلما سمعوا ذلك من كلامه أقبلوا عليه بالسيوف وأخذوه الى بين الصفوف وعروه عن اللباس وبقى بينهم عارى الجسد مكشوف الرأس ونظر الأمير الى ذلك فأنكر مارأى وأقبل على قومه ائتونى بقطالون وبولص فعسى يعرفون هذا الفارس الذى قد فعلت الروم به هذه الفعال فما هذا الأمر إلا أمر عظيم وخطب جسيم ولم تكن إلا ساعة حتى حضروا الاثنين ونظرت قطالون الى أخيها وما قد جرى له فقلقت عليه لأجل حنة الدم وقالت أيها الامير هذا أخى وحق البشير النذير مافعلت به الروم هذه الفعال إلا لأمر عظيم فقال الأمير عبد الوهاب فهل ترين أن أحمل عليهم ونخلصه من أيديهم لأجلك فقالت

قطالون يامولاى الأمر اليك فهم فى الكلام وإذا بالروم قد ردوا عليه ملابسه وما أخذوه منه وأركبوه الجواد وأشاروا بأيديهم الى الأمير وصاروا يكلمون عبدالصليب بالكلام الذى علمه لهم والملعون يحرك رأسه وكان هذا كله حيلة ومكرمن شومدرس اللعين وخرج عبد الصليب وهو منكسر النفس حتى حصل الى الامير وأقبل عليه وطلبه ونظر الأمير الى حملته فأخذ حذره منه وحمل عليه الأمير عبد الوهاب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وثار بينهما الغبار حتى غابا عن الابصار وهنالك وقف عبدالصليب ونادى الأمير عبد الوهاب بخطاب عاقل لبيب وقال على مهلك أيهاالامير الأجل الماجد والسيد المجاهد فى طاعة الملك الواحد الذى ليس له ولد ولا والد فلما سمع الامير هذا الكلام أمسك عن ضربه وقال له من أين لك هذا الكلام فقال يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب والسبب فيه أنى بت البارحة وأنامتفكرفى قتالكم فينا مع كثرتنا ونصرتكم علينا وكيف ومع هذا الاتفاق العجيب والأمر الغريب وقع النقص فينا وكيف أسلمت أختى واختارت دينكم على ديننا من غير داع أقبل اليها ولا ساع سعى اليها ولما طال فكرى فى ليلتى غلب على الكرى فرأيت فى منامى شخص أبيض اللون مليح الكون مقرون الحواجب واسع المناكب معتدل القامة بين كتفيه علامة ومعه أربع نفروهو بينهم كأنه القمر وقال لى ياعبدالصليب الى متى أنت فى شك من قول لاإله إلا الله محمد رسول الله فلماسمعت حلاوة خطابه قلت يامولاى أخاف من غضب عيسى ابن مريم إن صرت مسلما فقال اصبر على قليل ثم غاب وعاد ومعه رجل أشقر عليه آثار العبادة وهو بهى الطلعة فلما نظرت اليه قلت له من هذا فقال الشخص الأشقر أنا عيسى ابن مريم واشهد على ياعبدالصليب انى أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت منه ذلك قلت له انى قد رضيت لنفسى مارضيت أنت لنفسك ونطقت بالشهادة على يد محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لك أنت رفيقه فى الجنة يوم القيامة فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام رق قلبه ودمعت عيناه وكاد أن يغشى عليه فلما علم اللعين أن سهام حيلته قد نفذت وخديعته قد أثرت قال يامولاى هذا ما كان من منامى فلما أصبح الصباح أردت أن أخبر قومى بالخبر وما قال سيد البشر فأنكروا ذلك وأرادوا أن يقضوا على حتى رجع عقلى قلت لهم ياقوم انما أردت أن أنظر الى قلوبكم إن كانت قد تغيرت والآن قد زاد فرحى بكم فلما سمعوا كلامى عادوا الى تعظيما لى وإكراماً وقالوا مايزيل مافى قلوبنا إلا أن تخرج الى هذا الفارس والآن قد خرجت اليك وجددت إسلامى

على يديك وان شئت مضيت معك إلى عسكرك وان شئت سلمت الحصن فقال الامير عبد الوهاب هذا أكبر مرادى فكيف الوصول الى ذلك فقال أيها الامير انهزم الى الحصن وما فى قومى إلا من ينهزم اذا رآنى انهزمت واذا أسدل الظلام ينفرد منكم مائة بطل همام ويقصدون البرج الذى فوق الباب وعليه القبة العالية فإنى هناك لكم فى الانتظار فان قدرت على فتح الباب فتحته وان لم أقدر دليت لكم الحبال وتصعدون عليها فاذا طلعتم بأجمعكم وصرتم فى البرج فتحت الباب وضربناهم بالصارم البتار ونطلب النصر من رب الأرباب (قال الراوى) وأن الامير ولى منهزماً وطلبه عبد الصليب مصمماً وأشار الى عسكره فحملوا وقد أنكروا أمر الامير يريدون خلاصه ونكلت بنى كلاب فى الروم ولم يحسب عبد الصليب أن الروم يتفق لها هذا الأمر المذموم لأنه ظن أنه اذا انهزم لا تلحقهم المسلمين إلا وهم فى حصنهم سالمين فكان الامر بخلاف ذلك فانهم لما انهزموا تعلق الى الجبال منهم جماعة وجماعة دخلوا الدروب طالبين حصن الدولاب وما دخل معهم الحصن إلا كل فارس فلما صاروا فى حصنهم وأغلقوا عليهم بابهم وجعلوا يندبون أصحابهم وكان هذا الحصن واسع فأقبلوا البطارقة على عبد الصليب يلومونه وقالوا له ما كانت هذه الحيلة إلا علينا لا لنا وقد قتل منا عالم عظيم فقال اعلموا أن اسوة فى الحصون من أهل العز المصون ملكت أطلالهم وقتلت رجالهم ولنا أمل من المسيح أن يأخذ بثارنا فى هذه الليلة ويكشف عنا ما بنا وقد دبرت على انه يأتينا الليلة منهم جماعة قدر مائة بطل فان تم عليهم ما قد دبر فهو سبب رحيل هذا العسكر عنا فقالوا له ماهو إلا رأى سديد ثم انهم صبروا الى أن انسدل الظلام (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما رجع الى العسكر وقد ذهب عسكر الروم وانكسر وغنموا المسلمون غنيمة عظيمة ورجعوا الى مواضعهم وقالوا للأمير عبد الوهاب أيها الامير مالنا رأيناك قد هربت وماذلك إلا لسبب من الأسباب فأخبرهم بالخبر فقالوا الحمد لله الذى سهل لنا أخذ هذا الحصن وفتحه حتى نمضى الى الاميرة ذات الهمة وما ندرى ماقد كان منها (ياساده) فلما سمعت قطالون بما قال عبد الصليب ظنت أن ذلك حقا وأقبل بولص على الامير وقال يامولاى أنا خائف من عبد الصليب أن لا يزوجنى بأخته قطالون فقال له الامير لا تشغل قلبك فان الكفر اذا ذهب من القلب ذهب الغل والغدر فلا ترجع تسميه عبد الصليب بل هو عبد الله وبقى الامير على ذلك إلى أن انسدل الظلام واختار الأمير من المسلمين مائة بطل همام لهم خبرة بالضرب بالحسام من وجوه بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) وكان الأمير أبو الهزاهز قد مضى

مع الاميره وسار الامير مختفى حتى وصل الى باب الحصن ثم وقف وإذا بهمهمة عبد الصليب فقال الامير عبد الوهاب ذهب الشك ياأبطال المسلمين وأتى الفرج من رب العالمين فقالوا الحمدلله الذى قرب منا البعيد وهون علينا كل صعب شديد (قال) يشد وسط أصحابه واحد بعد واحد وكان الملعون عبد الصليب اا رأى وصارالأمير مقبلا بأصحابه أقام عنده خمسمائة بطريق بالسيوف المجردة وأمرهم أن كل من طلع ما يكون بكم همة إلا القبض عليه من وقته ويهولون عليه بالقتل ففعلوا ذلك وشد الأمير من جماعته واحد ورفعوه فما لحق أن يقف على قدميه حتى مسكوه وما زالوا يقبضوا على كل من طلعوه واحد بعد واحد حتى أسروا الجميع عن بكرة أبيهم وكان آخر من صعد الامير عبد الوهاب فما استقر قائما على قدميه حتى قبضوا عليه وكان من خبثهم اذا قبضوا على واحد منهم نزلت به البطارقة الى وسط الحصن الى أن أسروا المائة فارس من بنى كلاب الأعيان ومن السودان الأنجاب وملكوا الاميرعبدالوهاب وقيدوهم بالقيود الثقال وجعلوا فى أعناقهم الأغلال . هذا بعدأن خلعوا ما كان عليهم من الثياب الملاح والعدد والسلاح وأمر عبد الصليب البطارقة أن يلبسوا ثياب المسلمين فلبسوها ثم فتح باب الحصن وكان الأمير عبد الوهاب أوعدهم ليدخلوا عند فتحهم الحصن كما قرر معه عبد الصليب الملعون وكان هذا جميعه من تدبير شومدرس الملعون وما رتبه وأسره إليه (قال الراوى) ياساده وسارت بنو كلاب قليلا قليلا إلى أن وصلوا الى باب الحصن وفتح الباب وقد أوقف عبد الصليب البطارقة وفى أيديهم السيوف وهم فى زى المسلمين وقالوا لهم ادخلوا بلاصياح فجعل الناس يدخلون عشرة عشرة ولا يدرى الإنسان بنفسه إلا وقد ملك وحلقه قد مسك حتى أخذ من المسلمين من بنى كلاب ثلاثة آلاف ومن السودان ألفين ثم ان ميمون الجماس قال للناس : ويلكم امتنعوا من الدخول فوالله لقد رابنى أمر هذه الليلة فقالوا له وكيف ذلك قال ياقوم ما دخل أحد وسمعت له خبر ولا وأينا للظفر أثر وما أهل الحصن أموات حتى يدخل اليهم خمسة آلاف فارس ومايشعرون بهم والله لوكان الأمر يدل على خير وكان الأمير عبد الوهاب من أول ماطلع فى المائة الاولى كان فيهم كفاية لأهل الحصن ولكن ماهذا إلا حال مريب ثم انه منع الناس من الدخول ووقف ينتظر التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فلم يرى لذلك أثر فقال لقومه : ألم أقل لكم إنها مكيدة وكل من دخل الى الحصن صار هالك فلاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعوذ بالله من شر هذه الليلة فطال عليه الوقوف والانتظار وإذا

بالباب غلق ورموا المسلمين من فوق الصور بالحجارة وكثر الهرج والمرج بالأبراج وصيح الحصن بصياح الاعلاج ثم نادوا من على الأصوار ياشلوح العرب وحمالة الحطب ويلكم أحسبتم أن المسيح يغفل عنكم أو يترك أحدا يخلص منكم ألا ان أصحابكم قد ضربت رقابهم وأخذت أسلابهم وفى غداة غد نرميكم برؤسهم ونخرج اليكم ولا نبق عليكم (قال الراوى) ياساده فلما سمع ميمون الجماس هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وعاد وهو يقول يالها من مصيبة ما أعظمها وللظهور ما أقصمها (ياساده) ورجع ميمون الجماس وسائر الناس إلى المنزل الذى كانوا فيه وأضرمت النيران وقد مليت قلوبهم أحزان وكثر البكا فى عسكر أهل الايمان على من فقدوه من الأمراء والإخوان وقالوا والله لقد رزينا برزية وبلينا ببلية ما وقعنا فى مثلها قط من قبل ومن بعد والأميرة غائبة ولا نعلم ماكان منها والأمير عبد الوهاب قد أخذ ولا بقى عندنا فارس مذكور ولا بطل مشهور ومالنا إلا الرحيل إلى ورائنا إلى نهر الدم فنكون فيه إلى أن يقضى الله ما هو قاض لأن الطريق الذى بيننا وبين الأميرة قد سدت وأبراجها تحصنت والدروب مقفولة والطير ما تقدر عليها وما تصل اليها فقالت لهم قطالون والله لقد عجبت أن أخى يسلم ويكون قط مسلم هذا جرى من المسلمين (وأما الملعون عبد الصليب) فانه لما احتوى على الأمير عبد الوهاب ومن معه من السودان وبنى كلاب بتدبير الملعون أبو الشر شومدرس ورجع باقى المسلمين ونزلوا فى الميدان قال عبد الصليب للبطارقة ان السيد المسيح قد أخذ لكم بالثار وكشف عنكم العار وكل من قتل له قتيل يأخذ واحد من المسلمين الذين هم عندنا مأسورين فان المسيح قد شفى صدوركم منهم وعندى رأى إذا فعلتوه نلتم غاية الشرف والمنا وظفرتم بالأعدا فقالوا وما هو أيها الملك قال تفتحون الحصن يخرج عليه عسكر كامل العدد زائد المدد ويكسر باقى العسكر ما أقول ان يبقى منه باقيه (قال الراوى) ثم إن الملعون جمع عشرين ألف من الروم وقصدوا عسكر المسلمين وكان ميمون الجماس فى غاية الحزن على من فقد من الناس وهو يقول والله ما أنا منهم ان يخرجوا الينا فنكون من أمرهم على حذر (ياساده) فهو معهم فى الكلام وإذا هو يسمع صهيل الخيل فى ظلام الليل فعندها وثب ميمون الى سرجه وهو مريض من جراحه ووثبت الرجال على خيولهم وما وصل الملحدين الى عسكر الموحدين حتى أخذوا المسلمين أهبتهم واعتدوا بعدتهم وحمل بعضهم على بعض وارتجت بهم الارض فى الطول والعرض ودام القتال واشتد بينهم الحرب والنزال إلى أن ولى الليل بظلماه

وأقبل النهار بضياه وقد امتلأت الأرض من القتلى وسالت الأودية بالدما ولما وقعت العين على العين كانت المسلمين أربح من الروم لأنهم قتلوا منهم عالم عظيم (قال الراوى) وان القوم رجعوا عن القتال الى حصنهم وقال بعضهم لبعض اعلموا أن هؤلاء القوم قد استقتلوا وان لم نصعد الى حصننا ما يحصل لنا منهم خير فدعهم يقيمون ما أقاموا فلا بد أن يقل زادهم وعددهم ويطلبون الحصن الذى خلفهم فقالوا لهم هذا هو الصواب وكانوا قد نزلوا عشرة آلاف وبقوا ستة آلاف وعبد الصليب قد ملا الحبوس والمطامير من الرجال فقالوا الروم أيها الملك ما الذى تنتظر بهؤلاء المسلمين المأسورين وقد قتل منا عالم عظيم فقال لهم عبدالصليب اعلموا أن هذا ما هو منى ولا بتدبيرى وإنما هو بتدبير عالم النصرانية وإمام الملة المسيحية شومدرس وإنه قال من وقع فى أيديكم هذه المرة فلا تقتلوه لأن فى قلبى منهم حرارات وأريد أستشفى منهم إذا قتلوا بين يدى وأنا ما أقدر أخالف عالم النصرانية وبعد ذلك لا أدرى ما كان من العسكر الذين دخلوا الى حصن الدولاب مع أنى أعلم أنهم خلق كثير وعساكر المسلمين يسير غير أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك والأيام دول وما أدرى ما يكون من الملك الاشميطش ومن رجاله وعسكره وأصحابه وما بقى ملك غيره والمسلمون قد دخلوا دياره فاذا ظفر بهم الملك الاشميطش فأنا أمكنكم من هؤلاء تضربون رقابهم فان هذا كله من خوفى عليكم لأنه لوكان المسلمون رجعوا اليكم ما كانوا يبقون عليكم فاعلموا ان أصحابكم قد قتلوا أصحابهم فلما سمعوا ذلك من كلامه استصوبوا رأيه وقالوا هذا هو الصواب (ياساده) ثم ان عبد الصليب ادعا بعشرة من البطارقة وقال لهم اذهبوا الى حصن الدولاب وانتظروا ما تجدوا من الأخبار وما كان من الأسيرين الذى بعث عبد القداس يأتى برؤسهما وانظروا أيضا ما كان من العسكر الذى عبر فقالوا سمعا وطاعة ثم صبروا الى أن اختلط الظلام وخرجوا طالبين حصن الدولاب بعد ما أوصاهم وقال لهم إذا أنتم وصلتم الى الملك الكبير الأشميطش خبروه عما صنعت وما أشرت به عليكم وان رأيتم شيخ العلم وصندوق الحكمة ورحمة المسيح النازله وبركاته الشاملة أبو الشر شومدرس فأقروه منى السلام وخبروه أن الحيلة تمت وأبطال المسلمين فى شركنا وقعت فيسرع إيابه فانى فى انتظاره كيما يحضر قتل الاسارى ثم ان البطارقة صبروا الى أن دخل الليل وأرخى على الأقطار ذنب وذيل وطلبوا باب الدروب ليخرجوا منه فصاحوا عليهم الاعلاج من أعلا الابراج فعرفوهم بأنفسهم وعبروا واحد بعد واحد لان المكان قد سد

بالأحجار كما ذكرنا وصاروا طالبين حصن الدولاب هذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ميمون الجماس فان أصحابه قالوا له ما الذى تنتظر فان الأمير مالنا اليه وصول ولا الى الحاقه من سبيل ومقامنا هاهنا ما له وجه تقرب بنا الى الحصن الذى وراءنا إلى أن يمن الله علينا بالفرج فقال ميمون الجماس ما أنا بفاعل هذا أبدا وعوض ما نكون فى الحصن نكون فى هذا الموضع نازلون حتى ننظر ما يكون من أمر الأمير وأصحابه لعل يأتى فى العرضيات مالم يكن فى النيات أو كما قيل يأتى من ألطاف الله ما لم يكن فى البال وإقامتنا هاهنا فى مقابلة الكفار خير من رحيلنا من عندهم (قال الراوى) ياساده فأقاموا مكانهم ينتظرون الفرج من الملك الجبار مدبر الليل والنهار (ياساده يا كرام) وأما الأمير عبد الوهاب فانهم أنزلوه هو وأصحابه الذين معه فى سرداب وأقبلوا بنى كلاب يلومونه ويقولون له خدعك هذا الملعون بخديعة ماسبقه اليها أحد فقال لهم الأمير دعوا عنكم الملام وقلوا من الكلام كان ذلك فى الكتاب مسطورا وقد قال الشاعر حيث قال :

إذا أراد الله أمرا بامرىء ... وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذناه وأعمى قلبه ... وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفذ من حكمه ... رد اليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى ... فكل شىء بقضاء وقدر

(قال الراوى) ياساده ثم قال الاميران الملعون ماخدعنى إلا بذكر رؤياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الذى خدعنى من أجله وألقيت فى المطموره بسببه يخلصنا من الوثاق ويفرج عنا ضيق الخناق (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من حصن الدولاب والملك الأشميطش فانه أتاه كتاب من عبد الفداس يأمره بقتل علوى وابراهيم وانفاذ رؤسهما فأنفذ الى الأقاليم الذين له وأهل رساتيقه وأمرهم أن يحضروا قتل الأسيرين ويكون اجتماعهم يوم الأحد (ياساده) فاجتمع من الروم عالم عظيم وكان اجتماعهم على قنطرة النجم ومرج الياسمين وهذا مرج أفيح واسع الجنبات كثير الزهر والنبات فصار فيه خلق كثير أعظم من عيد الصليب وعيد الشعانين ولما كان يوم الأحد خرج الملك فى خواص قومه وقد ضرب له سرادق من الديباج الرومى حباله من الأبريسم الملون فنزل على قنطرة النجم وانعقد على رأسه خمسة آلاف صليب مابين ذهب أحمر وزبرجد أخضر وأصفر مرصع بالدر والجوهر وأخرجت علوى عارية الجسد مكشوفة الرأس مكتوفة اليدين والنواقيس تضرب عن أيمانهم

وشمائلهم والسياف من وراء ظهورهم حتى وصلوا بهم الى الخشب الذى نصب لهم ووقف السياف ينظر أمر الملك والأمير ابراهيم مشتغل بقراءة سورة الأحزاب والأميره علوى مشغولة بقراءة سورة الأنعام والناس مجتمعين من الرجال والنساء المتفرجين وفى أيديهم الحجارة يقصدوا بها رجمهم بعد القتل وفى تلك الساعه وصل أبو محمد البطال وجد السياف قدتقدم الى علوى ومسك بزوائبها منتظر الأمر ويعلوها بالسيف وهى صابرة لحكم ربها راضية بقضائه وهى تقول إلهى وسيدى قد أهانونى أعدائك لأجل اعترافى بدينك وقد عولوا على قتلى لاقرارى بتوحيدك اللهم أنزل على الصبر فوعزتك لا عبدت سواك (قال الراوى) ياساده وان بعض الرهبان نظر الى حسن بدنها وسواد شعرها فقال للملك يامولاى هذه امرأة ضعيفة وما هى صاحبة سيف فتخشاها فهل لك أن تدعوها الى دين المسيح فلعها أن تدخل فيه وتصير نصرانيه وتتبرأ من دين الحنفيه ويكون لك الأجر من السيد المسيح فقال الملك الأشميطش ما أدرى من أيكم أسمع فانى وصل إلى كتاب من عند الشيخ العالم شومدرس وهو يأمرنى بقتلهما لكونهما مؤمنين فقال الراهب واذا تنصرت فتقدم اليها وأعرض دين النصرانيه عليها فلما سمع الراهب كلامه تقدم اليها وقال لها اعلمى أنه قد وقع رحمتك فى قلبى والثانى مؤمل أن تنتقلى الى دين المسيح ولك الأمان من الملك من القتل وبعد ذلك أنا أتزوج بك وتنظرى معى مالا رأيتيه فى بلاد الاسلام وان تنصر ولدك هذا يعنى ابراهيم فأنا آخذ له من الملك الأمان ويكون عندى فى ألذ عيش وأطيب زمان فلما سمعت الاميره علوى كلامه وما نطق به من خطابه أجابته بصوت جوهرى يسمعه القريب والبعيد أيها العبد الضال أما علمت أن المسيح عبد الله كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز قال « إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا » فوصف نفسه بالعبودية حتى لايعتقد فيه نوعا من أنواع الألوهية ثم وصف نفسه بالنبوة حتى لايخرج عن صفة البشر ثم قال « وأوصانى بالصلاة » فوصف نفسه أنه مكلف بالعبادة مثل غيره والله أول ما يسأل عيسى عليه السلام عن رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول قد بلغتها قد قال الله تعالى « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأما ان دينك قديم والقديم أفضل فلو كان ذلك حتما لكان ابليس أفضل آدمى فى الارض لانه أقدم من دينك وأن قولك تنصرى وولدك وآخذ لكما الأمان من الملك فان كان حتما فمن يأخذ للملك الأمان من النيران إذا سودت الالوان ونشر الديوان وبلغ العرق الى الاخنان وبان الربح من الخسران ولايبقى بعد ذلك حسب ولانسب ولافضة

ولا ذهب ولا أولاد ولا غلمان وصارت السماء وردة كالدهان وعرفت يومئذ أهل الكفر من أهل الإيمان وسعرت النيران وزخرفت الجنان فلا نجاة يومئذ إلا لمن وحد الواحد الأحد الفرد الصمد الذى تنزه عن الزوجة والولد ورفع السماء بغير عمد وأقر بالرسالة لمحمد سيد البشر . وأما قولك انى أكون لك قرينة فهو مالا يكون أبدا وكيف يكون ذاك وقد قال الله تعالى : (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولوأعجبكم) وأما قولك انك رحمتنى فأين أنت من رحمة ربك وأنت تنزه نفسك عن صحبة الزوجة والولد ولا تنزه الفرد الصمد (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع الراهب ذلك من كلامها وما نطقت به من خطابها لم يقدر على رد كلمة من جوابها وانه رجع الى الملك وقال له ياملك اصلبهم ولا تخاطب أحدا منهم فان هذه المرأة تستحق الصلب بعد الضرب فعندها زحفت الروم اليها بجحف عظيم فبينما هم كذاك وإذا بالصياح يصيح خلوا عنها يا أعداء الله فقد أتاها الفرج من رب الأرباب وإياكم أن تقتلوها فتأخروا عنها فعندذلك نظروا الروم الى الصائح وإذا قد أقبل بطريق مليح رشيق يصيح بالرومية بلسان طليق ومن حوله راهبين وشماس بأحسن هيبة ولباس وشعور مسبولة على الأكتاف والصلبان على صدورهم والزنانير مشدودة على الخصور فلما نظر الملك الى ذلك البطريق أجلسه ورفع قدره وبجله وقال له من أين طريقك فقال من عند أخيك عبد الفداس وإنى كنت غضبت على ملك القسطنطونية منويل ولم أجد لى صبر على الإقامة عنده لما وقع بينى وبينه وما كان لى إلا أن أتيت الى الملك سكندروس لأن منويل ما يقدر يأخذنى منه ولى اليوم عنده عشر سنين فى عيش كريم إلى أن أتتنا المسلمين وملكت الحصون وقتل من اخوتك أربعة ومابقى عندهم غير الملك سكندروس وهو حاجبى والمفضل على وبه سلوت وطنى ومسكنى وأنا كنت هربت مع من هرب الى الملك عبد الفداس مع بقية الناس لما أسر صاحبى سكندروس وسألنى عبدالفداس عمن قتل من اخوته فأخبرته أنه بقى مع المسلمين ألفين من بطارقة الحصون ممن يقول كرياليسون والملك سكندروس وقد طابوا فى مقاباته ومقابلة جميع البطارقة هذين الأسيرين اللذين تريد قتلهم فلما سمع عبد الفداس منى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال قد كنت أقول انه مابقى من اخوتى غيرى وما قد قالوا لى المنهزمين وقد كتبت كتاب الى أخى الكبير وهو الملك الاشميطش أن يقتل الاثنين وينفذ الى الرأسين وإن أرسلت اليه الساعة أقول دعهم أخاف أن يستقل عقلى وينسبنى الى قلة المحصول ولكن أنا أقاتل هؤلاء المسلمين

وسر أنت على عجل وأدرك الأسيرين قبل أن يفرط فيهما الفرط وقص القصة على الملك وخذها وعد إلىّ سريعا حتى أبصر ما يكون من الوقعة فان كانت لنا فهو الذى نريد وان كانت لهم نفادى بالأسيرين كل من عندهم فهم عندهم فى أعز الكرامة والإعظام وإلا أيها الملك ان الملك عبدالقداس معول غداة غد على القتال فانظر ماذا ترى وأرسل معى من يحفظ الاسارى ويطلب أقرب الطرقات الى العسكرين فقال الملك سمعا وطاعة وقد سلب عقله كلام ذلك البطريق وقال له ياأبونا عسى أن يخلص أخى سكندروس بسعادتك ومع ذلك فسوف أمدكم برجال أولهم ببرج الرياح وآخرهم ببرج الياسمين وأريك كيف أنتقم من المسلمين وأريد أيها البطريق تقيم عندى الليلة وتأكل طعامى الى غداة غد تسير فى أمان فقال البطريق مالى الى هذا من سبيل والقوم فى غاية الوجل (قال) فلما سمع كلامه قال أحضروا الطعام بعد أن نزلوا ابراهيم وأمه علوى إلى ذلك البطريق فحققته علوى وإذا به أبو محمد البطال ففرحت بذاك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد فأعلمت ولدها فى السر بالإشارة وقالت له أبشر ياولدى فقد أتانا الفرج من عند صاحب الفرج فان كان فى الدنيا أبى محمد البطال وهو فى الحياة فهو هذا البطريق لامحالة ياسيدى فطاب قلب ولدها ابراهيم بذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام وأما الملك الاشميطش فانه أكل مع البطال ثم خلع عليه وعلى غلمانه وأخذ بيده على انه إذا وقعت المفاداة بالاسارى ورحل عسكر المسلمين تعود الى عندى فقال أبو محمد سمعا وطاعة وحق المسيح لابد لى من العودة إليك قريب ولكن لاتشغلنى فانى سائر قبل أن يفرغ من أخيك الأجل ولاينفع بعد ذلك عمل فقال له الملك إذا عولت على الرحيل فارحل (ياساده) ثم ألبس الأسيرين ثيابهم وأركبهم على خيول بمراكب من الذهب وأمر عشرة من خواصه أن يسيروا فى خدمته وقال لهم سيروا مع هذا البطريق خدمة له وتحضروا عنده فى وقت الفداء فان وقع قتال فلا تخلوه يباشره فانى اصطفيته لنفسى ورضيت به يكون عشيرى ونديمى وقسيمى فى ملكى وان لم يقع فداء فليأتينى واحد منكم حتى أسير اليه عسكر يسد الفلا ويضيق به المرج فاذا ظفرتم بعدوكم وانهزم فعودوا الى وهذا البطريق معكم فقالوا سمعا وطاعة (ياساده) ثم خلع على البطال خلعة سنية تسوى خراج ملطية وأركبه بغلة زرزورية تسبق الخيل العربية وتقطع البرارى الخلية (قال الراوى) فساروا بعلوى وابراهيم ثم ان الملك الاشميطش نظر الى البطارقة الذين قدموا من الحصون الصغار والقلاع التى حول حصن الدولاب والقرى والرستاق كيما يحضرون قتل المأسورين وصلبه

المسلمين فانهم صعب عليهم اذا لم يتم ذلك فأمر الملك بذبح الذبائح ومدت السماطات وزعقت البوقات وسكبت الخمور وارتجت الدنيا بالطبول والزمور وأمر أن يوفوا يومهم بالفرح والسرور (قال الراوى) ثم ان الملك الاشميطش نظر الى البطارقة والقوم الفرحين المسرورين فرأى خلقا كثيرا (قال الراوى) فهو كذلك واذا بغبار قد طلع وكان سبب ذلك أن الأمير أبو محمد البطال الذى تزيا بزى بطريق لأنه لما سار ومعه الامير ابراهيم والاميره علوى وأن أبا محمد التصق اليهم وقال لهم أبشروا بالفرج من عند صاحب الفرج إن شاء الله تعالى قد جمع الله شملكما بالعودة الى الوطن بعد طول الغيبة وكانت الاميره علوى وولدها الأمير ابراهيم قد مكثوا فى الأسر فى حصن الدولاب ثلاث سنين ولهم منذ أخذت ملطيه أربع سنين وقد طالت غيبتهم وساءت حالتهم وشابت من الأهوال رءوسهم (ياساده) فلما سمعا تهنئة أبى محمد لهم بالسلامة والفرج جرت دموعهما على وجناتهما وأشار ابراهيم يتمثل بهذا البيت العظيم :

ما أظن الزمان يأتى بهذا　　غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) ياساداه ياكرام ثم ان الأمير ابراهيم قال له يا أبى محمد كيف الأمير عبد الوهاب فقال على غاية السلامة وما كان لنا هم غيركما وخلاصكما فجد الآن فى السير فاننا فى وسط العدو ولا نأمن من أن يلقانا فى الطريق البطارقة الذين أرسلهم الملعون إلى حصن الدولاب لأجل النظر إلى صلبكم لأن الروم من حولنا كثير وكذلك هؤلاء البطارقة الذين أرسلهم الملك معنا فهم أبطال الروم فقال ابراهيم ياأبى محمد اعطينى سيفك وترسك وقد كفاك الله مؤنة هؤلاء البطارقة ولو كانوا ألف فارس من كل بطل مداعس وأنا الذى لا أرجع أسلم روحى الى الأعداء أو أشرب كاسات الردى فان شئت فأنا أقتل هؤلاء العشرة وأنهب أرواحهم ونأخذ جميع سلاحهم ونمضى فى أمان الله تعالى فقال الأمير أبى محمد لايمكننا ذلك لأن القلوب مشغولة وأنا أعلم أنه لابد أن يلقانا من الروم من يسألنا عن حالنا وهؤلاء معنا فلا نتعرض لهم حتى نبصر ما يكون من الخبر (قال الراوى) ياساده ياكرام وساروا حتى ارتفع النهار ووصلوا الى عيون النيل وهى فى وادى عميق القرار قليل الأشجار وإذا عنده أربعمائة فارس على الخيول العوابس بأيديهم الرماح الخارقة والسيوف الماحقة وهم مع بطريق يقال له قسطون ابن قالا وهو من رجال عبد القداس وكان عبد الصليب قد جعله فى البرجين اللذين على رأس الدرب كما ذكرنا وهو مسدود وكانت خيولهم ترعى فى المرج من جانب مرج الياسمين وانه لما سمع

بمن قتل من الروم عظم عليه وكبر لديه وعلم بمن أسر من المسلمين فأرسل الى عبد الصليب يقول له اقتل الاسارى الذين عندك فقال حتى أبصر ما يكون من العسكر الذى دخل الى حصن الدولاب فلم يسمع ونزل من البرج وركبت البطارقة الذين معه ولم يعلم أن الطريق فى أثر الأميرة ذات الهمه وصعد فى غير الطريق وعبر فى لحف الجبل ونزل فى أعقاب شامخة وقاست الخيل منها مشقة عظيمة لكنها معتادة بها فخرج من عند عيون النيل وهو يظن أن عسكر المسلمين قد عبروا وكانت الاميرة ذات الهمه قد وقعت فى سبخة ولاح لها الأثر فى الطريق الذى سار فيه البطريق قسطون والاربعمائة بطريق عند ذلك قالت الاميرة ذات الهمه هـذه الطريق قد انكشفت وهى لاشك تدل على أعقاب وأودية فانزلوا فى لحف الجبل نستريح ونريح الخيل فى هذا اليوم وهذه الليلة وارحلوا فى غداة غد فقالوا لها قومها والله لقد كنا على هذه النية وأردنا أن نخاطبك بهذا المعنى ثم قلنا لنا أسوة بها ثم نزلت الاميرة ونزلت الناس قال هذا جرى لهؤلاء (وأما ماجرى) للأمير أبو محمد فانه لما سار بالامير ابراهيم ولد الامير عبد الوهاب وأمه علوى وغلمانه والبطارقة العشرة التى من قبل الملك الاشميطش (ياساده) وأن الامير أبو محمد لما وصل إلى عيون القضب ووجد البطريق قسطون بن قالا الذى تقدم ذكره ومعه الأربعمائة بطريق وقد أيقن أبى محمد بالعطب ولم يجد سبيل إلا الهرب وقال للامير ابراهيم انظر الى هذه النوبة التى لم تكن فى الحساب فقال الامير ابراهيم يا أبا محمد خذ عدة بعض غلمانك واعطينى عدتك التى معك فأنا أؤمل من الله تعالى أن ما يأتى آخر النهار وقد بقى منهم أحد ولو كانوا بعدد ورق الشجر فضحك الامير أبا محمد من قوله وقال صحيح أنك ولد الأمير عبد الوهاب ذلك السيد المهاب وليث الغاب وسيد بنى كلاب فقالت الاميرة علوى يا أبا محمد دعنا الساعة من هـذه الصفة وانظر فيما يؤدى الى الخلاص فقد ضاق صدرى وعيل صبرى وحرت فى أمرى وانهتك بين الأنام سترى فقال الأمير أبو محمد مافى الأمر إلا أننى أنزل اليهم وأعمل فى خديعتهم (ياسادة) ثم نزل ونزلت البطارقة لنزوله فلما استقر بهم الجلوس أقبل أبو محمد على أصحابه الروم وقال لهم يكون بالكم من الأسارى الذين معكم حتى أمضى إلى هؤلاء القوم وانظر فيم ذا أتو ثم انه سار إلى عند قسطون وهو يظن أن أبا محمد من بطارقة الملك الاشميطش فقال له أبى محمد من أين طريقك فى هذا الوقت الذى لايستغنى الملك عبد القداس عنك فقال قسطون وأين عبد القداس من ذاك قد شرب

من الموت أمر كاس فأظهر أبي محمد التوجع والتفجع فقال ومن قتله فقال قسطون قتله أقوام ألوانهم مثل القطران وكلهم سودان يفزع منهم الانس والجان فلما سمع أبي محمد قال فما فعل عسكره قال قتل منهم أربعون ألف وتفرق الباقون فى الجبال مما عاينوا من الأهوال وقد رجع المسيح لطف بنا وملكنا بمشورة الشيخ شومدرس أمير المسلمين عبد الوهاب ومعه أربعة آلاف من الاصحاب ومع ذلك فانى أشرت على عبد الصليب بقتلهم فلم يفعل وأنا أنفذت الى الاشميطش الخبر وأوقفته على جلية الاثر (ياساده) فحين سمع أبي محمد ذلك قال فى سره لا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم نحن قد عملنا فى خلاص المأسورين يؤخذ الامير عبد الوهاب ومعه أربعة آلاف بطل (قال الراوى) وأقبل قسطون على أبي محمد وقال له من أين أقبلت قال من عند الملك الاشميطش قال بماذا قال : قال امضى الى عبد الصليب ابن أخت الملك عبد القداس وقول له الملك يأمرك بقتل الاسارى الذين عندك فان كنت تريد الاشميطش فسر من ساعتك اليه فانه على قنطرة النجم وهو يخلع على البطارقة ولهم اليوم سماط عظيم فارحل كيما تدرك الملك فى حال فرحه (قال) فلما سمع قسطون ذلك من كلام أبي محمد أمر البطارقة بالركوب فركبوا وزحف بهم وقال لابى محمد إيش عندك أيها البطريق من خبر عسكر المسلمين الذين دخلوا اليكم وقدموا عليكم فقال أبي محمد ماعندنا من ذلك خبر وعسكرهم الينا ما عبر فقال له قسطون بلى وحق المسيح قد عبر علينا عسكرهم من أربعة أيام وما ظننت الا أنهم سبقونا وما أرى لذلك تأثير على أننى ما أتيت الا من طريق عقبة للطير من خوفى منهم فإذا كانوا ما عبروا فما هم إلا قد وقعوا فى الطريق السبخة بلا محالة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع أبي محمد ذلك ورد عليه أمر عظيم وقال أنا أسير بأصحابى فى طريق عقبة الطريق التى سلكتها ورجع أبي محمد الى أصحابه فقالوا له من أين أتوا هؤلاء فقال من عند عبد القداس فى شغل وسر لا يطلع عليه أحد إلا الملك الاشميطش فسيروا بنا الساعة حتى نلحق القوم من قبل أن يفوت الامر فيهم ثم ركبوا وأقبل قسطون ومن معه على بطارقة الاشميطش وسلموا عليهم ورحب بعضهم ببعض وهموا بالانفصال وإذا هم بشخص قد انحدر من الجبل وهو يمشى على عجل وفى يده عكاز أبنوس مقمع بفضة فما مكث إلا قليل حتى أقبل اليهم ووصل فنظروا اليه وهو الراهب شومدرس لعنه الله (ياساده) وكان الملعون لما دبر الحيلة على الامير عبد الوهاب وعلم عبد الصليب كيف يعمل ولم يجسر يقوم من خوفه من أبي محمد

البطال وأصحابه فزع على نفسه لأنه خبيث وما كان خوفه إلا من البطال فلم يقدر يقيم إلا فى رؤوس الجبال ولما علم أن الأمير عبد الوهاب وأصحابه وقعوا فى الأسر عند عبد الصليب أرسل اليه يوصيه يحفظهم ويقول اعلم أن روحك فى أيديهم وإياك أن تنام واحفظ روحك هذه العشرة أيام إلى أن أعود اليك لأنى لا يمكننى أن أجئ اليك لأن قلبى مشغول بأمر العسكر الذى قد عبر من جيش المسلمين الى حصن الدولاب لأنهم أسد الغاب وقد قيل ان فيهم أبو محمد البطال العيار المحتال التى تفزع من حيلته الرجال وأنا خائف لئلا يدبر على خلاص الاسيرين ويعمل فى فكاك المسلمين وأنا ماضى الى حصن الدولاب أعمل على قتل الاثنين وأشفى قلبى بقتلهم ولا يمكنى العودة حتى أعمل على تلافهم وبعد ذلك أرجع اليك وتقتل كل من عندك وبعد ذلك أعمل على فتح الحصون التى فى أيديهم من مواضع أعرفها لاتهتدى اليها الجن (قال الراوى) ياساده يا كرام وأن شومدرس لعنه الله سار فى رؤوس الجبال من لعنته وخوفه من عسكر المسلمين حتى نزل من الجبل وخرج من عيون الفيل فأشرف على البطريق قسطون ابن قالا وعلى أبى محمد البطال والبطارقة الذين معه كما ذكرنا وقرب منهم وتبينهم فعرفهم الملعون ونادى خذوهم هذا أبو محمد البطال فأطبقوا عليهم البطارقة من كل جانب فقال البطال مالنا إلا مداراتهم حتى يقضى الله ماهوقاض هذا والعشرة الذين كانوا مع أبى محمد البطال قد صاروا مع البطارقة لما عرفوا أنه البطال فعندذلك صاح أبى محمد لقد فعلتم فعال الاندال ما هذه فعال الكرام من الرجال لأنكم ان ظفرتم بنا فلافخر لكم بين الورى لأن الانسان انما يمدح بين الشجعان إذا كان فيه أن يلاقى خصمه فى الميدان ويأخذه بالقوة ولا يكون جبان فان كان فيكم من يغار على نفسه فليبرز كل واحد منكم إلى واحد منا أو عشرين الى واحد . وأما اذا حملتم فى الاربعمائة فارس فهذا مالايستحسنه أحد من الناس من سائرالاجناس قال فلما سمعوا ذلك من كلام أبومحمد البطال أقبل بعضهم على بعض وقالوا لقد قال الصحيح ولما أمرنا به السيد المسيح ولا نتقرب عند الملك الاشميطش إلا اذا قلنا أخذناهم بالمبارزة وأما اذا قلنا أخذناهم ونحن أربعمائة فارس فيحتقر بنا (ياساده) فخرج واحد منهم وكان بطريق جبار يقال له كندويط بن نورس وكان من أقبح الناس صورة وخلقة وألعن الناس كفرا وقال أنا أبرز الى الثلاثة فقال البطريق مانفعل ذلك لان ما فينا إلا من يريد يتبين على أصحابه فاخرج أنت الى واحد منهما وأنا الى الآخر ويخرج من أراد منكم الى هذه المرأة (ياساده) وفى ساعة تكلم شومدرس سلم أبى محمد الى علوى

سلاح بعض البطارقة الذين كانوا رفقاه وكانت علوى ذات قوة وباس وشجاعة ومراس فخرج اليها بطريق يقال له قلطموس بن بطرس وخرج (قسطون بن قالا) الى ابراهيم وخرج الى أبى محمد كنـدويط بن نورس وكانت ساعة عجيبة ووقفوا باقى البطارقـة وحققت الحقائق وذهبت العوائق واستغاثوا المسلمين بالواحد الخالق واشتغل كل واحد بنفسه عن غيره فأول من صاح : الله أكبر الله أكبر كانت الأميره علوى (قال الراوى) فأنصتوا لينظروا ما الخبر واذا بعلوى قد طيرت رأس قلطموس وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم صاح بعدها الاميرابراهيم وقال الله أكبر فنظرت اليه البطارقة فوجدوه قد ضرب رقبة قسطون بن قالا ولم يبق غير أبى محمد مع الـكندويط ولم يكن فى الاربعمائة فارس بطريق أشجع منه ولا أقوى ولا أفرس منه فلما وقع فى قسمة أبو محمد (قال ياساده) وكانت شجاعة أبو محمد خفيفة فى القتال فلما رأى ماوقع اليه ورأى شجاعة البطريق زائدة عليه فلم يكن له غير الحيلة فالتفت عن يمين البطريق وقال ويلك ياسارق العنب أخربت الـكرم فلما سمع البطريق ذلك الـكلام ظن أن ذلك حقاً وكلامه صدقا فالتفت لينظر من أتاه واذا بأبى محمد هجم عليه ونادى الله أكبر وضربه على رأسه فوقع جديل وفى دماه غزير (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما نظرت الروم الى تلك الفعال صلبت على وجوهها وقالوا لبعضهم ياويلكم احملوا عليهم وإلا كسوكم العار وأفنوكم عن آخركم بضرب البتار قال فلما سمعوا البطارقة من بعضهم ذلك حملوا على المسلمين بأسرهم وطابت قلوب المسلمين بقتـل الثلاثة بطارقة لأنهم كانوا حماتهم ومقدميهم وأبطالهم فبينما هم كذلك وإذا بغبار ثار وسد الأقطار وانصرف وظهر من جهة حصن الدولاب وقد ضاقت به الاودية والرحاب واذا بغبرة أخرى من لحف الجبل وهى سائرة على عجل (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانت الغبرة الاولى من عساكر الملك الاشميطش (قال) وكان السبب فى ذلك هو الملعون شومدرس لأنه لما رأى أبى محمد ومن معه فى الطريق سار الى الملك الاشميطش وأخبره بالحال وأطلعه على القصة فسيره بهذه الجيوش فى خمسين ألف وكانوا هم الأسبق لوادى عيون الفيل لأنها أرض واطيه من هذا الجانب وقد أحدقوا بالمسلمين من كل جانب وتكاثروا عليهم وأشهروا القواضب وبرقت السيوف وازدحمت الالوف وأشرفوا القوم على الحتوف فقال لهم أبى محمد الرأى عندى أن نسلم نفوسنا اليهم فنـكون على أمل الخلاص من أيديهم لأنه لايجوز قتال مثلنا مع هؤلاء العسكر الـكثيرة ومن يفعل ذلك يكون ناقص العقل والتدبير . وأما ان فضلنا

نمانع عن نفوسنا قطعونا بالبتار وتركونا مثل الأبزار والرأى عندى أن نسلم نفوسنا كما ذكرنا فإنى أرى فى لحف الجبل غبار ولا شك أن يكون من عسكر المسلمين الأبرار وأمة محمد المختار (قال الراوى) ياساده يا كرام فسلموا الامراء نفوسهم وأخذوهم الكفار قبضا باليد وربطوا الحبال فى رقابهم وقد نظروا الى الغبارفوجدوه انجلى وبان ومن تحته فرسان أمة محمدالمصطفى وقد لاح لهم فارس أسود كسواد الليل وسائر فى أوائل الخيل ومعهم رايات سود ومكتوب عليها لاإله إلاالله محمد رسول الله وعلى بعضها مكتوب بالبياض: (واعتصموا بالله هومولا كم فنعم المولى ونعم النصير) (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الاميره ذات الهمه لما فارقت ولدها الامير عبد الوهاب وتوجهت الى حصن الدولاب وجرى لها مع عبد الصليب ماجرى من القتال فلم تزل سائرة ساعة ووقفت فى أرض وعرة مقفرة ليس فيها حس حسيس ولا أنس أنيس خلاف جند إبليس معالمها دائرة وطرقاتها طامسه وسكانها الجان والحيات والافاعى ومافيها من يجيب الداعى تفزع الجن من عرصاتها ولايسكنون أبداً فى جنباتها ولما وقعت الاميره ذات الهمة فى تلك الارض قالت لأصحابها حثوا الركاب فما زالوا سائرين حتى وقفوا فى أرض مسبخة اذا داسها الجواد يرسخ واذا وطىء عليها الوحش انفسخ ولم يزالوا فى تلك الارض المسبخة حتى كلما نزل فيهارجلين الجواد غاص ولم يجد سببا ولا سبيلا للخلاص فحارت الاميره ذات الهمه من ذلك وعلمت أن كل من معها هالك فصاحت فى أصحابها وقالت لهم ترجلوا عن ظهور الخيل فترجلوا عن خيولهم وقادوها وبعد ما قاسوا شدة عظيمة وساروا وتعلقوا بالجبل حتى أشرفوا على عسكر الروم وقد أسروا أبى محمد البطال والاميره علوى وولدها ابراهيم وغلمان أبى محمد البطال وقد وقعت العين على العين (قال الراوى) وأن الروم لما نظروا لذلك قالوا لبعضهم البعض: اعلموا أن عسكر المسلمين قد أدركونا وما كان السبب فى إقدامهم علينا إلا هذين الاسيرين والرأى عندى أن نسرع فى ابعاثهم الى الملك الاشميطش ليكونوا عنده فى حصن الدولاب ونخبره أن يرسل الينا العساكر ويمدنا بالكتائب والمواكب (قال الراوى) ولما أن الروم وجدوا أن هذا الرأى صواب فعند ذلك كتفوا أبو محمد وغلمانه وهما سبك ويانس وبديع ولؤلؤ والاميره علوى وولدها ابراهيم وأرسلوهم مع بطريق يقال له (لوقا) فى مائة فارس وقالوا لهم سيروا بهؤلاء الاسارى الى الملك الاشميطش فى حصن

الدولاب وقولوا له يمدنا بالعساكر لان عسكر المسلمين دهمنا فعندها أخذهم (لوقا) وسار يقطع الأرض طالب حصن الدولاب فقال أبى محمد لعلوى انى أنا وغلمانى نصير ضيوفكم فى حصن الدولاب لأنكم أنتم من أهل الحصن وأقمتم فيه مدة طويلة وصار لكم فيه بيت وأنا رجل غريب ليس لى عندكم نصيب قال فضحكت علوى وولدها ابراهيم من كلامه وقالت له يا أبى محمد ما هذا وقت المزاح بل هذا وقت خروج الأرواح من الاشباح ويحق لنا البكاء والنواح فقال لها أبو محمد وهو يضحك ما دام عقبة موجود على قيد الحياة فدواما يعمل الحيل على ملطيه حتى يأخذها الروم ويأسرون الحريم والعيال وبواسطة ذلك صار لايمكننا الوصول الى بلادنا بل دواما داير ين فى هذه الحصون ويربطون الحبال فى رقابنا وقد أخلف الزمان لنا أنحس من عقبة بطبقات وهو شومدرس اللعين الذى كلما عملنا عمل يبطله فلا كتب الله على الشخصين من سلامة ويجعلهما الى الذل والهوان والندامة وأن الملعون شومدرس ما أنذله وما أخبثه ولكن أرجو من الله تعالى أن الملك الاشميطش يبقينا فى الحصن على قيد الحياة فقالت له علوى يا أبا محمد أنت تقول ان الامير عبد الوهاب أتى فى الجيش الذى قد رأيناه أقبل فقال لها نعم ولم أمكنه يقول لها على شىء مما قاله البطريق قسطون ابن قالا حتى لايجمع فى قلبها همين اثنين وقال يكفاها هم واحد (قال الراوى) وما زال سائر بهم لوقا ومن معه من الفرسان حتى مضى ربع الليل وقد بقى بينهم وبين الحصن ساعة واحدة فقال لوقا لأصحابه : إن وصلنا الى الحصن فلايمكن أن يفتحوا لنا الباب إلا اذا كان فى الصباح فانزلوا بنا فى هذا المرج على سبيل الراحة ونأكل الطعام ونستريح ونريح الخيل لأنها تعبت من الجولان فلما سمعوا أصحابه قوله وافقوه على ذلك ونزلوا كلهم وتركوا الخيل ترعى وقدموا الزاد وصاروا يأكلوا ولم يطعموا المسلمين شىء فقال لهم أبو محمد بلسان الروم مارأيت أبخل منكم أليس فى الانجيل فى سطر الأساطير يقول : ارحموا الغريب واجبروا الكسير وارفقوا باليسير ولا تردوا السائل الفقير ونحن جياع وأنتم تأكلون مثل السباع ولا تطعمونا وإنما أشغلكم عنا الليل فالواجب عليكم تطعمونا وتسقونا قال فلما سمعوا الروم ذلك من كلامه حملوا اليهم الطعام وقالوا لهم كلوا فقالوا لانقدر على الأكل فليقعد عندنا واحد منكم يطرح اللقمة فى أفواهنا لما تعلمونه من شدة كتافنا ويربح من يفعل ذلك الأجر اذا فعل فقد نطق المسيح بالرأفة على الأسير (ياساده) وجعل أبو محمد يقول قال المسيح ما ربحنا المعمدان قالت السيدة مريم قال شمعون الصفا وجعل يعظهم بكلام

هؤلاء المذكورين مما يعلمونه مكتوبا عندهم فى الانجيل وغير ذلك من كتبهم فأخذ بعقولهم وأذهانهم فقالوا له وحق المسيح لو كنت نصرانيا ما كان فى الروم مثلك لأنك عالم بقول المسيح وبما فى الانجيل من القول الصحيح فقال أبو محمد ان كان فى ذلك شيء أخذته ولو علمت أن الملك الاشميطش يحسن الى فعلت ذلك (قال ياساده) فلما سمعوا منه ذلك ظنوه حقا فجعلوا يطعموه وهو يأكل وأمر ان يطعمون الاسارى فأطعموهم إلى أن شبعوا إلا الأميرة علوى فإنها لم تأكل فقال لها الامير أبو محمد البطال لم لا تأكلى الطعام فقالت والله يا أبا محمد لانزل من حلق لبابة وأنا على هذه الحالة لانني غدا سائرة إلى الاشميطش وهو رجل جبار وما أعلم على ما أقدم أنا وولدى فقال أبى محمد أنا أولى بذلك فإن بينى وبينه شومدرس البلاء النازل وأنا عندما أحضر عند الملك يقتلنى غير أنى آمل الفرج من الله تعالى قبل الصباح (قال الروى) ثم أدار كتافه الى غلامه لؤلؤ وقال له يا يلك كنت أعرفك تقرض الحديد بأنيابك وتقطع كل قيد شديد فدونك والزنار الذى أنا مكتوف به فعسى أن تقطعه بأنيابك (قال) فتقدم لؤلؤ اليه بعد أن نامت الروم وجعل يقرض الزنار بأنيابه حتى ضعف وتمطى أبو محمد فى باقيه قطعه ثم دار يقطع كتاف أحد الاسار فنظر الروم وقد قاموا وعزموا على الركوب ومضوا نحوهم وجعلوا الاسارى على الخيل وكذلك أبو محمد وقد أدار يديه الى خلفه كأنه مكتوف وجعل يسير على الفرس الذى تحته حتى قرب من الخيل ومعه عشرة من البطارقة وهو يقول قال المسيح قال مارى حنا المعمدان ويقرأ الانجيل وهم يبكون ويقولون له تعرف مثل هذا وأنت مسلم فقال لهم ما عرفتكم أنى عولت على النصرانية ولم يزل كذلك الى أن اشتد الى الجبل وقال فى نفسه معلوم ان شومدرس قد ملأ قلب الملك الاشميطش على ويقول أراد بحيلته أن يخلص الاسيرين وأخاف أن الملك يسطو على وأنا أعلم أن شومدرس ما كان يأخذه قرار على قتلى وأنا أريد أن أرمى روحى إلى الارض وأصعد فى هذا الجبل والليل يسترنى بعد الله تعالى فإن سلمت فهو المراد وان كانت الاخرى فلله الامر من قبل ومن بعد ثم وثب كأنه ثعلب وما علموا به الروم حتى نفر الجواد وقد تعلق أبى محمد فى لحف الجبل على رمية سهم (ياساده) فعند ذلك تبعته البطارقة من كل جانب والليل قد ضرب على الاقطار خيم السواد فلا ينظر الانسان أحد من العباد هذا وأبى محمد قد حصل بين الصخور والاحجار وقد ستر عليه الملك الجبار والمطلع على الاستار وقد علمت الروم أنها تضرب فى حديد بارد وانه لو كان بالنهار وتعلق

فى الجبل لما وصلوا اليه لانه كثير الاحجار فرجعوا الى الطريق وجعلوا باقى الاسارى بين أيديهم وهم يضربوهم ويقولون هذا الشيطان أكرمناه ولما أكلنا أطعمناه وقد كافئنا بالخلاف وغدا يطلبه الملك منا ويقول قد هرب ويكون لضرب رقابنا سبب فجعلوا الاسارى يقولون لهم ما علمنا بهروبه ولا يجب أن تضربونا بسببه وساروا القوم الى الحصن فى قصد الملك وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ورفعوا الاسارى بين يدى الملك الاشميطش وكان عنده الشيخ أبو الشر شومدرس جالس الى جانبه فلما نظر الاسارى أمر بأن يرفع ابراهيم وعلوى الى بعض المطامير وقال على بهذا الذى يقال له لص المسلمين لأن شومدرس كان حدثه بحديثه فقال وحق المسيح لابد لى من قتله فى هذه الساعة فقالوا يا ملك الزمان انه هرب منا فى ظلام الليل وهؤلاء غلمانه قال فلما سمع ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لشومدرس لاتسألنى فيهم فوحق المسيح لاقبلت فيهم مسألة أحد ولابد لى من صلبهم وضرب رقاب عشرة من البطارقة الذين كانوا موكلين به (قال الراوى) هذا جرى ههنا . وأما ما كان من أمر أبى محمد البطال فانه سار على غير معرفة يسلك تارة يمين وتارة يسار وهو لايقع على طريق وقد حصل فى وسط الجبل فلما كان وقت السحر وقد صعد على حجر وأراد أن يخطى الى آخر فما أحس بنفسه إلا وقد وقع فى جب عشر قامات وهو من أسفله واسع والماء فى جنب الجب فقال أبى محمد لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم سبحان الله لكل موته سبب : هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون وبقى قاعد فى جنبه وقد أيس من الحياة وأصبح عليه الصباح وهو على هذه الحالة ونظر الى الضوء فرآه جب واسع تحت الأرض وفيه عمق وليس فيه موضع يصعد منه ولافيه تسليق فبقى فى نفسه حائر وقال هذا قبرك إلاأن يشاء الله وبقى متفكر فى أمره ويقول لو عبر الساعة بى عابر لقلت انى وقعت فارفعونى لعلى أن أرفع وهذه نوبة مدبرة فليت انى أقمت مع الأسارى وربحت القعود على وجه الأرض (قال الراوى) فهذا ماجرى من حال البطال . وأما شومدرس شيخ الضلال فانه قال للملك الاشميطش اعلم انى ما يمكننى المقام لأحوال عدة . أحدها انى أريد منك أن تسير بنفسك الى العسكر الذى قصد اليك وأقبل عليك ولا تغتر بقلته فكل واحد منهم يزيد لرأسه ألف والثانى خائف عليك وعلى حصن العمد من الاسارى الذين هم فيه وهم أربعة آلاف وهذا سبب قدومى اليك وأريد تعطينى الإذن فى قتلهم حتى أكون أنا وأنت مشتركين فى الثواب إذا ضربت رقابهم فقال ياشومدرس قد أعطيناك الإذن فى

ذلك فسير الى ما ذكرت واضرب رقاب الجميع كما أخبرت وأما ما ذكرت من حال العسكر فانك ما تعود إلا والدنيا منهم خالية فدعا له شومدرس وسار من خوفه على نفسه لم يسلك على مرج بل سار على غير طريق وهو سائر بين الصخور وحده ويخفى نفسه وهوسائر الى حصن العمد فى مواضع.ماتعرفها الجن ولا تسلكها ولم يزل سائر لوقت الظهر وقد تعب من المشى واشتد به العطش وكان عارفا بالجب الذى وقع فيه البطال ويعرف أن فيه ماء بارد كالثلج وليس فى الجبل ماء ولا يقدر على غيره فسار اليه وكان معه الركوه والحبل على زى الرهبان (قال الراوى) فبينما أبو محمد فى ناحية الجب قاعد متفكر فى حاله وما آل اليه من أمره وإذا بشومدرس على رأس الجب فرفع أبى محمد رأسه فعرفه (قال الراوى) وأن شومدرس جعل يدلى الركوة الى الماء يطلب أن يملأها وأبى محمد متوارى فى جانب مظلم لأن رأس الجب ضيق وأسفله متسع فكان أبى محمد كلما امتلأت الركوه من الماء يقلبها وشومدرس قد أقلقه العطش وزاد به الضجر فلم تكن له إلا انه أوثق الحبل بالصخرة التى على رأس الجب وعول على النزول وتعلق فى الحبل وانخرط الى أسفل مثل الشيطان (ياساده) فلما وقعت رجلاه على الارض كاد أن يعجل عليه وقال له : ياشيخ النحس والله لأصفعنك صفعاً ما رأيته منذ عمرك ولأعصرن على حلقك حتى أخرج مارضعته من لبن أمك . هذا وشومدرس قد غشى عليه لما تعلق أبو محمد برجليه وكاد أن يعدم عقله فلما هدئ روعه فتح عينيه ورأى أبى محمد وقد قبض عليه أيقن بالعطب وقال ويلك ياشيطان إيش أقعدك ههنا فقال له أبى محمد قعدت هنا أبرد لك الماء الى أن تجىء ولكن والله ما تركته يدخل لك حلق ولابد ما أستوفى منك كل ماقاسيته فى بلاد الروم ثم تجرد أبى محمد من ثيابه وما كان فى الاثنين من معه شىء من السلاح وكان شومدرس طاعن فى السن إلا انه كان شديد الحيل كأنه القرد وأن أبى محمد جعل يمعكه فى الطين ويرفسه حتى كاد أن يقضى عليه وتعب منه وكذلك شومدرس قد عارك لأبى محمد ولاطمه وأخذه التعب والعياء وبقى كل واحد منهم ينظر الى صاحبه وأبى محمد ينظر الى شومدرس ويتمنى أن يكون معه شىء من الحديد يقتله به فلم يقدر على ذلك وضجر مما عاركه وتلاطما فى الجب وترافسا فى الطين حتى وقفا ينظر كل واحد منهما الى صاحبه نظرا ويرمقه حذرا لأن البطال كان أقدر منه فقال شومدرس بحق دينك إيش أوقعك فى هذا الجب فقال له أبى محمد اعلم انى هربت من الروم وخليت الاسارى تلك االيلة حتى بعدت وأنا سائر على النجم طالب حصن

العمد وقلعة العنجد فما حسيت بروحى حتى صرت فى قاع هذا الجب فالحمد لله الذى جمع بينى وبينك فى هذا الموضع فلابد ما أضربك حتى تنبت الباقلا على رأسك وبخمد حسك فضحك شومدرس وقال ويلك ياأبا محمد وماحملك على هذا كله وأنا وإياك فى هذا المكان مصيبتنا واحدة فى وقوعنا فى هذا الجب فاقعد أناوأنت الى أن يعبر بنا عابر طريق من الروم أو من المسلمين يطلب الماء فيرحمنا وينشلنا واحلف أنا وأنت ألايتعرض أحدًا منا للآخر فقال له البطال أريد أصفعك ههنا حتى تموت وانظر إيش معك من الزاد فأنا أحق به منك (قال الراوى) وكان مع شومدرس جراب ملآن من الزاد فقال ياويلك ياأبا محمد دعنىأشرب وأنا وحق المسيح أعطيك من الزاد الذى فى الجراب شيئا يكفيك مدة شهر وكان أبى محمد جائع فقال هات أطعمنى حتى أسقيك فقال شومدرس ما أفعل ذلك ولو قتلتنى حتى تحلف لى بحق نبيك محمد انك اذا أطعمتك تدعنى أشرب فقال أبا محمد وحق صاحب البردة والقضيب والناقة والنجيب محمد صلى الله عليه وسلم إذا أطعمتنى الذى ذكرت تشرب فعند ذلك ضرب بيده الى الجراب الذى معلق معه لحطه من على عاتقه وأخرج منه لباب الخبز الخاص مدقوق مع اللوز والسكر ودهن الليه وفيه فستق مقشور والخشخاش معمول بالماوردالممسك ففتح شومدرس ذلك الجراب ففاحت منه روائح تشد القلب وتفتح المعدة فعندها سال لعاب البطال وريالته فأخرج شومدرس قليل وناوله للبطال فقال له ماهذا ياملعون والله لاأخذت منه إلا نصفه وإلا ما أدعك تذق من الماء قطرة واحدة وإلا تموت أنت بالعطش وأموت أنا بالجوع فضحك شومدرس من كلام البطال وكشر على أنيابه كأنياب الخنزير ثم قام اليه أبا محمد وشمر عن ساعديه وقال ياشيخ النحس تعطينى من هذا الزاد ما آكل وإلا معكتك فى هذا الطين حتى أترك وجهك لايعرف من قفاك فقال له شومدرس ويلك ياأبا محمد ما أعطيك منه حبة حتى تمكنى أشرب من هذا الماء خمسين شربة فرفع أبى محمد يده ولطمه فى رأسه لطمة كاد أن يقضى عليه فقام لأبى محمد وتلاطما حتى تعبا فلما زاد الأمر بشومدرس فتح الجراب وأعطى نصف مافيه من الزاد فطاب قلب البطال وتركه حتى شرب وأقاما فى الجب كما ذكرنا وأيقن كل واحد منهما أنه هالك (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء . وأما ما كان من الأميره ذات الهمة فإنها لما أصبح الصباح ركب البطريق جرجناس فى باقى العساكر من الناس واشتد الخوف والباس وكان هذا الذى أرسله الملك الاشميطش

فى خمسين ألف فارس بتدبير شومدرس لما جرت نوبة علوى وابراهيم وكانت الاميره ذات الهمه قد استظهرت على البطارقة فخرجت الى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فما هى إلا أن خرجت الى الميدان وطلبت الطعان حتى برز اليها بطريق فقتلته والثانى جندلته إلى أن قتلت من القوم اثنى عشر فارس وكان الثالث عشر جرجناس مقدم العسكر وكان قد برز الى الاميره ذات الهمه كأنه الليث القسور على جواد أصفر عالى مضمر وفى يده صارم أبتر وبرز للأميره وقد كفر وعلى ربه بغى وافترى وتجبر فطعنته الأميره فى الحال فى صدره أطلعت السنان من ظهره وأشارت الى المسلمين بالحملة على الكافرين فكبرت الموحدين ومالت على الطائفة المشركين فما كانت إلا ساعة حتى ولت الروم هاربين وغنمت الاميره ذات الهمة غنيمة عظيمة ثم قالت لأصحابها سيروا فى طلبهم فسارت طالبة حصن الدولاب بكل من معها وما عندها خبر بما قد جرى على الامير عبد الوهاب وهم فرحين بانهزام الجيش بين يديها وقتل البطريق جرجناس فسارت حتى أقبلت على الحصن وكان من وقت وصل اليه المنهزمين وأتوه الهاربين يخبروه بما لاقوا من الاميره ذات الهمة ورجالها فعظم عليه وكبر لديه وجمع الناس من الرستاق والقرى التى حول الحصن فجاءت اليه العساكر من كل جانب حتى امتلأ المرج وصار فى تلك الارض نحو خمسمائة ألف من البطارقة فقال الملك الاشميطش وحق المسيح لابد ما أفتح بهذه العساكر بلاد الاسلام جميعا حتى لا يقصد هذه الديار مسلم (قال الراوى) ياساده ثم ان الملك قال لقومه ما أظن ان المسلمين يقصدون الى عندنا فقال بطريق يقال له قرقياس وحق المسيح انهم اليك أسرع من البرق قاصدين وعليك واردين فلما سمع الملك ذلك من كلامه قال ياويلكم وفى كم يكونوا قال فى خمسة عشر ألف ولكن ملك الموت يخاف منهم (قال الراوى) ياساده يا كرام فهم فى الكلام واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وظهرت الخيل مثل الليل فلما عاين الملك ذلك قال وحق المسيح ان نزلت من حصنى إلى هؤلاء اللئام فانه غاية العار والفضيحة والشنار فمن يتجرد لهم حتى أزوجه ابنتى وأقاسمه فى نعمتى فوثب اليه بطريق من البطارقة وكان من أولاد الملوك وكان أبوه صاحب الحصون وتحت يده مائة ألف وخمسين ألف بطريق ومعه عشر قلاع ومائة قرية وهو رجل جبار يقال له القيطفور فوثب الى الملك وقال وحق المسيح ما كان خروجى لأجل ماذكرت إلا لأجل الجهاد فى طاعة المسيح وأنا أقسم بالمسيح ما تركت أحدا من

الروم يتولى قتالهم غيرى أنا وقومى وسوف ترى العجب وكيف أضربهم كلهم بصارم العطب وأكون لانقضاء آجالهم سبب ثم نزل فى قومه وأصحابه وبطارقته وقال لهم خذوا أهبتكم وكانت سائر البطارقة تطلب القتال وتريد النزال من فزعهم من شره ومايعرفون من مكره وغدره وكان يعد بعشرة آلاف فارس وهو شديد الباس والتجبر فى كفره وفجوره (قال الراوى) ياساده يا كرام وانه لما عول على لقاء الأميره بات تلك الليلة إلى أن أصبح الصباح وكانت الأميره ذات الهمة قد أضرمت من حولها النار حتى ارتفع الدخان الى عنان السماء فلما كان من الغد انفصلت الطوائف كل واحد منهم الى فرسه وتولى الملك القيطفور القتال بنفسه وصحبه واصطفت الصفوف وأشهرت السيوف ونظرت الأميره الى كثرة الألوف وكانوا أصحاب القيطفور كلهم مايقاتلوا إلا بالأوهاق (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها ركبت الأميره ذات الهمه فى أبطالها ومافى عيناها من الكل شىء لأنها قالت لأصحابها إعلموا أن الله تعالى قال فى كتابه العزيز « فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين » وما وقع قط فى قلبى غير خوف ربى فعليكم بصدق النية تظفرون بالأمنية فقال لها الأمير أبوا الهزاهز مانحن إن شاء الله إلا كما تحبين وفوق ماتطلبين ولو أضرمتى نار ولجناها وخضتى بحار لخضناها (قال ياساده) فهم فى الكلام والروم قد دقت النواقيس وصاح بين يديها كل راهب وقسيس وتظاهروا بكلمة كفرهم وأشركوا بربهم وانفرشت الخيل فى المرج فلم يبق شعب ولافج إلا وهو مشحون بالرجال والأبطال فبادرت الأميرة ذات الهمه بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وكان معها أبو الفرج المقرى وكان من بلخ وكان له نغمة مليحة وكان قد خرج من خراسان فى طلب الجهاد وطاعة رب العباد فقصد الى ملطيه وصار فى صحبة الأميرة ذات الهمة إلى أن دخل معها فى مرج الياسمين فصاح فى أوائل الناس ورفع صوتا ألذ من النسيم إذا وقع على أزهار الرياحين فلما سمعوا أهل الايمان كلام الواحد المنان هانت عليهم نفوسهم وطابت قلوبهم لمعاملة قدوسهم وطعنوا فى صدر الروم وقد قطعوا الآمال من المنازل والأطلال وطلبوا معاملة الجواد المفضال وضربوا فى طاعته بالسيوف الصقال ولم يزال السيف يعمل بينهم والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ارتفع النهار وإذا بالأمير عطاف قد التقى بالاميرة ذات الهمة وقال أيتها الأميره ادركى المسلمين وخلصيهم من هذا البطريق اللعين فما ضرب رأس إلا وهشمه ولاظهر إلا وقصمه ولا حائط إلا وهدمه وقد قتل الأقران وأباد الأبطال والشجعان وقد كان يقضى على لولا الامير أبو مرهق سيف بن جندب

الكلابى أدركنى لكان أهلكنى وإياك أن تعبرى فى هذا الطريق فان فيه الموت الأحمر والليث القسور جبار من الجبابرة وقد قتل من بنى كلاب عشرة ومن السودان ثمانيه وقد قاتلته وقاتلنى وناصلته وناصلنى وضايقته وضايقنى حتى كاد يقهرنى ولولا من الله على بأبى مرهق وأبى الأشبال أسد بن جابر لكان قد أدار بى (قال) فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك الكلام دخلت إلى الجانب الذى ذكره عطاف وإذا بأبى الاشبال أسد بن جابر وهو متغير الاحوال فقالت ما وراك وهو لا يجيبها وقد اعتقل لسانه وتغير كلامه فجعلت تناجيه فلما عرف ذات الهمه ثبت جنانه وقال لها ارجعى من هذه الطريق فان فيها جبار عند فى صفة المنجنيق وفى يده عامود من الحديد وهو كانه الشيطـــان المريد ما ضرب بعموده إنسان إلا قصمه ولا ظهر إلا حطمه وقد قتل جماعة من الشجعان ولقد كاد يقضى علىّ لو لا الامير سيف بن جندب الكلابى أدركنى لكان أهلكنى (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الأميرة ذلك عظم عليها وكبر لديها وقصدت طالبة الصوت حتى تفدى الناس بنفسها وتبذل فى سبيل الله روحها (قال الراوى) وان الاميرة كانت إذا التقت الرجال فى الحرب تكشف الدرع عن صدرها وتلقيه للأسنه وتقول واشوقاه إلى لقاء الرحمن ثم انها سارت طالبة البطل الموصوف وهى تخترق الصفوف وتجزع الأنوف حتى وصلت إلى راشد بن ضمرة قد أقبل راجعا وقد علاه الاصفرار وهو يقول ما قصر معى أبو الهزاهز ولولا من الله علىّ به لكنت من الهالكين فأدركيه أيتها الأميرة فما هو من رجاله ولا يعد من أبطاله فبادرت الاميرة اليه وقد اشتد بها الغضب وزاد بها الضجر إذ لقيت أبو الهزاهز طائر اللب حائر العقل قد انقلب سواده باصفرار وعلى وجهه الغبار فلما رأته قالت له ما وراك يا فارس السودان ويا أمير الحبشان فقال أيتها الأميرة والله ما كنت أقول أن فى الروم من هو بهذه الشجاعه ولا يحسن فى الحرب هذه الصناعه فانى ما قصدت النجاة والفوز بالحياة فعندها حملت الأميرة على الروم واتكلت على الحى القيوم وقالت أقسم بالعرش ومن علاه والرحمن الرحيم ومن هذه أسماه إن كان فى قلبى من كثرتكم فزع أو منكم جزع وما وصلت إلى هذا الموضع إلا وأنا على نية خلاص المأسورين وقتل الكافرين وإن جرى من واحد منهم قطرة دم لارسلت إلى سائر الحصون التى فى أيدينا وفتحها ولدى وآخذ منها مائة ألف أسير ولا أبقى منهم لا كبير ولا صغير ففزعت الروم عند كلامها (يا سادة) فهى معهم فى الكلام وإذا بصوت يسمعه الادنى والاقصى كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف فلما سمعت الاميرة ذلك الامر الهـــائل نظرت واذا به

البطريق القيطفور وقد أقبل نحوها كأنه الأسد الغضبان فلما رأته المسلمين ارتابت قلوبهم على الاميره فناداها الامير أبو الهزاهز ارجعى أيتها الاميره عن قتال هذا الملعون فإننا بأرواحنا نفديك وبأنفسنا نقيك فقالت الاميره ياأبوالهزاهز جزاك الله خيرا (قال الراوى) ياساده فعندها صاحت الاميره بجوادها وحملت على القيطفور وكبرت المؤمنين عند حملتها وهللت الموحدين وزعقت عليه زعقة أذهلته بها وقالت له الى هذا الحد ياملعون ياكافر ياجحود وضربته ضربة هاشمية من ساعد ملآن تقوى وإيمان على عاتقه الأيمن أطلعت السيف ياساده من العاتق الايسر وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وحملت المسلمين على الكافرين واختلف الضرب وزاد الكرب (ياساده ياكرام) فلما نظرت الروم الى ملكها قتل ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وكان قد أمسى المساء وقتلت الاميره القيطفور وباتت مبيت الفرح والسرور فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال مع الراهب شومدرس شيخ الضلال لما وقعوا فى جب الثعالب فانهما قاما فيه ثلاثة أيام وأن أبو محمد أكل الذى كان مع شومدرس ولم يبق معه شىء فأضر به الجوع وقد بقى مع شومدرس شىء قليل فقال أبو محمد ياشومدرس انى جائع وأنت قد بقى معك كثير وأنا أقسم بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم لئن لم تطعمنى لأخبطن رأسك فى هذا الطين حتى ينزل الماء الأصفر فى عينيك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع شومدرس كلام أبو محمد البطال قال له ويلك ياشيطان أنت ما أخذت قسمك وأكلت سهمك فقال أبى محمد ياويلك لاتكن شيخ مجنون أنت مالك معدة تطحن الطعام وأنا معدتى تطحن الأحجار والعظام ثم وثب كل منهما الى صاحبه وجعلا يتلاطمان حتى كلت منهما السواعد وتخانقا حتى صار الزبد على أفواههما صاعد وأن أبو محمد كان أبطش من شومدرس فلم يزل يلطمه حتى فزرت عينيه ومالت رقبته فصاح ويحك ياابطال ياشيطان أقسم الذى معى بيننا نصفين فقال أبو محمد لا تطيل الخطاب ما أبرح حتى تعطينى نصف ما معك فقال شومدرس لابارك المسيح فيك ولا فى عمرك ما أعطيك إلا الثلث فقال أبى محمد ما آخذ إلا الثلثين فقال شومدرس أنت طلبت النصف خذ الثلث فقال والله ما أرجع عن الثلثين وإلا أخذت الجميع بعد أن أضربك حتى تقع صريع وبطش به فقال شومدرس اصبر على ياشيطان أضرمت فى قلبى النيران من صنعك بى فقال أبى محمد أسرع واقسم الثلثين قبل أن تصل اليك صفعتين (قال الراوى) ياساده ياكرام فدفع شومدرس الجراب لأبى محمد وهو يرمق البطال بعينه وبقى

أبو محمد يأكل ويضحك عليه فلما رأى شومدرس أكله سريعا خاف منه أن يجبره ويرجع الى ثلثه يأخذه منه قهراً فعمد اليه وأكله وفرغ مامعهما وبقيا على ذلك يومين وأصبحا فى اليوم الثالث مامعهما شيء من القوت فأيس كل واحد منهما من الحياة فقال شومدرس ياأبا محمد دع العداوة مادمنا فى هذه الحالة فان عبر بنا قوم مسلمين نصرخ بهم حتى يرفعونا ونفى بالعهد أن لايتعرضون لى وان كانوا من الروم فوحق المسيح والاربعمائة راهب الذين خرجوا من دير العيون الى وادى الإبر طالبين الحج إلى القدس الشريف والقمامة العظمى كنيسة النور فلما وصلوا الى بلاد الحضر أخذتهم الزلازل والمطر فما خرج من الوادى منهم راهب وأصبح كل منهم عاطب فهم عند المسيح فى مجاورة الحواريون وهم يتمخطون فى سقر لاتركتهم أن يتعرضون لك وأن تمضى أنت لحالك وأنا الآخر أمضى لحالى (قال الراوى) ياساده وبعد كلام الراهب عقد أبو محمد معه عقد وعهد على ماذكرنا فلما فرغا من العهد وقف على رأس الجب ناس يستقون فسمعوا فى الجب صراخا فقالوا ماهذا الصراخ ومن أنتم فقال شومدرس لما علم أنهم روم أنا الراهب شومدرس (ياساده) وكانت الروم المذكورين من بطارقة حصن العمد قد جاءوا فى طلبه من عند عبد الصليب ابن أخت الملك عبد النداس فقالوا ياأبونا نحن أتينا فى طلبك فما الذى حصل لك ههنا فى هذا الجب فقال دلوا لى الحبال فدلوا له حبل ورفعوه وقد اغتاظ أبو محمد إلا انه مستوثق من الراهب بالايمان والعهود فلما صعد شومدرس قال لهم ارفعوا رفيقى من الجب فقالوا له ومن رفيقك فقال وقع الآخر فى الجب وهو من أهل الإيمان قال فلما سمع أبا محمد ذلك من كلامه قال ماهو ان شاء الله إلا خير ثم انهم دلوا الحبل فتعلق به أبو محمد فأصعدوه فما استقر قائما على وجه الارض حتى صاح شومدرس ياويلكم خذوه وبالحبال كتفوه فقد لطم فى الجب رأسى حتى وقع أضراسى يا ويلكم هذا أبو محمد البطال العيار المحتال هذا مخرب الحصون وسارق المال المصون ولص الملوك وكاسر عظم الروم الغنى منهم والصعلوك فقال له أبا محمد ياشيخ السوء وأين العهد والميثاق فقال له ياأبا محمد لاتطيل الخطاب فلو سألنى فيك المسيح بنفسه ما قبلت سؤاله فلا بد ما أصابك فى حصن العمد ثم أصاب عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ثم ان شومدرس قال للقوم كيف قصدكم حتى كانت طريقكم على هذا الجب فقالوا وحق من جعلك للعباد رحمة ماقصدنا هذا المكان تعمداً منا وانما تاهت منا الطريق الى حصن الدولاب ولم نقدر ننزل الى المرج فزعاً من عسكر المسلمين وسبب مجيئنا

عبد الصليب من خوفه من الاسارى الذين عندنا ماينام الليل ولا يهدأ فى النهار وانه فى انتظارك لأنك قلت له لاتتعرض لهم حتى أحضر ولو خالفك لغضب عليه المسيح وانه لما طال عليه ذلك جردنا فى مائة بطريق وقال لنا اسلكوا الجبل حتى تصلوا الى الملك الاشميطش وعرفوه بما أعطانى المسيح من المأسورين من المسلمين ثم اطلبوا لى عالم النصرانية أبو الشر شومدرس فان رأيتموه بلغوه سلامى وشوقى اليه وعرفوه بمن عندى من الاسارى وانى ماتمنعت عن قتلهم إلا بسبب غيبته وأنا منتظر حضوره فساعة ماتنظروه ركبوه وأسرعوا به وقد وقعنا بك فى هذا الجب الذى لم نعهدك فيه أبدا وليس لنا عند الملك الاشميطش حاجة بعد أن وجدناك وما المقصود غيرك فسر بنا على عجل فساروا وهو يحدثهم بحديثه وكيف وقع فى الجب وما لقى من أبو محمد البطال من أكل زاده ومنعه من الشرب وصفعه فى قفاه ونتف لحيته وهم يتعجبون من ذاك وأن شومدرس يقول لأبى محمد البطال وحق المسيح لأضربنك بعدد كل لبابة أكلتها منى قهراً سوطا وأبو محمد يقول له ويلك وأين أنت من العرضيات فقال له شومدرس لابقى عرضيات ولا طوليات ياويلك الملك الاشميطش قد قتل أميركم وأخذ عسكركم والذى عند عبد الصليب سوف ترى ما أفعل بهم (قال) فلما سمع أبا محمد كلامه رجف قلبه وفؤاده على الاميره ذات الهمه وقال فى نفسه مابقى لنا بعدالله تعالى من نؤمل منه الفرج غيرها لنا وعبد الوهاب فلعل الله أن يفرج عنا وان قضى علينا قضى فقد فنيت رجالنا بلا محالة (قال الراوى) ياساده يا كرام وسار اللعين شومدرس والبطارقة وأبى محمد البطال مكتوف فى قبضته نهارهم كله حتى أمسى المساء وقد نزلوا من الجبل وأرادوا أن يقصدون الأبراج التى على رأس الدروب وهم قد دهمهم الليل فنزلوا وأحدقوا بالبطال كإحداق البياض بسواد العين وقد جردوا السيوف وقالوا وحق المسيح إن تحولت من موضعك قطعناك قطعا وبضعناك بضعا فسكت أبو محمد ولم يتكلم وكان هذا كله بتعليم شومدرس له من خوفه من أبى محمد لئلا يهرب ثم ان البطارقة تداولت على أبى محمد وضربوه الضرب الوجيع فمن كثرة ماضربوه أخذه الصداع فى رأسه والألم فى بدنه فصار يئن ويتألم فلما رآه شومدرس قال له لوصحت لما ينفخ اسرافيل فى الصور ماحللت لك كتاف ولا أطعمتك لبابة هذا والبطال لم يكلمه من فرط ماقد نزل به فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح طارت البطارقة طالبين حصن العمد فساروا الى وقت العصر ونزلوا أكلوا الطعام وكان نزولهم على عين تعرف بعين الحصن فيها ماء بارد أبرد من الثلج وأحلى من العسل

فقالت البطارقة لشومدرس يا أبونا قد حصل لهذا البطال الالم الشديد من الضر مع الجوع والضرب الوجيع فان أردت أن يصل معنا الى الحصن فأطعمه شيأ من الطعام لئلا يموت من الخوى وشدة الضرب فعند ذلك قدموا له الطعام فلم يأكل شيأ فتماوت فلما كان نصف الليل أفاق شومدرس فوجد نفسه محمولا على أكتاف أبو محمد البطال وهو طالب به باب الدرب (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب فى ذلك أن الأمير أبو محمد لما جرى عليه ما جرى بقى متفكر فى أمر البطارقة وكانوا قدموا الخمر وقعدوا يشربوا وكلما شربوا بدروا فضلة شرابهم على رأس أبو محمد استهزاء به وكان فى ذلك مصلحة له لأنه لما تواتر تبديد الخمر على أكتافه فانتقع القيد المكتوف به أبو محمد البطال فاسترخى الكتاف وخرجت يديه منه وكانت البطارقه قد سكروا فعند ذلك وثب أبو محمد الى شومدرس وهو مخمور ووضع الأكرة فى فمه وأوثقه كتاف وسار به كما ذكرنا فلما أفاق من سكرته ونومته وعاين ما عاين من حمله على أكتاف البطال وماهو عليه من شدة الكتاف والأكرة فى فمه فقال وحق المسيح الآن وقعت فى يد الكبير الأنف العظيم الهيكل الجافى الجثة يعنى أبو الهزاهز (ياساده) وأن أبا محمد أقام طول النهار وهو مكمن الى أن أمسى المساء ودخل الليل فحمله على أكتافه وسار به طالب الدرب فلما وصل الى باب الدرب وجده مسدود بالأحجار فقاسى شدة عظيمة حتى خرج منه وسار حتى أشرف على حصن العمد والمسلمين قد أكثروا من التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فقصد اليهم وكان الخبر معه من شومدرس فانه كان قد حدثه فى الجب بكل ما جرى على المسلمين وجيش الموحدين فصاحت به الحراس وثارت اليه الخيل والناس فصاح بهم أبو محمد لا بأس عليكم فلما سمعوا صوته عرفوه وتبادروا اليه وترجلوا له الخيالة وتلقوه فوقع بهم البكاء ووجدوه حامل حملا ثقيلا وهو يلهث من تحته وهو يقول خذوا هذا القرنان عنى واصفعوه حتى تطيروا قفاه والآذان قالوا ومن هو هذا أيها الأمير فقال هذا رأس كل بلية ونائبة هذا شيخ الضلال ومعدن الخبث والجهالة شومدرس الملعون المفتون (قال) فلما سمعوا ذلك وعلموا أنه الذى دبر الحيلة على المسلمين لعبد الصليب حتى قبض على الأمير عبد الوهاب وجميع الأصحاب (ياساده) فلم يمهلوه حتى أخذوه ولم يزالوا ياطموه ويلكموه ويصفعوه حتى رثا له أبو محمد وسألهم فيه وقال اتركوه حتى أعلم ما أرى من حال الأمير عبد الوهاب وكيف لا يقدرون يقاتلون أهل الحصن لأن عبد الصليب قد حلف أنهم متى قاتلوا ورموا بحجر واحد قتل الأمير عبد الوهاب

وقد قيل لنا ان فى البرج الذى على رأس الدرب أربعمائة بطريق مع بطريق يقال له قسطون فقال أبو محمد إن قسطون شرب شراب المنون وكل من معه وقد عجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار ثم انه أعاد عليهم كل ما جرى من حال الأميرة ذات الهمة فى حصن الدولاب وما كان من الأمور والأسباب وقصته مع شومدرس فى الجب وكانوا كلما سمعوا أعمال شومدرس يوثبوا اليه ويلطموه ثم ان الامير أبو محمد أقبل على أبطال بنى كلاب وميمون الجماس وقال لهم اعلموا أننى خائف على الأميره ذات الهمة وماندرى ما يكون منها والصواب عندى أنكم اذا أصبح الصباح ترحلوا الى حصن الدولاب فقالوا ان كان الأمر على ما ذكرت من حال قسطون وان كان الأبراج مافيها أحد فنحن فى غداة غد نسير وأنت معنا فقال لا يمكننى ذلك لأننى على غاية من شغل القلب على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقد عولت على الدخول الى الحصن ان شاء الله تعالى وأعمل على خلاص الامير وأصحابه فلما سمعوا كلامه قالوا هذا الشيخ النحس الملعون شومدرس فما تأمرنا بقتله ونستريح منه فقال أبو محمد ما هذا صواب لأنكم تعلمون منزلته عند الروم ولنا عندهم أسارى فى كل مكان والخبر السوء يطير وما يخفى عليهم ذلك وكانوا يبذلوا سيوفهم على المسلمين وظفر المسلم عندنا أفضل من ألف كلب مثل هذا الشيخ النحس ولكن خذوه معكم على غاية من الهوان وإياكم والغفلة عنه لأنه أمكر أهل الارض فقالوا ما نحتاج توصينا (قال الراوى) ثم انهم أوثقوه كتاف ووضعت القيود فى رجليه وباتوا على نية الرحيل فى غداة غد وأما الامير أبو محمد البطال فانه صبر حتى أظلم الظلام وودع الناس وأوصاهم بشومدرس وتعلق بالجبل ينتظر أخبار المسلمين وان ميمون الجماس لما أصبح الصباح رحل بالناس وسلم الراهب شومدرس لصباح بن عامر الكلابى لأنه كان من عشقه لعطالون لا ينام الليل ولا يهدأ بالنهار (قال) وانهم ساروا الا أن وصل لباب الدرب فأمر ميمون الجماس أن يرمون الاحجار والصخور حتى يفتحوا الدرب ففعلوا ذلك فلما نظروا اليهم الروم الذين فى حصن العمد لم يلتفتوا اليهم وجعلوا يقطعون عليهم حتى عبروا عن آخرهم وكان الامير أبو محمد البطال قد حذرهم من الارض السبخة ووصف لهم الطريق الذى فى لحف الجبل (قال الراوى) وأما الامير أبو محمد البطال فانه أقام الى وقت العصر ثم نزل طالب الحصن وقصد الى باب الدرب وأقبل فى زى بطريق من بطارقة حصن الدولاب وانه قصد نفسه حتى جرى الدم وجعل يغط فيه ثيابه حتى بقى كأنه شقيقة أرجوان وأقبل الى الحصن وهو

يصيح بالرومية واسيداه واعلماه واشمدرساه فلما نظروا اليه الروم قد أقبل وهو على تلك الحالة والدم على ثيابه أيقنوا أن شومدرس قدقتل ففتحوا باب الحصن وخرجوا اليه وقالوا له ما وراك يا هذا فأرمى بنفسه ساعة ولم يتكلم وأشار اليهم بعينه ارفعونى إلى الحصن فعرفعوه إلى بين يدى عبد الصليب فلما نظر اليه ناداه هدى روعك فقد أمنت على نفسك ما الذى أصابك ومن فعل بك هذه الفعال فقال اعلم أيها الأمير الكريم والسيد العظيم أن أصحابك المائة بطريق وصلوا إلى عند الملك الأشميطش فبلغوه الرسالة وطلبوا منه شيخ العلم الحكيم الرئيس شومدرس حتى يحضر إلى عندك فأجابهم الى ذلك وأن الملك رآهم سائرين فأمرنى بالمسير معهم خدمة لك وللراهب شومدرس ونحن فى مائة بطريق فسرنا ونحن آمنون الى رأس الدرب وكان مسدود وعيش العدو منكود فلما وصلنا الى عين الحصا عند الصباح ولم ندرى حتى أحدقوا بالشيخ الصالح ولطموه لطما كثيراً فضمن لهم إطلاق الأسارى الذين أخذتهم بالحيلة التى دبرها هو وقد حملوه إلى عسكرهم الذى على حصن الدولاب فقال عبد الصليب هذا عند الملك الأشميطش خمسمائة ألف فارس وما عبر اليهم أكثر من خمسة آلاف فارس فقال أبا محمد اعلم أن الملك أهمل أمرهم والان فهو فى هذه الأيام معولا على لقائهم فقال عبد الصليب طب نفسا وقر عينا فأنا أرسل اليهم من أجل شومدرس فان نصروا عليهم فهو الذى تريد وإلا فأنا أفادى به وخلع عبد الصليب على عبد الوهاب خلعة سنية وقدم اليه الطعام وكان أبو محمد جائعا فأكل حتى شبع ثم أن أبو محمد جلس عند الملك عبد الصليب وقد أفرد له مكانا حسنا وحمل له كلما يحتاج اليه فقال يا مولاى ما أريد إلا أشتفى من المسلمين فقال الملك أنا أبلغك ما كلما تريد ثم أمر أن يفتح له المطامير والمطموره التى فيها الامير عبد الوهاب ففرح فرحا شديداً هذا وأبا محمد لما نظر الى الامير عبد الوهاب صلب على وجهه وضربه على وجهه ضربا وجيعا فقال له الامير لا يكون هذا أبو محمد أبداً لانى ما أعرف منه هذا الجفاء ثم إنه تقدم إلى آخر وضربه ولم يزل يضرب واحد بعد واحد حتى ضربهم الجميع ثم أنه أطبق الطابق على المطمورة ولم يزل يدور على سائر المطامير والمواضع التى فيها الاسارى وعاد الى المكان الذى فيه أمتعته وبقى الامير عبد الوهاب مفكر فى هذا الأمر فقال لأصحابه والله انى أغالط روحى فى أمر هذا البطريق الذى نزل الينا وضربنا هذا الضرب الوجيع وما هو الا أبى محمد البطال لانه ما يتم له ما يريد الا بهذه الاعمال فقال طاطم الاسود دعنا نخاص مانحن فيه ويضربنا بالخشب وبقى أبو محمد يدبر الحيل ويحكم العمل فهذا ماجرى

ها هنا ٭ وأما ما كان من ميمون الجماس وسائر الناس فانه سار طالب حصن الدولاب لكي يدرك الاميرة ذات الهمة وكان شومدرس معه وقد سلمه الى صباح بن عامر الكلابي وكان محبا لقطالون كما ذكرنا أخت عبد الصليب وكانت أخذت الاسـلام بقبول وكذلك الذى أسامت من أجلا وهو بولص وقد رسخ الاسلام فى قلوبهما (قال الراوى) وكانا فى عسكر ميمون الجماس وقد ورد عليهما من فقد الامير عبد الوهاب ما لو وضع على الجبال ما سارت به وكان صباح قد أسر أباه عامر مع جملة من أسر مع الامير عبد الوهاب وصباح قد فرح بأسر أبوه والامير عبد الوهاب حتى لا يعذلوه من أجلها وكان لا ينام الليل حتى يرقب بولص صاحب قطالون ويخلو به فيقتله وقد زين له الشيطان ذلك فلما سلم ميمون شومدرس الى صباح (يا ساده) وأن شومدرس لما رأى صباح لا يقر ولا يهدأ وهو يبكي وينشد الاشعار فعلم الملعون أنه مدنف عاشق ونظر اليه وهو يلح بالنظر الى قطالون فعلم أن مصيبته منها فقال له يا ولدى لقد زدتنى هما على همى مما تنشد الاشعار التى ما تقدر عليها الروم ولا على كلمة بل اذا وقع أحدهم فى العشق بقى مثل الجمر وحق المسيح لو كنت مطلوق لخاصتك وجمعت بينك وبين حبيبتك فقال صباح جزيت خيراً فلما سمع شومدرس كلامه قال يا بنى لقد جرحت فوادى من كثره تأسفك وإنشادك الاشعار فقال له صباح بن عامر اعلم أنى قليل المنام ولكن أنا أقول كما قال بعضهم هذه الابيات

غلب الهوى فبحت بالكتمان	وشكوت ما ألقى الى الرحمن
لو كان ما بى هين لكتمته	لكن مابى جل عن كتمانى
ملكت قطالون الفؤاد بأسره	فشغلت عن أهلى وعن أوطانى
كيف التصبر والحبيب مهاجرى	وامن له جلد على الهجران

(قال الراوى) يا سادة ياكرام فقال له شومدرس أتكلم ولى الامان فقال له تكلم وما عليك ملام فقال لو كان بدل ما قلت وشكوت تروم الى الصلبان لقضيت حاجتك ونلت الامانى فقال صباح يا شيخ وكيف يكون ذلك أن أقول ما أمرتنى فقال اعلم ياولدى أن أمرى نافذ على ملة النصرانية مثل أمر سلطانكم على أهل ملتكم ولا يخالفوا قولى ولا فعلى فلو خليت سبيلى ومضيت معى وحق المسيح ماكان يخرج عليك هذا الاسبوع الا وأنت أخذت قطالون خاسرة ذليلة فقال صباح وكيف ذلك فقال له شومدرس أن عبد الوهاب قد أخذ ومعه من تعلم من أصحابكم هذا نوع والثانى أن الاميرة ذات الهمه التى لكم قد استأسرها الاشميطش وقتل كل من معها وهؤلاء ما

ما عندهم خبر وأنا أعلم أنهم فى غداة غد هالكين وأول من يهلك قطالون أخت عبد الصليب لأنها عادت عن قولها ولا بقى لها فى دين النصرانية حاجةفهم يقتلوها بلامحالة وان أطلقتنى من هذا القيد تكون قد قدمت لنفسك تقدمة جميلة وتجعل بينى وبينك للصلح موضع وحق المسيح ان لم أجعل كل من فى الحصن الذى هوحصن الدولاب يخلع عليك ويحمل اليك المال وتأخذ قطالون وتردها عن دين الاسلام الى دين النصرانية وأزوجك بها وأكلل عليك فى الكنيسة ويكون العرس من مالى وتعيشا الى أن يموت أحدكما هذا ياولدى دين النصرانية (قال الراوى) فما قولكم ياساده فى شاب مدنف سقيم يحب جميلة بهية وسمع هذا الكلام والوعد بالوصال فكيف يكون حاله والمثل يقول عاشق مايسمع بكاء صغير فعند ذلك قال صباح لشومدرس طب نفسا وقر عينا فاذا كان نصف الليل أطلقت سبيلك ورحلت لرحيلك فانه لا يدين بدين الاسلام بل أسير على مقالتكم محاميا عن عشيرتكم ومع ذلك فلى والد مأسور فى حصن العمد فأنا أسير معك فاذا قتلت الأسارى فاعرض عليه التنصر فان فعل فقد أحسن وان لم يفعل فلا تبقوا عليه ولا تراعوه لأجلى فقال شومدرس يابنى قد فتح المسيح قفل قلبك بمفاتيح لقاه وأمطر عليك سحائب الهداية حتى شهد عليك بمعرفة التحقيق وهذا من سعادتك والتوفيق للدين العتيق وأما ما ذكرت من حالة أبيك فما يأتيك الأمر الا كما تريد ولا بد ما أوقف أبوك على دلائل لا يقدر أن يردها ويرجع الى دين النصرانية (ياساده) ثم أقام الى نصف الليل وقد أخذ صباح أهبة الرواح بعد أن أطلق الملعون شومدرس من القيود وقال سر بنا الآن فقال شومدرس أبشر فقد نلت المنا ببركة هذا الدين العتيق ثم انه سلك الطرقات التى يعرفها شومدرس وصباح تابعا له وقد غلب عليه العشق وقد حس الشقى بألم القطيعة والطرد من باب الحبيب وهجر دين الاسلام وشد فى وسطه زنار فنسأل الله أن يكفينا شر الشيطان الرجيم وأن لا يحول بيننا وبين ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ياساده ياكرام وسار شومدرس وهو على غاية من الحذر وهو طالب حصن العمد وقلعة الصخر من خوفه من أبو محمد البطال وقصد الى قتل المأسورين فقال صباح لشومدرس الى أين عولت فقال الى عند عبد الصليب يزوجك بأخته قطالون وسار حتى وصل الى عند عبد الصليب فرآه أبو محمد البطال وقصد الى قتل المأسورين فقال أبو محمد فى نفسه

لقد كنت عولت خلاص الأسارى وفتح الحصن فجاء لنا مالم يكن فى الحساب وفرغت الحيلة بخلاص هذا الملعون وقد وصل شومدرس ودخل على عبد الصليب وأوصاه بحفظ الأسارى وان أبا محمد قام من وقته وما قصد خلاص الأمير عبدالوهاب فطلع فزعا وطلب إطلاق عبد الوهاب وعرفه بنفسه وأوعده بالفرج وعالج القيود وقد تعب مما عالج فى القيود ورجع من وقته لينام وقد فطنوا الروم بالمطامير فوثبوا فرأوا باب الحصن مفتوح والروم مستبشرين بقدوم شومدرس وبقى أبو محمد غائب عن الدنيا لا يدرى كيف تكون الاسباب فى خلاص الأمير عبد الوهاب والأصحاب (ياساده) ياكرام ورآى معه صباح ابن عامر والروم يدعون لصباح فقال أبو محمد لاشك أن شومدرس الملعون قد لعب بعقله بالمال ولم يكن أبو محمد اطلع عليه بتلك الأحوال فلم يكن له غير أنه طلب لنفسه النجاة وعلم أنه إن قام هلك فخرج وهم مشتغلين بشومدرس وأما عبد الصليب تحقق أن البطريق الذى أتاه وثيابه ملطخين بدماه فتحقق أنه أبو محمد البطال فمن حداقته أرسل الغلمان فى طلبه فما وجدوه فأرسل الخيل فى سائر الطرقات فلم يقعوا له على خبر فقال شومدرس لعبد الصليب دعنا مما مضى فقد فاتك الشر فقال صباح ابن عامر لشومدرس اعلم أيها الشيخ الجليل أنك لاتغفل عن أمرى فقال اعلم يابنى أننى ما أقدر أخاطب الملك عبد الصليب فى أمرك فى هذه الساعة لأن قلبه ملآن من الغيظ مما اتفق له من اللص المحتال أبو محمد البطال وهروبه من بين يديه ثم قال له طب نفسا وقر عينا فإنى أعطيك قطالون فثق بقولى ولا تجزع فما بقى لك طريق الى بلاد الاسلام الا من عندنا ثم ان الملك عبد الصليب أمر باحضار المأسورين فأخرج منهم عشرون وأمر باخراج عبد الوهاب وهو مثقل فى قيده وارتفع البكاء من المأسورين والامير عبد الوهاب يقول لكل أجل كتاب هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ثم ان عبد الصليب أمر بضرب رقابهم فقتل منهم عشرون وكان الحادى والعشرون الأمير عامر الكلابى أبو صباح هذا وابنه صباح جالس وقد خلع عليه الملك خلعة سنية والصليب على صدره والزنار فى خصره وقد أخبر شومدرس الملك عبد الصليب بقصته فصار صباح يحرض الملك عبد الصليب على قتلهم وذلك لأجل هواه لينال غرضه من أخته قطالون ثم انه ضرب بيــــده رقاب بعض الاسارى المسلمين وذلك بإشارة شومدرس لأنه قال اعلم ياصباح أن قلوب الروم منك نافرة ان لم تضرب رقاب المسلمين بيدك حتى يصدقوك أنك دخلت فى دينهم (قال الراوى) وان آخر ما قدم اليه أبوه عامر فلما نظر عامر الى

ولده صباح على هذه الحالة بكى بكاء شديد وقال له ويلك أكفر بعد إيمان أما خفت من الطرد من باب الرحمن ياويلك غفلت عن عبادة الذى خلقك وهو الملك الديان أعقبت منك تلك النظرة الى هذه الحسرة والله ما بكاى على فراقك فى دار الدنيا وإنما على فراقك فى الدار الآخرة يابنى كيف رضيت نفسك مع الكفرة الأبالسة فى طبقة النار السادسة فلما سمع صباح كلام أبيه قال ياعامر أراك قد أطلت الكلام والصواب رجوعك ان سمعت منى عن دين الاسلام واغتنم دين القصرانية والملة المسيحية إن أردت السلامة من سيفى هذا وأكون أنا وأنت بالسوية والآن ان أبيت سقيتك بسيفى هذا كاس المنية (قال الراوى) ياساده ياكرام فقال له عند ذلك أبوه عامر ويحك ياكلب المرتدين ومن نادت الملائكة عليه بطرده عن باب الرحيم الرحمن الذى لايشغله شان عن شان وهو عالم بما يكون وما قد كان يامن صار من حزب الشيطان أتأمرنى أن أترك عبادة رب العالمين وتوحيد الملك المجيد وأكون مطرود عن باب الملك الحميد وعلىّ وعليه رقيب وشهيد والآن قد خلعت رحمتك من قلبى كما خلع الايمان من قلبك (قال الراوى) فلما سمع صباح كلام والده هجم عليه وضربه بالسيف أطاح رأسه عن بدنه وقد عجل الله بروحه الى الجنة والدار الآخرة دار القرار والمنة فعظم ذلك على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب لأن عبد الصليب أحضره ليضرب عنقه فقال له ياصباح بلاك الله بالأتراح ولعنك وعن باب رحمته أبعدك ولا قربك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع صباح كلام الأمير عبدالوهاب قال له ياحجام تظن أنك ناج من هذا الحسام وصاح بالملك عبد الصليب وقال له ما انتظارك فى هذا الأمر لأنه لو قتل لخرجوا المسلمين من هذه البلاد واسترحنا من الشر والعناد فقال عبد الصليب دونك واياه وهم أن يضربه بحسامه وإذا هو بصائح قد أقبل فقال عبد الصليب أنظروا ما هذا الصياح فقالوا أيها الملك اعلم أنه قد وصل الينا رسول من عند الملك الاشميطش وهو أعظم بطريق عنده يسمى قلطون ابن كندرون وأصحابه محدقون به فقال لهم على به فعند ذلك نزلوا الى الباب وتلقوه وسلموا عليه وقد صعدوا به الى الملك فلما أن رآه عبد الصليب وثب له قائما وأجلسه جانبه وقال له ما الذى أقدمك علينا قال اعلم أيها الملك أن الملك الاشميطش قد أرسلنى اليك من أجل الأسارى الذين هم عندك لأن أبونا شومدرس قد قصد اليك على نية أنه يأمرك بقتل الأسارى والآن قد ظهر للملك رأى آخر فى تركهم لأنه قد عول على أنه إذا كسرت المسلمين وأميرتهم وقتلها وأسر فرسانها لايبقى على صغير ولا على كبير وقد جمع سائر الملوك وتحضر أنت

الآخرالى عنده فى مرج الياسمين وعمل لهم سماط سبعة أيام ويضربوا رقاب الاسارى كلهم الذين عندك والذين عنده فى يوم الأحد حتى يتحدثوا بحديثهم فى سائر الآفاق ويستريحوا السفار والرفاق ولا يدع أحد منهم يرجع الى بلاده ومع ذلك يامولاى انك لاتقتل منهم أحد الى أن يخلصوا الحصون الخمسة التى فى أيديهم (قال الراوى) ياساده ياكرام . فلما سمع عبد الصليب من البطريق ذلك قال لشومدرس ماترى من الرأى الصائب فإنك أبونا قال له ذلك صواب وتخلص زوجتى شوما وولدى دهرشوم وليس بصواب مخالفة الملك الاشميطش فعند ذلك أمر برد الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب الى المطامير وفقد منهم ماقدمنا ذكرهم وكان تكملة العشرين الامير عامر ثم إن عبد الصليب بعد ذلك خلع على البطريق فلطون وقال له ارجع إلى الملك وأخبره انى قد قبلت أمره وعملت برأيه فيعمل هو على أخذ المسلمين فقال له المسلمين قد أحدق بهم خمسمائة ألف بطريق وأمر الملك بحرقهم وبأخذ من سلم منهم وهو لاشك يأخذهم اليوم وأما أنا راجع فى يومى هذا لأحضرهم فقال له الراهب شومدرس إذا كان الامر كما ذكرت فأنا أسير الى الملك الاشميطش حتى اننى أدبر الأمر وأشير عليه (قال الراوى) عند ذلك ودع شومدرس لعبد الصليب ثم ودعه وحذره من أبى محمد البطال وحيله وسارمع البطريك فلطون هذا وقد وجدوا فى السير (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء . وأما ماكان من الاميره ذات الهمه فانها لما قتلت البطريك الغيطفور وباتت تلك الليلة مبيت الفرح والسرور وهى تظن أن عسكر الروم هوالذى كان مع الغيطفور فلما أصبح الصباح نظرت الى الدنيا وقد أقبلت تسعى فرسان من كل جانب ومكان الى أن اجتمع من حولها خمسمائة ألف بطريك من الكفرة المشركين وامتلأ مرج الياسمين واسودت الدنيا من كثرة الخلائق وعميت الابصار من شعاع الشمس على البيض والبيارق ونزل الملك الاشميطش على ظاهر الحصن وضرب له سرادق كبير وكان أشجع من اخوته وأقواهم فأمر العسكر بالحملة على الاميره ذات الهمه وقومها فحملوا عن بكرة أبيهم فى خمسمائة ألف يحملون على خمسة عشر ألف حملة واحدة وكانوا المسلمين كالشامة البيضاء فى الثور الأسود عندها ثارت الاميره لقومها وقالت اعلموا أن الانسان اذا ضربت رقبته لايبالى اذا كان السيف هندى أو افرنجى فلا تنظروا الى كثرتهم وتهابوها ولا الى قلتكم فتذروها . واعلموا ان الدنيا دار زوال والآخرة دارالقرار والخلود والنوال ولا تصلون اليها إلا بالإخلاص فى الجهاد والى طاعة رب العباد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما

سمعت المسلمين ذلك قالوا أيتها الاميره والله مافينا إلا من بذل الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه (قال) ولما حملت الروم عليهم كثر بينهم الجراح وصارت العقبان عليهم تحوم وكان ذلك اليوم على الرجال يوم مذموم وهم بين صادم ومصدوم وظالم ومظلوم والخيل بالرجال تقع وتقوم وعمل الصارم البتار وفنيت الأعمار الى أن تقضى ذلك النهار وأمسى المساء ورجعت الروم وقد خسروا مع المسلمين وتمنى الملك شومدرس ليدبر حيلة لأن مصيبته معهم طويلة فقال له بعض البطارقة وكان من تلامذة شومدرس وخدمه سنين وتعلم منه الحيل والمكر والخداع أيها الملك الرزين إن المسلمين قليلين ويقاتلون قتال مستقتل وما فى الأمر إلا انك تأمر البطارقة يقلعون هذه الأشجار والاخشاب التى فى هذه الجبال ويدورون من حولهم واذا اشتد غداة غد القتال وغرقوا فى أوساطنا يكون لنا قوم معدودين بالنفط فيضربوا به الاشجار والاخشاب فتشعل النار بالالتهاب فيخافون على خيامهم ويرجعوا عن الحرب الى الخيام والمضارب فيرون النار تعمل من كل جانب فيسلموا أنفسهم خوفا من الحريق فتأخذهم قبضا باليد من غير تعب (قال الراوى) عندها أمر الملك البطارقة بذلك ففعلوا فى تلك الليلة شىء كثير وأرموه من حول عسكر الاميره ذات الهمه الى أن صار حولهم مثل الحلقة . فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الاميره فانها باتت تصلى الى الصباح وتسأل ربها النصر ولم تنم تلك الليلة الى أن أصبح الصباح قامت على حيلها بعد صلاتها فرأت ما قد صنعت الأعداء فأيست من الحياة وقالت ما بقى غير الموت فقال أبو الهزاهز أيتها الاميره لاتضيق صدرك وقولى لأصحابك يفعلوا كفعلى وسوف ترين العجب ثم صاح فى السودان كل من لم يعمل كعملى فما هو منى ثم عمد الى شجرة مايشيلها خمس رجال وحمل بها على الروم وتبعته السودان والاميره وأصحابها فما كانت إلا ساعة حتى خلت الأرض مما كان عليها من تلك الأشجار فلما رأت الروم الى ذلك قالوا وحق المسيح ماقصرنا معهم علمناهم عدة يقاتلون بها . هذا وأبو الهزاهز ورفقاه قد حطموا فى الروم وصبحوهم صباح ميشوم وأقاموا المسلمين يدعسوا فيهم إلى أن أفنوا منهم خلق كثيرا فقال الملك مضى مامضى إن أردتم أن يمن عليكم المسيح بالرضا فليخرج منكم عشرين بطريك مع كل بطريك خمسة آلاف وتكونوا من ورائهم وتحملوا عليهم وهم نعسانين تعبانين من قتالهم بتلك الاشجار فتصبح الدنيا منهم خالية فقال له بطريك أيها الملك ماأظنك إلا عزمت على تكسير رومنا وحق المسيح فضحك الملك من قوله وقال اصبروا اليوم وبكره بلاقتال حتى يأتى أبونا شومدرس فهو يدبر الحيلة على هؤلاء

القوم (قال الراوى) ياساده ياكرام فوجدوا البطارقة بذلك راحة عظيمة ونعمة جسيمة وباتت على هذه النية الى أن أصبح الصباح ونياتهم فاترة عن ضرب الصفاح وأما المسلمون فانهم باتوا فى انشراح وأهنأ مبيت وهم يشكروا أبوالهزاهز ومن معه وأصبحت الاميره رأت الجميع مافيهم من يقدر يقوم من شدة التعب فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون فلما رأت الروم خامده ونياتهم عن القتال بارده حمدت ربها وصبرت أيام حتى أكلت الناس خيلها وطالت غيبة الامير عبد الوهاب ولا معها منه خبر فبينما هى فى ذلك الكلام واذا بالغبار قد سد الاقطار وانكشف عن رايات إسلامية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) وكانت هذه الرجال القادمة ميمون الجماس ببقية الناس وكان سبب دخولهم لأجل الاميره فركبت ولاقت ميمون الجماس ولم تنظر الامير عبد الوهاب بينهم ولم يكن لها صبر وصارت تحن وتنشد الاشعار قال وسألت عن الامير فأعادوا عليها القصة من أولها الى آخرها فحصل لها من ذلك أمر عظيم وأمرت بالحملة على أعداء الله فحملوا الخشب والاشجار كما تقدم وكانت وقعة قتل فيها من عسكر المسلمين مائة فارس ومن عسكر الروم عشرين ألف وعادوا المسلمين منصورين . وأما الملك الاشميطش فانه عاد فى غم ولام عسكره وهم يشكوا اليه مالاقوا من المسلمين فهم فى الحديث وشومدرس قد وصل اليهم فقاموا جميعا ولاقوه بفرح ومسرة وشكوا له مالاقوا من المضرة فقال ان طول المسيح فى عمرى لأهلكنهم وقال لهم هل عندكم شىء من النفط فقال الملك عندنا من النفط مالايقدر عليه غيرنا من الملوك فقال هذا هو المراد قاتلوكم بالخشب والأشجار يضرب كل بطريك بالقارورة التى معه الاشجار التى وراهم حتى لايقدر أحداً منهم يهرب الى الجبل قال الملك نعم الرأى وباتوا مسرورين بما دبر لهم اللعين الى أن أصبح الصباح وحملت المسلمين وهم عن ذلك غافلين وكان ذلك بتقدير رب العالمين فأرمتهم البطارقة بقوارير النفط فتعلقت النار بالأشجار أسرع من طبق الجفن فما قولكم فى عشرين ألف شجرة التقت النار فبقيت الدنيا كلها نار فلما رأت الاميره ذات الهمه ذلك علمت أن الناس هلكوا فقالت اطلبوا الجبل واذا بالنار تشعل فأدركتهم الروم والنار تعمل فيهم الى أن وصلوا الى الارض المسبخة فغاصت فيها وكان المسلم يرمى روحه حتى يطفى النار عنه وأخذوا الجميع وكتب الاشميطش لعبد الصليب أن تحضر بالاسارى الذين عندك حتى أجمع بينهم وبين الذين عندى وأعمل يوم جليل فى مرج الياسمين ثم رجع الاشميطش بالاسارى الى حصن الدولاب ووضعهم فى المطامير

إلى أن امتلا منهم المكان هذا برأى الملعون شومدرس فقال الملك يا أبونا كيف تعمل فى أخذ الحصون وتخرج منها المسلمين فقال له شومدرش ومن فى الحصون غير خمسمائة فارس أقتل أنت هؤلاء وعلىّ أنا أسلم لك الحصون بما فيها فى ثلاثة أيام فقال الملك سمعاً وطاعة ولما أصبح الصباح كتب إلى عبد الصليب يقول أما بعد فان المسيح قد نصره على الأعداء وأخذت الجميع أسارى وسوف أسقيهم كاس الردى مع أنهم أسد البيداء وما قلت أن أصل اليهم أبداً لولا الشيخ شومدرس فهو الذى أوصلنى اليهم فاذا قرأت كتابى ترد إلى حصن الدولاب قاصد وهات معك الأسارى ولا تفزع على باقى الحصون فالراهب قد وعدنى بأخذهم بعد ثلاثة أيام ولا تقعد بها ساعة واحدة ثم أرسل الكتاب مع بعض البطارقة إلى حصن العمد وقال له الملتقى يوم الأحد وتولى شومدرس عقوبة أبو الهزاهز ويقول له رأيت كيف عمل المسيح وسارت الرسل إلى أن أعطوا الكتاب إلى عبد الصليب فلما قرأه فرح وضم الأسارى الذين عنده ورحل بهم والأمير عبد الوهاب قدام بنى كلاب وتولى سوقهم صباح وكان قد أرسل اليه شومدرس أنه أخذ قطالون وصاحبها فصار يسوقهم بلا عقـــل وكل من وقف من الأسارى ضربه بالسيف صفحاً وخلف عبد الصليب فى الحصن توما بن لوقا فى ألف فارس وغلق باب الحصن وسار عبد الصليب إلى باب الدروب وإذا بغبار قد ثار من نحو حصن العمد حتى ملأ الأقطار وسد الأمصار فانغم عبد الصليب وقال لاشك أن هذا الغبار عسكر قد طرق ديارنا ويكون الخبر قد وصل إلى الحصون التى ملكوها المسلمون وقد جاءوا إلينا وظنوا أنهم سالمون فنصبر حتى ينكشف الغبار ونضربهم بالسيف البتار هذا وأن عبد الوهاب قد أقبـــل على أصحابه وقال إن قلبى يحدثنى بالفرج وإذا بالغبار انجلى وبان من تحته رماح مداد حداد ورجال أجواد شجعان شداد معودين بالجهاد طالبين الاجتهاد فى طاعة رب العباد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن سيف الحنيفية لما مضى من حصن يانس المتغرب مع الخليفة وقد وعده بالمال المقدم ذكره فأعطاه إياه فجند الجنود واستخدم الفرسان حتى صار فى خمسة آلاف فارس وبذل لهم المال حتى أغناهم فنظر عقبة الى ذلك الجيش انفطرت مرارته ودامت حسرته وانقطعت أخبار عبد الوهاب وشنعوا عنه بأنه مات وكان أصـــل التشنيع من عقبه فقال سيف الحنيفية إن كان أبى قد مات فأنا آخذ بثاره ثم نفق فى عسكره وعزم على الدخول الى بلاد الروم وخرج معه عقبه ليودعه وهو يقول يا بنى رحم الله أباك عبد الوهاب وهكذا كان خفيف الركاب وسار الامير سيف الحنيفية

بأجناده الى حصن يانس المتغرب فلما وصل اليه سلم عليه وسأله عن خبر الأمير فقال وصل من الأخبار أنه قد ملك خمس حصون من حصون اليونانية وقد انقطع خبره عنى ولم أعلم ما كان منه فعلى ماذا عولت فقال أسير فى طلبه فان كان سالما أعنته وإن كان عاطباً أخذت ثاره ثم ودعه وسار طالب بلاد اليونان وكان خبير بالارض لانه ربى فيها ونشا فى ديارها فجد فى سيره حتى دخل الظلمة وكان الملعون عقبه قد أرسل الى ملك الروم يقول له ويعلمه بدخول سيف الحنيفية ويأمره أن يكمن له فى عشرة آلاف فارس ويأخذه ورجاله قبضا باليد فلما وصل كتاب عقبه الى ملك الروم كان قد وصل سيف الحنيفية الى حصن يانس فقال الملك لقومه وبطارقته ماذا تقولون فى هذا الرأى الذى ذكره الشيخ النجيح وحجة المسيح فقالوا له أيها الملك الصواب بأنك قد عرفت سيف الحنيفية بأنه يريد لرأسه كل من فى بلاد الروم وهو كما قد عرفت أنه كان سبب هلاك البطارقه وأيضـــا أنه داخل الى أعداك الذين لم يدخلوا تحت طاعتك أبداً فان هلك فهو الذى تريد وان سلم هو وأبيه يكون لك عند أبيه اليد البيضاء بأنك قد وفيت له الهدية فقال نعم ما رأيتم ثم أنه لم يتعرض له (قال الراوى) ثم سار سيف الحنيفية وعبر الحصون الى أن وصل الى أخيه ضيغم وسأله عن الخبر فقال له قد انقطعت أخبارهم عنى وقد اشتغل قلبي بذلك فهم فى الكلام والثمانمائة الذين من بنى كلاب المنهزمين الذين سلموا من الوقعة التى تم على الاميرة فيها ما تم قد أتوه وأخبروه بأمر الامير عبدالوهاب وكيف قد عولوا الروم على الاجتماع فى مرج الياسمين لضرب رقابهم فعندها استخلف فى موضعه رجل من بنى كلاب وسار مع أخيه سيف الحنيفية حتى أشرف على القوم وعدنا الى سياق الحديث (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما عرف ولده صاح يا ولدى دونك والارزال وخلصنا من أيديهم فعند ذلك حمل وحملت الابطال الذين معه (قال الراوى) ونظر عبدالصليب الى قلتهم فلم يعبأ بهم ووكل بالاسارى خمسة آلاف فارس وحمل على الامير سيف الحنيفية فى بقية فرسانه وارتفع القسطل وحمى المرجل وغليت الحرب بايان المرحل ونظر سيف الحنيفيه الى عبد الصليب فعلم أنه مقدم الجيش فحمل عليه وضرب بيده الى مراق بطنه بعد أن بطل عليه المضرب وجذبه اليه فقلعه من سرجه وضرب به الارض فلم يقم من موضعه لانه طحن عظامه وعجل حمامه فما كانت طرفة حتى هتف بالروم من الموب هاتف وأصبح السالم منهم تالف وسبق سيف الحنيفية الى باب الحصن حتى لا يسبق من القوم أحد حتى انقضى النهار وقتل من الروم عشرة آلاف وأسر مثل ذلك وانهزم

للباقون وأطلق الامير عبد الوهاب وجميع الاسارى وأخذوا الاسلاب لبسوها والخيل ركبوها واعتنق الامير عبد الوهاب ولده سيف الحنيفية وقال الحمد لله الذى جمع بيننا قبل الممات فقال سيف الحنيفية يا ابتى قد وصل الى كتاب بأنك هلكت أنت وكل من معك فورد على مورد عظيم وجاءنى بعد ذلك القاضى عقبة وعزانى فيك وحزن على بعدك وهو الذى أشار على بالدخول إليك والقدوم عليك فقال الامير عبدالوهاب اعلم ياولدى أن عقبة بن مصعب رجل مشرك بالله نصرانى يأكل لحم الخنزير ويشرب الخمر العصير فقال يا أبتاه وحق من هدانى بعد الضلال وعرفنى دين محمد رسول الله الملك المتعال صلى الله عليه وسلم انى لو علمت انه على ذلك الحال لما جئت إلا ورأسه معي ولكن مايفوت ذلك إذا رجعنا إن شاء الله تعالى الى ملطيه ثم ان الامير عبد الوهاب أمر بضرب رقاب الاسارى وأخذ ثيابهم وخيلهم وقال يابنى اننى مشغول بباقى العسكر الذى مع الروم والاميره ذات الهمه فسير بنا الى مرج الياسمين ونرجو خلاصهما من رب العالمين فقال سيف الحنيفية ماهذا صواب أن نمضى ونخلى هذا الحصن وراءنا وما فتحناه ولكن اختار لنفسك أن تقيم ههنا وأسير أنا فى هذه الساعة الى عند الاميره واما أن تمضى أنت وأقيم أنا . فهم فى الكلام وبعض السودان أقبل على الامير وقال له يامولاى ألا أخبرك بعجب فقال الامير ماهو فقال يامولاى انى تقدمت الى الحصن وجعلت أصيح على الروم الذين فيه وأقول ياويلكم لابد لنا ما نأخذ هذا الحصن ونضرب رقابكم فصاح على بطريك منهم وشتمنى بالرومى ورمانى بسهم فوقع بين يدى وفيه كتاب وقد أخذته وماأعلم مافيه فقال الامير عبد الوهاب هات الكتاب حتى أرى ما فيه فرمى اليه الكتاب فأخذه واذا هو بخط الامير أبو محمد البطال ففضه وقرأه واذا فيه : بفضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله على جمع الشمل وبعد ذلك اذا قرأت كتابى هذا فازحف الى الحصن فانى ان شاء الله تعالى افتحه لكم فقال الامير : الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وقرأ الكتاب على سيف الحنيفية ففرح بذلك ثم زحف الى الحصن ووقع القتال بين الرجال وطلعت الألفين المتخلفين الى الابراج ومعهم النسوان (قال الراوى) وصعد معهم أبو محمد البطال وجعل يصيح على المسلمين ويرميهم بالأحجار ثم نزل الى باب الحصن وصاح فى الناس وهجموا الى الحصن مع غفلة الروم وارتفع التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ونزلت البطارقة من على الأبراج وانقطعت الأوداج ونزلت النسوان من على الاصوار وعمل فيهم البتار

فلم تكن غير ساعة حتى تركوا الرؤوس بلا عاصم والأبدان بلاجماجم والأكف بلا معاصم وملك بما فيه وفرح البطال بالأمير عبد الوهاب وقال يا أبو محمد لقد سلمنا الله تعالى بوصول سيف الحنيفية فقال البطال هكذا وعدك الله بالفرج عند الشدة فارحل أيها الامير من وقتك وساعتك الى مرج الياسمين من أجل الاميره ذات الهمة فأدعى الامير عبد الوهاب بولده ضيغم وقال يابنى اقعد فى هذا الحصن فقال سمعا وطاعة وضم اليه مائة فارس وأوصاه باليقظة والاحتراز وسار الامير فى باقى يومه الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وأشرف على عسكر الملك الاشميطش وقد ملأ الفضاء وسد المستوى (قال الراوى) وكانوا المنهزمين من باقى عسكر عبد الصليب قد وصلوا الى الملك الاشميطش وأعادوا عليه ما قد جرى على عبد الصليب فقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعال والمسلمون كلهم فى الاعتقال فقيل ياملك انك لما أنفذت الى عبد الصليب تأمره أن يحمل الاسارى اليك ففعل ذلك ونزل من الحصن الى المرج فأشرف الينا عسكر فى خمسة آلاف فارس وأعادوا عليه صفة الوقعة فقال لهم فهل عندكم علم من الحصن فقالوا له أيها الملك انهم لايقدرون عليه ولايصلون اليه لأن فيه ألف بطريك والمكان حصين لايقدر عليه أحد لأنه يفتح من داخله فقال الاشميطش إذا كان الأمر على ذلك فأنا أعتقد أنهم مايرحلون الينا ويخلون حصن العمد وراءهم وها أنا مقيم ههنا الى أن ينكشف لى خبرهم على الحقيقة فإن أقاموا على حصن العمد سيرنا اليهم مائة ألف فارس تكون نجدة لهم وان أتوا الينا التقيناهم بعساكرنا وأصبح على هذه النية واذا قد أشرف عليه عساكر المسلمين وكان الملعون لما وصلت اليه المنهزمين الى الحصن وأقبل الامير عبد الوهاب فى جيش عرمرم يقارب ثلاثين ألف فارس من غير أن يصف مصاف وحمل سيف الحنيفية ونظر الملك الى ذلك فقال ياويلكم أقل صف فيكم قدر المسلمين عشر مرات فاحملوا عليهم ثم صاح وحمل فى أوائل الناس (ياساده) ولم يكن فى هذه الحصون السبعة أشد منه بأساً وأقوى مراساً لأنه فارس لايطاق وعلقم مر المذاق كثير المكر والخداع شديد القوة والامتناع فحمل وحملت الروم بأجمعها فخيل للناظرين أن الأرض قد انقلبت وخرجت الأرواح ونكبت وأهرقت الدماء وسكبت وعملت الصوارم وفلقت الجماجم وبريت المعاصم وشوشت العمايم وقامت المآتم والناس بين عاطب وسالم وغانم وغارم وتعبت من الخيل القوائم واسترخت الأكف عن قبض الشكايم ونشر الأنامل والبراجم وتقدم الشجاع الحازم وتقطعت من الخيل المحازم ووقع

بالناس الوبال وكبر الزلزال وبات فيهم الفشل ولم ينجو إلا الهمام البطل وانخسفت الصدور من وقع الاسل وعجل الامير عبد الوهاب كل عمل وبين يديه ولده سيف الحنيفية وهو يهيج كما يهيج الجمل فلما نظر الاشميطش الى البلاء الذى حل بأصحابه ونزل وقد سقوهم المسلمين كاس الأجل ولم يزل السيف يعمل إلى أن ولى النهار ورحل وأقبل الليل بظلامه وانسدل وقد ضر بالقوم ذلك اليوم ورجع كل جيش الى مكانه وانفصل والملك الاشميطش قد هلك من عسكره عشرين ألف بطل فأدعى بالشيخ شومدرس وقال إيش ترى ياراهب فى هـذه النوبة التى لم تـكن فى حساب الحاسب فقال شومدرس : اعلم أيها الملك أن ما فى كل وقت ينجح الطلب مع أن هذه فضيحة عليكم أن تـكون المسلمين فى أقل من ثلاثين ألف وأنتم أزيد من خمسمائة ألف وأبلوكم هذا البلاء العظيم وقتلوا منكم كل سيد كريم ولو أن الاسارى الذين عندكم فى الحصن مطلوقين لما بقى منكم باقية فقالوا الروم يا أبونا ماهلـكنا إلا من فارسـين كانا فى أوائل الناس أحدهم أسمر اللون مليح الـكون فقال شومدرس الواحـد منهم أمير والثانى ولده كما ذكروا الناس لأنهم قد سمعوه وهو يقول يابنى خلصنى من عبد الصليب فقالوا البطارقـة والله يا أبونا اننا قد لقينا من الولد ما لم نلقه من الوالد يعنون سيف الحنيفية ولو كفينا أمره واندفع عنا شره لما جزعنا من بقية الناس ولو كانوا أضـعافهم فقال شومدرس إن كان ما خوفـكم إلا من هذا الرجل الذى ذكرتم والبطل الذى وصفتم فأنا إن طول المسيح فى عمرى إلى غداة غد أكفيكم شره ثم وثب من عنده لوقته وسار (ياساده ياكرام) وأن الملعون أخذ من ثياب الاسارى ولبس وكان له ذقن كبـيرة نقصها ودخـل الى عسكر المسـلمين وجيش الموحدين وكان على حرس المسلمين تلك الليلة أخو الامير عبد الوهاب فى عشرين من بنى كلاب وعشرين من السودان الأنجاب (قال الراوى) فلما دخل شومدرس ودنا من العسكر دارت به الرجال فقال لا إله إلا الله محمد رسـول الله أنا خرجت لقضاء حاجة فامسكوا عنه فدخل الى العسكر مختفيا وجعل يتحدث مع كل قوم ويلتقط منهم الخبر حتى عرف أين مضرب سيف الحنيفية فقصد اليه وكان جالساً على سرير قد نصب لأنه قد ربى فى بلاد الروم فهو على زيهم وتربيتهم وأمراء العرب حوله وعنـده الامير عبد الوهاب وهو يسأله عن ملطيه وأحوالهـا وكيف عمرت أطلالهـا وكيف كانت سيرة بنى سليم معه وهو يقول له : أما ملطيه فانها عمرت عمرانا ماعمرت قط مثله لأنى سمعت العرب يتحدثون بذلك فقال الامير عبد الوهاب

فكيف رأيت الامير عمرو بن عبيد الله لك منذ غيبتى فقال وعى يفعل معى غير الجميل ولو أنكرت منه حالا واحداً لعلوت رأسه بالسيف فضحك الامير من قوله وقال له إيش عندك من أخبار الرشيد فقال له اعلم اننى لما مضيت فى صحبته إلى ملطيه وشرع فى عمارتها أخلع علىّ وشرفنى ولما وصل الى بغداد أرسل الى خمسين ألف دينار أنفقتها فى هذه الرجال الذين تراهم (قال الراوى) ولم يزل الامير يتحدث مع ولده سيف الحنيفية ورجاله من حوله وفى جملتهم اللعين شومدرس الى أن نامت العيون وهجم سلطان المنام على الأنام لما مر عليهم فى يومهم ذلك من التعب والنصب والقتال والنزال وملاقاة الابطال وأن الملعون شومدرس قد ذكرنا مافيه من القوة على أنه شيخ كبير إلا أن فيه قوة الخمر ولحم الخنزير وانه لما علم أن القوم ناموا عمد الى الشموع فأطفأها والقناديل وامتلط من وسطه خنجر أمضى من القضا لو طرح على سنام الجمل نزل الى الارض وقصد الى الذين كانوا فى المضرب من خواص سيف الحنيفية فما كان يضع الخنجر على حلق أحد إلا وقد نزل الى الارض أسرع من البرق فذبح العشرة عن بكرة أبيهم ثم تقدم الى السرير وصعد اليه وجعل يفتكر فى ذبحه ثم يقول لوقدرت على أن أحمله الى الملك الاشميطش لكان أولى وأجل وأعلى ثم انه عول على أن يحمله ويعمل فى فمه أكره ويكتف يديه فان تحرك ضربه بذلك الخنجر الذى فى كفه وهوأمضى من القضاء المبرم وان هولم يتحرك سار به الى الملك الاشميطش (ياساده) وذكر صاحب الحديث انه لم يكن فى بلد أيشم ولا أمكر ولا أحيل ولا أجسر من شومدرس ولا من عقبة فى بلاد الاسلام إلا أن يكون أبو محمد البطال لأنه كان رجل زمانه ولم يكن حاضر مع الامير لأنه لما سلم اليهم الحصن تركهم وسار من خوفه على الاميره ذات الهمة فسار يريد حصن الدولاب .

هذا وأن شومدرس عمل الأكره فى فم سيف الحنيفية وشد يديه الى رجليه ولم يشعر سيف الحنيفية لما يريد الله من تأخير أجله لولا انه لو تحرك لبطش به الملعون بالخنجر وضربه به فلما شد يديه الى رجليه دخل من تحته ونهض من تحته فكان عليه مثل الجمل حتى غاب عن العسكر وأمن على نفسه وقد لقى تعبا ونصبا وكاد أن يهلك وقصد به الى صخرة ووضع الامير سيف الحنيفية من على أكتافه عليها وقعد يلهث وقد فتح سيف الحنيفية عينيه فرأى الراهب وفى يده الخنجر يتلألأ كأنه صاعقة له لمعان بارق يجلو دياجى الغياهب الغاسقة فعلم أنه قدسرق وقد دخل عليه أمر فقال فى نفسه ماهذه غالية بتسليمها ان سلمت وبقى لى عمر وبقى متفكر كيف دهى ورأى الاكره فى فمه لا يقدرأن

يتكلم وشومدرس جالس كأنه القضاء المصبوب وفى يده الخنجر (قال الراوى) وبقى الراهب متفكراً فيما يعمل وما بقى له نهضة يحمل الأمير ولا يطيب عليه يمضى ويخليه ويجيب من يحمله فعزم على قتله ورفع يده وهم أن يضربه وإذا بشخص قد أقبل فى ظلام الليل وهو يلهث وعلى ظهره حمل ثقيل وفى يده سكين وهو سائر إلى تلك الصخرة التى شومدرس عندها وكان مقابلها صخرة أخرى كبيرة فحط عن ظهره شخص قد شد يديه إلى رجليه وفى فمه أكره فنظر الراهب إلى الشخص فأنكر أمره ووثب قائما على قدميه والخنجر فى يده فعند وثبته وثب ذلك الشخص أيضا قائما على قدميه والسكين فى يده فلقيه الراهب فعرفه أنه أبو محمد البطال ونظر اليه أيضا البطال فعرفه أنه شومدرس فقال له ويلك يا شيطان أخبرنى من معك حتما فانى أراه جسيم وسيم حتى أخبرك أيضا بصاحبى الذى هو معى فقال له أبشر أبو محمد فان معى الذى تسمونه سيف الحنيفية ولد الأمير عبد الوهاب فأنت من معك فقال البطال يا ملعون كملت العبارة واللعنة والسرقه أنا معى الملك الاشميطش أخذته من سرادقه بعد أن ذبحت أربعين بطريق وأخذته بعـــد أن ذبحت البطارقه وتخطيت المضارب والاطناب والسرادقات وتعلقت فى هذا الجبل لأجل أن التقيت بك وقد لقيتك فأطلق من معك وأنا أطلق من معى فقال شومدرس أما صاحبى فلو مننت عليه بالاطلاق ما كان يطلق وما فى الأمر إلا أن أتحمل صاحبك وأحمل صاحبى وتمضى أنت إلى عسكر المسلمين وأمضى أنا الى عسكر الروم فاذا كان فى غداة غد وقع الفداء فنتفادى بهما فقال الأمير أبو محمد ويلك يا عدو الله مالى الى هذا من سبيل أن تحمل ولى الله الى أعداء الله ثم أن الأمير أبو محمد خلع ثيابه وحملها على يده الشمال وأخذ السكين فى يده اليمنى وزحف كل واحد منهما الى صاحبه ونظر أبو محمد الى الخنجر الذى فى يد الراهب شومدرس يلمع ويخرج منه البرق فقال فى نفسه والله ان ملك الموت يلوح فى كفه ولأن قاربته ضربنى بهذا الخنجر الذى فى يده فبقى الأمير أبو محمد يتجنبه وقد حمل على الراهب شومدرس وزحف اليه وقد أيقن كل واحد منهما بالعطب واذا بصائح يصيح من من خلف الراهب بصوت مثل الرعد العاصف أو الريح الناصف جاءك أمر الله يا عدو الله واذا به الأمير سيف الحنيفية وذلك أنه لما علم أن الراهب شومدرس قد اشتغل بالامير أبو محمد تمطى فى كتافه قطعه وحل رجليه ووثب قائما على قدميه ولم يكن معه شيئا يقاتل به الا أنه أخذ حجر كبير كأنه قبة ورفعه من الارض وطلب الراهب وقال له يا شيخ السوء أتاك أمر الله لا مرد له وحق النبى المنتخب سيد العجم

والعرب لئن لم تستسلم وإلا رميت هذا الحجر عليك طحنت به رأسك وكتفيك فلما رأى الراهب الى الحجر الكبير الذى على يده علم أنه ان لم يستسلم والا هشمه ورأى أبو محمد من بين يديه فلم يكن غير الاستسلام اليهما فتقدم اليه سيف الحنيفية وأخذ الخنجر من يده ودار كتافه بالذى كان مكتف به وقال ايش هذا الذى معك يا أبو محمد فقال ملك الروم الاشميطش الذى هذه المواكب والكتائب كلها تحت يده فلما سمع ذلك فرح فرحا عظيما وقال سير بنا ياأبو محمد فقال اعلم أنى قد وصلت الى هذا الموضع وأنا تعبان ولا يوم آخذ راحة فقال سيف الحنيفية حمل الملك الى شومدرس وسوقه قدامك فقال الملك حلونى وأنا أمشى وشومدرس قدامكم فقال له سيف الحنيفية يبقى عار عليه بمشيك فحمله له وساقه قدامه فقال شومدرس أدينى تعبت فقال سيف الحنيفية سير ياملعون عجب كنت حاملى وسار يضربه كل كف فيقع به فيقومه ويضربه ويقول له ياشيطان والله لا بد من صلبك على حصن الدولاب فكيف رأيت صنع الله بك فسار الى أن وصلوا الى عسكر المسلمين وقد وقع فيه الصايح بقتل العشرة وبفقد سيف الحنيفة فكاد قلب الأمير عبد الوهاب أن يطير خوفا على ولده فهو على ما هو عليه من حزنه والأمير أبو محمد وصل اليه ومعه سيف الحنيفية والاشميطش ملك الروم والراهب شومدرس فوجد الأمير فى قلق عظيم وينشد الاشعار وهو يقول أين أين واذا بالبطال قاطع عليه وبطله من الشعر ودخل عليه وقال له ماهو وقت أشعار ودخل بعده ولده سيف الحنيفية ومعهم الملك الاشميطش والراهب شومدرس ففرح الأمير عبد الوهاب وقيدهم فقال له سيف الحنيفية أقتلهم قال نقتلهم وعندهم خمسة عشر ألف أسير والأميرة وأبو الهزاهز فى قلوبهم من هذا الراهب أمر عظيم ولكن نخليهم حتى يمن الله علينا بخلاصهم ويكون تمام مسرتهم صلبهم على حصن الدولاب فقال نعم مارأيت يا أبى ثم سلم شومدرس لسيف الحنيفية وأراد ينام فدخل عليه البطال وقال له يا أمير لى على هذا الراهب دين فقال له شومدرس وما هو دينك قال صعدت أنا وإياك من جب الثعالب وسلمتنى للبطارقة فلطمونى حتى أورثتنى الصداع فقال شومدرس ماكان بك مرض وانما هى حيلة حتى سرقتنى وسلمتنى للسودان فلطمونى فقال البطال هذا شىء لا أعرفه ثم مد يده وضربه على صدره حتى نزل صدره وكذلك على ظهره حتى نزل لحم كتافه فقال له سيف الحنيفية دعه حتى يصبح ينال منه أبى غرضه فانه مابقى يصبح فقال البطال هذا مثل القطط له سبعة أرواح ثم خرج وقال يا أمير بكره تكسر هذا العسكر بعد غيبة ملكهم والراهب وإذا انكسر

العسكر دخل الحصن واسمه نصف الدنيا حصين ما يقدر واحد يدخل اليه ولا يصل اليه وها أنا ماضى الى الحصن وأخلص بعض الاسارى وأكن هناك مقيم الى أن ينصرك الله وتهرب المنهزمين وتنزل أنت على الحصن فتجدنى فى الحصن ذخيره حسنة فقال الامير نعم الذخيرة فلولاك باذن الله ما ملكنا حصن ولا قلعه فسير على بركة الله تعالى فهو يعينك فسار البطال طالب حصن الدولاب وطلع النهار فوقع الصايح لفقد الملك وكان فيهم بطريق شجيع كريم يقال له دقيوسا وكان من جبابرة الروم وكان يطلب الملك ويتمنا أن يكون له حصن الدولاب فقال لهم أنتم ما كان قتالكم الا لاجل الاشميطش فقاتلوا عن دينكم وعن حصنكم وعيالكم فحملوا على المسلمين ووقع القتال وكثر النزال وتعاركوا الى المساء ونزلوا فى الخيام وقد قتل من الروم ما لا ينحصر (قال الراوى) وسألت ممن كان حاضر فى الوقعة عن كم فارس كان مع الامير عبد الوهاب فقال لى ممن أثق به كانوا ثلاثين ألف ولولا دقيوسا ما كان سلم منهم أحد وكانوا الكافرين خمسمائة ألف أصبحوا أربعمائة ألف فعول ثانى يوم دقيوسا على البراز وأما الامير عبد الوهاب فأتى مضربه فما وجد الاشميطش ولا الراهب شومدرس فعظم عليه وانغم هو وولده سيف الحنيفيه وقال لقد كنت خائف من هزيمتهم ولكن العجب كيف بأصحابنا ولا قتلوهم ولا هو دليل نقول سرقوهم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن سيف الحنيفية لما أخذهم سلمهم لجماعة وكان كبيرهم واحد اسمه شمخ فنظر شومدرس الى خيولهم فوجدهم ضعاف وثيابهم رثه وعمائمهم خلقة فعلم أنهم صعاليك العرب فقال للملك المال ما جمع الا لعرض أو لمرض فقال له الملك بالعربى ومن يخلصنا ونعطيه مهما طلب فقال شومدرس هؤلاء الموكلين بنا وهم عشرون فارس وأميرهم وما ينوبهم من المسلمين اذا قسموا الغنائم كل واحد مائة دينار وأنا أعطى كل واحد خمسة آلاف دينار فقال الملك يا أبونا قد قطعت مال كثير فقال له المصائب فى الاموال أيسر من المصائب فى الابدان ومن طلب النجاة وزن جزيل الاموال فقال الملك افعل ما بدا لك فسمع شيخم كلامهم وكان شمخ من بلاد الشمط وكان يقطع الطريق هناك فبلغه خبر سيف الحنيفية وسفره الى بلاد الروم فسار مع الامير على الطمع فلما سمع بذلك المال ما بقى له عقل فقال شيخ منهم اسمه مدجج يا راهب أنت رجل جيد والله ان لم تعطينا المال الذى قلت لابد من صلبك فقال شومدرس وحق المسيح لاعطينكم كل ذلك فرضيوا وتقدم شمخ وحلف شومدرس والملك الايمان العظام ثم سيبوهم وأتوا بهم الى الحصن فعيطوا فعرفهم

البطريق الذى كان فى الحصن فنزلوا وفتحوا لهم الباب وصعدوا فأحضر المال ولم يبقى إلا تسليمه لهم فقال شومدرس له ما هذا صواب لان المال الذى تدفعوه لهم يكون مقابلته يتنصروا ثم لعب بعقولهم حتى تنصروا كلهم فقال قل لأهل الحصن يخفون أمرك عن أهلك فانى أريد أعمل عملا يكون فيه بلوغ الآمال فأنا أعلم أن البطال لابد قصده فى خلاص أصحابه وهذا ما لا يقدر عليه ولا يصل اليه ولابد لى ما أعمل على أسره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وهم فى الكلام وإذا بعشر بطارقة قصدوا الحصن ومعهم البطال وكان لهم حاجه فلما دخلوا الحصن وإذا بصائح يقول يا بطال من يستوفى دينه البارحة يأتى الليلة ثم صاح خذوه فقال البطال ومن خلصك يا ملعون فمسكوه ثم أمر به فمدوه وقال أريد أستقرض منك مائة سوط لانك جيد المعاملة ثم ضربه حتى أيسوا منه فقال الملك خليه يا أبونا حتى نعلم ما يكون من أمرنا إن كان لنا صلبناه وإن كانت لهم فاديناه فجعلوا فى رجليه قيد ثقيل ووضعوه فى المطمورة التى فيها أبو الهزاهز وهو على حالة ضعيفة فترحب به فقال دعنى فقد قتلنى شومدرس من الضرب فقال وجاء الحصن قال نعم قال إن سلمت ووقع فى يدى لأبقيت أبقيه لان ماله عدو غيرى (قال الراوى) وأما الامير عبد الوهاب لما عــــدم الاشميطش والراهب فبقى حاير لا يدرى ما يصنع فنهض سيف الحنيفيه وغاب ساعة ورجع متزيى بزى الروم وتكلم قدام الامير فتعجب منه فقال له على ماذا عولت قال افتح الحصن إن شاء الله تعالى قال أخاف عليك من الاعداء قال إذا صرت فى الحصن فرج الله عن أصحابنا لانى سمعت أن فى العسكر شىء كثير فدونك أنت والعسكر الدى بين يديك وأنا ماضى إلى باب الحصن فقال الامير أنا أسير معك ثم استخلف الامير عبدالوهاب مالك فحمل الامير مالك على عسكر الروم والتحم القتال وساروا الاميرين إلى باب الحصن ووصل الخبر الى الاشميطش أن العساكر فى القتال فقال أنا ما أخفيت أمرى الا حتى أخذنا لص المسلمين أبو محمد البطال ولا يمكننى أن أقيم لانى أريد أن أمضى الى العسكر وأوصيكم بالاسارى الذين عندكم لان فيهم أبو محمد البطال ثم انه ركب وأخذ معه خمسة آلاف فارس ثم ان الامير عبد الوهاب وسيف الحنيفية صبروا الى الليل وكانوا مختلطين مع الروم لابسين لبسهم فأتوا الى المطموره التى فيها أبو محمد البطال والاميرة وأبو الهزاهز وفتحوها وحلوهم من وثاقهم وأرادوا أن يخرجوا من باب المطموره فرأوا بابها مسدوداً بالاحجار كأنه جبل فعلموا أن ما فعــــل هذا الا أبو الشر شومدرس فتأسفوا وقالوا متنا ههنا كمداً لا يدرى بموتنا أحد وكان شومدرس

لما رآهم داخل الحصن عرفهم فعمل عليهم حيلة وأخفى نفسه لما نزلوا سد عليهم بالاحجار . هذا ما كان منهم . وأما ما كان من الملك الاشميطش فانه ركب ومعه خمسة آلاف ولحق بالعسكر فى ميدان الضراب فوقع القتال والتحم النزال وقاتلوا المسلمين نصرة لدين رب العالمين وقد قاتل مالك بن بشير قتالا عنيفا حتى كلت سواعده وحمل على عدو الله (دقيوس) وهجم عليه وضايقه وكل منهما ضرب صاحبه فنزل السيف على مالك بن بشر قطع يده وقد ضربه مالك أطاح رأسه وسقط الى الارض ميتاً الى النار وبئس القرار فحمل عليه بطريك اسمه (سمعان) فضربه مالك أرماه فلما نظر الملك الاشميطش الى ذلك انغم غماً شديداً وكان ذلك اليوم على الروم ميشوم فقال لهم الملك هذا رجل قطعت يده الشمال ولم يبق له إلا يد واحدة ويقتل رجالكم اهجموا عليه وخذوه قبالكم من قبل دخول الليل فخرج عليه بطريك كالطود وحمل عليه حملة أسد فتاقاه مالك وهاجمه وضربه على بطنه طلع السيف من خرزة ظهره وعجل الله بروحه الى النار وحمل عليه بطريك ثانى قتله (قال) وفى ساعة قتل عشرة بطارقة وأراد أن يرجع لأن يده زاد عليها ضرباتها فراجع نفسه وقال ويلك يانفس إنما هو أصبر ساعة وتنالى الجنة فهى أوفى بضاعة ثم انه حمل على الروم وبقى كأنه طائر قص جناحه وأنشد وجعل يقول :

ألا يانفس دونك والجهاد لعلك تخلصى يوم المعاد
إذا وقف العباد وهم حيارى وقد نادى بحشرهم المنادى
فلا تبكى إذا قطعت شمالى غداة الحرب فى يوم الجلاد
فإنى أرتجى من فضل ربى تخليها إذا غل الأيادى
ويعطينى بها كاساً دهاقا شراب الوصل من بحر الوداد

(قال) وحمل فقتل الابطال فخرج اليه الاشميطش وحمل عليه فزاد الشر وطلع الغبار إلى الآفاق وشخصت الأحداق فحملوا المسلمين يعينوا مالك فوقعت منهم ضربتين فكان السابق بالضربة الاشميطش فجاءت الضربة على قربوس السرج وكان حديد صينى فنزل فيه السيف حتى عقر الجواد وعطف مالك عليه وضربه فى صدره أخرج السيف من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر مالك وكبرت المسلمون وهللت الموحدون ونظرت الروم الى هلاك سيدها فنادوا بالويل وكادت الارض تنقلب وصاح بعضهم ببعض وارتجت الارض وتفطرت المرائر وتعلقت الرجال من

اللحى وأرملت النساء وبعد ساعة ولوا منهزمين وتبعتهم المسلمين ورجع الأمير مالك من المعمعة وكوى غلمانه يده وشدوها وكلما ضربت عليه يده يقول يا نفس اصبرى فقد قرب الرحيل (قال الراوى) ورجعوا المسلمين وقد غنموا مالا عين رأت وجاءته المسلمون يعزونه فى يده وهو يقول أنا أعلم أن لى فى هذا الثواب فدعونا من هذا وخذوا فى السير الى الحصن وإلا هلكنا أجمعين فلعنا نبصر الامير وولده والاميره فهمهم عندى أقوى من هم يدى ولقد أصبنا فى هذه النوبة بما لانطيق دفعه فلا كانت هذه الحصون فارحلوا بنا لعل أن نصل الى فتحه بسبب من الاسباب فقالوا ياأمير أنت على هذه الحالة والألم والليل قد هجم فاصبر بقية الليل الى الصباح ونرحل الى ما ذكرت فقال مالك لاسبيل لأنى قتلت ملكهم وهو عندهم مثل ملك القسطنطونية والروم إذا قتل عندهم ملكهم لايسكتوا والرأى نرحل من ليلتنا فلا يصبح الصباح إلا ونحن على الحصن فان كان القوم عولوا على قتل المسلمين المأسورين فيشتغلون بنا عن قتلهم ولابد من الرحيل لأنى أخاف من الله تعالى أن أغفل عن المسلمين ومالى عذر فقالوا بلى عذرك واضح فقال لهم مالك أنا أعلم ماقد لقيتم من القتال وقد طلبتم الراحة وأنا الذى لاأقعد الليلة ارحلوا بنا ثم رحل وتقدم فى أوائل الناس وقد برد عليهم الليل واشتد الألم والويل وسار يقطع طولا وعرض طالب حصن الدولاب ليكشف خبر المسلمين والامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب حتى قارب الحصن وأما المهزمين فانهم افترقوا فبعضهم ترك أهله وأولاده ومنهم من طلع الجبال من فزع الموت وعلم أن عساكر المسلمين لاتقاتل وفى الحرب لاتماثل وقصد بعضهم الى الحصن وعلاهم البكاء والانتحاب مما جرى عليهم فلما دخلوا عليهم أخبروهم بهلاك الملك وهلاك البطارقة ومن قتل من العمالقة وكثر البكاء فى الحصن والصياح والصراخ والنواح فقال شومدرس كفوا عن البكاء فسوف تأخذون الثار وتكشفون العار بقتلكم الأعداء وهذا الحصن الذى أنتم فيه مايطير عليه الطير فطابت قلوبهم وقالوا ياأبونا كيف نأخذ بالثار فقال دونكم والمطامير واضربوا رقبة كل أسير ثم غلقوا باب الحصن وقال دونكم قبل أن يحصل عائق فقالوا بمن نبدأ فأنت الذى يشار اليه فقال عليكم بمطمورة الدرج لأن فيها أسيرين مطلوقين ومعهما سيوف مبرقه فاذا فتحتوها فاهجموا كلكم فيها قبل أن يوثبان ويهجمان عليكم فلماسمعوا مقالته تبادروا الى المطمورة التى فيها الامير عبدالوهاب وسيف الحنيفية واذا بالصياح من وراء الحصن علا ونما وعسكر المسلمين أتى ونزل الامير المجاهد مالك المشهور أصله من بنى كلاب ومسكنه رملة عالج بالحجاز وأتى فى زمن عبيد الله الى

ملطيه والأمير مظلوم وحضر وقعة الخلا وعاد إلى الحجاز وطنه ومسكنه وما كان أتى ملطيه إلا كان غضبان على قومه فلما حضر الغزاه عاداليه قومه وترضوه فرجع اليهم وكان محب لعبد الوهاب فلما رآه قتل أباه وجده فى مرضاة الله تعالى وكان يراسله ويكاتبه ويهاديه ويسأله عبد الوهاب فى العودة اليه فيعده ويمنيه فلما دخل الأمير الحصون وأن سيف الحنيفيه عمر ملطيه قدم لهم الأمير مالك بأهله وماله إلى ملطيه ومعه جماعة من بنى كلاب من بنى عمه أبطال أنجاد أجلاد وكانت العرب تضرب بهم المثل ولما وصل الى ملطيه تلقاه الأمير عمر وسيف الحنيفية لأن أصحاب الأمير عرفوه منزلته عند الله وسأل عن الأمير عبد الوهاب فقيل هو فى سرية فى الحصون فقعد حتى عزم سيف الحنيفيه طالب أبيه فسار فى صحبته ولما وصل إلى الأمير فرح به أكثر من ولده ولما دخل الأمير وولده أعطاه التقدمه على العسكر حتى نزل على حصن الدولاب وكان من أمره ما كان وكان وصوله فى تلك الساعه سببا لنجاة الأمير وصحبه لأن الروم لما سمعوا أن العسكر حول الحصن صعدوا على الأبراج وضربوا بالمناجيق والأحجار حتى كشفوا الناس عن باب الحصن وتأخروا المسلمين إلى مكان لا يصل اليه سهم ولا حجر (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما تأخرت المسلمين عن الحصن قال شومدرس حصنكم مغلوق الباب لا يصل اليه أحد بسبب من الأسباب ولا سبيل للمسلمين اليه وإذا سمعوا أنكم قتلتم أصحابهم ولوا فعليكم بهذه المطمورة التى فيها عبدالوهاب وسيف الحنيفية والبطال وذات الهمه وأضرموهم بالنار وأرموهم بالأحجار وأسقوهم كاس البوار فقالوا البطارقه يا أبونا نشتهى نضربهم بالسيوف ونخلع منهم الأنوف ونسقوهم كؤوس الحتوف فقال شومدرس لا تخالفوا لقولى فيغضب عليكم المسيح وبعد ذلك فانكم تهلكون وما أريد لكم إلا الإصلاح فقالوا يا أبونا فكيف ذلك فقال اعلموا أنه ما يمنعنى من إخراج المأسورين من المطمورة إلا الأميرين الذين عرف كل منكم قتالها وما لنا الا نفتح باب المطمورة ونرمى عليهم النار واحرقوهم وجميع الأسارى الذين عندكم واشفوا قلوبكم منهم (قال) ففى ساعة أحضروا الأحطاب ولطخوها زيت وقطران ووقف شومدرس ألف بطريق بالسيوف من خوفهم من عبد الوهاب وولده وكشفوا غطاء المطمورة ورموا الحطب والنار جواها فقال لهم شومدرس وحق المسيح ما بقوا يشموا نسيم الدنيا وأمرهم أن يسيروا إلى باقى المطامير ويقتلوا الذين فيها وهم خمسة عشر ألف أسير ويرموهم برؤس ملوكهم فيقع بهم اليأس فساروا نحو المطامير واذا بالصياح عند باب الحصن قد علاه والصراخ قد نما فتراجعوا الى

الأبراج واذا بالأمير مالك زحف بكل فارس وراجل وتقدمت السودان بالمناقب والمعاول وبنى كلاب تسترهم بالدرق والنبال فتصايحت الروم ورموهم بالمناجيق وارتفعت الزعقات وكان فى بنى كلاب شاب وصل مع مالك اسمه جميل ابن سعيد الرامى يأخذ النبلة ويرمى بها الطير من أى عضو أراد فلما كان ذلك اليوم كان جميل أول الناس وستروه أصحابه بالأتراس فصار ما يضرب بطريق الا وقع فى فؤاده أو عينه حتى قتل من الروم ثلاثين بطريق وكشفوا البرج الذى بباب الحصن فأتى شومدرس وكان رامى بالمنجنيق فنصبوا له منجنيق يقال له الدموك فوضع فيه حجر فعظم ذلك على المسلمين وقالوا لجميل ابعد لموضع ما يصل لك فيه حجر فأبى * وأما شومدرس فصاح بالرجال فقعدوا فى الحبال ورمى الحجر فوقع فى بعض السودان فهشمه ولم يزل حتى قتل ستة وقتل بالنبال تسعه فوضع حجر وقال هذا يهلك به جميل وكان وضع جميل سهم فى كبد القوس وحرره على شومدرس فمع وضع كفه ومسكه سواعد المنجنيق انكشف فأطلق عليه جميل وأطلق شومدرس على جميل الحجر فأما الحجر فلحق جميل قصف وركه وأما سهم جميل فانه وقع فى عين شومدرس فغورها نخافوا وقالوا ما هذا الا شيطان لكنه هلك وعصبوا عين شومدرس وأما جميل فصار يعالج سكرات الموت وأما الامير مالك كوى له يده واشتد ضرباتها وأعلموه بما تم لجميل وصار يعالج فى غصص الموت فزاد بكاه وحزنه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأخبر من حضر أن جميل لما أيقن بالممات كان يقول : اللهم اربط على قلب الملك بالصبر وقال

يا راجعا الا حملت رسالتى	مخبرة أنى بلغت حمامى
وان سألت عنى العجوز فقل لها	قتيل حجار لا قتيل حسام
طريح بباب الحصن لما تطايرت	من الحجر الصلد الأصم عظامى
ولست أبالى ان قتلت لاننى	أرجى بقتلى فى الجنان مقامى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان هذا آخر ما قال من الكلام ثم تشهد وقضى نحبه ولحق بربه فلما بلغ هذا الامر الى الامير مالك بكى بكاء شديدا وقال والله ما بكائى على قتله لانى أعلم أن الله قد نقله من دار الشقاء الى دار الكرامة والرضوان وأكثر بكائى على تلك العجوز الوحيدة الزاهدة العابدة لانها كانت فى زمن حياته كثيرة البكاء عليه من خوف الفراق فكيف أمر ما بعده تلاق (قال الراوى) وان الامير مالك صلى على جميل وواراه بدمه ليكون الدم شاهد له غدا بين يدى الله عز

وجل ففعلوا ذلك وبكوا على فقده (قال) هذا جرى ههنا * وأما شومدرس فانه لما أفاق من وجع عينه قال وحق أم النور مريم وحنه وجرجس ومرنه والراهبين بدير قنه والشهيد مريحنه لاجعلها على المسلمين ليلة ميشومة ولآخذن عوض عينى ألف عين ولأنزلت بهم البوار ولأخذت بالتار وأكشف العار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأن شومدرس أتى الى بعض المطامير وقال للموكلين بها كم فيها من المأسورين قالوا ثلاثة آلاف من السودان وألفين من الأبطال فقال لا أرجع الليلة عن ضرب رقابهم الجميع عن يقين وأجعلهم عوضا عن عينى اليمين ففتحوا المطمورة وأمر عشرة من الروم أن ينزلوا اليها ويطلعوا بالأسارى فنزلوا العشرة فما غابوا غير قليل واذا بهم أسرعوا بالطلوع فمد شومدرس عينه لينظر أول من طلع من أصحابه وإذا به المعروف سيف الحنيفية الضارب بالمشرفيه والطاعن بالسمهرية وبعده عبد الوهاب فصاح وزمجر وزعق الله أكبر وطلع من بعده المقدم المبارز البطل المناجز الأمير أبو الهزاهز ووثب من بعده القضاء المبرم والأسد الهجوم والموت المحتوم والبطل الصدوم الأميره فاطمة بنت مظلوم ثم وثب الفارس الدارس الشديد الباس والبطل الدعاس الأمير ميمون الجماس فقالوا البطارقة يا ويلكم سدوا باب المغار فقد عبروا هؤلاء الكلاب وصاحت الأميرة ما الانتظار مكنوا منهم البتار واقطعوا الأوتار وأخلوا منهم الديار (قال الراوى) وطلبوا الروم أن يسدوا باب السرداب فما قدروا عليه ومنعوهم عن الطلب وطلع البطال الأمير أبو محمد ونادى الله أكبر فتح الله ونصر وأتانا بالظفر خذوا شومدرس الفرنان ومكنوا فيه النيران (قال الراوى) لقد سألت الأمير أبو محمد وقلت له كيف كان خلاصكم قال اعلم أنه لما ألقى الملعون شومدرس الطاحون على باب المطمورة فقلت للامير عبد الوهاب كيف ترى صنع هذا الملعون شومدرس ولو أتى هذا الكلب إلى ديارنا حتى يتفق هو وعقبه لكانوا يفتنون الدنيا والآن قد علم أنك أنت وولدك معدين وأنكم لو خرجتم لضربتم القمم وتركتم أهل الحصن مثلا بين الأمثال وقد تركنا نموت جوعا وعطشا فقال عبد الوهاب فكيف الحيلة فما لنا الى الخلاص وسيلة فقال سأريكم إن شاء الله تعالى فقال سيف الحنيفية لقد قلت لك دعنا نهجم على القوم فمنعتنى فقال الأمير عبد الوهاب إن الله لم يأمرنا الى التهلكة وأى مقام يكون لنا ونحن نفسين وأهل الحصن أكثر من خمسة آلاف فارس ولو كنا هجمنا عليهم وأوصلنا الأذية اليهم لكان لابد لنا من هذا أما سمعت قول الله تعالى « ولو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » فقال أبو محمد

دعوا عنكم المخاصمة وقوموا بنا حتى ننقب هذا التراب ونخلص الى مكان آخر لعلنا نخلص واقصدوا الى هذا الجانب الشمال لأنى أرى أنه سهل لاجل المعاويل لين الأخذ فانقبوه فقالوا وما عسى أن يحصل لنا من نقبه وهو تل مثل الجبل العظيم وما فيه حائط قريب فقال أبو محمد احفروا وارموا التراب وراء ظهوركم وخذوا سيوف الأميرين وخذوا السكاكين التى فى أوساطكم وبأيديكم أيضا فعسى أن يكون لكم فرجا من هذا الضيق فانى لا آمن من هذا الملعون شومدرس أن يخليكم بالجوع والعطش وتهلكون وربما عجل علينا بالعطب ويحرقكم بالنار وأنا أرجو أنكم اذا تعبتم أن يكون لكم مخرج الى بعض المطامير التى فى الحصن لانكم قد عرفتم أن فى الحصن ستة آلاف أسير وكلهم تحت الأرض فى المطامير وهو دليل على أن الحصن كله سراديب فقالوا ما الفائدة أن نخرج من هذا السرداب الى غيره فقال الامير أبو محمد ذلك أكبر الفوايد ربما أن شومدرس من خوفه من الامير عبد الوهاب وولده ما يفتح علينا أبداً فيرمينا بسهام الردا ولابد له أن يقصد الى المطامير ويفك القيود من أرجلهم ويأمر باخراجهم وضرب رقابهم فتكون هناك ونخرج معهم ونمنع عنهم البطارقة فقالوا لله درك يا أبو محمد فما أخبرك بالامور ثم تقدموا الى الموضع الذى أمرهم بالحفر فيه وكان ترابه عتيق وكانوا أكثر من مائتى أسد وكانت أيديهم أحد من المساحى لطولها وأبو محمد بالسكين التى معه والاميرين بالسيوف وقد أخرج كل واحد من وسطه سكين وكذلك الاميرة ذات الهمة كان من تحت ثيابها سكين عريض ثقيل (قال الراوى) فما مضى نصف الليل حتى بقى زقاق مثل باب زويله وبين القصرين فنفد النقب الى أن خرج الى سرداب ثانى فخرج أبو محمد وخرجوا بأجمعهم فما حسوا بهم الاسارى الذين فيه الا وقد خرجوا عليهم من تحت الارض فكادت عقولهم أن تذهب لانهم رأوا التراب يتطاير والاحجار تتناثر والسودان وقد علا عليهم الغبار وهم مثل الجن فجعلوا الاسارى يقرأوا القرآن حتى ظهر واعرفوا بعضهم البعض لما يريد الله تعالى من سلامتهم وانفتح فى تلك الليلة عليهم باب السرداب ونزلوا البطارقة العشرة حتى يخرجوا الاسارى فلم يحسوا بهم الا والسودان قد قبضوا على حلوقهم وأخذوا عدتهم وكانوا قد فكوا قيود بعضهم البعض وصعدوا وكان الرجل منهم يوقع على البطريق ويلكمه يطرحه الى الارض ويأخذ عدته ويهجم على الاعداء اللئام فارتفع الصياح فى الحصن وأحدقوا بهم خمسة آلاف فارس واشتد القتال ودام النزال وطيرت السودان رؤوس البطارقة وهاجت الاقيال وتصايحت الشجعان واستغاثت الصبيان والنسوان

وجعلوا يرجموا المسلمين بالأحجار (قال الراوى) وكان حصن الدولاب بعيد الطول واسع العرض وكان فى وسطه ميدان يصلح للضرب والطعان هذا وقد زمجر سيف الحنيفيه وهاج مثل ما يهيج الجمل وكاد أن يتمزق من الغيظ وبقت مقل عينيه تتبحلق فالويل لمن يقف بين يديه فلما نظروا إلى فعاله وقتاله تحايدته البطارقة والأمير عبد الوهاب وكذلك ذات الهمة وأبو الهزاهز يطيروا الرقاب يميناً وشمال وقد جندلوا الأبطال وأبادوا الاقيال ووقع بهم النكال وسقوهم كاس الوبال (قال الراوى) فهم على هذه الحالة وإذا بعشرين من البطارقة بالعدد الكاملة والسيوف البارقه ينادون الله أكبر الله أكبر (يا سادة) وكانوا هؤلاء الذين لعب شومدرس بعقولهم والاشميطاش حتى هربوا فلما وصلوا معهم الى الحصن ولم يزل شومدرس بهم حتى تنصروا فلما جرى من الأمر ما جرى قالوا لبعضهم البعض يا ويلكم نبيع الآخرة بالدنيا الساحرة فقالوا فكيف لنا وجه نقابل به الأمير عبد الوهاب من بعد ما فعلنا هذه الفعال فقال بعضهم اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » ونحن لا شك أننا قد ندمنا على ما فعلنا ورجعنا الى باب الرحمن يغفر لنا ما قد سلف ويسامح العبد العاصى اذا اعتذر واعترف ولا يطرد العبد الآبق اذا رجع وعلى الباب وقف وهو يعلم أن هذا الراهب يلعب بالعقول وينطلى مكره على كل سيد بالفضل مشغول (قال الراوى) ثم نادوا الله أكبر ورفعوا أصوتهم بالتهليل والتكبير والصلاه على البشير النذير وجردوا الصوارم وقطعوا الجماجم والعلاصم ورجعوا الى الله تعالى وحملوا على الروم على رغم كل كافر وهم ينادوا ربنا ان لم تقبلنا فالى من نرجع وان لم تغفر لنا فأمرنا بما نصنع وعزتك وجلالك لا نعبد غيرك (قال الراوى) فابتهج الأمير عبد الوهاب من ذلك الخطاب وقال معاشر الاحباب قد كشف الحجاب والمولى غفار لمن تاب (قال الراوى) وكان صباح ابن عامر المرتد الكافر الذى قتل أبوه وعشرون رجل من أجل قطالون فى حصن العمد وذلك أن شومدرس لما أسرب قطالون وبولص الذى كانت تهواه وقد أسلم أيضا معها وقال صباح لشومدرس يا أبونا أريد توفى لى بما عهدت وأوعدتنى فقال سمعا وطاعة حتى تتفرغ قلوبنا من أمر المسلمين وأعطيك قطالون واقتل بولص (قال) ثم أنه فرق بين قطالون وبين بولص وترك بولص مع الأسارى فى المطمورة وأعطى قطالون لصباح الملعون وأفرد لهم بيت فى الحصن وقال لا تتعرض لها حتى آذن لك (قال الراوى) وقد ذكرنا أنها

هى التى أسرت صباح فى الحرب فما كان له هيبة عندها ولاقدر أن يدنو منها لأنها قالت له ياصباح أنا أقسم بمحمد بن عبد الله رسول الملك الواحد الذى كل المصنوعات على صدقه شواهد لئن دنوت منى لأقلعن عينيك بيدى وبعد ذلك أقتل روحى ولاتصل الى ولا تقدر على فجعل يتخضع لها لاتفعلى فمن أجلك كفرت بالواحد وقتلت الوالد فقالت له يا أخس الخلق كفرت برب البريه لأجل شهوة دنيه فأنا أيضا دخلت فى دين الحنيفية لأجل الحياة الأبدية والعيشة السرمدية ونزهت خالقى أن يكون له ولد بين البريه فقال لها ياويلكى ما أنتى فالساعة حاصلة عندى ان شئتى وان أبيتى ولأجلك تعبت وتعنيت والذى وعدنى صادق وقد حققت الحقائق وقد سلمكى الى وهو أبو الشر شومدرس وما بقى غير انجاز هذا الأمر فقالت له يا ويلك اسم يكون أوله شر وآخره شوم ما يكون وعده إلا وعد مشؤم ثم أرادت أن تظهر محاله فقالت فى بعض الأيام انكنت تريدنى فارجع الى دين الاسلام حتى أكون لك وبين يديك ولا أبخل بروحى عليك فقال لها هيهات هيهات أن أرجع عن دين النصرانية ومابقى لى فى دين الاسلام نيه (قال الراوى) وكانت بأغلظ كلام تخاطبه وبأحسن اعتقاد فى دين الاسلام تجاوبه ولم يزل معها على ماذكرنا والحال الذى وصفنا حتى وقع الصياح فى الحصن فأخذ الملعون عدة مانعة ومعه صمصامه قاطعة بارقة لامعة ولم يكن فى بنى كلاب على صغر سنه أشجع منه ولما أسرته قطالون لم يكن بقوتها وانما جلبته بحسن وجهها وحلاوة كلامها ورمته بأسهم صايبات من عيونها وأنه لما رأى الأمير عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية علم أنه يوم يقتل فيه لكن غلبت الشقاوة عليه كما كتب على جبينه فحمل عل الناس إلى أن قتل ثمانية أبطال وكانوا من الذين تنصروا وعادوا الى الله تعالى تائبين فختم لهم بخير وبينما الامير عبد الوهاب على ماهو عليه من قتال الروم وقد طير الرؤوس من على الجسوم إذ لقى هذا الملعون فناداه الأمير ياصباح لا أنعم الله لك صباح ولا بد لى أن آخذ حق الله عز وجل منك فلما سمع ذلك من الأمير عبد الوهاب جاوبه بأقبح جواب وهو ينشد ويقول

ألا أيها الحجام كف عن العذل ... فمثلك مايسوى يجاوب من مثلى
لأنك من أولاد مرزوق عترة ... وشتان ما بين الحلال الى الفعل
أنا الفارس القمقام فى كل معرك ... إذا انفردت نفس الجبان من القتل
أنا الرامق المشتاق والهائم الذى ... أرى قتلكم عندى ألذ من الوصل
أنا قاتل الأب الذى كان عمره ... على غير دين الحق بل كان فى الجهل

فإن شئت فادنو ياابن مرزوق ساعة إلى لتحظى أمك اليوم بالنكل
وإن كانت الأم الكبيرة ترتجى قتـالى فإنى صابر أبتغى الكل
ولا تحسبوا انى أعود إليكمو ولا لى إلى سكان بلدتكم شغل
ولم يبق لى فى دينكم وزن حبة فدونكمو إن تقدرون على قتلى
وحق التى جاءت بعيسى مكرما وليس لها بين البرية من مثل
لأنتقمن اليوم منك بضربة تذيقك طعماً للحمام مع الذل
وأحمى عن الدين العتيق حميـة كما قد هجرت الأب فيه مع الأهل
قتلت أبى من أجل دين ابن مريم وأوعدنى شومدرس اليوم بالوصل
وقال ستعطى كل ما قد طلبته من الحور والولدان والحدق النجل

(قال الراوى) ثم حمل على الامير عبد الوهاب بكليته وقال دونك وإياى ياابن مرزوق سترى منى مالم ترى من مخلوق فعند ذلك حمل الامير عبد الوهاب عليه وقد لاح الغضب بين عينيه وأجابه يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المغرور بالحسن والدل وبالقد والأطراف والمقل النجل
ومن صار عن باب الإله مشرودا طريداً بعيداً عن مقاربة الوصل
كفرت بمولاك القديم ومن له جميع الورى فى قبضة القهر والذل
وبارزته بالذنب والجهل غفلة وبغيا وإسرافا على أقبح الفعل
ستعلم يامغرور انى صميدع أبيد الأعادى بالسيوف وبالنصل
وفاخرتنى فى قتل عامر عامدا لقد عميت عين الشقاء مع النذل
فقايس أفعالى وفعلك دائما لتعلم انى ذو المكارم والفضل
فأنت الذى آذى أبوك مقرباً بسيفك لما كان فى القيد والغل
ولو كان مطلوقا لما كنت واصلا إليه وأنى يلحق البغل بالنحل
قتلت كريما سيداً وموحدا ألوفاً لفعل الخير والرأى والفضل
وهذا خلافى إذ قتلت لوالدى على كفره بالله فى غاية الجهل
وجندلته فى حومة الحرب والوغى وخضت صفوف الروم فى معرك السهل

(قال الراوى) ثم حمل عليه الامير وأطبق عليه من شدة غضبه وضربه بالسيف على مفرق رأسه نزل السيف الى صدره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكتب فى ديوان الفجار وأما بقية الرجال الذين رجعوا الى دين الاسلام فانهم طلبوا باب

الحصن فى الظلام وقد قتل منهم خمسة أخر والباقى فتحوا الباب وصاحوا يا آل كلاب ونادوا بالتكبير فهاج اليهم النفير ولم يبق أحداً حتى دخل الحصن ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل وكانوا الروم لما فتح باب الحصن طلبوا الهرب طمعاً فى النجاة من العطب لعلهم يجدون الى الحياة سبب ونادت النسوان والصبيان بالأمان . وأما الأمير عبدالوهاب فانه أمر بالمطامير ففتحت وأخرجوا جميع الاسارى فلم يعدم منهم إلا الامير ابراهيم وأمه علوى فلم يجدوا لهم خبر فسأل عنهما فقالوا الروم وحق المسيح مانعلم بهما إلا أن أبونا شومدرس لما رأى لها عندكم قدر كبير وانهما من الشرف بموضع ليس له نظير أخرجهما من ظاهر الحصن كى يبعدهما ومانعلم حبسهما فى مغار أوقتلهما بالمرهف البتار (قال) فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك عظم عليه وكبر لديه ثم التفت الى الاميره ذات الهمه وقال لها قد فتح الله على يدى سائر الحصون وبلغ الامر الى منتهاه وما كان لزوجتى وولدى فرج ولا من الضيق مخرج ثم قال معاشر المسلمين هل فيكم من رأى الملعون شومدرس جديل أوقتيل فقالوا مافينا من رآه فقال بعض السودان انى قتلت شيخا أعورا من عينه الشمال وكان شومدرس قد ذهبت عينه اليمين فقال الامير عبدالوهاب اطلبوا أبومحمد فما يقدر على إخراج شومدرس إلا هو فطلبوا البطال فلم يجدوه فقاق الامير من ذلك ثم نظر الى مالك وهو أقطع اليد فقال أبشر يامالك بالرحمة والثواب من الملك العزيز الوهاب وسوف يعطيك يوم القيامة مطلوبك ويخلصك من العذاب فقال مالك وعيشك أيها الامير انى ما أبالى بقطع يدى انما أوصلنى ربى ثم أنشأنى وهو ينشد ويقول :

إذاقطعت يدى من أجل ربى ... فإنى بالنوائب لا أبالى
اذاقطعت يدى ويكون ربى ... يمن على منه بالوصال
فما أدرى بمن قد كان منهم ... وحالى قد يدل على المحال

(قال الراوى) فقال الامير عبدالوهاب لله درك ياأبامالك فأنت مسلم صادق لا كاذب ولا منافق ثم ان الامير عبدالوهاب أقبل على الاميره ذات الهمة وقال الآن قداشتدت على النوبة من ثلاثة أوجه : أحدهما فقد الامير أبومحمد البطال وما أدرى ما كان منه والثانى انى كنت اشتهيت أن أصلب شومدرس على هذا الحصن قبل المسير الى بلاد الاسلام ففى قلبى منه نيران لاتطفأ وأمره عليكم لايخفى فالحمد لله الذى جعل هذا الشيخ السوء بعيداً عن مدينة القسطنطونية والثالث أريد أن يجمع الله بينى وبين زوجتى علوى وولدى ابراهيم فجسمى لفراقهما سقيم فلما سمعت الاميره ذات الهمه ذلك من كلامه قالت اطلب من الفعال لما يريد لاتطلب من مخلوق وان كان قضى على أبومحمد

أن يموت فى بلاد الغربة فلو اجتمع أهل الارض على أن يزيدون فى عمره لما قدروا وان كان ماسلطك الله على صلب شومدرس فانك لاتقدر إلا ان قدرك المدبر وأما أهلك وولدك فهما كانا سبب دخولك الى هذه الديار حتى طهرتها من الكفار وربحت الثواب من الملك الجبار وان كان الله قدر اجتماعكم فى الأزل فلابد اجتماعك بهما (قال الراوى) ياسادة وهما فى الكلام واذا قد دخل من باب الحصن بطريق وهو يصيح دلونى على أميركم وأرشدونى فأمرى عجيب وحديثى غريب وفرج أهله وولده قريب وصلب شومدرس يكون قبل المغيب فقال له هات ما عندك (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أبو محمد لما حملت الرجال على الرجال والابطال على الابطال لم يكن له همة إلا باب الحصن وقف عليه والحسام فى يده فلم يرى شومدرس خرج من الباب ولم يخرج إلا عجوز كبيرة وهى راهبة وقد ارتعشت من الكبر وضعفت وقل منها البصر فلما رآها أبو محمد قال لها بالرومى وقد رقّ قلبه لها لكبر سنها لاخوف عليك ولا تحتاجين الى الهروب فما يكلمك أحد من المسلمين فما ألوت عليه ولاالتفتت إليه إلا انها خرجت وهى جارية والى باب الحصن طالبة (قال الراوى) وكانت العجوزة هى شومدرس وذلك انه لما رأى المسلمين صعدوا من السرداب أيقن بالعطب وما كان له غير الهرب وأتى الى باب الحصن وقد فتح فرأى الامام مالك ابن بشير قد دخل وبنى كلاب والسودان الأنجاب فطلب الملعون الخروج فوجد أبو محمد كأنه النسر القشعم على باب الحصن فرجع مولياً ولم يكن أبو محمد رآه فدخل الى بعض خزائن الحصن وعمل فى الحال نوره ووضعها على وجهه فنزلت لحيته فى ساعة وقلع ثيابه عن جسده ولبس ثياب راهبة وتقنع وتعصب وانحنى وحمل العكاز وارتعش (قال الراوى) وكان أبو محمد يعهد شومدرس عيونه كأنها عيون أرقم أو حدقتى أسد قشعم فرأى هذه الصفة وهى راهبة وعينها عورة ووجهها أجرب وظهرها أحدب ولم يكن سمع بقلع عينه فلما غابت الراهبة عن عينه رآها قد استقام ظهرها وقد قوى مشيها فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحق سيد البشر إن كانت هذه الراهبة الاشومدرس مثل ماأنا أبو محمد ثم خرج يعدو فى أثرها إلى أن نظر اليها وقد تعلقت فى لحف الجبل ودخلت فى مغار يقال له مغار الجن (قال الراوى) وكان الملعون قد رفع الاميره علوى وولدها اليها لأنها كانت مغار مظلمة عظيمة وفى ذلك المغار جب يقال له جب الشياطين كثير المنافذ الى الجبل .

(تم الجزء الرابع عشر ويليه الجزء الخامس عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) ثم ان شومدرس لما دخل المغار رفع ثيابه عن كتفه وأخرج خنجر مثل القضاء المبرم جيد الصقال محكم وهجم على الاميره علوى والامير ابراهيم وهما فى القيود والاغلال وفى أعناقهم السلاسل وقد ربطنا فى الصخور الثقال ولهما ثلاثة أيام ما أكلا طعام وقد أشرفا على الهلاك ولم يجدوا سبيلا الى الفكاك وهم على تلك الحالة إذ دخل شومدرس عليهم وفى يده الخنجر يظهر منه الموت وقصد اليهما حتى يفجع الامير عبد الوهاب عليهم وينزل الى جب الشياطين فلو نزل فيه أهل الأرض لما بالى بهم لأنه موضع كثير المنافذ والخروق ولاسبيل لأحد اليه لكثرة منافذه ولم يعلم أن البطال خلفه وانه قد استدرك غلطه فبينما الملعون قد رفع ذراعه وهم أن يضرب الاميره علوى وهو يقول لها كلما جرى على الحصون من أجلك وحق المسيح لابد من قتلك وقتل ولدك حتى لا تجتمعى مع أهلك فقالت له يامولاى والله لئن سلطك الله على قادر أن يخذلك ويكشف عنا ما بنا وهو لكشف الشدائد أقرب من لمح البصر فقال ابراهيم يا ويلك هتكت الحريم ولا تخاف بارئ النسيم فهو معه فى الكلام وقد أيقن بالحمام (ياساده) واذا بالأمير أبو محمد قد هجم عليه وأشار بحسامه اليه ونادى ياعدوالله وعدو رسوله إلى أين تهرب وأنا لك بالمرصاد وقدأحاط بك البلاء ووصل اليك الأذى ولابد ما أسقيك كاس الردى فالتفت شومدرس إلى أبو محمد البطال وقد دهمه وقال ياشيطان ما يخلى منك موضع ولامكان اصبرعلى قليل فعندى خبر جميل فقال وماهو فقال اعلم أنى رأيت البارحة محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول ياشيخ السوء ما آن لك أن تعود الى توحيد الملك المعبود وتدع زخاريف النصارى واليهود فإنى غضبان على أهل الجحود ياويلك ألك قوة فى النار

على السلاسل والقيود ياويلك أما ينفع فيك الوعظ والتهديد وتعود الى الملك المجيد وقد والله رق قلبي ولانت جوارحي للاسلام وانى ما أتيت الى هذا المكان إلا أطلب من هذه الاميره وولدها الأمان واستشفع بهما اليكم والدليل على صدق قولى هـذا الخنجر الذى فى يدى نخذه وهؤلاء الأسيرين فحل كتافهما فإنى ما جئت إلا لأجل حلهما (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلام الملعون شومدرس ورأى الامير ابراهيم وأمه علوى قال ياملعون حل كتافهم واخرج بين يدى الى عند الأمير وجدد إسلامك بين يديه فقال يا أبا محمد أخاف أن يكون قلبك على ملآن ولا تصـدق انى قد صرت من أهل الإيمـان فتقلتنى غلط وتطالب يوم القيامة بدمى ولـكن ارمى السيف من يدك حتى أفعل ذلك (قال الراوى) فعندها رمى أبو محمد السيف من يده وقد تخيل عقله بخلاص علوى وولدها ابراهيم فلما رآه لفح السيف وثب اليه ولم يمهله دون أن ضربه بالخنجر فى كتفه خرج من الجانب الآخر فوقع الى الأرض وأشرفت نفسه على التلاف وبرك عليه ليأخذ رأسه فأدركه بولص وصاح عليه وكان بولص قد تبع أثر أبو محمد فلما صاح على شومدرس خشى أن يكون معه جماعة من المسلمين وأبطال الموحدين فألقى نفسه هارباً فى جب الشياطين فلم يقدر بولص أن يدخل المغار من خوفه من شومدرس لأنه كان يعرف خبثه ومكره وشره وغدره وترك أبو محمد على حاله ومضى الى الامير عبد الوهاب وأخبره بما فعل الشيخ الـكذاب فقام الامير بنفسه لاستنقاذ أبو محمد وولده وزوجته ولم يزل سائر إلى أن وصل الى المغاره وهجم اليها فوجد الدم على وجه الارض مثل القربة اذا انفتحت ولم يجد أبو محمد فعظم عليه وكبر لديه وأدار فى المغارة عينه فرأى الامير ابراهيم كأنه الخيال وهو لايقدر ينطق بحرف واحد من الجوع وكذلك أمه الاميره علوى ففاضت عينيه بالدموع حين رآهما وأنشد يقول :

وقد يجمع الله الشتيتان بعد ما ... يظنان كل الظن أن لاتلاقيا

(قال الراوى) فدنا اليهما وتقرب منهما وترشفهما وهو لايتمالك من نفسه ودمعت عيناه فرحاً وحزنا الفرح بسـلامتهما والحزن على الأمير أبو محمـد البطال وفك قيودهما وقال الحمد لله على سلامتكما من بعد طول الغيبة ووحشة الأربة فعنـد ذلك انتحبت الاميره علوى انتحاب الفرح والاجتماع وأنشدت تقول هذه الأبيات :

شكرت الإله على فضـــله ... فأعقبنى الشكر خيراً كثيرا
وســـلمنى من جميع الردى ... وسلم ابنى الهمـــام الأميرا

ومنّ علينا بإحسانه فدام السرور وفك الأسيرا
فيا أيها السيد المرتجى لك الفضل لما جبرت الكسيرا
ومثلك يرجى لدفع الحمام وحفظ الدماء وحصن الفقيرا
فلازلت فى الناس ذا نصرة وأنت لنا فى الرزايا نصيرا
فقد طال أسرى فى بلاد العدا وقد كان قلبى بكم مستجيرا
وانى شقيت زمانا طويلا وما رأيت لما قد دهانى نصيرا
إلى أن تأملت وجه الأمير فزال الشقا ووجدت السرورا

(قال الراوى) ثم ان علوى أرمت وجهها على أقدام الأمير عبد الوهاب وقالت له أحسنت يانعم العزيز والقرين ومن هو للمسلمين ناصر ومعين وياترس قبر محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ثم إن الامير عبد الوهاب دنا من ولده الامير ابراهيم وقبل رأسه وعينيه وضمه الى صدره وأزال الغل من نحره والقيد من رجله فتعلق به الامير ابراهيم وجعل ينتحب ويبكى والامير يقول له ياولدى الحمد لله على قرب الاجتماع واذا كانت العافية الى العودة والى الوطن فقد ذهب الهم والحزن فلما فرغ ابراهيم من بكائه وشكواه أنشأ يقول :

ألا أيها المولى الذى طاب أصله لقد كان قلبى عنده وفؤاديا
وأنت الذى لم ينتج الدهر مثله علوت العدا بالدين والعهد وافيا
لقد عذبونا فى الحصون جميعها وضاقت علينا الارض مما دهانيا
وان كنت عنى فى بلاد بعيدة فقد كنت فى أسرى أراك رجائيا
ومثلك لايصبر على أسر أهله وأنت ضروبا فى الوغى باليمانيا
وأنت لعمرى ترس قبر محمد فلا زلت منصورا مبيد الأعاديا

(قال الراوى) ثم ان الامير عبدالوهاب قال ماهذا وقت سلام ولاعتاب فان الأيام طويلة والأوقات كثيرة وقلبى قد اشتغل وكان بولص حدثنى أن الأمير أبو محمد مجروح وما رأيته وقد اشتغل قلبى لأجله (قال الراوى) فقال الأمير ابراهيم اعلم أيها الأمير أن الراهب شومدرس لما خدع الأمير أبو محمد وضربه بالخنجر فى كتفه ما قلنا إلا انه قضى نحبه ولما أشرف علينا ذلك البطريك ألقى الراهب نفسه فى ذلك الجب وهو جب يعرف « بجب الشياطين » ولهذا الجب منافذ لايحصيها إلا الرحمن وفيه مهالك يهلك فيها الإنسان فلما رأى أبو محمد أن شومدرس رمى نفسه فيه وثب لما أفاق من غشوته وقطع قطعة من عمامته وحشاها فى جراحه وتقدم الى

وحل كتافى وقال شد كتفى بهذه العصابة ففعلت ما أمرنى وقلت له على ماذا عولت
قال أن أتبعه ولوانني أهلك نفسى فى طلبه وأعطب بسببه فقالت الاميره علوى ياأبو محمد
فلم تفك قيودنا فقال ما أقدر على المقام وأخاف يفوتنى هذا الملعون ولا أدرى
فلم تفك قيودنا فقال ما أقدر على المقام وأخاف يفوتنى هذا الملعون ولا أدرى أين
يمضى ونكون قد خرجنا من بلاد الروم الى بلاد الاسلام وهذا الشيطان سالم من
الحمام فتنفطر مرارتى وأبقى باقى عمرى بحسرتى ثم رمى نفسه فى الجب خلفه وسمعت
صياحهما ساعة ثم خمد حسهما ولم أعلم ما كان منهما فلما سمع الأمير كلام ولده
ابراهيم قال لأصحابه : اعلموا اننى قد عولت على أن أنزل الى هذا الموضع من أجل
أبو محمد فما آمن عليه من هذا الجرح الذى فى كتفه الذى جرحه له الملعون
شومدرس فقال الأمير سيف الحنيفية وأنا لايطيب قلبي أن أتركك تنزل فى هذا
الجب وحدك وما أدرى ما يكون منك ولكن أنا أنزل وأفديك بروحى ولا تنزل
أنت ثم إن الامير سيف الحنيفية ألقى روحه فى الجب فنزل خلفه ميمون الجماس وعشرة
أبطال من السودان وهم كماة أقران وأخذ الأمير عبد الوهاب الاميره علوى والامير
ابراهيم وسار الى الحصن والتقت الاميره ذات الهمه بالأميره علوى وهنأتها بالسلامة
(ياساده يا كرام) ثم ان الأمير عبد الوهاب جمع الاموال التى فى الحصن وكان
مال عظيم مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وبقى منتظر
الأمير أبو محمد وأصحابه ولا يدرى ما يكون منهم وقال للأميره ذات الهمه لو كانت
هذه القلاع والحصون لنا فى بلادالاسلام ما كان يصل إلينا أحد فقالت الاميره ذات
الهمه يابنى اعلم أن الله تبارك وتعالى قد أعزك بسيف الحنيفية وهو الحصن الرفيع
والحرز المنيع فان حصون الرجال أقوى من حصون القلاع (قال الراوى) ثم
إن أبو محمد لما ترك فى الجب وحصن نفسه فوجد فيه أثر مشى وخروق كثيرة ولا
يبان لشومدرس أثر واحد وضاقت عليه المذاهب (ياساده) ثم إن الأمير أبو محمد
جعل ينظر يمينا وشمالا الى تلك الآثار التى فى مسالك الجب وكانت أرضه رملة والأثر
فيها ظاهر غير خفى فنظر الى أثر قدم شومدرس قد أثر فى بعض الخروق على كماله
ورأى المواضع الأخر ما أثر فى الارض إلا بعض قدمه فقال أبو محمد فى نفسه هذا
الاثر تمكن فى المشى الى هذا الخرق وهو الذى سلكه الملعون شومدرس وإنما سائر
الآثار الأخر التى هى الى سائر الخروق لم تتمكن فى الأرض من عجلته وذلك انه كان
يطلب بذلك أن يضيع الخروق ويعميها على من يطلب أثره ومايعلم أن أبو محمد معود

للأهوال (قال الراوى) وان الأمير أبو محمد هجم من الخرق الذى خرج منه شومدرس فلاح له زقاق تحت الارض من عمل الاوائل وكان شومدرس قد سار فى تلك الارض الى ذلك الازج رأى مطلع يخرج من وسط قلعة البطريق الذى قتلته الأميرة ذات الهمة فى المبارزة وهو يسمى القيطفور وكانت تلك القلعة حصينة ما بعد الحصون إلا هى وهى أحصن منهم واسمها قلعة المعزة لأنه ما كان يحمل الماء والقمح إلا على المعزة لأنها على قرن جبل وكان لها هذا السرداب والروم ينظروه مظلم فلا يظنوه نافد وما كان يعرفه إلا شومدس وكان فيه أموال وذخاير القيطفور وكان أبخل أهل زمانه فأخذه الله على يد الأميرة واجتمع فيها عشرة آلاف لتحصينها وشومدرس لما طلع من الحصن فرحوا به البطارقة وقالوا له المسيح حطك فى حصننا بلا تعب فأعاد عليهم أمره وما جرى له مع أبو محمد البطال فقال ابن القيطفور ما سمعت بهذا السرداب إلا منك فقال له ما الرأى فقام شومدرس وأخذ مائة بطريق ونزل بهم الى الازج وكمنهم هناك الى أن قدم البطال فأخذه الجزع وقال لعل الراهب لما راح من الازج نفر علينا الناس وكمنهم لنا لما نعبروا عليهم فيمسكونا ثم انثنى راجعا فصاح شومدرس بالبطارقة خذوه فلم يقدر يهرب فمسكوه ثم رفعوه إلى الحصن وقال لهم كونوا مكانكم فأشرف سيف الحنيفية ومعه عشرة من السودان فقال دعوهم حتى اذا دخلوا الباب فخذوهم وقطعوا القدامى فما أحسوا الا والسيوف تعمل فى أجسامهم فقتلوا منهم أربعة وأخذوا ستة وسيف الحنيفية قد جرحوه هو وميمون فرفعوهم عند البطال فضحك فقالوا ما هذا وقت ضحك فقال مادام الله يحفظ لنا شومدرس فنحن كل يوم فى القيود والحبوس ولابد ما يأتى الينا ويطلب منا عوض عينه لأنه ما يضيع تاره فلا جعل الله فيه بركة فما أقدره على الحيل والهلكة (هذا جرى) وأما شومدرس فانه أرسل يطلب خمسون بطريق معون له ومعهم الطعام والشراب فنزلوا وباتوا عنده الى الصباح فأخذوا أهبتهم للعودة الى حصنهم لما رأوا أحد جاء اليهم بعد مسكهم لسيف الحنيفية وميمون الجماس فهم قاعدين وإذا هم سمعوا كلام أقبل نحوهم وكان ذلك عبد الوهاب سيد بنى كلاب والى جانبه الأميرة ذات الهمة والأمير ابراهيم ومالك بن بشير الاقطع وتمام الخمسين أمير من بنى كلاب والسودان الانجاب هذا وقد اخفى الملعون شومدرس نفسه وكذلك أصحابه الى أن وصلوا مرج الامراء الى الازج المعقود وهموا بالدخول فقالت الاميرة ذات الهمة اصبروا ولا تعجلوا وجردوا سيوفكم حتى أقول لكم ماذا تفعلوا فانى قد أنكرت هذا الامر

فقالوا وما الذى تنكرين أيتها الاميرة فقالت قد أنكرت هذا الاثر ووطىء القدم والثانى أنى رأيت أثر قدم أبو محمد البطال ولاشك أنه قصد هذا الباب ليطلع وقد عرض له عارض ومن هنا رجع وخاف على نفسه ورجع وفزع وهذه أقدامه راجعه ولاشك أنه قد لحقه شومدرس اللعين وأخذ من هذا المكان ذليل حقير مهين وقد بينت لكم هذا الحال تبيين فقال لها الامير لاشك هذه آثار ولدى سيف الحنيفية ومن معه من العصابة المحمدية فقالت له صدقت ياولدى وان الآخرين ماطلع لهم خبر ولقد صدقت فى هذا الاثر (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما أبطأ عليه الخبر لم يجد له صبر على من تقدم ذكرهم وأوصى المسلمين بالحذر فى حصن الدولاب وتولى الامر بنفسه وسار فى هؤلاء الابطال وهم خمسين فارس أقيال كما ذكرنا ولما دخل الجب وجد الاثر وكان الامير أبو محمد لما دخل فى أثر شومدرس علم أن الامير عبدالوهاب لابد مايطلبه فشحط برجليه فى الارض الى باب المنفد فلما دخل سيف الحنيفية رأى الاثر ولما نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك سلك المسالك الى أن خرج من باب الازج وقالت له الاميرة ذات الهمة ذلك المقال فعند ذلك جرد الامير سيفه وكذلك الاميرة ذات الهمة وكذلك أبو الهزاهز وفعلوا كفعلهم (قال الروى) ولما علم بهم وعاينهم الملعون شومدرس مات فى جلده من الخوف وأسود النهار فى عينه وعلم أن المنية اليه قد أتت وقال فى نفسه وايش كان بلايا أنا بهذه الفضول وليتنى كنت أخذت الرجال وصعدت الى الحصن وسددت الباب واسترحت من هذه الامور الصعاب (قال الراوى) ثم انه أقبل على البطارقة وقال لهم اعلموا أن القوم قد أخذوا أهبتهم ولكن لا يهولنكم ذلك فأنا أريد أن أصعد الى القلعة وأرسل اليكم ألف بطريق يعينوكم عليهم ويأخذوهم فى أقل من طرفة عين وحق المسيح اذا أخذتم هؤلاء مايبقى عندكم فى أرضكم منهم ديار ولا نافخ نار ثم مضى طالب القلعة وقد أضمر فى نفسه أنه اذا صعد القلعة يقتل المأسورين ويأمر البطارقة بالنزول الى قتال المسلمين ويسد باب المطلع (ياساده) ولما دخل الامير والاميرة فى ذلك الازج زعقت بهم رجال الروم حتى ظنوا أنهم قد ملكوهم فصاحت بهم الامراء والتقتهم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب كأنه الاسد الوثاب وصاح يا آل كلاب ومعه مالك بن بشير الاقطع وحمل عبد الله بن الحارث أخو الامير وقال الى الله المصير وصاح أبو الهزاهز وكان كل من لقاه عن قتاله عاجز وحمل الامير طارق وقطع الاوداج والاطراف وقتلوا الرجال فلله درهم فلقد قاتلوا قتال من يطلب النوال هذا جرى ههنا (وأما شومدرس) فانه لما أسرع فى الصعود صرخ فى الابطال

والجنود وقال دونكم وباب المصنع من قبل أن ينزل بنا مالانقدر عليه ولا له ندفع وابدءوا بهؤلاء اللئام الذين عندنا واسقوهم كؤوس الحمام هذا وأهل الحصن قد لبسوا الدروع وأقبلوا الى قتل سيف الحنيفية وماعندهم خبر من صنع رب البرية فنزل شومدرس ومن معه من البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقة فلما فتحوا الباب على سيف الحنيفية وجدوهم قيام وفى أيديهم الأخشاب وهم كأنهم أسد الغاب وهم ينادون بتوحيد الملك الوهاب فلما نظر شومدرس إليهم وقد خلصوا من الكتاف لم يجسر أن يعبر اليهم فزعا من التلاف فقال للبطارقة لما عاين ذلك دونكم وهؤلاء الكلاب اقطعوا منهم الرقاب ثم وقف الملعون على الباب فلما نظر سيف الحنيفية الى البطارقة وقد هجموا عليهم حمل فى أوساطهم وفى يده خشبة لو ضرب بها جمل لبرطع الى بلاد اليمن فهجم بها عليهم فما وقعت على حائط إلا هدته ولا ظهر رجل إلا قصمته ولا رأس إلا هشمته . هذا وقد هاج سيف الحنيفية وهو يقول :

نحن رجال من بنى كلاب ... لانتثنى عن معرك الضراب
فى طاعة المهيمن الوهاب ... نجاهد الكفار بالأخشاب
نضرب بالسيف على الرقاب ... نحن الليوث السادة الأنجاب
سوف ترون ضيغم حراب ... يفلق الهامات بالقرضاب

(قال الراوى) ثم حمل على أحد البطارقة وضربه بالخشبة على عاتقه هشم كتفه مع مرافقه ونظر شومدرس الى تلك الضربة فما أتته بالموافقة وبقيت مفاصله من الفزع خافقة وجعل ينظر الى سيف الحنيفية بعينه الصحيحة وهى اليه رامقة ثم قال هذه ضربات العمالقه وصاح ميمون الجماس وقصد الى بطريك من البطارقة وضربه على رأسه ضربة صادقة فكانت له ماحقه وصاحت السودان وحملت وهى صارخة زاعقة وبربرت بغرائب لغاتها ناطقة . هذا وميمون الجماس قد أهلك الناس بضرب الاخشاب وهو ينشد ويقول :

نحن ليوث الغاب فى الميدان ... وليس بيض الناس كالسودان
ضرب لنا بموقف الطعان ... لا ننثنى عن معرك الفرسان
سيوفنا من خشب البستان ... يعمل مالا يعمل اليمان
نفرى رؤوس السادة الشجعان ... ونخلط الرأس مع الآذان

(قال الراوى) هذا وقد ضرب سيف الحنيفية بعض البطارقة فقتله وأخذ السيف من يده وكذلك ميون الجماس وسائر السودان ونظر شومدرس الى تلك الفعال

فقال وحق المسيح يأخذون الحصن ولقد كان رفعى لهم إلى القلعه رأى مذموم ثم مضى إلى ملك الحصن وقال له أيها الملك بادر اليهم وإلا ملكوا الحصن فتواثبوا اليهم الروم من كل مكان وفى دون ساعة أحدق بهم خمسة آلاف بطريق وصاح بهم شومدرس دونكم وباب السرداب فسدوه حتى لا يطلع اليكم منهم أحد فلما سمعوا ذلك قصدوا إلى باب الموضع وإذا قد ظهر منه بطل صميدع لا يأخذه فى الحرب فزع وهو للرءوس يقطع وصاح بصوته ورفع وقال الله أكبر ثم جمع نفسه وظهر فصار معهم فى الحصن فصاح بهم الراهب ويلكم خذوه فهذا مقدم القوم وأميرهم وسيدهم ومشيرهم وإذا قد ظهر من بعده الأمير المناجز المعروف بأبى الهزاهز ثم وثب وصار مع الأمير وظهر من بعده بطل مضيق اللثام مليح القوام ضراب بالحسام للفروسيه عليه دلائل لائحة فحين رأوه الروم أيقنوا بالعطب والشوم وإذا بها فاطمة بنت مظلوم وطلعت بقية الفرسان الانجاب الاطايب وأحاطوا بالروم المصائب وأحاطت بهم النوائب وصعدت السودان وبنى كلاب الشجعان ومالك بن بشير الاقطع وأنوار السعادة عليه تلمع وقد حملت الأبطال على الأبطال وقطعت الأعناق مع الأوصال (قال الراوى) فيالها من سيرة ما أعجبها وفى الأحاديث ما أغربها ومن جملتها أن هؤلاء القوم الذى نحن فى ذكرهم يكونوا اثنين وستين رجل يحملوا فى عشرة آلاف بطل إلا أنه لم يزل الصارم يرقع والرجال بكاسات المنون تكرع وعيون الاقيال تدمع والأرواح من الاشباح تطلع إلى أن ولى النهار ولبست الشمس ثياب الاصفرار وقد ملت النفوس من ضرب البتار وقد قتل من الكفر الفجار ألف بطل وفتحوا الباقين باب الحصن طلبا للنجاة من البوار وكان الامير قد حمل على ملك القلعه وهو ابن القيطفور وضربه بالبتار وإذا برأسه قد طار ونصر الله المؤمنين الابرار والسادة الأخيار وملك القلعه وكل ما فيها من الاموال ثم طلب شومدرس فما وجده فكادت أن تنفطر مرارته وعظمت مصيبته وقال لوالدته الاميرة ذات الهمه ألا تنظرين إلى ما قد دهينا به من هذا الشيخ ولعنته فقالت الاميرة يا بنى لعله شرب كاس الردا ففتشوا عليه فما وجدوه وطلبوا سيف الحنيفية وأبو محمد فما وجدوهم أيضا فعظم عليه وكبر لديه وقال يا ترى أين مضى ولدى وأبو محمد (يا سادة ياكرام) وكان السبب فى غيبتهم شومدرس لانه لما رأى الامير عبد الوهاب قد طلع الى الحصن والرجال قد أيقن بالوبال ولم يكن له إلا النجاة وأنه اجتمع بألف بطريق وكانوا من حصن الدولاب وحدثهم بشجاعة المسلمين وفروسية الموحدين وفتحوا باب القلعه وخرجوا

والامير مشتغل وخرجوا وقال لهم شومدرس تفرقوا فبعضهم تفرق فى الجبال وبعضهم مضى إلى الاودية الخوال وأما الملعون شومدرس فانه سار وحده فهـــذا جرى له (وأما الامير أبو محمد) فانه لما فتح الحصن طلب شومدرس فما وجده فعطف عـلى سيف الحنيفية وقال له قد طلبت الملعون شومدرس فما وجدته فأسرع بنا فى طلبه فقال له سيف الحنيفية إلى أين نمضى وندع الامير فى قتال أهل الـكفر والضلال فقال أنت تعلم أن الأميرة والامير ومن مضى معهم كل واحد لرأسه ألف وما عليهم خوف فقال اذا كان الامر على ذلك فسر بنا على بركة الله وعونه فهاأنا سائر معك ولابد لى من طلبه فى جميـع البلاد وساروا يقصون الآثار فما سمعوا له أخبار فقال سيف الحنيفية يا أبو محمد قد طال المدا ونخاف على الأمير من سطوة الاعداء وأنا راجع الى الامير فقال له ارجع وقل له ينتظرنى عشرة أيام فان لم أجيء وإلا فاعلموا أنى فنيت ثم تركه سيف الحنيفية ورجع فوجد الامير قد ملك الحصن وقتل فيه ألف وملك الأموال والذخائر والنساء وأن الامير فرح بولده سيف الحنيفيـة وسأل عن الامير أبو محمد فخبره بخبر فقال والله يا ولدى فرطت فيه ثم أقام فى الحصن كما قال أبو محمد فلم يأتى فورد على قلب الامير هم عظيم وأقام يوما زائداً ثم جمع الاموال والاسارى وحمل ذلك إلى حصن الدولاب وسار إلى أن وصلوا اليه ففرحوا به المسلمين وأن الامير عبد الوهاب كتب لوقته كتاب إلى الملك منويل يقول بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله تعالى لم يزل ينصرنا وبالاعداء يظفرنا وانى أعلم الملك أن الله تعالى قد فتح الحصون على يدى ومن باحسانه علىّ كما وعدنى وقد طالعتك بهذا الامر لتعلم بذلك وتبعث من يتسلمها والسـلام ثم انه سلم الـكتاب الى رجل من بنى كلاب يقال له ناهض ابن جعفر الـكلابى فى عشرين من بنى كلاب وعشرين من السودان الانجاب وقال لهم الامير عليكم بالجد والتشمير فساروا نحو مدينة القسطنطينية طالبين وأقام الامير عبد الوهاب ينتظر ما يكون من امر الامير أبو محمد البطال فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من البطال فانه سار حتى دخل الى جبل يقال له جبل المرج ومن تحته بحر يقال له بحر الروم فنظر إلى جزيرة فى وسط البحر وكان يقال لهـا جزيرة الامصار وكان فى هذه الجزيرة دير مليـح البنيان ومن ترهب فيـــه لا يرجع يخرج منه إلى العمران إلا حتى يلقى فى الاكفان وكان فيه أربعين راهب فلمـا نظر الامير أبو محمد إلى ذلك قال ما يكون شومدرس إلا فى هـذا الدير ثم التفت وإذا برجلان يحتطبان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالوا له من أين أتيت فقال لهم أنا

من جملة الرهبان وأنا أطوف البلدان أطلب السياحة لأنى أطلب فى ذلك الراحة وقد جئت فى طلب الراهب الكبير شومدرس فقالا ذلك ليس براهب لأنه قد اشتغل باللهو والطرب وأما الراهب الكبير والبترك الكبير فهو صاحب دير الانقطاع بحرون ومن حسنت به الظنون وهو فى هذه الجزيرة تأهب فقال له ان الرجل الذى سألتنا عنه عبر بنا أمس ولاشك أنه قد أصابه شيء من الهم وبان عليه الغم وقد عزم على الترهب معنا ولا يرجع يخرج من الدير ولا يبقى فى حياة الدنيا إلا أنه معنا يحتطب فقال لهم أريد أزوره فقلبي عليه مشتغل فقالوا له سمعناه يندب ولده دهرشوم فبكا أبو محمد وقال أنا ولده المحزون المهموم المغموم ثم مد عينيه رأى زورق مربوط الى جانب البر فجعل البطال يعينهم على الحطب ويحمل معهم ليكون الى قلوب الرهبان يتقرب (قال الراوى) فلما كادت الشمس أن تغرب قدموا الزورق وأوسقوه بالحطب وركبوا البطال فى جملتهم وساروا به الى جزيرتهم والبطال معهم الى أن وصلوا الى دير الانقطاع فنزلوا ودخلوا الى الدير وأضافوا أبو محمد تلك الليلة فلما كان من الغد زينوا الدير ونصبوا كرسى من الحديد وعليه فرش من الديباج وأطاقوا مباخر من العود والندر والكافور وبقى الدير يرهج بتلاوة الانجيل وضربوا ناقوسهم ورفعوا أصواتهم فقال لهم البطال ما هذه الفعال فقالوا له هذا يوم عيد لنا وليس عندنا فى السنة أشرف منه ويوعد لنا فيه الراهب الكبير بأخبار يوم القيامة وكأنك به قد خرج وبكلامه الفصيح أرهج (قال الراوى) فبينما أبو محمد يخاطبهم وإذا بشيخ كبير السن إلا أنه وافر الذهن وعليه ثياب من الصوف الأسود وعلى رأسه برنس من الشعر وفى رأسه زنار من الأديم منتقش بالحرير كثير فلما رأوه صفقوا له إكراماً وبجلوه اعظاما إلى أن صعد الى منبره ثم ابتدأ يتلو فصل من الانجيل حتى انعقد لسانه فقسقست الرهبان وقالوا ما سبب انعقاد اللسان فقال ياقوم أتانى فصل من الانجيل وهو عند علمائنا فى غاية التبجيل ولا يقدر لسان أحد ينطق به إذا كان رجل محمدى حاضر وأظنه بينكم فنظر بعضهم إلى بعض وجعلوا يتغامزون فعلم الراهب من طريق العقل أنهم به يستهزؤن فعند ذلك تكلم الراهب وقال يا محمدى بحق نبيك ان كنت حاضر قم نسألك عن أخبارك فقال البطال إن أنا قمت عجلوا على هؤلاء الرهبان ولايدعونى أخرج من هذا المكان ثم قلت لنفسى ويلك يقسم عليك عدوك بالنبى المصطفى والرسول المرتضى صاحب البردة والقضيب والناقد والنجيب الذى يحن اليه الجذع الرطيب بالبكاء والنحيب وكلمة الذيب فكيف تكون يوم القيامة بين يدى

رب العالمين إذا طالبك بحقه صلى الله عليه وسلم ولابد من القيام والكلام ولوشربت
كاس الحمام ثم انى توكلت على العلى الأعلى وقلت أنا فى حسب محمد المصطفى وعلى
المرتضى والخمسة أشياخ أصحاب العين أهل التقى والهدى (ياساده) وقمت قائما وأشرت
متكلما وقلت ياعالم النصرانية والملة المسيحية أنا من أهل ملة سيد السادات وصاحب
المعجزات المليح الصفات الذى لم يغفل عن الله طرفة عين وكان من ربه كقاب قوسين
الشفيع فى الدارين أفضل من دب ودرج والى سدرة المنتهى عرج الذى كلمته الناقة
العضبا وسبح فى كفه الحصا فذلك محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله أهل
الهدى فافعل أيها الراهب بى ما تشاء فانى وهبت نفسى لأصحاب العبا (قال الراوى)
فلما سمع الراهب ذلك الكلام حن ورق وصاح وقال آه آه لهذا الوقت كنت أنتظر
وعن هذا الحديث كنت أستخبر يامسلم ألا أحدثك بحديث عجيب وأمر غريب
فقال أبو محمد وما ذلك يا راهب فقال اعلم أنى فى هذا الموضع لى فيه مائة وخمسين
سنة ما رأيت فيها مسلما لكنى قرأت انه ما حضر رجل مسلم من أمة محمد عند عالم
النصرانية إلا انعقد لسانه لأن شريعته ناسخة الشرائع وقد كنت أظن أن هذا النبى
بعد ما بعث ولا أملت أن أدرك زمانه والآن فقد حصحص الحق وبان الصدق
وأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم نظر الى الرهبان وقال من
أراد منكم النجاة من هول يوم القيامة وينال من ربه جزيل الكرامة فليدخل فى
هذا الدين الصحيح الذى بشرنا به السيد المسيح وأعلمنا بذلك فى كتبه وتواريخه
فالآن قولوا معى هذه الكلمة فانها عند الله معظمه وعند الأنبياء مكرمه فلما سمعوا
ذلك رفعوا رؤوسهم وقد طلعت شموسهم ونزل اليهم ملك الهداية يفتح عن
قلوبهم أقفال الغواية بمفاتيح العناية فقطعوا زنانير كفرهم بأنامل صبرهم وآمنوا
بربهم وطابت قلوبهم وأبو محمد قد فاضت عيناه بالدموع ووقع السماع والوجد
والخشوع حتى غاب عن الدنيا ووقع فى المنام فرأى سيد الأنام ومصباح الظلام
ورسول الله الملك العلام محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وهو يقول له
ياأبو محمد شددت من أجلنا زنار قطعنا من أجلك أربعين زنار فلما أفاق أبو محمد
من نومه أعلم الراهب والرهبان بما رأى فزادهم ذلك إيمانا هذا وأبو محمد
يخبرهم بمعجزات الرسول وهم يبكون ويكثرون من الصلاة عليه ثم قالوا له ياهذا
الرجل جزاك الله عنا كل خير فقد ختم الله لنا بالسعادة بمشاهدتك وبركة طلعتك
ونريد أن نسألك فقال قولوا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (ياساده)

فقالوا هل نزل على نبيك كتاب يقال له القرآن فيه دليل وبرهان كما نزل على الأنبياء فقال نعم ولا نزل قبله مثله ولا فضل كفضله فقالوا له اتلوا علينا شيئا منه قال فابتدأ أبو محمد يقرأ سورة الكهف الى أن انتهى لقوله تعالى : (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) فبكوا حتى بلوا ثيابهم من الدمع وأخذهم الخشوع والخضوع ثم سألوه أن يعلمهم شيئا من القرآن وشرائع الإسلام وأقام عندهم عشرة أيام فلما كان بعد ذلك حدثهم أنه ماورد إلا فى طلب شومدرس فقالوا له أبشر فقد نلت المنى وزال عنك العنا دونك وإياه هاهو فى ذلك البيت فوثب اليه أبو محمد قائماً الى أن وصل الى البيت واذا بشومدرس وهو يقول وحق المسيح ما أمنت على روحى من ذلك المحتال أبو محمد البطال إلا هذه الساعة لأننى فى وسط البحر وماله على سبيل واذا قد دخل أبو محمد عليه فتحير شومدرس وقال كيف دخل هذا الشيطان الى هذه الجزيرة وكيف سمحت له الرهبان أن يقبضنى فشده أبو محمد كتاف وخرج به الى وسط الدير فلما رآه وهو يلقنهم القرآن ويعلمهم شرائع الاسلام والإيمان وهم له سامعون ولقوله طائعون علم انهم قد أسلموا فكادت مرارته أن تنفطر وقال : لقد غضب المسيح علينا وإلا ما كان يغفل عن عالم من علماء النصرانية (قال الراوى) وأقام أبو محمد فى دير الانقطاع عشرة أيام وهو يعلم الرهبان وهم من فرحتهم بالقرآن لاينامون الليل بل يسجدون ولربهم يعبدون فقال لهم أبو محمد : اعلموا أنى لايمكننى المقام عندكم لأن الأمير وعسكر المسلمين مشغولين القلب من أجلى ومايدرون ماجرى على فقال له الراهب (بحرون) اعلم ياأبو محمد انى حمدت الله تعالى على الهداية مع انى كنت على دين المسيح عيسى ابن مريم وما أشركت بربى ساعة قط ولقد طلبت منه أن يقبضنى قبل مضيك حتى تجهزنى الى دار الآخرة وتصلى على ولاشك انى فى غداة غد أموت فقال أبو محمد فى نفسه له : ومن أين لك أيها الشيخ أنك تموت فى غداة غد فقال يابنى من زهد الدنيا عرف وقت سفره الى المولى فقال أبو محمد : نقيم الليلة من أجل الراهب فقام أبو محمد ليلته قائما على قدميه يصلى ويتهجد ويبكى وقد التفت الراهب إلى أبى محمد وقال له يا ولدى اعلم أن هذا هو اليقين الذى قد حكم به رب العالمين فقال له أبو محمد : اعلم أيها الشيخ الصالح انك تقدم على ربك وهو رب كريم يغفر الذنب العظيم فقال له الراهب (بحرون) أنا والله معود به لأنه تلطف بى صغيرا ورزقنى كبيرا وأحيانى شهور وأعوام ودهور وقد جعلنى فى دار

الدنيا محبور ويرد بى الى التراب مقبور ويبعثنى فى القيامه مسرور وأنا آمل منه خيرا كثيرا ثم أنه بكى ورفع طرفه الى السماء وقال إلهى وسيدى انى سمعت عن عيسى بن مريم يقول ان الله يستحى أن يعذب شيبة شابت فى دين الاسلام (قال الراوى) فلما سمع البطال منه ذلك الكلام قال له يا هذا طب نفسا وقرعينا واعلم ان الله غفور رحيم فلما ان سمع الراهب من البطال ذلك قال إلهى ما أرحمك على من عصاك وما أحلمك على من جحدك ولم يزل على مثل ذلك إلى ان تنصف النهار فتغيرت حالات الراهب وصار من حال الى حال فانضجع إلى القبلة وهو متبسم ثم انه قد شهق شهقة خرجت روحه فيها وقد فارق الدنيا فعندها أخذه أبو محمد وجهزه وكفنه بعد ان غسله بيديه وصلى عليه وألحده فى مصلب فى ذلك الدير وهو محل عبادته الذى كان يتعبد فيه هذا وقد بات أبو محمد تلك الليلة فى الدير وكان قبره بداخل الدير وهو يقرأ عليه هـــذا ولما كان تنصف الليل نام البطال فرأى فى نومه الراهب بحرون فلما ان رآه قال له ما فعل الله بك فقال له بحرون أوقفنى الله بين يديه وقد قال لى ياعبدى طب نفسا وقرعينا هذا وجهى فانظر اليه وهذه جنتى فاسكن فيها وكل من أثمارها واشرب من أنهارها وأنا الغفور الرحيم (قال الراوى) ياساده ياكرام هـذا ولما أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ودع الأمير أبو محمد الرهبان الذين أسلموا هـذا وقد أخذ شومدرس وهو فى ثياب الذل والهوان ونزل فى المركب وقال لبعض الرهبان عوم بنا وسيرنا الى ذلك البر فعندها أخذهم ذلك الراهب وقد أخذ معه آخر وصار بهم فلما أن ساروا ما زالوا يقذفون إلى أن عبروا البر هذا ولما أن صار فى البر قال البطال لشومدرس ياملعون سير الآن قدامى والا قطعت قفاك وأبليتك ببلاك فقال شومدرس وحق المسيح لقد حرت فى أمرك ياشيطان ياترى من أعلمك بأنى فى الجزيرة وأنا فى ذلك المكان الذى محتاط البحر به فقال له البطال الذى جعلنى سببا لهداية الرهبان فقال شومدرس عسى ان الذى فتح لهم باب الهداية ان لا يغلقه فى وجهى واعلم يا أبا محمد انى قد لمت نفسى على فعالى معك وقد قلت يانفس لو كان هـــذا الرجل على غير استقامة لكانت حرمت هؤلاء الرهبان معرفة الملك الديان الحنان المنان الكريم الرحمن وحق من يعلم سرى ويطيل عمرى ان قلبى قدطاب لدين الاسلام فقال له أبو محمد ويلك ياشيخ السوء والله لوجاء ملك من الملائكة يقول لى انك صادق ثم تؤمن بالله لما صدقت ذلك فقال شومدرس إذا كان قلبى قد صفى مع رب العالمين فما أبالى بما كان منى فان شئت ان تصدقنى وان شئت ان لا تصدقنى فان الله قد

صدقنى هذا وأبو محمد قد صعد به إلى الجبل وقد صار على عجل والملعون قدامه ماشى وهو مكتف اليدين وفى عنقه الحبل ومازال سائر أبو محمد به إلى أن وصل بعض القلاع فعندها خاف على نفسه فأكمن باقى نهاره وقد سار فى الليل تحت غياهب الدجا ومازال سائر إلى أن تنصف الليل فقال له شومدرس ويلك ياشيطان ماتستريح بنا ساعة فقال أبو محمد ويلك ياشومدرس اننى سائر على عجل لاجل تعذيبك فقال له دع عنك هذا الظن الميشوم فما أبالى يا أبو محمد بالموت أى وقت جاء لى على خير كثير وانما أنا أبكى وأفزع ان أموت وأنا على غير دين الاسلام وهو دين الحق والآن فقد رأيت من الدلائل ماكفانى بأنه نصركم على قلتكم وفتح لكم الحصون والقلاع وقد أعطاكم المواضع والبقاع ولولا ان الله تبارك وتعالى لكم عنده منزلة غاليه لما أوصلكم إلى ماوصلتم اليه وقدمتم عليه (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا كله من شومدرس يجرى وأبو محمد لا يسمع له كلام ولا يلتفت اليه وهو سائر به ويقول له دع عنك ذلك الكلام واعلم انى لا أسمعه لانه هذيان وزور منك وبهتان وأنت عليه لا تلام لانك تريد الخلاص من قبضة الحمام وهذا شىء منك لايرام وسير ولا أتركنك إلى راحة ولا منام (قال الراوى) هذا وأبو محمد سائر بشومدرس وهو يحثه على المسير فبينما هم سائرين على ذلك الطريق وإذا قد لقيهم فى طريقهم خمسين بطريق والكل سائرين على عجل خوفا من التعويق وأيضا خوفا من عسكر المسلمين لايعدمهم السعادة والتوفيق ولا يبقى منهم رفيق يمشى مع رفيق (قال الراوى) وكانوا هؤلاء البطارقة طالبين جزيرة الحوت ودير الانقطاع وهم هاربين من المسلمين الى تلك الجزيرة ليقيموا فيها إلى ان يرحلوا المسلمين إلى ديارهم فالتقوا بأبى محمد البطال فى الطريق ومعه شومدرس الزنديق أسير وهو ذليل حقير فى الشقاء والتعتير فعند ذلك تقدموا اليه وقالوا له لما أن وصلوا اليه بالرومى من أنت ومن تكون فقال لهم اعلموا اننى رجل عابر طريق وسالك بلا رفيق أسير الليل وأكمن بالنهار خوفا من عسكر المسلمين قالوا وما هذا الذى على رأسك حامله قال هذا ولدى كان ضعيف فى جزيرة الرهبان فلما ان سمع الملعون شومدرس من البطال ذلك الكلام صاح بهم وقال لهم لاتصدقوه واعلموا أنه لص المسلمين وصاحب نبى العالمين وأما أنا فعالم النصرانية وراهب الملة المسيحية الراهب شومدرس (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا ولما ان سمعوه البطارقة عرفوه فعندها قد أكبوا على أبو محمد البطال وقد أداروا به من كل جانب ومكان فعندها قد أخذوه أسير ودنوا من الراهب شومدرس وأطلقوه والحبل الذى كان به

مكتوف كتفوا به أبو محمد وصاروا يسحبوه ويضربوه فقال شومدرس لهم الى أين قصدكم فقالوا الى جزيرة الحوت ودير الانقطاع فقال لهم شومدرس وايش تفعلوا فى هذا المكان وقد أسلم كل من كان فيه من الرهبان وقد صاروا من أهل الايمان وقد لعب بعقلهم هذا الشيطان وأن طول المسيح فى عمرى ورحلوا المسلمين من هذه الديار لأعملن مركب وأدخل الى الجزيرة وأحرق كل من فيها بالنار لأجل تركهم الدين العتيق وسماعهم من هذا الزنديق لكن ارحلوا بنا فى مكان نأمن فيه على أنفسنا ونكمن فيه حتى ترحل المسلمين من هذه الاوطان فقالوا له وحق المسيح لقد خاب ظننا فى الجزيرة فالى أين نقصد فقال لهم شومدرس أنا أعرف فى آخر هذا الجبل دير وهو خراب له زمان ماسكن فيه أحـــد من الرهبان ومن حوله أشجار عليها ما تشتهه النفس من سائر الاثمار والصواب أننا نمضى اليـه ثم أننا نقيم فيه الى أن نسمع ان المسلمين رحلوا (قال الراوى) ثم انهم بعد ذلك ساروا وأبو محمد مربوط بالحبل الذى كان مربوط به شومدرس وهو يقوده برقبته ولم يزالوا سائرين الى أن أصبح الله بالصباح وما فيهم إلا من ضرب البطال حتى أشرف على الموت والعطب وشومدس يقول له ترى يا شيطان وحق المسيح لأورينك الموت عيان هذا وأبو محمد يقول يا ويلك يا ملعون أما قد ذكرت أنك أسلمت وصرت من المسلمين وتركت دين الصلبان فقال له يابطال هذا كله ضحك عليك ادخل هذا كله فى أذنيك ياشيطان وحق دينى لو قال لى كل من فى الدنيا أسلم حتى أننا نعطيك ملك الارض لما فعلت وتركت دينى ودين أبائى وأجدادى وما طلعت عليه فى بلادى فقال له البطال أما أنا والله انى قدعلمت منك ذلك (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وما زالوا سائرين الى وقت الضحى فعندها قد أشرفوا على ذاك الدير الذى قد ذكره شومدرس لهم فرآه أبو محمد دير كبير عتيقا كثير الاشجار فعندها نزلوا فى ذلك المكان هذا وقد ربط شومدرس أبو محمد فى بعض الأشجار بعد أن قال له اعلم يالص المسلمين ياشيطان ياكذاب انى أريد أن أقلع عينك بعد أن أريك فى كل يوم العذاب ألوان لأن تعجيل الموت لك راحة فقال له البطال يا ويلك لا تعجل على فى أمر من الأمور فما تدرى العاقبة على من تكون والنوائب على من تدور فقال شومدرس وحق المسيح ما بقيت تخلص من يدى أبدا (قال الراوى) ثم انه أخذ له غصنا من بعض الاشجار وصار يضربه به الى أن طلع لحمه على ذلك الغصن ثم ان الملعون قد أقام عشرة أيام وهو ينتقم من البطال وهو صابر على ذلك العذاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ما كان من شومدرس الملعون

والبطال (وأما ماكان) من الامير عبد الوهاب فلما أن أبطأ عليه خبر البطال أنفذ الخيل فى طلبه فسارت الخيل وعادت وما أتى منهم أحد بخبر ولا وقع له على أثر فاحتار الأمير عبد الوهاب وما هنىء له من بعده صفاء عيش وأقام ينتظر ما يكون من الله وأما شومدرس الخوان فان البطارقة الذين معه أنفذوا بعضهم أتوهم بشيء من الخمر من بعض القرى وقد أقاموا يأكلون ويشربون المدام وفى وجه البطال يبصقون وعلى رأسه فضلة الخمر من كؤسهم يقلبون هذا وقد صار البطال مثل الفرخ الذى لاريش له من كثرة ما ضربوه وكان الملعون شومدرس أقبل عليه وقد شد يده اليمنى الى رجله الشمال وأطلق يده اليسرى ورجله اليمنى وهو يقول له يابطال هذا فعلى انظر اليه وعذابى لك فتعلم من شغلى والبطال يقول له لاستر الله عليك ياملعون ياكلب ياخوان (قال الراوى) ياكرام هذا والبطال حاير لايعلم ما يعمل وما يصنع مع هؤلاء الملاعين هذا وكلما شربوا صبوا عليه بقية الكاس فعندها أدار البطال فكره فى نفسه وقال يابطال انت قاعد تنظر من يأتيك ويخلصك من أسرك ثم انه قد افتكر فمد يده الشمال الى خلف أذنه فوجد فى شعره قطعة بنج مثقالين تسكر أهل قرية ففرح بها لما أن رآها ثم انه تركهم الى أن دارت فيهم الخمر وغافلهم وقد أرمى القطعة البنج فى الآنية التى بين أيديهم فدارت فى تلك البطايه وقد امتزجت بالخمر هذا وقد دارت عليهم الاقداح فكان أول من شرب كان المعون شومدرس فدار البنج فى رأسه هذا وقدشربوا بعده فلم تكن إلا ساعة حتى وقعوا الجميع على الأرض كأنهم الاموات هذا وقد دارت عليهم دائرة الآفات وما بقى لهم همات هذا ولما أن رأى البطال ما حل بالبطارقة فعندها مد البطال يده الى الرباط الذى فى رجله وأراد أن يحله فلم يقدر على ذلك فزحف الى بعض البطارقة وقد أخذ من وسطه سكين بيده اليسرى وقطع بها الرباط الذى فى يده اليمنى ورجله اليسار (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان البطال قام قائما على قدميه كأنه الأسد الضارب من شدة الفرح الذى حصل له ثم انه دنى منهم وقد ذبح الخمسين بطريق هذا ولما أن فرغ من ذلك تقدم الى شومدرس وأراد أن يذبحه فقال فى نفسه والله ان ذبحه ما هو صواب لاننى اذا ذبحته استراح من العذاب ولايعلم أننى قدرت عليه ولكن الرأى أن آخذه وأحمله وأوصله للأمير عبد الوهاب حتى يراه ويشفى منه غليل صدره وأعذبه عذاب الكلاب وان فعلت غير ذلك فما يشتفى صدرى ثم ان البطال بعد ذلك ربط شومدرس رباط طيب وقد جعل يديه الى رجليه ثم دخل

تحته وقد رفعه على كتفه وسار به وما زال به سائر طول النهار الى الليل فحطه ساعة إلى أن استراح وقد حمله وسار بطول ليلته الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح هـذا وقد أفاق الملعون على نفسه وقد طار البنج من رأسه فعندها رأى حاله فنادى يابطرس يامتى ياسمعان ياقرقياس فلما أن سمع البطال منه ذلك وقد رآه خبط فى كلامه مسكه من لحيته وأعطاه لـكمة على حنـكه كاد أن تطير منها أضراسه وقال له يا ابن الأنذال اعلم أن ماعندك ممن تذكره أحد وأنت على أكتاف أبو محمد ياويلك ياملعون أفق من سكرك واصحى على نفسك وانظر حالك (قال الراوى) هذا ولما سمع الملعون شومدرس من البطال ذلك الـكلام مات فى جلده وقد أيقن بشرب كاس الحمام وأتاه سائر الهموم والبلاء والأوجاع والآلام فعندها قال ياأبا محمد بحق دينـك من خلصك من الاقتناص فقال الذى قلت انه لايقدر على خلاصى فقال له فالذى صنعت بالبطارقة لابد لهم أن يتبعوك ويخلصونى منك فقال له اعلم ياملعون انى ماقدرت على حماهم وقد تركتهم نيام مكانهم فقال له بحق معبودك كيف كان خلاصك فوحق المسيح ماأقول بعد ذلك انك بنى آدم فقال له ياويلك أما أنت القائل لى قل لمحمد يخلصك مما أنت فيه من الشد والوثاق فقال له بلى فقال البطال هاقد خلصنى لما أن سألته الخلاص من ضيقك فقال شومدرس لعمرى انه نبى صادق ومايـنكر فضله إلا كل منافق فقال له أبو محمـد ياويلك فأين كان هذا الـكلام من ذلك الـكلام وأنت تضربنى وتوجعنى بالضرب وأنا أقول لك لاتفعل ياشومدرس وأبق للصلح موضع وأنت تقول لى لو أن محمد بين يديك والمسيح سائر من حواليك وهو يقول لى سلم على لما سلمت عليه ولا أطلقتك من اعتقالى فقال له شومدرس يابطال لاتؤاخذنى بماصدر منى واعلم ياأبا محمد أن الغيظ قد ركبنى وأنت تعـلم أن الغيظ يخرج الانسان من عقله ودينه ويتبع هوى نفسه من شدة غبنه واعلم ياأبا محمد سبب ذلك انى كنت قد اغتظت منك لما أن قبضتنى من الدير وربطتنى فى الحبل وضربتنى الضرب الوجيع والحبل يحز فى عنقى وقد أسهرتنى طول الليل ولا رحمتنى والآن قد مضى مامضى فجد على بالعفو والرضا واعلم أن الله تعالى قال (إلا من تاب) وأنا قد تبت وانصلح حالى وقد مضى ما عندى من سائر أمكارى فلا تحقد أنت على ولا تطردنى عن الحقيقة بغير حق فقال له أبو محمد لأقلعن هذا النفاق من صميم قلبك ثم انه رماه من على أكتافه وكان البطال قد تعب من حمله هذا ولما أن رماه كاد أن يقضى عليه وماصار على الارض الى أن رض عظامه فى بعضها بعض ولما أن صار الملعون على الأرض جره البطال من رجله وفى أصل شجرة ربطه

وقد قطع له بعد ذلك غصنا وضربه إلى أن سال دماه وانمزع لحمه من بدنه وما زال يضربه الى أن تعب وكلت يده وقد خشى عليه من كثرة الضرب فعندذلك تركه وقال له الآن قد أشفيت قلبي من ذلك الملعون ومابقى فى قلبى حسرة إلا أن يأتى على شيء من اعراضه على الامير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب ثم انه قد تركه ساعة لأنه رآه قد غشى عليه . هذا ولما أن أفاق من غشوته تأوه مما قد حل به وقال يابطال ان ترجع مما أنت عليه ودعنا نحن الاثنين نصطلح فقال له البطال ياملعون سوف أصطلح أنا وأنت على يدى الأمير عبد الوهاب وتنظر الصلح كيف يكون بيننا هذا ولما أن استراح الامير أبو محمد البطال قام على حيله وأراد فك شومدرس وشيله ومسيره وهو يقول لاتطيل نفاقك على فبينما البطال معول على شيل شومدرس على أكتافه والمسير به واذا بأشياخ قد رآهم وهم مقبلين عليه فوقف البطال عما كان عازم وقد تمهل الى أن ينظر ما يكون ويتجدد . هذا وما زالت الأشياخ تقرب اليه هذا ولما أن رآهم البطال خاف على نفسه منهم وقد اختفى تحت فروع تلك الشجرة ثم انه قد استتر بها وكانوا الأشياخ قد رأوه وعاينوه لما أن اختفى منهم تحت تلك الشجرة فعند ذلك قصدوا اليه وقد نادوا عليه بالرومى ياويلك من أنت ومن تكون ياهذا والى أين أنت قاصد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع البطال منهم ذلك الكلام قال والله قد جاء الفصل وانقلبت على الاحكام ونزلت على من هؤلاء الهموم وسائر الآلام وقد توسلت بخير الأنام ورسول الملك العلام هذا ولما أن سمع البطال نداهم وكلامهم له علم أنهم قد رأوه فعندها خرج من تحت الشجرة وقال لهم وقد أيقن بالعطب اعلموا انى أنا عابر سبيل ومعى رجل عليل وأنا معول على شيله والمسير فسمع شومدرس كلام البطال لهم فنادى لاتسمعوا كلامه ولاتصدقوا الى أقواله ياويلكم اعلموا أن هذا شيطان المسلمين وعيار الموحدين واعلموا أن الذى يخاطبكم هو شيخ ملة النصرانية أجمعين وهو أبو الشر شومدرس شيخ الأراجيس والخليفة فى الأرض عن إبليس (قال الراوى) فلما أن سمعوا القوم كلامه تجاروا عليه فتميزهم البطال واذا هم بلحى كبار فأنكر أمرهم وقد قال : اللهم اكفينى شرهم . هذا ولما أن صاروا عند شورمدرس والبطال أشهروا فى أيديهم النصال وقد صار كل واحد منهم يمسك لحيته ويجذبها بيده فتطلع معه وتسير فى يده . هذا ولما أن شالوا تلك اللحى فبان لهم من تحتها لحى غيرها وهى صغار أصغر من الأولى فقال البطال أحسنت والله إن أهل هذه الديار لهم لحى كبار ولحى صغار فهذا شيء مارأيته

وقداحتار وحققهم فعرفهم واذا هم غلمانه وهم : لؤلؤ وسبك ويانس ومعهم أبوالهزاهز
(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنهم أتوا فى طلبه فلما أن رأوه فرحوا به وقد
سألوه عن حاله فعندها أخبرهم بما قد جرى له مع الملعون شومدرس فعندها تخطى
أبوالهزاهز خطوات لما أن سمع بحس ذلك الغدار وأتى اليه وسلم عليه ثم قال والله
أنا من زمان كنت فى انتظاره وانى له فى نية مليحة وهى جليلة وسوف يحمدنى عليها
ولكن حتى يفيق من نومه ويقع العتاب بينى وبينه (قال الراوى) ياساده ياكرام
وكان شومدرس قد غشى عليه لما أن رأى غلمان البطال وأبوالهزاهز . هذا ولما أن
أفاق قال البطال سيروا بنا الآن من هذا المكان فعندها قد دنا أبوالهزاهز من
شومدرس وحمله على أكتافه وقدسار به . هذا والبطال يقول لهم لاتنزلوا حتى تروا
وجه الأمان واعلموا اننا لا نأمن على أنفسنا ممن يتبعنا من الأعداء ويعيقونا عن
مسيرنا وربما أن يخلص هذا الملعون من أيدينا فقال أبوالهزاهز وحق بيت عصانين
وشرب المريس بين اثنين بعد أن حصل هذا الكلب على أكتافى مابقى الأسد يقدر
على خلاصه من لكافى ولو كان فيه هلاكى وتلافى (قال الراوى) ياساده ياكرام
فلما أن سمع البطال كلامه قال لله درك ياأبوالهزاهز ويابطل مناجز فما أنت فيما قلته
عاجز ثم إن البطال بعد ذلك قال لغلمانه : ياأولادى متى فارقتم الامير عبد الوهاب
فقالوا له منذ عشرة أيام ونحن عليك ندور فى القرى وسائر الأماكن والمواضع .
هذا وقد قلق الامير على غيابك غاية القلق وقد زاد به الأرق وهو يسير الخيل فى
فى كل طريق وكل من سار يعود بلا فائده وهو منك خائب ثم انه أراد أن يخرج
فى طلبك بنفسه فما مكناه نحن من ذلك وهذه ثلاث مرات ونحن نطلع الى هذا الجبل
ونسير ونرجع ننزل منه ونسير الى غيره بلافائده والحمد لله الذى قد أرشدنا إليك
فى هذه المرة ودلنا على طريقك وجمعنا من فضله عليك (قال الراوى) ياساده
ياكرام . هذا وقد صاروا يقطعون الأرض فى الطول والعرض وأبومحمد يشكرهم
على ذلك ويقول لهم يادمعتى ماخبيتك إلا لشدتى ومايعرف الصديق إلا وقت الشدة
والضيق ولولا ذلك ما أعرف المبغض من الشفيق (قال الراوى) وبعد ذلك أتى
أبوالهزاهز الى شومدرس وقال له يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن
ماء المعودية وغسل وجهه بشخاخ الرهبان المدعية والله لأنتقم منك وأجعلك
عبرة فى البرية فقال له يا أمير كيف تنتقم منى وأنا قد تركت الشرك وندمت على
ما فعلت من جهلى وقد رجعت الى الله لأننى يوم القيامة بذنوبى مطلوب وأنا أشهد

أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله قال فلما سمع أبو الهزاهز ذلك رق له قلبه وقال يا أبا محمد دع هذا الرجل من يدك فقال أبو محمد دع عنك هذا القول فهو مثل الحرية يتلون كل يوم سبعين مرة ثم التفت أبو محمد إلى الراهب شومدرس وقال والله بالعين لئن لم تزيل هذا النفاق من قلبك لأطيلن عذابك فقال أبو الهزاهز يا أبو محمد اعلم أن الأمير فى قلق عظيم لأجل غيبتك (يا ساده) وبينما هم فى المحاورة والكلام وإذا بعشرين بطريق قد أقبلوا اليهم طلبوا وعليهم الدروع وعلى رؤسهم البيض اللامعه ومقدمهم بطريق وهو من طوله كانه الريح الشهيق تام الهيبه حسن الشيبة فلما رآهم أبو محمد نظر إلى أبو الهزاهز وإذا به ابتدرهم وأن يريهم شيئا من قوته وشجاعته فعمد إلى شجره عظيمة فمسك بأصلها وجذبها فقلعها فكانت كالجبل وهو من تحتها كالجمل ومال بها عليهم وصار لا يضرب بها الفارس أكثر من ضربة وقد أهلكه هو وفرسه فما كانت إلا ساعة حتى قتل الجماعة وحكم بينهم بالسوية وأوردهم حياض المنيه وجمعوا خيولهم وأسلابهم فلما رأى أبو محمد من أبو الهزاهز ذلك شكره وجزاه خيرا وقال لله درك لقد أشفيت الغليل وأرضيت بفعلك الملك الجليل ثم ان أبو محمد أخبرهم بالخيول التى تركهم فى الدير فمضوا وأتوا بها وبعث غلامه لؤلؤ الى الأمراء بشرهم بهذه الغنيمة والفتح فسار لؤلؤ إلى أن وصل إلى الحصن ودخل على الأميرة ذات الهمة فرآها مغمومة مطرقة إلى الأرض فقال لها يا أم المجاهدين ما الخبر وقد فتح الله ونصر فقالت قد غاب ولدى وما سمعت له خبر فقال الساعه يصل مولاى أبو محمد ويطلبه أين ما كان (قال) فلما سمعت ذلك من كلام لؤلؤ طاب قلبها وسكن لبها ولم يكن الا ساعة حتى وصل الأمير محمد البطال ومعه شومدرس فى أسوأ حال وقد ورمت رقبته من ضرب البطال فلما نظرت الأميرة اليه بصقت فى وجهه وقالت له وقعت يا رديء الأصل والأعمال الى متى يؤخر الله فى أجلك والآن فقد أخذك الله أخذ عزيز مقتدر (يا سادة) فلما سمع شومدرس ذلك لعب حبال حيلته وبذر فيها حب مكيدته وقال اعلمى أيتها الأميرة المجاهدة أن لى من العمر ستين سنة ومع هذا العمر كنت أشرك بالله وأعبد غيره وما بخل علىّ قط برزقه ولا ضيعنى بين خلقه والآن فانى أريد أن تطهرونى بسيوفكم من ذنوبى التى أسلفت وأوزارى التى علىّ كتبت وأنا أشهد لله أنه منزه عن الصاحبة والولد وأقر برسالة النبي وبحق ما فى صدرك من كتاب الله تعالى الا تركتى بعض البطارقة بضرب عنقى حتى أكون قتيل أهل الكفر والطغيان لأنى أعلم أنى ما أنال الغفران الا بالقتل فى سبيل الملك الديان وان قتلنى أحد منكم فما يكون الاشق

أشق الناس قال فلما سمعت الاميرة ذات الهمة ذلك الكلام من شومدرس عظم عليها وكبر لديها وقالت لعل الله تعالى يكون قد هداه بهدايته ثم ان الامير أبو محمد قال سبحان الله أيتها الأميرة تعظميه وتطمعى فى اسلامه ثم أعاد عليها ماجرى له فى الجزيرة مع الراهب الكبير والرهبان وكيف رجعوا الى طاعة الملك الديان ولولا أنهم دلونى عليه ما قدرت آخذه وبعد ذلك فانى لما خرجت من الجزيرة احتال على وهم أن يخدعنى فما انخدعت واذا بخيل من الروم قد خرجت الينا من الجبل فقبضت على فمن ساعته نافق وبان كفره وضربنى الضرب الوجيع ثم أعاد لها جميع ما جرى وما ذكرناه فضحكت الاميرة وقالت هذا صندوق الحيل وما فى الامر الا صلبه بعد ما أشتفى من ضربه فقال شومدرس ما أحلى كلامك الا أنى أصبر على ما حكم الله على لانى أعلم ما سلف منى اليكم والآن فقد رجعت الى باب الملك الجليل ودع يفعل بى ما يشاء ويريد وما بقى لى فى الحياة رغبة فقالت الاميرة اعلموا أن هذا الملعون محتال فاعملوا فى رجله القيد ويتوكل به جماعة من الرجال فقال الامير سيف الحنيفية أنا أتوكل به وأمضى به فى جماعة من رجالى فسلم اليه ثم أرسلت الاميرة العساكر فى طلب الامير ومن معه من الاصحاب فمضى أبو الهزاهز فى جماعة من السودان ومضى الامير مدركه فى جماعة من بنى كلاب ومضى الامير محمد فى غلمانه وتزيا بزى الروم ولبس هو الدراعات الشعر الاسود وقد أمن على نفسه أنه لم بقى يعرفه أحد بعد قبضه على اللعين شومدرس (قال الراوى) هذا جرى هاهنا وأما ما كان من الامير عبد الوهاب فانه لما أبطأ عليه خبر أبو محمد البطال فرق الرجال فى طلبه وسار هو فى جماعة من بنى كلاب والسودان الانجاب أربعة أيام فلما كان فى اليوم الخامس أشرف على دير عالى البنا واسع الفضا قد ارتفع فى الهوى فلما وصل الامير عبد الوهاب اليه أعجبه حسن بنيانه ونزل بقربه وقال لاصحابه ألا ترون الى حسن هذا المكان وأقول ان فيه جماعة من الرهبان ولكن نادوا سكانه لعل يشرف أحد نسأله عن صاحبنا فنادوا يا راهب الدير أشرف علينا نسألك عن شىء من الاخبار فما استتم المنادى كلامه حتى أشرف عليهم راهب كبير السن عليه ثياب من الصوف وكان هذا الراهب اسمه شحتوت فقال اسألوا ما تريدوا ولا تشغلونى عن العبادة فانى أفزع من عالم الغيب والشهادة فقال له مالك بن بشير هل بالقرب منك عمارة فقال ما بالقرب منى الا البحر الاسود وعلى جنبه مدينة يقال لها المعبد عبر عليها المسيح فوجد فيها جبارا من الجبابرة ويقال له سهيل بن شويل فدعاه الى دين الله تعالى فأبى أن يتبع دعوى

المسيح فدعا عليهم فاصبحوا بدعاء المسيح خامدين وفى ديارهم جاثمين وقد أصبحت تلك المدينه ينوح فيها الغراب والبوم مهدومة الأطلال والرسوم (ياساده) فقال له الأمير ياراهب أنت فى هذا الدير وحيد فقال يابنى لأنى كلب عقور كبست نفسى وحبستها فى هـذا المكان مخافة أن أعصى الرحمن فقال له الأمير ياراهب هل مر بك رجل قصير اشقر قد خرج فى طلب ضالة ضلت له فانقطعت أخباره علينا قال فلما سمع الراهب كلام الأمير عبد الوهاب ضحك وقال قد جرى على هذا الرجل صاحب هذه الصفة شيئا تعجز الجبال عن حمله وذلك ان الراهب شومدرس وهو من جماعتنا ولكن قرأ شيئا من الانجيل وعرف التحليل والتحريم إلا أنه غلب عليه اسم الرهبان وهو يخالط الناس فى الحصون وهذا لايجوز لأن الرهبان لايطيب لهم الانس بالناس فقال الأمير وقد قلق لمـا سمع خبر الأمير أبو محمد وأين ذهب شومدرس فقال له قد نزل فى هذا المصنع الذى فى هذه الصومعه ومعه عشرة من حصن العمد وعشرين من بطارقه حصن الدولاب ورأيت معهم هذه الصفة التى ذكرت وقد أحاط به من البلا مالا أقدر أصفه لكم وما قدرت اعترض عليهم لأنى أعـلم أنهم ما يسمعون منى وأنا مشغول عنهم بروحى وتفكرى بالموت حتى يدهمنى (ياساده) فقال له الأمير عبد الوهاب جزاك الله خيرا متى نزلوا به إلى هـــذا المصنع فقال ياسيدى من مدة ثلاثة أيام وهـذا المصنع ينتهى إلى دير تحت الأرض وأمس وصـل اليهم عشرين بطريق من حصن القيطفور ومعهم الطعام والشراب وسألت عن حالهم ومجيئهم إلى ها هنا فما أخبرونى بخبر ولا أوقفونى على أثر فلما سمع الأمير ذلك قال لقومه أرجو من الله تعـالى أن يكون فى الحياة ثم أنه أشهر سيفه فعند ذلك فعلوا أصحابه كذلك وكانوا اثنى عشر رجل وقد أيقن الأمير عبد الوهاب ان أبو محمد فى ذلك المصنع ثم ان الأمير نزل هو وأصحابه فيه فوحدوا فى آخره دير واسع فقالوا هـــذه علامة الصدق ثم انهم داروا حول ذلك الدير فما وجـد فيه أحد فقال الامير لبعض أصحابه اصعد يا ابن العم واسأل الراهب أين ذهبوا فقد فتشنا فى المكان فما رأينا فيه إنسان فسار الرجـل إلى أن صعـد الى رأس المصنع وإذا به بطابق عليهم من حديد وعليه حجارة من جلاميد وعليه أربعة أقفال من حديد فايقن بنزول الباس وضاقت منه الانفاس فرجع الى الامير عبد الوهاب وأعلمه بالحال فعلم أنهم قد وقعوا فى شباك الاحيال وقد رفعوا رؤسهم ورفرفت عليهم عقبان الآجال فصعدوا بأجمعهم إلى باب المصنع عساه أن يتقلع فلم يقدروا على ذلك فرجعوا بالخيبة وأحاطت بهم من المرت

مصيبه لأن له كلاليب مصنوعة فى حلق وزواريق إلى جانب الحائط لايقدر أحدا على قلعه ولايستطيع أحدا على رفعه فايسوا من الحياه وأيقنوا بالوفاء (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الراهب شحتوف كان من حصن الدولاب ولماجرى ماجرى على الحصن هرب إلى ذلك الدير وقد أيقن بزوال الخير مخافة على نفسه وكان إذا أراد أن يقيم ناموسا على الروم أتى إلى ذلك المكان فيتعبد فيه ويقرأ الانجيل فكانت تأتيه الأموال والنذور وأيضا الكسوة فلما جرى على الروم ما جرى من المسلمين هرب إلى هـذه الصومعة وأقام فيها لأنه قد ظن أنه لايقصده إلى هـذه الديار قاصد ولم يزال إلى أن وصل الأمير عبد الوهاب ومعه الرجال المذكورين وكان هـــذا الملعون شحتوف قد سمع بمـا جرى على شومدرس من أبو محمد البطال من الحيل والأعمال فلما أتاه الأمير علم أنهم من المسلمين وأنهم أتوا فى طلب شومدرس وسألوه عن الأزرق العينين علم أنهم يسألوه عن أبو محمد البطال لأنه قدعرف صفته فخاطبهم بما وصفنا حتى تم عليهم ما ذكرنا وبلغ منهم عندذلك ما تمنا إلا أنه لايعرف عبدالوهاب ولاغيره الا أنه ظن أنهم من جمـلة المسلمين فلما صاروا فى ذلك المصنع أطبق عليهم الطابق وعول على موتهم بالجوع والعطش وطالت عليهم الأيام ولا من فيه رمق ولا من يستطيع القيام ولا الكلام فقال الأمير عبد الوهاب لا اله الا الله سبحـان الله العظيم لقد لقينا فى هذه السفره أهوال تشيب لهولها الأطفال وكان آخرها نموت تحت الأرض بالجوع والعطش فلا حول ولا قوة الا بالله العظيم فقالوا له أصحابه ليتنا كنا نموت وقتلنا بسيوف الـكفار حتى كنا نصـل الى دار القرار ونجاور النبى المختار فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه اعلموا انكم اذا متم فى هذا المكان كان أفضل لكم من موتكم بالصارم البتار فقالوا له كيف ذلك أيها الأمير فقال لهم انى لما حججت الى مكة فى السنة التى عولت فيها المجىء الى ملطيه فى طلب الجهاد رأيت فى مكة الشيخ شمس الدين وهو رجـل من علماء المسلمين وقد نصب له كرسيا بمسجد الـكعبة وهو يعظ الناس فذكر فى حال وعظه حكاية تؤمن هذا الحال الذى نحن فيه لأنه قال دخل بعض الصالحين الى قرية من بعض قرى بغداد وكان جائعا فطاف سبعين بابا يطلب شيئا من القوت فلم يطعم شيئا فمضى الى الجامع وبات فيه طاويا ولمـا أصبح الصباح ظل صائما طاويا الى العشاء فخرج وطاف سبعين بابا ولما أصبح انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فعبر بعض الصالحين رآه ميتا فى الجامع فعرفه وقال هـــذا فلان العابد فاخـذ فى أهبته فجهزه وأنزله فى حفرته فلما كان فى هذه الليلة راه فى المنام

فى أحسن صورة فقال له ما فعل الله بك يافلان فقال له أعطانى أو فى مما أعطى الشهداء ببدر فقال له ولم ذلك فقال له لأن شهداء بدر قتلوا بسيوف الكفار وأنامت بسبب الجوع والعطش (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأماما كان من الأمير أبو محمد البطال لما أخذ غلمانه وسار بهم فى طلب الامير عبد الوهاب يقتفى منه الاثر وما زال الى أن وصل الى الدير فنظر الى علو بنيانه وحسن غدرانه واذا بالراهب شحتوف فتح له الباب فنظر الى كبر سنه فسلم عليه وقال يا أبو ناكم لك فى هذا الدير فقال له بكلام ضعيف لا أعلم وقد وجدت البركة فى الوحدة والعزلة فقال له هل عبر فى هذه الايام عابر فسكت الراهب فقال له لم لاترد جواب فقال له ان قلت لافقد كذبت وان قلت لك نعم فقد صرت مغموما لكن أقول لك منذ خمسة أيام دخل على من حصن الدولاب عشرة أنفار ومعهم رجل أسمر اللون ورجل اخر مهاب مقطوع اليد قد نزلوا الى هذا الموضع ومن حين نزلوا ما عادوا فلما سمع البطال كلام الراهب شحتوف انتهى الى أسفل الدير وجد الأمير وأصحابه على غاية من الجوع فهناهم بالسلامه وأطعمهم وسقاهم فرجعت اليهم أرواحهم وخرجوا من باب المصنع الى باب الدير وقطع البطال رأس الراهب شحتوف وأخذوا جميع ما كان فى الدير (ياساده) وأما الجماعه الذين أرسلتهم الاميره فانهم رجعوا وما وقعوا لهم على أثر فدعت الاميرة الى الله تعالى وفى تلك الساعه وصل لؤلؤ بالبشارة ففرحت ولاقت الامير عبد الوهاب (قال الراوى) وأما شومدرس فانه لما رأى الامير عبد الوهاب قال الحمد لله الذى نجانى من النيران وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال البطال دع عنك هذا المحال والهذيان ثم صاح أبو محمد على بالخشبه فاحضرت بين يديه وأمر بنصبها على باب الحصن ففعلوا ذلك وأمر برفع شومدرس عليها فلما رأى شومدرس ذلك قال لابو محمد ان الزمان مكار غيور غدار يسلط الاشرار على الاخيار فأنتم أشرار دونكم والاخيار فقال أبو محمد ياويلك فلم لاقرأت هذه الآية على نفسك حيث تسلطت على وعلى المسلمين نوبه بعد أخرى فقال الامير عبد الوهاب قد بان نفاق هذا الشيخ الكذاب ثم أنه رفعه على الخشبه وطلع الناس على الاصوار وأخذوا بايديهم السهام والاحجار وهموا أن يضربوا الشيخ الغدار واذا بغبار قد ثار حتى ملا الافطار وغشى الأبصار وأظلم منه النهار فانكر الامير عبدالوهاب ذلك الغبار أعظم الأنكار وقال معاشر المسلمين حلوا شومدرس من الخشبة ولا تقتلوه حتى نرى مايكون من أمر هذا الغبار الذى قد أقبل فلاشك أنه خبر قد وصل الينا ونحو ناقد عول فقال الامير أبو الهزاهز أنا أتيك بالخبر وأوقفك على جلية

الأثر إن شاء الله تعالى ثم أنه ركب وركب معه سيف الحنيفيه ومالك ابن بشر الأقطع وميمون الجماس وتمام العشرة من بنى كلاب وركبوا على الخيول العتاق واعتقلوا بالرماح الرفاق وساروا مجدين ولكشف الخبر مبادرين (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك للغبار الذى قد أقبل والجيش الذى قد وصل وإلى حصن الدولاب عدل ان دهرشوم كان هو وأمه فى الحصن الأول فى قبضة الأمير سملق وطالت الأيام والأمير سملق محتفظ بهم لانه كان قد جرى ما جرى عليه من الحيلة التى دبرها وكان سملق كثير التيقظ الى أن وصل اليه سيف الحنيفية ونزل الامير سملق وخدمه وفرح بقدومه اذ أتى نجدة للامير عبد الوهاب وأقام معه ذلك اليوم والليلة على ظاهر الحصن الى أن دخل سيف الحنيفيه طالب الحصن الثانى ورجع سملق الى موضعه وافتقد شوما وولدها دهرشوم فما وجد لهما خبر ولا وقع لهما على أثر فعظم عليه وكبر لديه وفتش الحصن من أوله الى آخره فلم يجدهما فضاقت عليه الارض بما رحبت وقال لاصحابه المتخلفين فى الحصن ياويلكم ما تحدثونى كيف تحدثونى وكيف غفلتم عن هؤلاء الشياطين فقالوا أما فى النهار فما برحوا من القيود وأما فى الليل فما لنا علم بهم (قال الراوى) وكان الملعون دهرشوم لما رأى سملق قد خرج من الحصن قال لامه شوما اعلمى اننا لم نتخلص فى هذه النوبة وغفلت الناس عنا فما نخلص أبدا والرأى عندى اننا نهرب ويهون علينا الموت فان سلمنا فهو الذى نريد وان نسلم فما نحن موضع السلامة فقالت له كيف السبيل الى ذلك فقال لها عرفت الموضع الذى فيه المفاتيح التى للقيود ثم انه زحف فى الليل الى ذلك الموضع وأخذ المفاتيح التى للقيود فتحها وأخرجها من رجله ونزل ونزلت أمه من بعده كانها شيطانه وساروا من مواضع يعرفانها لانهم تربية تلك الارض وقصد دهرشوم بحر اليونان وركب هو وأمه فى مركب الى بلد القسطنطينيه ودخل البيعة وكان الملعون دهرشوم يحفظ الانجيل فجعل يقرأ بطيب نغمته وحسن تلاوته حتى أنه أبكا الرهبان والقسوس والبطارقة وكان ذلك اليوم يوم عيدهم ونزل الملك منويل فى خواصه وأرباب دولته ودخل الكنيسة وتصدق بمال كثير فهو كذلك واذا قد وقع صائح قد صاح وبقصته قد باح وبكا وناح فنظر الملك الى ذلك ليكشف حاله واذا به دهرشوم وأمه شوما وهما يصيحان ويتناجيان (قال الراوى) ولما قربا من الملك ناداه دهرشوم أيها الملك الرحيم والسيد الكريم أنت غاية النصرانية ومالك رقاب أهل ماء المعمودية وعمدة الملة المسيحية وقائد العساكر الرومية والطوائف الافرنجية ومقصد كل ملهوف من عباد الصليب والنوريه كيف أخذتك الغفلة

عن قوم يقولون بمقالتك ويدينون بشريعتك ويدعون لدولتك بالدوام ولواحتجت اليهم لكانوا من وراء معونتك أيها الملك ملكت الحصون وقتلت الملوك الأكرمون وهلكت الرجال والولدان وقد اشتد المصاب وقتلت الشيوخ والشباب وهلكت القسوس من ذوى العلوم والآداب وأسر عالم النصرانية وشيخ الرهبانية وحجة الملة المسيحية الذى هو أعرف الخليقة بالإنجيل ومافيه من التحريم والتحليل صاحب الحكم البالغات والعلوم الظاهرات والأقوال الصادقات والحيل الكاملات والأوصاف الباهرات وهو الرجل الأوحد الذى مثله فى الأرض لم يوجد وإن وجد فلا ينافس ولا له فى الارض مقايس صاحب العلوم والدروس عماد حملة الصليب والناقوس لايخلو من بركته بيعة ولا ناؤوس الذى فى بحر الحيل مغموس أبو الشر شومدرس الذى هو لعدوك منكس ثم انه بكى وصاح وا أبتاه وا راهباه قد حكموا المسلمين فى عقوبتك ويقعد الملك عن نصرتك ثم ان دهرشوم أعاد على الملك (منويل) حيل أبوه وما قتل من المسلمين وأهلك من الموحدين (قال) فلما سمع الملك منويل بفعال شومدرس قال ماهذا إلا رجل عظيم لايلتقى مثله إلا أن يكون الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة صاحب العقل المليح والقول الصحيح والنطق الفصيح ثم قال ياهذا قل من البكاء فعلى خلاصك وخلاص أبيك . ثم جمع أرباب مملكته وخواص دولته وقال لهم ما ترون فى هذا الأمر فقالوا وحق المسيح ما كان قعادنا عنهم فى الأول موافق ولكن فعلنا فعل غير لائق والآن فقد مضى ما مضى فارجع عن عفوك والرضا وارحل بعساكرك التى تسد الفضا وتسد المستوى وتملك عليهم الدروب فقد قتل أكثرهم ولا بقى إلا أقلهم ونحيل بينهم وان كانوا عند حصن الدولاب ملكنا الحصون على غرتهم وأحطنا عليهم على قلتهم ففى قلوبنا منهم نار لاتطفىء ولهيب لايخفى وفعالهم معنا فى الثغور لا تخفى ولولاهم كنا ملكنا سائر البلاد والثغور وهانت علينا صعاب الأمور ولم أتمنى هذا التمنى لقصر مناه لأن العدو محصور مقهور ومالم نجده نأتى اليهم ولم يبق لهم من مقدم عليهم فاكتب على أجنحة الطيور الى الأقاليم واستقدم جميع الروم من جميع البطارقة الكريم منهم واللئيم واعزم أيها الملك الرحيم فهذا زمان الفرصة فى هلاكهم (قال) فلما سمع الملك (منويل) ذلك من كلامهم قال لهم : لقد كان الرأى السديد مع القاضى عقبه لما كتب إلينا أن نمنع سيف الحنيفية من الوصول الى الأمر الزنيم لوكنا تكاثرنا عليهم لما كان نجا معه لا صغير ولا كبير وكان الاسود كما سمعنا مأسور فى حصن

العمد حقير كما قد ذكر دهرشوم وكنا قد خاصنا من جميع الهموم وما كانت تقوم له قائمة أبدا اذا أشربوا شراب الردى وما كنت أعود الى مدينة القسطنطونية حتى أمضى الى بغداد وأبلغ المنى والمراد ولكن هذا كان (ياساده) ثم أمر وزيره أن يكتب إلى سائر المواضع والبلاد ويستقدم الخيل والاجناد (قال الراوى) فكتب إلى سبعة عشر إقليم وسير ذلك على أجنحة الطيور فما بات الخبر إلا فى سائر البلاد ففرحوا بذلك الأمر من حنقهم على الأمير عبد الوهاب ومن معه من أمراء بنى كلاب والسودان الأنجاب ورحلوا من كل مكان طالبين القسطنطونية والملك يدبر أمر الناس للرحيل (ياساده) فما كانت إلا أيام قلائل حتى وصل رسول الامير عبد الوهاب ومعه جماعة من بنى كلاب والسودان الأنجاب (قال الراوى) فلما مثلوا بين يديه سلموا عليه وأوصلوه كتاب الأمير عبد الوهاب يذكر البيع للحصون وطلب الهدايا والأموال والرجال فقال لهم حدثونى على ماجرى فى حصن الدولاب فأعادوا عليه كل ما كان وهم يظنون أن ذلك يعجبه لأنهم يعرفوا أنه كان بينه وبين الملك الاشميطش عداوة قديمة هو واخوته حتى ذكروا أن الأمير عبد الوهاب قتل جميع الملوك واحتوى على سائر الحصون وعلى تلك الأرض بأسرها فقال لهم الترجمان فما معكم خبر من الراهب شومدرس فقالوا نعم خليناه والأمير عبد الوهاب على نية صلبه ولكنه هرب الى بعض الرساتيق والأمير أبو محمد البطال فى طلبه (قال) فلما سمع الملك (منويل) قال انزلوا بهم فى موضع الى أن نعطيهم الجواب (قال الراوى) ثم انه لما صرفهم قال لقومه وحق المسيح لقد أردت أن أضرب رقابهم لما سمعت من جوابهم وأنا على هذه النية فقال له (مارس) أيها الملك انك سألتهم فأخبروك وماعلى الرسول إلا البلاغ فلا تخرق عادة الملوك ولا تسفك دم الرسل إذا وصلوا اليك وقدموا عليك فما هذه فعال الملوك من قبلك حتى انك تفعل ذلك (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام مارس سكن غضبه (قال الراوى) وفى تلك الأيام وصل خالد غلام عقبة الى حضرة الملك منويل ففرح به وقال إيش عندك من أخبار الشيخ النجيح الشيخ عقبة فقال أيها الملك انقطعت عنه أخبارك وأخبار عبد الوهاب وبنى كلاب ويقول لك لا أنت كتبت الى كتاب ولا بلغنى عنك جواب ولا عرفتنى ما جرى على المسلمين فى بلاد الحصون فلما طال انقطاع كتبك على ولم أعلم سبب ذلك ضاق صدرى وقد بلغنى أن الرشيد مريض وقد أشرف على الموت من شدة الوجع الذى هو فيه وانى دخلت على الأمير عمرو بن

عبيدالله وقلت له قدعولت الى المضى الى بيت المقدس أتعبد وعلى نذر أوفيه فقد ضاق صدرى وعيل صبرى واستوحشت للأمير عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وما بقى لنا ولهم فى عينى رونق فى غيبتهم ثم انه ودع الامير عمرو وسار إلى الرقة وعطف راجعاً الى بلاد الروم وقد سبقته اليك وهو فى غداة غد يصل اليك ويقدم عليك (قال) فلما سمع الملك منويل ذلك الكلام خلع على خالد غلام عقبه وقال بشرك المسيح بالخبر فهذا كان أملى أن يجمع المسيح بينى وبينه ثم انه أقام فى انتظاره فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح دخلت البطارقة على الملك منويل يخبروه بقدوم عقبه حتى اذا دخل ووقعت عينه عليه قام قائما على قدميه واعتنقه وقبل يديه ثم ان عقبه أقبل على الملك وقال أيها الملك ما سبب انقطاع كتبك عنى وأنت تعلم أنى على غاية القلق والحزن فى طلب سماع الاسود الزنيم وأن المسيح قد أهلكه هو والبطال الرجيم وذات الهمه العاهرة التى هى سبب خراب بلاد الروم (قال) فلما سمع الملك منويل ذلك من كلام عقبه قال له اعلم أيها الشيخ النجيح اننى ما سمعت لهم خبر ولا وقعت لهم على أثر الا فى هذه الأيام وصل الى غلام من أبناء الرهبان يقال له دهرشوم بن شومدرس (يا سادة) وأعاد عليه حاله وحديثه فقال عقبه ما أريد أسمع القصة الا من دهرشوم فأتى به اليه وجعل يحدثه بحديث أبيه وما كان منه وحيله وتدبيره وحسن نفاقه وكمال أخلاقه وهو يتعجب مما قد جرى وقال مثل هذا الرجل لا يفرط فى أمره الى أن سمع بأخذ الحصون وتلك القلاع وقتل الرهبان وسبي النسوان وملك البلدان وطلب أبو محمد لشومدرس فجعل عقبه يبكى على حاله خبثا منه ولعنه ثم رفع رأسه وقال أيها الملك وحق الانجيل لابد ما يوقفك المسيح بين يديه موقف التوبيخ ويسألك على تفريطك فى أهل دينه وقعودك عن نصرتهم وأنك ترحل الى نجدتهم وتعمل على خلاصهم وعلى هلاك عدوهم وان لم تفعل ذلك قطعت الذنار وتركت دين النصرانية وعدت الى دين الحنيفية وان كان أبغض الأديان الى قلب عقبه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبه قال يا أبونا انى قد كتبت الى سائر الاقاليم وأعاد عليه القصة لورود الرسل فقال أرسل الساعة الى الرسل واضرب رقابهم حتى تقع لك الهيبة فى قلوبهم (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبه قال له اعلم أنى أخاف أن يقال عنى أنى قتلت الرسل قال له عقبه اعلم أنه يجب قتل الرسول اذا ورد فى الفضول وهذا ما أتى الا شامت ويطلب منك المال وأنت فى بلادك فاقتل الرسول ومن معه وادخل بنا وأنا أسير معك أدبر لك على هلاكهم فان ذلك عنى صواب

(قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك خلف الرسول ومن معه فقال مارس هلكوا والله القوم بهذا الشيطان والله ماتركتهم يقدرون عليهم فقال أخيه فكيف نعمل وقد مضت بطارقة الملك اليهم فقال مارس لاسبيل لهم الى ذلك فانى من أمس لما مضى رسول عقبه يبشر الملك بقدومه علمت أنه يأمر الملك بقتلهم فأرسلت اليهم فى الليل وأخذتهم إلى دارى وقد أخفيتهم وما أقدر على إخراجهم حتى أنظر ما يكون وهم فى موضع لايهتدى اليه أحد فقال دارس لله درك فوالله لقد دخلت الجنة بهذه الفعلة (ياساده) ومضت البطارقه الى دار الضيافه ليطلبوا الرسل فلم وجدوهم فسألوا البوابين فقالوا ماعندنا منهم خبر فعادوا الى الملك وأعلموه فعظم على الملك وقال لعقبه ماترى فى هذه النوبه فقال عقبه إعلم أن فى هذه الدولة من هو مسلم لا محاله لأنى قط ما أكاتبك بشىء إلا وجدته عند المسلمين من عيون اليك وهم أقرب الناس اليك ولم يتم اليك أمر ماداموا عندك فقال الملك أيها الشيخ لو علمت من هو ذلك لأوردته مورد المهالك فما الذى أفعل فقال عقبه اغلق الأبواب واحتفظ بباب الذهب واطلبهم كل الطلب وأوقع بمن عنده العطب فقال شومدرس لمارس ماتقول إذا علم الملك ذلك فقال له أقول عملت ذلك غيرة عليك حتى لايقال ورد رسول الى الملك فرط فيه وهذا غاية العار والفضيحة والشنار وإذا قلت ذلك وأبقاهم فهو المقصود وان لم نخلص على خلاصهم ماتوا بآجالهم وأنا أخرج من مالى ألف دينار اذا جن الظلام واختلط القتام أعطيناذلك لمن يساعدنا على نزولهم من الأصوار ونخرج اليهم العدد والخيل بالنهار فقال دارس هذا هوالصواب وبه تنال من الله الثواب (ياساده) وصبروا الى الليل وأخرج مارس المال وأرسل الى صعلوكين من أهل البلد مع غلمانه المسلمين وكانوا جماعة من القوم الذين هم موكلين بالأصوار من قبله لأنه قائد الجيوش فقال لهم أنا أجعل هذا لأجل غرض الملك وأنا أعلم أنه ان قتلهم ندم حيث لاينفعه الندم وأعطى لهم المال ولعب بعقولهم وأخرجهم من معقولهم فقالوا نحن نفعل ذلك وشالوا الرجال من واحد واثنين وشدوا الحبال فى أوساطهم ودلوهم من الأصوار وقالوا لهم الملتقى غدا فى القرية الخراب قرية البترك فقالوا سمعا وطاعه وأنزلوهم فى الساعه ولما أصبح الصباح أرسل لهم الخيل فلما وصلت اليهم وركبوها قالوا انجوا بنا من الموت ومن لحقنا من الروم ضربنا عنقه فاطلبوا بنا حصن يانس المتغرب فاننا لا نأمن أن يرسل الملك الينا بالحضور ولا نأمن ما لا نطيق شره ولا دفعه ثم صاروا طالبين حصن يانس وأمر الملك عند ذلك بالتفتيش عليهم وبلغ عقبة مسيرهم

عن البلد فعظم عليه وكبر لديه ودخل على الملك وأعلمه ثم قال أيها الشيخ تسير معنا
إلى هذه الديار فأنا لا أستغنى عن مشورتك المباركة وإن أردت المقام فى القسطنطونية
إلى حين عودتى فافعل وان أردت إلى ملطيه فلك ذلك فقال وحق المسيح لا رجعت
حتى أضرب رقبة عبد الوهاب وذات الهمه والبطال وأخلص صديقى وأخى شومدرس
وأنا معك (قال الراوى) فرحل الملك بالعساكر من سائر الأجناس ودخل الحصون
ووكل بكل حصن عشرة آلاف وسار حتى أشرف على حصن الدولاب وطلع الغبار
كما ذكرنا وسار بين يديه بطريق اسمه ميرون فى ألف فارس طليعة الملك ومعه علم
أخضر وصليب ذهب (يا ساده) وسبق الحديث أن سيف الحنيفية وأبو الهزاهز
ومالك ابن بشر الأقطع وعشرة من السودان ساروا وكشفوا الغبار فلما وقعت العين
على العين قال سيف الحنيفية ماذا تقولون فإن هذه الطليعة تكون ألف فارس فقال
أبو الهزاهز فان صدق حذرى فان وراءهم عسكر جرار فان كنتم تعولوا على لقاء الروم
فافعلوا فقال مالك ابن بشر الأقطع نحن عشرة وهؤلاء ألف فكيف نلقاهم والعساكر
قادمة وراءهم فقال سيف الحنيفية لابد ما ألقاهم ولو يكونوا عشرة آلاف ثم انهم
حملوا على طليعة ملك الروم ونظر ميرون البطريق إلى العشرة قالوا له أصحابه تأمرنا
أن نأخذهم فقال لهم إن فعلتم ذلك استحقيتم الخلع والجزاء من الملك ويكون ظهرنا
على المسلمين فليخرج اليهم عشرة يأتونى بهم فما استتم كلامه حتى خرج عشرين بطريك
على كل جواد عتيق ولم يلبثوا حتى حملوا على العشرة ولم يعلموا أن فيهم الأسد الذى
ما كان مثله وهو سيف الحنيفيه فلما نظروا إلى هؤلاء انفردوا اليهم وحملوا عليهم
وصاح أبو الهزاهز وضرب فارس فرماه وضرب ثانى أرداه وضرب آخر فنزل
السيف إلى قربوص السرج وضرب آخر أرماه الى الأرض وضرب مالك آخر فى
صدره طلع السيف يلمع من ظهره وثنوا المضارب فما تركوا منهم هارب فلما نظر
البطريك إلى ما حل بأصحابه عظم عليه وكبر لديه وصاح بالبطارقه الذين حواليه فحملت
على المسلمين منهم خمسين فارس بالسيوف الرفاق والخيول العتاق والحراب الرشاق
وقام الحرب بينهم على ساق فما كانت إلا ساعة حتى شربت الخمسون كاس المنون
فقال ميرون كيف ترون هؤلاء يخطفون الأرواح من الأشباح فدونكم وإياهم نخرج
اليهم مائة فارس فقالوا هؤلاء مائة ونحن عشرة فلينفرد منا كل واحد لعشرة فقال
سيف الحنيفية ما فينا إلا من يجول مع خصمه فكونوا أنتم العشرة لخمسين وأنا
وحدى لخمسين ولكن عندى رأى كأنك ما جربتنى فى حرب ولا رأيتنى فى موقف

الطعن حتى تقولوا انفردوا أنتم لخمسين وأنا وحدى لخمسين ولكن عندى رأى فقالوا وما هو ياسيف الحنيفية فقال يا أمير أبوالهزاهز ننفرد أنا وأنت لهؤلاء المائة وهؤلاء واقفون يتفرجون ويرون العجب إن شاء الله تعالى (قال) فلما سمع سيف الحنيفية من أبوالهزاهز ذلك فرح وقال اذا كان الامر على ما عولت فأنا وأنت نقسم المائة حتى يفرغوا فى ساعة واحدة فقال مالك على شرط أنكم تشركونا معكم فى الثواب (يا سادة) ووصلت المائة فارس وحمل سيف الحنيفية وتبعه أبوالهزاهز مثل الفيل الهائل المنظر والزبد من أشداقه قد ظهر وأبوالهزاهز وسيف الحنيفية أوقعا بالمائة البليه وأبادا الرجال وأفنيا الابطال وما كانت الا ساعة ورؤسهم بلاعاصم وأبدانهم بلا جماجم وأكفهم بلا معاصم (يا سادة) فنظر ميرون الى فارسين انفردوا الى مائة فارس ما فى الروم مثلهم وأسرعوا فى قتلهم وأفجعوا فيهم أهلهم فقال لاصحابه أما تنظروا هذه الرزية وما وقعنا فيه من البليه وما أخوفنى أن تنفضح عند ملك الروم وسائر النصرانيه فاحملوا عليهم بالكلية فعند ذلك حملوا بأجمعهم على الاميرين وكانوا ثمانمائة فارس وعشرين فارس واشتعلت نار الحرب واختلف الطعن والضرب وتطايرت جماجم الابطال وعملت النصال فى رقاب الرجال واختطفوا الارواح من الاشباح وعملت الصفاح وخرست الالسن الفصاح ونادى سيف الحنيفية يا لئام الارواح هذا وأبوالهزاهز كالجمل الهائج فى الفرح والمراح وطاب لمالك ابن بشر الاقطع الكفار فكم من رأس قد طاح وكم من دم قد ساح وعملت الصفاح وخرست الالسن الفصاح ومرت عليهم السحائب فى طلب الموت هذا والصياح قد ارتفع حتى ارتفع النهار واذا بصائح من وسط المعمعه وهو يكبر فنظروا اليه الفرسان واذا هو سيف الحنيفية وكان قد التقى بميرون وجرى بينهما صياح كالرعد القاصف وضربه ضربة شجاع غير خائف وقال فى عقب ضربته خذها وأنا عبد الملك الفرد الصمد الذى ليس له قبل ولا بعد فنزل السيف الى رأسه شقه الى سرجه ونظروا الروم الى تلك الضربة فولوا على وجوههم هاربين وقتل عالم عظيم كثير ولم يفقد من عسكر الامير لاكبير ولا صغير ولم تكن الا ساعة حتى انكشفت عند ذلك الكتائب وظهرت المواكب وبان الصليب الاخضر الجوهر فعرفه سيف الحنيفية وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هذا والله كلب الروم قد غدر الملعون ومسك الدروب علينا وما لنا الى الخروج من سبيل انلم يدبرنا الملك الجليل ثم نادى معاشر المسلمين قد لقينا هؤلاء ظفرنا الله بهم فعودوا بنا للأمير عبدالوهاب نخبره بهذا الامر والمصاب

ثم أخذوا الخيل والأسلاب ورجعوا الى حصن الدولاب ووصلوا للأمير وأخبروه بالامور والأسباب فأقبل على الاميره ذات الهمة وأصحابه وقال كيف ترون هذه النوبة العظيمة وهذه العساكر القادمة فقالت الاميره ذات الهمة لو كنا ما كاتبناه ما كان علم إلا وقد خرجنا من هذه المضايق التى ضاقت صدورنا فيها فقال الامير عبد الوهاب كنت أعلم أن عقبة لابد يكتب لملك الروم حتى يطلبنا فى هذه الأرض ويمسك علينا الطرقات طولا وعرض وهذا والله عسكر عظيم وحرث فى غدر هذا الملعون ومجيئه إلينا فقال أبو محمد ما أتى ملك الروم إلا لأمر عظيم إما يكون بعض الاسارى الذين فى الحصون هرب والى القسطنطونية دخل للملك منويل فبكى وانتحب وأخبره ملك الروم أن ملوك هذه الديار قتلت وأموالها نهبت وشومدرس انصلب وهو الذى سير ملك الروم الينا وإما أن عقبة لما أبطأ خبرنا عليه قلق ولم يجد صبر وأظهر لأهل ملطيه أنه يسير الى الحجاز أو الى بيت المقدس وعطف الى بلاد الروم وأشار على الملك بمجيئه إلينا وقال له المسلمين خمسة وأربعين ألف وقتل نحو عشرة آلاف رحل فارحل أنت لهم بكل من فى بلاد الروم واذا ملكتهم فما بقى فى الدنيا مقاوم ولا ملاوم وقبل من عقبه وسار الينا وأقل مادخل فى ثمانمائة ألف وهذا مالاطاقة لنا به فقال الأمير عبد الوهاب لانقطع قلوب المسلمين ولو كنت فى مائة فارس ما كان إلا لقاهم وأضرب بسيفى أقصاهم وأدناهم فقالت الاميره ذات الهمة لله درك كلما كثرت الغنم قرت عين الذئب والله سبحانه وتعالى مدح القلة وذم الكثرة من المشركين (ياساده) فهم فى الكلام وإذا بالبيارق قد ظهرت والصوارم قد اشتهرت والكتائب طلعت والمروج ضاقت بهم السهول والجبال وأشهروا السيوف الصقال والرماح والنبال والاصوات ارتفعت والخيام ضربت والسرادقات قد ملأت البيدا وضاقت بهم الدنيا ولم يبصر ملك الروم قط مثل هذه الرتبة والزينة وهو فى هذا التجمل العظيم فقال الامير لقومه خذوا أهبتكم لغزوات عدوكم قاتلوا بنفوسكم التى بعتموها لله تعالى لتفوزوا بجنات النعيم فان ملك الروم لايتعرض اليوم لقتال ولابد له من الراحة فاتركوا شومدرش حتى نبصر ما يكون فاذا أسر أحد يعز علينا فدينا به خير من قتله (ياساده) فأنزلوا شومدرس وهو يضحك وقال لأبو محمد ماقلت لك يأتى فى العرضيات مالم يكن فى الحساب فقال له البطال ياشيخ السوء أنت تحسب أنك تنجو من يدى بقدوم هؤلاء فلابد من قتلك ونحن مانسلم نفوسنا أبدا حتى نشرب كاس الردى ولكن لابد

والله من ضربك فانى أكلت وأشتهى أنأهضمأ كلى بضربك ثم انه مده وضربه حتى وقع لحم أكتافه وضربه على صدره حتى غاب عن الدنيا وخاف أن يموت فأمسك عنه وأضرمت النيران وتحارس الفريقان وارتفع الدخان وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح واشتاقت الرجال للضرب بالصفاح فى مقام الكفاح وركب الامير عبد الوهاب فى سائر بنى كلاب والسودان الأنجاب وقال الأمير والله وقعنا فى أمر عظيم وأكثر الأبطال فى الحصون مثل مالك بن طوق وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وهياج الكردى وسملق ومن معهم ولو كانوا عندنا سند فقالت الاميره ذات الهمة يابنى أنت وراك مثل هذا الحصن فان رأينا طمع وإلا رجعنا إلىحصنناولانبالى بهم فقال الأميرفما فى هذه النوبة إلاالذى قلت ثمانه صف المسلمين وجعلهمميمنة وميسرة ووقف الأمير أبوالهزاهز فى وسط الجيش وسيفالحنيفية انفرد فى جماعة منالجيش مقدار خمسة آلاف ورتبهم ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فجعل فى الميمنة مالك بن بشر الأقطع وفى الميسرة صالح بن مسرور الكلابى ووقف بنفسه فى القلب وأرسل الأميرعبدالوهاب يقول إما أن تتولى اليوم بنفسك وبعسكرك وإما أنأتولاه بنفسى وعسكرى وترى العجب إن شاء الله تعالى فقالت الأميره ياولدى ماهذا وقت ينقسم فيه العسكرقسمين ولا نقاتل فى يومين وانهم أحدقوا بنا وكنا نقاتلهم بعسكر العراق وعسكرالجزائر وعرب الشام والحجاز ونحناليوم فى قلة وهو فى ثمانمائة ألف سوى من جاء معهم فى طلب الجهاد وسوف ينضاف لهم كل من فى هذه الأقاليم والجبال من المنهزمين وهم عالملايحصى بعدد الرمل والحصى ومافى الأمر إلاانا نخاطر بنفوسنا ونكون على خطر ونحن بينهم كالسفينة فى البحر الزاخر الذى ليس له أول من آخر قال فلما سمعسيف الحنيفية ذلك من أبيه قال إن كان كما ذكرت والحال على ماوصفت فأنا أبلغك ماتريد ويكون اليوملى ولابد لى منذلك ولاتتعب أنتنفسك ولاتغمقلبك ولاتشغل قلوب من معك من العسكر فأنا أحمل عليهم اليوم فى هذه الخمسة آلاف الذين معى واذا كان فى غداة غد ووقعت النوبة عليك افعل ماتريد ثم انى أحمل تحت راياتك وعسكرى معك وقصدى بذلك اذا نظرت المشركين انى قد انفردت الى جمعهم الكثير وعددهمالغزير فى خمسة آلاف فارس فذلك ممايلقى فىقلوبهم الهيبة والثانى أنىأريد أخلع ثياب الخوف والفزع فى سبيل الله تعالى والثالث أحمل عن قلبك الأثقال وأتولى عنك الحرب والقتال ولابد لى أن أكون اليوم صاحب الحرب وحدىأنا وجندى فلاتخيب قصدى فهوفى الكلام مع ولده واذا قددخل بعض غلمانه يخبره بقدوم أحمدالشمشاطى

الجاسوس وكان قد خلاه فى حصن يانس يطالعه بالأخبار فلما وصل اليه وقدم عليه فرح به حتى يأخذ منه الأخبار ويوقفه على حقيقة الحال فقال له ماحالك يامبارك فقال إعلم يامولاى أن سبب هذه العساكر التى قد وصلت اليك أن الرسول الذى قد أنفذته إلى القسطنطونية أراد ملك الروم أن يقتله هو وأصحابه برأى عقبة ثم أخبره أن ماخلصه إلا مارس وأخيه دارس وجهزهم الى حصن يانس وأن دهرشوم ابن شومدرس حضر عند الملك منويل وشكى اليه ماجرى على الحصون وعلى الأهل والاقربون وماجرى على أبيه وهو الذى جهز ملك الروم هو وعقبة إليكم حتى ساروا نحوكم عند ذلك شكر الأمير مارس وأخيه دارس وقال أراد الملعون قتل الرسول وماجرت عادة الملوك بقتل الرسول فقال أحمد يامولاى ما حرضه على ذلك إلا عقبة فلما سمع الامير عبد الوهاب بذكر عقبة تغير لونه وقال كيف وصل عقبة اليه فقال سار الى القسطنطونية وهو الذى حرضه على المسير إليكم وإقدامه عليكم فى هذه الأمم التى لاتحصى وأيضا فان الكندفرون ملك الإفرنج ماوصل اليه لأنه كان غضبان عليه وقد مضى اليه كتاب عقبة وهو يأمره بالرضا والمصالحة ويقول له : وحق المسيح إن لم تحضر فى هذه النوبة لأخرجنك من دين النصرانية فلما وصل اليه الكتاب لم يقدر على مخالفته وقد رحل من بلاد الافرنج فى مائة ألف فارس وفى غداة غد يصل الى ملك الروم وأما عقبة فهاهو فى العسكر وله خيمة مضروبة الى جانب خيمته وماأتى إلا طمعاً فى خلاص شومدرس حتى يكون له مساعد على الاسلام ومعاضد له فى الشهور والأعوام فلما سمع الأمير ذلك حمل هماً عظيما من حضور عقبة وقال والله ليفتحن علينا بابا ميشوم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم متى يكون فرجى من هذا الملعون إن مضيت الى الحجاز فهو معى وان دخلت الى بلاد الروم فهو معى فقال أبو محمد لا تحزن فأنا الليلة أكفيك شره ولابد أن أصلب الاثنين عقبة وشومدرس ودع يجرى مايجرى ثم إنه لبس ثياب بعض الروم من بطارقة الحصن وقال للأمير عبد الوهاب اذا انسدل الظلام انتظرنى وأما الأمير سيف الحنيفية فقد ذكرنا انه عول على لقاء عسكر الروم وأما ملك الروم فانه لما نظر الى قلة عسكر المسلمين قال لايخرج اليهم إلا ملك من الملوك كل يوم بالنوبة فقال عقبه إيش هذا التدبير لأنك تعلم أن ميرون كان فى الطلائع ومعه ألف فارس وفعلوا بهم تلك الفعال ونكلوا بهم غاية النكال ولاقوا منهم الأهوال فلماسمع الملك ذلك من كلامه قال له اعلم انى ما أفعل إلا برأيك ولا أدخل فى أمر إلا بمشورتك وتدبيرك فقل ما أنت قائل فقولك المسموع ورأيك الممتثل المتبوع فقال عقبة إذا

أنت جعلت الأمر لى تركب اليهم هؤلاء الأربع ملوك فى أربعمائة ألف ويحملون عليهم حملة رجل واحد ولا يأخذون أسير بل يقتلون الكبير والصغير فقال الملك منويل السمع والطاعة ثم انه دعى بملك الدوقس وملك الانجبار وملك البنجاك وملك اللان وملك البرغل وتجهزوا فى أربعمائة ألف فارس وقال لهم الملك منويل أريدكم اليوم تكفونى مؤنة هذا العسكر الذى للمسلمين فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك ولو أمرت الى واحد منا كفاك هذا الشغل ثم انهم ترتبوا صفا صفا وأقبلوا الى المسلمين زحفا فنظروا المسلمون الى الدنيا وقد انقلبت وقد أقبلت البطارقة كسد من الحديد ولمعت البيض على أبدان الفرسان الصناديد وبريق السيوف قد لمع قريب وبعيد والأعلام قد رفعت والرجال قدتبادرت واندفعت عند ذلك قال الامير عبد الوهاب لولده سيف الحنيفية إذا كان ولابد من ذلك فدعنى أتوسط الجمع وأخوض النقع وأقمع البطارقة بحسامى قمع ثم انه نادى الله أكبر فحملت الخمسة آلاف وحمل مالك بن بشر وهو يقول :

كروا بنا يامعشر الإخوان　　فى ساحة البيداء والميدان
وموقف الضرب مع الطعان　　فى طاعة المهيمن المنان
لاتجزعوا من كثرة الفرسان　　وقاتلوا اليوم بلا توانى
هذا مقام الدين والإيمان　　هذا الجهاد وعهدة الانسان
أين رجال الحق والبيان　　نسل كلاب وعصبة السودان
فى طاعة المهيمن الرحمن　　الواحد الذى ليس له من ثانى

(قال الراوى) ثم حمل كأنه الأسد وحمل الامير سيف الحنيفية وهو يقول :

نحن رجال الحرب يوم الحرب　　نفلق للهام يوم الضرب
لانثنى عن موقف للخطب　　عند الجنان فى مقام الرب
نجاهد فى الكفار يوم الكرب　　بسمهريات وسيف عضب

(قال الراوى) ثم حمل وصاح وزجر وهدر وغاص فى العسكر وانطبقوا عليهم الكفرة حتى كانوا فى أوساطهم كالشامة البيضاء فى الثور الأسود وكانوا فى تلك الساعة أربعمائة ألف وهؤلاء خمسة آلاف وقد ضجوا بالتوحيد بذكر الملك المجيد وقالوا : إلهنا ما أعظمك وأحلمك اللهم انصرنا وأنت خير الناصرين وارحمنا وأنت خير الراحمين ونظر الامير عبد الوهاب الى ولده وحشاشة كبده فلم يصبر دون أن حمل فعند ذلك كبرت الاميره وحملت وأيضا حملت بنو كلاب والسودان الأنجاب فى ثلاثين ألف فارس من كل بطل بمداعس ما بين رامح وتارس

يريدون حرب أهل النصرانية جمعاء وهم ينادون بكلمة الفلاح ويلقون بصدورهم أسنة الرماح وعلم السعادة عليهم قد لاح وقد هانت عليهم نفوسهم وسلموها الى قدوسهم ولم يزالوا يخرقون المعمعة حتى وصلوا الى سيف الحنيفية وأصحابه وقد صارت الأرض من حولهم ريانة بالدماء ملآنة من القتلى وقد أوثقوا الروم طعنا وضربا وفرقوهم شرقاوغربا هنالك هدرت الأصوات وعظمت الزعقات ودارت النكبات ولعبت الخيل برؤوس السادات وعملت القواضب المشرفيات وافترستهم السباع الضاريات وزعقت بوقات الفريقين ونشرت الرايات ولم تسمع منهم إلا أصوات المرهفيات والدبابيس الذهبيات ونظر عقبة الى عسكر المسلمين وقد ثبت لهذا الجمع الكثير فكادت مرارته أن تنفطر ثم ادعى بملك المغلبيط فى مائة ألف فارس وأمره بالحملة عليهم وأن يطلب باب الحصن وأمرهم أن يزحفوا بالسلالم والنقابين وغير ذلك وقال لهم مابقى فى الحصن من يدفع عنه أكثر من عشرة أو عشرين فان قدرتم عليه فهو المراد واذا لم تقدروا عليه فأنتم تشغلوا قلوبهم عن القتال وتمنعوهم عن النضال ثم التفت الى ملك الروم وقال له : طب نفساً وقر عينا فلابد مانأخذ الاسود الزنيم والبطال الشيطان الرجيم ونصلبهم على حصن الدولاب ونضرب رقاب السودان وبنى كلاب فشكره الملك على ذلك وقال هذا بتدبيرك أيها الشيخ النجيح وحجة المسيح هذا وقد حمل ملك المغلبيط فى تلك الساعة بالعسكر العظيم وما كان فى الروم أقوى منه ولم يزل إلى أن وصل الى باب الحصن ولم يكن فيه إلا كما ذكر الملعون عقبة عشرون فارس . هذا والامير عبد الوهاب فى وسط المعمعة وماعنده من ذلك خبر وقد طلع عليهم الغبار وغشى الوجوه والأبصار وزحف ملك المغلبيط الى باب الحصن والحصون ما يمسكوها إلا الرجال وطلعت الرجال فوق برج الباب ورموا بالأحجار وقد دهمتهم الكفار ووصلوا الى باب الحصن وضربوا جوانبه بالمناقب والمعاول وأرسل عقبة إليهم يقول اضربوه بالنار حتى تحمر الأحجار ويحمى الحديد والمسمار ففعلوا ذلك وأخذت النار فى المسامير فاحترقت الأخشاب وأيقن كل من فيه بالهلاك والذهاب فرفعوا أصواتهم يستغيثون بالأمير عبدالوهاب فأنموا صراخهم حتى سمع الامير كلامهم وصياحهم فقال لأصحابه اعلموا أن الحصن لاشك قد وصلوا اليه فقالوا وماعسى أن نفعل ونحن فى هذه العساكر فقال يخرج منكم من يطلب باب الحصن ويأتينا بالخبر فقالوا ما لنا الى ذلك من سبيل وقد أحدق بنا هذا الخلق الذين لايحصى لهم عدد فبينما هم كذلك واذا بالاميره قد أقبلت اليهم فى وسط

المعمعة وسيفها يقطر دما وقالت يابنى قد سمعت قومنا ينادون ولاشك أنهم أصحابنا الذين فى الحصن وقد قصدوا اليهم الروم وما عندهم إلا الأمير ابراهيم وهو ضيف والاميره علوى وعشرون من صعاليك بنى كلاب فقال وكيف الوصول اليهم وقد أحدق بنا هذا العالم العظيم والعسكر الغزير الجسيم فقالت الاميره أنا أمضى اليهم وأما أنت فلا تقصر عن القتال فهو معها فى الكلام واذا بسيف الحنيفية قد أقبل وهو يهدر وقد تثلم سيفه من قمم الرجال وقتل الأبطال وكان معه أبوالهزاهز فعاد عليه الأمير الحديث واذا قد أشرف عليهم مالك بن بشر وراشد بن ضمرة وطارق الحجازى فلما اجتمعوا قال سيف الحنيفية انى أرى ستة أعلام قد دارت بنا على كل علم صليب وتحته ملك من الملوك ولابد لكم من الرأى قالوا وماهوفقال نحن ستة أنا وأبى وجدتى وأبوالهزاهز ومالك وطارق الحجازى يقصد كل واحد علم ويطلب الملك الذى تحته فان ظفرنا بهم انكسر العسكر وانهزم بين أيدينا لامحالة لأن العسكر بالقدم فاذا انهزم تبعته سائر الأمم فقالت الأميره أنا لصاحب العلم الأحمر والصليب الجوهر وقال أبوالهزاهز وأنا لصاحب العلم الأصفر فقال سيف الحنيفية وأنا لصاحب العلم الزمردى والصليب العسجدى فقال طارق وأنا لصاحب العلم الأزرق والصليب المشرق فقال مالك وأنا لصاحب العلم الأبيض والصليب المفضض عند ذلك قال الامير عبد الوهاب : احملوا بارك الله فيكم وكل واحد يطلب خصمه ومن لايوفى بما قال وإلا فهو بطال فعند ذلك حملت الرجال وتناحت الأبطال ودعسوا فى الروم كأنهم الجمال وتبادرت الاسود المعروفة الى الستة الموصوفه وكان أول من كبر وحمل الامير عبد الوهاب أو ضرب ملك البنجاك فأورده مورد الهلاك وصاح : الله أكبر فكبرت الاميره ذات الهمة وضربت ملك الدوقس بالسيف على عاتقه طلع من علائقه فكبر سيف الحنيفية وضرب ملك الأرمن بعامود كان معه فى كفه فطحن ضراسه وكبر من بعده أبوالهزاهز وحمل على ملك الانجار وضربه على عاتقه جندله وكبر فجاوبه مالك بن بشر وضرب ملك البرغل على صدره أطلع السيف من خرزة ظهره وكبر بعده طارق الحجازى وقد ضرب ملك اللان على جانبه الأيمن أطلع السيف من الجانب الأيسر عند ذلك صاحت الروم عند قتل ملوكها ووقعوا على الركب ونادوا بالويل والحرب وأيقنوا بالعطب وصاحت بهم السودان من كل مكان وولت العساكر منهزمين وعلى قتل ملوكها الطغاة البغاة نادمين ولولا ملك الروم بين أيديهم فى تلك الساعة الهائلة لما كانوا وقفوا فعند ذلك طلب الاميرعبد

الوهاب باب الحصن هو ومن معه من الرجال ونظر ملك المغليط الى ذلكوقد قتلت الستة ملوك ووصلت اليه كتائب الموحدين وعسكر المسلمين وكان قد أشرف على أخذ الحصن فلم يكن له غير الهرب فولى منهزم وتبعهعسكره فلقيه عسكر الأميرعبدالوهاب بقلب أقوى من الصخر فقتل منهم مالا يقع عليه عدد وكانت ساعة مذكورة ونوبة مشهورة وطلعت كتائب المسلمين إلى الحصن وهى مؤيدة منصورة وفى تلكالساعة طلع من خلف عسكر الأمير غبار حتى ملا الاقطار وكان ذلك العسكر عسكر الكندفرون ملك الافرنج وهو فى مائة ألف فارس وهم أشد الروم مراس وأقوى أساس وليس فى أعينهم من أحد شيء لأنهم لايخافون الموت ولا يخشون الفوت فقويت قلوب الروم بهؤلاء وأمسى المساء وأضرمت النيران وتحارس الفريقان هذا والملك منويل متفكر فى قتل الملوك ثم إنه استدعى بالروم من سائر الاجناس الذى قتلت ملوكها وأعطى لكل واحد موضعه وخلع عليه وأوعده بكل جميل هذا والامير عبد الوهاب قد جمع أهل الحصن وهم مستبشرين بما قد أعطاهم الله من النصر والظفر وقالوا نرجوا من الله عز وجل أن يفرحنا بسلامة الأمير أبو محمد وإنه مضى إلى هذا العسكر العظيم وفيه مثل عقبة الشيطان الرجيم وما نأمن من غائلته وشره ومكره فقالت الاميرة والله لقد قدم على أمر عظيم وخطب جسيم ولكن قد سلفت له بذلك سوابق كثيرة وما نرى فيه الا الفرح والمسره ومع ذلك فإنه قد أوصانى قبل مضيه وقال لى اذا أظلم الليل انتظرنى فأبصر الآن من يقف له على الطريق فانا لا نأمن من أن يطلبه من الروم طالب فقال سيف الحنيفية أنا أمضى فمن يكون رفيقى فقال أبو الهزاهز أنا وكذلك قال طارق الحجازى وفتح لهم باب الحصن وساروا حتى أبعدوا عنه وقربوا من عسكر الروم وهم منتظرين خبر البطال وقد غلق باب الحصن خلفهم فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه لما أن دخل إلى عسكر الروم فى زى بطريق من بطارقة الحصون وجعل يمشى بين الخيام حتىقارب خيام الملك منويل وقد جرت عليهم تلك الكسرة ووصل الكندفرون ملك الافرنج فبينما أبو محمد كذلك اذ خرج عقبه من خيمته وجعل يبحلق عينه إلى البطال ساعه زمانية ثم إنه مشى نحوه كأنه الشيطان فأيقن أبو محمد بالعطب ولم يجد له سبيل الى الهرب فلما وصل اليه شقر أبو محمد فى عينه اليمنى وشفر الشمال وكانت عليه لحية كبيرة قد نثرها على صدره (ياساده) فلم يعرفه عقبة وقال له من أنت فقال له أبو محمد أنا من حصن العمد وجعل عند ذلك يحدثه بأمر أصحابه وأهله وقومه فقال له عقبة أبشر

فان طول المسيح فى عمرى ماتركت على وجه الأرض مسلم ورجع الى الملك وقال له أريد أن أسير صحبة دهر شوم لأجل أن نعمل الحيلة فى خلاص الراهب شومدرس ونأخذ معنا أربعين بطريق فقال الملك افعل ماتريد أيها الشيخ النجيح أعانك المسيح ودعا بالطعام فأحضروا له من سائر الألوان فقعد عقبة يأكل أطيبها ويضحك فقال له الملك فى أى شىء تضحك فقال أضحك من قلة عقول المسلمين حيث يمتنعون من أكل لحم الخنزير وهو أطيب اللحوم وألذ الشحوم ولما انتهى من أكل الطعام شرب ثلاثة أقداح خمر ثم ان الملعون جعل ينتخب البطارقة الذين يسيرون معه واحد بعد واحد حتى استكملوا أربعين بطريق وفى جملتهم البطال وقد طار عقله من الفرح وقال لعل الله أن يمكننى من هذا الشيطان عادم الصلبان وأجمع بين أعورين فى مكان وهو عقبة وشومدرس القرنان ثم إنه سار فى جملتهم وتقدم دهر شوم بين أيهم وهو يقول للقاضى عقبة إن أمى شوما تركتها على بقية الحصون تأخذها وهى عجوز مباركة ولها تدبير صائب وما يخلف أبى غيرها وما شك فى معرفتها لأنها ضلع ذلك الشيخ الصالح شومدرس ثم ساروا يطلبون الحصن وأبو محمد كلما رأى عقبة بين يديه يفرح وما صدق أنه سار معه ولم يزالوا كذلك حتى التقوا بثلاثة أشباح وصلوا اليهم وصاحوا عليهم فعدل لهم البطال فى ظلام الليل ثم ان أبو محمد تحققهم فعرفهم فقال لهم سيروا معنا ولا تتكلموا وأبشروا فهذا عقبة وأعاد عليهم القصة فقالوا نحن نحمل عليهم نأخذهم فقال ما هذا صواب فقالوا ولم ذلك فقال لأنكم بالقرب من عسكر الروم وان صاحوا صوتا واحدا ركب اليكم مائة بطريق وهم سائرين اليكم وحدهم بلا تعويق (قال الراوى) ياساده ياكرام وكانوا هؤلاء الثلاثة سيف الحنيفية وأبو الهزاهز وطارق الحجازى وكان عقبة قال للبطال أيها البطريق من هؤلاء قال يامولاى هؤلاء بطارقة الملك يدورون بالليل وهم قرقيش وناقيش ومقلاطيس قال عقبة خذهم معنا ففى الحال اختلطوا بهم فقال لهم البطال سيروا ولا تتكلموا حتى نبصر الموضع الذى يطلعون منه ونسده عنا ونأمن من جانبه فقالوا اه رأيت والرأى سديد ثم إنهم ساروا معهم إلى البستان من جانب حصن الدولاب وقصد بهم الملعون دهر شوم وهو فرحان مسرور وعبر من جانب البستان وإذا بباب حجر صغير مدفون بعضه فى الأرض وكان هذا باب سر القلعة كان الملك الأشميطش اذا أراد يتفرج فى البستان فى أيام الفاكهة والرمان يدخل الى هذا المكان ويخلوا مع جواره وأهله وكان الملعون دهر شوم عارفا به فلما وصل اليه أمرهم أن يحفروا عليه ففعلوا ذلك فبان لهم قناطر معقودة ودهاليز

ممدودة فدخل بهم دهرشوم وعقبه وراء البطارقة وهو يقول أدخل معكم الى الحصن ولكن أقف لكم عند باب السرداب حتى تأتوا بالشيخ الكبير والراهب النحرير صاحب البراهين والمناقب شومدرس الراهب وحق المسيح إنى آخذه معى الى ملطيه لأنى بعد هلاك الأسود الزنيم وأصحابه لا أدع لا رضيع ولافطيم وأقيم أنا وإياه ندبر على أخذ العراق وسائر الآفاق فقد جعله المسيح أنيس ونعم الجليس فقال دهرشوم وحق المسيح لقد كان يسمع أخبارك بأنك تقاسى من المسلمين أمر عظيم فى ديارهم وكان يتمنى لقاك فادخلوا ولا تفزعوا من السودان فانى عارف بهذا المكان والليلة أسلم لكم الحصن فقال عقبه اعلم ياولدى أن هؤلاء الأمراء ما داموا لوطلع كل من فى الأرض قتلوهم وبالأخص هذا الابن ألف زانيه سيف الحنيفية وحق المسيح لقد دبرت عليه فى ملطيه كذا وكذا مره فما يمكننى المسيح منه ومن ذلك الأسود أبوالهزاهز فلا بد لى ما أعدمه الحياه وكذلك ذات الهمه وعبد الوهاب فعندها قال سيف الحنيفيه لأبو محمد وهو واقف بجانبه ماتسمع هذا الملعون الذى ذكرنى بأنى ولد زنا وأنا الساعة أتعلق بذقنه وألطمه حتى يسيل دمه ودهنه منه أنفه وأذنه فقال أبو محمد البطال هذا الامر بين يديك فما يفوتك فلا تعجل حتى نبصر ما يكون وما نعمل وأن نصعد أجمل (قال الراوى) وان دهرشوم أخذ البطارقه وصعد الى البيت الذى فيه شومدرس مسجون فلما أحس بهم ظن أنه البطال جاء يعاقبه فقال يا أبو محمد ويلك كم تضربنى وتعاقبنى فلم يبق لى جسم يقدر على الضرب فأجابوه البطارقه أسكت جاءك الفرج ثم تقدم اليه ولده وفك قيده فأيقن بالخلاص ووثب قائما على قدميه وقال لولده كيف وصلت الى هاهنا فأعاد عليه القصة وأعلمه أن الملك منويل قد جاء من القسطنطونيه بتدبيره ففرح وباس الأرض وقال انزل بنا من هذا المكان هذا والبطارقه تقبل يديه ورجليه (ياساده) فهذا جرى وأما سيف الحنيفية وأصحابه وقوف على رأس المكان وهم يقولون لانصعد حتى يخلص شومدرس وهو يقول قد صعد من فيه الكفاية فكان أول من صعد عقبه القرنان فقبض سيف الحنيفية على قوائمه ورفعه على يديه وقال اصعد ثكلتك أمك وعدموك قومك ما أشرك ياشيخ السوء تلحقنا من مكان الى مكان ومن بلد الى بلد وتسمع كلام دهرشوم فاذا صفعتك صفع جيد فمن تلوم فقال اعلم يابنى أنا مشتاق اليك فبادره أبو الهزاهز وقال مرحبا بمن جاء من ملطيه يعمل بنا كل رزيه ثم لطمه على رأسه كاد أن يطير أضراسه هذا وعقبه قد حار وذهل عقله وما كانت إلا لحظة حتى خلصوا شومدرس وهم طالبين السودان

وإذا بأبو الهزاهز قد سد الباب والى جانبه سيف الحنيفية وقد أوثق عقبه كتاف بعمامته ثم صاح بالبطارقه هذا وعقبه وشومدرس قد سمع كلامهم فعرفهم فوسخ فى أثيابه هذا وقد صاح أبو الهزاهز صوتا كأنه الرعد القاصف فسمع عبد الوهاب صوته فوثب قائما على قدميه وقصد نحو المكان وقد أوقد الشموع والمشاعل ووصل إلى باب السرادق وقد صاح فى بنى كلاب فلم تكن إلا ساعة حتى أخذوا الأربعين وعقبه وشومدرس ودهرشوم فلما رأى الأمير عبد الوهاب الى عقبه بصق فى لحيته ووجهه وقال له ياماعون الى متى هذه العداوة وأنت داير ورانا فى كل مكان ودائما تطلبنا وتريد هلا كنا والله تعالى أكرم من أن يمكنك منا ثم أنه لطمه وتولى ضربه الامير أبو محمد البطال وأبو الهزاهز ومازالوا يضربوه الى أن كاد أن يقضى عليه ثم قال على بدهرشوم فقال مالى ذنب يامولاى فقال أبو محمد الذنب كله منك لأنك صرت تملك الحصون وتعمل على خلاص أبوك الملعون ثم أنه ضربه الى أن ظن أنه قدمات ثم قال على بشومدرس فقال والله مالى ذنب أنا كنت مسجون عندك فقال والله الشركاء منك وأنت كنت السبب هذه القضيه وأنت رأس كل بليه (قال الراوى) وفرح الأمير بأخذ عقبه أكثر من أخذ الحصون وقال الحمد لله على هذه النعمة التى لم تترك علينا شيئا يؤذينا قال ثم ان عقبه أفاق مما هو فيه فقالت له الأميره ما كفاك ياملعون تعمل بنا فى ملطيه حتى أنك تتبعنا الى هذه الديار القصية فقال لها أيتها الأميره وحق من فلق الحبة وبرأ النسمه وتردى بالعظمه ما دخلت الى هذه الديار إلا شوقا اليكم لأن ملطيه ضاقت على بعدكم فلم أقدر أقيم فيها وكنت أسمع أخباركم ومالى عين أنظر بها الى دياركم لأن الأوطان بالسكان وكنت أتمنى إذا ورد أحدا من ديار الروم أود أننى أفديه بنفسى لعل أن يكون معه خبرا منكم يخبر بسلامتكم وإذا لم أجد أحدا عنده خبر أبقى مهموم ومفكر وأتذكر أيام الجاهلية وما جرى من الضلالة وكل ذلك كان مكائده لأبو محمد البطال ومع ذلك ماكان اعتقادى إلا صحيح ولقد خشيت والعياذ بالله أن يكون قد جرى عليكم شىء من الأمور وما تحللت منكم مما جرى منى اليكم فى هذه الدنيا الغدارة وأكون شقيا بكم فى الآخرة فقالت الأميرة ذات الهمة والله كذبت ياملعون فلابد لنا من صلبك حتى نرى الخليفة مايصنع من أمرك (قال الراوى) وان الأمير عبد الوهاب أمر بثلاث خشبات فأحضروا فى الحال ونصبوا وأمر بشومدرس فشل على جزع وولده عن يمينه وعقبه عن يساره مصلوبين وأمر أن يرشقوا بالنبال والسهام ليذيقهم طعم الحمام (ياساده) واذا

بغبرة قد طلعت وعجاجه قد ظهرت وارتفعت والغبرة قد أظلت على الآفاق وأظلم الجو من تكاثر الغبار وتفرقت لها الوحوش فى الآفاق وغابت الطيور فى الاوكار (قال الراوى) ياساده ياكرام وانكشفت الغبرة عن عشرة آلاف بطريق بكل ترس وثيق وسيف رقيق وعلى المقدمة شوما أم دهرشوم وأمامهم أربعمائة رجل من المسلمين موثوقين وهم بالصياح صارخين وبأيديهم إلى عسكر المسلمين مشيرين وفى أوائلهم الامير ضيغم مشدود الكتاف وعن يمينه مالك بن طوق موثوق الأطراف وعن يساره سملق وعليه من الغيظ مثل العلق (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان الملعونة شوما كانت عارفه بالحصون والمصانع التى تحتها وكان الملعون شومدرس قد أوقفها على تلك المهالك وعرفها بها وان الملك منويل لما عبر على القلعة السوداء وحصن قف ترى العجب وترك على كل حصن عشرة آلاف بطل كما ذكرنا وأن اللعينة شوما دلتهم على تلك المصانع والمنافذ والمخادع وما أحس كل من كان فيها من المسلمين حتى وصل اليهم الأذى من المشركين فملكوا الحصون الثلاثة وأقبلت بهم شوما حتى وصلت بهم إلى عسكر الملك منويل وأخبرته بالخبر فخلع عليها وأحسن اليها (قال الراوى) فلما رأت شوما ولدها وزوجها على تلك الحالة وثبت قائمة وقالت أيها الملك قدم هؤلاء الأسارى وأسقهم كاس الردى فعند ذلك قال الملك افعلوا ما قالت شوما (ياساده) هذا ولما نظر الأمير عبدالوهاب إلى ما فعل الملك بالأسارى عظم عليه وكبر لديه وقال ما أتانا فرح إلا ويكون عقبه ترح ثم أمر أن ينزلوا الثلاثة من على الجذوع مخافة على الأسارى (قال الراوى) فبينما الأمير كذلك وإذا بصابر المرعشى الجاسوس قد أقبل على الامير وقبل ركابه وحدثه بما جرى على الثلاثة حصون فقال الامير عبد الوهاب انا لله وانااليه‌راجعون (قال) وان الكندفرون بعث للملك منويل يسأله أن يكون ذلك اليوم القتال له ولقومه فعند ذلك أجابه الملك إلى ما طلب فتقدم الملك الكندفرون ملك الافرنج على خيول عتاق وهم خفاق عليها شباك من اللؤلؤ الكبار وهم على الخيول أعجوبه بقنطاريات خلنجيه وطوارق روميه وان ملك الافرنج جعل فى ميمنته أخاه بروان وفى الميسرة ولده جلاود وفى القلب عمه ميخائيل وفى الجناح الايمن بن عمه وفى الجناح الايسر خاله (قال الراوى) ياساده ياكرام ولما رأى الامير عبد الوهاب تعبئة الافرنج بمواكبها وكتائبها وقد ترتبت فترتب هو أيضا وأصحابه وعسكره وكتائبه ومواكبه وعباها ميمنة وميسرة وقلب فجعل فى القلب الاميره ذات الهمة وفى الميمنه

سيف الحنيفية وفى الميسرة هارون العلوى ووقف هو عن يمين الاميره وأبوالهزاهز عن يسارها فبينما الكتائب وقوف والمواكب صفوف وإذا بالقسوس قد ترجلت والشمامسة قد مشت والرهبان بقراءة الانجيل قد ترنمت والجوانب قد جنبت والكل أمام الكندفرون وهو قد برز الى الميدان وقد خرج وتحته جواد أدهم مجتمع ململم بحافر كالدرهم اذا صهل يكاد أن يتكلم أكحل العينين مليح المقلتين واسع الصــدر رحب اليدين وطيء المظهر ديال الذنب ملتف العصب من أفخر خيول العرب وعليه سرج من جلود الاسود وركابات ولجام مرصع بالجواهر الكبار وحجارة الياقوت الملون والكندفرون كأنه من أولاد العمالقة وعليه درع مذهب وبيضة على رأسه تلتهب وعليها صليب من الذهب الاحمر وعلى شماله طارقة هائلة محرفة طويلة وفى وسطها صليب جوهر وفى يمينه قنطاريه خلنجية كأنها الشمس المضية وصارم أبتر يحير فيه النظر كأنه القضاء اذا انحدر قال ولما وصل الكندفرون إلى مقام القتال أشار الى أصحابه بالرجوع فعندها ألوا راجعين ثم قصد ملك الافرنج المسلمين وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس يقال له خديعة بن أوقل فما أمهله عدو الله حتى حمل عليه ومد سنانه اليه وطعنه فقتله فخرج اليه ثانى فقتله وثالث أباده ورابع أماته وخامس أفناه وسادس أرداه فخافوا المسلمين من لعنته ومن سطوته فهم الامير عبد الوهاب بالخروج اليه فقالت له الاميره يابنى أنت المقدم فينا والمؤمر علينا فقف مكانك وراعى جندك وخدامك فأنا به مليه وبقتله وفيه ثم أنها خرجت اليه مبادره تطلب من مولاها العفو يوم الساهرة وعليها درع مقصب وعلى رأسها عمامة ذات عجب وتحتها جواد أشهب مليح سلهب فأطلقت سنانها وجالت فى ميدانها وقصدت الى خصمها ونادت بفصيح لسانها من هذا القادم لحمامه المعظم لوامه ثم أنها حملت على عدو الله والى قتاله أسرعت واذا الكندفرون التقاها وحملا على بعضهم البعض ساعة من النهار واذا بابن الكندفرون جاء وقد خرج معه مائة بطريق من الافرنج ليكشف خبر أبيه فلما نظر سيف الحنيفية الى ذلك خرج فى مائة من أصحابه فلما قربت المائة من المائة لعبت الخيل بركابها وحملت بأصحابها فعند ذلك تقسطل العجاج ووقع الانزعاج ساعة من النهار غير أن الاميره ذات الهمة لاتفارق الكندفرون شبرا واحدا وكل من قربها أشبعته طعنا وضربا ووردت القوم نكالا وخسرا وهى تود لوانها قادت خصمها الى المسلمين قهرا (قال الروى) وتكاثروا عليها أعداء الدين وقصدوا جوادها بالأسنة فقتلوه وعلى الارض جندلوه فوقعت الاميره الى الارض وعقبان المنايا

على رأسها تدور فلله درها لقد قاتلت على قدميها أكثر مما قاتلت على جوادها وهى كاللبوه المصممه أو النار المضرمه الى أن تكاثروا عليها القوم فأخذت وعلى وجه الارض ملكت وسار بها ملك الافرنج الى خيمته فعند ذلك ذلت العرب وأيقنت بالعطب وصعد الامير عبد الوهاب الى الحصن وهو ضيق الصدر لفراق والدته وقال لقد كان اليوم علينا يوم مذموم ولكن هذه مقادير الحى القيوم ثم قال اطلبوا أبا محمد البطال فطلبوه القوم فلم يجدوه فصعب ذلك عليه وكبر لديه (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الامير أبو محمد البطال فانه لما علم بأسر الاميره تزيا بزى الروم ودخل الى العسكر فلما توسطه رأى صابر المرعشى فقال له أبو محمد أين كنت قال صابر جئت آخذ خبر الامير فقال له أبو محمد فما عندك منها خبر قال نعم قد أخذها ملك الافرنج الى خيمته وهى الساعة فى الخيمة ثم سار هو وأبو محمد إلى خيمة الكندفرون فما وجدوا للأميرة خبر فصعب ذلك عليهما وبقى أبو محمد متحير ثم قال لبعض البطارقة ما فعل الملك بتلك الأميره الحقيره فقال له ان الملك منويل استدعى بها اليه وقد مثلها بين يديه عندها أسرع أبو محمد وصابر المرعشى معه الى سرادق الملك منويل فوجده جالس والملوك الى جانبه والبطارقة قيام والأميره ذات الهمة أمام القوم فالتفت لها الملك وقال لها كيف رأيتى روحك ياعاهره فلقد خسرتى الدنيا والآخرة (قال) فلما سمعت ذلك من كلام الملك قالت له يا كلب الروم ما أنا بأول من أسر فى طاعة الله ورسوله فاقض ما أنت قاض (قال) فلما سمع الملك كلامها وما نطقت به كاد أن يتمزق من الغيظ وقد صعب ذلك على مارس ودارس وقد علموا ان الملك فى نية وحشه فقال مارس لأخيه دارس أن رأيناه أمر بقتلها طرحنا نفوسنا عليها أو على الملك ونقتله ودعنا نقتل بعده ولم يكن قتلنا الا فى مرضاة الله تعالى (قال) وكان ملك الروم قد صعب عليه ما قالت الاميره فى مجلسه ولم تخشى من سطوته فأراد الملك قتلها فقال له مارس ان قتلتها قتلوا الشيخ النجيح وتعمى علينا بلاد الاسلام وان رأيت هذا الأمر صواب فاعمل به فبينما هو يخاطب مارس وإذا قد وقف بين يديه شخص وتحدث معه سرا فتبسم الملك وضحك من قوله وقال ان صح هذا يكون مليح (قال الراوى) وكان الذى كلم الملك الراهبه شوما ثم بعد ذلك قال لها الملك خذى ذات الهمة وتولى عقوبتها فأخذتها ومضت وكان يتبعها أبو محمد ليعرف خيمتها فلما صار هو وصابر المرعشى فى خيمتها وإذا بها قد صاحت وقالت امسكوا هذين هنالك مسكتهم وعملت فى أرجلهم القيود وكان السبب فى ذلك ان الملعونة شوما كانت واقفة عند سرادق الملك إذا نظرت الى البطال وصابر

المرعشى فدخلت الى الملك وأعلمته وقالت له سلم لى ذات الهمه ربما أبو محمد يطمع فى خلاصها فاقبض أنا عليه وكان الامر كذلك وحملتهم الى الملك فلما رآهم الملك ضحك وفرح بهم وسلمهم الى بعض البطارقة وأمرهم أن يرسلوهم الى القلعة السوداء فقام بطريق أخذهم وسار وقد ايقنوا الاثنين بالويل فقال صابر يا أبو محمد لم بقى ينفعنا إلا التوكل على الله قال فبينما هم سائرين وإذا بقعقعة اللجم وصهيل الخيل فبرزت البطارقة تنظر الخبر واذا بعشرين فارس من بنى كلاب وعشرين من السودان وكانوا هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الامير عبد الوهاب للملك منويل يطلب منه شراء الحصون وكان لما مر عليهم رجل يقال له كامل بن ناهد بن عامر الكلابى فلما رآهم وعرفهم وكان يناديه أبو محمد هيا ياناهد انا أبو محمد فلما سمع من كلام البطال وكان يحمل على البطارقة فما كانت الا ساعة حتى ان الاربعين الذين من الابرار قد أبادوا أهل الكفر والضلال وأخذوا خيلهم وأسلابهم وخلصوا أبو محمد وصابر المرعشى وهنوهم بالسلامه وساروا الى عند الامير عبد الوهاب وقد زالت همومهم الا ان الامير كثير الاسف من جهة والدته (قال الراوى) ياساده ولما كان عند الصباح ركبت الابطال الخيل وأشهرت السلاح فكان أول من برز للميدان اللعينة شوما ونادت يامعاشر المسلمين اعلموا أن أميرتكم عندى أسيره وقد ضربتها وبطحتها على ظهرها وحطيت على قلبها حجر طاحون وهى على آخر نفس وها أنا أعلمتكم قال فلما سمع الامير ذلك الكلام برز اليها وقال لها قد أجبتك الى ماتريدى من الفدا فقالت أيها الامير لابدان تحلف لى وان تأمر أصحابك أن لايخلصوها من يدى حتى تعطينى الراهب وأسلم اليك أمك فقال الامير لك على ذلك ثم أرسل أحضر شومدرس وبعثت أحضرت الاميره فلما رأى الامير والدته بكا ورجعت الاميره الى ولدها واجتمع شملها بشمله وأما شومدرس فانه رحل الى الروم فلما رأوه عظموه وبجلوه (قال الراوى) فبينما هم يهنوا شومدرس بخلاصه واذا بالصياح قد ارتفع فسأل الملك منويل عن ذلك فقالوا له ياملك ان الملك الكندفرون قد برز الى الميدان فحرك جواده ووقف فى القلب ينظر مايكون من الكندفرون هذا ولما صار الملعون فى الميدان الا وقد خرج له سيف الحنيفية وكان يحمل عليه حمله منكره وقد زعق عليه وبالطعنه الى صدر خصمه خفق وقال خذها يا كلب النصرانيه من كف عبدالله سيف الحنيفية وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ثم شاله على سنان الرمح مع قوة ساعده ونفضه عن سنانه فوقع كصور انهدم فعند ذلك كبرت المسلمين وهللت لرب العالمين وجعل ينشد ويقول

سألت الله فى كل الامور ... يساعدنى على ذا الكندفورى
وينصرنا على جمع الاعادى ... وكل منافق ضد كفور
وأنا ابن الاسود الضرغام حقا ... وانى خائف يوم النشور
وحق محمد خير البرايا ... ومن قد فاز بالشرف الفخور
وحق المرتضى أعنى علياً ... وتابع باب خير للعبور
ونادى خيرهم من أنت طى ... فان الحصن يرجف كالطيور
أتقلع بابنا أم أنت تبغى ... لقلع الحصن قل لى يا مجيرى
فقال لهم عليا ان أردتم ... قلعت الحصن من عون القدير
وأقسم بالكتاب ومن تلاه ... وبالبيت الحرام وبالبشير
لا فتح كل أرض الروم جمعا ... وأملك للبلاد مع الثغور

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولما نظرت الإفرنج الى ملكها قد شرب كاس المنية صلبت على وجهها وتعجبت من سيف الحنيفية لأنهم رأوه لما شاله على قنطاريته كالطفل الصغير ورماه كأنه بعرة بعير فعند ذلك حملوا كأنهم السيل فلم يبق لأحد منهم حيل فاستقبلتهم المسلمون ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وعملت القواضب وعمت المصائب وندبت النوادب فكم من رأس طائر وحصان غائر ودارت عليهم الدوائر وانفطرت المرائر وبقى الجبان حائرا فالأعين قلعت والأيادى قطعت والأنوف جدعت والأرواح من الأجساد نزعت والنفوس من المهات جزعت والرؤس عن هياكل القامة وقعت والرقاب فوق الأقدام خضعت والسيوف لمعت والأسنة شرعت والخوذ على الرؤس تشعشعت فعند ذلك سمعت الناس صرخات انزعجت لها الأفق وانقطعت من حولها الطرق فلم تكن إلا لحظة حتى وصلت وإذا بها كتيبة قد حملت وهم على الخيل العربية وبأيديهم السيوف الهندية وعليهم العدة اليونانية والدروع السليمانية فاستقبلهم سيف الحنيفيه وأصحابه بهمة قويه وأسعدهم رب البرية وحملوا السودان وضربوا بكل يمان فقطعوا الرؤس عن الأبدان وأنزلوا بعساكر الروم الهوان ونزل عليهم النصر من الرحمن (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين على هذا الحال إلى أن عزم النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال ورجعت كل طائفة إلى مقامها فالمؤمنين مؤيدين منتصرين والمشركين خائبين مكسورين وجلس الملك منويل على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وأحضر سادات دولته وأكابر بطارقته وقال لهم ما الذى ترون من أمر هؤلاء القوم وما لقينا معهم فى هذا

اليوم فقال له مارس اعلم أيها الملك أن هؤلاء القوم لا يبالون بالموت إذا نظروا اليه ولو مال الموت اليهم لمالوا اليه ويطلبوا بذلك من ربهم الفضل والمنه لأنهم يقولون القاتل والمقتول فى الجنه وبعد ذلك فقد أتانى من أثق اليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه وأخبرنى أن الخليفة واصل الينا بعد قليل ومعه عساكر شبه السيل الذى يسيل وأنا أرى الصواب أن نصلحهم معنا على ما يريدون ونشترى منهم هذه الحصون فقال له الراهب ومدرس أنا يا ملك لك علىّ أن أفتحها من غير قتال وأسلم اليك ما فيها من الرجال وذلك من مصانع أعرفها وسراديب أعملها فقال مارس دع عنك أيها الراهب قلة الانصاف ولا تميل إلى طريق الخلاف أما ترى هذه الطعنة الذى طعنها سيف الحنيفية للملك الكندفرون فلو طعنك مثلها السفاك سقاك شراب المنون وإلى متى أن تسعى فى تسليم هذه الحصون ان كان لكلامك تحقيق أتانا من عسكر المسلمين ما لا نطيق وربما كسرونا وفرقونا تفريق (قال الراوى) فلما سمع الملك منويل هذا المقال قال يا مارس اصلح بيننا وبين الامير عبد الوهاب وفضنا من هذه الحروب والخراب فقال نعم أيها الملك أسير اليهم ويكون معى البترك الكبير فقال منويل افعل ما بدالك وخذ البترك يعينك على مقالك وفعالك (قال) فلما كان عند الصباح وأشرقت الشمس على الديار والبطاح ركب مارس والبترك وساروا طالبين الامير عبدالوهاب وجعل مارس عبوره على الكندفرون ونظر الى طعنة سيف الحنيفيه وقد خرقته وطلعت من الجانب الآخر فقال مارس يا أبونا ما تقول فى هذه الطعنة برأس السنان الذى تركته ما يحتاج إلى كسوة فى هذا الزمان ولم يزالوا سائرين إلى عسكر المسلمين فوجدوا سيف الحنيفية على مقدمة العسكر فلما رآه البترك عرفه لأنه ابن بنته فسلم عليه ورحب به فانهملت دموعه من عينيه فغمز مارس سيف الحنيفية بالعين فقوم إلى صدر البترك السنان فلما رآه البترك إلى ذلك الشان صرخ بملو رأسه وكاد أن يقع على الأرض من على ظهر الحصان فقال لمارس ما أعرف الا منك فقال مارس لسيف الحنيفية يا أمير ايش هذه الفعال ونحن ما جئنا الا رسل فى اصلاح الحال (قال) فعندها أخذهم سيف الحنيفية وسار بهم الى خيمة الامير والبترك كاد عقله أن يطير فلما وصل بهم استأذن عليهم فأذن له الامير بالدخول فلما دخلوا ورأى الامير مارس فوثب اجلالا له واعتنقه وفى وجهه قبله وأكرم البترك وله تجمل وقال ما الذى أتى بالحاجب النبيل والبترك الجليل وما الذى أرسلكما فيه الملك منويل فأعلموه أنهم قد أتوا فى الصلح وحقن الدماء بين العسكرين فأجابهم الى ذلك وقال سمعا وطاعه على الرأس والعين

وقال قد نلتم ما أنتم له طالبين وعقد الصلح بينهم الى عشر سنين بعد ما حلفهم بالله تعالى والمسيح والانجيل وشرط عليهم أو يشتروا الحصون التى بقيت فى يديه ويطلق لهم عقبة اللعين وقرر عليهم مال جزيل وبعد ذلك رجع مارس والبترك الى أن وصلوا إلى منويل فقال لهم ما فعلتم وما الذى أتيتم فيه فقال له مارس أيها الملك إننا لما وصلنا إلى عبد الوهاب وسألنا عن الخطاب قلنا له ان الملك يريد الصلح وترك الحرب والضراب فصاح فى وجوهنا ونهرنا وقال لولا أنتم رسل لقتلتكم لأنى ما لى نيه فى صلحكم فما زلنا به حتى أجاب من بعد صعوبة واغصاب وباع لنا الاربع حصون بأربعمائة ألف دينار وعشرة آلاف ثوب ديباج من أفخر الثياب وثلاث آلاف جواد من أحسن الخيول والدواب ومن الأسارى من كان عندنا أجمعين ويسلم الينا عقبه بعد الجهد الجهيد (قال) فلما سمع منويل ذلك الخطاب سمع وأجاب وأطلق الاسارى الذين عنده فى الاسر والعذاب وكذلك الامير أطلق عقبه المذموم ومن كان عنده من أساري الروم وسلم اليهم الأربع حصون بعد ما أخذ كل ما فيها من الاموال وأخذ الملكة نورى بنت عين المسيح من قلعة الروم وانفصل الامر على ما يقدر وبعد ذلك عولوا على الرحيل إلى الديار لانهم قد كرهوا المقام فى ديار الكفار ثم ان الامير عبد الوهاب أمر باحضار ناقة صبوره على قطع الطرق طويلة العنق فجعل عليها جلال الحرير الابريسم الاحمر والديباج المدثر وجعل غطاها من الابريسم الاصفر مرصع بالدرر والجوهر وجعل عليها هودج مكلل وهو بثياب الديباج مجلل وأجلس نورى فى ذلك الهودج وجعل عن يمينها وشمالها أربعمائة جارية مثل البدور منشورات الشعور وعلى رؤوسهم التيجان المكللة بالدر والجوهر والعصائب المرصعة بالياقوت الاصفر وحملت الاموال على الجمال وركبت الفرسان وعزمت على الارتحال ثم ان الأمير عبد الوهاب تقدم أمام الهودج الذى فيه نورى وقد زاد فرحا بما قد فتح الله عليه وخوله وكيف نصره على الاعداء وفضله وأنشد

بلغنا بحمد الله كل الامانيا ... ونلت الذى أرجو وسر فؤاديا
ملكت حصون الروم بالسيف عنوة ... وأصبح كلب الروم بالذل خاسيا
ملكت حصونا ما على الارض مثلها ... وأدركت ما أملته من أعاديا
أقف وأنظر الحصن الكبير وبعده ... إلى القلعة العليا بلغت أمانيا
وفى القرن لاقينا أموراً كثيرة ... ومنّ إلهى بالمنا من مراديا

كذلك حصن الروم أيضا ملكته وحصنا عليا قد تركت المرابيا
وفى القلعة السوداء للروم عبرة ومكنت من أصحابها ذا اليمانيا
وحصن الدولاب ملكت بهمة يقصر عن أملاكها كل عاديا
وخلصت علوى وابنها بعد أسرهم وكان خلاصى للحريم منائيا
وعدت وقد حازت يمينى ألف ناقة محملة مالا وحورا غواليا
وقد حزت نورى أكرم الله وجهها وان هواها قد تمكن فؤاديا
بخد كمثل الورد أحمر ناعم ووجه كمثل البدر يجلى الدياجيا
ولفظ رخيم يعتريه حلاوة وطرف بأجفان مراض غوانيا
وقد قتلتنى الآن نورى بحسنها فلم أدر فى وقت الصلاة صلاتيا
سأدفع مالى كله يوم بيعها وأبلغ منها القصد ثم الامانيا
وليس لها بالمال قدراً وإنما تقاس بأرواح الرجال الغواليا
هى السؤل والمأمول فى غاية المنا فلابد لى منها ولو حال حاليا

(قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك الكلام من الأمير عبد الوهاب أخذته الرعده والاصفرار وقال والله لو غاصت هذه الجارية الى الثرى أو صعدت إلى السماء لابد لى منها وان عاندنى فيها هذا الاسود الحجام لاسقينه كاس الحمام (ياسادة ياكرام) وكذلك قال أبو الهزاهز وميمون الجماس لان فى قلوبهم من الملكة نورى تذكار ووسواس وكذلك جميع الامراء الذين صرعتهم (قال) ولم يزل الامير يقطع البيدا وصحارى الفلا حتى أتى إلى حصن يانس المتغرب فخرجوا الرجال إلى لقائهم والتقوا الامير عبد الوهاب وتقدم يانس المتغرب وهو قد انشرح وطاب وقال له أضاءت بنورك الرحاب وذهبت الغمه بنزول هـــذا الركاب فلا أحلا الله من طلعتك ولا عدمنا النظر إلى وجهك وغرتك (قال الراوى) فعند ذلك رفع الاميرقدره ورحب به وأكرمه ثم نزل العسكر وضرب خيامه وأعطى ليانس وأصحابه مما غنمه فقرت أعينهم وشكروا الامير على نعمه وأقام الامير عند القوم ثلاثة عشر يوم وبعد ذلك ارتحل وطلب ملطيه وسار يجد فى قطع البرية (قال الراوى) فهذا ما كان من الامير عبد الوهاب وأما ما كان من اللعين عقبه الكافر المرتاب فانه أطلقه الامير وسلمه إلى منويل فسار فى صحبته إلى أن وصل الى القسطنطونية ثم ركب فى مركب الى صور ومن صور الى طرسوس حتى وصل إلى ملطيه فلما دخل وهو فى عيشة غيرهنية وسار من طرسوس حتى وصل اليها أتى اليه عمرو ابن عبيدالله وسلم عليه وقال له أين كانت

هذه الغيبة أيها الشيخ الصالح فقال يابنى كنت فى بيت المقدس أزور الانبياء والأولياء والصالحين فى المشاهد والضرائح فقال عمرو رزقنا الله أيها الشيخ بركاتك ومتعنا ببقاء طلعتك لأنك عين الشريعة وصاحب المناقب البديعة فقال عقبة ياولدى ما وصل إليك شيء من أخبار الامير عبد الوهاب وأخبار من معه من الأصحاب قال بلى قد وصلت الاخبار وبعد مدة ثلاثة أيام تراه معك فى الديار وذكروا أن معه غنائم قد ملأت السهل والجبل وكل جارية حسنة يضرب بها المثل (قال الراوى) ياساده فهذا جرى لهؤلاء من الكلام والخطاب . وأما ما كان من الامير عبد الوهاب ومن معه من فرسان بنى كلاب الانجاب والسودان أصحاب الطعن والضراب الناطقين بالصواب فانه لما سار هو وأصحابه من حصن يانس المتغرب فى أحسن زى وأكمل هيبة ولم يزل فى سيره يقطع الدروب وكلما جاز على قرية يخرجوا أهلها ويسلموا عليه ويفرحوا به ويقيم فيهم اليوم واليومين ثم رحل الى جاول وتبساريه (قال الراوى) ووصل الى قلعة الكوكب وقلعة المنشار ولاحت لهم العلائم وبانت لهم ملطية فشكروا الله تعالى على السلامة وفرحوا بما أنعم الله عليهم من الكرامة ثم ان الامير عبدالوهاب أمر بنى كلاب أن يلبسوا الدروع والجواشن والكازعندات والزرد ونشروا الاعلام الملوية وعلى رؤوسهم البازات الذهب المعلمة والاميرة كأنها اللبوة المصمصمة والرايات على رأسها تخفق والبنود تشرق والجنائب المخفقة والصناجق المرتفعة وبنى كلاب الثياب الديباج والمناطق ذات الابتهاج والسودان بطراطير الريش النعام وقد لبس منهم الثياب الأطلس وقوم بالأقبية المعلمة والخيل المسومة وقوم قد تقدموا والحراب بأيديهم وقوم يلعبون بالدفاف وقوم عظمت منهم الاوصاف والكوسات تفح والبوقات تمح والخيل تصهل والعرب تصيح وهم بكل زى مليح والرماح والآجام القصب والأسنة تلتهب والعدة واللتوت والأسياف وقد قدموا بنات الروم الكواعب كالنجوم الزاهرات والكواكب وقد نشروا الشعور على الاكتاف وهن ناعمات الأطراف قد جمعن ما بين بان القدود وورد الخدود ونرجس الحدق السود وقد طلعن كأقمار السعود وأشرق من ضوء وجوههن الوجود والغلمان كأنهن الولدان وأظهروا اللباس والملابس والمجابيز والمحفات وألبسوهم الديباج الفاخر (قال الراوى) فعند ذلك خرجت بنى سليم الى لقاهم والعوام والمخدرات فرأوا ماقدموا به بنى كلاب والسودان الأنجاب من الملك العظيم فداخلهم الحسد وذلك لسوء الطمع والنكد ونظر الامير عمرو الى بنى كلاب والسودان الانجاب وما أتوا به من الغنائم والاسلاب

وقد تزينت كل طائفة وقبيلة وأقبلوا الدروع والجواشن وقد انقسموا قسمين وساروا وهم شطرين فالعرب على جهتها والسودان على مرتبتها وقد تقدمت الأمراء والسادات والكبراء والامير عبد الوهاب فى بنى كلاب والاميره ذات الهمة فى بنى عامر وهى بينهم كأنها الزهر وبرد بن الأزهر كأنه الليث اذا هدر وبيده سيف مشهر وعليه ثوب أطلس أحمر وهو كأنه السيل اذا انحدر وهارون العلوى فى أحسن زينة تكون وقد أبهر بحسن لبسه العيون وعليه ضياء الشرف والسوء عنه قد انصرف والأسهل ابن الأسد وقد ضربت بفروسيته المثل وهو كأنه الليل إذا أقبل والامير ضيغم وأخيه قشعم وسعيد بن الفرج والعسكر به قد ابتهج وحوله السادات من بنى تميم والحسن عليهم مرعى مقيم وقد ابتهجوا بالفرح والنعيم وهم معلنون بذكر السميع العليم ويصلون على النبى الكريم ومالك بن طوق سيد بنى قضاعة وحوله أولاده أهل الشدة والشجاعة وأبناء السودان قد أظهروا عليهم من الزينة ألوان والطراطير على رؤوسهم كالأجراس وفيهم ميمون الجماس وقد افتتن من زينته جميع الناس والى جانبه طمطم وهو كأنه أسد قشعم وقد جعلوا السبى قدامهم والاسارى من خلفهم. هذا وقد خرجت الى لقاهم بنى سليم وشيوخها وفى أوائلهم شيخ السوء والعطب عقبة ابن مصعب وقال السلام عليك أيها الأمير والسيد الخطير الحمد لله على بلوغ المنى وإزالة العناء الذى جمع بيننا وبينك لأنك سراج الأهلة فأنت والله حقيقاً بالثناء لازلت فى نعم مأنوسه وشيم محروسه وخير جزيل وفضل طويل ما اختلف الليل والنهار والعشى والإبكار وفى الآخرة تصل الى الهنا وتبلغ المنى فى جنات مزخرفة وأنهار جارية وأشجار عالية قطوفها دانية فأنت والله معدن الكرم والجود وأفضل مطلوب ومقصود وأنت شاكر الإله المعبود أمدك الله بتوفيق وسعود وإنى كنت أتضرع الى الله تعالى بالدعاء فى الصباح والمساء أسأل العلى الأعلى رب الارض والسماء أن يسلمك من كيد الأعداء ويجزيك بالعطاء ويجعلك من أهل الصفاء ويوصلك إلى مراتب أهل الوفاء فلقد فرحت قلوب العامة والشرفاء فحسبى الله عليك فى الامور وكفى (قال الراوى) وأن أبو محمد لما سمع كلام عقبة تقدم اليه وقال مرحبا بالقاضى والامام ومن يستحق شرب كاس الحمام ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لو مدحتنا بجميع الاشعار لابد أن ننزل بك الدمار ونجعلك أحدوثة فى جميع الأمصار ماطرد الليل والنهار وبالله ما نصرنا إلا لغيبتك عنا وما سعدنا إلا ببعدك منا فإنما مثلك كإبليس ولقد أذريت بكل سيد ورئيس وها قد أصبحت بين الناس جليس وإنما كلامك وبال وعلمك كله هبال

ولابد ماأصفع منك القفا بالنعال يارديء الفعال فقال عقبة لما سمع كلامه ماأؤاخذك يابنى على ماتقول لحسابى معك يوم القيامة يطول (قال الراوى) وأقبل الأمير عمرو وسلم على الامير عبد الوهاب وكذلك بنى سليم سلموا على بنى كلاب وهم متعجبون مما فتح الله عليهم ومن كان له غائب خرج الى لقائه وخرجت أم جميل بن سعيد الرامى وقعدت على قارعة الطريق تسأل عن ولدها وتقول ياقوم أفيكم جميل الرامى وهم يقولون لها لعله فى آخر العسكر وهى تنتظره إلى أن أقبل الامير مالك بن بشر الأقطع فلما نظرت الى العسكر ورأته قالت والله فى هذا العسكر ولدى وقطعة كبدى ثم انها قامت قائمة على قدميها وعينها تنظر من بين يديها الى أن أقبل الامير مالك بن بشر الأقطع فلما نظرت الى العسكر ورأته والرايات على رأسه تخفق وتسطع ونور الإيمان على جبينه يلمع كلمانظرته لم تعرفه إذ أنكرته لبعده وماعرفته وقالت ياقوم أيكم مالك ابن بشر الحجازى فعند ذلك تقدم الامير مالك اليها وسلم عليها وقال لها كيف انتى ياأم جميل قالت من أنت أيها الفارس الجليل فقال لها أنا مالك بن بشر فقالت والله لقد أنكرتك وما عرفتك وانى أرى زيكم قد تغير فقال لها لبعد السفر ومقاتلة من كفر فقالت له وأين يدك فقال احتسبتها عند الله وقد ذهبت فى سبيل الله وقداشتهيت لوأن لى ألف يد تذهب فى الجهاد وتمضى فى طاعة رب العباد فلما تكرر على سمعها نظامه عرفته من كلامه فسلمت عليه ورحبت به وقربته منها وعظمته وقالت ياابن العم مافعل الله بولدى جميل بن سعيد الرامى فقال لها عند ذلك ذهب والله شهيد وإياك والحزن على جميل واسمعى ماقال الملك الجليل : (فصبر جميل) واعلمى أن الصبر هو لباس المتقين وأساس المؤمنين أما سمعت ما كان من صبر يعقوب لما ابتلى بفقد يوسف صلوات الله عليهم أجمعين واعلمى أن ولدك قد ذهب الى عليين وصار فى مجاورة رب العالمين وأن ثوابه قد كتب له فى كتاب مكنون فان كثر عليك الحزن فاكثرى من قول إنا لله وإنا اليه راجعون واسمعى من أمره بين الكاف والنون (ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وانه يسلم عليك عند وفاته لما أيقن من حياته ويقول لك اصبرى فان الملتقى عند جنة المأوى (قال الراوى) فلما سمعت العجوز بموت ولدها جعلت يدها على كبدها وقالت يابنى صبرنى الله على فقدك وألهمنى الصبر على بعدك يابنى كنت بى برآ وفيآ وشفيقا حنينا أباحك الله النظر اليه وتجاوز عنك ليوم العرض عليه ثم انها رفعت صوتها بالبكاء وقالت الى الله المشتكى وأنشدت وهى تقول ونحن نصلى على طه الرسول :

ألا ياحمـــام اللوا عدن عردة   فنحن وبيت الله إن عدتمو عندنا
سلام على الأحباب فى كل ساعة   وإن بعدوا الأحباب وامتنعوا عنا

(قال الراوى) فما بقى قلب إلا قرحته ولا حزناً إلا أظهرته فسكبت المدامع وأظهرت النجائع ثم انها مضت الى منزلها بعد ما بكوا الناس من نظامها وباتت تلك الليلة فلما كان من الغد مضت الاميرة ذات الهمة الى زيارتها لتنظر ما كان من قضيتها فوجدتها تخيط فى كفن فقالت الاميرة ماهذا ياأم جميل فقالت لها ياسيدتى اسمعى العجب اعلمى انى بينما أنا نائمة البارحة بعدأن قرأت وردى وترحمت على ولدى ونمت فرأيت فى المنام كأنى دخلت الى السموات الى أن انتهى بى الى ساق العرش ورأيت ولدى وهو فى قبة جوهر وعلى بابها نهر الكوثر وولدى جميل على رأسه تاج وا كليل فقلت له ياولدى مافعل الله بك فقال ياأماه حاسبنى ورفق ومنّ على وعتق وقال لى ها وجهى فانظر وها جنتى فادخل وأن ابنى جميل أنشدنى هذه الأبيات :

أنا فى قبـــة مـن العقيان   ولجين وجوهر قد حبـــانى
وسرير من الزمرد يهـــتز   وعليـــه مفارش الرضوان
ومن الكوثر اللذيذ عليه   نهر ماء يجرى بلا نقصـــان
وأتانى نعـيم عيش مقـــيم   فى رياض المسك والزعفران
باصطبارى على سيوف الأعادى   يوم طعن القنا وضرب اليمانى
فاصبرى تؤجرى وتحظى بالقرب   من الله فى أعز مكان
وغـــداً نلتقى ونمشى جميعاً   فى قباب الياقوت والمرجان

(قال الراوى) قالت ثم قال لى : يا أماه لا تحزنى على فأنت غدا صائرة الى ثم نظرت وإذا أنا بقبة معلقة تحت سرادق العرش بلا داعمة تحتها ولا علاقة من فوقها والقبة من الزمرد الأخضر والدر والجوهر وعلى السرير بطائن من السندس الأخضر فقلت يا بنى لمن هذه القبة الثانيه فقال هى للشيخ عامر الكلابى الذى قتله ولده صباح أنشأها له بقدرته فالق الإصباح ومرسل الرياح وباعث محمد صلى الله عليه وسلم رسول السلام ثم انى رأيت أيتها الاميره كأنى أشرفت على النار فرأيتها محدقة بشخص طويل والى جانبه رجل آخر يعذبان أشد العذاب وهما يقولان : ألا من يخفف عنا هذا العذاب فقلت من هذين فقيل لى صباح وأبو عرقوب ثم ان ولدى أعطانى ثوباً ملطخا بالدم وقال هذا علامة صدق الرؤيا ثم انى استيقظت من نومى والى جانبى هذا الثوب وهو بالدم ملطوخ ثم ان العجوز صاحت صيحة وخرت مغشيا عليها فحركتها الاميره

وإذا بها قد فارقت الدنيا فاصلحت الأميره شأنها وأعلمت المجاهدين بمقالها فصلوا عليها ودفنوها فلما كانت فى تلك الليلة رأت الأميره أم جميل وهى تتمختر فى رياض الجنة وعليها حلة منسوجة بالجوهر فقالت لها الأميره ذات الهمة ما فعل الله بك فقالت لها شفا كبدى وجمع بينى وبين ولدى (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم ان الأمير عبد الوهاب أخرج الخمس من الغنيمة للخليفة هارون الرشيد وقسم المال على العسكر وأعطى الصغير مثل الكبير وما بقى غير الملكة نورى فأحضرت للبيع فتطاولت الناس اليها بالأعناق وشخصت الأحداق وتصففوا بنى سليم وبنى كلاب وذوى الأقدار من العربان ثم أمر الأمير عبد الوهاب بسرير من العاج مطعم بالذهب الوهاج وعليه فرش الحرير وجعل عن يمين السرير ويساره مائة جارية منظومات الشعور كانهن البدور بخدود ورديه وعيون نرجسيه وأعطاف متراكنة وأرداف مثل أمواج البحر المطلاطمه ونهود قائمه وصدور عاليه وأوراك رابيه وبطون مطويه والحاظ بالسحر محشية وهى فتنة البريه ناعمة الأطراف قد عجزت خصورهن عن حمل الأرداف كاملة الأوصاف (قال الراوى) ياساده يا كرام وان نورى جلست على ذلك السرير ووجها كالقمر وهى بينهن كأنها البدر إذا بدر ووجهها يضىء عليهن فى ضياء القمر بصدر كأنه مرمر ونهدان كأنهما أحقاق البلور وبطن مرجرج ينتهى إلى خصر وردف كأنه برج قد خرج من صور يحمل ذلك ساقان أبيضان مدملجان وقد غاصا فى كعبين ناعمين كأنهما اللجان والعقبان فسبحان الصانع اللطيف المنان وعلى جبينها عصوبة سوداء مكتوب عليها بالبياض هذه الأبيات

أنا نورى ولى جلالة قدر محدقة بالجمال وبالفخر
قل لمن يبتغى الوصال لنورى انه لاينال غير الهجر

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلى صدرها مرآة جوهر مكتوب عليها بالذهب ثلاثه أسطر هذه الأبيات

ألا ترى لقدر ذى الجويريه مثل شمس كأنها مجليه
وبوجه نورى شمس تشرق يفتن الناس حسنها فى البريه
فهى شمس النهار لما تدانت نحو أرض فأصبحت آدميه

(قال الراوى) ياساده يا كرام وعلى رأسها تاج بالذهب الوهاج مكتوب عليه بالفضة هذه الابيات

سبحان من صاغها وأكملها ... وفوق كل الانام فضلها
معتـــدل قدها وقامتها ... وردفها كالكثيب يثقلها
سبحان من بالحياء جملها ... سبحان من بالجمال كملها
وقد شغلت كل من يروم لها ... وليس فى الخلق من يشا كلها

(قال الراوى) ولقد فتحت كفها تعدل عصابتها وقد عجبت بحسن خلقتها وكيف بهرت الناس بحسنها فتذكرت أيام عزلتها ورأت الى ذلها وغربتها فجعلت تكتب بأقلام عبرتها على صفحات وجنتها

قد أوقفوها مقام ذلتها ... نجوما للناظرين بهجتها
كأنها الشمس فى ملاحتها ... والدر فى وجهها وطلعتها

قال فشوقت من العرب القلوب وهيجت الكروب ولم يبق أحد الا ونظر اليها وتحرق عليها فقال الامير عمرو بن عبيد الله هذه الجارية والله ماتصلح الا للامام الرشيد خليفة المسلمين فهى لا تصلح إلا له فقال الامير عبدالوهاب ينادى عليها حتى يتزايد فيها المجاهدين وأبطال الموحدين ثم أمر المنادى ان ينادى عليها والامم قد بهتت اليها فوقف المنادى على قدميه وأشار الى من بين يديه وقال يامعاشر أهل الجهاد أبيع نورى ذات القد المليح والوجه الصبيح بخمسة آلاف دينار فما استتم كلامه حتى نزلت عن كرسيها وضربته بيدها على صدره أرمته على ظهره ورجعت إلى مكانها فتعجبت الناس من سرعة انعطافها على أردافها فعندها وثب المنادى خجلان ومن صفعتها به وجلان فقالت له ما أشد عماك وأوحش نداك كأنك تنادى على ابنة صعلوك فما أجهلك ببنات الملوك ثم شمرت عن ساعد كأنه المرمر وأصابع كأنها خرطات من جوهر وإذا على ساعدها ملج من الذهب الاحمر عليه عشر حبات من الجوهر ثم أشهرت عن ساعدها الثانى وإذا عليه دملج أحمر مرصع بالدر والجوهر ثم قالت نادى بصوت جوهرى ياقليل البصر يابعيد النظر إذا ناديت ثلاثين ألف دينار كانت قيمة هذين الدملجين ياسخين العين ويبقى الحلى والقماش بلا درهم ولا دينار فاستيقظ المنادى ونادى من يشترى نورى فقد أصبحت بين الشمس والبدور ثم قال يامعاشر الحضار أبيع نورى بمائة ألف دينار فصاح الامير عليه وقال ويلك من خمسة آلاف الى مائة ألف فقال يامولاى خفت من لطمة أخرى تودونى المقابر فقال الامير درج الندا فمن كان له رغبة فليزد فى ثمنها فقال المنادى أبيع نورى بثلاثين ألف دينار فقال الامير عبد الوهاب عندى خمسين ألف فقال عقبة على الخليفه من ماله خمسة وخمسين ألف دينار فقال

الأمير عبد الوهاب بسبعين ألف فقال عمرو على بأربعة وسبعين ألف فقال الأمير عبد الوهاب عندى مائة ألف دينار فتعجب الناس من زيادة الأمير عبد الوهاب فأخذتهم البهتة والتحير فعند ذلك قام الأمير أبو محمد البطال قائما على الأقدام وتخطأ الناس الجلوس والقيام وقد اشتد به الغضب وصاح على الدلال صوتا يصدع الحجر وقال ياهذا عندى ثلاثمائة ألف دينار فى نورى التى تخجل الأقمار (قال الراوى)فلما سمع القاضى عقبة نظره شزار ورمقه حذارا والتفت إلى الأمير عبدالوهاب وقال له ما يزاد إلا قراطين بقيراطين فقال الأمير عبد الوهاب وقد تعجب من كلامه ويلك يا أبا محمد من أين لك هذا المقال والمال وأنت أقلنا مال وأيسر نوال وحال فقال البطال أنا رجل كما تعلم أنت وغيرك انى ما بقى على شيء ولكن لا تعجب من هذا المقال من أبى محمد البطال الثلاثمائة ألف دينار الذى أذكرهافانهاحاصلةواليك واصلة فقال الامير عبد الوهاب وكيف ذلك ومن أين لك هذا المال قال البطال الثلاثمائة ألف دينار آخذها من ثلاث رجال فتعجب عبدالوهاب والحاضرين وقال من يكونوا الثلاث رجال وقد تبسم فقال ان اعيتنى وعن أخذ نورى أبعدتنى أسرقك من ليلتى هذه من فراشك ولا أسيبك من قبضتى الا بمائة ألف دينار والثانى الامير عمر وهذا أمير الثغور آخذه لا أسيبه الا بمائة ألف دينار والثالث الخليفة هارون الرشيد صاحب الرتبة المنيفة فلما سمع الامير عبد الوهاب من البطال ذلك المقال صعب عليه وكبر لديه وكاد من الغيظ أن يغشى عليه ثم ان البطال التفت الى نورى بوجهه وهو ضاحك وكلمها بالرومى المغلق وقال أيتها الملكة الكريمة والسيدة الرحيمة ومن هى بحالتى عليمه ها أنا أزيد فى ثمنكى ولو تلفت روحى بسببكى ولا أترك أحدا يصل اليكى ففى القلب منكى نار لاتطفى ولهيب لايخفى فلا تعرضى عن خادمكى البطال فان فى فؤاده نار الاشتعال فتبسمت نورى من كلامه فكاد البرق أن يلمع من بين ثناياها ورياح الصبا تنسمت عند لقياها فقال الامير عبد الوهاب يا أبا محمد تنح عنها وإياك ثم اياك والدنو منها فان قلبى معها رهين وشغفى بها زايد مكين فصاح الامير عمرو بن عبيد الله اقصر أيها الامير عن ذلك الكلام وغض بصرك عن حريم الامام فقال الامير يا عمر وما للخليفة معنا فى هذه السفرة لا قليل ولا كثير ولاحبة واحدة وهذه الجارية ما يستحقها الا أنا من دون الناس أين كان الامام ونحن كنا نضرب فى الكفار بالصارم البتار فقام القاضى عقبة بن مصعب قائما على الاقدام وقال ان الله فرض عليك طاعة الامام ولو كان عبدا حبشيا فكيف وهو من أولاد العباس

وأنه أولى بها من جميع الناس فقال الأمير والله ما يأخذها أحدا سواى ولاأحدا يزيد على فيما دفعته دينار وان المجاهدين أولى بالخمس من الرشيد ثم أنه أخذ الخمس وفرقه على الرجال ووزن من ماله مائة ألف دينار ثمن نورى فلما رأى البطال إلى ذلك الحال أظلمت الدنيا فى عينيه ولم بقى يدرى ما بين يديه وغيظ الدنيا والغضب استولى عليه ثم قال والله يا عبد الوهاب لقد تعديت طورك وزاد شرك على خيرك ونسيت قدرك وأنا أحق بنورى منك ومن كل قبيل فدع عنك القال والقيل فانا أحق بها من كل قبيل ثم قال وقد زاد به البلبال وتمنى حلول الآجال مما نزل به من تلك الأحوال اسمع ما أقول يا عبد الوهاب وأنشد يقول

والله ما تملكها اللئام ولايراها الاسود الحجام
فليس لى عن عشقها مقام يعتادنى من حبها سقام
ومن منعنى بعد ذا يضام وهوقتيل خصمه الحسام
يفلق الهامات والعظام بصارم مهند صمصام

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوها ذلك المقال من أبى محمد البطال غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وقال أبعدك الله يابطال من أين لك بنات الملوك يكونوا لك فراش عليك يابطال ببنت راعى أو شماس صعلوك مثلك ثم أقام يده وضربه بسوط كان فى يده على عمته علقها فى رقبته وأراد أن يهوى بيده إلى قائم الحسام يعلوه به فقام القاضى عقبه قائما على الأقدام لما رأى تلك الأحوال وقال أقسم بالله العلى العظيم وبالقرآن القديم ان أبا محمد أحق بها من كل انسان لانكم مدا الدهر ما قضيتوه حاجة وهو يطول عمره يخاطر بروحه فى هواكم ويكابد فى محبتكم بمهجته فصاح الامير عبدالوهاب وقال اسكت ياشيخ الضلالة ومعدن الجهاله أتريد أن تكسر أغراضى وتعطيها العوضى وتوقع الفتنة بينى وبين صديقى فقال عقبه والله انى لم أراك تراعى صحبه ولا وفيت بصدق المحبة أهكذا تكون الصحبة والله ما عندك من المحبة ولا حبه كيف ياعبدالوهاب تخص بهذه الجارية روحك ومهجتك وأنت تعلم ان أبو محمد شاب رأسه فى طلبها وفى الحرب من أجلك وأنت لاترعى خدمته ولا تعرف قدر صحبته فلما سمع البطال ذلك الكلام من عقبة شيخ اللئام فاضت عبرته وزادت حسرته وعظمت بليته وكثرت زفرته ورجع إلى طبع عربيته وأنشد يقول

لقد ضاع فيك الآن جدى وخدمتى وأنت تريد الآن تأخذ مهجتى
وتطمع فى نولى ونورى حبيبتى فدعها وإلا سوف تأتيك نقمتى
فما أنت الا فاسد الظن أرعنا ومالك رأيا فاتق الآن صولتى

تزوجتها فى الغيب من قبل آدم ... وأمهرتها فى الغيب شعرات لحيتى
فدعها ودعنى يا أخى وشرائها ... وإلا فأنت الآن تبغى عداوتى
فلو كنت فى خمسين ألف تركتهم ... كمثل كلاب الدير صرعى بهمتى
وأترك هذا الوجه منك معفرا ... فدونك رأيى واستمع لنصيحتى

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب من البطال هذا الخطاب وهو بين بنى عامر وبنى كلاب وبنى سليم والسودان الانجاب نسى ما كان بينهما من الصحبة والصداقة والمحبة وهم أن يضربه بالحسام فصاح البطال يا آل حام يا آل حام يالون الظلام فانتخا له ميمون الجماس ومعه أربعة آلاف أسود عليهم صدور الزرد والجواشن والخود لم يزيلوها من على أجسادهم من حين وردوا من جهادهم وقالوا كلهم عن لسان واحد أبونا ما يضام ونحن مامنا إلا كل فارس همام وأسد ضرغام فأشار اليهم وقال دونكم وهذا الأسود الضال عند ذلك أنتخت السودان وتشوشت الخواطر والاذهان واللعين عقبة لما رآى ذلك التفت الى بنى سليم وقال يابنى عمى أزيلوا عن البطال الضيم فهو على كل حال ابن عمكم ولحمكم ودمكم وهؤلاء السودان انتخبوا لهمن دونكم وأنتم سادات العرب وأصحاب الحسب والنسب قال فلما سمعوا سادات بنى سليم ذلك المقال هاجوا فى بعضهم البعض وتقدم الأمير عمر وقدام القوم ورفع صوته وأنشد :

لقد جاز هذا الأسود الآن حده ... وما زال يعلو طوده فى المواثب
يريد عروسا ماعلى الأرض مثلها ... وهذا لعمرى فاسد غير واجب
وحق الذى حج الحجيج لبيته ... ونادوا له لبيك من كل جانب
لانتقمن اليوم منهم بجحفل ... يشيب له والله رأس الذوائب

(قال الراوى) عند ذاك هدرت السودان وبربرت الحبشان وحملت الخيل على الخيل فى الميدان وعمل بينهم المرهف اليمان وخرقت الاسنة فى صدور الفتيان فاستقبلتهم سادات بنى عامر وكلاب ودارت كاسات المنون وحارت من النظر العيون وحمل طماطم ميمون وصرخات أبوخرطوم وأبو شكال وسعدون وتبعهم طحطح وأبو الفرون وصاح عقبة فى الجميع وألقى الفتنة بينهم سريع وقال لسادات بنى كلاب لا تبقوا على أحد من سيم الكلاب وقال لبنى سليم لا تبقوا على أحد من بنى كلاب واقصدوا كلكم الى هذا الأسود المرتاب فان النظام قد انفسد وانخرم وقد فاق عبد الوهاب على البطال دون الامم وقصد عقبة سفك الدماء من هؤلاء وهؤلاء لأن عقبة لا له صديق ولا رفيق عند ذلك حملت بنى كلاب حملة الليث الفياض وذهبت

الأعراض ودهمت الأمراض وحملت الجوار سرير الملكة نورى على رؤسهم وهى تنظر الى تلك الواقعة وترى الى تلك الفجعة وتقول ويماه ويماه ليتنى لا أباع ولا كان هذا فسكنوا الجوار روعها وهدؤا قلبها وطيبوا خاطرها وقالوا ياستناه هذا كله من أجلك وكل منهم يريد وصلك فقالت وحق المسيح لم يصل الى منهم إنسان ومن طلب منهم وصالى كنت له ولنفسى قاتله ولا يحظى أحدا منهم بجمالى (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب أرسلها عند الأميرة علوى لأجل مافيها من الدين والمعرفة واليقين وما زال السيف يعمل بين الطائفتين إلى أن أقبل الليل وولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض هذا وعقبة عاد الى مكانه وادعا بدواة وقلم وكتب الى الخليفة كتاب يقول فى أوله بفضل بسم الله الرحمن الرحيم السلام التام على الامام مولانا ابن الامام ومن جعله الله متولى الأحكام وبعد أخبرك يا أمير المؤمنين يوم تاريخ الكتاب الأسود الحجام وصل الى ملطيه من حصون اليونان وفى صحبته جارية كأنها بدر التمام تسوى ملك العراق والشام فتنة للأنام مليحة الابتسام بنهود كأنها رمان على رخام الاعكان مدرجة والسيقان مرجرجه تخجل البدر فى الدجى ان أقبلت والى سائر المحاسن قد كملت تصلح للخلفاء تفوق على الملاح بوجه كأنه مصباح وخدود كأنها تفاح طولها طول الرماح ووصلها يداوى الجراح بثغر كأنه بياض الاقاح قربها شفاء للأرواح ما ملك مثلها من الملوك ولو رآها لتضاربوا من أجلها بالسيوف والرماح فاغتنم الفرصه قبل حلول الغصه لان الاسود يريدها وهو لا يصلح أن يكون لها لانه من بعض عبيدها كما قيل فيها هذه الابيات :

سبتنا بألحاظها والمقل ... وريق شهى كطعم العسل
وخلق رضى ووجه مضى ... وشعر كليل إذا ما انسدل
وطرف كحيل وخد أسيل ... يفوق العوانى عند القبل
وخد ظريف وخصر لطيف ... وطول منيف كطول الاثل
شفا للنفوس وتشفى النحوس ... ووصل العروس بلوغ الامل
ربت فى الدلال نعم والكمال ... وتسبى الرجال بثقل الكفل

(قال الراوى) ثم أرسل الكتاب الى الرشيد على جناح طائر من الحمام فبينما هو كذلك جالس على سدة خلافته ومن حوله أرباب مملكته وإذا هو بالبراج داخل بالكتاب وسلم وخدم وناوله للرشيد فأخذه وقراه وجعل يردد ألفاظه ثم يقول وصلها يشفى الامراض ويبلغ الاغراض فوقعت النار فى قلبه من ذلك الوصف الذى فى جمالها

فادعى بمملوك وكان من غلمان الدار وكان صاحب حرب وقوة فى الطعن والضرب وقال له خذ معك خمسماية مملوك وأسرع الى ملطية وخذ الجارية التى اسمها نورى من الأسود وان خالف فخذوها بالرغم عنه (قال الراوى) ياساده ياكرام فركب المملوك من وقته وساعته وأخذ ما أمره به أمير المؤمنين وهم الخمسمائة مملوك وكلهم بالخوذ اللامعة والعدد الساطعه والدروع المضاعفه والرايات والأعلام والخيل والجنائب والخيام والمضارب وهم فى أحسن زينه تكون وتوجه الخادم الى ملطية عازم على ماندب اليه من تلك القضية فهذا ما كان من هؤلاء من الأمور والأسباب (وأما ما كان) من بنى سليم وبنى كلاب فانهم داموا على أشد ما يكون من الحرب والقتال والكفاح ونادى الشجاع لابراح وامتلأت بالقتلى تلك الارض والبطاح والأمير عبد الوهاب أباد الابطال الوقاح وأرعب بصوته القلوب الصحاح وهو ينشد ويقول

أنا ابن الحرب ربتنى دليــــلا إلى أن شبت واهتلكت أذانى
وما رست الحروب ومارستنى فما ضعفت ولا أوهت جنانى

(قال الراوى) ودار بينهم الحراب الى أن مشت بينهم المشايخ من القبيلتين فى الصلح وترك اللجاج فما رضيوا بذلك بنى سليم بل قالوا لا بد لنا أن نخرق بعبد الوهاب كما أخرق بابن عمنا البطال وذلك كله من تحريض عقبة شيخ الضلال وصاروا يقولون لابد ما نبرل بنى كلاب وعامر النكد ونفنيهم بالصارم المهند وتبقى العداوة بيننا الى الابد (قال الراوى) ولما أن سمع الامير مقالهم قال لهم دونكم يارجال توعدوا أن القتال يكون فى مرج الفصلان لأجل وسع المكان لانه مرج واسع يصلح للقتال وقال بعضهم فى مرج من مروج ملطيه يعرف بحصن يكسور لانه واسع الامكان يصلح لجولان الفرسان وداموا على اللجاج الى أن أقبل الحاجب بالخسمائه فارس وهم بالقسى والكتائب والسيوف الهندية والرماح الخطية والخود اللامعة والجواشن الساطعة والبيارق والرايات والخيل العربيات فارتجت الارض من هيبة رسول الامام ورجع كل منهم الى مكانه ودخل الامير عمرو بن عبيد الله الى البلد وجلس فى دار الاماره ونزل الحاجب عنده واجتمع عنده الكبار والصغار وعاد الامير عبد الوهاب الى مكانه وأقام ينتظر ما يكون من أمر الحاجب الذى أتى من عند الخليفه هارون الرشيد بالله (قال الراوى) وكان الامير أبو محمد الآخر فى تدبير أموره وأحواله وميمون الجاس يقول له أيها الامير نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ننصرك على كل من يعاديك وأيضا اجتمعت بنى سليم وأحمد الداى وعبد المجيد بن جعفر وابن أبان

وسيف بن مازن واجتمعوا كلهم عند الامير عمرو والغلمان فى حضرة رسول الامام وأرسلوا الى الامير عبد الوهاب حتى يسمع ما جاء به حاجب الخليفه فأجاب بالسمع والطاعه لله ولرسوله ولامير المؤمنين وسار الى نحو بيت الامارة ومعه ولده سيف الحنيفه وضيغم وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره والديال وطارق الحجازى ومالك بن بشر الحجازى ومثل هؤلاء السادات والأمراء القادات وركبت الأميرة ذات الهمه من خوفها على ولدها أن يتم عليه أمر من الأمور تنظرمايكون هذا جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فانه قال لميمون الجماس أيها الأمير من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والرأى عندى أننا ندبر أمورنا من قبل أن ننفضح وأقول أن هذا الشيطان عبد الوهاب ينزل علينا الهوان وأنا مرادى كما قال بعضهم حيث يقول

وإذا الديار تنكرت عن أهلها فدع المقام وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك فرض واجب فى بلدة تدع العزيز ذليلا

فقال ميمون الجماس الأمر اليك وأنت أدرى منا بالصلاح فقال البطال أنا أرى من الرأى الصائب قبل كل شيء تعمل لنا على مكان حصين نكون فيه قبل كل شيء فقال ميمون نعم ما أشرت وكلنا معك وأين ما سرت نتبعك ونبذل المجهود بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك فقام البطال ومعه ميمون الجماس وأربعة آلاف أسود وسار من ملطيه متوكل على رب البرية (قال الراوى) وأما الأمير عبدالوهاب فانه لما أتاه الرسول سار الى ملطيه وأمامه ولده سيف الحنيفيه الى أن دخل بيت الإمارة وسلم فوثبت الناس كلها الى عبد الوهاب واستقبلوه إلا الحاجب فانه لم يتحرك ولا قام من مكانه ولا أعبأ به ولا اعتنى بالأمير فاغتاظ سيف الحنيفيه وهدر وزمجر كأنه البعير فقال الحاجب يا عبد الوهاب ما يكفيك تقيم النفاق على هؤلاء القوم وتجعل الفتنة قائمة كل يوم وتلبس ثياب المخالفة على الامام وتعلم قلة الأدب لهذا الغلام حتى أنه دخل علىّ لاسلم ولا خدم وإن هذا من سوء الادب ولكن قله أدبه عليك تنقلب ولا شك أن هذه النعمة منك تسلب (قال الراوى) فقال الامير أيها الحاجب لا تؤاخذنى بقلة أدب هذا الغلام الصبى فانه فى حجور الملوك ربى ولا يرى على نفسه أن يخضع للملوك فقال الحاجب سوف تعلم المملوك من المالك ومن تنزل عليه المهالك قال فلما سمع سيف الحنيفية ما قاله الحاجب لابيه لم يجد صبر دون أن وثب على قدميه وقال لا تحولوا بينى وبين كلب الاعاجم الظالم الغاشم لانه قد تعدى طوره وزاد شره على ما ليس له والله يا هذا صاحبك وسيدك اننا ما نخضع له إلا

لأنه من نسل الائمة الكرام وأما أنت فلا أهلا بك ولا سهلا ولا مرحبا ثم أنه هوى بيده إلى قائم الحسام وسعى اليه ليأخذ روحه من بين جنبيه فحالت بينهما الناس الحضور وأما الحاجب لما رأى إلى ذلك الحال وسمع ذلك المقال قام قائم على الأقدام ولطم سيف الحنيفية على وجهه وقال ياابن الزانية حلت بك الرزية وأراد أن يجرد سيفه من غمده فسبقه سيف الحنيفية ولطمه لكمه على رأسه طير قحفه وعجل حتفه وأخمد أنفاسه وسكنه أرماسه ثم أنه صاح وزجر وقال أنا بن ترس قبر النبي المطهر ثم طلب عقبه ليعجل عطبه وإذا به بال فى سرواله وهرول نحو بيت الحرام وسرواله قد انبل وهو يقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وخرج الأمير عبد الوهاب من المجلس وركب ووقع الصائح وزاد الصراخ وجردت الصفاح وسمعت الغلمان بموت الحاجب فعظمت عليهم المصائب ولحق الأمير عبد الوهاب بعسكره وقد حار فى أمره وقال لولده لقد استعجلت فى قتل الحاجب وأشعلت علينا نارا بسببه فقال يا أبتاه أذل الله من يذل نفسه لهؤلاء القوم وسوف أجعله يوم وأى يوم (قال الراوى) هذا وعمرو صعب عليه قتل الحاجب فى داره وكبر لديه وتيقن من الخليفة بدماره فصاح الكلب عقبه فى بنى سليم وقال دونكم وهؤلاء القوم وادفعوا عن أنفسكم العتب واللوم من أمير المؤمنين لعل أن يبلغ إلى الخليفة فعلكم ويعفو عنكم عند ذلك لبست بنى سليم العدة وخرجوا من البلد إلى حصن يكسوم وبطل العتب واللوم ولما نظر الأمير عبد الوهاب الى تلك الفعال وسمع من عقبة ذلك المقال قال لقومه ياقوم لقد لزمنا القتال الى هؤلاء القوم الجهال وفى الحال ركبت الرجال وهمهمت الأبطال وتبادروا إلى الحرب والقتال فهم كذلك وإذا بصالح بن عمرو تقدم بالجواد بين الصفين وتقرب من الأمير عبد الوهاب وقال أيها الامير والسيد الخطير على ماذا عولت فارجع وانظر ماذا تصنع فان لله المرجع أيليق بك بعد جهادك فى الكفار وقتالك إلى الأشرار تقاتل أصحابك وتخاصم إخوانك وأحبابك وجيرانك أما تعلم ان الله قد أوصى بالجار فبالذى قد أسبغ عليك نعمه لاتؤاخذنا بذنوب غيرنا ولا تثير الحرب بيننا فنحن بالله ثم بك أيها الأمير وأشار اليه وأنشد يقول

لايغضبن على قوم تحبهم ... فليس منك اليهم بصلح الغضب
ولا تخاصمهم يوما إذا غضبوا ... ان الملوك إذا ما خاصموا غلبوا

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب من الأمير صالح تلك الابيات قال ياصالح ان بنى سليم لاعندهم خير ولا صدق ولا لهم وفاء ودائما ننظر منهم الجود

والجفاء فقال صالح أيها الامير ان عمرو أخوك احفظ حق عبيد الله ولاتؤاخذ عمرو بالغلط فمنك لايجوز الشطط ثم ناوله كتاب من عمرو فأخذه الأمير وقرأه وعرف رموزه ومعناه وإذا فى الكتاب أرعاد وأبراق وتخويف وتهديد ووعد ووعيد فقال الامير ياصالح أنت تريدالاصلاح وعمرو يريدالحرب والكفاح فقال صالح أيهاالامير بحق البشير النذير السراج المنير فخر ربيعة ومضرالذى انشق له القمر ولان له الحجر لاتؤاخذ عمرو بأفعاله فانه لايقاس بمثلك لأنك الهمام الأمجد وترس قبر النبي محمد وإن كنت سمعت شيء فهومن أندال الرجال وأنا أسألك أيهاالأمير بمن مرج البحرين وأنار النيرين ورفع قدرالحرمين إلا ما سامحته فى الغلط وأهملت أمره فانه ليس أهلا لذلك فقال الامير ياصالح يهددنى عمرو بكتابه ويخوفنى من أبطاله فيا هل ترى أنا أخشى من الابطال أو أخاف من الأقيال وحق من أرسى شوامخ الجبال أنى الى القتال أشهى من العطشان الى الماء الزلال ثم انه رجع الى طبع العرب أصحاب الحسب والنسب وأنشد يقول :

ألا إنما يحمى الديار ويرحم ... سوى بطل عند الهياج مقدم
ومن كان فى الهيجا يولى هاربا ... ولا يلتقى حرباً ولايتقدم
فذاك هو النذل الذى إن جاءذكره ... يكدر بالاخطار ذكرا ويعدم

(قال الراوى) فرجع صالح الى بنى سليم وأدى الرسالة وماحمل من المقالة فصعب على عمرو وكبر لديه وقال دونكم والحملة على هؤلاء القوم الذين لايرعوا جار ولا يلوون الى نخار فعند ذلك اصطدمت المواكب بالمواكب فتلقتهم بنى كلاب كأنهم السلاهب وجودوا طعن القنا والقواضب وزاد التعكيس والضراب ونفخ إبليس وتأخر التعيس وتقدم البطل الرئيس وهرب الجبان النحيس وزاد القتام وصار الضياء ظلام وعقبة ينادى يابنى سليم : أزيلوا عنكم الضيم واكشفوا عنكم العار واستعملوا الصارم البتار هذا وقدثارت القبائل وتصارمت الجحافل وصاروا مابين مقتول وقاتل وصاح الصايح وناحت من النساء النوايح وفاحت من القتلى الروايح وصاروا أحدوثة العادى والرايح والامير عبد الوهاب كأنه أسد الغاب وأنزل على بنى سليم المصايب ولم يزل حتى ألبسهم الهم والغم والنكد وأخرجهم من البلد وساروا فى البر مجدين والى نحو العراق طالبين (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء من الامور والاحوال . وأما ما كان من الامير أبو محمد البطال فانه سار من أرض ملطيه ومعه ميمون الجماس وسودانه الاربعة آلاف فقال ميمون أخبرنا الى أين قصدك والطلب فقال البطال

مالنا أوفق من آمد سر بنا اليها على بركة الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلا بد لى منها إن شاء الله لان ما يحمينا إلا هى فقال ميمون يامولاى الموضع كما تعلم حصين ولا لاحداليه وصول وهو بالرجال مكين وصاحبه كدكد بن غشم بن زياد ولا تقدر على فتحها ولو أقمنا عليها سنين وأعوام ونخاف يدهمنا الرشيد أوعبدالوهاب وقد قال القائل فى ذلك المعنى من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقال البطال سيروا أنتم على بركه الله تعالى فان الله إذا أراد أمر هيأ أسبابه وإذا أراد أمرا ما يكون إلا ما يريد فساروا لها مجدين إلى أن وصلوا إلى مكان يقال له تل حام وكان وصولهم له عندادبار الشمس واقبال الظلام وقدمالت الشمس إلى الغروب وحن الحبيب إلى لقاء المحبوب فنظر البطال وإذا قد لاح بين يديه قباب ومضارب وسرادقات وأعلام ورايات وكلاب الصيد وفهود وخيول على مرابطها وخدم وغلمان (قال الراوى) وكان هذا غشم بن زياد صاحب البلد وقد خرج طالب الصيد والقنص وانتهاز اللذات والفرص فلما رآه البطال عرف أنه بلغ المقصود وقال جاء الفرج وذهب عنا الحرج وقد ملكنا البلد بقدرة الفرد الصمد والتفت البطال لمن معه وقال لهم دوروا من حولهم من كل مكان وجانب وايا كم أن ينفلت منهم هارب عند ذلك تفرقت من حولهم السودان ومالوا عليهم بالجراح من غير قتل حتى ملكوهم عن بكرة أبيهم وهم متعجبين من أمرهم فأمر البطال بكتافهم ووكل بهم جماعة من الرجال بعد ما عراهم لباسهم وألبسه للسودان وأبو محمد لبس لبس كركر بن غشم أميرهم وأخذ الأعلام والرايات والفهود وكلاب الصيد وساروا الى آمد من أول الليل فأشرفوا عليها عند اشتباك النجوم وقد تجلى الحى القيوم ولما أن رأوهم الحراس من فوق الأصوار قالوا قد رجع الأمير ونزلوا إلى الباب وفتحوه فأول من دخل كان الأمير أبو محمد البطال ومن خلفه السودان والأبطال وعدلوا الى القصر ملكوه والأبراج ملكوها وصاح أبو محمـــد يامنصور فقامت الرجال ينظرون ما الخبر فوجدوا البلد ملكت والأسواق قد غلقت وما نطق ناطق لما حققت الحقائق وقالوا كبار البلد الحمدلله الذى ما ملكنا أحدا من الأعداء بل ملكنا ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم ووصل البطال الى دار الامارة واحتوى عليها وعلى مافيها من العدد والمال والرجال مالا تحمله البغال ولا الجمال وأتوا اليه كبار البلد وخاطبوه بالامارة فخلع وأوهب وفرق الفضة والذهب وانصلح الحال وملك البلد ولا انتطح فيها كبشان ولما أن قر قراره أطلق

لكركر وبنى عمه وأعطاهم أولادهم ونساؤهم وأموالهم ومضوا الى جبال توتين وملاذكور فيجمعون الرجال والجنود ويرجعوا يقاتلوا عن بلادهم وملكهم لهم كلام (قال الراوى) أما بنى سليم وعمرو بن عبيدالله والقاضى عقبه فانهم وصلوا الى بلادهم وهى بغداد ودخلوا على الخليفة بعد أن أخذوا الاذن وعقبه قدام القوم وجعلوا يخترقون الستور الى الستر الخاص فوقفوا هناك قليل والمجلس منغص بالناس من الامراء والوزراء والنواب والحجاب والخدام قيام على الاقدام ذات اليمين وذات الشمال وهم بالملابس والمناطق فوقعوا الى الارض يقبلوها ولما رفعوا رؤسهم تقدم القاضى عقبه وتنحنح قبل كلامه وأطلق لسانه وقال السلام على شجرة النبوة والعترة العباسية أدام الله على الخافقين ظلك وجمع شملك واتصل حبلك يا أمير المؤمنين خذ بيد المظلومين المهجمين فقد أخرجونا بنى عامر وكلاب من البلد وأنزلوا علينا الهم والنكد وهتكوا الحريم والولدان وقتلوا حاجبك والغلمان وفرقوا السالمين فى كل مكان وامتدت بالظلم أيدى العرب والسودان وكل ما جرى علينا من الامور الصعاب من يد عبد الوهاب فانظر الينا يا أمير المؤمنين بعين العدل ولا تنسانا من كرمك والفضل (قال الراوى) فلما سمع الرشيد مقالهم وشاهد أحوالهم قام وقعد وأرغا وأزبد وقال يقتـــل حاجبى والغلمان ويتظاهر على بالنفاق والعدوان ثم التفت الى الوزير ابن مسعود وقال له اكتب كتاب الى الاسود الحجام واغاظ عليه فى المقال والكلام حتى نعلم ما يكون منه من الجواب وما يرد الينا من الخطاب وبعد ذلك لابد لى من هلاك بنى عامر وكلاب ولابد لى ما أفعل بهم مثل ما فعلت بالبرامكة عند ذلك كتب الوزير كتاب الى الامير عبد الوهاب أول ما سطر فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد من نايب الدولة ووزيرها ومدبرها ومشيرها أبا محمد فقد كشف بك الدهر غرته وأوضح لك مناهج سبله وعرفك نعمته حتى بطشت وغرك بطشك بالبطر وأوقعك فى ميدان الكبر فأنت سايح فى جهالتك وتظن فى نفسك أن لا تنفضح فازددت فى تدبيرك وعملك وأنا أقسم بالله الذى رفع العرش وبسط الفرش اذا لم تخلع ربق الشك من عنقك وتعظ نفسك بالافعال الجارية وترسل الينا الجارية وترجع عن أمرك والا تكون بعدها عديما وعظمك رميما والسلام على من سمع وأجاب وعجل لنا بالجواب (قال الراوى) ولما فرغ الوزير من الكتاب أعرضه على الامام وأرسله الى الامير عبد الوهاب صحبة نجاب فأخذه وسار راكب على ملطيه حتى وصل الى ملطيه فدفع الى الامير عبد الوهاب الكتاب ووقف ينتظر

رد الجواب ولما أن قرأه الامير وعرف معانيه وما فيه من الوعد والوعيد والخوف والتهديد كتب جواب الكتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان أعقل الناس فضلا من أخذ من الاعمال أغلاها وأنجح الاقوال وأرضاها من تمسك من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبل شريعته والله يعلم أننى ما خرجت عن طاعة الامام ولا عن قاعدة الاسلام وإنما بنى سليم لما أرادوا قتالنا قاتلناهم ومانعنا عن حريمنا وأولادنا وأموالنا ولما تعدوا علينا بلاهم الله بالهوان وتشتتوا فى القيعان ورمتهم سهام الغيب والخذلان وأما نحن طائعون وعلى سنة الاسلام مقيمون وأما تسليم نورى فلا يكون أبدا الا أن يلعب جوادى برأسى وتخمد أنفاسى ثم ختم الكتاب بهذه الابيات ونحن وأنتم نصلى على صاحب المعجزات

ومن فى الناس يصبر عالبلاء　　　سأحمل فى القتال بغير رعب
وأرمى القرن فى وسط الفلاء　　　لعـــلى أن أشال على العوالى

(قال الراوى) ولما سمعت الأميره من ولدها هذا الكلام الذى غير موزون ومقلب القوافى علمت أنه من الغيظ ما يدرى ما يقول فقالت ياولدى لا تحمل على قلبك هم ولا غم فوالله الذى لا إله إلا هو لتنظرن من هذه العجوز شيئا مارأيته عمرك وماتنساه دهرك ولكن ياولدى احترز على نفسك واجمع الرجال والأبطال فلابد للخليفة مايسير اليك فى هذه النوبة والبطال مضى عنك ومعه ميمون الجماس وسودانه ولا تأمن منه ولا من شره ومكره فقال لها يا أميرة المجاهدين أنا لا أبرح من ههنا حتى يبرح الخليفة أو غيره وأقلد الباغى بغيه وسوف أخرج الى كل من أتانى وأقاتل جهدى وطاقتى ويعطى الله النصر لمن يشاء . هذا جرى ههنا . وأما ما كان من عقبة فانه خلا بنفسه وكتب الى (نورا) كتاب وهو يقول فيه أيها الملكة لا تحزنى ولا تهتمى ولا تحملى على قلبك هم ولا غم فأنا لابد لى أن أعمل على خلاصك فى هذه الأيام وأوصلك الى الملك منويل ملك الروم وتكونى عنده أحظى الناس ولكن أريد منك أن تساعدينى على ذلك بشىء من أعمالك وعين لها فى الكتاب ما تعمل وما وصل اليه من الحيل وكان الامير عبد الوهاب بواب على داره وهو رجل كبير فلم يزل يتوصل اليه عقبة بالهدايا والصحبة الى يوم من بعض الأيام قال له ياشيخ لى عندك حاجة وأريد منك قضاها وهذه مائة دينار ولك الأجر والثواب وهو انك توصل الى الملكه (نورا) هذا الكتاب فلما نظر البواب الى المائة دينار أخذ الكتاب من عقبة المرتاب ومضى الى نورا وسلمه اليها ففتحته وإذا فيه صليب وأنا وأنتم نوحد القريب المجيب ونصلى

على النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم . أما بعد : من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة بن مصعب يعلمك أيتها الملكة أنه ما بينك وبين أهلك إلا شيء يسير ولكن ساعديني بكتاب بخط يدك أرسله الى البطال تقولى فيه : أما بعد يا أبا محمد ومن هو فى حيله وصناعته أوحد اعلم انى وقعت عند الاسود الحجام وقد منعت من المنام وأخذنى الهم والغم والغرام وقد علمت بما عندك من الهوى والهيام فهربت مع قوم نصارى من الأرمن وهاأنا فى مغارة الثعلب أنتظرك وقد علمت مافى قلبك من أجلى فأرسلت لك ذلك الكتاب مع رجل من العرب فتسارع اذا كان لك فى وصالى أرب وأرسلت لك مع الكتاب الدملج الذى كان فى عضدى حتى تطمئن القلوب وتنال المطلوب وسلمت الكتاب والدملج الى البواب وقالت له أوصل هؤلاء الى صاحب الكتاب الذى سلمه إليك فقال البواب سمعاً وطاعة ثم انه رجع الى أن سلمه الى عقبه وكان الملعون أتى الى ملطيه فى أمور مخفيه ودبر ذلك التدبير . ولما رأى الدملج والكتاب فرح فرحا شديداً ماعليه من مزيد ثم إن عقبة بعد ذلك كتب كتاب الى الملك منويل يقول فيه : أما بعد أيها الملك انى صنعت ماهو كذا وكذا من الاحتيال وأرجو من المسيح أن تتم الحيلة ويقع فى يدى البطال فساعة وصول الكتاب اليك ترسل حرب بن شيبان ومعه الدمشق وألف من متنصرة العربان يكونوا فى زى المسلمين ويأتونى إلى مغارات الثعالب حتى أدبرهم على أخذ البطال من هناك ثم أرسل الكتاب مع غلام من غلمانه يقال له ظاهر فسار بالكتاب إلى أن أوصله إلى ملك الروم منويل وسلمه اليه بعدما خدم فلما قرأه الملك وعرف رموزه ومعناه أحضر حرب بن شيبان وأمره أن يأخذ ألف من العرب المتنصرة ويلبسوا لبس المسلمين فأجاب بالسمع والطاعه وأخذ الألف من ساعته وسار إلى المغار حتى وصل وأكمنوا من حولها هذا جرى (وأما عقبه) بعد إرسال الكتاب إلى ملك الروم دعا بغلام من بنى سليم يقال له الهجام وقال له يا ولدى خذ هذه المائه دينار وانطلق إلى آمد بهذا الكتاب أوصله إلى أبى محمد البطال وقل له كذا وكذا من المقال واسمع ما يبدى لك من رد الجواب واعطيه الدملج والكتاب فأجاب الغلام وأخذ الدملج والكتاب وسار إلى أن وصل إلى آمد وتوصل إلى القصر وطلب الاذن فى الدخول فأذن له فلما مثل بين يدى البطال قال له من أين تكون وما تريد فأعطاه الكتاب والدملج وقال يا مولاى هذا الكتاب من عند الأحباب (قال الراوى) ولما سمع البطال بذكر الحبيب ورأى إلى الدملج خفق فؤاده وهام واضطرب كونه وتغير لونه وجرت دمعته على وجنته

وزادت لوعته وباح بكتمانه ونطق لسانه فأنشد يقول :

أشكو إلى الرحمن عظم مصابى فهو الذى إن شاء فرج ما بى
ما كان ظنى أن أقاد مقيداً من غير طعن نافذ وضراب
فعليكموا منى السلام تحيـة ما غرد القمرى وناح غراب

(قال الراوى) ثم ان أبا محمد لم يطق الصبر دون أن وثب قائما وهو من فرط الغرام هائما والقضا والقدر قد أفرد على رأسه أجنحة النوائب وأخذ معه مائة من السودان وأربعمائة من الأكراد وقد خرج لهم توقيع من الديان كل من عليها فان وانقطع حبل حياتهم وقربت منهم مطايا وفاتهم ثم ان البطال أحضر ميمون الجماس وقال له يا ميمون أنا ماضى فى غرض أقضيه والمدينة مسلمة اليك ومعتمدين بعد الله عليك ثم سار أبو محمد من ساعته وخيال نورى فى كل ساعة يغشاه وهو يرتعد من عظم جواه الى أن وصل الى المغارة بعد أيام عند ما ولى الضياء من الأقطار وجرد على الأرض ذيل الاعتكار وأبو محمد لا يدرى غوامض الأسرار ومنادى الغيب ينادى أين المفر من القضا والقدر (قال الراوى) ولما وصل الى المغار هو والسودان والأكراد أثنى رجله من الركاب ونزل ودخل الى المغار على عجل وقد اشتدت به الزفرات والوجل فلم يستقر به القرار حتى سمع قعقعة اللجم واصطفاق القنا وقد خرج حرب ابن شيبـــان ومتنصرة العربان من خلف تلك التلال وأبو محمد من داخل المغار ومن معه من الرجال وهم آمنون من نوائب الزمان وهو يظن أنه قد ظفر بذات الدلال والحسن والجمال ولم يعلم بما قدره عليه الملك المتعال فهو كذلك اذ سمع صياح الرجال وهمهمة الأبطال فرجع الى باب المغار فوجده قد ملك فأيقن أنه قد هلك فعاد الى داخل المغار منهزما وهو على ما فعل نادما وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالوا أصحابه أيها الأمير ما وراك أمر عظيم وقد ملك علينا باب المغـار وأنا خائف أن تـكون تلك الفعال من عقبة شيخ الضلال أو من عبد الوهاب فزعا عـلى نفسه منى ولـكن الأقرب أنها من عقبة لأن هؤلاء الأعراب وجوههم مظلمة وأقول أنهم من العرب المتنصره فان قاتلونا بالبتار فهو الذى نختار وان رشقونا بالنبال فهم يثبتوها فى قلوب الرجال (قال الراوى) هذا وقد تصادمت الرجال وصايحت الأبطال ودام النزال حتى تخضبت الأرض بالنجيع ثم تضاربوا الضرب الوجيـع وامتلأ المغار من القتلى وزاد على الأعراب البلا وظهرت سائر الـكمنا وتزاحموا على باب المغار وبقى البطال فى أمره محتار (قال الراوى) فقال عقبـــه لحرب ان أنت رمت

القتال طال علينا المطال ويأتى شىء ما يكون لنا على بال والرأى عندى أن ترمى الأحطاب والأخشاب على باب المغار وتضرم فيها النار فان القوم يسلموا نفوسهم اليك قال فأرسل حرب جماعة من أصحابه تجمع الاحطاب والاخشاب ففعلوا ذلك ونادوا يامعاشر المسلمين سلموا نفوسكم من الموت تسلموا وإلا تحرقوا فلما سمع البطال ومن معه من الرجال ذلك المقال أيقنوا بالهلاك وسوء الارتباك وقالوا انهم يقولون ويفعلوا وما بقى فى الأمر إلا اننا نسلم نفوسنا اليهم وننتظر الفرج من عند عالى الدرج لأن المأسور ينتظر الفرج والمقتول رأسه مدحرج عند ذلك رموا من أيديهم العدد وسلموا نفوسهم الى حرب بن شيبان ومن معه من الفرسان ولما ملكوا البطال ومن معه من الأكراد والسودان وهموا بالمسير قال عقبة إن هذا ماهو صواب وأخاف عليكم أن يصل الخبر الى آمد فتأتى السودان ومن معهم من الفرسان فما يبقى منكم باقيه فقال حرب وكيف يكون الرأى ياقاضى عقبه قال اضرب رقاب الجميع ولا تبقى منهم رفيع ولا وضيع فقال حرب أنا أريد أن آخذهم أسارى حتى يشاهد الملك فعلى فى ذلك المنى ويكون دخولى الى البلد فيه المسرة والهنا والفرح ويكون يوم عظيم فقال عقبه هذا رأى ما يعجبنى اضرب أنت رقاب الجميع وطاوعنى واحمل رؤوسهم على الرماح تبقوا كأنكم حملتموهم وهم صحاح وتربح الظفر لأن المخاطرة مذمومة ولو سلم صاحبها وخذ معك أبو محمد البطال وحده بالحياة حتى ينظر اليه أبو الشر الراهب شومدرس ولا تقتلوه لما أحضر الى عندكم حتى أعمل على خلاص الملكة (نورا) واذا خلصت وصارت فى يدى أتيت بها الى عندكم وأشاهد قتلة البطال والعاقبة للأسود عبد الوهاب أن يصيبه مثل هذا المصاب فقال حرب بن شيبان أما السودان فآخذهم معى بالحياة فى حالة الذل والهوان . وأما الأكراد دونكم وإياهم افعل بهم كل ماتريد فقال عقبه علىّ بهم فأحضروهم فقتلهم وهو يقول هذا كله عنداً فى خليفة الإسلام وإن طول المسيح فى عمرى سوف أخرب بيوتهم فقال حرب بن شيبان المسيح يطول فى عمرك (قال الراوى) وأخذ حرب السودان وأبو محمد البطال وأسرع خوفا من عائق يعيقهم ولم يزل يجد فى سيره الى أن وصل الى القسطنطونية وخرجت للتفرج النساء والرجال ولم يبق أحد إلا وقد خرج يتفرج على الأسارى والرؤوس وهم أربعمائة رأس من الأكراد وأبا محمد تغير جسمه ولونه وقد أضر به الهوى وبين الفراق والجوى وكيف انه ملك بعد أن كان مالك وملكت منه آمد وشمت فيه العدو والحاسد فجرت دمعته على خديه فأن أنين المشتاق وبكى من ألم الفراق وأنشد وقال :

شكوت الى الرحمن عظم مصابى فهو الذى إن شاء فرج ما بى
ما كنت أحسب أن أقاد مقيداً من عظم طعن نافـذ وضراب
لكن خدعت وطال ماخدعوا الورى بحديث غانيـة وحسن كتاب
بالله ياريح الشمال تحملى منى السلام وساعدى بجوابى
لو أن نورا ساعدتنى بوصلها لنسيت ما بى من عظيم مصابى
بالله ياريح الحجاز تحملى منى رسالة واله مرتاب
قولى لها انى رهين صبابة وحليف أشواق بذل مصابى
فلأصبرن على الزمان وحكمه حتى يقل تجلدى وعذابى

(قال الراوى) ياساده يا كرام هذا وقد أخذهم الصياح من الروم من سائر النواح ووصلوا بهم الى دار البلاط فحبسوا السودان ومضوا بالبطال قدام ملك الروم فلما أن رآه الملك صلب على وجهه وقال إلى كم يمهلك المسيح لابد لى من قتلك شر قتله فرفع البطال رأسه وإذا بشومدرس جالس عنده فى الدست وهو فى منزلة عالية لأنه قد احتوى على قلب (منويل) وعلى قلوب جميع البطارقة ودهرشوم يحجب الملك وهو رأس الحجاب فأيقن البطال بالهلاك وقال شومدرس وحق المسيح ماقصر الشيخ النجيج لأنه أوعدنا بأسرك وصدق بوعده عندها عرف البطال من أين دهى قال والله ما تم لعقبة مافعل إلا بكتاب (نورا) والدملج الذى كان فى ساعدها ولابد له مايعمل على خلاصها ويأتى بها الى القسطنطونية فياليتهم لايقتلونى حتى تأتى وأنظرها قبل المات ولو نظرة واحدة فأمر الملك بقتله فوثب شومدرس ودهرشوم وتقدموا اليه فقال حرب بن شيبان أيها الملك الشيخ النجيج أوصى انكم لاتقتلوه حتى يحضر ويشتفى منه بالعذاب وبعد ذلك يقتله وقد تركته فى همة المسير حتى يبل شوقه من راهب النصرانية شومدرس فقال الملك وما الذى منعه من المجىء صحبتك فقال ما عاقه إلا طمعه فى خلاص الملكه نورا فقال الملك اجعلوا فى رجلين البطال القيود والأغلال واوضعوه فى بعض المطامير حتى لايجد الى خلاصه من سبيل فقالت شوما وحق المسيح ماله من يحفظه غيرى فقال الملك خذوه عندكم فأخذوه وقدأحاطت به الهموم والغموم وهو يقول هذا كله من أجل نورا ولكن ماهو كثير كما قال بعضهم : (من لم يصبر على العذاب وإلا فهو فى المحبة كذاب) ولما أخذوا البطال وضعوه فى مطمورة فى البيت الذى برسم شومدرس وشوما ودهرشوم وتوكلت به شوما وصارت كل قليل تنزل اليه وتقول له يامرنوس ما بقى من حياتك إلا أيام قلائل حتى يأتى الذى

أرسلك وحق المسيح لولا أتيت الى ههنا لكنت أنا سرت اليك وأوريتك شيء ما رأيته من عقبة ولا من غيره ولكن المسيح أراحني من التعب والعنا وبعد قتلك سوف أسير الى عبد الوهاب وأذيقه أليم العذاب ثم تضربه مائة سوط حتى يشرف على التلاف وهو يقول والله انى وقعت عند قوم لا يرحمونى ولا يريدون لى حياة وكان بعض الأوقات يجد بعد الضرب راحة فيذكر الملكة نورى وينظر حاله وما هو فيه فينوح من فؤاد مجروح وينشد الأشعار ويبكى بالدموع الغزار ومن جملة ما قال هذه الأبيات

وصل الحبيب تشوقى وجنانى   لما تمكن مهجتى نيرانى
يا ما لقيت من الغرام واننى   من حب نورى بت فى أحزانى
ولقد صبرت على الهوان بعينه   من فرط ما قد نابنى ودهانى
لولاك ما نفذت مناصب عقبة   فى ولا ملك العدو عنانى
لولاك ما أمسيت فى أيدى العدا   متشتتا وغريب عن أوطانى
وهجرت جمع أقاربى وأحبتى   وجماعه الإخوان والخلان
كل الذى لاقيته من أجلكى   سهل ولاصعب سوى الهجران

(قال الراوى) وكان طول ليلته يهدش بذكر نورى وكان يقعد يوم ويومين من غير قوت وتنزل له أم دهرشوم بالنخال معجون بعكار الزيت وتقول له ياشيطان لو كان الأمر لى أنا ماكنت أطعمتك لا قليل ولا كثير فيقول الأمير أبو محمد البطال لا ستر الله عليك يامقطوعه النخاع وأقام البطال عند أشوما على ذلك الحالى يقاسى الضر والعيش المر فهذا ماكان من أمر البطال (وأما ماكان) من أحوال الثغور فان الأخبار وصلت الى الامير عبد الوهاب أن البطال أسر ومعه جماعة من أصحابه وقتل أربعمائة من الأكراد بحيلة تمت عليه عند تل الثعالب لكن ما يعلم من أين دهى فقال والله أنا سمعت لأنه ملك آمد بالحيله وصار له ستين ألف من الأكراد والسودان وماكنت أنام الليل من خوفى وفزعى منه وإذا كان أسر أمنت جانبه ومن حيله ومكره وغدره وكنت معول إذا لقيته مكنت منه الحسام فقالت الأميرة والله ياولدى سرتنى بأسره لأنه تكلم فى عرضى بكل قبيح وكان سبب كلام الأمير أن عقبه كتب كتاب وأرسله للاميره عن لسان البطال يذكر فيه الذى نعلم به الأسود الذنيم والوغد اللئيم الذى وقع عليه الحكومات فى البيت الحرام وأمه العاهرة التى زنت به من مرزوق وكان أبوه الحارث الذى كفر وارتد هل كنت أستأهل منه أن يأخذ منى جاريه روميه ولكن من كان خسيس كان طبعه خبيث ولا بد لى من صلبه على برج آمد وبعده أمه العاهره وكان ذلك الملعون بالغ فى المقابحة وأتى برجل كردى وأخذه الى داره ثم أعطاه شيئا

من المال وخلع عليه خلعة وقال خذ هذا الكتاب اعطيه للامير وإذا قال لك فى كم يركب البطال قل له فى ستين ألف عناز وأرسل لك معى هذا الكتاب فأخذ الكردى الكتاب أوصله للأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وكانت الأميرة قبل ذلك اجتمعت بولدها وقالت ياولدى لقد دخلت عليكم العين وفارقت أخيك خصوصا وقد صار معه ميمون الجماس ومعه أربعة آلاف من السودان وهذا كله من أجل تلك الجارية الرومية لاجعل الله فيها بركة ارسل ياولدى اليه واعطيها له وارجعوا على ماكنتم عليه من حسن الوداد فقال الأمير والله لقد قلتى الصواب (قال الراوى) وهم فى الكتاب وإذا بالكردى دخل بالكتاب الذى زوره عقبه على البطال وسلمه للامير فلما قراه وعرف معناه قامت عليه القيامه وزاغت فى أم رأسه مقل عيناه فقالت الأميرة ماالذى جرى ياولدى فقال لها خذى أنظرى ذلك الكتاب الذى أرسله البطال وما فيه من قبيح الكلام الذى لا يذكر فأخذته الأميره وقرأته فقامت عليها القيامة وقالت ماكنت أستاهل من البطال كل هذا المقال فبعد ذلك بأيام سمعت الأميرة بأسر البطال قالت لولدها ياولدى ارسل من عندك جماعة من أمراء العرب ومعهم شيء من الهدايا والخلع وأرسلهم الى ميمون الجماس حتى أنهم يترضوه ويطيبوا قلبه لعله يرجع الى الطاعة ويصير مع عسكرك ويسند ظهرك لأنه من الشجعان وأيضا معه الأربعة آلاف أسود وكأنك بالرشيد وقد سار اليك بالعساكر والكتائب والمواكب فقال الامير نعم الرأى لأن هذا فيه صواب لانى إن صالحت ميمون صارت آمد فى يدى ونجعل فيها الاموال والعيال وتكون لنا الى الابد (قال الراوى) ثم انه كتب الى ميمون الجماس يقول فيه بعد والسلام والتحيه والاكرام الذى نعلم به الاخ الشقيق وماهو عندنا بمنزلة العبد بل كان عندنا قريب فأصبح عنا بعيد أما بعد أما آن لذلك الغضب أن يزول وقد علمت أنك عندى أعز من الولد ومالى على فراقك صبر ولا جلد وما أملت أن يكون هذا منك طول الأبد وان الذى غضبت من أجله قد أصيب وأنت الى قلبي أجل حبيب وإن أبو محمد ماهو أقرب اليك منى لانك ماعرفته وعرفت غيره الامنى وأنا أولى بك من كل أحد وأنت أولى بى من كل من على وجه الأرض فاذا قرأت هذا الكتاب بادر إلى الطاعه وأنت مقيم مكانك مقدم على فرسانك وعساكرك وأعوانك وقد أمرناك على من عندك من الكتائب والمواكب ومهما احتجت من العساكر أو من الاموال فأنا أرسله اليك حتى تعلو شوكتك واعلم أنه لو كان ولدى ضيغم مضى عنى

ما وجدت لفقده مثل ما وجدت لفقدك وغيبتك وقد أرسلت اليك مع حامل الكتاب عشرين ألف دينار ومائة خلعة برسم المقدمين الذين عندك (قال الرواى) ثم ادعى بالأمير مالك بن بشر الأقطع وضم اليه مائه فارس من مقدمين بنى عامر وكلاب وأعطاه عشرين ألف دينار والكتاب وأيضا الخلع الغوال وقال له يابن العم أنا ما جعلتك رسول إلا أنك تدرى ماتقول من حسن رأيك والمعقول ولعل الله تعالى أن يجعل فتح آمد على يديك (قال الراوى) ياساده ياكرام وسار مالك بن بشر رضى الله عنه بمن معه من الفرسان حتى وصل إلى آمد وكان ميمون الجماس قدوصلته اليه الأخبار بما وقع للبطال ومن قتل من الذين كانوا معه من الرجال فورد على قلبه ما لم يرد على قلب بشر وكاد فؤاده أن ينفطر وقال لقد صدق الحكيم فيما قال عند الأفراح تحدث الأتراح فقالوا له قومه على ماذا عولت أن تفعل قال عولت على انى أقيم حتى تنكشف الأخبار عن أبى محمد البطال فان كان سالم أعمل على خلاصه ولو دخلت بلاد الروم بسببه وأقيم فيها الى أن أملك وأظفر بالمراد وأن فقد فأنا ألبس من أجله السواد والحداد ولا أرجع بعده الى طاعة عبد الوهاب أبدا لأن ما كان سبب هلاكه الا هو لانه تعدى عليه وأخذ منه جارية روميه ومن سببها كانت تلك الرزيه (قال الراوى) فهو كذلك واذا بالبوابين دخلوا عليه وقالوا يامولانا قد ورد علينا مائة فارس كأنهم الليوث العوابس ومعهم رجل مقطوع اليد الشمال الاأنه عليه هيبة ووقار وهو حلو الكلام فصيح اللسان يذكر أنه اليك رسول من عند الامير عبد الوهاب سيد بنى عامر وبنى كلاب فلما سمع ميمون الجماس ذلك المقال انقلبت فى أم رأسه مقل عينيه وانقلب سواده الى بياض وقال يظن عبد الوهاب انى أعود الى الطاعه ولا أقيم على عهد البطال فى حياته وفى مماته فوالله لو طلب منى حجر من حجارة أمد ما مكنته منه ولا وصل اليه ولولا أنه قبيح على أن أرد الرسول قبل أن أسمع منه ما يقول ماكنت مكنته من الدخول ولكن أمضوا اليهم وخذا ما معهم من العدد والسلاح وأتونى بهم فلم تكن الاساعة كطرقة الطارقه حتى دخل مالك على ميمون الجماس فوجده جالس فى دست المملكة والرجال والابطال بين يديه قيام وأيديهم على قوائم سيوفهم وميمون جالس متعبس عبسة الملوك ولكن تلقى مالك ملتقى حسن لما يعرف من دينه ومنزلته وقال فيما ذا أتيت أيها الامير فأخرج الكتاب وقدم اليه الاموال وهى عشرين ألف دينار ما هى قليل فأخذ كتاب الامير وقرأه وعرف رموزه ومعناه فلما أتى إلى آخره قامت عيناه فى أم رأسه وانزعج سائر حواسه وقال والله ان هذه الجارية نورى

ما خلت فى عقل عبد الوهاب لا قليل ولا كثير وهو يريد أن نسلم اليه آمد فو الله لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كاس الردى فان سلم الامير أبو محمد الذى أخذها من كركر بن غشم فالبلد بلده وأنا من بعض غلمانه وجنده وان كانت الاخرى وفقد الامير فأنا أحق بها من كل أحد وأطلب نورى لنفسى لأنى ما تركتها إلا لاجل البطال كونى رأيته من أجلها فى نار الاشتعال (قال الراوى) فلما سمع مالك بن بشر ذلك المقال قال لميمون معلوم انك ما عرفت البطال إلا من الامير عبد الوهاب فما يكون عندك البطال أحسن من الامير عبد الوهاب فقال ميمون اسكت يامالك اسكت ماقتل البطال إلا عبد الوهاب ولا بد لى أن آخذ تار البطال من عبد الوهاب وأصلبه على آمد فلما
رأى مالك انزعاج ميمون وقد احمرت عيناه لين الكلام بين يداه ولاطفه فما لان
أبدا بل صاح فيمن حوله من الرجال وقال خذوا هذا المال الذى أتانا
استعينوا به على القتال وأيضا الخيل التى تحتهم العربيه خذوها
واعطوهم عوضا أجاديش روميه فأنا ما أحسن أقاتل
إلا على الخيل الجياد فقالوا بنى عامر وكلاب
الذين أتوا مع الملوك صدقت أيها
الامير لانك من أولاد
العربيـات تحب
الخيل الطيبات

(تم الجزء الخامس عشر ويليه السادس عشر)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

﴿ أكبر تاريخ للعرب ﴾

وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة الجمالية الحديثة
شارع المعز لدين الله حارة الطواقى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فضحك ميمون من كلامهم إلى أن استلق على قفاه وقال دعنى أكون من أولاد العربيات أو من أولاد السلميات والله ما تمضى معكم خيولكم وإن أكثرتم كلامكم لا أعطيكم أجاديش ولا حمير بل تمضون إلى أميركم رجاله مشاه ثم صاح على رجاله اخرجوهم من قدامى وإلا ضربت رقابهم (قال الراوى) فأخرجوهم بعد ما أخذوا خيولهم وملبوسهم وأعطاهم أجاديش والله ما يصلحوا إلا للطواحين فقالوا لاستر الله عليك ياميمون ما كأنك جمعت هؤلاء إلا من الخرايب ونحن إذا ركبناها ما نصل إلى ملطيه إلا بعد شهرين أو أكثر إن سلموا من الموت ثم سار الأمير مالك ومن معه فى تلك الحالة الرديه إلى أن وصلوا إلى ملطيه والخيل التى تحتهم مثل الكلاب وأكثرهم قد مات فلقاهم الأمير عبد الوهاب على تلك الحالة الشنيعة فقال ما حالكم وما الذى أصابكم فقالوا أيها الأمير ما أرسلتنا إلى واحد أخذ منا كل فرس يسوى مائة دينار وأعطانا عوضها براذين كل برذون يسوى فنتار ثم أعاد عليه مالك بن بشر القصة من أولها إلى آخرها فتعجب الأمير مما جرى وكيف أخذ المال وفعل ما فعل بالرجال وقال لهم هذا لم يكن لنا على بال ولا فى حساب وما فى الأمر إلا أن أسير إلى ذلك الشيطان من قبل أن يأتينى الإمام واعتمد على آمد لأنها معمرة البلاد فقالت الأميرة يا ولدى إن سرت إليها فما تقدر عليها ولو أن فيها العوام فكيف وفيها ميمون وستين ألف أكراد وسودان وأنت تعرفهم ولا تنكرهم فقال الأمير لابد لى من المسير إليها وأنا أقدر من أبى محمد عليها فقالت الأميرة يا ولدى الأمر بعد ذلك

إليك وأنا أحذرك أن تغفل عن نورى تؤخذ من تحت يدك وتندم حيث لا ينفعك الندم فقال لها ومن يأخذ نورى من تحت قبضتى وحوزتى قالت يا ولدى الذى أخذ أبو محمد البطال وهو أوحد الزمان وبالله أقسم ما فعل تلك الفعلة إلا الملعون عقبة وما مضى إلا وأنا خائفة منه أن يدبر عليها ويأخذها من يدك وتبقى حسرتها فى قلبك فالزم ناموسك واكتم خبرك حتى تعلم عقبة فى أى المواضع فإذا علمت هو فى أى البلاد مقيم فارحل إلى أى مكان أردت (قال الراوى) فقبل رأيها ورجع عن ما عزم عليه فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من ميمون الجاس فانه عظم عليه فقد البطال وأحضر غلمانه وقال لهم لم لا تدخلون بلاد الروم وتأخذون خبر سيدكم إن كان سالم وتعملون على خلاصه وإن كان غير ذلك أرسلوا اعلمونى حتى أننى أدخل إلى بلاد الروم فى هذه الستين ألف فارس الذين عندى فقالوا له غلمان البطال السمع والطاعة إنما كان تعويقنا عن المسير وعن كشف خبره إلا كوننا ننظر ما فى نيتك أن تفعل ثم إن غلمان البطال ساروا وكانوا أربعة يانس ولؤلؤ وسبك وبديع ودخلوا إلى بلاد الروم متوكلين على الحى القيوم (وأما البطال) فانه بقى فى تلك القيود إلى أن صار كرق الخلال من كثرة الضرب وقلة الأكل وفرط الشوق ولوعة الغرام وشماتة الأعداء والحساد وقعاده مع الضد وفى بعض الأمثال ضرب القد ولا مقارنة الضد لأن شومدرس كان فى كل يوم وليلة يهدده بقدوم عقبة ويقول له لابد ما يأتى ويصلبك والبطال كلما يسمع ذلك يقول فى نفسه والله إن وصل الملعون إلى ههنا ليكونن سبب هلاكى لا محالة وأقام فى ذلك الضر والعيش المر وأما عقبة لعنه الله فانه كان فى شحشاط فى قرية خربة بقرب ملطية عند رجل يقال له عبد المسيح الأرمنى وكان يقارض عقبة له عنده مائة ألف دينار من الذهب فأرسل خلف أقوام يسرقون الملكة نورى وكانوا نصارى فساروا إليها ولم يقدروا على ذلك فلما أعياهم الأمر قال ما لهذا الحال إلا أنا وما لها إلا بذل المال ثم إنه دعا بعشرة من الأرمن وضمن لكل واحد ألف دينار وطلب منهم نورى فقالوا له طب نفساً وقر عيناً نحن ننقب الدار التى هى فيها ونأتى بها الليلة لمن كان لها خاطر للهرب وهى على دين المسيح ولا تغيرت عنه فقال عقبة هذه العشرة آلاف منى أنا معجلة ولكم من الملك مثلها وينالكم من المسيح الأجر والثواب وأنا أدبركم فى أمر تنالون به ما تريدون من غير تعب ولا نصب فقالوا له وما الذى تشير به علينا قال لهم عقبة تأخذون معكم بضائع من زيت وعسل ودقيق وتمضون إلى ملطيه فاذا دخلتموها انزلوا بقرب

دار الأمير عبد الوهاب الذى فيها نورى وهى دار الضيافة القديمة فاذا منعوكم من النزول فقولوا نحن ما نزلنا ههنا بقرب دار الأمير إلا حتى لا يأخذ منا أحد شيأ بغير اختيارنا فاذا نزلتم فى ذلك الموضع وقر قراركم اطلقوا أيديكم فى البيع واصبروا إلى أن يأنسوا الناس إليكم وتعرفوا المكان التى هى فيه خذوا معكم هذا الكتاب أعطوه للبواب وأعطاره شيء من البضائع التى معكم حتى أنه يوصل الكتاب إلى الملكة نورى وإذا وصل إليها تعمل بما فيه لأنكم لا تقدرون على الوصول إليها ثم وصف لهم صفة البواب أنه رجل شيخ أرمنى فقالوا سمعا وطاعة وساروا إلى أن وصلوا إلى ملطيه ومعهم أو فى بضاعة ونزلوا بقرب دار الأمير عبد الوهاب فقالوا لهم الغلمان لا تنزلوا ههنا فهذه دار الأمير عبد الوهاب فقالوا حفظه الله وهذا الذى نريد حتى لا يطمع فينا طامع فسكتوا عنهم الغلمان ثم إنهم لما نزلوا أخذوا بعض شيء من العسل والزيت وأتوا إلى البواب وقالوا يا شيخ اعلم أنه قابلنا رجل فى طريقنا وصفته كذا وكذا ودفع لنا كتاب وقال لنا سلموا هذا الكتاب والزيت والعسل للبواب الذى على دار الأمير عبد الوهاب ومهما طلب منكم أعطوه فشكرهم البواب على ذلك وأخذ منهم الزيت والعسل والكتاب وقال هذا الكتاب يصل إلى نورى قالوا نعم سمعناه يقول يصل إلى جارية اسمها نورى فقال البواب غداة غد آتيكم منها بالجواب ثم إن البواب أخذ الكتاب أوصله إلى نورى فأخذته ونظرت ما فيه فتلتقيه من عند الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى أعلم به الملكة نورى إن البطال وقع فى قبضتى وقد سار إلى القسطنطونية ومعه مائة من المسلمين ومهما عملتى نلتى به الثواب من السيد المسيح وسوف يحسن خلاصك فاذا وقعتى على هذا الكتاب فسارعى بالخروج من ملطيه إلى ظاهرها فقد تهيئت لك أقوام من الأرمن برسم خلاصك ولا تشغلى قلبكى من أجل الدملج فانى أخذته من البطال لما أسرته فى تل الثعالب فاذا نزلتى من الصور مع الأرمن يلقاكى مائة فارس معهم الخيل والجنايب والعدد والسلاح وأنا قد سمعت عنكى أن ما فى بلاد اليونان أشجع منكى ولا أفرس فاركبى على ظهر الجواد والبسى الحديد والزرد النضيد ثم اطلبى درب الروم فما تصلى إلى درب الحجل إلا ويلقاكى عسكر آخر (قال الراوى) ثم ان نورى لما قرأت الكتاب وعلمت ما فيه من الخطاب قالت ما هذا الرجل إلا شديد فى الدين واليقين ولا شك إلا أنه خليفة الحواريين ولقد أولانى من الجميل مالا أقدر عليه بمكافأة ولئن وصلت إلى الملك منويل لأجعلن هذا

الرجل حكمه مثل حكمه وأمره مثل أمره فى بلاد الروم جمعا (قال الراوى) ثم قالت للبواب قل لمن أتوك بالجواب يعودون هنا ليلة غد فخرج البواب وأعلمهم بذلك ففرحوا وأطلقوا أيديهم فى بيع البضائع وأقاموا ينتظروا الليلة الثانية وكانت نورى تقول للأمير عبدالوهاب إذا أراد أن يبات فى الدار التى هى فيها وحق المسيح والمذبح والذبيح لأن رقدت ههنا لأقتلن روحى ولا تلتفع بى لا أنت ولا غيرك فما كان يقدر يخالفها من محبته لها وكان يبات عند علوى ليلة وعندها ليلة بحيث أنه لا يقربها ولا ينال منها غير النظر وهو يذل لها ويخضع وهى ما تزداد إلا قساوة وجفاء وان بعض الجوار قالت للأمير عبد الوهاب فى بعض الأوقات يا مولانا إلى كم تخضع إلى هذه الجارية وإلى متى فقال لها الأمير أما قال الشاعر اللبيب العارف الأديب

اخضع إذا عز من تهواه وذل له ٭ فعز أهل الهوى يوما إذا خضعوا

والقائل يقول

أذل لمن أهوى لا كسب عزة ٭ وكم عزة قد نالها المرء بالذل

إذا كان من تهوى عزيزا ولم تكن ٭ ذليلا له فاقرى السلام على الوصل

(قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب معها على تلك الحالة إلى أن كانت الليلة التى أوعدت القوم فيها بالخروج صبرت إلى أن نامت الجوار التى عندها فى الدار وأتت إلى عند البواب وجدته نائم فأخذت عمامته من على رأسه وشدت بها يديه على رجليه ووضعت الاكره فى فمه حتى لا يصيح وفتحت الباب فوجدت الرجال قيام فى انتظارها فسارت إلى الأصوار التى للبلد فوجدت الحارس يصيح فقالت للذين معها تمهلوا ثم صعدت إلى البرج بنفسها فلم يشعر الحارس إلا وهى قد قبضت على حلقه وعصرت عليه ففارقت روحه بدنه وأشارت إلى الرجال فصعدوا إليها وقد فرحوا بفعالها وشدوا الحبال فى بعض الشراريف وانحدروا واحد بعد واحد فما فارقوا أصوار البلد غير قليل وإذا هم بمائة فارس من العرب المتنصرة من أصحاب حرب ابن شيبان وكانوا عند عقبه أعاقهم عنده هذه المدة لأجل هذه الأمور فأخذوا الملكة نورى وساروا بها بعد أن ركبت على جواد من الخيل الجياد وسارت فى ظلام الليل ولبست عدة كاملة وصمصامه فاصله وقالت الآن وحق المسيح لو تبعنى كل من فى ملطيه لكنت بهم مليه وبحربهم وفيه وأبيدهم عن آخرهم وقد ذكرنا فيما تقدم ما فيها من الشجاعة والقوه والبراعه وسارت بمن معها من الفرسان إلى أن وصلت إلى وادى الفيون وقد لقيها الكلب الأكلب عقبه بن مصعب

ومعه غلامه وكانوا هناك مكمنين فلما سمع حسن وقع حوافر الخيل وقعقعة اللجم وهمهمة الأبطال خرج من الـكمين وقال لهم لما رآهم وعرفهم ظفرتم بالمراد قالوا نعم وهموا يقبلوا يديه ورجليه وترجلت نورى إليه وقالت له سوف أجازيك على فعالك فقال سيروا بنا ما دام الليل باقى وأرادوا أن يركبوا على ظهور الخيل وكان الوقت قرب طلوع الفجر وإذا بهم يسمعوا من بين أيديهم همهمه كهمهمة الأسد إذا خرج من الغاب فمدوا أعينهم ينظروا ما الخبر وإذا هم بفارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو قد نزل من على ظهر جواده واقتعد حزامه وعدة جلاده وثره إلى لعب بقوائمه على الأرض وبعد ذلك وثب من على الأرض كأنه العقاب وصار على سرجه من غير أن يضع رجله فى الركاب والقوم قد طمعوا فيه لوحدته وأما القاضى عقبة فانه بحلق عينه الصحيحه وحقق فى الفارس وإذا بها الأميرة ذات الهمة (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى وصول الأميره إلى ذلك المكان سبب عجيب وذلك ان فى رأس الجبل مسجد يقال له مسجد الرسول وفضيلة ذلك المسجد إذا اشتاق أحد إلى أحد إلى رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم واشتهى أن ينظره يحمل شيأ من النذور إلى ذلك المسجد ويكون ذلك اليوم صائم ويكون يوم الخميس بليلة الجمعة ولا يفطر فى تلك الليلة بل يصلى حتى يغلب على عينيه الكرى وينادى بعد كل ركعتين يا رسول الله أنا مشتاق إلى نظرك فاذا غلب عليه النوم يرى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له أيها المشتاق إلى التمتع بالنظر إلى فانى فى الدنيا أحب من يحبنى ويكثر من الصلاة على وفى الآخرة أكون شفيعه وذلك المسجد له ذكر شائع فى كل البلاد وهو إلى تاريخ يومنا هذا إلى أن تقوم الساعة وتأتى إليه الزائرين من أقصى بلاد العجم وكانت الأميرة ذات الهمة دائما كل يوم تزور مالك ابن بشر الأقطع فدخلت عليه يوم من بعض الأيام فوجدته يبكى فقالت له ما أبكاك لا أبكى الله عيناك فقال أيتها الأميره ما بكائى إلا خوفا من الله وشوقا منى إلى النبى صلى الله عليه وسلم لأنى كنت كلما زاد شوقى إليه أدخل إلى حجرته الشريفة فأكون كأنى رأيته بعينى فبكت الأميرة من كلام مالك وقالت يا مالك عندنا مسجد وهو منا على مسيرة خمس فراسخ يقال له مسجد الرسول وفضائله ما هو كذا وكذا وأعادت عليه الحديث فقال مالك اريد المسير إليه لعلى أن أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فركبت الأميره ومالك واخذت معها غلامها مفلح لا غير وأخذت ضيغم غلام الأمير عبد الوهاب ووصلوا إلى المسجد ومكثوا يعبدون الله فيه خمسة ايام وبعد ذلك قالت الأميرة لمالك

ما تعول بنا على العودة إلى ملطيه فقال مالك ما بقى لى حاجة فى ملطيه ولا فى غيرها ولا بقيت أخرج من هذا المكان إلى ان ألقى الله ولكن إن تيسر غزاة ارسلوا لى علم خبر وأنا مقيم ههنا إلى ان يدركنى الحمام فقالت الاميره لا أمنعك من ذلك وها أنا ماضية إلى ملطيه وأرسل لك ما تحتاج إليه من مؤنة وكسوة وقناديل فقال لها ان هذا المكان ما يحتاج إلى ضياء لان ضياء أصحابه كما قال القائل فى مثل ذلك المعنى

ان بيتا أنت ساكنه * غير محتاج إلى السرج
وعليلا أنت زائره * قد أتاه الله بالفرج

(قال الراوى) فودعته الاميره وأخذت ضيغم وغلامها مفلح وسارت فقال ضيغم يا ستاه أنا أريد أن أتصيد وآخذ على ذلك الطريق إلى مرج الغزلان أصطاد باقى نهارى وأعود فقالت له افعل ما بدا لك فمضى ضيغم وأخذ معه مفلح غلام الاميره وسار وانحدرت الاميره إلى بطن الوادى فما نزلت حتى بان لها أشباح فقربت منهم فرأت المائة والعشرة الارمن والملكة نورى وهى تعرف شجاعتها وبراعتها ولما ان عرفت تلك الاحوال نزلت عن جوادها وشدته وافتقدت عدة جلادها (قال الراوى) هذا وعقبة لما عرفها وحقق أنها الاميره ذات الهمه كادت مرارته ان تنفطر وقال الرجال يا ويلكم هذه أم الاسود نسل الاوغاد فان ظفرتم بها نلتم المراد وبلغتم مسرة الفؤاد فقالت نورى سوف ترى يا شيخ منى ومنها العجب ثم انهم أطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة وصاحوا عليها صيحة واحدة أين تأخذين يا شوم الزمان وحلابة الالبان لقد دنا بوارك ودمارك والبلاء قد أتاك سلمى نفسك لا أم لك فلما سمعت الاميره مقالهم قالت غير اليوم يا كلاب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعموديه سوف ترون اليوم ما يحل بكم من أم الاشبال العامرية ثم انها صاحت وحملت وتلقتهم وصالت وجالت وقالت دونكم والمجال يا حزب الشيطان فحمل إليها فارس ووصل إليها وقال أنا أبو الموت المتنصر وضربها بالحسام فخرجت من تحته وعطفت عليه بضربة عامريه أطاحت رأسه من على بدنه وحمل عليها ثانى أهلكته وثالث دمرته ولم تزل كذلك حتى أهلكت عشرين ونظر الباقين وقد نزل عليهم العذاب الاليم فرموا أرواحهم عليها وجعلت تجول وتصول وخافت على نورى ان تهرب فمسكت عليهم فم الطريق ورأس المضيق وهى تلتقط أرواحهم برأس السنان كما يلتقط الحب الحمام وهى كأنها الاسد الضرغام وقد أحدقوا بها كما يحدق البياض بالسواد وهى تضرب فى اعناقهم وتغوص فى أوساطهم وقد

ملكت عليهم رأس المكان وذلك خوفا لا تهرب نورى من بين أيديها وأشبعتهم طعنا وضربا وقطعت الاكف والمعاصم وأهلكت منهم أبطالهم وشجعانهم ولم ترى إلا دم مسفوح وقتيل على الأرض مطروح وجند بلا روح وباب الوادى غير مفتوح إلى أن ارتفع الغبار وغشى الأبصار وقد أهلكت الأميره منهم تمام السنين وكانت تقاتل نورى وتنعطف على غيرها من الرجال ولما ان زاد الأمر وهلكت منهم الأبطال هجمت على نورى من دون القوم وتحاربا وتضاربا وتجالدا وتباعدا والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وأجادا وضربا وطعنا وأوسعا لها ميدانا فما رأت الأبصار ولا شاهدت الحضار أحسن منها فى حومة الميدان وقد أخرجت نورى يدها من درعها وهى تلوح كأنها عامود نور فى لون القمر وأيضا فعلت الأميره كفعلها وكانت كأنها اللبوة إذا فقدت شبلها وزاد بينهما القتال وتأخرت عنهما الرجال وقل القيل والقال وهمهموا على بعضهم كأنهم ليوث فى دحال ولاح عليهم حمام الآجال إلى أن اختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة نورى حتى إذا وصل السنان إلى الأميره حادت عنه أسرع من البرق فمرت راجعة وقلبت سنان رمحها إلى وراءها كأنه قلم وطعنت نورى بعقبة فى صدرها ألقتها إلى الأرض كادت أن تقضى عليها وقالت ياخنا أو بلغ من قدرك ان تقاومى فى القتال أم المجاهدين المحامين لدين رب العالمين وانكبت عليها أخذتها أسيرة ووقفت على رأسها وتلقت الرجال بصدرها وإذا بغبرة قد ظهرت من نحو ملطيه وقد أقبلت وصراخ قد نما من عنان السما وظهرت نواصى الخيل كأنها قطع الليل وفى أوائلهم الأمير عبد الوهاب والأسد الغلاب والسيف القرضاب سيد الأعراب وهو كأنه أسد خرج من غاب الا انه عادم عقله وفاقد شبله وهو عادم العقل مذهول حتى أشرف على الأميره ونظر إلى من دار حولها من الفرسان فحمل على من تبقى شالوهم على أسنة الرماح ولم تكن إلا أقل من ساعة حتى تركوهم أبدان بلا جماجم وأكف بلا معاصم ولم يبق غير العشرة الأرمن وقد ضربوا منهم الرقاب بعد ما علموا أنها من عقبة الكذاب وقد أخذوا الاسلاب والخيل ورأى نورى وهى جالسة خجلانه والاميره واقفة على رأسها والسيف فى يدها مشهور فتقدم إليها وهناها بالسلامه فقالت له أطلق الخيل فى طلب عدو الله عقبة فانه كان معهم وهرب فعسى ان يظفرون به ففرق الامير الخيل فى طلبه إلى سائر الجهات وأخذ الاميره والخيل والاسلاب ونورى ورجع إلى ملطيه وهو ينظر

إلى نوري وهي لا تلتفت إليه وقد زاد بها البلاء إلى أن أدخلوها إلى الدار التي كانت فيها أول فقالت الاميره يا ولدي قم خذ السيف وادخل عليها واضربها صفح لعل ان تكسر نفسها فقد زادت محبتك فيها حتى انك اشتغلت بها عن مصالح المسلمين أما سمعت يا ولدي ما ورد في الخبر أن الله إذا بغض عبدا ابتلاه بمحبة مخلوق مثله فلما سمع الامير كلام أمه جرد السيف ودخل على نوري فلما دخل على نوري ورأته قالت له يا اسود وحق المسيح والمذبح والذبيح لئن دنوت مني لأقتلن روحي ولا تنال مني ما تريد ثم انها بكت ولطمت على وجهها إلى ان احمرت منها الخدود وتوردت منها الوجنات وبرزت النهود وغزلت العيون السود وتقوس حاجبها فلما نظر الامير إلى ذلك ارتخت يداه وأشرفت على فناه ورمى السيف من يده وقال لها لا تفعلي بنفسك هذه الفعال يا روحي التي بين الجنبين ويا نور العين فأنا لا أدنو إليكي إلا باختيارك وخرج إلى الاميره وهو لا يدري ما يفعل وإذا بفارس قد أقبل من الخيل الذين كانوا وراء عقبة وقال يا مولانا ظعنا البر جميعا فما وجدنا أحد إلا ولدك ضيغم وغلام الاميره مفلح وكانوا يتصيدوا وهاهم خلفنا واصلين ولما وصل ولده سأله هل رأى أحد فقال والله ما رأيت أحد فقال الامير ما عقبة إلا شيطان في صورة إنسان ثم وكل بالغد مائة وخمسين بالليل وخمسين بالنهار (قال الراوي) فهذا ما كان من الامير * وأما ما كان من سبب هروب عقبة فانه من أول ما رأى الاميره وقد أشرفت وحملت على العرب قال لغلامه أطلب بنا النجاة فقال يا مولاي وهل هي إلا امرأة ونحن في ذلك الجمع الكثير فقال له إمشي وخلي عنك الفضول فأنا أعرف منها ما لا يعرفه غيري وسار هو وغلامه في أماكن ما تسلكها الجن ولا تهدي إليها إلى أن وصلوا إلى مكان يأمنون فقال الملعون لغلامه اقعد بنا ههنا فان كانت النصرة لهم نكون قد نجونا بأنفسنا ولما كان آخر النهار قال عقبة لغلامه يا ظاهر امضي واكشف الخبر فمضى من عند مولاه وأشرف على مكان الوقعة فوجد الديار بلاقع والاجساد بلا رؤس وقد عدمت منهم النفوس ومن حولهم الدياب تعوي والطير قلع منهم العيون فقال لقد كان الصواب مع أستاذي ولو سمع مني ما قلت لكنت من الهالكين ثم انه ولى إلى عند أستاذه من وراء الجبل في بطن الوادي فقال له ما الخبر فقال يا مولاي الكل شربوا شراب العطب وساء بهم المنقلب فبكى عقبة وقال وافضيحتاه من المسيح أنا كنت سبب موتهم ولكن ما هي لي بالاولى وأقل ما قتلت مائة ألف أو يزيدون في هذه السنة وان طول

المسيح عمرى سوف أخرب بلاد الروم وبلاد الإسلام وبعد ذلك طالب بلاد القسطنطونية (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا جرى هاهنا وأما ما كان من غلمان أبو محمد البطال وهم لؤلؤ وسبك ويانس وبديع فانهم لما خرجوا من آمد وتوصلوا إلى القسطنطونية اجتمعوا بمارس وقالوا له ما عندك من أخبار مولانا أبا محمد البطال هل هو فى قيد الحياة أم لا فقال انه فى قيد الحياة ولكن الموت له راحة مما هو فيه والله العظيم انى حرصت على خلاصه فلم قدرت على ذلك لأنه فى قبضة أخبث أهل الأرض وهو الراهب شومدرس وولده وزوجته فقالوا غلمان البطال لقد وقع سيدنا بواد غير ذى زرع لأن شوما ما يخفى عليها أمرنا فقال لؤلؤ إذا كان لنا من يعرفنا إذا ميزنا ننزل عليهم بالليل يكون أصوب لنا فقال مارس اعلموا ان والده ينام كل ليلة فى الكنيسة وما فى الدار إلا شوما وشومدس وغلمانه فقال لؤلؤ والله لو يكن عنده مائة غلام لا بد لى أن أرمى روحى عليهم وأخلص مولاى أبا محمد منهم فقال مارس قلنا إنك تقدر ترمى روحك عليهم لكن المكان حيطانه عاليه وهو أملس ولا يقدر أحدا فيها يتسلق لأنه مكان مبنى بالحجر السكرى المعدنى والاسفيداج النقى ومشاقة الكتان وما لأحد عليه طريق ولا تسليق (قال الراوى) فقال لؤلؤ هذا أمر ما يعيقنى عن طلبى وما أريد منك إلا واحد يورينى المكان فقال مارس أنا لا بد لى أن أعاونك بروحى ومالى فقال لؤلؤ لا بد لى منه وبعد ذلك أنزل من الصور بالحبال ثم ان مارس أرسل واحد من غلمانه أخذ من البوابين المفاتيح وهو يقول نريد ندفعهم إلى الملك وأتى بهم إليه (قال الراوى) وأما غلمان البطال صبروا إلى الليل ووثب لؤلؤ ومن معه وأخذ معه غلام مارس وكان يقال له توما وكان أسلم مع مولاه فسار قدامهم إلى أن أوقفهم على الباب فنظر لؤلؤ إلى المكان فرآه حصين والباب محصن فاخرج لؤلؤ المزود من عنقه وأخرج منه سلم حريرا بريسم وسكك حديد تضرب فى الأرض وميز المكان بمعرفته فرأى إلى شباك حديد إلا أنه عالى فطوى السلم على يديه ونتره إلى فوق فتعلقت الكلاليب فى الشباك ودق السكك فى الأرض وصعد لؤلؤ صار على سطح الدار وطل من البادهنج فرأى شومدرس نائم من فوق السرير وغلمانه من حواليه وشوما إلى ناحية عنهم كأنها القطربه فأخرج لؤلؤ حبل ثانى برسم النزول لأنهم اثنين واحد للطلوع والآخر للنزول ولما صار معهم فى ا الدار لم يلبثدون أن بنجهم وأخرج من وسطه خنجر أمضا من القضا وأحد من البلى وهم ان يذبح شو مدرس استعقب رأيه وقال

لا بد من حمله إلى المسلمين لأنه خطب عظيم (قال الراوى) وهو كذلك وإذا بالغلمان رفقاه صعدوا إليه وكان توما رجع إلى أستاذه فقال لهسيده ما الذى فعلوا الغلمان فقال يا مولاى صعدوا إلى الدار مثل للعقاب فضحك وتعجب وقال أرجو من الله أن ينجح أعمالهم ولا يخيب سعيهم (قال الراوى) وأما غلمان البطال لما صعدوا إلى لؤلؤ قالوا له ما انتظارك بذلك الملعون فقال دونكم وإياه فقبض سبك على حلقه وجعل الاكره فى فمه وشد يديه إلى رجليه وأتوا إلى شوما وهى على باب المطمورة كأنها ثعبان ارقط أو ذيب أمعط ففعلوا بها مثل ما فعلوا بشومدرس وبعد ذلك ذبحوا الغلمان ونزلوا إلى سيدهم فى المطمورة فلم يعرفهم بل أيقن بالعطب فنظروا إليه وقد بقى رق الخلال لأنه أسير ودنف وكثير الغرام فوقفوا على رأسه ساعة وهم يبكون وبعد ذلك عرفهم وجعل يتمثل ويقول

ما أظن الزمان يأتى بعزى * غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) فكان أول كلامه يا لؤلؤ هل معك خبر من الملكة نورى التى وقعت فى هذا البلاء من أجلها قال نعم يا مولاى وفى آمد حصلت وقد أراد ان يقوى قلبه فلما ان سمع البطال بذكر نورى وانها حصلت فى آمد قام قائما على الاقدام بعد ذلك قيده وفتحوا باب الدار وحملوا شومدرس وشوما على أكتافهم وعيونهم معصبين وقلعوا السلم وغلقوا الباب كما كان وأتوا إلى دار مارس وهو مثل الحبة على المقلا ولما أن نظرهم طار عقله وقال لهم يمكننى الليلة افتح الباب لئلا يقع عليكم الطلب والملك ما يقصر عن طلبكم ولا بد ان يكون لكم أين ما كنتم فى الطلب والامير أبو محمد ضعيف كما ترون والمطلوب ان تقيموا به ثلاثة أيام حتى ييأس الملك منكم وتسيرون إلى حال سبيلكم فقال أبو محمد هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم انهم أقاموا إلى الصباح وطلب الملك الراهب شومدرس وبعث غلمانه إلى الدار فوجدها مغلقه فلم يزالوا إلى أن فتحوها فوجدوا الرجال مطروحين وعلى الارض مجندلين فطلبوا الراهب شومدرس وزوجته شوما فما وجدوا لهم خبر فمضوا البطارقه وأعادوا على الملك النوبة فقامت عليه القيامة وقام بنفسه والملوك والبطارقة من حوله وأرباب دولته وساروا إلى تلك الدار ودخلها الملك منويل فوجد الغلمان مقتولين ولا لشومدرس خبر فقال اطلبوهم ثم ارسل إلى الرساتيق وركب الخيل من كل جانب ومكان لان الملك ما كان عنده فى منزلة شو مدرس احد لانه كان قد احتوى على قلبه بفهمه وعلمه وبجادلته وأنفذ الخيل فى طلبه وبقى على مقالى النار اليوم الاول

والثانى والثالث وعادت البطارقة خائبين ومن شـو مدرس آيسين فعظم ذلك على الملك وعلى الملوك أيضا ثم أحضروا الإنجيل وحلف الملك أربعين يمين لابد له من طلبه ولو خرج من ملكه هذا وإن البطال قال للحاجب مارس أيها الحاجب ما بقى إلا الرحيل فخرجوا فى آخر النهار فى زى بعض الملاحين والراهب والراهبة فى عدابن والاكر فى أفواههم إلى أن صاروا ظاهر القسطنطينية فجاءهم ثلاثة بغال من عند مارس وصندوقين فتركوا كل واحد فى صندوق وركب أبو محمد وسار فى الطرقات التى يعرفها ما يهتدى إليها الجن وجد البطال فى سيره إلى أن صاروا وقت الغروب نزل بهم إلى طريق عن يمينهم ثم أنزلهم إلى دار خراب وفيه آثار القلالى والصوامع وقام البطال يتمشى فى جانب الدير وقد وجد الراحة فهو كذلك وإذا بفارس وراجل قد أقبلوا من ناحية بلاد الإسلام وهم طالبين الدير المذكور حتى وصلوا إليه ونزلوا إلى عند بعض القلالى الخراب فقرب البطال منهم فعرفهم وإذا بأحدهم القاضى والآخر غلامه ظاهر وقد أقبلوا طالبين القسطنطينية وقد عدلو إلى ذلك الدير للمبيت (قال الراوى) فحين رآهم مير أبو محمد البطال عاد إلى غلمانه وهو الافرحان وقال لهم إنى أريد أن أحدثكم بحديث عجيب قالوا وما ذلك يا مولانا قال لهم ابشروا فقد جمع الله بينكم وبين القاضى عقبة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك منه تباشروا وفرحوا فقالوا له ومن معه فقال ما معه غير غلامه ظاهر لاغير وقد أتى فى ذلك الطريق حتى لا يلاقى أحد والذى خاف منه وقع فيه وسوف أقرنه بشو مدرس وغلامه ظاهر بشوما ويكونوا من عجائب الدهر فقالوا غلمانه دعنا نهجم عليهم فقال ما هذا صواب فلا تتعبوا أنفسكم بل اصبروا إلى أن يمسا المسا وتغفل العيون وافعلوا ما تريدون ففعلوا ذلك وصبروا إلى المساء ووثب البطال وغلمانه فلم يحس عقبة إلا وهم على صدره وعلى صـدر غلامه ظاهر وفى أيديهم الخناجر ولم يتكلموا إلا بديع فإنه قال بلسان الرومى ويلكم خذوهم فانهم مسلمين . فلما سمع عقبة ذلك ظن أنهم روم فقال يا ويلكم ما تعرفونى أنا الشيخ النجيح وحجة المسيح صاحب العدل النصيح والكف الذى غير شحيح فقال الأمير أحسلت والله مليح وأنا صديقك بالصريح أبو محمد البطال الصبيح فإلى متى يا قاضى عقبة تعاملنا بالقبيح فوالله لابد ما أشرحك تشريح ثم عمل الاكره فى فمه ولطم رأسه حتى طير نعاسه وخفقت أنفاسه ووضعه فى صندوق شو مدرس وفتح أفواههم وقال لهم تحذثوا حتى يطير عنكم النوم يا أشر القوم وترك غلام عقبة عند شوما وقال لها ياعجوز

النحس ان شو مدرس قد مات وهذا زوج جديد فابشرى بالشر المزيد والله لأسلخنكى من كعبكى إلى عنقكى لأجل ما كنتى تطعمينى النخالة المعجونة بعكرات الزيت فابشرى يا لعينة بخراب البيت (قال الراوى) ولما حصل عقبة عند الراهب شو مدرس فى الصندوق قال له وحق المسيح لقد قطعت ظهرى أيها الشيخ النجيح فأنا كنت أرجو أننى إذا كنت مأسور فى قبضة هذا الشيطان أن تخلصنى أنت بحسن توصلك وكثرة حيلك فقال عقبة لامفر من القضا والقدر ولا ينفع الحذر ما سلكت هذه الطريق إلا لعلمى أنه فى قبضتك وانه ما له سبيل إلى الخلاص والآن فاتم علينا أيشم منها طريق (قال الراوى) وعول الأمير أبو محمد على الرحيل وسار من وقته وساعته وقد بلغ المنا وظهر بالاعدا وجعل يقطع البيدا ويجد فى سيره ليلا ويكمن بالنهار حتى وصل إلى درب الوقعة ومن هناك يلتنى إلى بلاد الإسلام (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بغبار قد علا وثار وتقصطل ومار فقال البطال لغلمانه اعدلوا بنا إلى لحف هذا الجبل الذى قدامكم واخفوا أمركم وخذوا حذركم فان كانوا اصحاب عبد الوهاب الظالم الغاشم فلا نأمن منه لأنه يطلبنى كما أن الروم تطلبنى وأنا أعلم أنهم ما ناموا واطمأنوا إلا من يوم أسرت ثم ان الأمير أبو محمد البطال اختفى هو وغلمانه وصبروا إلى أن انكشف الغبار وبان من تحته جيش كبير وهم كلهم روم ونزلوا فى ذلك الوادى بحيث أن البطال ماله طريق إلا من عليهم فأرسل البطال غلامه لؤلؤ وقال له ياولدى انظر هؤلاء العساكر من أين وإلى أين فمضى لؤلؤ وغاب ساعة وعاد على عجل فقال البطال يالؤلؤ ماوراك قال يامولاى هذا حرب بن شيبان ومعه ألف فارس ومعه دهر شوم ساروا فى طلبك الى مسجد الرسول وعادوا خائبين ونزلوا فى ذلك المكان وعولوا الليلة على المنام (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك المقال قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبل على غلمانه وقال لهم ادخلوا إلى هذه المغائر إلى أن أعود إليكم ثم صاح على لؤلؤ وقال معكم شىء من العدة قالوا معنا كل ما نحتاج إليه إن شئت اللحى فهى حاصلة لحية راهب أو شماس أوقس أو مطران أو بطريق أو جاثليق بيضاء سوداء شقراء حمراء مصبوغة بالحنة مبارد عتل ترحه ماشوحه صليب زنار حاضر فقال لله درك يالؤلؤ هات مزود الحيل فناوله إليه وفك زرارته وأخرج منه لحية شقرة طويلة قدعلاها الشيب والصق عينه الواحد بدم القراد فانطبقت وكحل الأخرى بالكبريت فغلب على زرقتها الصفار وقوس ظهره حتى كأنه ابن ثمانين عام وجعل له على ظهره

خشبة مثل القتب وشدها بسيرين من تحت أبطه وأخذ فى يده عكاز أبنوس مقمع بنحاس وودع غلمانه بعد أن أوصاهم وقال لهم الحذر ثم الحذر أحداً منكم يظهر ثم فارقهم وصعد إلى أعلا الجبل ورفع صوته بقراءة الإنجيل فجاوبه الجبل والوادى من سائر الجهات (قال الراوى) ولما سمع دهرشوم إلى تلك القراءة هو ومن معه قالوا هذا راهب فى الجبل مرادى منكم واحد يصعد إليه ويسأله إن كان رأى فى سياحته الراهب شو مدرس أو أحداً مر عليه قال حرب نعم الرأى ثم إنهم أرسلوا من عندهم ثلاثة من العرب المتنصرة صعدوا إليه ووصلوا إلى الجبل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رآهم الأمير أبو محمد البطال أعرض عنهم وصار يكرر التلاوة فى الإنجيل ويجرى الدموع من عينه الصحيحة وما زال حتى أبكى العرب المتنصرة فقالوا يا أبونا لا تعرض عنا فان لنا عندك حاجة فقال لهم بالرومى وما حاجتكم يا أولادى قالوا نسألك عن أبو الشر الراهب شو مدرس ببركة المسيح فان البطال سرقه فقال البطال أنا لا أعرف ما تقولون ولا أعرف شو مدرس لأنى مشغول بروحى ولكن رأيته على ذلك الجبل وأشار بيده إلى جبل بعيد عنهم وقال قد مر بى من أول النهار أربع رجال وعليهم لباس الروم ومعهم راهب وراهبة وقد التجؤا إلى لحف ذلك الجبل البعيد وماجلسوا إلا بمقدار ثلاثة ساعات وقد وصل إليهم فوارس رماة ولا شك أنهم مسلمين وقالوا لهم سيروا بنا فقد أخذنا الشيخ النجيج لأنه كان سائر إلى الملك منويل فقابلناه وقبضناه فسمعت واحد منهم يقول يا لها من فرحة ما أكملها فقالوا له ثم تم ماذا يا راهب قال البطال رأيتهم أضافوا الشيخ النجيج إلى الأسارى الذين معهم وعزموا على المسير وإذا قد أقبل عليهم راجل كأنه الجواد العربى وهو يقول يا لؤلؤ كن مكانك أنت ومن معك إلى غداة غد ولا أحدا منكم ينزل من مكانه لأن حرب ابن شيبان ومعه ألف فارس ودهر شوم والقوم مكمنون قريبا منا وقد أعلمتكم مع أنى مشغول يا إخوانى بأحوال الآخرة عن الدنيا الساحرة والمسيح يقول كثرة الكلام تلقى صاحبها فى الحمام (قال الراوى) فلما سمعوا من البطال ذلك المقال قالوا له بارك لنا يا أبونا فبارك لهم وودعوه وساروا وهم يقولون ما أبركه من صباح ولما فارقوه رجع البطال إلى تلاوته فى الإنجيل ولما وصلت العرب المتنصرة إلى حرب ابن شيبان ودهرشوم رفعوا أصواتهم وهم يقولون البشارة ببلوغ المراد وقمع الاضداد فقالوا لهم ما الذى سمعتم فأعادوا على دهر شوم الخبر فكادت مرارته أن تنفطر فقال حرب ابن شيبان وما عسى أن يقدرون يفعلون

وهم مائة ونحن ألف ونادى فى أصحابه بالركوب وقال أدركوهم حتى تكون لكم اليد البيضاء عند الملك بخلاص الشيخ النجيح وشو مدرس وأخذ البطال لأن الشيخ عقبة كان معول على القدوم إلى الملك حتى يحضر قتلة البطال اركبوا بارك المسيح فيكم فقالوا نحن لانخاف لا من مائة ولا من ألف وما نخاف إلا أن يكون فيهم سيف الحنيفية فما كان أحدا منا يرجع إلى القسطنطينية فقال حرب طمنوا خاطركم من تلك القضية فان الخلق وقع بينهم من أجل نورى الفتن ولولا أنهم فزعوا منا ما كانوا كنوا بعيدا عنا فركبوا من ساعتهم ودهرشوم فى أوائلهم وهو طامع فى خلاص أبيه وأمه وساروا على عجل لما جاوزوا المغار التى فيها غلمان البطال وأبعدوا عنها انحدر البطال من ذروة الجبل وقال لأصحابه الرحيل هيا على عجل فقد أرحلتهم إلى أبعد مكان منا وكأنكم بالخيل وقد عادت إليكم فسألوه عن ذلك فقال ماهذا وقت سؤال ارحلوا فرحلوا وجعلوا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى جازوا الدروب (قال الراوى) وأما ما كان من حرب ابن شيذان فانه لما وصل إلى الجبل الذى أشار إليه البطال وفتشوا أعلاه وأسفله فما وجدوا فيه شىء فقال وحق المسيح خدعنا الراهب فى المقال وان الراهب الذى تذكروا عنه هذا المقال هو العيار المحتال أبامحمد البطال فعادوا راجعين إلى أن وصلوا إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الذى فوق الجبل فما وجدوا أحد فرجعوا إلى القسطنطينية خائبين (قال الراوى) وأما أبو محمد فانه طوى الارض طى بكرة وعشى حتى وصل إلى ملطيه وعرج على طريق آمد فما سار غير قليل حتى رأى الدنيا منقلبة من ناحية آمد من الغبار والقتام تزعزعت أقطار الفلا فقال لغلمانه ترى ما يكون ذلك العجاج قال لؤلؤ لعله ميمون الجماس يكون قد عزم على دخوله إلى بلاد الروم من أجلك لأنه كان فى مقالى النار بسبب غيبتك فقال البطال هذا غبار عسكر جرار أقل ما يكون أربعمائة ألف أو يزيدون فانظروا من يكشف لنا الخبر فقال لؤلؤ أنا يامولاى سر على بركة الله ورسوله لأنك معدود لكل شدة فقال سمعا وطاعة يا مولاى وسار من وقته وساعته (قال الراوى) هذا والبطال أوى إلى قرية فيها قوم نصارى من العرب وهو على غاية عن الوجل من ذلك الغبار الذى قد سد الأفق وخاف على آمد لا يكون قد تم عليها أمر من الأمور من عبد الوهاب أو من غيره وكان سمع أن كركز ابن غشم قد جمع أقوام من الاكراد واستنجد بهم وكانوا مائة ألف ثم إن البطال أقام يومه وليلته إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وهو على مجامر النار وإذا بلؤلؤ

قد أقبل وهو مصفر اللون فقال يا لؤلؤ ما وراك فقال يا مولاى أخبرك وهو ان الرشيد قد نزل على آمد وله خمسة وعشرين يوم فى خمسمائة ألف فارس وطامع فى اخذ البلد وارسل إلى ميمون الجماس ان يسلمها له ويعطيه عوضها داره واردن واقلاه ويجعله حاكم تلك الأقاليم فرد عليه جواب الرسالة وهو يقول البلد لا هى لى ولا لك وانما هى لـكركر ابن غشم الذى شاع ذكره بين الناس بالظلم والاعتدا وشدة البأس ولا قدر عليه أحدا إلا الأمير أبو محمد البطال والبلد بلده وأنا نايبه ومن تحت أمره ونهيه فكيف أسلم إليك شيء ما هو لى ولا لى فيه تصريف فإن كان البطال أسر فأنا أرسلت من يكشف خبره ويقتفى أثره فإن كان سالم عملت على خلاصه والبلد بلده فاذا حضر انشاء يسلمها إليك كان وإن أبى فالأمر إليك وإن كان عطب لا أسلم إليك البلد إلا بالملكه نورى (قال الراوى) ولما وصل الجواب إلى الرشيد قال وبلغ من ذلك الحجام يجاوبنى بهذا الجواب ثم زحف إلى البلد وله اليوم خمسة وعشرون يوم وميمون مغلق الأبواب ومحصن الأصوار وما عنده منه خبر لأن البلد كما تعلم حصين ولا يصل إليه واصل إلا إن يشاء الله لـكن الرشيد لما أعياه الأمر وعلم ان المكان لا يؤخذ بقتال أحضر الفضل بن الربيع وألزمه يدبر الحيلة عليه وأخبرك أيضا ان الفضل لما علم ان المكان لا يؤخذ إلا بالحيله وألزمه الرشيد بذلك أرسل عشرة عرب بجاهيل مع رجل يقال له كامل بن خزرجة إلى السويديه وأمرهم يسيروا إلى ملطيه ويقصدوا إلى حصن شمشاط وينزلون إلى عقبة ترابلس ويرجعون إلى آمد ويذكرون بأن البطال قد قتل عند ملك الروم وأرسل رأسه إلى الامير عبد الوهاب ويحلفون لميمون الجماس انهم رؤها عيان وإذا سمع ميمون بذلك ربما يسلم البلد إلى الرشيد وكأنك بالرجل كامل ابن خزرجة وقد وصل إلى ههنا هو ومن معه من العرب فى يومين أو ثلاثة ولما سمع البطال من الغلام ذلك المقال قال والله لقد بالغ الرجل فى المكايدة والتدبير يعنى الفضل بن الربيع والله لئن سمع ميمون الجماس هـــذا الـكلام ليسلمن البلد إلى الرشيد لانه ما هو قوى القلب إلى بى لانه ما يقدر يقاوم الخليفة لان يد الخلافة لا تطاولها يد ولـكن أقيموا بنا ههنا حتى يأتى هذا الرجل خزرجة ومن معه ونختلط بهم وندبر أمورنا فأقاموا ذلك اليوم والثانى وصبيحة اليوم الثالث أقبلت فرسان ومعهم بغال وعليها أحمال فقال لؤلؤ يا مولاى أظن هؤلاء القوم المذكورين فقال البطال انزل إليهم وانظر إن كان فيهم أحدا يعرفنى فقال سمعا وطاعة وكانوا القوم نزلوا على ماء يسرح ومرج أفيح فناداهم لؤلؤ

حياكم الله يا وجوه العرب قالوا وأنت حييت يا فتى قال من أين طريقكم يا كرام فقالوا نحن قوم من حلفاء بنى كلاب وقد أتينا من أرض الحجاز ومررنا على ملطيه على نية الغزاة فلم نرى العبور إلى بلاد الروم من طريق فى تلك السنة ولا سبيل فعدنا طالبين إلى ديار ناوقومنافقال لؤلؤ هل حدث فى بلاد الروم حادث أو جرى فيها حال من الأحوال قالوا نعم ثم ان المقدم عليهم قال يا فتى نحن كنا فى ملطيه وإذا قد أقبل رسول من عندملك الروم إلى الأميرعبد الوهاب ومعه هدايا وتحف ومن جملتها رأس البطال وقال الرسول للأمير عبد الوهاب لولا الملك يعرف أن العداوة وقعت بينك وبين البطال ما كان قتله فلما سمع الامير عبد الوهاب بموت البطال صعب عليه وكبر لديه ولم يقبل من الهدية شىء وقتل الرسول وورد على قلبه ما لم يرد على قلب بشر وجلس على الرماد للعزاء سبعة أيام (قال الراوى) ولم يكونوا هؤلاء رؤا البطال ولا يعرفوه قط إلا ان الفضل ابن الربيع انتخبهم قوما غرباء حتى لا يعرفهم ميمون الجماس ويصدقهم فى مقالهم فقال لؤلؤ وإلى أين أنتم سائرين قالوا إلى آمد قال نحن رفقاكم إلى آمد لما أجيب أصحابى ثم عاد إلى مولاه وأعلمه بما تم فضحك البطال وسار إلى أن وصل إليهم وأقام عندهم بالصناديق والبغال وتقدم البطال إلى كامل ابن خزرجة مقدم العشرة وقال له يا وجه العرب أنت تعرف البطال لا تكون الرأس التى رأيتها قد اشتبهت عليك فقال أناأعرفه طيب وكان لى عليه رسم فى كل سنة آخذه منه لأنه كان صديق من مدة سنين وأعوام وإنى لم أزل حزين إلى الممات فالله تعالى يقتل قاتله فقال البطال فى نفسه لاستر الله عليك ما أكذبك بين العرب وسوف أكافئك على تلك الرسالة ثم انهم ساروا مجدين إلى أن بقى بينهم وبين آمد قدر فرسخين فنظروا إلى العساكر التى على آمد فرأوها ملء الأرض إلا باب الماء النازل عليه قليل لأنه كثير المياه والسكان من حوله والابراج على رأس الجبل فصعد منه البطال والعرب وقالوا للحراس نحن عابرين سبيل قالوا من أين أتيتم قالوا من ملطيه وأخبروهم بقتل البطال (قال الراوى) فأوصلوا الحراس الخبر إلى ميمون الجماس فلما سمع ذلك خرق لباسه وزاد بكاه وانتحابه وتزايدت أحزانه وقال لا حياة لى بعد الأمير ثم قال على بالقوم الذين أتوا بالخبر لعلهم سمعوا بسماع من غير مشاهدة فانطلقوا الرجال إلى كامل بن خزرجة والعشرة والبطال وغلمانه فى الجملة بعد ما نزلوا أحمالهم فى دار الضيافه وأوصى غلمانه وقال يكون ذهنكم وبالكم إلى الصناديق ولا تغفلوا عنهم إلى أن أعود ثم ان البطال مضى صحبة العشرة وهو ملتم

الى أن أشرف على ميمون وهو على غايةمن الانكسار من تلك الاخبار هـذا والقوم وقفوا بين يديه وقصوا القصه عليه وضاقت عليه الارض بما رحبت لما سمع منهم ذلك الـكلام فقال ياقوم أنتم رأيتم الرأس عيان مشاهـدة قالو نعم وقال المقدم عليهم يا أمير لايكون عنـدك شك فى ذلك لانى أعرف الناس به وهو صديق فالله تعالى يقتل قاتله قريب غير بعيد لانه كان له على أيادى جميلة غير قليلة لانى أعرفه من أيام الصبا وكنت أتردد عليه فى ملطية من مدة أربعين سنة وكان فى صغره جبان مهان ولى فى رأسه كـذا وكـذا الطمه على سبيل اللعب (قال الراوى) فلما ان سمع البطال من كامل ذلك المقال الـكذب المحال قال وقد غير حسه و نغمته حتى لا يعرفه ميمون الجماس ولا أحـدا من الناس ياأخا العرب البطال ما كان يغلب وما كنت تلـكمه لـكمة واحدة الا ويلـكمك عشرة لانه ملاكم مشاكم مصارع فقال كامل ما كان يقدر على ولا يمد يده الى لانى كنت اذا لـكمته ومزحت معه على سبيل المجون أعطيه المـال الـكثير قبل ان يصير من الأبطال ويعد فى الرجال لانه كان عليه جبانة ومهانة وانـكسار ورحمة الله عليـه (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد منه هـذا المقال كشف عن وجهه اللثام وقال له ماتستحي يارجل من هـذا المقال فما أنت الا غير ولد حلال فوالله ياأخس العرب لأنتقمن منك بكل لطمة لطمتنى إياها عشرة ولما نظره ميمون الجماس نزل من على مرتبته وقام قائما على الاقدام وكاد من الفرح أن يسلب عقله وصاح من الفرح اقبضوا على ذلك الشيخ الـكذاب والـكلب المرتاب وعلى من معه من الاصحاب ثم أن البطال أرسل خلف غلمانه فحضروا ومعهم الصناديق فقال ميمون ما الذى جرى لكم و ما الخبر وما فى هذه الصناديق فقال البطال اما سؤالك عن خلاصى سوف تقف عليه وأما تلك الصناديق وما فيها فان فيها أبغض الناس اليك والى المسلمين فقال ميمون ما أبغض الناس إلى وإلى المسلمين الاعقبة ابن مصعب الذى يقال له الامام وشومدرس الذى جرى علينا منه فى الحصون مالم يجرى على إنسان فقال له البطال افتح الصـناديق ترى العجب ففتح الصـندوق الاول ومديده مسك عقبة من ذقنه وقال اخرج ياشيخ النحس والله لأنتقمن منك ثم أخرج غلامه ظاهر وشوما وشوا مدرس وقال امضوا بهم الى خزانة الدم التى مادخلها أحد إلا وهلك وقال للشومدرس سوف أخرج الحـكمة من رأسك هـذا وميمون فرح لما رآهم ورقص وتراقصت من حولهم السودان وقال البطال ما ساقك إلى ههنا ياشو مدرس الارزقك ثم مسك شوما وقال اخرجى ياشوم الزمان

(قال الراوى) ولما رآهم ميمون الجماس ضحك إلى ان انقلب على قفاه وقال للبطال يا مولاى هؤلاء شومدرس وشوما كانوا فى القسطنطونية والقاضى عقبة كان فى أرض العرب فكيف جمعت بينهما فاحكى له على السبب الموجب لأسرهم وطرحهم فى خزانة واحدة بعد ما ضرب كل واحد منهما مائة سوط وعقبة يقول يا أبا محمد ترفق بى فان الرشيد نازل على آمد وأنا كنت أسمع كلامك ولا أقدر أرد جوابك من الاكرة التى فى فمى وسمعت كلام كامل بن خزرجة وهذه من أعمال الفضل ابن الربيع وخبرى ما يخفى عن الرشيد وان آذيتنى فهو يطالبك بذنبى إلى الابد وان قتلتنى يلعنوك الناس ما قام قائم وقصدوا الصواب انك تبقى على حتى ينهتك سترى كما تقول حتى يبقى لك حجة تحتج بها وإلا يلعنوك الناس إلى يوم القيامة (قال الراوى) فضحك البطال منه وقال لعنك الله يا شيخ الضلالة ما أحيلك وما أمكرك وللرجال ما أقتلك قال عقبة صدقت ولكنى أعمل معك الجميل يضيع معك ولا تكافئنى على المليح إلا بالقبيح فقال البطال متى عملت معى جميل فقال عقبة أنا الذى حلفت الملكة نورى أنها تمنع نفسها من عبد الوهاب ثم أعاد عليه القصه التى دبرها فقال له البطال يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة أنت ما فعلت ذلك الفعل إلا من أجل ملك الروم وأما عبد الوهاب إذا أخذ نورى ورزق منها بعشرة أولاد والاولاد رزقوا بأولاد لم أفعل عنها أبدا فقال له عقبة ان كنت عاقل لا تخليها تفوتك لأنها والله منية القلوب ومزيلة الكروب وغاية المطلوب فضحك البطال من قوله وعلم انه أمكر من إبليس ثم رصهم فى الحبس ووكل بهم جماعة من السودان وبعد ذلك التفت إلى كامل بن خزرجة وقال له يا هذا ما بقى لك نجاة من يدى إلا أقل لك عليه واعلم انى لو أردت قتلك فى الطريق لكنت فعلت ولكن صبرت حتى تعلم الناس كذبك ومحالك فقال كامل يا مولاى لا تؤاخذنى بما بدا منى فوحق ذمة العرب أنا عمرى لم وطئت ملطية وأنا رجل غريب من أرض البصرة وما سرنا فى هذه المرة فى عسكر الرشيد إلا بقضاه وقدره وان الفضل بن الربيع دعانى إليه وعلمنى بهذا المقال وأوعدنى بالمال وما علمت ان أقع فى شبك البطال فضحك البطال وقال دعنا الساعة من هذا الهذيان وطاوعنى على ما أقل لك من المرام ان أردت أن تسلم من الحمام وهو انك تطلع على برج الباب وتنادى لكل من وقعت عينك عليه من عسكر الرشيد فان أوصل إليك تقول له أنا أريد الفضل بن الربيع إلى حاجة لمولانا الخليفة فيها الصلاح فان أتى إليك وقدم عليك قل له يا مولانا الحاجة متى طلبتها

منى قد قضيت وقد ورد على القوم من فقد البطال أمر عظيم وأرادوا أن يسلموا البلد إلى عيسى الأرموى فمنعتهم أنا من ذلك وقلت لا يكون إلا على يد الفضل لأنه روح أمير المؤمنين ويكون الفتح على يديك وأنا منسوب إليك وقد عاهدونى على ذلك وضمنت عنك الخير الجزيل وأن تصلح حالهم مع الرشيد وذكرت أن بينى وبينك قرابة وصداقة ومودة فقال كامل وحق ذمة العرب لقد انفضح وجهى معك وسببه هذا القرنان فوالله لأزيدن على هذا الكلام من عندى أضعافه حتى يحصل فى أيديكم وإذا جرى مصفع نكون فيه سواء لأنه رأس هذه البلية ثم قام من وقته وساعته ووقف على برج الباب ونظر إلى جماعة من عسكر الرشيد وأشار إليهم فأتوا إليه فلما ضروا تحت البرج ذكر لهم ذلك المقال وقال أريد أن تعلموا الفضل بن الربيع يأتى إلى سريعا (قال الراوى) فمضوا إلى سرادق الرشيد وطلبوا الإذن ودخلوا عليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا يا مولانا سمعنا شخص على برج الباب يقول أنا أريد الفضل فقال الرشيد يافضل سير إلى من يطلبك فنهض الفضل وركب على بغلة وهى بمركب من الذهب مرصع بالدر والجوهر ومن حوله خمسين مملوك وسار إلى أن وصل إلى البرج فوثب له كامل على قدميه وأشار بالسلام عليه وقال له يا مولاى قضى الأمر وعاد كل عسير يسير وصادف التدبير بالمقادير ثم أعاد عليه القصة ففرح الفضل وقال يا لها من ساعة ما أبركها لقد وجب لك علينا الخلع والمال عود على عقبك وخذلى الإذن فى الدخول فرجع كامل إلى البطال وأعلمه بالحال فقال على بالبوابين فحضروا فى الحال فقال لهم افتحوا الباب فساروا وفتحوه وخرجت الغلمان ومعهم كامل لاقوا الفضل وساروا به إلى دار الأمارة وجلس ميمون الجاس وأخفى الأمير أبو محمد البطال روحه بين الجلاس ولما أقبل الفضل قام الأمير ميمون الجماسى وسعى إلى الفضل خطوات وأجلسه إلى جانبه فوق السرير ثم أن الفضل أقبل على ميمون وقال له يا ولدى اعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه وقال أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه رحم الله من عرف قدره وكفى الناس شره ومثلك ياولدى لايكون مخالف أمير المؤمنين ولا يغلق دونه باب لأنه خليفة الله فى أرضه وقائم بسنته وفرضه ومع ذلك فان الذى تريد أن تمسك من أجله فانه قد هلك فى بلاد الروم وأتى الخبر بذلك السبب فسلم البلد إلى الخليفة فانه مالك رقاب الأمم من العرب والعجم والترك والديلم فقال له ميمون سمعا وطاعة ولكن حتى يتضح الخبر أن الأمير

أبو محمد مات لأنه لا يصطلى له بنار وأنت أخبر الناس به وجاعل رأسي مرهونة بهذه البلد ولا أقدر أسلمها لأحد (قال الراوى) ولما سمع الفضل كلامه قال له هذا كلام من لا له عقل ولا بصيرة والرأى عندى أن تسلم إليه البلد وتأخذ عوضها أردن وداره وأعمالها وتنال من الرشيد المواهب والعطايا والشكر والثناء لأنه لا يرجع عن أخذه حتما مقضيا وربما يورثك غضبه ويصل إليك عطبه ولا تجد لك إلى النجاة من سبيل ومن هو البطال الكلب إلا كاب حتى أنك تقيم له جاه أو ناموس وهو أحقر البرية وما كنت أشتهى إلا أنه يقع فى يد الرشيد حتى كنت أصفعه صفعا جيدا (قال الراوى) فقال ميمون الجماس وقد صح عندك يا مولاى قتله قال نعم يا ولدى ومافى ذلك شك ولاريب وحياة رأس أمير المؤمنين وما فى ملطيه أحد إلا وقد علم بذلك والتفت إلى كامل بن خزرجة وقال له أظنك ياهذا أتيت من على ملطيه قال نعم قال أليس سمعت من الأخبار قال يامولاى أنا حدثتهم وصدقونى كلهم إلا ذلك الرجل الجالس فانه كذبنى وعقد النوبة على وفضحنى ثم أشار بيده إلى الأمير أبو محمد البطال وهو جالس مطاطى الرأس بين الجلاس كانه صعلوك من صعاليك الأعراب فقال الفضل بن الربيع وقد غضب وتولى عليه الغضب من يكون هذا الذى يكذب الأخبار الصحيحه ويمنع الخليفة عن أغراضه والله يا كلب لولا أنت فى حضرة هذا الأمير لصفعتك إلى أن أطير عقلك عند ذلك كشف البطال وجهه وأزال اللثام وقال يافضل قاتل الله الكذاب والله لأصلبنك على هذا الباب حتى تعلم الناس أن البطال لا قتل ولا غاب ولما نظر الفضل إلى البطال غاب عن الوجود والصواب وأيقن بالموت والذهاب وقال فى نفسه كم أنهى نفسى عن ذلك وأقول إلى ما أتعرض لذلك وأعود بعد ذلك أرمى نفسى فى المهالك والعذاب ثم قال للبطال أيها الأمير أعذرنى فيما بدا منى فانى أقول لك قولا صدقا أن من خدم الملوك لا يخالفهم لا يعمل إلا ما يرضيهم وأنا أريد منك أن تطلقنى ولا بقيت أعود إلى مثلها أبدا فقال البطال لو رأيت فى المنام أنى أطلقك لما فعلت ذلك لما أجمع بينك وبين صديقك عقبه فى مكان واحد فقال الفضل أنت قدرت على إلا لما أتيت إليك أنا فمن أين تقدر على القاضى الأجل وهو فى بغداد فصاح البطال فى السودان خذوه فقبضوا السودان عليه وإلى الخزانة التى فيها عقبة وشومدرس أدخلوه (قال الراوى) ولما نظر عقبة إلى الفضل فرح وقال ما دام الفضل رآنى فما بقى يقدر البطال يقتلنى أما الفضل فانه قال يا قاضى من أين وقعت فى شباك البطال فقال عقبه أيها الحاجب

الأجل لا تسأل عن حالى فان لى أيام وأنا فى بيت المقدس وهو زمان طويل وقد هجرت المقام عند الامام وكل ذلك حتى لا أسمع كلام فقال وكيف أخذوك قال عقبه كنت قد انفصلت من القدس وأتيت إلى السويدية وسرت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذى على رأس الجبل فى فم المضيق على باب الدرب فقابلنى البطال وقد خلص من بلاد الروم ومعه هذا الراهب والراهبة فأخذنى فقال الفضل أبشر بالسلامة وبالله أقسم أن الخليفة مشتاق إليك ويسأل فى كل وقت وحين عليك فبكى القاضى عقبه وقال أنا الذى مشتاق إليه لانه من السلالة العباسية والجرثومة النبوية (قال الراوى) هذا جرى ههنا (وأماما كان) من أبى محمد البطال فانه كلم غلمان الرشيد الذين أتوا مع الفضل وقال لهم امضوا إلى الأمام وقولوا له ما الذى يريد منى فان كان يريد آمد فأنا ما أخذتها منه أنا ما أخذتها إلا من كركر ابن غشم بحيلق وبعد ذلك قلى عليه خدم كثيرة وإذا لم يرحل عنى وإلا أخرج إليه وآخذه ولو كان فى قبة من زجاج ثم فتح لهم الباب وأخرجهم بعد أن أخرق بهم وأخذ ملبوسهم فمضوا إلى الرشيد وأخبروه بما قال البطال وكيف سمعوه وهو يقول للفضل أريد أجمع بينك وبين عقبة فلما سمع الرشيد ذلك صعب عليه وكبر لديه وقال والله لولا أن القاضى عنده فى العقال لما قال هذا المقال (قال الراوى) ثم أرسل رسول إلى البطال يقول أما بعد لقد حمدنا الله على سلامتك وخلاصك من الأسر وقد علمنا ما عملنا فى حقك وما عمل فى حقك عبد الوهاب مع انى وحق آبائى الطاهرين واتصالى بمحمد سيد المرسلين ما أتخلا عن الملكة نورى وما أشغلنى عن طلبها إلا آمد فاذا كنت أنت فيها فهى فى يدى وطاب قلبى وقد علمت أنك خادم الدوله العباسية وقد بلغنا ان مولانا القاضى عقبة عندك وأنت تعلم محبتنا له وانه شيخ كبير وقد كبر سنه ودق عظمه وقد زهد فى الدنيا وهو رجل حافظ لكتاب الله فاطلقه إن كان عندك ولا تتعرض له بحال من الأحوال أكون أنا خصمك وإن طلبت رضاه أطلق سبيله وسبيل الفضل وأنا أكتب لك ملشور بآمد وارحل عنك إلى ملطيه واطلب الأسود عبد الوهاب الذى بقى يختص بخمس المال من دون الامام كانه عامل سلطان وقد عدل بذلك الفعل عن الطاعة وخرج عن سنة الجماعة وبعد ذلك اطلب منه نورى وحق آبائى واجدادى لابد لى ان اترك دياره خاوية ومن حسه خالية (قال الراوى) يا سادة ولما ان وصل الرسول إلى البطال وقص عليه ما سمع من المقال وما حمله الرشيد من الرسالة قال البطال للرسول اعلم انى لابد لى من قتاله وحربه ونزاله

فقال الرسول أيها الامير لا تخيب فيك ظن أمير المؤمنين وأجبه إلى ماطلب فصاح البطال فيمن عنده من الرجال وقال على بالشيخ النحس عقبة بن مصعب والراهب أو الشرشومدرس فقد اختلج فى قلبى أمر ولا بد لى منه فاخرجوا الاسارى وهم عقبة والراهب شومدرس والفضل ابن الربيع وغلام عقبة الرقيع ولما مثلوا قدام البطال قال عقبة على ماذا عولت أن تفعل يا بطال قال صلبك أنت والراهب فقال عقبة لى إليك حاجة ولا أقولها لك إلا بينى وبينك فأمر البطال الغلمان أن يقدموه فقال عقبة اعلم أنك ماتقدر على صلبى لان الرشيد مايغفل عنى وهذا كله منك مكر خداع وأما الراهب والراهبة ما ينفعك من قتلهم شيء وعلى فهم ألف دينار تتقوى بهم على من عندك من العساكر والاجناد وأسارى السودان الذين أخذوا معك من تل الثعالب أطلقهم لك وظفر كل مسلم عندك أفضل من ألف واحد من هؤلاء الاجناس (قال الراوى) فصاح فيه البطال يا لعين أنا ينطلى على مكرك ومحالك ثم أنه أمر بهم فصلبوا وأمر بضربهم وهم على الخشب فصار عقبة يصيح ويستغيث فلا يغاث هذا والرسول يقول يا أبا محمد لاتفعل هذا الفعل بذلك الشيخ الصالح فانت تعرف منزلته عند الامام فصاح البطال فى رسول الخليفة وقال له الخليفة بقى له حكم وهو يعمل على قتل خمسمائة من الاكراد الذين قتلوا فى سبيل الله ومائة من السودان أسروا عند الروم فلابد من قتله وأخذ حق الاكراد منه فارجع إلى الرشيد وقول له أما ماذكرت من أمر عقبة فأنا لا أسلمه أبدا لانه هو الذى كان سبب فى قتل الاكراد وأخذ السودان وأسرهم عند عبدة الصلبان وكان داخل بلاد الروم لاجل قتلى فما أمكنه الله منى وأما قولك تمضى إلى ملطية فعبد الوهاب غلامك وأما قولك تأخذ نورى فوالله الذى لا إله إلا هو لو تعرضت لها الجن لعملت على هلاكهم وأما الفضل ابن الربيع فانه يستاهل ذلك العذاب لانه عمل على أخذ بلادى ويريد يخرجها من يدى وأنا لى فى بلاد الروم أسارى فلا أطلقهم إلا بالمال الجزيل لانهم طلبوا منى فداء الاسارى مائة ألف دينار فان كان يطلب الفضل يرسل المال فقال الرسول يا أبا محمد لا تفعل هذه الفعال وأنت تعلم أنه خليفة الزمان فقال البطال إن كان يطلب الصلح فها أنا أسلم إليه آمد والفضل لكن بشرط يساعدنى على أخذ نورى فانها والله بغيتى وطلبتى وفؤادى فقال الرسول سوف يأتيك الامر على ماتريد ثم رجع إلى عند الرشيد وأخبره بالحال فقال وما يكونوا هؤلاء المصلوبين الذين يضربوهم على الخشب فقال يامولاى أولهم القاضى عقبة والثانى الفضل والثالث

الراهب والرابع الراهبة وذكر أنه قاسى منه ما لا يوصف فلما علم الرشيد بصلب عقبة وضربه صعب عليه وقال كيف العمل مع هذا الشيطان وهو فى ذلك المكان الحصين ومادام فيه لايبالى بأهل الأرض (قال الراوى) فقال عمرو عن إذن مولانا أتكلم فقال له قل ما بدا لك فقال يامولانا أنت تعلم أن أبو محمد له عليك الخدم وعلى أبيك وقد تعب على تلك الجارية الرومية ولقى من أجلها الشدائد وهو من أجلها عليل وكم عند مولانا فى القصر مثلها وأوفى منها والرأى عندى أن تأخذ منه آمد والفضل ويكون خادم الدولة كما كان أول الزمان ولا تبقى عبد الوهاب فإنه ما يخرج منه على الدولة إلا الوبال وقد جرى منه مرار وقد منع بالأمس خمس المال وقتل حاجبك وتظاهر للدولة بالنفاق (قال الراوى) فقال الرشيد الرجال ما تقولون فى ذلك المقال قالوا يا مولانا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب لأن هذا البلد حصين ولو كان فيه العوام لاغير وهو مغلوق الأبواب لا تصل إليه أبداً فعند ذلك أرسل الرشيد إلى البطال بما دار بينهم من المقال فوصل الرسول إليه وأدى الرسالة بين يديه فقال البطال هذا كلام لا أسمعه ولا يدخل أذنى ولا أسلم من عندى ولا مافى يدى إلا أن صارت نورى تحت يدى وفى حوزتى فقال الرسول ان أمير المؤمنين أرسل إلى عبد الوهاب أن يأتى فما أتى والخليفة ما يقدر أن يسير إلى ملطية حتى تطلق الفضل بن الربيع لأنه قائد الجيوش فقال البطال إن كان ولابد من ذلك يأتى الرشيد بنفسه ويحلف لى بالله العظيم وبنبيه صلى الله عليه وسلم أنه ما يتعرض لى فى الملكة نورى ولا يأذن بوكاله وأنا أطلق له الفضل بن الربيع (قال الراوى) ياساده يا كرام فرجع الرسول وأتى إلى الإمام وقبل الأرض وذكر ما قال البطال فأجاب وركب بنفسه وأتى إلى برج الباب وصاح الخدام بالبطال فأجابه من فوق الصور فحلف له الرشيد بآبائه الطاهرين ومحمد سيد المرسلين إنه ما يتعرض له فى نورى وإنه يسلمها إليه فقال البطال إن كنت ما تفى بقولك فعليك الماشى إلى مكة راجلا حافيا وربك عليك من الشاهدين فقال الرشيد وحق اتصالى من حمزة وعقيل والنبى الكريم أن نورى لك لا يعارضك فيها معارض (قال الراوى) فعند ذلك أطلق البطال الفضل واستقر الصلح بينهم وأنزل عقبة وشو مدرس من على الخشب وردهم إلى السجن ولما هم الفضل أن يسير قال له عقبة أيها الحاجب بلغ سلامى إلى الإمام ابن الإمام وقول له لا يتخلى عنى فقال سمعا وطاعة أيها القاضى ووصل الفضل إلى عند الامام وهناه بالسلامة وعند الصباح رحل الرشيد إلى ناحية ملطيه

وهو فى عالم لا يحصى فى عدد الرمل والحصى قد سد الأفق وملأ الطرق إلى أن وصل إلى حصن زياد ووصلت الأخبار إلى الأمير عبد الوهاب (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب أرسل إلى أرض الحجاز بين معاوية وماء النظيم يطلب العربان من بنى عامر وكلاب فأتت إليه العربان من كل جانب ومكان وذلك لأجل المكسب والحطام ألفان حتى صار فى مائة ألف عنان أقران فوارس من كل بطل مداعس ولما اتصلت الأخبار إليه أن الرشيد فعل كذا وكذا وكان الذى أوصل الأخبار إلى الامير عبد الوهاب صابر المرعشى وأخبره بخلاص البطال من عند ملك الروم وأخذه أبو الشر الراهب شو مدرس وزوجته شوما وعقبة أخذه من الطريق وماجرى له مع الفضل بن الربيع وكيف وقع الصلح مع الرشيد وكان الأمير لما سمع بخلاص البطال وأخذ شوما وشو مدرس وعقبة فرح وقال هذا رجل مسعود ثم قال الأمير لصابر وكيف وقع الصلح مع الرشيد فقال صابر أيها الاميروقع الصلح على أن الرشيد يكون عوناً للبطال على أخذ الملكة نورى من تحت يدك ويدفعها إليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام صعب عليه وقال ليت الروم كانوا قتلوه وكنا نأمن من شره فإنه لو كان هو وحده نخشى جانبه ولا نأمن من حلول مصائبه وأما عمرو والفضل فما قصدهم إلا قتلى الذى أشاروا على الرشيد بذلك والبطال الآن صار فى صفة الملوك الكبار لأن آمد ماتت بحسرتها الملوك (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بأحمد الشمشاطى دخل وسلم وكان قد أقبل من بلاد الروم فقال الامير ما معك يا مبارك من الاخبار فقال يا أمير وما عسى أن يكون عندى من الخبر انظر لنفسك قبل حلول رمسك فان ملك الروم قد جمع كل من فى بلاد الروم من سائر الأقاليم من عشرين سنة إلى ثمانين وقد صار على باب القسطنطونية ألفين ألف ومائة ألف وثلاثمائة ألف من الافرنج وهذه عساكر ما هى قليل ولا اجتمع للروم مثله وسبب ذلك كله الراهب والراهبة الذين أخذهم البطال لما تخلص من السجن وفرح ملك الروم منويل بذلك العسكر الجرار الذى كأنه البحر الزخار ودهرشوم هو الذى أحث الملك على ذلك وقال له الملك طب نفسا وقر عينا سوف أخلص لك الراهب والراهبة وأجعل ديار عبد الوهاب والبطال خراب لا يأوى إليها إلا البوم والغراب ولأسقين خيلى من زمزم وأذبح كل من فى الحرم وأقيم الدنيا على ساق وقدم وقد خلفته على نية الرحيل وهذا كتاب مارس إليك وأرمى للأمير عبد الوهاب كتاب لطيف مختوم فأخذه الامير وإذا فى

وله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد أيها الأمير المجاهد فى طاعة الملك الماجد أنا ما كتبت لك هذا الكتاب إلا وقد علمت ان ملطية تصبح قفرا خراب مما رأيت من عساكر النصرانية الذى اجتمعت على باب القسطنطينية وهى عساكر لم يسمع بمثلها ولا نظرت عينى شطرها لأنها سبعة عشر ملك فى ألفين ألف وأربعمائة ألف غير الاتباع والخدام وهى إلى ملطية قاصدين وعليك واردين وان قلبى عليكم بسبب الخلف الذى وقع بينكم وبين البطال من أجل الجارية نورى وأنا أقسم بالله ان هذه عين دخلت عليكم والله يعلم انك أنت وبنى عامر وكلاب ما عمادكم إلا البطال وله عليكم من الخدم ما لا تنكروها وأنت أيضا قد قضيت من الجارية وطر وبلغت منها أرب فاذا قرأت هذا الكتاب وفهمت ما فيه من الخطاب تصالح البطال بكل ما تقدر عليه فان مثله ما يوجد فى ذلك الزمان وكاتبوا خليفتكم حتى يجمع العساكر ويأتى إليكم من قبل ان يصل ملك الروم وينزل عليكم فى كتائبه ومواكبه وهم مثل البحار من بطارقة وأعلاج ويوم وصول الكتاب ترسل إلى رجالك وتجمع أبطالك فان الأمر عظيم والخطب جسيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى جميع المسلمين وأبطال الموحدين (قال الراوى) فلما قرأ الأمير عبد الوهاب الكتاب وعلم ما فيه من الخطاب قامت عليه القيامة ودخل على أمه وقال لها يا أم المجاهدين ما ترى من الرأى فى تلك النوبة العظيمة وأنا أعلم ان الأمير أبو محمد قد اصطلح مع الرشيد على ذلك الأمر الذى تقرر بينهم وملك الروم سوف يأتى إلينا كما قيل وما يكون مغلوب إلا أنا وهذا أمر عظيم فما عندك من الرأى الصائب فقالت يا ولدى طب نفسا وقر عينا وقل لى ما تريد وعلى ماذا عولت ان تصنع وما فى نيتك ان تعمل مع البطال من الأعمال فقال لها أيتها الأميرة ان فارقت نورى فارقت روحى جسدى لأنى ما أقدر أدنو منها ولا أمد يدى لها بسوء ولا أملا عينى منها بالنظر وهى لم تعتبرنى ولا تعبأنى ولا كانى عندها بشر فقالت الأميرة يا ولدى إذا كان الأمر كذلك فلا تبالى بكل من على وجه الأرض فى طولها والعرض وأما قول مارس ما أنت وبنى كلاب إلا بالبطال وما يكون البطال حتى نكون به وما يكون أبو محمد إلا بنا وما نعتمد بعد الله إلا على قوائم سيوفنا وأعنة رماحنا وأنا فى قلبى من البطال أكثر مما فى قلبك من أجل ما تكلم فى حقى من القبيح وسوف تنظر يا ولدى من هذه العجوز ما لا رأيته من البطال ولا غيره وسوف أفرش عساكر الرشيد على وجه الصعيد ونلقى من بعده عسكر الروم ونصبحهم

صباح ميشوم (قال الراوى) فعند ذلك قوى قلبه الأمير عبد الوهاب لما سمع من والدته ذلك الخطاب وقال له سيف الحنيفية طب نفسا يا أبتاه وقر عينا فلا يأتيك الأمر إلا على ما تشتهى وتريد (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما بقى بين الرشيد وبين ملطية ليلة واحدة وصل الخبر إلى الأمير عبد الوهاب ان الأمير أبو محمد أراد ان يرسل عسكره مع الامام فأتاه كركر بن غشم صاحب آمد فى مائة ألف من الاكراد وأتى معه أمير من الاكراد يسمى خضر بن بكر الكردى فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وضمن على نفسه الأمير خضر ان يفتح آمد وتكون مشتركة بينه وبين كركر فلما سمع الأمير عبد الوهاب بتلك الأخبار قال هذا جانب كفينا شره بقى الرشيد وعسكر الروم فقالت الأميرة يا ولدى توكل على الحى القيوم فأقام الأمير باقى يومه وليلته ومن الغداء أقبل غبار وقد علا وثار وقتام حتى طبق الأرض وغابت عن الناظرين السما وأقبل الرشيد فى عساكر ملت البيداء وسدت المستوى فعند ذلك فتح الأمير خزائن السلاح وفرق العدد على الرجال والابطال وعقد لهم عشر رايات وسلمها إلى عشر أمراء يتبع كل أمير عشرة آلاف من الابطال المعدودين وقت القتال والحرب والنزال ما منهم إلا كل بطل أمجد يعد بألف مجد فرسان وأقران سادات بنى عامر وكلاب وأبطال السودان الانجاب سلم الراية الاولى لولده سيف الحنفية ودامغ النصرانية والثانية إلى أبو الهزاهز والثالثة إلى سملق والرابعة إلى الأميرة ذات الهمة والخامسة إلى برد بن الأزهر والسادسة إلى سعيد ابن الفرج والسابعة إلى الأمير مدركه والثامنة إلى هارون العلوى والتاسعة إلى طارق الحجازى والعاشرة بيد الأمير المهاب والسيف القرضاب والأسد الوثاب سيد الاعراب الامير عبد الوهاب وضم إلى كل أمير عشرة آلاف كما قدمنا وقال اعلموا يا بنى عمى انى مطلوب من كل الجهات فقالوا عن لسان واحد نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ولو أضرمت لنا نارا لولجناها أو أمرتنا نخوض البحار لخضناها فشكرهم على مقالهم وخرج بهم إلى ظاهر البلد وهو قدامهم كأنه الاسد الادرع وإذا قد ارتفع الغبار والقتام ولاحت الاعلام العباسية والرايات الخليفية والبنود السلطانيه وقد ارتجت الارض من وقع حوافر الخيل القصبية والدنية ولم تزل العساكر واردة والدساكر قاصدة وهم كالجراد المنتشر أو السيل المنحدر ونصبوا النحدر ونصبوا الخيام والقباب ووصل الرشيد وقد شرعوا السرداق الاعظم ونصب له فيه سرير من العرعر مرصع بالدر والجوهر وله

صفايح من الذهب الأحمر ولما ان جلس على السرير طلب الوزير الفضل ابن الربيع فلما حضر بين يديه قال له ما يكون التدبير نأمر العساكر بالقتال من يومنا فقال يا مولانا ارسل قبل إليه رسول لعله إذا رأى تلك العساكر التى أتيت بها يعلم انه ليس له بها طاقة وربما رجع إلى الطاعة ويسلم لنا نورى فى الوقت والساعة (قال الراوى) فقال الرشيد نعم ما رأيت ثم أمر أن يكتب للأمير كتابا فى أوله فضل بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانه من خرج عن حده رجع إلى ضده ومن نافق على الدولة العباسية قد وقع فى كل رزية وبلية ومن لم ينظر فيما يعمل فقد سلب عقله وقد عملت ما عملت وقتلت من قتلت وأخذت الخمس من المال وأخرجت عمرو من ملطية وهو أمير الأمراء موضع أبيه عبيد الله على طول الزمان حتى كأنك رايح تعمل سلطان وتعزلنا من الخلافة وتكون أنت خليفة الزمان والآن فقد عفى الله عما سلف ودع المداومة على المخالفة لأن من داوم على الخلاف وقع فى الهلاك والتلاف وقد وصلت إلى ههنا الحضرة النبوية من أجل أجل تلك الجارية الرومية وما نطلبها إلا للأمير أبو محمد البطال وقد رفع الخمس الذى أخذته من المال وتعيد الأمير عمرو إلى مكانه كما كان أمير الأمراء وأنت مأمور على بنى عامر وكلاب ولا تنافق على الدولة العباسية وأنت تعلم ان بنى سليم أضعاف من عندك من الأعراب وهم أمراء العرب من أرض يثرب إلى أرض الشام شرقا وغربا وبعدا وقربا وعمرو المقدم على جميع الأعراب فلا تخالف بعد ذلك الكتاب ولا تجيب جواب إلا بالسمع والطاعة فان أبيت فأنت هالك وتبقى ديارك من بعدك بلاقع لا يسمع فيها سامع وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم ان الفضل بعد ما كتب الكتاب عرضه على الإمام فعلم عليه وأدعى برجل من بنى سليم وقال له انطلق بذلك الكتاب إلى عبد الوهاب وائتنا من عنده برد الجواب فقال السلمى سمعا وطاعة وسار من وقته إلى ناحية الأمير عبد الوهاب من داخل البلد لأن الأمير عبد الوهاب لما راى نيتهم فاترة عن القتال عاد دخل البلد فهو كذلك وإذا بالسلمى أقبل ومعه الكتاب فأخذه الأمير وقراه وعرف ما فيه عندها حرك رأسه وقال للرسول عود الذى أرسلك وقول له أما الخمس فعلى أن أقوم به وأما نورى فما لأحد إليها وصول فهل رأيت أحد يسلم روحه التى بين جنبيه هذا لا يكون أبدا وكيف يكون ذلك وأنا قتيل هواها وأسير عيناها وأما ما ذكره من أمر عمرو فأنا أقسم بالله لا أقمت أنا وإياه فى بلد إلا أن يشاء الله فكم

أعمل معه من الجميل وهو لم يؤثر معه وهو يريد قتلى مرة بعد مرة وإن كان الإمام يكره مقامى فى مطية فما لى فيها مقام بل يمهلنى ثلاثة أيام حتى أخرج بالظعن والأولاد والنساء وأعول فى اليوم الرابع على الارتحال وحيث انه تخلى عن نورى فلا يجوز له أن يأخذها منى ويدفعها لغيرى لأنى أنا أولى بها وأحق من البطال وإن كان الامام ما يرضى بذلك ويعول على الحرب والقتال فلا بد لى أن أمانع عن نفسى بجهدى وطاقتى (قال الراوى) ثم ان الرسول رجع إلى الامام وأخبره بذلك المقال فعظم عليه وكبر لديه وقال بلغ من هذا الاسود أن يرد سؤالى ويشترط على شروط وأنا وحق آبائى وأجدادى الطاهرين سوف أوريه مقامه وأراد ان يزحف على البلد من غيظه وحنقه فقال الفضل يا مولاى ترفق على روحك يا مولاى انا عندى رأى فان رآه مولانا صواب يستعمله وإلا يهمله فقال قل ما عندك فقال يا مولاى ان زحفت إلى ملطية وخرج إليك يقتل منهم رجال ويقتل منا أبطال ويقتل البرى بالسقيم وإن لم يخرج يطول علينا المطال لأن المكان حصين كما ترى وأيضا أنت تعرف بنى عامر وكلاب والسودان الانجاب وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية ومن يجرى مجراهم والصواب ان ترسل إليه وتقل له انى كان قصدى قتلك وقتل كل من عندك والآن فقد رجعت عن ما عزمت عليه لان العفو من شيم آبائى واجدادى وقد رحمت النساء والاطفال وقد وهبت لكم انفسكم وامهلتكم ثلاثة ايام واخرجوا من بنى بلدى فاذا خرجوا يا امير المؤمنين من البلد بالظعن والمال والعيال والرجال تأمر العساكر بالجملة عليهم فيقتلوا رجالهم ويأخذوا ابطالهم فقال الرشيد وتربة المهدى لقد دبرت وما قصرت لانهم يكونوا على غير اهبة القتال ويشتغلون بالمال والعيال عند ذلك ارسل الفضل ذلك المقال عن لسان الامام فأجابت الاميرة إلى ذلك المقال وقالت يا ولدى ما عندك من الرأى فقال الامير معلوم ان البلد للخليفة ولكن يا اماه اخاف ان تكون هذه حيلة منهم علينا حتى إذا نحن خرجنا على غير اهبة القتال ونحن مشتغلين بالمال والعيال يأمر العساكر بالجملة فيأخذون الظعن بالمال وان عاتبناه بالغدر يقول الرشيد انا ما غدرت ما غدر إلا العساكر مما فى قلوبها منكم وما قدرت ان امنعهم (قال الرارى) فقالت الاميرة يا ولدى انا عندى رأى لأننا ان اقمنا زحف علينا وان خرجنا إليه وقاتلناه تبقى مسلمين تقاتل مسلمين وان خرجنا بالظعن نخاف مما ذكرت ولكن عندى رأى وهو ان ولدك سيف

الحنيفية يتخلف فى البلد بحيث أن لا يعلم به أحد ويكون عنده المال والنساء والأطفال ونخرج نحن بالاماء والجمال والعبيد فاذا كنا فى أمان من ناحية الامام يخرج سيف الحنيفية خلفنا آخر النهار وإن هو غدر وخان كما خطر ببالك نلقاه ونقف فى وجوههم ويكون ولدك يحفظ البلد إلى أن نعود إليه وإذا حصل منهم ذلك تنظر يا ولدى كيف أرحلهم عن ملطيه وهم صاغرين ومما أملوه خائبين فقال الأمير نعم الرأى ثم نادى فى الناس بأن يأخذوا أهبتهم وينجزوا أشغالهم وبعد ذلك فتحت أبواب ملطيه وخرجوا السودان والأبطال والأقران والشيوخ والشباب وفى دون ساعة انزعجت الأرض من وغى نوقهم وجمالهم (قال الراوى) وكان الفضل قدم الوصية إلى عمرو بن عبيد الله وقال له اعلم أن هذا الأمر كله من أجلك ومن أجل بنى عمك فيجب عليك أن تحمل نفسك الأثقال فقال عمرو أيها الحاجب الأجل الأمر أمرك قول وطول كلما تشير به أمتثله فقال الفضل تأمر بنى سليم ينتظرون إلى بنى عامر وكلاب حتى يخرجون من البلد فسوف نأمر العسكر بالحملة عليهم فلا يكون لك شغل أنت وبنى عمك إلا تقصدون إلى البلد وتملكون الأبواب فاذا ملكت البلد فلا يكون لهم سند وأنا أقول أنهم لا يبقى منهم أحد ونقلع آثارهم إلى الأبد فقال عمر والسمع والطاعة ثم أن الأمير عمر وادعى ببنى سليم وأعلمهم بالحال وقال يابنى عمى يكون بالكم إذا خرجوا قوم عبد الوهاب من الباب وصارت البلاد من ورائهم تحملون أنتم فى الحال وتقصدون الأبواب وتملكونها فان الرشيد سوف يحمل عليهم بعسكره ويصل إليهم بدساكره وتكون لكم اليد البيضاء عند الامام إذا أنتم فعلتم تلك الفعال فقالوا له بنى سليم طب نفسا وقر عينا سوف ترى مايسرك فرماحنا مداد وسيوفنا حداد وخيولنا جياد ونحن جياد أمجاد (قال الراوى) فشكرهم على ذلك وأقاموا على ذلك أول يوم والثانى فقال الأمير عبد الوهاب لأصحابه هلموا إلى الرحيل بارك الله فيكم وعليكم فخرجت الرجال والابطال كما ذكرنا وتخلف سيف الحنيفية فى البلد ومعه عشرة آلاف وكان الرشيد قد أمر العسكر بالركوب فركبت وما كان غير قليل بعد ما خرج الامير من البلد وأبعد عنها مقدار أربع فراسخ حتى صاحت الاتراك وحملت عساكر الاكراد والرشيد والترك ولم يبق إلا الامير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم فصاح ويلك يا عبد الوهاب قد هلكت وهلكت بنى كلاب ومن معك من السودان الانجاب دونكم يا بنى سليم والباب فما بقى يمنعكم عنه أحد

فنظر الامير عبد الوهاب إلى ذلك فكشف رأسه ونادى يال كلاب يال كلاب وصاحت الاميرة ذات الهمة وقالت والله هذا الذى حسبته من الحساب فعندها حملت بنى كلاب من كل جانب وبرزت القواضب وارتفع الصياح وقاتلوا بنى كلاب عن الحريم وكان ذلك اليوم يوم عظيم وهب عليهم من الحرب نسيم وصارت الاجساد رميم وبان الفارس الكريم من الجبان اللئيم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل إلى أن ثقلت السواعد وكلت وعجزت الخيل عن الجولان وملت ورجعت الفرسان عن أقرانها وتخلت (قال الراوى) فعند ذلك تبادرت بنى كلاب للضراب وفى أوائلهم الامير عبد الوهاب وصاحت الركاب وتقطعت الرقاب وطلب الامير عبد الوهاب الباب (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الامير عمرو بن عبيد الله قد هجم على ملطيه فى عشرين ألف من بنى سليم فلقيهم الامير سيف الحنيفية فى عشرة آلاف ففتك فيهم وأسر وقتل ونظر إلى عمرو بن عبيد الله فقصد إليه وهو كانه قطعة من جبل وضربه بحربة كانت معه فى يده فخرجت مثل القضاء المنزل فلما رآها عمر وأخذها بترسه وكان ترس مانع فنفذت فيه وخرقته وقطعت الدرع ومزقته ووصلت إلى صدره فجرحته وكان جرح وثيق فانقلب من على جواده إلى الارض هذا وسيف الحنيفية يضرب فى بنى سليم طولا وعرض وهم بالنجاة لا يصدقون وما كانت إلا ساعة وانهزموا الباقين وهم بالنجاة لايصدقون وسمعوا بنى سليم أن الامير عمرو قد قتل فما ألوى أحد على أحد بل ولوا هاربين وإلى البر طالبين وكذلك الامير عبدالوهاب قد مزق صفوفهم وداس فى عسكر السلطان إلى أن وصل إلى باب ملطيه ومعه بنى كلاب وقد حموا نساءهم وأولادهم إلى أن وصلوا إلى سيف الحنيفية فوجدوه قد كسر بنى سليم ودخلوا الناس إلى البلد وأغلقوا باب ملطيه الامير وأتى سيف الحنيفية إلى عند الامير عبد الوهاب وقال له يا أبت قد قتلت عمرو بن عبيد الله فصاح الامير عبد الوهاب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم وثب هو والامراء نحو الباب فوجدوا جماعة من بنى سليم قتلى وفى وسطهم الامير عمرو بن عبيد الله وقد وطئته الخيل وهو لا يعرف من أتاه ولا يجيب من ناداه فحمل إلى دار الامير عبد الوهاب وهو على آخر نفس فأدعى الامير بجرايحى فداواه (قال الراوى) هذا وعسكر الرشيد قد نزلت من حول البلد وقد صارت ملطيه مثل المركب فى وسط البحر الزاخر وأن الرشيد قد نزلت جماعته وجعل

يفزع أمل العساكر ثم سأل عن الامير عمرو بن عبيد الله فقيل له قتل فضاق صدره وعيل صبره وأقسم لا يرحل عن ملطية حتى يقتل سيف الحنيفية (قال الراوى) وانسدل الظلام وهجعوا النوام وأما الامير عبد الوهاب فانه لم ينم تلك الليلة حزناً منه على الامير عمرو فقال له ولده يا أبتاه إن كنت قد حملت على قلبك منى فاعلمنى فقال يابنى إنه كان أخى بعهد الله أيام الصبا إن الامير عمرو أفاق على نفسه فى الليل وطلبوا له الماء فسقوه الشراب وقالت له الاميرة ذات الهمة ياعمرو ما كنت أرجوك عن ما كنت تصنع فى حق الاميرعبد الوهاب إلا خوفاعليك من أشباله وأصبح الله بالصباح وأدعى الرشيد بأرباب دولته وقال لهم أقسم بالبيت ومن حج بالتلبية ومن ضج لئن لم تنصحوا اليوم فى القتال اضربت منكم الاعناق فعندها ضربت الطبول ونشرت الاعلام والرايات وزحفت الأكراد وفى أكفها سهام الإسلام وزحفت الديلم وفى أيديهم العمد لقص الجماجم ومن خلفهم الأعاجم وتبادرت الاعراب وفى أيديهم السيوف والحراب فبينماهم كذلك وإذا بغبار قد طلع من ناحية أرض السويدية وأرض مجستان وكان غبارعظيم كثير قدملا الأقطار وسد الأمصار فأنكروا الناس ذلك غاية الإنكار فوقفوا يستبينوا الخبر ويكشفون ذلك الأثر الذى غباره قد ظهر وكذلك الأمير عبد الوهاب اقبل على الأميرة ذات الهمة وعلى سادات بنى كلاب وهم يقولون هذه عساكر كلب الروم وخرج أيضا من عسكر الرشيد النجابة لكشف الاخبار ساعة من النهار وعادوا بالفرح والاستبشار ورجعوا إلى الرشيد يخبروه بأن هذه العساكر التى قدأقبلت كلها إلى خدمتك وصلت وكان السبب فى ذلك ان الرشيد عند خروجه من بغداد أرسل رض مصر واعمالها فجمع له إبراهيم بن الخصيب جيش عظيم عددهم مائة الف وفيهم الف جيشه مصارمة ومغاربة ومعهم من جميع الاجناس والمقدم عليهم رجل جبار من الجبابرة يقال له قراقد له حديث عجيب وذلك انه لو لكزمركب كسره أولكم جمل أتلفه (قال الراوى) وانه حمل الف رطل بالمصرى وسار بها من الرف إلى مصر مسيرة ثلاثون فرسخا واشتهرذكره بين الرجال حتى صار له من السودان خمسة آلاف اسود ولما ارسل الرشيد إلى ابن الخصيب يطلب منه عسكر دعا بقراقد واخبره بأن الخليفة قدنافق عليه رجل يقال له عبد الوهاب لا يلتقى مثله حد ومعه من السودان عشرين الف فلما سمع قراقد ذلك الكلام قال للخطيب فما قولك فيمن يمضى اليه ويحمل عليه ويأتيك به أو براسه والقاه بهؤلاء السودان التى ليست

كالسودان (قال الراوى) هنالك نادى الخصيب على سائر العساكر والدساكر وساروا وقد قدم قراقد فى أوائل الناس وكتب ابن الخصيب للرشيد يقول له يامولاى لا تباشر أنت قتال ولا تمارس نزال فهذا قراقد يترك أنفاس عبد الوهاب خامدة ولا يبقى أسود من سودانه على وجه الأرض إلا من تكون أنفاسه غير قاعدة (قال الراوى) وسار قراقد إلى أن أشرف على ملطية كما ذكرنا إلى أن ارتفع النهار ودخل العسكر كأنه البحر الزخار وصاحت كل طائفة بلغتها وزهرت فى زيها وحلتها واعتدت بعدتها وتأهبت بزينتها ولم يزالوا حتى أشرفوا على سرادق الرشيد فلما أشرفوا جهزوا أمرهم ولعبوا مع بعضهم فانفرد قراقد مع السودان وعليهم الألوان من الأزرق والاخضر والاصفر وقراقد بينهم كانه الجاموس وهو أسود اللون على لون الامير عبدالوهاب الا انه فى جيش متزين بزينة عجيبة وأصحابه يصيحون لبعضهم بعض بأسماء عجيبة (قال الراوى) هذا وعبد الوهاب قد أشرف على القوم ونظر إلى سودان مثل لون الغراب وأثوابهم مثل زهر البستان وهم مثل النخيل الطوال وقرقد فى أوائلهم مثل النخلة السحوق فكاد عقل الامير عبد الوهاب أن يطير وقال لأمه ألا تنظرين إلى هؤلاء السودان إنهم والله شجعان وإنهم أشجع من سودانى لانى أرى الشجاعة تلوح من أعينهم وهم من الجبابرة فياليت شعرى من جمع هؤلاء وأريد أن أرسل لهم وأعطيهم المال فقالت الاميرة ذات الهمة ترفق على نفسك يا بنى واعلم أن ابن الخصيب لما علم بما قد وقع بينك وبين الخليفة أراد أن يرسل إليه هذا الجهار ولاشك أن هذا هو المقدم عليهم وأشارت إلى قراقد وقد يكون ضمن لهم قتلك ولم يعلم أن من دونك لبوة ماسكة ظهرك تأكل لحمه وتجز مفاصله فضحك الامير من قولها ثم انها قالت وإذا أنت أرسلت له وتبذل له المال يقول لولا أنه فزع منى لما أرسل إلى وأفضل الاشياء أن تخاطبه وهو أسير فى يدك فيطيعك من تحت قائم سيفك فإن لم يكن لك به طاقة فأنت وأنا إلى لقائه مشتاقة فشكرها الامير على قولها (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا ٭ وأما الرشيد فانه لما وصل إليه قراقد وأوصل كتاب ابن الخصيب إليه فرح فرحا شديداً وأخلع عليه وعلى أصحابه السودان المقدمين خلع على سنيه وأيضا على سائر الطوائف وقال له قراقد على ماذا عولت يا أمير المؤمنين فقال الزحف بهذا العسكر إلى البلد وقتل هذا الاسود فقال له قراقد يا مولانا ليس هذا بصواب لأنك تكسر هيبة السلطنة بالزحف إلى هذا الاسود الزنيم والبغل اللئيم وهاأنا أيها الملك خارج إليه اما أقوده حقير واما أجعله قتيل فلما أن سمع الرشيد ذلك منه

منه وكان كلامه كالرعد القاصف أو الريح العاصف قال له ان فعلت ذلك فانت تكون فى موضعه وماتحويه يده من قلاع وضياع ورساتيق ورجال وامراء تصير لك (قال الراوى) فلما سمع قراقد ذلك الكلام من الخليفة فرح واستبشر وانفرد بعسكره الخمسة آلاف السودان ناحية الرشيد وأمرهم بالنزول فنزلوا (قال الراوى) وزحف قراقد إلى أن قرب من الباب ونادى بصوت مزعد كأنه الرعد إذا خرج من وادى يا بن دلهمة لقد أوقعت نفسك فى معظمه واعلم أنى منعت الرشيد أن يزحف بعساكره إليك احتقارا بك واستصغارا بشأنك والآن فقد سمعت أنك فى مائة الف فارس فارس وأنا فى هذه الخمسة آلاف فارس والأمثال تبرز للأمثال والأبطال للأبطال وما أنت ممن يقاوم الخليفة الذى للأرض فى الطول والعرض وها أنا قد أتيتك لتلتقى سودانى بسودانك فأما إن أبلغ مرادى واما أن تبلغ مرادك فاخرج إلى ظاهر البلد فان الجدران والحيطان لا تصلح إلا للنسوان فاظهر من هذه الجدران إن كنت من الفرسان أو من الشجعان (قال الراوى) فلما سمعوا العسكر والأمراء ذلك الكلام قال الأمير عبد الوهاب ياسادات بنى كلاب افتحوا الباب فهذا يوم الحرب ومقام الطعن والضرب افتحوا الباب فانكم اليوم تربحون الثواب ففتح الأمير عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وضاقت عليه أنفاسه وهو كالأسد القسور والليث الغضنفر (قال الراوى) وان الامير عبد الوهاب لما توسط الميدان ومقام الضرب والطعان وصف كتايبه وعبا مواكبه فكانوا بنى كلاب فى مقابلة المصريين وسيف الحنيفية يقدمهم ووقف الامير فى ستة آلاف أسود وإلى جانبه الاميرة ذات الهمة وسملق وأبو الهزاهز إلى جانب الاميرة وضربت سودان قراقد بوقاتها والقرون وهم بأصواتهم يصيحون ويتراقصون وتحت السلاح إلى القتال يتقدمون والامير عبد الوهاب ينظر إليهم ويتفرج عليهم وكان الامير فى سائر الاوقات لا ينسى الملكة نورى إلا فى تلك الساعة فانه قد نسيها لفرحته بالسودان الذين كانوا مع قراقد وقال أترى هؤلاء يصيرون فى طاعتى بعسكرى وأدخل بهم فى بلاد الروم وأجاهد وإياهم فى طاعة الحى القيوم (قال الراوى) هذا وقراقد لا يعرف كيف يصف الصفوف غير انه أشار إلى العساكر فحملوا وعلى القتال عولوا وحملت بنى كلاب فى ساداتها وحملت الابطال على الأبطال فما كانت إلا ساعة حتى تمعتعت عساكر الخصيب ورأوا من عساكر الأمير عبد الوهاب شىء عجيب فلما نظر قراقد الى ذلك عطف على بنى كلاب بسودانه فقتل وأسر فصاح

الأمير عبد الوهاب لما رأى ذلك وحمل فى سبعة آلاف أسود بصدور الزرد وحسن العمد والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وكان الرشيد قد وقع لسودان قراقد وأخلع عليهم أقبية الديباج والخز وألبسوها على صدورهم الزرد وهم فراحا بها فلما أن حملوا فى هذه الكرة صاح بهم قراقد يا بنى حام انصحوا فى ضرب النصال وإلا أخذ الرشيد الخلع منكم وعدل بها إلى سواكم فعند ذلك ألقوا السودان الثياب عن أجسادهم وزحفوا على أقدامهم فما كانت إلا ساعة حتى أرموا سودان الأمير الخندق وصاح الأمير عبد الوهاب بالرجال وكشف رأسه وصاح وتنافرت العرب وحملت وزمجرت بنى كلاب وحمل سيف الحنيفية والأميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز فلم تكن إلا ساعة حتى إندقت طوايف الحصيب ولم يثبت إلا قراقد وسودانه وأقام يقاتل بنى كلاب والسودان وأن الأمير عبدالوهاب لما أن نظر إلى ذلك قال لهم يا بنى كلاب بالله عليكم لا تبذلوا فيهم سيوفكم فانهم ما يستاهلوا وما نظرت عينى مثالهم ومن قدر على واحد منهم لا يفرط فيه (قال الراوى) فلقيهم الأمير عبدالوهاب واشتد العذاب وحمل الأمير سيف الحنيفية واشـــتد الباس وصعب المراس وبليت الحواس وضاقت الأنفاس واستقبل الأمير عبد الوهاب هذا العالم العظيم وقاتل قتال الكريم المحامى عن الحريم (قال الراوى) فبينما هم كذلك إذ لقيه أبو الهزاهز وهو مجروح فقال له الأمير ما وراك قال أدركنى فإن مقدم هؤلاء السودان كاد أن يطعنى فيهلكنى ولولا انهزامى من بين يديه لما كنت نجوت منه فقال له الأمير عبد الوهاب وأين أجد مقدم هؤلاء السودان فهو فى الحديث وإذا بقراقد قد قدم على السودان وجال إلى الأمير وحمل عليه وحمل أيضا عليه (قال الراوى) فما نظرت العيون مثلها ولا شاهدوا شكلها فكانوا كأنهم أخوين فى قالب واحد فى الشجاعة فلم تكن إلا ساعة حتى نظروا الناس إلى السماء وقد أظلمت وإلى الدنيا قد أعتمت وإلى الأقطار قد اسودت والأرض من تحت الأقدام قد ارتجت وكان هذا الأمر وسط النهار عند ذلك ظنوا الناس أن القيامة قد قامت وذلك من هول ما عاينوا ذلك اليوم من الغبار المتلاطم فتفرقوا الناس من بعضهم بعض ودخل الأمير عبد الوهاب إلى ملطيه وفى قلبه لأجل قراقد لهيب النار وكذلك فى قلب قراقد ومضى إلى عسكره وهو كأنه الأسد الغضبان (قال الراوى) وان الرشيد لما أن رأى الغبار أراد أن يكشف الأخبار فأرسل مائة فارس يخبروه بما كان فساروا المائة ورجع منهم اثنان فقال لهم وأين أصحابكم

فقالوا له يا أمير المؤمنين قتلوا فقال لهم الرشيد ويلكم ما الخبر فقالوا يا مولانا نخبرك أن ملك الروم قد وصل فى عساكر ما رأينا مثلها وهم مثل عسكرك عشرين مرة فانظر ما بين يديك فانه قد أشرف عليك قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام عظم عليه وقال لأرباب دولته ما أنتم قائلون فقالوا يا مولانا الأمر فى ذلك إليك وها نحن قد صرنا بين عدونا هذا عبد الوهاب قد نافق وقد لقينا من قتاله ما عرفته وقد أسر من الناس ما قد عرفته وهذا ملك الروم قد وصل وكأنك به فى مقابلتك قد حصل ولا نأمن أن يرجع إلى قتالنا الامير عبد الوهاب وبنى كلاب والسودان الانجاب فيخرجوا من خلفنا والروم من بين أيدينا فما كان يسلم منا أحد فقال الأمير قراقد إن كان فزعكم من عبد الوهاب وبنى كلاب فأنا أكفيكم همهم وإن كانوا بعدد التراب فعليكم أنتم بعساكر الكفار (قال الراوى) ثم ان قراقد انفرد بعساكر مصر وقد خلع الرشيد عليه وشرفه أعطاه الأعلام والبوقات والطبول والكؤسات وأخلع على من معه وانكشف الغبار عن عالم مثل البحر الزاخر وتسارعوا عساكر الروم حتى قابلوا عساكر الرشيد ونزلت بالقرب منهم ونزل الملعون منويل فى عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى ولم تزل العساكر تنزل بطول النهار أجمع واليوم الثانى والثالث حتى قال الرشيد ما أظن الملعون ملك الروم إلا وقد جمع أهل الدنيا بأجمعها ولو علمت أنه فى هذا العالم العظيم ما كنت أقمت إلى أن وصل وفى مقابلتى نزل لأننى ما سرت من بغداد على نية لقاء كلب الروم ولقد كان هذا الرأى رأى مذموم وأيضا أن عساكر خراسان ما صبرت معى لأننى ما خرجت إلا لهذا الاسود كيما أخرجه من البلد والآن فقد أتى ما لم يكن فى الحساب فهو مع أرباب دولته فى الخطاب وإذا بوقات الروم قد قربت وكاساتهم قد دقت وجلبت تخيل لهم أن الأرض قد انقلبت وركبت ملوك الروم وكذلك الرشيد ركب ودقت بوقاته ودقت كؤساته ونشرت أعلامه وراياته وحققت منجنيقاته (قال الراوى) فلما رأى الامير عبد الوهاب إلى ذلك الامر العظيم أطلق الأمير عمرو بن عبيد الله وألف أسير من بنى سليم ففرح الرشيد فرحا عظيما ثم إن ملك الروم أشار إلى العسكر فحملت وتبادرت أبطاله وكانه فما قولكم فى خمسمائة ألف تلتق ألفين ألف وأربعمائة ألف فرأيت الوحوش قد نفرت والمياه تكدرت والأحوال قد ظهرت والأكف من المعاصم قد انتثرت والارض قد تحفرت والنفوس على الحياة قد تحسرت والمرائر قد انفطرت ولم

يزالوا كذلك إلى أن انقشعت الغبرة وانكشفت وقد تنكس علم الرشيد وسكتت بوقاته ولم تسمع كؤساته وأحدقت به الروم من كل مكان وولت عساكر العراق وتبعتها عسكر مصر وولوا الباقين الأدبار وركنوا إلى الفرار فعندها صاح ملك الروم بالملوك خذوا الرشيد وقد ملكتم من خراسان إلى الصعيد (قال الراوى) فما استتم كلامه حتى أرمت الروم نفوسها عليه فى طلب الظفر به وترجل الأمير قراقد فى خمسة آلاف وقاتل قتال عظيم وانهزم الأمير عمرو بن عبيد الله فى بنى سليم وولت العساكر ونفرت الأعاجم والديالم ولم يبق مع الرشيد إلا خمسين ألف وأراد الهزيمة فلم يجد إلى ذلك من سبيل لأن الروم قد أحدقت به كما يحدق البياض بسواد الحدق فصاح بقراقد يا ولدى إياك أن تتخلى عنى فأنت اليوم العدة والعمده (قال الراوى) وزاد عليهم الأمر وانكبت عليهم الاجناس من الروم والأرمن واليونان والبنجاك والمغلبيط والبرغال والملافطة والبنادقة والزواورة والانجار وما كانت إلا ساعة حتى ولت الخمسين ألف منهزمين وبقى الرشيد وأربعة آلاف الصقالبة وغلمان الدار وقراقد وسودانه فعند ذلك كشف قراقد رأسه وصاح وقال لأصحابه اعلموا أن ما عندكم معرفة ولا عبادة تخلصكم يوم القيامة من النار ولا يخلصكم الهرب والفرار وهذه أرض لا تعرفونها فقاتلوا فى سبيل الله وموتوا كراماً عساكم تصلوا إلى الشهادة فهى أفضل من العبادة فعند ذلك صاحوا صيحة واحدة يا إمام وحملوا على الكفرة اللئام (قال الراوى) فارتجت الأرض والآكام فلما رأى الأمير عبد الوهاب إلى هذا المصاب أخذته الغيرة للدين والحمية للمسلمين وقال للأميرة ذات الهمة يا أماه ما هذا صواب أن تقعدى عن الجهاد فى طاعة رب العباد وما فى الأمر إلا أن تفتح الباب ونجود الطعان والضراب فقالت الأميرة يا بنى هذا هو الصواب فعند ذلك تكاثرت الابطال من بنى كلاب والسودان الانجاب وفتح من ملطيه الباب (قال) فما صار عبد الوهاب بظاهر ملطيه إلا والروم قد أرمت الأوهاق فى الأعناق تعوق بها رقاب السودان وهو قتال لم تعرفه فأيقن الرشيد أن الروم قد أخذوه إذ سمع التكبير من أعلى ملطيه قد علا والتهليل قد نما والامير عبد الوهاب قد سطا وذات الهمة تنادى معاشر العرب بيضوا وجوهكم عند النبى المنتخب سيد العجم والعرب فكبروا وحملوا فى مائة ألف عنان وسبعة آلاف من السودان والامير عبدالوهاب فى أوائلهم وهو يقول ادركوا الرشيد لانه يوم سعيد وقاتلوا فى طاعة الملك المجيد

(قال الراوى) فلما نظر قراقد إلى عساكر الأمير قد حملت وهو فى أوائلهم وقد صاح بالروم وكشفهم عن الرشيد ومن معه فتعجب من جميل فعله وقال هذا يدل على كرمه وكرم أصله ونثرت أبطال بنى كلاب الرؤس نثرا وأرمتهم خمسا خمسا وعشرا عشرا وقاتل سيف الحنيفية قتالا زجرا والأمير هياج الكردى قد أباد البطارقة وجعلت الأميرة تهبر الأبطال هبرا وهى تقول صبرا صبرا سيجعل الله بعد عسر يسراً وأما الأمير ضيغم فقد جعل ربح القوم خسرا وجعل ديارهم منهم خالية وقفرا (قال الراوى) وما كانت إلا ساعة حتى وصل الأمير عبدالوهاب إلى الرشيد وأعانه وقلعت الأميرة ذات الهمة قراقد ومن معه من السودان وسيف الحنيفية والأبطال ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وانسدل الظلام وانتهى القتام لجميع الأنام وحرصت الروم أن تحيل بين الأمير عبد الوهاب وبين الباب فلم يقدروا على ذلك وحمل الأمير عبد الوهاب الرشيد ومن معه بين يديه ولم يزل معهم حتى وصل إلى ملطيه ودخل البلد فرحان بما فتح الله عليه وخلاص الخليفة على يديه وغلقت الأبواب وطلعت الناس على الأصوار هذا والرشيد ما أمن على نفسه بل أنه بقى يرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف وحمله الأمير عبدالوهاب إلى القصر ونصب له سرير وقام قائما يحجبه والأمير سيف الحنيفية عن يمينه والأميرة عن يساره وهى مجروحة جرحا وثيقا وتخضبت ثيابها بالدماء غير أنها مثل الأسد الغضبان ثم أنهم حملوا إلى الرشيد الطعام فقال يا أمير مالى فى الطعام من أرب وأنا على نية الصيام وما أفطر فى هذه الليلة ومالى فم يذوق الطعام فقال الأمير عبدالوهاب يامولاى لا تتأسف على من انهزم من العساكر وأن الفضل بن الربيع وعمرو بن عبيدالله قد انهزموا وقت الحاجة إليهم وقالوا عنى أنى ما نهوى الدولة العباسية وذكروا عنى أنى منافق غير صادق والآن فقد حققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق فقال الرشيد ياعبدالوهاب اجعلنى فى حل مما جرى بينى وبينك فلعن الله من يوقع بينى وبينك وقد علم الله تعالى صدق نيتك فلهذا هو قائم فى معونتك (قال الراوى) وأقبل الرشيد على الأميرة ذات الهمة وقال لها لقد أرعنا قلبك على ولدك مرة بعد أخرى وهو مع ذلك موفق سعيد ولئن ظفرت به ماناله مكروه والآن فان موضعكم عندى الموضع الذى تعرفوه فقبلت الأميرة الأرض وكذلك الأمير عبد الوهاب وأمرهما بالجلوس فامتنعوا فأقسم عليهما فجلسوا ساعة ووثب الأمير وأنزل لقراقد الخلع السنية خلاف خلع الرشيد وحمل إليهم المأكول والمشروب والأوانى والطعام والفرش ومن التجمل

ما أذهل عقولهم فقال الأمير قراقد يامولاى لقد تفضلت علينا وأجملت وما قصرت فيما فعلت مع أننا فعلنا فى حقك مالايوجب هذا فقال لهم الأمير عبدالوهاب وأى جميل تفعلوا معى أكثر من صبركم على سيوف الأعداء فلله دركم ما أصبركم على القتال وأجلدكم على الأهوال فقال له الأمير قراقد أيها الأمير أنت أقوى منا جلد ومثلك فى الجلاد لايوجد ولقد شغفت بمحبتك وطابت أخوتك ولى أسوة بك إن رضيتنى عبد لخدمتك لأقاتلن بين يديك أعدائنا وأعداك وحسدتك وأبذل مهجتى والخمسة آلاف الذين معى غلمان حضرتك ومالنا فى الارض لا أولاد ولا نساء ومانحن إلا كما ترى فانظر فى حالنا كما ترى

فقال لهم الامير عبد الوهاب وقد كاد قلبه أن يطير من الفرح لما أبداه قراقد من الكلام معاذ الله أن أراكم فى عدد الخدام ولكنى أتخذكم إخوان وأقارب والزام والاحظكم بعين عنايتى وأوافيكم برعايتى ولكم على الجواز والخلع والاقطاعات ففرحوا بقوله وشكروه على فعاله (قال الراوى) وكانت على عبدالوهاب من أبرك الليالى وأسعدها فكان تارة يتحدث مع قراقد وجماعته وتارة يمضى إلى الرشيد يحدثه والرشيد يقول له يا عبد الوهاب تقول أن ملك الروم غدا يزحف إلينا فقال الامير عبد الوهاب طب نفسا وقر عينا يا أمير المؤمنين فان عبدك فيه كفاية لهم ولامثالهم بعون الله تعالى ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال له يا عبد الوهاب اعلم أن الدنيا غداة غد تختبط لاجلى ويمضون المسلمون المنهزمون وتتحدث الناس بأنى قد قتلت والخبر السوء لاينكتم بل يطير بلا جناح وتشمت الحساد وتخرب البلاد والامصار والاقطار فقال الامير عبدالوهاب فما الذى تريد يا أمير المؤمنين فقال له يا عبدالوهاب لو قدرت أن ترسل الليلة خمسة نجابين يسيرون إلى الاماكن ويخبرون بأنى طيب وانى فى ملطيه فإن ذلك فيه منافع للناس أحدها تهدأ البلاد وتعز العباد والثانى تعود العساكر إلينا فقال له الامير السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين وقد خرج من مضربه ودعا بالنجابة وأنفذ معهم كتاب بخط الخليفة وأوعدهم بالخلع والاموال وفتح لهم الباب فى الليل فخرجوا فى ظلام الليل وهم على غاية من الفزع والخوف من عسكر الكافرين وستر عليهم البارى جل وعلا فمضوا صوب خرت برت وبعضهم طلب السويدية وبعضهم طلب أرض سجستان (قال الراوى) وأصبح الصباح وارتفع الصياح من كل جانب ومكان ورفعت الصلبان وصاحت القساقسه والرهبان وارتفع الغبار إلى العنان وكبر الامير عبد الوهاب على الابراج هو وبنى كلاب والسودان

الانجاب ورفعوا أصواتهم بالتوحيد الملك الديان ونظر الأمير عبد الوهاب الرشيد فرآه وقد تغير لونه واضطرب كونه فقال له لا تخف يا أمير المؤمنين فقال له والله يا عبد الوهاب انى كنت بالأمس فى عداد الأموات لولا أن من الله تعالى علينا بك مع انى ما واليتك جميلا ولا جدت عليك بتفضيل فقال الأمير عبد الوهاب العفو يا أمير المؤمنين أنا على كل حال عبدك وكل ما أملكه من برك ورزقك والبارى جلت قدرته مهلك حاسدك ويقطع ضدك ويتم سعدك وتأييدك فقال له الرشيد أظن مثلك لا يوجد لأنك رجعت إلى كرم طبعك فلله درك أيها الأمير الأجل ومع ذلك لا تفتح باب ملطية فهذا عسكر لا يبالى بأحد فقال الأمير عبد الوهاب أما أنا فلست ممن يقعد خلف الجدران ثم فتح الباب ونادى فى بنى كلاب وخرج قراقد فى خمسة آلاف أسود من كل بطال أمجد وقد زحف ملك الروم بالعزادات والطلاقات والسلالم فلما نظر إلى الباب وقد فتح أمر الملوك بأن يصيروا صفا صفا ويزحفون زحفا وطلب منهم الأمير البراز وسألهم الانجاز فلم يمهلهم ملك الروم دون ان حمل عليهم وأشتد المجال ولمعت السيوف الصقال والرماح الطوال ودامت الأهوال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه وقد صبروا المسلمين الكرام ونزل عبد الوهاب وسيف الحنيفية وأبو الهزاهز وسملق وبرد ابن الأزهر ومالك ابن طوق ومالك ابن بشر الأقطع وهياج الكردى وراشد بن ضمره وقراقد وهارون العلوى وسعيد بن الفرج وقد رموا على الروم وصدوهم وغلق باب ملطية هذا والرشيد طول نهاره يدعو الله تعالى ويدعو للأمير عبد الوهاب بالنصر على الأعداء (قال الراوى) وباتوا الناس على مثل ذلك إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح فقال الرشيد للأمير عبد الوهاب والله انى من الهم الذى ورد على قلبى فى هذين اليومين قد ثار على المرض الذى يثور على فى كل سنة ولو صالحنى ملك الروم انه لا يتعرض للمسلمين لصالحته فهو مع الأمير فى الكلام والخطاب إذ أقبلوا الناس من الاصوار ينادون الامير عبد الوهاب فقال لهم ما شأنكم فقالوا أتوا عسكر الروم وقد ركبت وإلى البلد قد طلبت وخرج البترك إلينا فهل تأمرنا ان نفتح الباب فقال لهم نعم افتحوا ففتحوا الباب ودخل البترك إلى البلد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك دهرشوم بن شومدرس لانه دخل على الملك فى الليل وبكا وقال أيها الملك ان الايام تنقضى والساعات تمضى وروحى تتلف من الشوق إلى أهلى وقد دخل على

الضرورة من ذلك وأريد انك ترسل إلى خليفة المسلمين فهو على كل حال محصور وعسكره مكسور وهو هارب مقهور وتسأل عن الراهب شومدرس وعن والدتى الدينة الصالحة فانى أعلم ان أهون ما عنده ان يصالحك عليهما فاذا خلصناهم رجعنا بعد ذلك عليهم (قال الراوى) فلما ان سمع منويل كلام دهرشوم قال له وحق المسيح انى أشوق الخلق إلى أبوك شومدرس منك ولست ممن يبخل عليه بهذا المقدار مع ان الخليفة مقهور محصور ولكن أنا أطيب قلبك ثم انه سير البترك كما ذكرنا يقول له اعلم انى قد رثيت الك بعد ذلك من أجل ما حل بك وحنيت عليك حنة الملوك بعضها على بعض ورق قلبى عليك لان عساكرك قد انهزمت والجيوش عنك قد نفرت واعلم ان الحرب سجال يوم الك ويوم عليك وأنا كان سبب خروجى إلى هذه الديار من أجل الشيخ أبو الشر شومدرس وزوجته شوما وأريد أبو محمد البطال يسلمهما إلى وأنا على مهادنتك ومصالحتك مهما أردت من السنين (قال الراوى) وكان ذلك الكلام من ملك الروم وهو مضمر الغدر فى قلبه للرشيد وعساكر المسلمين فلما دخل البترك إلى الرشيد رفع قدره وعلا مكانه عند ذلك قال البترك لامير المؤمنين اعلم يا ملك المسلمين ان الملك منويل قد ادركته الرحمة عليك وقد رق قلبه عليك من أجلك وأجل عساكرك فقال الامير عبد الوهاب وما الذى جرى عليه وعلى عساكره وأنا بين يديك ولو كنتم يا كلاب بعدد التراب وقطر السحاب (قال الراوى) فلما قرأ البترك ما معه من الرسالة قال الرشيد لعبد الوهاب حدثنى حديث هذا الذى نكد عيشى وخرج ملك الروم من أجله فأعاد عليه القصة التى جرت له مع عبد الوهاب فضحك الرشيد من وسط الغيظ وقال يا عبد الوهاب قل للبترك أما أبو محمد البطال فانه ما قدر عليه لانه خرج عن طاعته وهو فى آمد وهى بلد حصينة ولكن أمهلونا خمسة أيام إلى أن نرسل إليه ونخلصهم من يديه ان كان يطاوعنا أم لا (قال) فلما سمع البترك ذلك من كلام الخليفة قال سمعا وطاعة ثم رجع إلى الملك وأعلمه بجلية الخبر فقال الملك نحن نصبر عليهم إلى ما يخلص شومدرس وبعد ذلك نعود إلى الرشيد وعسكره ونغدر بهم (قال الراوى) فلما راح البترك وجرى ما جرى التفت الرشيد لعبد الوهاب وقال يا عبد الوهاب أنا أكتب كتاب بخط يدى إلى أبو محمد البطال أطلب منه هذا الشيطان أبو الشر شومدرس ونلتقى مناضلته وهرق دما الاقران والاصحاب فهم فى الكلام وإذا بصابر المرعشى الجاسوس قد أقبل فقال له عبد الوهاب هات ما معك من الكلام يا مبارك

فقال له يامولاى حديثى عجيب وأمرى غريب يجب أن يسمع على الترتيب فقال له وماذلك فقال له أخبرك بخبر الاكراد ان كركر ابن غشم الكردى نزل على مدينة آمد فى ستين ألف وقاتلهم أبو محمد البطال فى أربعة عشر ألف أسود وقاتلهم القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد ووقع بينهم البراز فخرج كركر بن غشم ونادى برفيع صوته ما المليح أن تملك البلد بالحيلة وإنما يمدح الرجل بشجاعته وشهامته وقوته فأين أميركم أبو محمد ينزل إلى ويحمل على فلما قال كركر ذلك الكلام استحى أبو محمد أن يمتنع من الخروج فعند ذلك خرج إليه وقحم من وهجم عليه فأخذه أبو محمد بالوهق لانه نوع من السلاح الذى لايعرفه كركر ولايفهمه فأخذه أبو محمد من غير قتال ولاملاقاة بل أوهقه فى الحال فهمت عساكره أن تولى الادبار فصاح بهم أبو محمد البطال إلى أين تذهبون وعندى لكم الاقطاعات والجوامك والإحسان مثل مافعلت بغيركم وأنا أبو محمد البطال الذى بلغكم ذكره (قال) فلما سمعوا ذلك من كلامه وما نطق به من نظامه أجابوه عن بكرة أبيهم ونادوا أبو محمد يامنصور فعندها خلع عليهم الخلع السنية وأعطاهم اقطاعات مرضية وأن أبو محمد اليوم صار فى مائتين ألف وستين ألف فارس وفرق العدد والسلاح على الناس والاموال والخلع للرجال وقويت قلوبهم واشتد عزمه ومضوا جابوا أموالهم وأولادهم وعيالهم من الضياع والجبال والرساتيق وحصلوا فى آمد وتوطنوا بها وقالوا العساكر لابو محمد لو أمرتنا أن نقاتل أهلنا وجميع أقاربنا لفعلنا ذلك محبة فيك فشكرهم أبو محمد البطال على ذلك وأن الامير عبد الوهاب لما سمع ذلك حرك رأسه وقال سبحان الله المعطى بغير حساب ياصابر فهل رأيت أحدا من عسكر المسلمين المنهزمين قال قد رأيت الذين انهزموا ولكنهم ماسلموا فقال الامير عبدالوهاب أخبرنى ما الذى جرى عليهم فقال له يامولاى وصلوا إلى آمد على أنهم يمضون إلى العراق فعلم البطال أنهم منهزمين فخرج إليهم ونهب أموالهم ورجالهم ونهب خيل بنى سليم وأخذ عددهم وأخذ عدد عسكر العراق وكانت خزانة الخليفة قد سلمت من النصارى فأخذها وأخذ الفضل ابن الربيع وفرق على الاكراد مائة ألف من الخزانة وضيق على الفضل ابن الربيع وقال له اعلم أن الله تعالى قد علم فى نفسك الغدر فردك إلى موضعك الذى كنت فيه (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من الجاسوس عظم عليه ودخل على الخليفة واعلمه بما جرى فقامت عليه القيامة وكتب كتاب إلى الامير أبو محمد يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد

بلغنى مقالتك للفضل بن الربيع وأخذك خزائنى وقد فرطت فيها فى مائة ألف دينار فما عليك منهم والذى فرطت فيه فانه وهبة منى إليك تتساعد به على عساكرك فاذا قرأت كتابى هذا فلا يكن جوابك إلاأنك ترسل لى باقى الخزانه ويكون صحبتها أبو الشر شو مدرس وزوجته سوما فقد وقع الرضا بهذا مع الروم بخلاصهما ويرجع كلب الروم إلى بلده فانه فى عساكر لا يقع عليه إحصاء بعدد الرمل والحصى ما جمعها أحدا قبله أبدا وهذا كله بسبب الملعون شو مدرس وتطلق القاضى عقبة أيضا وآمد وهى منى إليك وقد خليتها لك لا يعارضك فيها معارض ولا يطلبها منك طالب وإن أنت لم تبادر إلى ما أمرتك به فإنى أسير إليك فى عساكر الروم جميعها ولا تجد لنفسك هناك ضرا ولا نفعا لما أصل إليك فى أبطال بنى سليم وبنى كلاب والسودان الأنجاب الذين كأنهم أسود الغاب فى مائة ألف عنان أبطال أقران شجعان فرسان وفى أوائلهم السيد المهاب والسيف القرضاب وسيد بنى كلاب الأمير عبد الوهاب وتحت رايته الأميرة ذات الهمة وفى أوائلهم الأسد الضرغام والبطل المغار والضارب بالمشرفية الأمير سيف الحنيفية

واعلم أن الاكراد ما يضربوا فى وجوه بنى العباس بالسيف وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر ثم طوى الكتاب وأرسله إلى ملك الروم يخبره بما جرى وقال له اعلم أن الذى تطلبهم فى قبضة أبو محمد البطال الذى سرقهم من بلاد الروم وقد أرسلت إليه كتاب فيه كذا وكذا فان أجاب فبها ونعمت وإلاسرنا كلنا معك إليه لأنه قبض على رجالى وأخذ خزنتى وأسر جماعة من أبطالى ولنا عنده قاضى قضاة المسلمين والشيخ الناصح للمسلمين عقبة فان سلم إليكم أصحابك وسلم إلى المال وصاحبنا عقبة الرفيق وإلا رميناه بحجارة المنجنيق حتى ننقض حجارة آمد حجر حجر إلى الأرض لانى قد أنفذت النجابة إلى العراق وسائر الآفاق لتأتى بالعساكر والدساكر (قال الراوى) فلما سمع ملك الروم ذلك الكلام فرح وقال لو لم يكن فى هذه النوبة الإخلاص الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح لكان فيه الكفاية وأقام ينتظر الجواب وأما الرشيد فانه قال للأمير عبد الوهاب من يسير لقبض المال وخلاص الرجال من يد البطال فقال له عبد الوهاب اعلم يا أمير المؤمنين ان الذى يسير على خطب كبير من شوم البطال لانه قد تصرف فى المال وأنفقه على الرجال فقال الرشيد يا عبد الوهاب سبحان من خلع تلك المحبة من قلوبكم بعضكم من بعض فلقد كان أهل الارض كلها يحسدونكم على محبتكم فقال الامير عبد الوهاب يا أمير المؤمنين كل ما نحن فيه من البطال لانه

شاققنى فى هذه الجارية نورى وأخذت قلبى وطلبها لنفسه وأنا أخذتها بقائم سيفى ورمحى بعد ما جرى على ما جرى بسببها من أسر وبليه ولولا ذات الهمه لما قدرنا عليها ولا وصلنا إليها فقال الرشيد ما هذا إلا أمر عظيم ولقد أحسن القائل :

تموت الرجال على حبها ٭ وما يحصلون على ما يريدوا

وما الدنيا إلا كثيرة الآفات أترى يا عبد الوهاب هذه الجارية تسوى هذه المصائب وهذه الفتن وهذه الامور الذى جعلت الصديق عدو المحب والمبغض صاحب العدو وهذا غاية العجب (قال الراوى) ثم قال أرسل إليه الامير ضيغم فما أبو محمد مجنون ولا يقبض عليه ولا يخالف أمرى ويكون معه مائة فارس من بنى كلاب فان الطاعة كثيرة وأخاف على الخزانة وقد مضى منها مائة الف دينار وعسى يسلم الباقى فلم يمكن الأمير عبد الوهاب المخالفة قال السمع والطاعة وأنا أخاطر فى خدمتك بمالى وروحى وولدى ثم انه دعى بالامير ضيغم وضم إليه مائة فارس من بنى كلاب وأكثروا من عددهم ونجملهم وساروا وقد فرحت الروم لانهم علموا أنهم سائرين رسل من أجل الشيخ شومدرس وزوجته شوما والشيخ النجيح عقبة فلم يتعرضوا لهم بسوء (قال الراوى) ثم إن الرشيد أقبل على عبد الوهاب وقال له يا أمير عبد الوهاب كيف عيشك مع الملكة نورى فقال له عبد الوهاب عيشتى معها حكم عيشة العصفور مع الطفل الصغير فقال له الرشيد خذها غصبا فقال له حفظك الله يا خليفة الله انها أقسمت بدينها وما تعتقده من يقينها متى ما مددت يدى إليها قتلت روحها وما أقدر أغصبها على مالا تريد فقال له الرشيد أرنى إياها فسكت الأمير عبد الوهاب فقال الرشيد لا تخف منى أبدا فوالله ما أعارضك فيها ولكن أتفرج عليها لأنى ما أنسى لك ما عملت معى من الاعمال الجميلة إلى آخر الأبد (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك الكلام من الرشيد فقال يا مولاى وأى فائدة فى قصدك إلى نظرها فقال له الرشيد حتى أنظر أين هى مما سمعت عنها إن كانت تسوى تلك ألفين التى قامت من تحت رأسها والعداوة وإن كانت ماتسوى ذلك عذرتك وأعذر الامير أبو محمد البطال لانه قاصد لأجلها ولك الأمان وتربة المهدى ما فى قلبى لها لا قليل ولا كثير ولو كانت فى قصرى لأعطيتها لك فقال له الامير عبد الوهاب يامولاى انها لا تقبل منى ولاتجى معى وإن كان ولابد لأمير المؤمنين من النظر إليها فليمشى معى غير مأمور إلى الدار التى هى فيها لننظر إليها (قال الراوى) فقام الرشيد وسار والامير

بين يديه والخدم الصقالبة من حواليه وعليه غلاله مثاقيلى يسوى كل مثقال منها مثقال ذهب أحمر ومن فوقها ثوب حمل القائم ثمنه خمسة آلاف دينار وعلى رأسه تخفيفة تسوى ألف دينار (قال الراوى) وكان الرشيد ما فى بنى العباس أحسن منه منظرا فلما ان دخل الى الدار التى فيها نورى فسبق الأمير عبد الوهاب وصاح لها قومى قائمة اذا دخل أمير المؤمنين فلم تسمع كلامه ثم دخل الرشيد وجلس على كرسى من الآبنوس ونظر الى جارية اذا أقبلت الشمس خجلت من حسنها وبقيت كل جارية فى ملك الرشيد حين رآها لا تساوى فى عينه درهم ونظرت نورى الى الرشيد وله وجه يخجل القمر وذوائب الشرف على صدره فى سواد الليل مع حسن قامته فمال قلبها اليه وضحكت فخيل للرشيد ان الجنة قد أقبلت إليه ثم أنها تحدثت وانبسطت وقامت وقعدت ومازحت الأمير عبد الوهاب ودقت على صدرها بيدها فقال الأمير عبد الوهاب الرشيد هذا كله ببركتك يامولاى وانها والله من يوم هى هاهنا ما كلمتنى كلمة لينة الا فى هذا اليوم ثم انها صارت تحدثهم بحديث الروم وما ذكروا الحكماء مثل ارسطاطاليس وجالينوس وبقراط فسلبت عقل الرشيد ونسى الإيمان والعهود التى حلفها للأمير عبد الوها وقد نظر إليها نظر المحب وقد فتحت له حدقتين نرجسيتين ونظرت له بعينها فصقع لها فعلمت أنها قد احتوت على مجاميع قلبه فقالت فى نفسها وهذه فتنة أخرى تخرب بها بيوت كثيرة ووقع الرشيد فى قلبها ثم ان الأمير أقبل على الرشيد وقال له يامولاى ما تقوم من تلك الدار حتى اننا ندبر ما يكون فقال الرشيد ما هذا وقت التدبير حتى يأتى رسولنا وننظر من أمره ما يكون فقال الأمير عبد الوهاب ما يمكننى ياأمير المؤمنين المقام هاهنا لان الاميرة علوى مقيمة هنا فى بعض المجالس فخرج الرشيد وروحه معلقة بنورى وقد أضمر فى نفسه أنه يعطى للأمير عبد الوهاب مائة سرية من الخواص الذين فى قصره ويطلبها منه وأقام على ذلك الحال فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من الأمير ضيغم فانه سار فى المائة من بنى كلاب حتى وصلوا الى آمد فاخبروا الأمير أبو محمد أن الأمير صيغم قد أتاه فى رسالة فارتجف قلبه وطار فؤاده فقال فى نفسه ما أتى ضيغم الا والرشيد قد اصطلح مع عبد الوهاب ولا يعطونى الجارية نورى ثم انه كاد أن يغشى عليه من شدة الهوى ومن تباريح الجوا وقال على به فما كانت الا ساعة حتى أشرف الامير ضيغم والمائة فارس على الأمير أبو محمد البطال فقام لهم قائما على قدميه والتقى أبو محمد بضيغم وسلم عليه وأجلسه الى جانبه فعند ذلك أقبل ضيغم على الامير ابو محمد وتحادث هو واياه فقال له أبو محمد ياولدى ما الذى أتى بك وما

جئت فيه فقال الامير ضيغم اعلم يا أبا محمد انى رسول الخليفة إليك فقال أبو محمد خيرا إن شاء الله تعالى يا ولدى هات ما عندك فأخرج الامير ضيغم الكتاب وناوله إلى الامير أبو محمد البطال فأخذه وقرأه فلما ان علم ما فى الكتاب من التهديد والوعد والوعيد انقلبت عيناه فى أم رأسه والتفت إلى ضيغم وقال له يا حجام يا ابن الحجام أنا عجبت انك تأتى بخير ثم أنه صاح خذوا هذا الاسود الحجام ومن معه من الإخوان فهجمت الاكراد والسودان عليهم وعلى الامير ضيغم فعلم ضيغم انه ما يقدر يدافع عن نفسه (قال الراوى) فقبضوا عليه وعلى كل من معه من الفرسان وأمر بهم الامير أبو محمد فحملوهم إلى عقبة وشومدرس وشوما والفضل بن الربيع وكركز بن غشم وكان الفضل ابن الربيع مع عقبة يحدثه ويقول له اعلم إن كان الرشيد سالما فلا يتخلى عنا وأبو محمد داخلا عليهم ومعه ضيغم وبنى كلاب وقال لهم الآن تحدثوا مع بعضكم حتى لا تضيق صدوركم فلما نظر عقبة إلى ضيغم وهو يقول له اعلم يا أبو محمد ان أبى يقول واسمع كلام الرشيد فى كتابه بخطه فقال له أبو محمد ويلك يا حجام يا بن الحجام كيف أسمع كتاب الرشيد وهو يهددنى بأنه يأتى ومعه عبد الوهاب وعسكر الروم ويطلب منى المال الذى فرقته على الرجال ويطلب منى شومدرس والفضل وعقبة وهذا ما لا يكون أبدا إلا أن يعطينى بالملكة نورى وكيف أهمل أمرها وبالله لا بد لى أن أطرح فى رقابكم كلكم الحبال وأحبسكم فى هذه الخزانة ثم انه كتب فى الحال كتابا يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد) فانه قد وصل إلى كتابك يا هارون تطلب منى ما لا يكون وقد أسأت الظنون وتهددنى بالملحدين وتطلب منى ان أسلم إليك شومدرس وشوما وهما أشر الخلائق أجمعين المعروفين بفساد الدين وأنا الذى لا أفعل ذلك أبدا ولا أسلم إليك البلد ولا الفضل ولا عقبة ولا شومدرس ولا شوما حتى تسلم إلى نورى وان أبطأ على ذلك ضربت رقاب الجميع وأول ما أبدى بضرب رقبة الحجام ابن الحجام ضيغم ومن بعده القاضى عقبة وبعد هذا الكلام لا بد من قتل ذات الهمة العاهرة التى هى حبيبة مرزوق العبد لانها عاهدتنى على انها تساعدنى على تسليم نورى فعادت مع ابنها الاسود على مراده (قال الراوى) ثم انه طوى الكتاب وسلمه إلى واحد من بنى كلاب وقال له قل لمن أنت سائر إليه حتى تشدد عليه يفعل ما يؤمر به وإلا والله لأجعلنها أيشم الايام عليه ثم ان أبو محمد نظر إلى الكلابى فرأى عليه ثياب قيمتها مائتين دينار فقال له اخلع يا أخى هذه الثياب فما تصلح هذه للطريق والسفر فاخلعها فقال له الكلابى لا تفعل يا أبا محمد فانما هى جمالى فقال ابو محمد ما هذا وقت الجمال لان هؤلاء

الاكراد هم أحق ولا بد أن آخذهم من غير رضاك فنى الحال قلعوه ثيابه وألبسوه جبة صوف وأركبوه أكديش ثم قال له أسرع فى سيرك إليه وقص ما ذكرت لك عليه فقال الكلابى نفيت عن العربية ان أنا بعد هذه المرة عدت إليك فى رسالة (هذا) وقد صار الكلابى فى أقبح صورة وجعل يقطع الارض طولا وعرض حتى انه وصل إلى ملطية وقد انفطرت مرارته من سوق ذلك الاكديش البطلان (قال الراوى) كل هذا والروم محدقين بملطية فلما ان نظروا إليه أحدقوا به وقبضوا عليه وقالوا له من أين جئت فقال لهم جئت من آمد فقالوا له وما الذى معك من الاخبار من رسل الخليفة الذى وصلوا من ملطية فى طلب خلاص الراهب شومدرس فقال لهم الكلابى أخبركم ان محمد البطال قد خلع عليهم وأرحلهم ومعهم الخزانة التى للسلطان وفيها المال وهى أربعمائة قنطار ذهب وقد سبقت ان القوم لانى رجل فقير صعلوك كما ترون حالى وجئت أبشر الرشيد بأن شومدرس وشوما والقاضى عقبة والفضل والمال قد خلصوه وانهم واصلين إليه بعد ثلاثة أيام وقد فزع منهم لما سمع انكم فى هذه العساكر العظيمة (قال الراوى) فعند ذلك أعجب الروم كلامه وأطلقوا سبيله إلى أن وصلوه إلى باب ملطية وهو لا يصدق بالنجاة فصاحوا به المسلمين من على الابراج من أنت فقال لهم افتحوا الباب أنا أبو العربان ففتحوا له وأوصلوه إلى الامير عبد الوهاب فقال له الامير ما وراءك يا أبو العربان فقال له ورائى العرى والبرد وما لاقيت من سوق هذا الاكديش وأعاد عليه وعلى الاميرة ذات الهمة والامير قد زاد غيظه من ذلك الكلابى لانه زاد من الكلام على أبو محمد اضعافه وقال يا أمير ما كنت أقول ان البطال يقول فى حقك ما قال فعظم ذلك عليه وعلى الاميرة ذات الهمة وأقسمت بالله تعالى انها لا بد لها من قطع لسانه ان قدرت عليه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والامير عبد الوهاب قد دخل على الخليفة وقال له يا مولاى أما ما ذكرت لحضرتك انى خاطرت بولدى وأصحابى وكلما أنفذته إليه وذلك فى مرضاتك ثم انه أعاد عليه ما جرى فصعب ذلك عليه وكبر لديه وقال على بالكتاب الذى وصل من عنده فدفعوه له فلما أخذه الرشيد قرأه إلى ان أتى على آخره وعرف ما فيه وشاهد ما سطرته معانيه فتغير لونه وغضب غضبا شديدا وقال سوف يعلم من يندم ثم أقبل على الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وقال لهم ما الذى ترون من الرأى فقالوا له يا مولانا ان حضر الماء بطل التيمم ولكن الصواب ان نسير إليه وتنزل بعساكر الروم وعساكرنا عليه فقال هذا هو الصواب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهم على مثل ذلك إذ دخل على الامير عبد الوهاب

قوم من الذين على الأصوار وقالوا أيها الأمير اننا نرى غبار قد طبق الأرض وهو قد أقبل من صدر البرية مثل ظلام الليل الدامس وما هو إلا غبار خيل وانه يدل على عسكر جرار فضحك الرشيد ثم التفت إلى الأمير وقال له يا عبد الوهاب نقول ان من حماقة البطال انه يسير إلينا بالجيوش ويطلب قتالنا وقتال الروم فقال أبو العربان الكلابى والله انه ما دام انه قد طمع بأخذ الثياب ويبدل الخيول العربية بالاكادش الردية ما يغفل عنا ولا بد له منا فصاح الأمير ببعض غلمانه أخرج واكشف الخبر فقال سمعا وطاعة وخرج فى تلك الساعة ورجع على الأثر فقال له الأمير ما وراءك فقال أيها الامير ان النجابة التى مضت يخبرون بسلامة مولانا الرشيد وقد رجعوا والعساكر معهم من سائر المواضع وهى خمسمائة ألف ففرح الخليفة بذلك وقال يا عبد الوهاب ارسل إلى ملك الروم وأخبره ان هذا عسكرنا وانهم لا يتعرضون له وأعلمهم انى أرسلت إلى أبو محمد البطال وما أجاب إلى ما تريد وقد عولنا على المسير إليه والنزول نحن وأنتم من أجل المال والقاضى عقبة وأنتم من أجل أصحابكم الرهبان والرحيل يكون فى غداة غد (قال الراوى) فأرسل عبد الوهاب هذه الرسالة إلى ملك الروم فقال لاصحابه وأرباب دولته ماذا ترون من الرأى فقالوا كلهم نجيبهم ولكن لا نتكلم حتى يخلص الراهب شومدرس وزوجته وبعد ذلك نغدر بهم ونحمل عليهم فما يعود لهم باقية بعد ذلك ولا قائمة تقوم فقال لهم نعم ما رأيتم ثم أرسل إلى الخليفة يقول له إذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فعجل الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ووصلت العساكر إلى الرشيد ونزلت ونزل ناحية الروم وخرج الخليفة فى بنى كلاب بصحبة الامير عبد الوهاب والسودان الانجاب من حوله كأنهم سباع الغاب الجياع وكانت الناس أولهم قد قارب آمد وآخرهم فى ملطية وكانت عساكر الروم أضعاف عساكر المسلمين لانهم فى ألفين ألف وأربعمائة ألف فارس ولكل منهم الغلام والغلامين والثلاثة وكانوا بعدد الرمل والحصا ومعهم عالم لا يحصا فامتلأت بهم الارض فى طولها والعرض هذا والاميرة ذات الهمة قد حنقت على الامير أبو محمد البطال لما بلغها عنه ذاك الكلام وانها أقسمت لا بد لها من قطع لسانه ان قدرت عليه (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب يقول لها ما فى حياة هذا خير وقتله أوفق وفقده خير من حياته لانه عدو لى ولا آمن على روحى منه وهو فى قيد الحياة وبالله أقسم ان قلبى خائف على ولدى الامير ضيغم لانه رجل مجنون متهاون بنفسه ما يفكر فى عواقب الامور (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من البطال فانه كان جالس ينتظر ما يردوه من الاخبار وإذا بالدنيا اقتمت والغبائر خيمت والزوابع ارتفعت من ناحية

ملطيه وقد ظهرت الغبار وقد امتدت العساكر وانكشفت وإذا بالروم قد ملت الفضا وسدت المستوى فلم تزل إلى أن نزلت على آمد وبعده وصلت عساكر الرشيد وعساكر مصر وجميع البلاد قد وصلت ومن حول آمد نزلت وبدا برها أحدقت وكانوا عساكر بعدد الجراد حتى بقيت آمد كأنها قصعة فى بحر عجاج لجاج فقال أبو محمد البطال ماهذا إلا عسكر ثقيل فهل نخرج إلى قتالهم أو نقعد ولكن نحن ما نبالى بهم ولو كانوا ملء الأرض فى طولها والعرض لأننا إن خرجنا إليهم مالنا بهم طاقة لأن هؤلاء الإسلام كله والكفر كله وقد وقعنا بين بحرين زاخرين وحجرين دامغين وقد سمعت فى الأمثال يقولوا من يكن كردي ولم يسرق ما يكون ولد حلال والحمد لله كلنا لصوص ثم انه فرق الرجال على الأبراج وكانت آمد خمسة وسبعين برج وخمسة وسبعين بدنة ولها أبراج مثل الحصون والقلاع والصور كله حجر أسود وبعضه فى بعض ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر لا تدخل الإبرة بين الحجرين واسمه الصور الأدهم وذكره شائع فى كل النواحى والبلدان ونصب من فوقه القرادات والطلاقات والمنجنيقات والأحجار وقالوا نحن ما نخرج إليهم بالنهار ومهما قدروا عليه يفعلوه ولا نبالى بهم (قال الراوى) وإن هارون الرشيد لما نزل من جانب باب الجبل أرسل ملك الروم إليه البطرك يقول للخليفة قد نزلنا على هذا الحصن كما ترى وما فى الأمر إلا أنك تقاتله من جانب ونحن من جانب فأجابه لى ذلك وباتوا تلك الليلة وأصبحوا على انهم معولين على القتال وأنفذ ملك الروم إلى هارون الرشيد يقول له لعل أبو محمد البطال يكون فزع من هذه العساكر التى قد ملأت الفضا والصواب أننا نرسل له كتاب واطلب منه أصحابنا فقال الرشيد نحن قد وقع بيننا وبينه فان أردت أن تراسله فافعل لأجل أنه قد سمع أنك كسرت عسكرى فلعل أن يكون قد وقع لكم فى قلبه هيبة فلما سمع الملك منويل رسالة هارون الرشيد ظن أن ذلك حقا فأدعى بالبترك وقال له تمضى إلى أبى محمد البطال وتقول ما أنا مثل غيرى وأنت تعلم أن الرشيد ما طلب مصالحتى حتى كسرت عسكره وقتلت أبطال دساكره وأنا ما أخرجت من بلاد الروم إلا فى طلب خلاص الراهب شو مدرس وزوجته الراهبة شوما لأن ولدهما دهرشوم أقلقنى من بكاؤه عليهما وهو مشتاق إليهما ولك عندى السودان الذين أخذناهم من تل الثعالب فأنا أطلق سبيلهم وما على إن أنت أطلقت أصحاب الخليفة أم لا فأنا إذا فاديت أصحابى بالمائة السودان ما يبق بينى وبينك إلا الخبر ويقع الصلح بيننا

ولا بد لى أن أعود إلى عسكر العراق وآخذ الرشيد برقبته وكذلك عبد الوهاب لأن فى قلبى منهم أمور أنت تعرفها وانظر ما يكون فقال البترك السمع والطاعة ثم انه أخذ معه عشرة من خواص البطارقة كلهم بالخيول العربية والقنطاريات الخلنجية والسيوف الهندية والدروع الداودية ومن فوقهم الثياب الديباج الملكية وأخذ عشرة من الرهبان بتوج القسطنطونية عليهم المشوح السود الحرير الابريسمية والقفارات الهرقلية والميازر المصوف الانطاكية والعكاكيز الابنوسية وعلى رؤسهم قلانس سود مطلبة وسار البترك فى التجمل العظيم إلى ان وصل إلى آمد فصاحت عليه الاكراد والسودان من فوق الاسوار من اين وإلى أين فقال أنا رسول من عند الملك منويل إلى الأمير أبو محمد البطال فلما سمعوا ذلك مضوا إلى الأمير أبو محمد وأعلموه بذلك فقال على به ففتح له الباب ودخل البترك ومن معه وكان البطال فى سيمة الملوك الكبار وعلى رأسه ثلاثة آلاف من السودان بالسيوف المجذبة تحجبه وفى أوائلهم ميمون الجماس يحجبه وهو كأنه الأسد والأمير أبو محمد جالس فى الدست وقد نشر شواربه وهو معبس تعبيس الملوك فلما ان عاينه البترك فزع منه وقال فى نفسه وحق المسيح ما كان دخولى إلى هذا الشيطان بصواب ولكن ما بقى يفيد الكلام وأنا أملى من المسيح أن يدفع عنى شره ويصرف عنى مكيدته ثم انه لما ان قرب منه قوى قلبه وتقدم إليه وقال السلام عليك أيها الأمير وإذا بواحد نزل فى ساحل قفاه كاد أن يقلبه فالتفت وإذا به ميمون الجماس يقول له أسكت سكت حسك وبطل نصفك لم لا تقول أيها الأمير الأمجد والسلطان الاوحد السلطان أبو محمد فقال البترك مثل ما أمره وبعد السلام قال له يا مولاى أنت تعلم ان الملك منويل ما خرج قط بعسكر مثل هذا العساكر لانه ما له نظير وقد كسر عساكر الرشيد وأشرف على أخذه لولا الاسود فوق بن السلوك ما أحدا راى شكله لان معه خمسة آلاف وقف بهم فى وجوه ألفين ألف وأربعمائة ألف وهذا شىء لا يسمع أحد بمثله وتزايد الامر على الرشيد حتى خرج عبد الوهاب من ملطية ومعه سادات بنى كلاب وحاموا عن الرشيد وأدخلوه إلى البلد ولولا هجوم الظلام كان الملك قد أخذ الجميع وصنع بهم أوفى صنيع وهذا كتاب الملك إليك وفيه ما يدل على الخير فعندها ضحك البطال وقال يا بترك قبل كل شىء أنت عمرك كم سنة فقال البترك مرادك تحسبلى نجمى قال البطال لا ولكن مرادى تعرفنى عما أسألك عنه قال يا مولاى عمرى أربعين سنة فقال البطال يا بترك بحق ملتك المسيحية ومريم الزكية هل عمرك

ما طبخوا رأسك فى هريسه أو فى قمحية فقال البترك لا وحق المسيح وما مسح و البيعة والمذبح وكيف طن على مسامعك هذا المقال وجرى به لسانك ووعاه قلبك وجنانك فقال البطال أنا أعلمك بالحال وهو انى لما كنت محبوس عندكم فى بلد القسطنطينية نذرت لله نذرا وهو ان تخلصت مما أنا فيه ووقع فى يدى البترك طبخت رأسه فى هريسة بقمح وها أنت قد وقعت ولا بد لى أن أوفى بنذرى الذى نذرته على نفسى ثم انه صاح فيمن عنده من الاكراد والسودان وقال خذوهم فتعلق بكل واحد منهم مائة رجل وقلعوهم ما كان عليهم من الثياب وألبسوهم الجبب السود الخشن وحملوهم إلى عند القاضى عقبة فقال عقبة لا ستر الله عليك يا بطال يا شيطان صرت تأتينا كل يوم بجماعة بعد جماعة هذا والبترك يستغيث فلا يغاث ويقول لو كنت أخذتنى على غير ذلك الوجه لكان أحسن وأجمل وما جرت العادة بين الناس بأن يتعرضوا الرسول فقال له أبو محمد لا تصدع رأسى بكثرة كلامك فما تنجو منى أبدا فكيف يكون ذلك وعلى أيمان ونذر ان أطبخ قمحيه وأغتنم الفرصة والفريصة بالفريضة الشرعية والراهب كلما سمع ذلك المقال يقول فى عرضك أنا أشترى رأسى بالمال يقول الأمير أبو محمد البطال ما يمكن ذلك أبدا لان عندنا من نذر نذرا وجب عليه أن يوفيه لأن الله بكل شىء عليم هذا والبترك يقول يا أبا محمد أجرينى على عوائدك الجميلة لأنك صديق على طول الايام والشهور وأى شىء كان كفارة يمينك أنا أؤديه من مالى فقال أبو محمد وحق رأسى ان ملك الروم ما يقدر على كفارتها هذا والبترك يتخضع له فى المقال ويتذلل له فى السؤال وخائف لا يطبخ رأسه فى هريسة ويطعمها للسودان والأكراد فلما رأى الأمر قد احتكم ولاوجد له خلاص غمز ميمون فتشفع له وقطع عليه مشترى رأسه بمائة ألف دينار ولما استقام الحال أطلق البطال أصحاب البترك الذين كانوا معه وعليهم جباب الصوف الذى كل جبة ما تسوى حبة وقال لهم اذهبوا إلى ملككم وقولوا له ما عندى جواب إلا السيف ولا أنا ممن يصغى إلى مقاله ودعه يقيم على حربه وقتاله ويعمل جهده ويطبخ أحمض ما عنده وقولوا له اسرع بالمال وأما شو مدرس وشوما فانى لا أسلمهم أبدا وأما البترك فلى معه حساب أصححه معه (يا سادة يا كرام) وكان قصد أبو محمد البطال فى اطلاقهم حتى يعلم الناس ان فى قلبه من العساكر لا قليل ولا كثير ووصلوا القوم إلى ملك الروم فلما رآهم لم يعرفهم وقد أحدقت البطارقة بهم فسأل الملك عن حالهم فقيل له :

أيها الملك هؤلاء الرسل الذين مضوا من قبلك إلى ابو محمد البطال مع البترك قد

عادوا كما ترى فقامت على الملك القيامة وقال أين أبونا البترك الكبير فقالوا الرهبان أيها الملك ان هذا الشيطان أبو محمد يذكر أنه لما كان فى قبضة شو مدرس فى القسطنطينية كأنه نذر على نفسه أنه متى خلص ووقع البترك فى يده طبخ رأسه فى قحية وأعادوا عليه القصة فضحك الملك من وسط الغيظ وصلب على وجهه وقال ما أظن أن هذا الشيطان عاقل وبعد هذا على أى شىء انفصل الحال فقالوا على مائة ألف دينار فقال الملك متى انفتح للسلمين ذلك الباب بالنذور يطبخوا رؤسنا فى القدور ما بقى لنا فى أنفسنا محذور وما بقى إلا القتال والحرب والنزال ثم صاح الملك فى طوائف الروم فوقع الصائح من كل جانب خوفا على رأس البترك وزحفوا إلى الباب فكان يوما عظيما بقيت فيه الرجال رمما كأنه يوم النشور وقد خرجت الخلق من القبور وسمع أمير المؤمنين الرشيد بما قال البطال للبترك من المقال فضحك إلى أن مال وقال والله ما البطال إلا شيطان فى صورة إنسان فقال أبو العربان الكلابى يا مولانا ايش يضره من ذلك هو بيأخذ كل ثوب يسوى مابة ألف دينار ويعطيهم عوضها جبة تسوى قنشار فضحك الخليفة من مقاله هذا وقد قامت القيامة على ساق وزاد الصياح والزعاق وأظلمت الآفاق وجردت السيوف الرشاق ونظروا الاكراد إلى ذلك والسودان الذين مع الامير أبو محمد البطال إلى الروم فاستغاثوا بالحى القيوم فصاح فيهم الامير أبو محمد وقال لهم اعلموا ان نحن قاتلناهم فان الله فى عوننا وان قتلونا فندخل الجنة (يا سادة) فلما سمعوا ذلك من كلام الامير أبو محمد البطال فتحوا الابواب وخرجوا كأنهم أسود الغاب فعند ذلك أرسل ملك الروم إلى هارون الرشيد يقول له اعلم ان أبو محمد البطال معه هؤلاء السودان وهم حماة عسكره وبريد منك سودان مثلهم تلقاهم فلما وصلت الرسالة إلى الرشيد قال الأمير عبد الوهاب ارسل السودان مثل ما أشار به ملك الروم فما هو إلا صواب حتى إذا فتحت البلد لا يقال انه فتحها وحده ويكون الفتح لنا وله فقال الامير عبد الوهاب عندنا سودان أبو الهزاهز سبعة آلاف وأصحاب قراقد خمسة آلاف وأبو محمد معه أربعة عشر ألف أسود ولكن الذين عنده لا يقوموا مقامهم ولا يروموا امرامهم فقال قراقد ابن السلوك معلوم أيها الاميرانك قد تفضلت علينا وأحسنت إلينا وأنا أقسم بجدى حام قسما صادقا ان لا يخرج إلى البطال أحد غير أنا وسودانى ثم انه صاح فى سودانه بأسماء غريبة الصفات فثارت من أماكنها وعلى رؤسها الطراطير وهم كأنهم الجن وسار الامير قراقد قدامهم حتى وصلوا إلى باب آمد وفتح باب البلد وخرجت الابطال وقد حملوا عليهم الروم فتلقوهم الاكراد وكذلك

ميمون الجاس صاح فى سودانه ومن معه من أقرانه (قال الراوى) ياسادة ياكرام لقد خيل للناظرين ان الجبال قد سارت والافلاك قد دارت والارض ارتجت والرجال الى المنايا بدرت والأيادى قطعت والدموع زلفت والروس انتشرت هذا والارواح من الاشباح خرجت والصوارم لمعت والارض تزلزلت والافئدة انخلعت والاصوات من الطائفتين عجت والخيل هجت والابطال شتتت والانذال ولت والمنايا حلت والخطوب جلت والمسلمون ينادون بالواحد الاحد والمشركون قد نسبوه الى الزوجة والولد وهؤلاء ينادون عيسى ومريم وهؤلاء ينادون بالملك المعظم الذى للجبابرة قصم وهؤلاء ينادون بالصليب وهؤلاء ينادون الى القريب المجيب الرب الاعظم مفنى الامم ومنفذ الحكم وناصر المظلوم على من ظلم ومن أوجد الخلق من العدم وانطق الألسن بعد البكم واسمع الآذان بعد الصمم ولم يزالوا على ذلك الحال الى أن أظلم الليل وأعتم وبان الضياء بثغره الوضاح وتبسم باذن محى العظام النخرة اذا سارت رمم هذا وقد عملت الصوارم فى القمم والرمح فى الصدر انحطم ووصلت الأسنة الى اللمم فصار هذا بلا رأس وهذا بلا قدم وهذا قد عض أنامله لما رأى الموت من فرط الندم وهذا مخضوب العوارض بالدم وهذا ظهره من كثرة المصائب انقصم وقاتلوا الاكراد الاجواد وبذلوا نفوسهم فى طاعة رب العباد وضربوا الاعداء بالسيوف الحداد وأبادوا الحساد وتكاثروا عليهم أهل الشرور وزاد المقدور فلما نظر ملك الروم الى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال للبطارقة والعمالقة والملوك يا ويلكم مابالكم وهذه الشرذمة اليسيرة فعندها حملت الملوك والبطارقة وهمهمت الروم باختلاف لغاتها وغرائب أصواتها وحملت الكماه على جهاتها وارتجت الارض بجهاتها والمنية متصرفة فى أرواح الخلائق والأسنة قد خضعت للنفوس مثل صايلات مرهفاتها والافئدة قد رجفت من هول أصوات رجفاتها وبوقاتها (قال الراوى) وكثر الجمع على الاكراد والسودان فألصقوا ظهورهم الى صور آمد وقاتلوا قتالا شديدا لايقاتل مثله أحد وفى تلك الساعة وصل اليهم خمسة آلاف مثل السباع وافرجت الروم حتى وقع بعضهم على بعض ونظرت سودان البطال الى سودان قراقد وهم يزجرون كما يزجروا الاسود اذا فقدت أشبالها فعند ذلك حملت الرجال على الرجال فما نظرت الناظرون أشد من تلك الساعة واحاط بالإنسان مالا يطيق دفاعه وانقطعت من الحياة اطماعه وقد مد كل واحـــد منهما الى صاحبه باعه وكان ذلك الوقت كقيام الساعة فما كانت الا طرفة الطارف أو خطفة الخاطف حتى كسروا سودان قراقد

لسودان البطال وزحزحوهم إلى الخندق فلما نظر ميمون الجماس إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال يا ويلكم أمامهم سودان مثلكم وأنتم أضعافهم إيش الذى حل بكم فقالوا ياأمير نقاتل الإنس وأما الجن فما لنا بقتالهم طاقة فصاح وحمل بنفسه فتحامت السودان بعضهما ببعض وكانوا الروم لما نظروا إلى سودان قراقد وقد أرموا سودان البطال إلى الخندق حملوا على الأكراد فطحنوهم طحن الحصيد ورموهم على الصعيد وصاحوا سودان ميمون الجماس لأميرهم يا أمير لو كفيتنا مؤنة هذا الشيطان الذى فى أوائلهم لما قدروا أن يكسرونا يعنون بقولهم قراقد فقال ميمون الجماس أنا أخرج إليه وأرمى روحى عليه فاماأن أكفيكم شره أو أضرم عمره وإما أن تكون الأخرى فادخلوا البلد ولا تحدثوا أبا محمد ولاتخالفوه ولكم أسوة به (ياسادة) ثم حمل على قراقد وكان ميمون الجماس من الأبطال الموصوفين فحمل وارتجز يقول هذه الأبيات

أنا الهمام البطل الميمون وغضنفر صميدع سكون

أعرف فى هيجاتها ميمون ويلك يا قراقد المجنون

ستنصر كلب الروم ياملعون هذا فعال فاسق مفتون

جا فسقه لربه خؤن فسوف أسقيك من يدى المنون

(قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما سمع قراقد كلام ميمون الجماس انقلبت عيناه فى أم رأسه وصاح بصوت مثل الرعد القاصف وخطى إليه مثل الجمل وفى يده سيف كانه دربه وهو يرتجز وينشد هذه الأبيات .

أنا الهزبر القسورى الماجد غشمشم غضنفر مجالد

قاتلكم حقا وأنت شاهد من خالف الامام فهو جاحد

سوف ترى منى همام ماجد تفر منى السودان والأكارد

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما فرغ من شعره ونظمه ونثره حمل ميمون وحمل قراقد عليه وكانت لهما وقعة ما شاهدت العيون مثلها ولا أبصرت شكلها ثم تصادما وتقاتلا وتكالحا وأيقن ميمون أنه مفقود وولت الأسود وتعجب من أمرهما البيض والسود ثم إن قراقد أرمى نفسه على ميمون ولطمه بالترس فأرماه على ظهره وألقاه على الارض وأخذه أسير وقاده ذليل حقير ونظرت السودان من أصحاب البطال إلى ميمون الجماس فحملوا على السودان كانهم السباع فالتقوهم سودان قراقد وزاد الحرب وتصاعد الكرب وعظم الخطب وكذلك الروم كرت على الأكراد حتى ألجؤهم إلى باب البلد وانهزمت السودان وفتحوا باب آمد ودخلوا .

مكسورين وغلق الباب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وضربت الصور بالأحجار الصغار والكبار والصور كأنه الجبل كلما ضربوه زاد صلابة فقال الملك كفوا عن القتال فما تقوى حجارتكم فى هذا الصور ثم انه ادعى بالحدادين وكان فى عسكره ألف صانع من الحدادين فلما حضروا بين يديه قال لهم الملك أريد منكم أن تصنعوا لنا سناديل من حديد فقالوا سمعا وطاعة فما أمسى المساء حتى عملوا ألف سندال حديد كل سندال وزنه عشرين من وعند الصباح زحفوا إلى الصور وقد ضربوا الصور بخمسمائة سندال ودام الحصار على آمد طول النهار إلى الليل (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا جرى ههنا وأما ما كان من البطال فانه سلم الآمد إلى رجل من الأكراد يسمى منكلان بن بدلوا وأمره أن يقاتل من فوق الاصوار وقدم على السودان طاطم الاسود وأوصاه بالقصر ومافيه من الاموال والأسرى وقال له لا تبرح من هذا القصر أنت وأصحابك إلى أن أعود إليكم إن شاء الله تعالى فقالوا سمعا وطاعة ثم خرج أبو محمد البطال وغلمانه معه حتى يدبر العمل ويتقن الحيل فهذا جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من قراقد المصرى فانه لما أسر ميمون الجماس مضى به إلى عند الرشيد بالله وكان الرشيد حنق عليه من النوبة الاولى لما أرسل إليه يريد أن يسلم له البلد فلم يقبل وقبض على الفضل ابن الربيع فلما حضر بين يديه قال له الرشيد كيف ترى روحك ياأسود ياحجام نالت لك الولاية والحكم والامارة والله إن أتانى الأمر كما أريد فلا بدلى إن أنكل بك غاية التنكيل حتى يعتبر بك غيرك فلما أن سمع ميمون الجماس من الرشيد ذلك المقال قال يا أمير المؤمنين أنت ما أخذتنى بسبب من الاسباب حتى إنك توبخنى بذلك التوبيخ وأيضا لا يجوز لك أن تقاتل مع الروم قوم مسلمين ولكن كل هذا لأجل الامير عبد الوهاب لماوقع بينه وبين الامير أبو محمد البطال فقال الامير اسكت ياأسود فقال ميمون نعم أنا أسود ولكن لولا السودان لكانت أكلت لحمك الكلاب ياعبدالوهاب ولكن سوف تعلم هذا الظلم على من تعود عواقبه فقال الأمير وبأى شيء ظلمتك يا أخس السودان فقال ميمون الجماس لاتعايرنى بالسواد يعنى أنت الحافظ الله لونك أبيض شفاف أنا إذا كنت اسود ماجرتشى على لاحكومة ولاخصومة فى البيت الحرام ولانسبت إلى مرزوق نسل الحرام والبطال ماكان جزاه منك هذا الحد ولا يستاهل منك أن تفعل فى حقه هذه الفعال لماله عليك من الخدمة والحمية والعصبية فى سائر الاوقات وأنت تختار عليه جارية رومية فلو كنت أخذتها لنفسك اصطفيتها وأنت تعلم أن أخيك قتيل هواها ماكنت تبخل بها عليه بل كنت تجود بها عليه وتنظر

ما يفعل معك من الجميل ولكن غلبت شهوتك على مروءتك فغضب الأمير من كلامه وأمر أن يثقل عليه الحديد من رجليه ويديه بكل ما يمكن ويجعلوه فى بعض الخيام هذا وميمون الجماس يقول افعل ما بدالك وما تقدر عليه فأنت تعلم من خلقى هذا وملك الروم قد زحف إلى البلد من ناحية باب الجبل ودام القتال عليها عشرة أيام ليل ونهار وصبروا الاكراد صبر الجياد على أنهم لو بطلوا القتال ما كان لأحد عليها محال (يا سادة) وقلق طماطم بغيبة الأمير أبو محمد البطال فلم يدرى أسالم هو أم عاطب وبقى فى حيرة من أمره وهو يقول فى نفسه أنه فى جملة العساكر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما ما كان من الأمير أبو محمد لما نزل من آمد هو وغلمانه معه فقالوا له غلمانه على ماذا عزمت قال على سرقة أحد الثلاثة أما عبد الوهاب وأما الرشيد وأما ملك الروم فقالوا له ها نحن بين يديك فى كل ما تريد فسكت ساعة ورفع رأسه إليهم وعيناه تفيض بالدموع فقالوا له ما الذى يبكيك فقال والله اننى تذكرت الملكة نورى وما قد لقيت من فرط حبها والساعة خطر ببالى اننى أترك العساكر ههنا مشتغلين ببعضهم البعض فى القتال وأمضى إلى ملطية لعل الله سبحانه وتعالى يظفرنى بنورى وأعمل على خلاصها وان قدرت على العودة إلى آمد عدت وإلا مضيت بها إلى مواضع ما يقدر عليها أحد من الناس بل كنت أريد أرسل واحد منكم يطيب قلب كل من فيها ويعلمهم انى سالم فقال له لؤلؤ ما هذا رأى سديد لأن مثل آمد لا يجب ان يهمل أمرها لأنها حسرة الخلفاء والعساكر عليها وفيها ما لا يسمع كلام ولا يرعى زمام وفيها أيضا من تعرف شرهم ولا تنكر أمرهم مثل اللعين عقبة وشومدرس وشوما والفضل بن الربيع والصواب ان تحرص على خلاص ميمون الجماس فما قصر فيما فعل فى حقك لما كنت مأسور فى بلاد الروم فقال الأمير أبو محمد يا لؤلؤ أنا ما يمنعنى من خلاص ميمون إلا تنفر قلوب الناس منى ويأخذوا حذرهم ويستيقظوا لأنفسهم ويحتفظون وأنا لا بد لى أن أعمل عملا على هذا الأسود الحجام وآخذه أسير ولا أطلقه حتى يسلم إلى نورى من تحت الأسر فقال له لؤلؤ إذا كان الأمر على ما ذكرت فادخل بنا إلى البلد ونحن ندبر على ذلك فقال له أبا محمد امضى أنت يا لؤلؤ إلى البلد وطيب قلوب الناس فأنا لا أعود خائبا أبدا فقال سمعا وطاعة ومضى أبو محمد وغلمانه معه يطلبون أشغالهم كما يدركون آمالهم ومضى لؤلؤ وطيب قلوبهم فقالوا له هل لك أن تقيم عندنا يا لؤلؤ فقال لا لأن الأمير أبا محمد أوصانى بأمور لا بد لى من انجازها فهذا ما كان من هؤلاء.(وأما ما كان) من الرشيد وعبد الوهاب فان الرشيد قد زاد غرامه بنورى وكان يحضر عند عبد الوهاب

ويسأل عنها فيقول يا مولاى ما رأيت أحسن منها وجها ولا أقسى منها قلبا وكان الرشيد يتسلا بذلك (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا جرى ههنا وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال فانه سار ومعه غلامه إلى ان وصل من وراء عسكر المسلمين وكان قد غير زيه وكان قد سمع ان ميمون الجاس قد سلموه إلى قراقد وكان ميمون فى خيمته والسودان محدقين به من كل جانب وكان الأمير عبد الوهاب قد أوصى قراقد بحفظه وقال له إياك أن تغفل عنه فيسرقه أبو محمد البطال أو بعض غلمانه قال قراقد يا مولاى ويكون فى الدنيا أيدى مثله فقال نعم يا خوفنا من البطال أن يسرقه ويسرقك معه فضحك قراقد وقد ظن انه يمزح معه فلما وصل قراقد إلى خيمته أحضر سودانه وقال لهم انى سمعت من الأمير عبد الوهاب يقول احتفظوا على ميمون الجاس لا يسرقه البطال فوحق الظلام إذا اعتكر والصبح إذا انفجر ان نمتم وتم هذا الأمر وسرق ضربت رقابكم (قال) فلما وصل أبو محمد إليهم فلم يقدر على سرقة ميمون الجاس فلما أيس من خلاصه قال فى نفسه أكون قد تعبت وأتيت إلى ههنا ولا يعلمون بى هؤلاء انى فيهم ولا أؤثر فيهم أثر وكان قد تنصف الليل وقد نام قراقد وسودانه عن بكرة أبيهم غير الموكلين فانهم لم يناموا فهجم أبو محمد إلى خيمة قراقد وأخرج من وسطه موسا حاذقا وتقدم إلى قراقد وحلق نصف دقنه وخلا نباله وآخر حلق نباله وخلا دقنه وآخرون حلق جميعها وشوه بهم كل التشويه وخرج وأعلم غلمانه بما فعل (قال) فلما رجع لؤلؤ إلى البطال ساروا طالبين ملطية (يا سادة يا كرام) وأما عسكر الخليفة فانه لما أصبح الصباح انتبه قراقد وأصحابه وجعلوا ينظرون بعضهم إلى بعض ويضحكون فقال قراقد لأصحابه أكتموا أمركم وإلا افتضحنا ولا تخرج من مواضعنا حتى تعود لحانا كما كانت (قال الراوى) وأما الرشيد فانه جاس فى سرادقه وقد دخلت الامراء كلهم للسلام عليه ووقفوا فى الخدمة إلا قراقد لم يأتى ذلك اليوم للسلام فأنفذ الرشيد حاجب من حجابه يأخذ أخباره فغاب وعاد وأخبر أن قراقد أصبح ضعيف فتألم قلب الرشيد من أجله وأرسل إليه الأمير عبد الوهاب فلما وصل الأمير عبد الوهاب إلى خيمته نظروه الغلمان واعلموا قراقد بذلك فوضع عدبة عمامته على لحيته وأمر السودان المحلقين اللحا ان يختفوا ففعلوا ذلك فلما قرب الأمير عبد الوهاب من الخيمة خرج قراقد والتقى الأمير ومشى فى ركابه فقال له الأمير الحمد لله على العافية ثم أخبره أن الرشيد أنفذنى ليأخذ خبرك فقبل الأرض وقال لا عدمت همة أمير المؤمنين ثم سأله بعد ذلك على الذى يؤلمه فسكت ثم قص عليه القصة وكشف عن لحيته فلما رآه الأمير

ضحك وقال والله هذه فعال البطال ولو اراد هلاككم لفعل ففرح قراقد وقال امر اللحية قريب وعاد عبد الوهاب واعلم الرشيد بذلك فضحك حتى استلقى على قفاه وعجب من فعال البطال (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء واما الروم فانها زحفت إلى البلد تطلب القتال فعطعطوا عليهم من اعلا الاسوار وصاحت الروم وارموا أهل البلد بالمنجنيقات فرموهم المسلمين بالأحجار والنشاب فقتلوا منهم خلقا كثير وردوهم منهزمين ونزلوا فى خيامهم إلى ان امسا المساء وارسل هارون الرشيد إلى الأمير عبد الوهاب يطلبه فلما وصل إليه قال له اعلم أيها الامير ان البطال شيطان مريد وأريدك لا تغفل عنى فانى خائف منه على نفسى فقال الامير سمعا وطاعة وتولى عبد الوهاب على حرس الرشيد بنفسه ولم يمضى أكثر من ثلاثة ايام والامير عبد الوهاب يرتب الرجال وأما الرشيد ما ينام الليل من قلقة فى حب نورى وكذلك ملك الروم فانه كان كل ليلة يحرسه ملك من الملوك خوفا من البطال (قال الراوى) فبينما الامير عبد الوهاب ليلة من الليالى فى الحرس إذ رأى فى ذروة الجبل عامود نور يتلألأ على شخص قائم يصلى ويبكى وعليه مسح اسود وفى رقبته غل سلسلة وهو يتهجد فلم يفزع الأمير منه وقرب منه فسجد على وجهه وهو يبكى ويقول انسدل الظلام واختلط القتام وقام الخدام وقام كل حبيب لحبيبه وقدخلوت بك ياقيوم يامن لا ينام يا من جلت قدرته وعظمته ومشيئته فى العالم احتكمت وانطلقت الألسن بعد الخراس وهو الملب لكل نفس بما كسبت يامولاى إن كان لا يقبل إلا من الموحدين المجتهدين فالى من يرجع المقصرين وإن كان لا ينال الرحمة إلاالمحسنين فالى من يرجع العاصين المسيؤن وإن كان لا يجوز الصراط إلا الفائزون فالى من يرجع الباطلون وإن كان لا ينجو من النار إلا المستيقظون فإلى من يرجع الغافلون إيا مولاى أملى واقف على باب رضاك ووجهى مصروف عمن سواك سيدى ومولاى من اسعد منى حال ان واصلتنى ثم إنه انتخب وانشد يقول

من كان يتخذ المحبة صادقا ... بطوله فى الدجا ميدانا
ويجعل السهر على الجود لينا ... ماقد يخيب الشوق بالاعلانا
فى جنح ليل وغدا اسرى به ... وأطلق من بين يديه عنانا
يا حسنه من فارس بطل إذا ... هدت العيون ورتل القرآنا
يا حسنه من مخلص منفرد ... متوحد قد هاجر الإخوانا
يا حسنه متقلد بهمومه ... متقمع بغمومه احيانا
يا حسنه متلهف متأسف ... يمشى ويصبح هائما ولهانا

فغدا تراه ضاحكا مستبشرا — قد نال من سخط المليك أمانا
تسري به نحو الحبيب نجائبا — سبحان من أسرى به سبحانا
حتى إذا بلغت به دار العلا — كشف الحجاب وعاين الرحمانا
نودى به أهلا وسهلا بالذى — لم ينتقل عن حبه لسوانا
هذا لمن عقد الضمير على الوفا — لا غادر يلقى ولا خوانا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامه كاد أن يغشى عليه وبكا بكاء شديدا ثم تقدم ينظر إليه وإذا به شاب مليح نحيل الجسم رقيق العظم أصفر اللون والنور على وجهه شاهد وهو عبد للملك الواحد هذا وقد دنى الامير عبد الوهاب منه وسلم عليه فرد عليه السلام وأعرض عنه فقال له الامير بحق موضع ربك من قلبك إلا ما وقفت لى موقف فقال له ان الذى أقسمت به على هو الذى اشغلنى عن حديثك ومن عرف لذيذ كلامه قل كلامه فقال له الامير هل لك من حاجة فقال اعلم يا هذا ان لى مولى إذا انقطع إليه العبد كفاه وإذا طلب منه أعطاه وإذا طلب من غيره طرده وأقصاه فقال له الامير قد حصل معى مائة دينار وان رأيت انك تستعين بها على زمانك فافعل فقال والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى فقال له الامير أنا أسألك ان تدعو لى فقال ما اسمك فقال عبد الوهاب فقال اللهم خذ بناصية عبدك عبد الوهاب إلى ما تحب وترضا فقال له زدنى فقال له يا هذا ان كنت من أهل الرضا فقد كفاك ثم عاد الامير إلى العسكر وفى قلبه نار لا تطفى وأتى إلى عسكره وقد زهد فى الدنيا ولما وصل إلى عسكره واجتمع بالاميرة ذات الهمة وأعاد عليها ما رأى فقالت له يا بنى هذا من أوتاد الارض الصالحين ولولا الصالحون لهلك الظالمون وأقول ان هذا العبد الزاهد الصالح من جبل ماردين لانه مسكن الصالحون العابدين والليلة أركب أنا وأنت ومعنا هياج الكردى لعلنا نزوره (قال الراوى) فلما كانت الليلة الثانية ركب الامير والاميرة وسيف الحنيفية وهياج الكردى ومالك بن بشر الاقطع وساروا حتى وصلوا إلى ذلك الموضع فما وجدوه فأقاموا ساعة فطال بهم المقام وهموا للانصراف وإذا هم سمعوه وهو يقول

صمد يجبر القلوب — صمد يغفر الذنوب
صمد يستر العيوب — صمد يكشف الكروب — عن الناس فى الظلام
صمد يعلم الضمير — صمد يجبر الكسير
صمد يرحم الفقير — صمد يقبل اليسير — بلطف واحترام
فاز عبد تهجدا — وعن الخلق أفردا

ولمولاه وحدا قبل أن يشرب الردا بكؤس من الحمام
فيا من عصا وعاد للبغى والفساد أما تذكر المعاد
إذا وقف العباد فى العرض والزحام
يا صاح كم وكم أنت فى ظلمة العدم كم تبارزه فى الظلم
لا حياء ولا ندم ويك من خالق الأنام
يا أخى قم ولا تنم عد إلى بارىء النسم أنه منشىء الرمم
كم من مليح قد انقصم ولقد كان ذو قوام
ويك ما آن أن تتوب ويك تستقر الذنوب تب إلى عالم الغيوب
ولا تقرب العيوب ان تكن من استقام
ها أنت تسكن القبور وقد تدعا إلى النشور
وقد عادت الأمور إلى هتكة الستور فيا حسرة الأنام
ساعة تخسف السما ساعة الويل والعما
ساعة تبكى الدما من الخوف بانسجام ونرى ذاك القتام
ساعة تبصر العذاب ثم تدعا إلى الحساب
فيه شابت الشباب من الطرد والعقاب وطول المقام

(قال الراوى) والوعظ إذا خرج من القلب الصادق عمل فى القلوب فما هو إلا أن فرغ من كلامه ونثره ونظامه حتى غشى عليه وأما الأمير مالك بن بشر الاقطع فانه وقع إلى الارض غائب عن الدنيا وصاح الامير عبد الوهاب أيها العبد الصالح قف لنا قليل فقال يا أخى كيف السبيل إلى الوقوف والحديث والطلب حثيث فقال اعلم أن صاحبنا قد وقع إلى الارض من سماع كلامك فقال الزاهد كذا تعمل المواعظ الصادقة فى القلوب الموافقة ثم عطف موليا (قال الراوى) وأن الامير عبد الوهاب أمر بحمل مالك بن بشر الاقطع ورجع إلى العسكر عند الصباح ثم دخل على الرشيد فسأله عن حاله لما رأى وجهه يضرب إلى الاصفرار فقال يامولاى ماأقول أن أجوز عقبة القيامة وقد قضيت أيامى بحب هذه الجارية نورى ودخلت على العين فى صاحبى الامير أبو محمد البطال ولابد أن أسأل هذا العبد الصالح أن يدعو لى عسى أن تزول محبة نورى من قلبى وأعطيها للامير أبو محمد البطال وأعود إلى اشتغالى بالملك العلام (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك من كلامه فى حق الملكة نورى وأن يعطيها لابى محمد فقال الرشيد أيها الامير انى اشتهيت أتعلم بلسانها لسان الرومى لانى رأيتها فصيحة اللسان وأزيد أن

تعطيها لى شهرا كاملا واحد حتى أتعلم منها لغة الروم وبعد ذلك أعطيها لك تعطيها لابو محمد البطال فضحك الامير عبدالوهاب وقال يامولاى لا كلام حتى تزول محبتها من قلبي وندبر فى ذلك تدبير يوافق ذلك فقال الرشيد أجىء معكم وأقول لهذا العبد الصالح يدعو لك لعل الله تعالى أن يستجيب دعاه (قال الراوى) وأقاموا باقى يومهم ينتظروا المساء ويسألون الله تعالى أن يوريهم ذلك العابد حتى انسدل الظلام وهجعت عيون الانام فعندها ركب الرشيد فى خادمين والامير عبد الوهاب يقول للخليفة يامولاى لاتكثر عليه الخطاب فانه ينفر قلبه من ذلك (قال الراوى) وساروا إلى ذلك الجبل إلى أن صاروا فى تلك البقعة وإذا به قد انحدر من أعلى الرابية وهو يقول

نهارى رايح غادى ... إلى قبحى وإفسادى
وليلى نائم هادى ... وما قدمت من زادى
لانى قد قسا قلبي ... وقد أمسيت مبعود
عن الاحباب مطرود ... وسيف الهجر مقدود
وباب الوصل مردود ... وقد زاد بى كربى
إلى كم أنت فى الجهل ... وكم تغتر بالمهل
متى ترغب فى الوصل ... ولم تحظى بذى الامل
إلى كم هذه الغفلة ... وهذا السهو والمهلة
لقد خاب الذى خسروا ... وقد هلكوا الذى كفروا
غداة العرض إذ ذكروا ... وودوا أنهم دسروا
ولا قاموا من الترب ... وكل الخلق قد وقفوا
عراة دمعهم يكف ... وأهل الكفر قد عرفوا
وعن باب الرضا صرفوا ... إلى باب من الكرب
وكتب الخلق قد نشرت ... لما قد قدموا سطرت
وكل قبيحة حضرت ... وأنجمها قد اقتربت
لهول الموقف الصعب ... فهل من توبة تمحى
ردئ الفعل والقبحى ... عسى الذنب الذى أضحى
يجاوز ربنا صفحا ... ويغفر ربنا الذنب

(قال الراوى) فسلموا عليه فقال وعليكم السلام يا أمير المؤمنين وامام المسلمين فقال الامير ومن أين علمت ذلك أيها العبد الصالح فقال إن ربى ألهمنى لذلك

يا أمير المؤمنين اعلم ان كل راع مسؤل عن رعيته و لقد أحسن عمر بن الخطاب إذ يقول لو ضاعت شاة بأطراف العراق لكان المطلوب بها عمر فانظر لنفسك وابصر أمامك ولم يزل يعظه إلى أن أغشى عليه فقال له الامير عبد الوهاب أيها العبد الصالح قد أرحتنا بوعظك فزدنا فقال اعلموا ان الكلام القليل مع العارف يفيد والكلام الكثير مع من لا يفهمه بعيد ولا يفيد فاحترز لنفسك يا عبد الوهاب ان شئت فكن كالباز فقال الامير عبد الوهاب أقسمت عليك أيها الاواب بحق الملك التواب ما معنى هذا الخطاب فقال ذكروا ان الطيور اجتمعوا يوما من الايام إلى سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وقالوا له يا رسول ذى الجلال والإكرام وحاكم الحكام نريد أن تنظر إلينا وتقبل إلينا بالشفقة كما تنظر إلى جميع الرعية وتحكم بيننا بأعدل قضية لان بعض الطيور لنا مخالف ونريد أن يرضى بعضها على بعض ونحن نشكوا إليك أربعة من الطيور ذكرهم بين أجناسنا مشهور أولهم الباز الذى بمؤنة بنى آدم قد فاز حتى ارتقى إلى أعلى مكان ولم يبق له مشير إلا السلطان ومن ذلك فانه يقنص من يقدر عليه منا قهرا ويصمت عند كلامنا تيها وكبرا ولا يزل أبد الدهر ساكت والغدر لنا فى قلبه ثابت وإذا نزلت بنا نازلة كان عند نزولها بنا شامت وإنا نتوسل إليك بالذى اختصك بالرسالة على كثير من الخلق وفضلك بالملك والخلافة والعدل والجواز نسألك عن هذا السكوت وما السبب الموجب لهذا الصموت والثانى الطائر المذموم المسمى بالبوم فارق الاقراب وسكن الخراب فلا هو طير من طيور العمارة يجالس ولا أمثاله من الطيور يؤانس وكلما سألناه عن حاله لا يزدنا عن قوله يا هو يا هو فعسى أن تستخبره عن هذه الاشارة وما يريد بهذه العبارة والثالث من الطيور الغراب الذى نشكوه إليك ونقص قصته عليك فانه لا يزال نادما على الاحباب قد لبس خامة جنسية السواد معروفة بالنوح والتعداد ليس له شغل غير النياحة على الربوع والدمن والتعديد على المساكن والسكن فهو لا يزال حزينا منكرا وللبين والفرقة منذرا حتى كأنه يعلم الغيب أو مطلعا على البين والرابع من الطيور فهو البلبل فإنا لحاله منكرون ومنه متعجبون لانه لا يتكلم إلا فى زمن العنب وبزمزمة زمزمة الفرج والطرب فإذا شاهد انعقاد الدوالى ترنم بصوته العالى وغرد بغرائب الالحان كأنه مطرب تحت ستاير العيان وهذه صفات قليل الحظ العاشق ونحن له على هذه الخصلة لا نوافق فلم لا يتكلم إذا ظهر ما قبل ذلك من الثمار الذى ليس منها لا خمر ولا خمار قال فتعجب سليمان بن داود عليه السلام

وفهم الكلام وقال سوف أبلغكم مرادكم وأزيل ما بينكم عن عنادكم ثم استدعى من الأول بأول الطيور وهو الباز فحضر خاضعا سامعا ولأمره ممتثلا طائعا فقال له ما للطيور ينكرون عليك هذا الأمر من التكبر فأسرع برد الجواب فما الحجة فيما أنكروا الجماعة بين لى فى هذه الساعة فتكلم الباز بلسان الإعجاب وقال يانبى الله إننى رأيت مقام الصلاح دون مراتب الفلاح لأن اللسان كثير الخطأ والذلل وماخلق العبد إلا للعمل وحق من بعثك بالحق نبيا ان الرب يكره كل عبد بطال ويغلق الباب فى وجه كل قوال غير فعال وقال يانبى الله كل من جد وجد وكل قاصد فله أجر ما قصد يانبى الله كما قلت ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى لم لاقلت رب هب لى عملا صالحا أصل به إلى ما يرضيك كنت قد خلصت به من الدنيا والآخرة فاسترحت من الحساب والعقاب يوم تكون كل نفس إلى رحمته سائرة يانبى الله لولا اشتغلت بعمل عن كلامى لما صارت أيدى الملوك تحت أقوالى ولا همة ترضى القول عن العمل ولا غفلة تخلصنى عن المجاهدة خوفا من الوقوع فى عاقبة الكسل وقد ضرب الله الكثير المثل لقوم يعلمون جزاء بما كانوا يعملون فطوبى لمن وفقه لصالح الأعمال ولم يشتغل بقواطع الآمال والأحوال فبكى سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وقال اللهم ألهمنى اشتغال الآخرة عن الدنيا الغادرة ثم التفت إلى البوم وقال لماذا انفردت بسكن الخراب عن العمار وانقطعت عن الأحبة والجيران ولماذا أنت تنادى ياهو يا هو فمن هو الذى تنادى فقال يانبى الله إنى نظرت إلى الدنيا بعين الانتهاء لا بعين الابتداء لأنى أطلب الخلوة لانها ربح ولا أشتغل بمشاهدة الخراب ولا العمران لانى أعلم أن كل من عليها فان فأنا قتيل أشواق ولا أستعين إلا بالحى الباقى ياهو ياهو يامن لا يعلم ما هو إلاهو فأنا أحب أن أرجوه وأنا أبدا أدعوه ثم بكا بكاء شديدا ماعليه من مزيد وأنشد لسان حاله يقول هذه الابيات .

العمر أقصر مدة من أن يضيع بالعتاب
إنى رأيت عمارة لكن تؤول إلى الخراب
وجميع ما فيها يصير إلى تلاف مع ذهاب

(قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان عليه السلام وظهرت عليه دلائل الاحزان وقال طوبى لمن فعلا فعل رشيد ثم أقبل على الغراب وقال ماشأنك تحب البكاء وتبكى شوقا على اللقاء وأنت تبكى سرمدا وتعدده أبدا وتندب على الزمن وتنوح نياحة الحزن فقال يانبى الله من اغتر بالدنيا فتن ومن علم أنه مطالب بها فى الاشتغال

حزن فكيف لا أكون على نفسى نائحا وعلى الربوع والدمن صائحا وما رأيت شملا اجتمع إلا تفرق ولا ثوب بالمسرة جديدا إلا تمزق فأنا أنوح على منازل أقوام كانت بهم آنسة فأصبحت ربوعهم كأنها دراسة فأنا أنادى بصوت حزين اعتبروا يا غافلين ثم أنه أنشد لسان حاله يقول

يا حاديا جدوا مع الظاعنين ... تركتنى مضنى كثير الحنين
أسئل عن آثار من قد مضى ... وقد أبادتهم بدور السنين
منازلا كانوا بها نزلا ... فبدلت من بعدهم آخرين
ترى تعود الدار مأنوسة ... ويرجع القوم ذا راجعين
ويا ليالى الوصل عودى لنا ... ما كان أصفاكى مع الأقربين
حتى أصابتنا على غفلة ... وفرقتنا أعين الحاسـدين
وعدت من بعدهم واقفا ... أبكى بعينين وقلب حزين
أشكوا إلى الله الذى نابنى ... والدهر فى قسوته لا يلين
أذكر أيامى التى قد مضت ... ونحن فى عيش هنى أجمعين
وما أرى الصبر على فقدهم ... يمكن يوما لا ولا لى يلين

(قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان عليه السلام ثم أقبل على البلبل وقال له استغاثت عليك جميع الطيور وأنكرت عليك أشد الانكار لأنك لا تتكلم إلا فى زمن خروج العنب وتزمزم زمزمة الفرح ولا ينكر عليك إلا إذا استوت شجرة المنكر فقال يا نبى الله وحقك ما زمزمت طربا إليها ولا ناغيت أسفا عليها ولكن ما بان لهم ما بان لى ولا اتضح لهم مثل ما اتضح لى فصرت أبكى على ذنبى وأبتهل بالدعاء إلى ربى (قال الراوى) فبكا سيدنا سليمان من هذا الكلام المقدور وأصابح بينهم فلما انتهى الزاهد من هذا المقال بكا الأمير والأميرة والخليفة وجميع ما كان معهم ثم تركهم ومضى ورجعوا وهم فى قلق عظيم وإذا بالزاهد أقبل وهو ينشد ويقول

لقد شقيت نفس تخالف ربها ... وتصرف أوقاتا لها وتفارق
وتسمع قولا لا يليق وتنثنى ... وتعرض عن تصديق من هو صادق
وأنت على الدنيا حريص مكاثر ... كأنك فيها بالسلامة واثق
ويخذلك الاطماع انك للبقا ... خلقت وان الدهر خل موافق

(قال الراوى) ثم صاح واغربتاه واعظم مصيبتاه وبكا بكاء شديد فأقبلوا إليه وسلموا عليه فسلم عليهم بصوت ضعيف وهو يتشهق وبدموعه يترشق فقال له

الأمير عبد الوهاب يا أخى قد أقرح بكاك قلوبنا وأبكيت عيوننا فقل لنا ما حالك وما الذى قد جرى لك وما سبب هذا والبكا والنواح بحق مسبب الأسباب فقال له اعلم اننا كنا ثلاثة اخوان وكنا منقطعين إلى الله الواحد المنان فقتل منا واحد فى سبيل الله فى السنة التى وصلت فيها الروم إلى الموصل وبقيت أنا وأخى الأوسط نسير فى الجبال ونبكى على نفوسنا فلما كان في هذه الأيام مرض أخى مرضنا شديدا وهو الذى عوقنى فى هذه الأيام وله اليوم أربعين يوما فلما كان فى هذه الليلة اشتد به المرض وفارقت روحه الجسد وقد بقيت فى حزنه أبكى على فراقه وأبكى لغربتى وما عندى كفن أكفنه فيه وما لى من يساعدنى حتى أواريه التراب (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك بكوا لبكائه وقالوا له هل لك أن نشاركك فى الثواب فقال ذلك إليكم فقال عبد الوهاب يا أخى وأين هو قال فى هذه الجذبة التى بين أيديكم ثم ساروا وهم سبعة أنفار الرشيد والخادمين وعبد الوهاب وذات الهمة وهياج الكردى وسيف الحنيفية وساروا القوم ونزلوا عن خيولهم ورموا سيوفهم وسلاحهم ودخلوا معه وإذا برجل مرمى وعليه مسح أسود ورائحة المسك تخرج منه ووجهه معى بالخلقة فلما رأوه على تلك الحالة بكوا الجميع فقال لهم الزاهد كفوا عن البكاء فان ملائكة ربى حواليه يكرهون ذلك فعند ذلك رمى الرشيد على رأسه طيلسانه مثل الهوى وقال وتربة المهدى هذا حلال من مال حلال كنت به ورمت الأميرة ذات الهمة ازار قد أحرمت فيه فلما رأى أخوه ذلك فرح ودعى لهم احفروا له مكانه قبرا إلى ان أملا القربة ثم وثب إلى قربة لطيفة فقالوا له هل لك أن تخليه إلى ان يصبح الصباح فلم يرض فوثبوا اليحفروا القبر ومضى أخوه يأتى بالماء وتقدم عبد الوهاب وكشف عن وجهه وقبله بين عينيه وقال هنيئا لك أيها العبد الصالح ونظر إلى صورته وإذا بها صورة أبو محمد البطال فقال الأمير لا إله إلا الله لو كان لأبى محمد أخ لكان هذا فقال الرشيد دونكم وتحت القبر إلى أن يأتى أخوه فقال الأمير للخادم هات سيوفنا ورماحنا فخرج الخادم وعاد وما معه شيء وقال ما رأيت شيء فهما فى حيرة وإذا برجال طوال طول كل واحد عشرة أذرع وعليهم ثياب خضر وعلى رؤسهم تيجان الذهب مكللة باليواقيت والجواهر المثمنة يفوح منها المسك والعنبر ووجوههم فيها لمعان يأخذ بالبصر فصاح واحد منهم انعزلوا أيها الآدميون عن هذا العبد الصالح حتى نصلى عليه فلما نظر الرشيد إلى ذلك قال ما هؤلاء قال هذه الملائكة أرسلهم يصلون عليه ويأخذون فى أمره فنزلت عليهم البهتة فنادى واحد منهم تقدموا أيها الآدميون وصلوا بنا فى

الصف الاول و ليكن الخليفة امامنا وأنزلوا الاميره التى معكم تصلى خلفنا فلما سمعوا ذلك تقدموا و تقدم الخليفه امام القوم وأحرم الى الصلاة واذا بالميت تحرك وجمع رجليه فكاد الامير أن يغشى عليه وقال للأمير عبد الوهاب هذا هو العجب العجاب فقال الميت لاعجب من أمر الله تعالى وجعل هذا دليل على بعث الاموات فهم كذلك اذ هجم عليهم ثلثمائة فارس مثل السباع ووضعوا عمايمهم فى الرقاب ووثب الميت وهو ينشد ويقول

أذلهمة هـــذى فعالى بجمعكم لانى شديد فى اللقا المعاركه
وانى لعمرى أحيل الناس كلهم وانى بصير فى الامور المماحكه
فهل لـكم مثلى خيول كحيلة ومن يدعى فى مثل هذى المشاركه
فيوم باشباه اللقاء مشبه ويوم ترانى فى صفوف الملائكه
ففى كبدى نار وقلبى على اللظا وتبكى أحشائى وسنى ضاحكه
فان جادلى يوما بنور حبيبتى رجعت إلى العهد القديم أشاركه
فلولاها ما كنت نقضت زمامكم لجودوا بنورى مثل جود البرامكه

(قال الراوى) للحديث وكان الميت البطال وأخوه الزاهد احدى غلمانه وكان يدخره للمهمات وما كان أحدا يعرفه وكان مقامه بمدينة دارا فلما احتاج اليه أرسل خلفه وعلمه ما يصنع وكان ما كان وأما الملائكة كانوا من الاكراد وهم فى الاصل طوال وقد استفرغ لـكل واحـد منهم مثل الساق وربطهم بشريط حرير ودمنهم فى المشى عشرة أيام حتى تدمنوا عليها وجرى ماجرى وقبض البطال على الامراء وقال لا بدلى من ضرب رقابهم ان لم يسلموا الى نورى وأماهياج فانى أعلم مافى قلبه من عقبة (قال الراوى) وأما الاميرة قالت له لارضى الله عنك لاحى ولا ميت وأين الزاهد الذى جابنا حتى نصلى عليك هذا وقد شد الـكل كتاف وعمل الاكر فى أفواههم وسمطهم على ظهور خيلهم وسار الى منارة فى الجبل وقد أدركهم الصباح (قال الراوى) هذا ما كان منهم (وأما ما كان) من عسـكر الرشيد فانهم أصبحوا وقـد عدموا الخليفه ففتشوا العسـكر وقالوا طلبوه عند الامير عبد الوهاب والا ان سمع كلب الروم طمع فينا فطلبوهم فلم يجدوهم وشاع الخبر فى الناس بفقد الرشيد والامراء وبلغ ذلك إلى ميمون الجماس فضحك وقال هذا الذى قلت لهم عليـه وخرجت الجواسيس إلى ملك الروم وأعلموه بفقد الرشـيد والامراء فزعق على الملوك وقال دونـكم وهذا العسكر الذى بلا مقدمين قال فحمل عسكر المشركين على عسكر المسلمين وانطبقت العسكرين وحانـ الحين وزعق غراب البين وتقاتلت الطائفتين وقاتل قراقد

وسودانه قتال شديد وجعلوا يضربوا فى الروم الضرب الشديد وأسر ملك الروم ذلك اليوم من المسلمين أربعة آلاف هذا وقراقد أقبل على وزير الخليفة لأنه لم ينهزم وانضم إلى بنو كلاب (قال الراوى) هذا ما كان منهم وأما ما كان من البطال ومن معه من الرجال فإنه أقام مكمنا طول النهار ولما سمعوا صياح العسكر وما جرى لم فقالت الأميرة ويلك ياأبا محمد أطلق أمير المؤمنين فإنا نخشى على المسلمين من الروم لأجل غيبته ولاشك أن ملك الروم قد غدر بأصحابنا ولا نعلم من هلك من الناس وكل من هلك فدمه فى عنقك فقال أبو محمد والله أنتم المطالبين بدمائهم فانكم جئتم تحاصرونى على أبلد أخذتها من خارجى ولولا أنتم ما جرت هذه القصة ووالله لو لاكم ما باليت وأما هذا الأسود الذى تزعموا أنه قراقد ووالله لابد أن أخليه يطحن فى المدار إلى الأبد فقالت الأميرة ذات الهمة ويلك يافرد تتجارأ على الأمراء المجاهدين فقال البطال ويلك يا عجوز السوء تخاطبينى بهذا الخطاب وعطف عليها وضربها مائة سوط فزعق عليه الأمير فضربه مائة سوط فجعل سيف الحنيفية يشتمه فضربه مائة سوط وعطف على الرشيد فطار الدم من وجهه وعلاه الاصفرار فقال لهياج يا هياج أنا نحيف البدن وان ضربنى سوط واحد قتلنى لا محالة فعسى تشترينى منه بالخزانة الذهب التى أخذها فهو فى حل منها فخاطبه هياج فى ذلك فقال ما هذا كلام عاقل والله إن لم يزن لى مائة ألف دينار وإلا ضربته بهذا السوط الذى معى فقال الرشيد لاتتعرض لى فعلى كلما تريد (قال الراوى) وصبر أبو محمد إلى الليل وسار من وراء الجبل إلى قرب خربة كانت للرهبان عامرة وقد دثرت وما وصل البطال إليها إلا وقد ذهب نصف الليل وكان قد أصرف عسكر أبيه الأكراد حتى لايفطن بهم أحد ولم يأخذ معه غير ثلاثة من غلمانه وهؤلاء مكتوفين مشدودين وفى أفمامهم الأكر حتى إذا قرب منهم أحد لايتكلمون ومازال سائر حتى قرب من ذلك المكان وإذا بأشباح قيام وبين أيديهم شخص يبوسون يديه وهم نحو خمسمائة فارس ويهنوه بالسلامة ويزيدون فى اعظامه فنظر إليه ليعرفه ومن هم هؤلاء الجماعة وإذا هم بطارقة من الروم والمقدم عليهم ميخائيل أخو منويل والذى بين يديه عقبة وشو مدرس وشوما والأمير ضيغم معهم أسير فلما رأى أبو محمد البطارقة قال لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عقبة لما كان محبوس فى الحبس الذى فى القصر وكان الأمير ظالم قد وكل به عشرة من السودان وخمسة من الأكراد فلم يزل يلعب بعقولهم ويقول أن أبو محمد لابد له من عبد الوهاب وهذا لايدوم والرأى عندى أنكم تأخذون بهذه الفعلة اليد

البيضاء عند الامير عبد الوهاب فقالوا له وما تريد قال لهم تعملون على خلاص الامير ضيغم فإن فى قلبى وقلب الامير عبد الوهاب النار من أجله وعلى لكل واحد منكم ألف دينار وأطلقوا سبيلى ولا يعلم بهذا أحدا فقالوا ومن أين لنا المال ويأتينا من أين فقال لهم من هذا وأشار إلى البترك فقال لهم شومدرس ولكم منى أنا الآخر خمسة آلاف دينار فأجابوه إلى ذلك فقالوا نحن نفتح لكم باب السر إلى ظاهر البلد تحملوا إليه المال وتخرج أنت ومن معك من الرجال فقال اريد من يمضى بكتاب هذا الرجل إلى عند الملك فقال بعض الأكراد أنا آخذ كتاب عقبة ففعل ذلك وكتب له ما يريد فأخذ الكتاب وفيه كلما طلبه ونزل بحبل كان معه من الصور ودخل عسكر الروم فأخذوه الحراس وأرادوا قتله فقال لهم لا تقتلونى فهذا كتاب إلى الملك فدخلوا به إلى الملك فلما قرأه وعرف صورة الحال سلم إليه المال ونقلوه إلى بين يديه البغلان وقالوا له سير قدامنا حتى نوصلك إلى مكانك فإنك ما تقدر تحمل هذا المال وسار معه أربعة من الرجال حتى أوقفوه تحت الموضع الذى نزل منه والحبال على حالها وطلع ورفع المال وقبضوه الرجال ثم انهم تحيلوا إلى أن أخذوا مفاتيح الباب وفتحوه لهم ليلا وانصرفوا عنهم وهم لا يفطنوا بهم وان عقبة أول ماعمل أخرج ضيغم وكان عينه منه وكان باب السر لما افتتح دخل إليه مائة من البطارقة وكان هذ كله من تعاليم عقبة الملعون فى كتابه الى الملك من يل وكاتب الملك بهذا وكان الذى أخرج الأمير ضيغم السودان لانهم فكوا قيده وأطلقوا سبيله وظنوا أنه ينظر إلى عسكر أبيه فما هو الا ان أخرجوه من باب للسر فأخذوه البطارقة وفى أيديهم السيوف البارقه وضربوا رقاب السودان وأخذوا الامير ضيغم ولد عبد الوهاب أسير ودخلوا من الباب فوجدوا القاضى عقبه فجعلوا يخلصوا واحد بعد واحد حتى خلصوا الملعون شومدرش وزوجته شوماوا اللعين عقبة وقتلوا كل من كان فى الحبس من المسلمين وكانوا الأكراد قد مضوا إلى بيوتهم ولم يقفوا مع السودان حتى إذا جرى على هؤلاء أمر أو وقع بهم صايح ينكرون أنهم ما كانوا معهم وإن الملعون عقبة خلص المأسورين ماخلا الفضل بن الربيع فإنه كان قد رفع من عندهم إلى دار الامارة وإن عقبة لما صار خارج باب السر وجد مخاييل وهو فى هذه البطارقة فسلم عليه وقال أيها الشيخ النجيح لم يعلم الملك بهذا الباب إلا وقد ملكنا البلد فقال عقبة إنكم قد يحتم الليلة بخلاص البترك والراهب شو مدرس وزوجته شوما فلا تتعرض لغيرهم فلو دخلتم فى عدد النجوم وقطر الغيوم وفطنوا بكم السودان فما سلم منكم إنسان فقال له مخاييل اعلم أن عساكر العراق قد انهزمت وما بقى غير عساكر

عبد الوهاب وقد عدم أيضا فقال عقبة إن كان عبد الوهاب عدم لا رده المسيح ثم أخبره مخاييل ان أبو محمد البطال قد أخذ الرشيد والأمراء فقال هذا كله من تدبير البطال وما أخذهم غيره والساعة يقصد بهم البلد وأنا عارف بهذه البلد وهذه الطرق اقصدوا على يساري إلى الجبل وانزلوا بنا الوادى نجد البطال ومعه الاسارى فنزلوا الوادى وملك عقبة رأس الطريق وقال لهم قفوا هاهنا فما لهم طريق إلا من هاهنا فهم فى الكلام وإذا بالبطال وغلمانه ومعه الأسارى وهم قدامه والبطال فى تلك الساعة قد هاج به الهوى وأضرمت فى قلبه نار الجوى وقد نظر من معه من الاسارى وهم أعز الخلق عليه وأحبهم إليه فتمثل بهذه الابيات يلذذ ويقول

هجرت وبيت الله حقا أقاربى	أخى وأبى ثم ابن عمى وخاليا
ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصى	أصم ونادتنى أجبت المناديا
وأخرج من بيت البيوت لعلنى	أحدث عنك النفس بالليل خاليا
معذبتى لولاك ما كنت صاليا	أدور على الابواب والجسم باليا
رأيتك يا نورى أحب حبيبة	إلى وانى صرت للأهل قاليا
وقد حرت من حبى لنورى مولها	كأنى عديم العقل للناس ساهيا
وقد كنت أملت اجتماعا بقربها	فعاندنى فيها أعز مواديا
وإن كانت الاحباب فيها تخوننى	ولم ترع لى يوما لحسن فعاليا
وهل يفعل الإنسان إلا كمثله	ولو كان أصل طيب لرثى ليا
وكم أوعدتنى أمه بوصالها	فكان كلاما كاذبا غير وافيا
فيا ذلها مع ابنها الاسود الذى	تعدى على البطال ظلما معاديا
ولست أراعى الرشيد مكانه	وسوف يرى منى خلاف وداديا
إلى ان أرى نورى معى عند مضجعى	وأبلغ منها منيتى ومراديا
فان أسلموها صرت عبدا لعبدهم	وان منعوها صرت للكل جافيا

(قال الراى) فما تم شعره حتى بانت الاشباح وانكشفت الارواح وظهرت بعد ما كانت خافيه وإذا هم روم ووقعت العين على العين كما ذكرنا فحين علم أبو محمد انهم روم وعلم انه قد وقع ولا سبيل له إلى النجاة وهؤلاء متأهبين للقتال شاكين فى السلاح فعند ذلك تقدم أبو محمد إلى الامير عبدالوهاب وقال له يا اسود يا زنيم هذه عساكر الروم ومالك إلى الخلاص سبيل فان كنت تطلب النجاة لنفسك والأميرة ذات الهمة وولدك والخليفة فى أرضه وبلاده فتحلف لى انك لا تنظر إلى الملكة نورى وان تسلمها إلى وتجود بها على وتكون لك اليد البيضاء والرتبة العلياء عندى فبقى الامير عبدالوهاب

حيران وقال ان لم أحلف هلكت وإن حلفت لا تطاوعنى نفسى فقال الرشيد خلفه يا أبو محمد بمهما شئت سوى الطلاق فقال أبو محمد هذا لا يجوز ولا أخلى واحد حتى أحلفه بالطلاق وأحلف عبد الوهاب بالطلاق من الأميرة ذات علوى انه لا يرجع ينظر إلى نورى ويسلمها إلى وأى من مسكها عنى كان الطلاق به واقع وكذلك أحلف أمير المؤمنين انه لا يعارضنى فيها لأنى رأيته يحامى عنها ولا شك انه دخل فى قلبه منها هوى وبالله العظيم ان لم تحلفوا لى كما أريد لأجعلنكم فى يد الأعداء يسقوكم كاس الردى وما تكون شدة أعظم من هذه وها أنتم ترون الأعداء قياما بين أيديكم ومعهم السيوف العظام فقال له عبد الوهاب ويلك يا ملعون أتخاطب مولانا الرشيد بهذا الخطاب وتجاوبه بهذا الجواب ولكن حلفنا بما شئت إلا الطلاق فانه أمر وضيع ولفظ شنيع ولتسمع الناس عنا هذا وعن السلطان فقال أبو محمد وما أنا ممن ينطلى عليه المحال ولا بد الساعة ما تأخذكم الروم ويلطموكم حتى تطلق نساءكم فى مرة واحدة وبعد ذلك أنا أمضى إلى ملطية إلى الملكة نورى ولو انها تحت الأرض أخذتها (قال الراوى) فهم معه فى الخطاب والخيل انكبت عليهم وأحدقت بهم فلما نظر البطال إلى ذلك علم انه ان وقف أخذ معهم وهلك فهرب فى ظلام الليل والغلمان الذين كانوا معه ومضى فى طريق أخرى وتبعتهم الخيل وأخذ الرشيد والأمير عبد الوهاب والأميرة وسيف الحنيفية وهياج الكردى وهو يقول لا صح الله لك بدن يا بطال ما أنت إلا شيطان فقال الأمير عبد الوهاب لا بد الساعة يأخذه الروم ولا بد ما أعمل على قتله ولو وزنت للروم مالى كله فقال الرشيد أنا برىء من المهدى الطاهر من الادناس واخلع نفسى عن خلافة بنى العباس ان رجعت إلى بلاد الإسلام ووقع فى يدى لأضربن عنقه وان أخذوه الروم لا بد لهم من قتله هذا والقاضى عقبة أخفى نفسه حين رأى الرشيد خوفا منه ثم أقبل إلى ميخائيل والبطارقة وقال لهم اعلموا انكم قد ظفرتم هذه الليلة بما لم يكن فى الحساب ومما لا يقدر عليه أحد من الناس الأول انكم خلصتم شومدرس وزوجته والبترك وأخذتم الأسود عبد الوهاب الذى قد شيب ذوائب الأطفال وقطع أعناق الرجال وأخرب بلاد الروم وأخذ الأموال وأخذت أمه التى هى أشد منه بأسا وأقوى مراسا وهى التى قد صرعت القلوب وتركت المعافا مكروب وقد ملكتم ابن ميرونه الذى اسمه سيف الحنيفية وملكتم هياج الكردى الذى فى القلب منه نار لا تطفى ولهيب لا يخفى وقد كنت عملت على قتله وقطعه الرشيد بالسيوف وذكر ان نبى المسلمين أتى إليه وأبراه ولا بد ما أقطعه وأهبره حتى لا يبقى منه ذرة وقد صار معك صاحب الايوان

وخليفه الزمان وسلطان العراق وملك جميع الآفاق فتملك به بغداد وسائر ملوك المسلمين والبلاد وأنا أخاف أن يعرفونى وأريد منك أن تشدنى وثاقا كالمأسورين وتكشف رأسى حتى لا ينكر الرشيد أمرى ولا يقول انه نصرانى فان سلم كنت عنده فى المنزلة الرفيعة وان عطب كانت الراحة العظيمة وسوف ترى ما يكون فيه الصلاح إن شاء المسيح (قال الراوى) فلما سمع ميخائيل كلام عقبة أمر البطارقة بكشف رأسه وشده على بعض الخيل ولم يحتاجوا إلى شد الأسارى لأنهم كانوا مشدودين موثوقين على خيولهم هذا وشومدرس يقول للملك ميخائيل إيا ان تقصر عن طلب العيار المحتال الشيطان أبو محمد البطال فهو أيشم من الجميع فقال له ميخائيل طب نفسا وقر عينا فما تعود الخيل إلا به ثم ان ميخائيل قدم الرشيد والاميرة ذات الهمة بين يديه ثم انه جعل يضرب هياج بالصوت الذى فى يده ويقول وحق المسيح لا بد ان أقطعك قطع وكان ذلك لاجل ما أوقع عقبة فى قلبه من أمر هياج ثم أنه أقبل على الامير عبد الوهاب وقال له يا أسود يا حجام لقد أمكننى المسيح منك فقال له الامير عبد الوهاب ما هذا بسيفك يا كلب يا لعين أخذتنى حتى تفرح بذلك فلم يلتفت إلى كلامه وقال للرشيد يا خليفة لا بد ما أجلس على سرير مملكتك ببغداد واحتوى على كل البلاد وتكون العراق معنا إلى القسطنطينية فقال الرشيد أين أنت من ألطاف الله تعالى وان الله تعالى قد أوعدنى بالنصر على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال عقبة وهو على تلك الحالة للملك ميخائيل يا عدو الله تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب والله لا بد ان تقطع منكم الرقاب ونجعل بلادكم قفرا خراب (قال الراوى) وكان فى يد ميخائيل سيف فضرب به عقبة صفحا قال ونظر الامير عبد الوهاب وهياج الكردى إلى عقبة فرأوه فى أسوء حال فعلموا انها من حيلته ومكره وانها منه حيلة وخداع ثم ان ميخائيل أنزل الامراء والسلطان من على خيولهم التى كانوا عليها وجعل يلطم الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب فصاح به الرشيد اتق الله يا ملعون فكم وقعت فى أيدينا ولم نفعل بك هذه الفعل فرفع الملعون السوط وضرب به الرشيد ثلاث ضربات (قال الراوى) ولم يكن فى بلاد الروم أمكر ولا أخبث من هذا الكلب الملعون ميخائيل وسوف يأتى حديثه عند مملكة الروم ان شاء الله تعالى ثم ان ميخائيل جرد سيفه وأراد ان يضرب به الرشيد فصاح به عقبة ويلكم لا تفعلوا أوقف يدك عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان ولا بد ان تطفى غيظك وتبلغ غرضك فيكون من الاصحاب والخدم والاسارى واما الامام فلا تتعرض له ثم انه اشار إلى هياج

وذات الهمة والأمير عبدالوهاب وكان قد ملأ قلب ميخائيل على هياج فقالت الأميرة وعبد الوهاب يامولانا هذا كله من بعض حيل عقبة ومكره فقال الرشيد لاتقول هذا الكلام يا عبد الوهاب أما تراه وهو فى هذه الشدة وهو فى أسوأ حال وقد أخذوه من ولدك ضيغم ولو كان الأمر على ماذكرتم لكان له فى الروم منعه ومواضع وسعه فسكت الأمير عبدالوهاب عن خطابه وعلم أنه ماهو موضع الملاججة ولم يزل ميخائيل هكذا إلى أن تنصف الليل ومعه الأكراد العشرة الذين هم فى صفة الملائكة وأما أبو محمد وغلمانه فانهم ساروا يسلكوا فى أماكن صعبة المرتقى كثيرة الوعر فلم يقدروا يتبعوهم (قال الراوى) ونظر هارون الرشيد إلى تلك الأكراد فجعل يضحك ويقول مارأيت عمرى أنحس من هؤلاء الملائكة ثم رحل ميخائيل وقد نال مابلغ ونال المنائم أنهم أخفوا الحس وساروا معرجين عن الطريق الذى لبنى كلاب حتى توسطوا الوادى وجدوا فيه رجل جسيم كأنه الأسد الضارى وله همهمة ودمدمة فنظر الأمير إليه وإذا به الأمير المجاهد الأمير قراقد وقد صاح الله أكبر خلوا عن أبطال المجاهدين وأمراء الموحدين فصاح الخليفة دونك وخلصنا يابن السلوك ودع ميخائيل متروك على الصعيد (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الأمير أبو محمد البطال لما سلم هو وأصحابه وأمن على نفسه من طلب الروم أقبل على الغلمان وقال ماتريدون فى هذه النوبة إنا لله وإنا إليه راجعون مابى إلا عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وولده ضيغم لأنهم لاقوا ما عملوه معى ولكن خوفى على ماتم على أمير المؤمنين لأن فى أسره مذلة للمسلمين ووهنا للدين وأخاف العقوبة من رب العالمين والثانى الأمير هياج لأن بينه وبين عقبه ماقد عرفتم وهو ما يبقى عليه ويأمر الروم بقتله وأكون أنا السبب فى تلافه وهذه الأسباب لم تكن لنا فى حساب فقالوا له وعلى ماذا عولت فقال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم ثم أنه غير ثيابه وسار إلى أن دخل على العسكر الذى لعبدالوهاب ووقف حتى عرف عساكر قراقد وقراقد لايعرفه فقال أيها الأمير أدلك على عبد الوهاب وذات الهمة والرشيد وضيغم ولد عبد الوهاب فقال الأمير قراقد وقد دمدم ويلك وأين هم فقال يا أمير اعلم أنى كنت محبوس عند البطال فى أسوأ حال الأمير ضيغم فلم نعلم بأنفسنا إلا والروم قد أخذونا فنجونا بأرواحنا من البلد والتقوا مع بأبو محمد ومعه الجماعة فأخذوهم عن بكرة أبيهم وفى اشتغالهم بالاخذ وجدت طريقا إلى الوصول إليك وهم فى ألف فارس فقال قراقد أريدك يافتى توقفنى على طريقهم فسار بهم إلى ذلك المكان ومعه رجاله وقال له أجلس هاهنا أنت وأصحابك

وقد وصلوا إليك وعبروا عليك فهم فى الكلام وإذا بصهيل الخيل وميخائيل يقول ماظفر منويل قط بمثل ماظفرت أنا وقد نظروا إلى ذلك فصاح الأمير عبد الوهاب دونك يابن السلوك واترك ميخائيل على الارض مطروح فعندها همهم قراقد ودمدم ونادى بقومه يال حام فتبادرت إليه السودان الكرام (ياسادة) ووصل ميخائيل الموضع فصاح بالبطارقة وقال خذوهم فحملوا عليهم وحملوا على بعضهم بعض وضرب الفارس صاحبه وأخاه ولم يعرف فى ذلك الوقت الابن أباه وبذلت السودان السيوف فى الروم لانهم كانوا يعرفونهم ببياض ألوانهم والروم لا يبصرون السودان لسواد أبدانهم وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابى والبطاح وذكروا المسلمين سيد الملاح فسمع الامير قشعم الصياح فركب فى مائة ألف من قومه وسمعت عسكر الروم الجلبة فقالوا لاشك أن عساكر المسلمين قد علموا بالملك ميخائيل وقد ثاروا عليه فركب الملك منويل وركبت الملوك بالطوائف من كل جانب ومكان فى ألفين ألف وأربعمائة ألف فكادت الارض أن تنقلب وطلبوا بنى كلاب واشتد الضراب وتراشقوا بالنبال والحراب وجرى الدما كجرى المطر من السحاب وماجت العساكر مثل موج البحر العجاج وثار الضباب واحتاطت الروم ببنى كلاب وعملت الصوارم فى الرقاب (قال الراوى) ياسادة ياكرام ولم يقدر أحدا من بنى كلاب أن يصل إلى الامير قراقد لان الروم كانوا قد دهموهم بكثرتهم وكان الملعون شومدرس هرب لما وقعت الوقعة بين الامير قراقد وبين ميخائيل وسار إلى أن وصل إلى ملك الروم وعرفه بالقصة الى جرت فأرسل معه الملك مائة ألف من الافرنج وقال لا تبقوا على أحد منهم ماخلا الرشيد وعبد الوهاب وذات الهمة وسيف الحنيفية فأنى أريد أن أنتقم منهم وأعذبهم أشد العذاب وأجمع لقتلهم كل من فى جميع البلاد فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك فأدرك ميخائيل وقد بقى فى ثلثمائة فارس والباقى مطرحين على الارض فصاح بعيسى ابن مريم والصليب وكان ميخائيل فى ثلثمائة فارس وملك الافرنج فى مائة ألف فارس وكان ميخائيل قد أشرف على العطب ولم يجد سبيل إلى الهرب وكذلك عقبة قد أراد الهروب فلم يجد له سبيلا فبقى على حالته إلى أن أدركهم ملك الافرنج فى ذلك العسكر وارتفع الصياح والتعويل وصاحت قساقسهم بالانجيل هذا والرشيد قد دفع صوته بقراءة القرآن وكذلك عسكر الملك منويل فانها ترجلت على العساكر عسكر المسلمين وبنى كلاب والامير قشعم قد بذل نفسه فى طاعة الملك الجليل وقاتل قتال الشريف الاصيل حتى امتلأت

الأرض بالقتلا وفاضت الأودية بالدما وتعلقت الرجال باللحا وطابت الأنفس النجاة وتصادمت الخيل فى ظلام الليل وطعنت الخيل فى صدورها وأرمتهم على ظهورها وحارت الأبطال فى أمورها وكان ذلك اليوم وتلك الليلة أطول من السنة بأيامها وشهورها ولم تزل السيوف تقطع والأجساد تبضع والأنوف تجدع والرجاع تصدع حتى انقطع من الحياة الطمع وشاب الطفل المرضع ووقفت الخيل فلم تجد لها مدفع إلى أن أصبح الله بالصباح وتهور الليل وراح وقد لبست الأرض ثوب العقيق والرؤس قد تدحرجت على قارعة الطريق فقال الملك منويل اكشفوا لى خبر مرطويط ملك الافرنج (قال الراوى) ياسادة ياكرام هذا وقد ضجرت الأرواح من ضرب الصفاح وضاقت الصدور من الكفاح وقد عملت الصوارم فى جماجم الأشباح ونادى الملك لبعض البطارقة ويلك نحن قد أشرفنا على أخذ بنى كلاب فاكشف لى خبر ميخائيل ومرطويط ومن معه فقد أشغلوا قلبى على أن ما بقى بين أيديهم عسكر كبير (قال الراوى) ياسادة ياكرام فمضى البطريق يكشف الخبر وماجرى بينهم قال وكان قراقد وأصحابه السودان لما لقوا الملك ميخائيل وهو فى ألف بطويق وقتل منهم سبعمائة وبقى معه ثلثمائة وأشرف على العطب ووصل إليه مرطويط ملك الافرنج ببطارقته فأحدقوا بالكل كما يحدق البياض بسواد الحدق وسمعت باقى سودان قراقد الخبر والصياح فركبوا فى خمسة آلاف وساروا يطلبون الصياح إلى أن وصلوا إليهم وأشرفوا عليهم (قال) وحملت السودان إلى أن التقوا بأميرهم قراقد وكان السيف فى هذا الوقت أكبر شاهد ولم يزل يعمل فى العسكرين إلى الصباح وقد كثرت فى الأجساد الجراح وتملت الصفاح ولم يجد الانسان سبيلا إلى الرواح وجرت الدما على البطاح وكانت سلامة الأمير أجل الأفراج وضاقت عليهم الأماكن الفساح فلما كان وقت الصباح جاء الفرج وقد أحدقت الافرنج بالأمير قراقد وأصحابه وقد قتل منهم ثلثمائة وقتل من الروم ثلاثة آلاف بطل وأن الأمير قراقد عند الصباح قد أشرف على التلف هو وأصحابه فهو كذلك إذ وقعت عينه على الأمير سيف الحنيفية وهو مع مائة بطل ذليل حقير فضرب واحد منهم على عاتقه الأيمن أطلع السيف يلمع من بين أفخاذه وضرب آخر على صدره أطلع السيف يلمع من ظهره وضرب آخر على قمته أطلع السيف يلمع من عند سرته فنظروا كلاب الروم إلى ضرب أمر من الجمر فهجموا عليه بالاتراس الصقال فجعل يضرب هذا على ترسه يقطع رأسه ويصل إلى صدره فيقطعه نصفين ويضرب الطوارق فيقطعها وينزل إلى المفارق ولم يزل كذلك إلى أن وصل إلى

سيف الحنيفية وقد أفرجهم عنه يمينا وشمالا وقد حرصوا على أنهم يحيلوا بين قراقد وبين سيف الحنيفية فلم يقدروا على ذلك إلى أن وصل إلى سيف الحنيفية وهو على فرسه مشدود اليدين فلما لاصقه قطع الحبال من رجليه وحل كتافه فوثب سيف الحنيفية عن الفرس قائما على قدميه وقطع كتاف يديه وأخذ ترس من المعمعة وسيف وهدر فى وجوه الأبطال والبطارقة والأفيال ووثب إلى بعض الخيل التى قد خلت من ركابها وحمل فى البطارقة فأبلاهم بالبلاء وكانوا قد تكاثروا على الأمير قراقد وهو راجل لايقدر أن يركب فعندها كشف الروم غربا وشرقا وأشبعهم طعنا وضربا إلى أن وصل إلى المكان الذى فيه ذات الهمة وعبد الوهاب (قال الراوى) وأما الرشيد وهياج فان اللعين عقبه لما أصبح الصباح قال للملك ميخائيل خذ الأسارى وامضى إلى الملك منويل فأخذ الرشيد وهياج الكردى وطلب الأمير والأميرة فقالوا له انهم مع سطاس وهو فى وسط الخيل ولاسبيل إليهما فقال عقبة لميخائيل اخلص بمن معك وخذنى على هذه الحالة أسير مكتف إلى عند الملك وقل له يرسل نصف عسكره حتى أنه يأخذ الكل فخرج ميخائيل من المعمعة ومعه الأمير هياج والرشيد والخادمين هذا وقد حمل الاميرسيف الحنيفية إلى أن وصل إلى الموضع الذى فيه الاميرعبدالوهاب ووالدته وقاتل حتى خلصهم من الأعداء وأطلقهم مما كانوا فيه وأخذوا السيوف وحملوا على الصفوف وجدعوا الانوف وسقوا الروم كؤس الحتوف وكان العدد كثير وهؤلاء ستة آلاف والروم مائة ألف وكان قراقد الذى معه قد أشرفوا على التلف لولا من الله عليهم بسيف الحنيفية والاميرة ذات الهمة وعبدالوهاب كل واحد منهم مقوم بألف (قال الراوى) ياسادة ياكرام ونظرت الاميرة إلى صليب من الذهب الاحمر ومن حوله أربعة بطارقة وفى وسطهم الملك مرطويط ملك الافرنج فقالت الاميرة ذات الهمة يابنى اعلم أن قوام هذا العسكر بهذه الاربعة الذين هم من حول العلم الاحمر وهذا الملك مرطويط فقال الاميرعبدالوهاب أنا أحمل على الملك مرطويط فقالت الاميرة وأنا أحمل على الذى معه العلم فقال الامير قراقد وأنا وسيف الحنيفية نحمل على الذى حوله ثم انهم كبوا رؤسهم فى قرابيص سروجهم وحملوا حملة واحدة طالبين العلوج فمنعتهم البطارقة من ذلك فجعلوهم مثل الحصيد ورموهم على الصعيد ولم يزالوا فى حملتهم إلى أن وصلوا إلى عند العلم والذى تحته كما ذكرنا فكان السابق منهم عبد الوهاب فضرب مرطويط أطاح رأسه وضربت الاميرة صاحب العلم تركته على الارض قد انقسم

وضرب سيف الحنيفية الثالث سقاه كأس المنية وكذلك قراقد ضرب الرابع سريع على عاتقه الأيمن اطلع السيف من عاتقه الأيسر وقد نظرت الافرنج إلى الملك مربوط فوجدوه قد انعدم والعلم قد انهدم وطلبوا الملك ميخائيل فلم يجدوه وظنوا انهم قد قتلوه وكانوا السودان قد حملوا فيهم وأدهشوهم بالكلام الذى كأنه الرعد العاصف وأفنوهم بالحسام فما كان لهم طاقة إلى المقام فمضوا هاربين وبما أملوا خائبين وإلى عسكرهم طالبين (قال الراوى) وكان تلك الساعة قد انهزم الامير قشعم وانهزمت بنى كلاب لما زاد عليهم الأمر ومال عليهم عسكر الروم وقد انكسرت قلوبهم لعدم الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وعند هزيمتهم قد التقوا بعساكر الافرنج الذين انهزموا وكان اللقا مواجهة وعمل بينهم القتال والحرب والنزال ونفذت فى الابدان الرماح الطوال وتعلقت الرجال بالرجال وقصرت الخيل عن المجال وجرت الدموع من العيون بانهمال فهذا صريع وهذا طريح على الرمال وهذا مصروع من شدة النكال فما كانت إلا ساعة حتى قتل من الافرنج ثمانية عشر ألف وقتل من بنى كلاب خمسين واحد وأخذت الافرنج فى الهزيمة وخلوا ما معهم من الغنيمة ونصر الله المسلمين وفى تلك الساعة أدركهم الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمه وسيف الحنيفية وقراقد والسودان وفرحت بنى كلاب بخلاص الامير عبد الوهاب وأمه وسألهم الامير عبد الوهاب عن الرشيد فقالوا ما لنا به علم ولا بالامير هياج الكردى ولا بالامير ضيغم وقد اشتغلت لذلك قلوبنا

﴿ تم الجزء السادس عشر ويليه الجزء السابع عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء السابع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يأساده باكرام وسار الامير عبدالوهاب الى المكان الذى كان فيه الرشيد ونزل بالناس هناك ونزلت أيضا عساكر الروم وأخبروا الملك منويل بقتل ملك الافرنج مرطويط فعظم عليه وكبر لديه وقال هذا كله سهل بعد خلاص الشيخ النجيح والراهب شو مدرس وزوجته شوما وكان ميخائيل قد وصل اليه الرشيد بين يديه وضيغم وهياج الكردى وعقبة لعنه الله تعالى على تلك الحالة فقال الملك منويل اقتلوا هذين الرجلين وأشار إلى عقبة وهياج الكردى وأن ملك الروم كان عارفا به وبأمره وفرح بأسر هياج أكثر من فرحه بالرشيد لأنه كان قد وقع له معه أحاديث عجيبة كما ذكرنا فى السنة التى كان تنصر فيها أبو الهزاهز وكان منويل نذر من أجله النذور للمسيح أن يوقع الأمير هياج فى يده فلما عاينه أمر السياف بضرب رقبته ورقبة الملعون عقبة شغلا وعملا ومكرا منه وخبثا وكان أمره بقتل هياج حقيقة فقال الرشيد اعلم أيها الملك أن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وان هذا القاضى المسكين إذا قتلته لاينقصون المسلمين لأنه شيخ كبير وعلى فيه كلما تطلبه من المال وكذلك هياج كلما طلبت على فقال الملك وحق المسيح فما يبقى دواهم عندى غير السيف ولابد ما احارق هذا الرجل وأشار إلى هياج الكردى لأن لى معه فعال لا تحصى وقد أدخل فى قلبى ناراً لاتطفى وكم وقع فى يدى وخلص وما بقى له سبيل إلى الهروب وأما هذا وأشار إلى ضيغم فلم أقتله حتى أضيف إليه أبيه الزنيم الأسود وأما أنت فما عليك أيشم من هذه النوبة وما مخلصك من يدى أحدا حتى تسلم إلى من ملطيه إلى الموصل وتحمل إلى المال كل سنة كما كنت أحمل إليك إلى بغداد وإن أبيت أوردتك مورد الهلاك فقال عقبة لعنه الله

تعالى وهو مكتف بين يدي الملك لقد تجبرت يا كلب النصرانية ان تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب والله ما أنا خائف على نفسي لأني شيخ كبير وقد شبعت من الدنيا ومالي صبر على انك تخاطب ابن عم رسول الله بهذا الخطاب وقد وطىء رقبتك مرارا فصاح عليه ملك الروم وقال احملوا هذا الملعون الى خيمة الدم لأضرب عنقه فى غداة غد قال فحملوا عقبة لعنة الله عليه الى بعض الخيام وهو أسير نخرق الثياب فلما صار فى الخيمة غطى رأسه وقدم له لحم الخنزير مشوى فأكل منه ثم رفع الرشيد إلى مكان آخر وضيقهم معه وحمل الامير هياج إلى حريم الملك منويل لانهم كانوا فزعوا عليه وعزموا على قتله وأمسى المساء وركب القاضى عقبة لعنه الله الى خيمة الملك منويل فوثب له قائما على قدميه وقال أيها الشيخ ضاق صدرى اليوم لما رأيتك على تلك الحالة فقال أيها الملك بذلك يتم لى أحوال أدبرها فقال له المسيح يطول عمرك فانك رحمة الروم فقال شومدرس أما أنا فقد صنع معى جميل ما أقدر أقوم به ولم يزل الملة المسيحية قاصد وشاهد ومساعد ولكل عبد من عباد المسيح معاضد فقال ملك الروم هذا هو المعروف بفعله على سائر الايام والساعات وما صنع فى حقك أيها الشيخ فهو قليل لانكم أهل بيت علم النصرانية ولولاكم لهلكت الملة المسيحية فانت أيها الراهب شومدرس وولدك دهرشوم والقاضى عقبة وزوجتك شوما التى هى أم الرهبان وأنتم الشفعاء يوم القيامة لاهل دين النصرانية وما يضيع عند المسيح ما تصنعوه وما تعملوه فقال عقبة هذا كله مع حسن الظن لمولانا الملك لازال محروس الجانب فقال شومدرس الآن دعونا من هذا الكلام وهذا الامر ودبروا ما يعود نفعه وماذا تعولون عليه فى غداة غد فقال عقبة اللعين وما عسى ان نعمل ونحن فى هذا العالم العظيم وما بين أيدينا غير هذا العسكر الذين هم من العرب الذى قد انهزم ولولا هذا الاسود عبد الوهاب وأمه وولده ما كان بقى منهم باقية وفى غداة غد نحمل عليهم فى هذا العسكر العظيم ونتركهم مثل الحصيد الرميم واعلم ان بنى كلاب لو بقى منهم عشرة آلاف لكان فيهم الكفاية سيما وقد بقيوا مائة ألف وسبعة آلاف أسود وقد زاد فيهم هذا النحس قراقد لا بارك المسيح فى عمره وهو فى خمسة آلاف وهذه آمد بين يديك فى مائة الف وستين ألف وأربعة عشر ألف أسود وان عسكر المسلمين لا يغفل عنكم ولا بد ما تأتى النجدة والآن فقد أعطانا المسيح مناك بخلاص شومدرس وزوجته شوما وخلاصى حتى أدبر ما يكون لكم فيه الصلاح والنجاح فقال له الملك ما الذى نعمل فقال أيها الملك اذا أصبح الصباح ضربت رقبة هذا الاسود الزنيم ولد عبد الوهاب ونضرب رقبة هياج الكردى بعده لان فى قلبى منه نار لا تطفى وأحرق قلباه من ذات الهمة وعبد الوهاب وقد اشتهيت لا أموت حتى أقتل الجميع وينقطع ذكرهم من الدنيا ولا أبالى

أي يوم كانت موتى وبعد هذا عندى رأى ان يرحل هذا العسكر بلا قتال ولا نزال ثم نرحل و ننزل على ملطية وهى خالية من العسكر فان تبعك هذا الأسود عبد الوهاب دبرت لك ما يكون فيه الصلاح وأيضا أيها الملك إذا ضربت رقبة ضيغم وهياج تقدم الرشيد مكشوف الرأس محلوق الذوائب ومن حوله البطارقة وبأيديهم السيوف وينادى المنادى من قبلك يا عبد الوهاب الملك يقسم بالمسيح ومريم والصليب لئن لم ترحل فى هذه الساعة وإلا رميتك برأس الرشيد فانه إذا سمع ذلك لا يقدر يقيم ويرحل لوقته وتدخل أنت ملطية وتأخذها بما فيها من الأموال والعيال وتملك نورى التى قد أصبحت فريدة الحسن والجمال ذات الحسن الفائق والجمال الرايق وبعد ذلك ترحل إلى أرض سجستان ومعك الرشيد وتخلف فى ملطية من يحفظها وترسل الرشيد إلى القسطنطونية وأسير معك حتى أسلم لك البلاد فان جرى عليك أمر اكان الرشيد سببا لخلاصك وان ظفرت بالمراد بجعل سرير ملكك بغداد ويكون ميخائيل نائبك فى القسطنطونية فقال له الملك نعم ما رأيت فقال شومدرس قد بقى فى هذه القضية شيأ واحدا تتخلصون من الأسود عبدالوهاب فقالوا وما ذلك أرنا من رحمتك طرفا ونوعا من حيلتك فقال شومدرس ان الملك إذا دخل إلى ملطية ما يقعدوا بنى كلاب عن الحريم ولو قتل أضعاف عسكر الرشيد وعبد الوهاب خلفكم لا يقعد عنكم ولو ان فى رجليه القيود سيما ومعه رجال سود ثم ان شومدرس ادعى بحرب ابن شيبان ملك العرب المتنصرة وقال له أريد الساعة أدبر حيلة على عبدالوهاب وأوقعه بها فان أخذتوه فما يبقى لبنى كلاب من يعتمدوا عليه ولا من يرجعون إليه ولا يأمن الملك أن يكون خلفه عبدالوهاب فقال له حرب بن شيبان أيها الشيخ أنا ورجالى بين يديك فوثب شومدرس وقال أريد الخيمة التى فيها ضيغم ولد عبدالوهاب فسارت الرجال به إليها وكان ضيغم فيها فى أسوأ حال وهو مثل السكران مما جرى عليه فى ذلك اليوم فلما وقف شومدرس هناك قال لحرب انى أريد من العرب المتنصرة عشرة فحضروا الوقتهم بين يديه فقال خذوا ضيغم تحت الليل واحملوه على أكتافكم وسيروا به إلى عسكر المسلمين فاذا داروا بكم فقولوا نحن نريد الأمير عبد الوهاب فاذا وقفتم بين يديه فقولوا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله اعلم أيها الأمير ان الله قد فتح قلوبنا من سنة الغفلة وأنقذنا من هذه الجملة ونحن معولين على الدخول فى دين الإسلام واننا لما رأينا الخليفة وقد جرى عليه ما جرى لم نجد صبرا وكان الملعون عقبة والكلب شومدرس قد أشاروا على الملك بقتل ولدك ضيغم والأمير هياج الكردى ويأمرونك بالرحيل وإلا رماك برأس الرشيد وقد باتوا معولين على هذه النية ونحن ان أقمنا إلى الصباح

حل بالمأسورين الافتضاح فقمنا وأخذنا الامير ضيغم وخلصناه قبل الصباح ثم أطرحوه بين يدى الامير عبد الوهاب وقولوا أيها الامير الصواب أن ترسل معنا عشرة رجال أجلاد ويكون كل واحد من العشرة يريد لرأسه ألف رأس حتى نخلص لكم الرشيد والامير هياج وهما فى خيمة وسط العسكر وتكون العشرة تلبس لبسنا حتى لا ينكرون لانا نقول الامير حرب ابن شيبان أمرنا بالدوران حول العسكر خوفا من لص أو جاسوس يحضر وتسير أصحابك معنا إلى الخيمة التى فيها الرشيد وهياج فتحمل على الدخول إليهما لان الرجال من حولهم وتقول الملك أمرنا أن نحملهم إليه ونأخذهما على أكتافنا كما فعلنا بالامير ضيغم ويمنعون العشرة عنا من يطلبنا فقالت العشرة المتنصرة لشومدرس سمعا وطاعة أيها العبد الصالح فما جملك المسيح إلا مدبر الارض وناصح ثم أنهم مضوا إلى الخيمة التى فيها الامير ضيغم وحملوه على أكتافهم وساروا إلى أن وصلوا إلى عسكر المسلمين فرأوهم الحرس فحملوهم إلى الامير عبد الوهاب فلما نظر إليهم علم أنهم من العرب المتنصرة فقال لهم ما وراءكم وما أتى بكم فأعادوا عليه ماجرى وهو الذى ذكرناه والحديث الذى وصفناه ووضعوا ضيغم بين يديه على تلك الحالة سكران من الضرب فلما نظر إليه الامير قال واولداه لا آخذ تارك إلا من أبو محمد البطال فقالوا له القوم أيها الامير اعلم أن الرشيد قد جرى عليه أكثر من ولدك ضيغم وهو يصيح واأسلاماه وامحمداه واعبد الوهاباه والامير هياج معه فى خيمة واحدة فى وسط العسكر ونريد أن ترسل معنا عشرة رجال لهم هيبة ووصول فقال الامير عبدالوهاب لما سمع هذا الكلام وقد أخذته النخوة والحمية أنا واحد منهم فقال سيف الحنيفية وأنا الثانى فقالت الاميرة ذات الهمة وأنا الثالث فقال قراقد وأنا الرابع فقال أبو الهزاهز وأنا الخامس فقال برد ابن الازهر وأنا السادس فقال الامير قشعم وأنا السابع فقال مالك ابن بشر وأنا الثامن فقال مالك ابن طوق وانا التاسع فقال راشد ابن ضمره وأنا العاشر فسيروا بنا (قال الراوى) ياسادة ياكرام وساروا مع العشرة العرب المتنصرة وقد استخلف الامير عبدالوهاب على عسكره الامير مدركة وأوصاه أن يكون على أهبة من امره وقال له إذا رأيت الصباح اضاء ولاح أطلب الصياح حيث كان وأشبعوهم طعنا وضربا فعسى الله ان يعيننا على ذلك فانه الملك القادر وساروا القوم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الداهية شومدرس فانه ضرب خيمة منفردة وامر الروم ان يبعدوا عنها ففعلوا ما امرهم به ثم انه امر العرب المتنصرة ان يحفرون فى الخيمة خندقا عميقا فحفروا ذلك وستروه بشىء ضعيف بحيث انه فرش فيه البسط وجعل فى وسط الخيمة سرير من الخشب وجعل عليه

شخص عليه ايزار فقال له حرب بن شيبان ما يحتاج إلى هذا أيها الراهب شومدرس لأننا أقمنا ألف رجل من العرب المتنصرة كل واحد يريد لرأسه جماعة من المسلمين فلا تحمل على قلبك هم فما هم يصلون إلى هذا المكان إلا وقد حمل عليهم ألف إنسان من صاحب سيف وسنان وأبطال وشجعان وأقران ينصرون أهل ملة الصلبان كأنهم أقارب وإخوان لعلهم ينالون بذلك أعلى الجنان ويعطيهم المسيح بذلك الأمان وينجيهم من النيران فقال شومدرس اعلم يا أمير حرب ان ما عندك معرفة بغوامض الأمور ولا حنكتك تجارب الدهور وأنا أعلم ان عبد الوهاب ما يأتى فى عشرة آلاف وكل واحد يريد لرأسه ألف بطل من كل بطل مداعس ولو ركب العسكر كله لقتلوه ويحموا أنفسهم من كل من على وجه الأرض وان وصلوا إلى واحد منهم فما يقدروا عليه حتى يقتل من البطارقة أبطال ويجندل من المتنصرة اقيال وبهذه الحيلة التى دبرت آخذهما بلا تعب ولا نصب ولا طعان فقال له حرب ابن شيبان هذا هو الرأى يا حكيم الزمان وأقاموا ينتظرون قدوم الأمير عبد الوهاب ومضى من الليل نصفه وإذا بالأمير عبد الوهاب والذين معه والعرب المتنصرة قد دخلوا العسكر فصاحوا عليهم الروم وأنكروهم لأنهم فى زى العرب فقالوا لهم من أنتم قالوا نحن من أصحاب حرب ابن شيبان وقد أمرنا الملك أن ندور حول العسكر نلتمس طارق فى هذا الليل الغاسق أو جاسوس أو سارق (قال الراوى) هذا والأمير والأميرة لا يفكروا فى شيء من أمرهم وقد أخذوا كلما قالوه لهم بقبول ولم تنفر منهم العقول وكان الذى قوى عزمهم على ذلك اطلاق ضيغم وهذا شيء ما فعله أحد قبل هذا الملعون شومدرس ولم يزالوا سائرين إلى عند الخيمة المضروبة فوجدوا الرجال نيام من حولها وهم أكثر من أربعمائة رجل فصدقوا قول العرب ونظروا إلى الخيمة وإذا فيها سرير وعلى السرير شخصان وعليهما ايزار وهو ملطخ بالدم كأنهم قد ضربوا وهم سكارى (قال الراوى) فلما نظرت الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب إلى ذلك دمعت عيناهم خوفا على الامير هياج والرشيد أمير المؤمنين ولأجل قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا العرب أيها الامير ادخلوا الخيمة حتى لا يكون بكم الانكار وعالجوا القيود التى فى ارجلهم والاغلال وهى مربوطة فى السرير فان رفعوا هؤلاء الرجال رؤسهم ونظروا إلينا لم ينكرونا لأنهم يعرفونا وان سألونا نقول لهم نحن الحرس الذى ندور حول العسكر وعالجوا أنتم القيود لعلكم تفكوها وتحملوا الامير هياج الكردى وأمير المؤمنين وتخرجوا إلينا بهم ونحن نحملهم على رؤسنا وتمشون أنتم من ورائنا فان فطنوا بنا الكفار فقاتلوا انتم من ورائنا وادفعوا عنا من يطلبنا من العلوج (قال الراوى) يا سادة يا كرام

فلما سمعوا الأمراء كلامهم قالوا لهم ما رأيتم إلا الصواب ثم انهم هجموا وقد تخطوا الرقاب إلى أن صاروا فى الخيمة وطلب كل واحد منهم العجلة إلى السرير يريدون الخلاص لا يدركهم الصباح وحرصا على أمير المؤمنين والأمير هياج الكردى وطلبوا السرير فوقعوا فى الحفرة كلهم فوثبوا الرجال عليهم من كل جهة وقد اشهرت القواضب وأتت إليهم الروم من كل جانب وأوقدوا النيران والمشاعل وطلبوهم فى ذلك الخلق العظيم وقد فرحوا بهذا الأمر العميم وطلب كل واحد منهم ان يطلع من الحفرة فلم يقدر على ذلك لأن المكان عميق والرجال وقوف فوق على رؤسهم بالسيوف والدرق وقطعت الخيمة وأحدقت بهم الرجال من كل جانب ومكان ورموهم بالحجارة عباد الصلبان وكان سيف الحنيفية يأخذ الحجر ويرمى به إلى خارج الحفيرة وأى من وقع فيه قتله وعجل عليه وفعل قراقد كفعله فما ضرب أحد إلا جندله وكذلك الأمير عبد الوهاب كان كلما يلتقى الحجر الذى يلقى عليه من الهوى ويرمى به الرجل فأى من وقع فيه عجل حمامه وفعلت الأميرة كذلك وقشم وبردابن الأزهر والأمير أبو الهزاهز ولم يزالوا كذلك إلى أن كشفوا الناس عن الحفرة فصاح شومدرس فى العلوج والبطارقة والعرب المتنصرة يا ويلكم ان طلع منهم واحد كشفكم إلى أن يصعد الباقين والرأى عندى انكم لا تنهزموا منهم فقال واحد من العرب المتنصرة تقدم أنت يا أبونا إلى الحفرة عسى انك تعدم الحياة وتموت موت الفجأة (قال الراوى) وارتفع الصياح عسى يسمعوه عسكر بنى كلاب وما عندهم خبر من هذا الصياح لأن المكان بعيد عليهم وزادت الاوهاج وهذا ان الملعون شومدرس لما نظر إلى حالهم ورأى إلى قتالهم بالحجارة قال لهم على بقوارير النفط فأحضرت وضرب بها الأمير وأصحابه فاحترقت الاتراس وانقطعت منهم فقال عبد الوهاب ان القتال عند الغلبة من شوم التدبير وما لنا إلا نسلم نفوسنا إليهم فقالوا صدقت أيها الامير فصاحوا كلهم الامان الامان يا شيطان الزمان فقال شومدرس الآن قد طلبوا الامان وما قصدى قتلهم وانما قصدى أعذبهم وأتسلم منهم البلاد والقلاع فقالوا الروم نعم ما رأيت ثم انهم قربوا منهم وقالوا لهم أرموا ما فى أيديكم من السلاح والعدد وكتفوا أنفسكم فأول من صعد كان قراقد ورفعوا الامير عبد الوهاب وذات الهمة والامراء جميعا فلما رفعوا مالك ابن بشر الاقطع عرفه شومدرس فباس الارض وقال شكرا للمسيح الذى مكننى منك لانك فعلت معى فى الحصون ما لا يفعله أحد فقال له الامير مالك يا مسكين لا تغتر بالامهال لان الله تعالى حليم لا يعجل فقال شومدرس دعنى من هذا الكلام ثم أمر الرجال

فأوثقوهم بالحبال ووضعوا فى أعناقهم الأغلال وفى أرجلهم القيود الثقال وسحبوهم وهم فى غاية الإذلال فقال لهم شومدرس احملوهم إلى سرادق الملك (قال الراوى) ومضى الراهب والبطارقة من حوله والعرب المتنصرة أكثر من عشرة آلاف وقد فرحوا بهؤلاء العشرة التى لم ينفلت منهم واحد ولم يتم عليهم نوبة مثل هذه النوبة فقال شومدرس هذا كله من بعض تدبيرى فشكروه على ما قال وساروا إلى ان أشرفوا على سرادق الملك والبطارقة من حوله قيام على الاقدام وفى أيديهم السيوف المجذبة والدرق المكوكبة وهم فى انتظار الشيخ شومدرس فلما نظروا إليه والأمراء بين يديه فرحوا وتصايحوا وقالوا ما فعل الشيخ النجيح مثل هذه الفعلة ولا دبر فى زمانه مثل هذه الحيلة ولا قدروا على هذه العشرة الذين هم عماد دين الإسلام وأسود الفلا وهم رأس المملكة العربية فقال شومدرس اسبقونى وبشروا الملك فقالوا أيها الشيخ الصالح انه مع الشيخ النجيح من داخل السرادق ومعهم الملك ميخائيل والاندرياس وفيتفورس وسائر الملوك السبعة عشر ملك وما يقدر أحدا منا يدخل إلى السرادق فبذلك أمرنا فيتفورس الملك وأنت فما لك عنهم سر مكتوم وهو مترقب حضورك وحق المسيح لا تعلو منزلتك عنده بأخذ هذه العشرة أكثر من منزلة الشيخ النجيح وحجة المسيح فرفعوا الراهب إلى السرادق ودخل فما وجد الملك منويل والملوك عدموا وكراسيهم خالية وما وجد أحدا منهم وطاف على هياج فلم يجده فى مكانه والسرادق ما فيه أحد فخرج وهو مرعوب وقال لهم يا ويلكم ما الملك فى السرادق ولا أحد من الملوك ثم قال لهم اقصدوا الشيخ النجيح فى مضربه فقصدوه وما وجدوه فعظم عليه وكبر لديه فقال لهم أمضوا وأبصروا لا يكون عند الرشيد يخاطبه فى تسليم البلاد فمضوا إلى الخيمة التى فيها الرشيد فوجدوا الرجال نيام فهجموا وعبروا فلم يجدوا له خبر ولا وقعوا له على أثر فوقع فى الناس الصياح وفقدت كل طائفة ملكها فهم فى الكلام وإذا ببطريق قد أقبل وهو كأنه عادم عقله فلما توسط الروم وأمن على نفسه وقع مغشيا عليه فرشرا على وجهه الماء فلما أفاق قالوا له أيها البطريق خيلفوص ما وراك ومن الذى بشره رماك قال لهم أمرى عجيب يعجز عنه البشر وسوف يسطر فى كل دفتر ويكون اطرب حديث وخبر فقالوا يا ويلك دعنا من الصفة وأخبرنا بالحديث ان كان عندك خبر من الملك منويل وأخوته وأعمامه والسبعة عشر ملك والمائة بطريق فقال وما عسى ان أقول اطلبوا لكم ملوك غيرهم فقد أخذوا وطلبوا سبيلا للخلاص فما وجدوا ومعهم الشيخ النجيح وقد جرى له كل قبيح وقد تمنى أنه يموت

ويستريح وقد بقى يلطمه على وجهه الصبيح حتى خرس لسانه الفصيح فقالوا له البطارق لعنك المسيح ان لم تحدثنا بالصحيح (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وغيبة الملوك ان الأمير أبو محمد البطال لما أوقف قراقد فى ذلك الوادى ينتظر قدوم ميخائيل والأمراء الذين معه وتركهم أبو محمد ورجع إلى باقى السودان وقال لهم الحقوا سيدكم قراقد ثم تركهم ودخل إلى عسكر بنى كلاب ودخل إلى الموضع الذى فيه ميمون الجماس فأطلقه وأخذه وسار إلى أن دخل إلى آمد ففرح الناس بسلامتهم وأقبل الأمير أبو محمد على طاطم الاسود وقال له ويلك كيف غفلت على الراهب شومدرس والملعون عقبة حتى تمت هذه النكبة فيا لها من نوبة ما أعظمها خلص شومدرس وعقبة وشوما والبترك وبخلاص عقبة أخذ الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وسيف الحنيفية وهياج الكردى والرشيد وكل هذا من غفلتك ثم ان البطال بطحه وضربه بعصاة حتى أغمى عليه فلما أصبح الصباح قال لقومه على بالسودان الذين كانوا موكلين بهم فطلبوهم فما وجدوهم وكانوا عشرة سودان وخمسة أكراد فأما السودان فما وجدوهم وأما الاكراد فسحبوهم إليه فلما نظر إليهم أبو محمد ضحك وقال أما السودان فقد قتلوا بسيوف الكفار وأما أنتم فسوف تقتلون بسيوف الابرار ويلكم بئس ما عملتم فى هذه النوبة فانكم سلمتم خليفة الله فى هذا الزمان إلى عبدة الاوثان والصلبان فقالوا ما عندنا خبر وجعلوا يحلفون ويقولون ما لنا بهذا علم ولا دراية فقال الامير أبو محمد البطال أحسنتم فى هذا البهتان والمحال وهذا يعمل على وأنا أبو محمد البطال والمكر والمحال عندى يتعلمون منى الاحتيال والآن فأنا أقسم بمن كون الاكوان وأرسل محمد سيد ولد عدنان ان أنكرتم لأرمينكم من هذا الصور إلى خارج البلد ولا أقبل فيكم سؤال أحد وأنا أبو محمد لص الزمان ولا ينطلى على هذه الايمان فحدثونى حتى أدبركم فى شىء تبيضوا به وجوهكم عند وعند الناس فلما سمعوا كلامه وما نطق به من نظامه طلبوا منه الامان فأعطاهم ذمامة فأعادوا عليه جميع الحديث من أوله إلى آخره وأخبروه انه من تدبير عقبة وانه لعب بعقولنا بما بذل لنا من الاموال قدر ثلاثين ألف دينار وها هى عندنا لنا وللسودان بل ان السودان ذهبوا وما عادوا فلما سمع ذلك من كلامهم دق بيد على يد وقال كلمة لا يخذل قائلها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وقال لهم اعلموا انكم قد أوجبتم على أنفسكم القتل ووجبت عليكم اللعنة وههنا رأى وهو سبب نجاتكم وتبيضوا وجوهكم عند الله وعند الناس فقالوا وما هذا فقد ندمنا على ما كان منا ولو أضرمت نارا

وأمرتنا لو لجناها فقال لهم أريد منكم الليلة عند اقبال الظلام وهجوع الانام انكم تفتحوا باب السر القديم وتخرجون الى عند عسكر الروم واذا وقع عليكم الحرس وبدر اليكم النفير فقولوا لهم نحن نريد الملك فاذا وقفتم بين يديه وقال لكم ما الذى تريدون فقولوا له نحن الذى أطلقنا شو مدرس وعقبة وشوما والبترك وأنعمت علينا بذلك المال ونحن نخاف أن يظهر علينا فنهلك ولقد رأينا أن نسلم إليك البلد على شرط أن نأمن على أنفسنا وأهلنا وتستخدمنا على إنك تعطينا مثل المال الذى أعطيتنا ونحن نسلم إليك البلد والقصر بما فيه لأن ما فيه من يصد عنه ولا يرد لأن أبو محمد كان قد مضى لأخذ الرشيد وعبد الوهاب والجماعة الذين كانوا معهم فلم يصدفهم بل لقيهم عسكرك وأخذوهم وأرسل الليلة أول الليل إلى الأمير طاطم أن يخرج بالسودان حتى يكبس على الأمير عبد الوهاب من أجل الأمير ميمون الجماس لأنه عندهم فى الأسر والهوان وأيضا فى قلب الأمير أبو محمد من حب الملكة نورى مالا يقع عليه حساب وهو يتمنى قتل الأمير عبد الوهاب حتى لا ينازعه عليها منازع وقد خرج الأمير طاطم فى أربعة عشر ألف أسود من كل بطل أمجد كاملين العدد فى الزرد وفى أيديهم العمد واعلم أيها الملك أن القصر لم يبق فيه إلا ثلاثة آلاف أسود لأن أبو محمد أرسل إلى طاطم يقول لا تخلف فى القصر إلا السودان ولا تخلف أحدا من الأكراد فانا لا نأمن إليهم لأنهم معروفون بالفساد فلما رأينا ذلك خرجنا وأتينا إليك وقصينا هذه القصة عليك وقد فتحنا باب السر القديم لأنه معروف بالتسليم فان أردت فعجل لنا بالمال وتسلم أنت الليلة الاطلال وأعطينا الأمان على الاولاد والأهل والعيال (قال الراوى) فلما سمعوا الأكراد كلام أبو محمد قالوا سمعا وطاعة فنحن نفعل هذا إن شاء الله تعالى وأقاموا إلى أن أمسى المساء وفتح باب السر القديم ودخلوا إلى عسكر الروم فتصايحت عليهم الحراس ثم أطبقت عليهم البطارقة وأخذوهم قالوا معنا ملك نصيحة فاحضروهم إليه وأوقفوهم بين يديه وكان مجيئهم فى الساعة التى خرج فيها شو مدرس يدبر على الأمراء كما ذكرنا وكان القاضى عقبة عند الملك منويل فى تلك الساعة يدبر على هلاك المسلمين (قال الراوى) فلما رآهم عقبة عرفهم وقال للملك هؤلاء الذين كانوا السبب فى خلاصى وخلاص الراهب شو مدرس والبترك فلما سمع الملك ذلك أكرمهم غاية الإكرام وقال لهم ما الذى أخرجكم وما الذى فيه قد جئتم فأعاد عليه الترجمان الكلام كما ذكرنا وأخبره بجميع ما وصفنا كما علمهم الامير أبو محمد (يا سادة ياكرام) وكان عقبة قد ستر وجهه عنهم فلما سمع ذلك

كاد قلبه أن يطير من الفرح وقال للملك ابشر بالسعادة وقد أتتك من كل جانب ومكان لأن الراهب شومدرس قدمضى ليدبر حيلة على عبد الوهاب وسائر بنى كلاب ويوقعهم فى شباك العذاب فان تم ذلك فيكون قد ملكت آمد التى هى حسرة بنى العباس وإذا ملكتها فقد ملكت البلاد التى حولها وتضرب خيلك إلى بلاد العجم وبلد الموصل وتصير القسطنطونية الصغرى فلما سمع الملك ذلك كاد أن يطير فرحا وقال على بالمال فأحضروه وأحضروا الخلع وأعطى كل واحد من الأكراد ثلاثة دينار وخلع عليهم وقال وحق يوحنا ومريم والصليب ما يأتيكم منى مكروه ولأجعلنكم الولاة من قبلى فى بلاد الروم ولكم على من المال كل عام مثل ما أعطيتكم ثم أقبل على الملوك وكانوا كلهم عنده فى المشورة الأولى فقال لهم قد عولت على أننى أصعد إلى قصر آمد ومعى مائة بطريق فقالوا له الملوك يا مولانا ونحن معك ولا تبخل بأنفسنا عليك فقال لهم انتخبوا من رجالكم من تعرفوه كل واحد منهم يعد بألف بطل ويكونوا مائة بطريق فقالوا سمعا وطاعة وجعلهم أمناء على أنفسهم فصار كل واحد منهم يقول أنا عندى عشرة والذى يقول أنا عندى خمسة وهم فلان وفلان حتى كملوا المائة بطريق وهم أبطال الروم ومعهم الملوك فلما نظر إليهم الملك منويل قال وحق المسيح لو أردت أن أفتح بغداد بهؤلاء لفعلت فقال عقبة أيها الملك أنا معك على سبيل الاختفاء فإن كانوا فتحوا باب السر فهم صادقين فى قولهم وإلا جازيتهم على فعلهم وما حملهم أن يدبروا هذه الحيل إلا خوفا من البطال لأنهم يعلمون أنه إذا دخل إلى آمد لا يخفى عليه أمرنا فمن خوفهم على أنفسهم جاؤا إلينا بهذا الأمر وهذا من حسن عناية السيد المسيح بك فقال له الملك أيها الشيخ الشجيع قد حلفت لهم أنهم ما يرون منى مكروه فقال عقبة أيها الملك متى رأيت مسلم أقتله ودمه فى عنقى وذلك مما يقربك إلى المسيح ثم نهض الملك وعقبة معه لعنه الله والبترك والملوك والبطارقة وقد قال عقبة اكتموا هذا الأمر فما يخلو أن يكون فى العسكر جاسوس من المسلمين ثم ثم انهم ساروا إلى أن قاربوا باب آمد ثم وصلوا إلى باب السر القديم فوجدوه مفتوح ففرح عقبة وقال أيها الملك قد ملكت آمد وحق المسيح فدخل عقبة اول القوم من حرصه ودخلوا الملوك والاكراد والبطارقة والأكراد يقولوا لهم اقصدوا دار الامارة فانكم تجدوا مائة اسود نيام فاضربوهم بالسيوف فما يستيقظون من مراقدهم الا وقد شربوا كاس المنون فقال الملك أليس باب القصر مغلوقا فقالوا نعم مغلوق والمفاتيح فى دار

الأمارة فاذا قتلتم السودان وملكتم القصر وأصبح الصباح فتحتم باب السر وتدخلوا أنتم بجميع عسكركم ففرح عقبه والملك وقالوا انها نعمه لا تقوم بشكرها ولم يكن لهم همة الا بابا السر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من البطال فانه أرسل الغلمان ينظرون مايكون من الاكراد مع ملك الروم ويبصرون ان كان لهم قدرة على سرقة الرشيد والأمير هياج فرجعوا الغلمان ومعهم هياج قد سرقوه من سرادق الملك وأخذوا الرشيد من مكانه وهو بالقيود الثقال وأبو محمد على برج باب السر وقد دخل الملك منويل وعقبة والملوك والبطارقة ولما دخلوا الملوك والبطارقة فباس البطال الأرض شكراً لله تعالى وقد رتب لاخذهم اربعة عشر ألف اسود فلما وصلوا إلى باب دار الإمارة صاح عليهم أبو محمد خذوهم فخرجت عليهم السودان من كل جانب ومكان وتركوا البطارقة رؤس بلا أبدان وسقوهم شراب الحمام ممزوج بالهوان وصاح الأمير ميمون الجاس إرموا ما فى أيديكم من العدد والسلاح واستسلموا والا وحق الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أخليكم رؤس بلا أبدان وخبر بلا عيان فلما سمعوا ذلك رموا العدد من أيديهم وأخذوهم قبضا باليد وقبضوا على الملك منويل وعلى الكلب الغدار عقبه فقال بعض الملوك وكان اسمه بولص هذه ببركتك ياقاضى عقبه ومشورتك فقال عقبه أيها الملك انا ما أردت للنصرانية الا الخير فقال له ما أرى طلعتك الا ميشومة فى الروم وفى المسلمين فقال عقبه أيها الملك خاف من السيد المسيح ولا تظن فى الظن القبيح فقد قال الشاعر فى بعض الامثال

على المرء أن يسعى لما فيه نعمة ۝ وليس عليه أن يساعده الدهر

(قال الراوى) ثم انهم تركوهم فى القيود والاغلال (ياساده ياكرام) وفى تلك الساعة اقبلوا غلمان البطال ومعهم الرشيد فاخفاه أبو محمد البطال وقال له بعد أن قبل الارض يامولانا جهدى ان خلصتك مما كنت فيه وقد أخذت ملك الروم وعقبه الذى دلهم على بلدى تريد أوريك يا أمير المؤمنين كفره بعينك فقال له نعم يا أبو محمد وحق اتصالى بمحمد إذا رأيت ذلك أمرتك بصلبه فى هذه الليلة على برج آمد وأبق ألعنه على المنابر فاخذه أبو محمد وسار به الى عند الباب ودخل هو لعقبه وترك الرشيد واقف يسمع فقال له ياملعون آتيت تأخذ بلدى فقال ما أتيت أخذها الا حتى لا يأخذها الرشيد ثم أن الأمير أبو محمد بطح الملوك وضرب كل واحد مائة سوط ثم قال له ياعقبه أما ترى الى هذه النوبه فقال له يابطال لابد ما تقع

تحت يدي وأ كافئك فقال الرشيد في نفسه وقد قامت عليه القيامة وتربة المهدى كلما يقولوه على هذا الكلب صحيح ثم ان عقبه قال ياويلك ياأبو محمد ماتقدر توذى منا أحد مادام الرشيد وهياج الكردى مأسورين عند الروم وسوف يفادوا بهم فقال له أبو محمد ياعقبة وحق المسيح أكلت الليلة لحم الخنزير (قال الراوى) فاحس قلب الملعون بالبلية وقال فى نفسه ما سألنى هذا القرنان الا والرشيد واقف يسمع وما هو كثير ان كان سرقه وأتى به حتى ينهتك سترى عنده فقال يا أبا محمد دع عنك هذا الكلام الذى ما تبلغ به مراد ولاغرض ان الله عز وجل مطالبك بهذا وبما تقول وتحوجنى أن أتكلم فى حق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا كنت مقيد عند الروم مكتوف فان كان قصدك هلاكى فانى أحفظ ثلاثين ألف خبر عن سيد البشر وأقرأ القرآن على سبع روايات وأنا عقبة وقاضى قضاة المسلمين وأنت تريد تفضحنى بهذا الاسم حتى يبلغ ذلك عنى إلى الرشيد ومولانا الرشيد وفقه الله تعالى إلى الصواب قلبه نير ولا يسمع كلامك فقال له البطال لعنة الله يا شيخ السوء والله لقد خشيت العاقبة ولا بد ما ينهتك سترك ويظهر للناس مكتوم أمرك (قال) فلما سمع الرشيد ذلك قال أستغفر الله مما خطر ببالى الى القاضى عقبه الضعيف المسكين الحزين الحمد لله الذى لم يفرط منى أمر يكرهه فكنت أكون مطالب بذنبه من الله تعالى ثم دخل عليهم الرشيد وقال ياأبو محمد عفا الله عما سلف وأنت اليوم عندى أعز من كل أحد ولا يعاديك من له عقل وبصيرة وانى أسلم اليك نورى واعطيك كل سنة ما شئت من المال فقال أبو محمد دعنى من هذا الحديث أنت تطالبنى بالمال الذى أخذته وأنا قد تصرفت فيه فقال الرشيد ياأبو محمد اعلم أنك قد تصرفت فى ثلثمائة ألف دينار منها وأنا محتاج الى مابقى فقال أبو محمد احسب قد اشتريت نفسك من الروم بالباقى فقال عقبة ياأبو محمد مولانا الخليفة إنما يقول لك على سبيل المزاح ولو طلبت منه ماشئت كان قليل فى مقابلة فعلك الساعة وفى ذلك الوقت انك تبيع الملك منويل وسائر الملوك بمال عظيم لو أعطيت خمسة الى مولانا الخليفة لكان مثل الخزانة التى اخذتها وأوفى (قال الراوى) وكان قصد الملعون ان يشرع فى بيع الملوك بهذا المقال ويرغب ابو محمد فى المال فقال ابو محمد ما هذا شىء يلزمك يا ملعون ثم امر باعتقاله وقال للرشيد ياامير المؤمنين قد علمت ما جرى على فى محبة نورى ومالى عنها اصطبار وفى فؤادى منها شعل النار وانا اسأل انعامك وتفضلك وتكرمك ان لا تتعرض لى فانى سمعت منك كلام يدرك ان تريدها

(قال الراوى) فقال الرشيد قدكان ذلك يا أبو محمد وحق قرابتى من رسول الله ﷺ ان خلصنا من هذه النوبة لأعارضنك فيها أبدا لأجل فعلك معى الليلة وأنا أقيم فى آمد إلى ان تنفصل النوبة بينك وبين الروم وتخلص الأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأصلح بينكما وأسلم الملكة نورى إليك فلا كانت ساعتها فلقدكانت ساعة ميشومة فرقت بينكما وألقت بينكما العداوة والبغضاء وكنتما متحابين ولا بد ما أراد الامير عبد الوهاب عنها وأخليه يسلمها إليك وأمضى إلى بغداد وأقطع ديوان أكثر العساكر ولا أبقى من يأكل لى ديوان إلا ان يكون عسكر الترك والعجم ولو كانوا معى فى مثل هذه النوبة ما كانوا يسلمونى إلى الاعداء ولو شربوا كاس الردا (قال الراوى) ولما أصبح الصباح كانت الروم قد فقدت ملوكها وبنى كلاب فقدت أمراها وأصبحوا الكل غنم بلا راعى وكان شومدرس لما ملك من العرب العشرة وفقد ملوك الروم عظم عليه وكبر لديه وقال لو كنت عند الملك ما تم عليه هذا ولا بد لى أن أشتفى من هذه الاسارى قبل خلاصهم لانى ما أقدر على قتلهم ما دام الملك فى أسر البطال ولا بد من الفداء بيننا وأكون قد شفيت غليلى وبلغت منهم مرادى وسؤلى ثم بطح الامير وضربه حتى غشى عليه وضرب الاميرة حتى ظن انه قد غشى عليها وكان الذى قد تولى ضربها شوما وتولى دهرشوم سيف الحنيفية وقشعم ثم ان شومدرس ضرب مالك بن بشر الاقطع وباقى العشرة وما فيهم إلا من قال يا شومدرس لا تفعل فعلينا المال والرجال وسوف يقع الفداء وأما الامير مالك ابن بشر فانه لما ضربه شومدرس أنشد وجعل يقول هذه الابيات

يا شامتا لما رأى   هجر الحبيب وصده
لا تشمتن فإنه   مولى يعذب عبده

(قال الراوى) ثم انه جعل يقول إلهى ما أطيب الضرب فى طاعتك لك الحمد حتى ترضى ونحن صابرين على الحكم والقضى قال وكان شومدرس كلما سمع كلامه يزداد عليه غضبا وحنقا ولم يزل يضربه حتى غشى عليه وشخص بصره فقال الامير عبد الوهاب ويلك يا ملعون فقد قضى عليه ولا بد ما يقتل واحد من الملوك بسببه فقال شومدرس لا رد المسيح من الملوك أحد فلو كانوا شاورونى ما تم عليهم هذا الامر ثم انه طرحهم فى سرادق الملك ووكل بهم أربعة آلاف بطريق وأنفذ البترك إلى آمد يبصر الملوك ومن سلم ومن عطب حتى يقع الصلح فسار البترك ووقف على باب آمد وقال أنا رسول إلى الامير أبو محمد ولكن بشرط انى ما أدخل

إليه حتى يقسم بالله انه لا يتعرض لى ولا يقبض على حتى انى أعود إلى الموضع الذى أتيت منه وأنا سالم (قال الراوى) فعند ذلك أخبروا أبو محمد بذلك فضحك وأقسم له بالله تعالى فدخل البترك وحمل إلى دار السلام فأكرمه أبو محمد غاية الإكرام وقال له فيما أتيت فقال ما تدرى فى أى شىء أتيت وأنت قد أرميت شبكتك على سائر الملوك الذين للنصرانيه وقد أخذت الملك منويل وأخيه ميخائيل فقال أبو محمد انما جمعتهم حتى انهم يتفرجون فى بلدى وينظرون إلى ولايتى فضحك البترك من ذلك وقال دعنى من هذا أنا رسول الشيخ الصالح شومدرس إليك وهو يسلم عليك ويقول لك اعلم انه قد تمت لك الحيلة على من فى يدك من الملوك والمسيح قد أوقع فى يده جميع الأمراء بتوع الثغور وهم عبد الوهاب وسيف الحنيفية والأميرة ذات الهمة وبرد بن الأزهر وراشد بن ضمرة ومالك بن طوق ومالك بن بشر وأبو الهزاهز وقراقد وقشعم وعندك أنت الملوك والبطارقة وعندى الأمراء والسودان الذين أخذوا لك عند جب الثعالب فإن شئت المفاداة فافعل وإن لم تريد المفاداة فعلينا مهما أردت من المال وإن أبيت ذلك وأردت قتلهم فأنا أضرب رقاب من عندى من الأسارى وأنا شومدرس وأنت محمد البطال ولا تحسبنى مثل غيرى والسلام (قال الراوى) وان أبو محمد لما سمع ذلك قال للبترك وكان الأمر صار لشومدرس فى عسكر الروم فقال نعم يا أبو محمد ما بقى لأحد فى عسكر الروم أمر غيره وقد صار الدمشقى من تحت يده وجميع الناس (قال الراوى) ولما قال هذا الكلام قال وإن شئت تقتل من عندك وأنا أقتل من عندى قالوا له الروم يا أبونا ايش هذا الكلام الميشوم وعندهم سائر ملوك النصرانية فصاح عليهم وقال لهم إذا قتلوا الملك فيمن ينصر الملة المسيحية (قال الراوى) وان أبو محمد لما سمع كلام البترك انقلبت عيناه فى أم رأسه وقال له ارجع وقل له لا يحدث نفسه بالمفاداة فهذا شىء لا يراه ولا يبلغ منه مناه ولا أفادى الذين عنده بمن عندى لان الذى عنده أعداى وأنا كنت معول على قتل عبد الوهاب إذا لم يقتله هو قتلته أنا وكذلك ذات الهمة وسيف الحنيفية حتى إنى آخذ المملكة نورى ولا يكون لى فيها منازع وإنما ما كان إمساكى عن قتلهم إلا خوفا من الله فإذا سهل الله قتلهم على يد غيرى كان ذلك أعظم قصدى والسعيد من كفى بغيره وأما قوله أنا شومدرس فوحق من أظهر النجوم ورفع سرادق الغيوم وهو الحى القيوم لأطلبنه ولو غاص فى التخوم حتى يعلم من منا هو الميشوم هذا والرشيد جالس فى الدست يسمع كلام أبو محمد عند ذلك قال يا أبو محمد لا تفعل فإن الراهب شومدرس فى

قلبه من الأمير عبدالوهاب أمر عظيم ولا سيما ملك بن بشر والأميرة ذات الهمة وهو لايبالى إذا قتلهم ويشتفى منهم ولوقتلت جميع النصرانية ما بالى بذلك لأن فى قلبه من هؤلاء نار لا تطفى ولهيب لا يخفى ولا يحل لك من الله أن تشمت الكفار بالمسلمين الأبرار فقال الأمير أبو محمد اعلم يا هذا أن الأمير عبد الوهاب قد قتلى بلا سيف ولاسكين واعتمد لى حق طريقة الميل المبين فإن قتلوه الروم استرحت من حياته لأنى معول على قتله لأفوز بنورى دونه فقال الرشيد يا أبا محمد فرغ قلبك من هذا اللوم وصالح القوم على حمد خلاص العشرة الأمراء وأنا وحق آبائى وأجدادى أخلص لك نورى فقال أبو محمد ما تقول فيمن يخاص لك الأمراء وتتم الملوك عندى فى الوثاق والأسر وآخذ الذى قد أرسل يهددنى وهو شو مدرس فقال الرشيد ما أجدلك مكافأة إن فعلت ذلك (قال الراوى) فعندها أقبل أبو محمد على البترك وقال له قد قبلت سؤال الخليفة إن أردتم فأنا أفادى البطارقة بالسودان والعشرة أمراء بعشر ملوك والباقى آخذ عليهم بكل ملك عشرة آلاف دينار وعلى الملك منويل قدر الجميع وفيفورس والاندرياس مثل ما على منويل وميخائيل وإن امتنع من ذلك دعه يفعل ما يشاء لأن عندى سائر ملوك النصرانية وعندى بعض الامراء وأنا نيتى فى قتلهم وليس لى نية فى بقاهم وكم لمولانا الخليفة مثل عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب وإلا لو كان الرشيد عنده كنت أطلقت الأسارى جميعهم (قال الراوى) فعندها خرج البترك من آمد وهو لايصدق بالنجاة حتى وصل إلى شو مدرس فقام له قائما وكانت العساكر جميعها بعد فقد ملوكها واقفة بين يدى شو مدرس ودهرشوم وهو يقول لابد لى من ضرب رقاب هؤلاء العشرة إن لم يكن فى هذه النوبة صلح وإذا بالبترك دخل عليه وأخبره بالقصة فلما أن سمع شومدرس ذلك قال له إن المسيح أمرنا بالمفاداة ولو قتلوا ملوكنا لوجدنا غيرهم ونحن إذا قتلنا العشرة ما يجدوا المسلمين غيرهم ولا مثلهم أبدا وهيهات أن ينجح الزمان بمثلهم وأنا فما أعطيه درهم واحد فان أراد أن يفادى الملوك أجمع بالعشرة فعلت والأمر بعد ذلك أقرب فامهلونى عشرة أيام وأنا آخذه لأن أبو محمد كلما هو فيه تخلد حتى يأخذ المال وهذا شىء لا يراه أبدا لأنكم أنتم أفسدتم المسلمين وطمعتموهم فيكم على طول السنين وأنا فلابد لى من قتلهم ثم ان شومدرس أنفذ إلى أبو محمد يقول له ما أعطيك فى فداء الأسارى درهم فرد ومهما قدرت عليه فافعله فعظم ذلك على أبو محمد وأمر بنصب الاخشاب على الأسوار فنصبت وقال ائتونى بالملوك لأصلبنهم ودعه يصنع ما يصنع ثم انه رفع الملوك على الأبراج فعندها

تصايحت الروم على شو مدرس وقالوا ما نطاوعك على فقد ماوكنا فصاح عليهم وقال لهم إن خالفتم المسيح ومرقتم من الدين الصحيح صرتم مثل المسلمين ثم أمر أن تنصب الأخشاب فنصبت وقد تقدمت الأمراء فكان أول من تقدم الامير عبد الوهاب وذات الهمة وسيف الحشيفية ونادى شو مدرس إن قتلهم قتلت وإن صلبتهم صلبت وإن تركتهم تركت فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال على بالبطارقة لأرمى رؤسهم إلى الارض فلما نظر اللعين إلى ذلك قال على بالسودان وكان الملك قد أخذهم معه لاجل خلاص شو مدرس لما كان مأسور عند البطال كما ذكرنا فقتل أبو محمد عشرة من البطارقة فقتل شو مدرس عشرة من السودان وقال لباقى السودان إن لم تصيحوا على أبو محمد يكف عن البطارقة إلا قتلتكم عن بكرة أبيكم فعندها صاحت السودان بالامير عبد الوهاب فصاح والامير عبد الوهاب يا أبو محمد يا أبو محمد ارحمنا ولا تتعرض إلى البطارقة واذكر خدمتنا الك فلما سمع أبو محمد ذلك رد البطارقة إلى موضعهم وأما شومدرس فانه صاح يا أبو محمد دع عنك التجلد والتطويل فان أردت أن تفادى الأمراء بالملوك وإلا وحق المسيح أقتلهم فقال أبو محمد يا ويلك كيف أفادى بالملوك على كثرتهم بأعدائى على قلتهم ولكن يا ملعون سوف ترى ما يكون ثم انه ردالملوك إلى موضعهم وفعل شو مدرس كذلك وأقاموا على ذلك أيام الرشيد يقول ياأبو محمد انك لا تقضى الايام فى الفارغ والرأى عندىأن تفادى امراء بهؤلاء الملوك فانشعرة مسلم أحب الى من هؤلاء كلهم ويقع الصلح ويعود كلب الرم الى بلاده والا خربت عساكر الرستاق ولقد صدق شومدرس انه لونصب باى ما كان وقال لهم البترك أطيعوا هذا أطاعوه وما خالفوه فقال البطال دعوهم يقتلوهم ويدسوهم فى قرونهم فقال الرشيد يا هذا أنا أعلم أن هذا الغضب من أجل نورى وأنا أقسم بالله إن خلصت الأمير والأمراء فنورى لك لا يعارضك فيها معارض فقال أبو محمد سوف ترى العجب ثم انه دعى بميمون الجامر وأسر له فى أذنه كلام فضحك ميمون من ذلك وقال ما يحتاج معك إلى رفيق فقال أبو محمد لا والله وها أنا سائر ولا أعود إن شاء الله تعالى إلا إن كان بشو مدرس (قال الراوى) وإنه لما كان سار ميمون قال له احفظ البلد ولا تمكن الرشيد منهم فما ندرى ما يكون وعليك بحفظ عقبة وانتظرنى إلى ثلاثة أيام فان سلمت جئت وإن غبت عنى فاستخبر عنى فان كنت سالما مع فقادى وإن كنت عاطب فما احتاج أوصيك فى قتل من عندك فقال سمعا وطاعة ثم خرج ابو محمد يطلب عسكر الروم (قال الراوى)

وكان الامير مدركه عم الأمير عبدالوهاب فى بنى كلاب وقد قلق على الأمراء فقال له ضيغم مافى القعود وجه وما فى الامر إلا اننا نرمى أنفسنا عليهم حتى نخلص الامراء من بين أيديهم فهم معولين على ذلك واذ قد وصل اليهم الجاسوس يخبرهم أن ملك الروم قد أخذه أبو محمد عندها رجعوا عن الذى عزموا عليه حتى ينظروا ما يكون (قال الراوى) فهذا جرى لهؤلاء. وأما شو مدرس فان الروم قالوا له ياأبونا إنا نخاف من أبو محمد أن يقتل بعض الملوك لأن بينه وبين عبد الوهاب عداوة ولو قتلنا كل من عندنا ما صعب عليه ونحن ما نصبر على ملوكنا فاطلب المفاداة منهم وإن طلب شيء من المال فنحن نعطيه فقال شو مدرس أنا ما أفادى فقالوا إذا لم نفعل ذلك وإلا دعنا نخرج إلى قتال عسكر الامير عبدالوهاب وأما عساكر آمد وصاحبها فمالنا إليهم سبيل لأن موضعهم حصين ولو أننا أقمنا عوض الايام سنين لا نقدر عليه فقال شو مدرس تصبروا فأنا أعلم أن لو كان عندهم كل من فى بلاد الروم أسير وعندنا نحن هؤلاء العشرة اطلبوا بهم الفدا ولكن أبو محمد رجل طماع لأجل ما علم من قلة عقولهم وأنا قد عولت على أمر وأريد أن تمهلونى ثلاثة أيام فلا بد لى من الدخول إلى آمد فى زى بعض المسلمين ولا ينكر على أحد وأدبر على هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وإن قدرت على الشيخ النجيح فهو يساعدنا على خلاص الملوك ولا أعود إليكم إلا بما يسركم ثم انه قال البترك أنت المتولى على العسكر الرومية إلى حين وصولى إليك ومن خالفك منهم فأخلعه من دين النصرانية وإن أبطئت عليكم أكثر من ثلاثة أيام اطلبوا المصالحة من المسلمين واعطوهم مهما طلبوا من المال وإن أعطانى المسيح ماأؤمله فهو المراد فقال البترك السمع والطاعة ثم إن الراهب اجتمع بولده دهرشوم وزوجته شوما وقال لهم اعلموا أن فى قلبى من هذا الشيطان أبو محمد البطال النار التى لا تطفى وأيضا من هذه العشرة الذين عندى وكنت معول على قتلهم فخاننى أملى بأسر الملوك وماجرى عليهم وما امتنعت من المفاداة شفقة منى على المال وإنما طمعا منى على ما يأتى من المرضيات وسوف أمضى إلى آمد لعلى ابلغ المراد فقال له دهرشوم وكيف تقدر على ذلك وانت معروف موسوم بفرد عين ايضا ابيض اللون فقال سوف ترى العجب ثم أمر أن ينصب له مرجل على النار وملاه ماء وطرح فيه عقاقير فصار الماء أسود من الليل ثم خلع ثيابه وأمرهم ان يقلبوا عليه نصف ذلك الماء ففعلوا فصار بصاص ثم لطخ كتفيه وساقيه وبطون رجليه إلى فوق ركبتيه وكحل عينيه بالسندروس حتى اصفر بياضها وقال لدهرشوم أمضى إلى السودان وأتينى بثياب واحد منهم فمضى وعاد وأتى بالثياب فلبس ثم نظره ولده

وزوجته وإذ انه قد خرج فى قالب أسود بصاص فقالوا له وحق المسيح لو كنا ما رأيناك من قبل ما عرفناك ثم قال لهم اكتموا حالى واخفوا أمرى ثم سار لوقته وساعته ودخل عسكر بنى كلاب فلما أبصروه وصلوه إلى الأمير ضيغم فلما رآه سأله عن حاله فقال له أنا كنت مأسور عند الروم من السودان الذين أخذهم حرب بن شيبان عند تل الثعالب فلما وجدت اليوم فرصة هربت وستر الله على إلى أن وصلت إلى عسكركم فقالوا إيش معك من أخبار الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقال ما هم إلا فى عافية وقد سمعت أن أبو محمد يريد يفادى بهم الملوك الذين عنده ففرح الأمير ضيغم بذلك وأطعموه شيأ من الزاد وقالوا له إن شئت أن تقيم عندنا وإن شئت أن تمضى فقال بل أمضى إلى آمد ثم مضى طالب آمد من باب التل وكان لما يريده الله تعالى أرسل الرشيد إلى عسكر بنى كلاب يطيب قلوبهم أنه قد أمر الأمير أبو محمد أن يفادى الأمراء بمن عنده من الملوك (قال الراوى) ولما سار شو مدرس طالب آمد كان الرسول راجع إليها فدخل فى صحبته إلى البلد ولم ينكر عليه أحد وتوصل إلى القصر الذى فيه الخليفة ودخل اليه فى جملة السودان (قال الراوى) وان شو مدرس نظر الى ميمون الجماس وهو جالس على سرير المملكة والامراء حوله فعلم أن أبو محمد قد خرج فى طلبه فبقى حائر لايدرى يرجع أم لا وهو خائف على زوجته وولده أن يسير أبو محمد إلى العسكر ويأخذهما ثم انه سال عن عقبة فقالوا ان الأمير أبو محمد قد جعله فى بيت وقد وكل به عشرة من السودان فمضى شو مدرس اليهم وجلس معهم ولم ينكر عليه أحد وجعل يحدثهم الى إن أتاهم الطعام فتقدم شو مدرس وأكل معهم ثم انه غافلهم ورمى فى الطعام قطعة بنج عتيق فما استقر فى بطونهم حتى ناموا كلهم كانهم سكارى فعند ذلك وثب إلى الباب وفتحه وإذا عقبة فى أسوأ حال فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يعرفه وجعل يسبح الله ويقدسه فعلم شو مدرس أنه ما عرفه فقال له أيها الشيخ النجيح قد فرج المسيح عنك فقال له عقبة ياهذا لا تخوض مع الخائضين ولا بما يقول أبو محمد البطال عنى وتسمع منه فى حق فذاك منه بهتان وهو فى حل مما يفعله فى حق لأنه مجاهد فى سبيل الله تعالى وبعد ذلك فانه خلص أمير المؤمنين من عسكر المارقين فما أبالى بما صنع فى حق فقال له شو مدرس دع عنك هذا فأنا أخوك شو مدرس فنظر عقبة إليه فلم ينظر منه إلا عينيه وكان عقبة قد سمع أن شو مدرس قد صبغ نفسه فى الحضون كما تقدم وتم له ما سبق شرحه فلما رآه على تلك الحالة عرفه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال له كيف خفى أمرك على هذا الشيطان أبو

محمد البطال فقال ليس هو جالس ولا حاضر فى آمد وقد جرى له مع السودان كذا وكذا فقال له عقبة والله لقد كانت ضاقت على الدنيا إلى أن رأيتك فالمسيح الآن قد فرج عنى برؤيتك وسر قلى بغيبة البطال ليتم لنا كلما نريد سيما وقد صرت أنت من جملة السودان ولا ينكر عليك أحد فهل تقدر على دواة وقرطاس فقال شومدرس نعم ثم خرج من عنده وغاب ساعة وعاد له بما طلب فكتب عقبة وقال خذ هذا واقصد عين رغورا واسأل عن دار ظريف ابن حنة العامل فإذا وصلت إليه سلم لى عليه وسلم هذا الكتاب إليه فأخذ شومدرس الكتاب وسار إلى الموضع الذى وصفه عقبة له واستدل شومدرس على الدار فأرشدوه إليها فدخل إلى شيخ مليح الهيبة طويل الشيبة طيب الرائحة فقال له شومدرس أنت ظريف ابن حنة قال نعم فألق إليه الكتاب فلما قرأه وثب إلى شومدرس وقبل بين عينيه وقال له يا مولاى أتدرى ما فى الكتاب فقال لا فقال له اعلم أيها الراهب انى أنا ومالى وولدى من فضل الشيخ النجيح ومن فضل المسيح وأنا عامل البلد وله عندى مال وقد عرفنى منزلتك ومكانك عند الملك منويل وعلمك فى دين النصرانية وهو يأمرنى بمعاونتك أنا وغلمانى وقد ذكر لى انه إذا اختلط الظلام يأتى إلى منزلى ويأمرنى بما فيه المصلحة ففرح شومدرس بذلك ورجع إلى مكان عقبة هذا والسودان كأنهم سكارى وقد أمسى المساء فبينما هو قائم وإذا ببعض غلمان ميمون الجاس قد أتى يوصى السودان بحفظ عقبة ويأمرهم باليقظة فقال شومدرس نحن ما نحتاجك توصينا نحن تنام النهار ونسهر الليل فقال الرسول هذا هو المراد وشفاء الفؤاد ثم عاد إلى مولاه وأخبره بما رآه ثم ان شومدرس عرف عقبة انه أوصل الكتاب إلى الرجل فان كنت معول على المسير فعول فقال له اعلم ان فى رجلى قيد ثقيل ومالى إلى القيام من سبيل فأريد منك أن تعود إلى ظريف وتأتى ببعض من غلمانه يحملنى إلى داره فقال شومدرس هذا أمر ما يجىء بالعجلة قبل الصباح وما تدرى ما يكون فقوم إلى حتى أحملك على أكتافى فقال عقبة ان تركت هؤلاء السودان نائمين فما نأمن أن يفيقوا فقال شومدرس عندى دواهم ثم وثب وأخرج خنجر أمضا من القدر وذبح العشرة أمضا من البرق ثم حمل عقبة على أكتافه وقد أعطاه كسا من كسيان السودان وسار وكل من رآه يظن انه من السودان حامل شىء من القماش وأسرع فى مشيه إلى أن وصل إلى دار ظريف فوجده قائما على باب داره فى جماعة من غلمانه وهم فى انتظارهم فلما رآهم دخل بهم إلى الدار وغلق الباب فلما استقر بهم الجلوس كسر قيد عقبة الذى فى رجليه وقام قائما على قدميه

وسأل العامل عن الرشيد فقال فى دار العجم لأن أبو محمد وضى ميمون الجماس ان لا يمكنه من القصر فزعا لا يأخذه فقال عقبة الآن طاب أخذ الرشيد فقال له شومدرس على ماذا عولت قال على أخذ الرشيد وأضع القيد فى رجليه وأتركه فى دار ظريف إلى أن أخرجه من البلد وأجعله فداء الملك منويل وسائر الملوك فقال شومدرس نحن نسرقه وافعل به ما تريد وأنا أعمل على خلاص الملوك (قال الراوى) ثم انهم صبروا إلى ان تنصف الليل وساروا إلى دار العجم فوجدوا الغلمان على بابها فقالوا له من أنت فقال أنا الشيخ عقبة فلما سمعوا ذلك وثبوا إليه وقبلوا يديه ثم اعلموا الرشيد بخلاصه وخرجوا إليه وقالوا له لقد فرح مولانا الخليفة بخلاصك وكان قد عول ان يأكل لأبو محمد طعام حتى يطلقك وقد أمر بدخولك عليه فادخل فقال عقبة لا بد من مجيئكم معى إلى الرجل الذى خلصنى فهو خائف من الرشيد وهو يظن ان خلاصى على غير غرضه ويخاف من ميمون الجماس وأريد منكم ان تعلموه ان الرشيد قد أعطاه الأمان فما جزاء الإحسان إلا الإحسان فإنه لا يعرف قدرى عند الخليفة ولكم على فى غداة غد مائة دينار فلما سمعوا ذلك من كلامه فرحوا بقوله وشكروه وقالوا نحن لك وبين يديك ومهما أمرت به امتثلناه فسار بهم عقبة وأمر شومدرس ان يدخل على الرشيد بأربعة من غلمان ظريف وقد أوجز إليهم ما يعملوه (قال الراوى) ووصل عقبة بالخدم الذين أخذهم من دار العجم إلى دار ظريف فما هم إلا ان توسطوا الدار حتى خرج إليهم عشرة من كل جانب وقتلوهم عن آخرهم مثل طرفة عين وقال عقبة هذه الليلة مباركة لأنى قتلت خمسة عشر مسلم وأرجوا فيها ان يتم المسيح أمرنا فى اخذ الرشيد (قال الراوى) فهو فى الكلام وإذا بشومدرس دخل عليه والغلمان يحملون الرشيد وهو فى أسوء حال وقد قيده وفعل فى حقه ما لا يجب من الفعال ثم وضعوه فى سرداب فلما رأى عقبة إلى الرشيد فى ذلك الحال فرح ولما أصبح الصباح كثر فى آمد الصياح لفقد عقبة وقتل الموكلين به ودخل على ميمون من ذلك أمر عظيم وبقى فى حيرة من حالتين كيف تم عليه هذا وماذا يقول لأبى محمد البطال فهو كذلك إذ دخل عليه الشهود والقضاة وقالوا له اننا دخلنا على الرشيد للسلام فلم نجده فعظم على ميمون اعظم واعظم وقال ان جرى على الرشيد أمر فأنا هالك لا محالة ثم ركب وقصد دار العجم فلم يجد أحد من الخدم ووجد الخليفة قد عدم فارسل إلى ظاهر البلد من يكشف الخبر ورجع إلى القصر وقد ضاقت عليه الدنيا بما رحبت (قال الراوى) وفى تلك الساعة عند اشتغال الناس دخل شومدرس إلى الموضع الذى

فيه الملك والسودان من حوله كأنهم السباع الضارية فدخل عليهم شومدرس وبقى فى جملتهم وتحدث معهم فى حديث أصحابهم الذين كانوا عند عقبة فقال شومدرس ما فعل هذه الفعال إلا الاكراد لأنهم لصوص ويقتل منهم الواحد أبوه على درهم لا سيما ان كان عقبة قد ضمن لهم المال فما وجدوا إليه سبيل إلا بقتل الرجال فقالوا له السودان صدقت وأن تم علينا هذا المتم فما بقى منا فى البلد أحد فقال شومدرس اما انا أقول ان العاقل منا لا ينام إلا فى داره ويكون على حذر من نفسه لأننا نحن مع غير جلسنا فقالوا صدقت يا ابن الخالة وشاع ذلك فى السودان فكثرت منهم الضجة حتى سمعت الاكراد ذلك فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا هذا كذب علينا حتى يكسر جاهنا عند الأمير أبو محمد (قال الراوى) يا سادة يا كرام وعظم صياحهم هذا وشومدرس يطرح الفتن حتى أوقع الشر بينهم فجردوا السيوف وضربوا بعضهم بعض فما كانت إلا ساعة حتى بقوا المطروحين أكثر من القائمين فتركهم شومدرس على ما هم عليه وهجم على الملك منويل وعرفه بنفسه ولم يزل يعالج قيده حتى فتحه وقال للملوك أنا فى هذه الليلة أخلصكم ثم أخذ الملك منويل وخرج والاكراد والسودان على حالهم فى القتال ولولا مجىء ميمون الجماس فى تلك الساعة كانوا الناس فنوا وقد قتل من الجمعين خلق كثير وفصل بينهم ميمون هذا وشومدرس لم يزل سائر بالملك منويل حتى أوصله إلى دار ظريف ودخل على عقبة ففرح بخلاص الملك المسيح يضاعف لك الثواب فقال عقبة لك البشرى أيها الملك قال بماذا قال بالرشيد فانه عندى أسير فقال منويل وعلى ماذا عولت قال على خلاص الملوك وبعد ذلك إشرع فى اتصالك إلى العسكر المنصور ويكون الرشيد معنا فانى أخلص به كل من فى أيدى المسلمين من الملوك والبطارقة هذا ان لم نقدر على خلاصهم فقال عقبة أيها الملك الأعظم انى ما أقدر أظهر فى آمد لأن العشرة الذين كانوا موكلين بى قد قتلوا وأريد أسير معك على العسكر وتجعل فى رجلى قيد ثقيل وتقول ان الذى عمل على خلاصى عمل على أخذ الرشيد وعقبة فهذا يرى ساحته عنده وما قصدى بذلك إلا حتى أعمل على خلاص روحى وخراب بيته فقال الملك وكيف ذلك العمل فى خلاصنا من البلد فقال عقبة نصبر إلى ان يمسى المساء ونخرج مع الحطابة فان فطن بنا أحد من الحراس خدعناه بشىء من المال فقال الملك نعم ما رأيت فقال شومدرس أيها الملك إن كان ولا بد من الخروج فأنا أخرج معك ويكون القاضى عقبة فى دار ظريف يدبر ما يراه فى خلاص الملوك فانى خائف من أبو محمد البطال على ولدى دهرشوم وزوجتى شوما

لأنه ان أخذ أحدا منهم قصم ظهرى والعسكر مشوش لغيبتى وفقدى لأجل ما هم عليه من فقد ملوكهم وأنا أسير معك إلى العسكر وأدبر على أخذ أبو محمد لأنها الفرحة الكبرى وأريد أعاقبه العقوبة التى ما سمع بها أحد حتى يفادى نفسه بكل من عنده فقال الملك منويل صدقت وحق المسيح وان أخذت أبو محمد أسير سلمت إليك أمور العساكر كلها ويكون حكمك فيها فقال طب نفسا وقر عينا أيها الملك انه ما يقف عليه أمر من الأمور بعد ما شهدت منه ما فعل فى هذه النوبة وقد ضمن لك ان يأخذ أبو محمد أسير وأنا أضمن لك ان أخلص الملوك وأدبر لك على اخراجهم فى ظلام الليل ولا بد لى أن أسلم إليك البلد فى هذه النوبة ان ساعدتنى المقادير وأعاننى المسيح (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهو معه فى الكلام وإذا بالصياح قد علا حتى ارتجت الأرض من كثرة الصياح فخرج غلام ظريف ينظر ما الخبر ثم رجع على عجل وهو أصفر اللون فقالوا له ويلك وما وراءك لا يكون فطن بنا أحد فقال لا يا مولاى بل ان الصياح من ظاهر البلد وان صعدت من فوق الصور فرأيت عساكر الروم مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج ثم سمعت قائل يقول قد وقع بين الافرنج والصقلب وقد قتل منهم أكثر من عشرين ألف قتيل ورأيت الدمشقى قد ركب فى سائر العساكر ودخل بين الطائفتين بالصلح فأصلح بينهم والارض قد امتلأت بالقتلا وفاض الدماء وانى رأيت خيل كثيرة من البطارقة قد خرجوا من العسكر وهم عشر فرق وأخذت كل فرقة طريق وما أدرى ما السبب فى ذلك فبكى شومدرس وقال واذلاه واخراب بيتاه وحق المسيح ما أوقع بين الافرنج والصقلب إلا أبو محمد البطال وما قد خرجت البطارقة من العسكر إلا فى طلبه وما خرج من العسكر حتى ظفر بمناه وأنا أعلم ان ما له فى العسكر غرض إلا أنا وحيث لم يجدنى يأخذ زوجتى وولدى لأنه يعلم انهما يقومان مقامى فعول بنا أيها الملك على الخروج فانى أريد ان آخذه فى الطريق فقال الملك وكيف نخرج من الباب وعليه البوابين فقال عقبه نريد من ظريف يتم فضله علينا لأنه لا ينكر عليه أحد ويكون الرشيد معك فقال ظريف السمع والطاعة ما أخالفك ولو انى أهلك روحى ومالى وأولادى بسببك قال عقبة تحصل لنا بغال وتجعل الملك منويل فى عدل وهارون الرشيد فى عدل وشومدرس ما ينكره أحد لأنه من جملة السودان ويكون معكم من غلمان ظريف عشرة غلمان كاملين العدد فان سألهم أحد يقولون نحن سائرين إلى بعض القرى لأن باقى لنا فيها قماش ونحن ماضيين نأتى به قبل ان يأخذوه الروم فقال ظريف والله لك على كما ذكرت

ثم أمر غلمانه ان يشدوا على خمسة عشرة بغال وسير معها عشرة رجال واخفو الرشيد فى عدل ومنويل كذلك فى عدل وساروا الى ان خرجوا من باب البلد ولم يتعرض لهم أحد لأن ظريف وغلمانه معروفين وهم غير منكرون وجدوا فى سيرهم (قال الراوى) ياسادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أبو محمد البطال فانه لما خرج ودخل الى عسكر الروم هو وغلمانه وتوسطوا العسكر وهم زى البطارقة فهذا ما كان منهم وأما ما كان من لؤلؤ غلام البطال فانه دخل إلى عسكر الافرنج وهو لابس فى زيهم فهذا ما كان منه وأما ما كان من الأمير أبو محمد البطال لما أن دخل الى عسكر الروم سأل عن شو مدرس فقيل له انه غير حاضر فقال واين مضى فقالوا لأمر للنصرانية فيه نفع وقد غاب من أمس وماعدنا رأيناه ولا سمعنا له خبر وانه استخلف البترك وسار وهذا آخر العهد به فقال الأمير محمد البطال لغلامه سبك انى أوصيك بشىء لا تخالفنى فيه فقال له وما هو يامولاى فقال له يا ولدى يكون بالك مع هذا الملعون شومدرس فانه لم مضى إلى آمد الا فى بعض حيله وأنا أخشى على ميمون الجماس من مكره وشره فقال له غلامه سبك يامولاى لاتشغل قلبك بهذا التطويل فما له الى آمد سبيل وما عليها مخافة من هذا الامر لانه ما يعرف أمرها ولاله بها خبره (قال الراوى) يا سادة يا كرام وفى تلك الليلة سرق الأمير أبو محمد دهرشوم ولد شومدرس وأخذ غلامه صندل شوما وأما بديع فانه أخذ البترك ثم وضعوهم فى بعض القرى الخراب ثم قال أبو محمد مانلت غرضى من شومدرس ولكن اطلبوا بنا الموضع الذى فيه عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فوجدوا الدمشقى من حولهم وحزب ابن شيبان ومن كل طائفة من الروم مائة فلم يجد اليهم سبيل فقال أبو محمد ارجعوا بنا فمالنا اليهم وصول وفى غداة غد ان شاء الله ترون العجب ولما أصبح الصباح قصد أبو محمد الى الإفرنج فى زى بطريق من بطارقة الصقلب وهذه الطائفتين الصقلب والأفرنج من حين أنشؤا لم تزل العداوة بينهم من قديم الزمان وكان الملك منويل يصلح بينهم فلما قصدا أبو محمد اليهم وهو فى زى بطريق من الصقلب فلقيه لؤلؤ وهو فى زى الأفرنج فقال له أبو محمد وحوله جماعة من الافرنج اعلم اننا مضينا من ليلتنا الى البترك الكبير وحكم لنا بالتقدمة عليكم لان ملككم قد قتل ومابقى لكم تقدمة فقال لؤلؤ بالافرنجية ياويلكم يكون لكم تقدمة ونحن لنا التقدمة عليكم وعلى سائر الطوائف من الروم لاننا أثبت منكم فى الحرب وموقف الطعن والضرب وأوقح وجوها وأقوى قلوبا ولم يزالوا كذلك الى أن جردوا شيوفهما وزاد الصياح

بينهما وحملت كل طائفة تحمى صاحبها وحملت الافرنج على الصقلب وبقيت الرقاب تضرب والدما تسكب والرجال تكبكب إلى ان قتل منهم عشرين ألف وركب المانسطر وفرق بينهم وسأل عن حالهم فأخبروه بما جرى لهم فقال هذا من تدبير أبو محمد وفتنه فهم فى الكلام وإذا بالصياح قد علا وهم يقولون ان دهرشوم وشوما قد سرقوا فقال أطلبوهما أينما كانوا فطلبوهم فلم يجدوهم وفى تلك الساعة سرق أبو محمد مالك ابن بشر الكلابى ورجع على انه يأخذ بعض المأسورين ففاته ذلك وخشى الطلب فلم يمكن له غير الهروب إلى الموضع الذى فيه دهرشوم وشوما والبترك فلما وصل إليهم وجد غلمانه هنالك فرحوا بخلاص مالك ابن بشر وقالوا للأمير أبو محمد يا أمير ما الذى ترى من الرأى فقال أبو محمد الرأى عندى ان تكونوا هنا بقية يومكم لأن الخيل قد سارعت فى طلبنا وإن ظهرنا أخذنا بلا محالة ونكون قد طلبنا الزيادة وقعنا فى النقصان والخسران والرأى عندى أن نقيم ههنا إلى الليل فإذا أظلمت الاقطار وذهب ضوء النهار سرنا من ههنا نخرج من أرض الحصون فإن الدمشقى لا بد له ان ينفذ فى كل طريق فرسان فى طلبنا (قال الراوى) ثم أقام أبو محمد إلى الليل ثم قال لغلمانه اعلموا ان الطريق الذى ذكرنا لكم وعولتم على المسير فيها بعيدة وأنتم ما لكم طاقة بحمل هؤلاء الأسرى فقال له لؤلؤ فما الرأى ان نعمل هل لك ان تأذن لنا فى ضرب رقابهم فهو أصلح الأحوال فقال البترك لا بحق نبيكم محمد بن عبد الله لا تفعلوا هذا فنحن ما نكلفكم بل نعدو بين أيديكم مثل البغال فضحك الأمير أبو محمد البطال (قال الراوى) يا سادة ياكرام فقالت شوما اعلموا ان لنا عندكم أسارى ولكم عندنا أسارى فان كنتم قد ظفرتم فان خلفكم الذئب الامعط والثعبان الارقط الذى قد شاع فيكم خبره وعمله وعرفتم حيله وإن أنتم قتلتمونا فلكم مثل ذلك وقد كتب على جبين كل واحد منا انه هالك فقال الأمير أبو محمد لولا اننى أريد ان أجازيكم على فعلكم لما كنتى تطعمينى النخالة وعكر الزيت لما كنت استبقيتك فقالت يا أبو محمد ما دام المسيح يحفظ شومدرس فأنا أؤمل ان تقع فى الموضع الذى بقى ذكره على لسانك وخوفه فى قلبك فعظم على أبو محمد قولها وكبر عليه كلامها ثم تقدم إلى غلامه سبك وقال له تمضى أنت ويانس فى طلب بغلين فقال السمع والطاعة وما كانت إلا ساعة حتى أقبل ومعه خمس بغال وعليها صناديق مملوءة أوانى شراب ودجاج وحلوى ففرح أبو محمد بذلك ثم وثب وفرغ بعض الصناديق وقال سيروا بنا على بركة الله تعالى فساروا بجدين على قدر ما ذكرنا (قال الراوى) يا سادة ياكرام هذا ما كان من هؤلاء وأما

ما كان من الراهب شو مدرس فانه لما خرج من آمد ومعه غلمان ظريف وهم عشرة والملك منويل والرشيد على حاله التى ذكرنا كما تقدم وكل من لقيهم لا ينكر عليهم لأنهم غلمان ظريف العامل وشو مدرس فى زى السودان بلاشك ثم أقبل على غلمان ظريف وقال لهم اقصدوا بنا إلى بعض الأماكن التى تصلح أن نكمن فيها إلى أن يمضى النهار بضياه ويأتى الليل بظلماه ثم نمضى بعد ذلك إلى العسكر فقالوا له غلمان ظريف أيها الراهب الصالح لا تفزع فوحق الإنجيل ما عليك خوف ولا فزع لأننا نحن معروفين فى هذه الأرض وكل يوم نأتى إلى القرى والمواضع ونأتى بحاجة دار الأمارة لأن سيدنا ظريف هو عامل البلد وإليه الداخل والخارج فقال شو مدرس دعنى من هذا الكلام كله فإنى لا أسمعه ولا يدخل فى آذانى لأنى أعلم أن هذا الشيطان أبو محمد ماعدم من آمد إلا وهو فى عسكر الروم لا محالة وإنى أخاف من العرضيات أن تلقانا فى الطريق فأكون قد عدمت التوفيق فقال له إذا كان الأمر على ما ذكرت والحال كما وصفت فنحن نكمن لك فى النهار إلى أن يمسى المساء ويظلم الليل ثم نسير فما يأتى نصف الليل إلا وقد وصلنا القرية وهى لمولانا ظريف ثم نقطع باقى ليلتنا ونجوز الضرورة إلى أن نأتى إلى أرض الحصى ونخرج من وراء العسكر عند الصباح وتكون قد أمنت على نفسك فقال لهم شومدرس الآن طاب قلبى وأمنت على نفسى ومالى وحق المسيح أخذى مثل ما بى من أخذ الملك منويل لأنى خلصته من الموت وأخذت خليفة المسلمين ثم إنهم اختفوا باقى نهارهم إلى أن أظلم الليل وقد ساروا طالبين الروم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولم يزل شو مدرس سائر إلى أن تنصف الليل وقد وقعوا فى المرج الأخضر إذ لاحت لشو مدرس أشخاص ظاهرة وأشباح سائرة وهم نحوه طالبين وبين أيديهم بغال وعليها صناديق فقال لأصحابه وحق المسيح هذا أبو محمد البطال لامحالة وهذه البغال بغال الروم وما أخوفنى أن يكون قد أخذ زوجتى شوما وولدى دهرشوم وربما أن يكون قد أخذ البترك الكبير لأنه رجل سليم القلب ما عنده من المكر خبر فقالوا له وما الذى تريد أن تفعل فقال ما بقى فى الأمر إلا أنى أخفى نفسى أنا وإن كانوا كما خطر ببالى وسألوكم إلى أين أنتم سائرين فقولوا نحن ماضيين فى حوائج لظريف فإن خفى أمركم عليهم وإلا فابذلوا السيوف فيهم فإن المسيح قد أمرنا بالجهاد فيمن يخالف شريعته ويترك ملته ويعدل عن مقالته

(قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمعوا ذلك من كلام شو مدرس قالوا ابشر بما يسرك فان القوم وقوف على الماء ولا شك أنهم ينزلون عنده ونحن أيضا قد عولنا

ننزل عنده حتى تأخذ الدواب الراحة ونأكل شيأ من الزاد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهم فى الكلام والقوم قد وصلوا إليهم ونزلوا عليهم هنالك نزلوا غلمان ظريف بالقرب منهم ثم مشوا إليهم فنظروا إلى البغال وعليها تلك الصناديق وغلمان أبو محمد الأربعة لاغير فعادوا إلى شومدرس وقالوا ما يمكن أن يكون على وجه الأرض مثلك رجل آخر هؤلاء غلمان البطال الاربعة فقال شومدرس قاتلهم الله هم أشر من البطال فهل تقدرون تفعلون ما أقول لكم فقالوا وماهو قال تأخذوا لهم طعاما وتسلمونه اليهم وتحلفون عليهم من طريق الضيافة وقد أخذتموهم بلا طعن ولا ضرب فقالوا له أيها السيد ان الذى ذكرته لنا من أهون الاشياء علينا ثم انهم أخذوا الطعام كما أمرهم أمرهم به وساروا به الى غلمان أبو محمد وسلموا عليهم فردوا عليهم السلام وعرفهم بعضهم فقالوا لهم غلمان أبو محمد الى أين قد عولتم فى طريقكم هذه فقالوا قد عولنا اننا نسير إلى قرية سيدنا ظريف فى أمر لاجل الخليفة ثم أنهم قدموا ذلك الطعام لغلمان أبو محمد وكانوا قد وصلوا وهم جياع من التعب فلم ينكروا عليهم لانهم يعرفوهم ويعرفون سيدهم ظريف وهو معهم وأمره على كل أحد فأخذوا الطعام ووقعوا عليه فما استقر فى امعائهم حتى وقعوا إلى الارض وكل واحد قد طرح نفسه وظنوا ذلك من السهر الذى معهم فلما رأوهم غلمان ظريف على تلك الحالة وفيهم من يرفع نفسه فأقاموا إليهم وأخذوهم أجمعين فلما نظر شومدرس إلى ذلك فرح غاية الفرح الشديد الذى ماعليه من مزيد وقال يا لها من ليلة ما أبركها ثم فتح الصناديق التى كانت معهم فوجد فيها ولده دهر شوم وزوجته شوما والبترك فلما عاينهم شومدرس أخرج الاكر من أفامهم وحل أيديهم وأطعمهم الطعام وسقاهم الماء وقال لهم قولوا لى كيف تم عليكم هذا الامر فقالت شوما لا تقول لى فى أمر هذا الشيطان شىء فما هو الا مثل الموت اذا حل بدار قوم لايرجع الا بمراده ولايقدر أحد من الناس على عناده الا أن يكون أنت وكيف قدرت على خلاصنا منه وكيف كانت طريقك وبمن ظفرت من الاعداء فأعاده عليهم قصته من أولها إلى آخرها فزاد فرحهم بخلاص الملك منويل وأسر الخليفة ثم قال لهم شومدرس كونوا على ما أنتم عليه فى هذه الصناديق فما آمن عليكم حتى تصيرون فى عسكر الروم لان فى قلبى وجد وكمد من غيبة أبو محمد البطال وما ظفرنا إلا بغلمانه ولو كان معهم أخذته ولا شك أنه أرسل غلمانه إلى آمد ورجع إل العسكر وهو طمعان فى الاسارى يخلصهم (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم انه قدم البغال وهم ان يرفع الصناديق عليهم ويسير وإذا بشخصين قد لاحا فى ضوء القمر وكان

أحدهما الأمير مالك بن بشر والآخر أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان السبب فى انقطاعهما أن الأمير مالك كان على ما هو عليه شديد الدين كثير الخوف من الله تعالى وإنهم لما ساروا تلك الليلة ومضى ربع الليل قال يا أبو محمد اذهب أنت وغلمانك فان لى حاجة أريد أقضيها فقال له الأمير أبو محمد سألتك بالله إلا إن أخبرتنى بها فإن كان شىء أقدر عليه عاونتك فيه فقال يا أبو محمد والله لقد أقسمت على بقسم عظيم ولولا ذلك لما أعلمتك اعلم يا أخى إن لى فى كل ليلة صلاة ورداً فلابد لى منه وعلى أيضا فى هذه الليلة عشر صلوات ولابد لى من قضائها لأننى كنت مقيد ممنوع من الوضوء وأريد أن تمكنى من الصلاة فقال أبو محمد سير بنا واقضيها فى آمد فقال يا أبو محمد تضمننى أعيش إلى الصباح فلا تكلفنى مالا أطيق فلابد لى أن أقضى صلاتى فى هذه الليلة حتى إذا مت فى ليلتى لقيت ربى وأنا خفيف الظهر من زلتى فقال أبو محمد وقد بكى من كلامه أنا أوافقك فى هذه الليلة لعل الله يسعدنى ببركتك ويبلغنى المنى بمصاحبتك ثم انهما انعزلا عن الطريق وأمر أبو غلمانه بالمسير ووقف مالك على قدميه يصلى إلى أن انتصف الليل وقضى جميع ما عليه ومضى مع الأمير أبو محمد وجدا فى سيرهما إلى أن أشرفا على شو مدرس وأصحابه فلما نظر إليهما شو مدرس وهما مقبلين قال لأصحابه أنظروا إلى هذان الشخصان فإنى قد أنكرت شأنهما فاما أن يكون أبو محمد قد خلص بعض الأبطال وإما أن يكون من بعض جواسيس البطال ولاشك أنهم كانوا فى عسكر الروم ولابد لى من عمل الحيل عليهما كما علمت بغلمان البطال لأن بالخداع تقع صناديد الرجال وتذل رقاب الأبطال ونبلغ من أعدائنا نهاية الآمال ثم أخفى نفسه. ووصل الأمير أبو محمد والأمير مالك بن بشر إلى الماء فبانت منهم التفاتة فنظروا إلى بغال ورجال قعود وقد طرحوا بين أيديهم طعاما يأكلون منه ويتحدثون بعضهم مع بعض فقال الأمير أبو محمد للأمير مالك بن بشر شق عليك أيها الأمير فقال ولم ذلك يا أبو محمد قال لأنى أنكرت هؤلاء الذين بين أيدينا وأرى معهم دواب وأراهم قعود آمنين والبلد تخيف من عسكر الروم فخذ لنفسك وجرد سيفك فقال له الأمير طب نفسا وقر عينا فلو كانوا ألفان كانوا أعداء فأنا لقتالهم كفؤا فهو مع الأمير أبو محمد البطال فى الكلام واذا بغلمان ظريف قد أقبلوا عليهم وسلموا عليهم ومعهم صفرة فيها لحم كثير وخبز وحلاوة فطرحوها بين أيديهم وقالوا لهم كلوا هذا وقد عرفهم أبو محمد فأراد مالك أن يمد يده إلى الطعام فمسك يده أبو محمد وقال له لا تفعل أيها الأمير فانى أخاف أن يكون فيه الحمام وعندى من هذا كثير وأنا أقسم بالله العظيم ان غلمانى قد اخذوا ولو كانوا

سالمين لما راحوا من أما كنهم إلى ان نصل و نشرف عليهم فقال مالك افعل ما تريد وما تراه من الرأى فقال الامير أبو محمد البطال الرأى عندى قوله لك فيما بعد واعلم يا امير مالك ان شومدرس لما دخل إلى آمد ما توصل إلى أمر من الامور إلا بخلاص الملعون عقبة وان عقبة صديق هـذا الملعون وأنا اخاف ان يكون عمل على بعض غلمانى وأخذ من فى البلد من الأسارى وأخذ الرشيد بلا محالة وقد لعبوا بعقول غلمانى وأطعموهم من هذا الطعام الدسم فناموا وقد أخذوهم بلاقتال ولا نزال فعند ذلك قال الامير مالك سير بنا إليهم ونهجم عليهم فقال أبو محمد الرأى عندى أن نصبر فانى أخاف إن فعلت ذلك يهرب الملعون شو مدرس وتبقى حسرة فى قلبى إلى أبد الأبد ماقام قائم وقعد ثم قال أبو محمد إنى قد عولت أن ألقى نفسى إلى الارض وكذلك أنت فاذاجاؤا إلينا وثبنا عليهم فلاينفلت منهم احدفقال له افعل ما بدا لك فلقد صدقت (قال الراوى) يا ساده يا كرام فرمى الامير أبو محمد نفسه وكذلك الامير مالك وقد جردوا سيوفهم وطرحوها إلى جانبهم فلما نظر شو مدرس إلى ذلك وأصحابه قام نحوهم مثل البرق وهو يضحك وقال كيف رأيتم أوحد الزمان فيالها من ليلة ما أبركها وما كان أسعدها ومن طريق ما كان أحمدها ثم انه سار وهو يقول وحق المسيح لابدلى من قتله حتى لا يطول له بعد هذا مطال (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا والغلمان من حوله وقد فرحوا الفرح العظيم ولما قربوا منهم وقد جردوا السلاح فعند ذلك وثب إليه البطال ومالك ابن بشر الفارس القهار والبطل الهدار وفى أيديهم السيوف الثقال فكان السابق إلى شو مدرس أبو محمد البطال وضربه بالسيف صفحا القاه على الارض وقعد على صدره وقد انشكل عليه سواده إلا أنه خبير بهذا الذى جرى له مراراً فلم يخف عليه أمره (ياساده يا كرام) وقتل مالك من العشرة ثمانية وأخذ الاثنين أسرى وأدار كتاف شومدرس وقوى منه الاطراف وقام من وقته وساعته ومعه اثنين من غلمان ظريف وشو مدرس والبغال وساروا جميعا إلى أن وصلوا إلى آمد وصاروا فى البلد ودقت الكؤسات وضربت البوقات وتبادرت إليه السودان ولما وصل ودخل إلى دارالامارة وفتح الصناديق وأخرج البترك وشوما وشومدرس زوجها وولدها دهرشوم وخلص الرشيد وقبل الارض بين يديه فقال الرشيدكم لك عندى من أيادى ماانساها أبدا ثم انه احضر الملعون شومدرس وقال له يا ملعون ان شاء الله يسود وجهك اكثر من هذا ثم ان أبو محمد قال للرشيد يامولانا وحق من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة لم ساعد هذا الملعون على أخذك غير عقبة لعنه الله تعالى وهو الذى عمل على أخذك وقتل

السودان الموكلين وهو الذى أشار بالقك عليك وأراد ان يسلمك إلى كل هذا من فعاله فقال له الرشيد خاف الله فيه فانه الساعة غائب والله يدرى أين هو وربما أخذوه عند الروم وأنت تظلمه وتدخل فى خطيئته (قال الراوى) ياسادة يا كرام فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام اغتاظ وبان الغضب فى وجهه من كلام الرشيد ثم أنه قال ياأمير المؤمنين ان كان هذا الامر كما ذكرت فأنا أقيم لك الدليل ثم انه أحضر غلامى ظريف وقال لهما أريد كما تعلمان القضية على جليتها وإلا أهلكتكما تحت الضرب والعقوبة فقالا أيها الملك مالنا ذنب ولا لنا علم ولا نعلم من هو الملعون عقبة فامر غلمانه فسحبوهما وضربوهما على صدورهما حتى نزلت لحومهما فصاح أحدهما بطل عنا فنحن نحدثك بما كان فما لنا طاقة على الضرب فرفع عنهما العذاب والضرب والهوان وقال قولوا لى ما عندكم بسرعة والا قطعتكما قطع (قال الراوى) فعند ذلك حدثاه من عقبة ومجيئه الى دار ظريف وكيف أخذ الرشيد الى آخر القصة ثم أنه احضر ظريف وقال له ياشيخ السوء من يخدم الملوك يفعل فى بلادهم هذه الفعال أريد عقبة الساعة وإلا وحق النبى المصطفى ان صدقت وأتيت به من غير زور ولا محال وهبت لك نفسك وأجود عليك بمالك واهلك ولا أغير عليك شغلك لانى أعلم ان عقبة لعنه الله لعب بعقلك فقال ظريف وقد صعب عليه هذا الكلام لاعرف مما تقول شيئا وان كانوا غلمانى فعلوا شيئا فيكو الملعون شومدرس لعب بعقولهم بشى من من المال ولا أعرف القاضى عقبة حتى يأتى الى وهو مخالف لدينى غير موافق لملتى فقال أبو محمد دع عنك هذا المقال فأنا اقسم بمن خضعت اليه رقاب الجبابره واخرج من هذه الارض اشجار وأنبع من الصخر ماء وسلخ من الليل المظلم نهارا ولم يزو على العصاة ستارا وقهر الملوك والسلاطين قوة واقتدارا وجعل فوقنا سقفا بواد وجعل الجبال أوتاد وجعل الارض مهاد وقسم الزمان ليلا ونهارا ويعلم ما يختلج فى صدر المرء جهرا واسرار والطيور تسبحه تفكرا واعتبار والوحش يوحده حواية واستغفار والملائكة تسبحه وتقدسه جهار ونقول يابنى آدم مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وأرسل لكم المصطفى نبيا وصفيا مختارا فعند ذلك اقشعر جلد الرشيد لما سمع هذا التوحيد وقال لله درك ياابو محمد ماأفصح لسانك فأنت اوحد اهل زمانك ثم اقبل على ظريف وقال له قد سمعت القسم الذى اقسمت به وان لم تصدقنى فى القصة على جليتها لانزلن بك من العذاب مالم يكن لك فى حساب فلما سمع ظريف ذلك قال ابو محمد افعل مااردت فما انا اول من ظلم وان كان قصدك مالى

فافعل ما بدا لك فانا اعطيك المال من غير قبض ولا اعتقال وامير المؤمنين اكرم من ان يمكنك منزلى من غير جرم بدا منى فقال ابو محمد دع عنك هذا التعلل والهذيان فهذا كله من تعلم عقبة لعنه الله تعالى وأنا أقول ان مولانا الرشيد لو اعترض على فى ضربك كنت ضربتكم الجميع والآن مالكم فى بلدى مقام فقال ظريف يا أبو محمد اذا كنت قد شاققت السلطان ولا تسمع من خليفة الزمان فانى صابر على ما تفعل بى وبيت الظالم خراب ولو سقيتنى كاس الردى والعطب من غير ذنب ولا سبب فعند ذلك بطحه وضربه ضربا لا يسمع بمثله وهو لا يزداد إلا إنكاراً فصاح أبو محمد بالسودان وقال قد سلمت اليكم هذا الشيطان الذى قتل منكم عشرة من أهل الايمان وقد وهبته لكم على أن تسلخوه من كعبه فدارت به السودان ورقصوا حوله من كل مكان وكشروا على أنيابهم فى وجهه ورفعوا يديه ورجليه وسلخوه من كعبه فأم وعلقوه من قدميه واذا به قد صاح يا أبو محمد بحق دينك لا تفعل وأنا أحدثك بالقصة واسلم اليك الذى كان السبب فى ذلك فلا شك انى هالك فصاح أبو محمد بالسودان فتركوه فاستوى جالسا وأعاد عليه كلما جرى له ولعقبة وكيف كتب الكتاب وأرسله مع الراهب شومدرس وكيف دخل الى داره فى ظلام الليل ودبر على الرشيد حتى قبض عليه وقتل خدمه ورماهم فى داره وأخرج من عمامته الكتاب الذى كتبه ورماه الى الخليفة فعرف انه خط اللعين عقبة فانقلبت عينيه فى أم رأسه وقال لقد صدقوا أنه نصرانى وما كذبوا فوحق آبائى واجدادى الطاهرين من الادناس قد وهبت لك دمه افعل به ماتريد ففرح أبو محمد لعقبة بالقتل وقال للسودان لا نقعد الساعة قبل قتل عقبة فما كان يمنعنى الا الخليفة لانى كنت أخاف أن يلعننى على المنابر فى مشارق الارض ومغاربها ويقول انى قتلت رجلا من أهل العلم ولا يعلم انه من أهل الكفر والضلال والآن فقد أمرنى الرشيد أفعل به ماأريد ثم أقبل على ظريف وقال وحق النبى المصطفى لا ينالك منى مكروه ان أنت سلمته الى فقال يامولاى هو فى دارى الصغرى فانه لما خرج شومدرس ومعه الخليفة ومنويل وخرجوا من البلد قلق الملعون عقبة وقال أنا أريد أن أكون فى دارك الصغيرة منفردا بنفسى فلى فى ذلك غرض وقد حملته اليها وهو فيها فسر بنا اليه فوثب الامير أبو محمد البطال والغلمان ومن حوله السودان وكان قد سكب فى مناخير غلمانه الخل وتركهم حتى تقايوا البنج الذى أكلوه فى الطعام بحيلة الملعون شومدرس مع غلمان ظريف وساروا من حول الأمير أبو محمد وهم فى غاية من الحياة منه حتى لا يراهم بعين العجز والنقصان وساروا الى أن وصلوا دار ظريف

هذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من عقبة فانه لما ادخله ظريف إلى داره قال له يا مولاى أنا ومالى وأولادى بين يديك ولا أبخل بشىء عليك وكلما أنا فيه من بعض إحسانك ثم أمر غلمانه ان ينصبوا له القاعة التى هى برسم المال ثم قال له مهما أردت مالا فخذه فأخذ منه خمسون ألف دينار فلما صار فى الدار استدعى بثلاثة من الغلمان غلمان ظريف وأعطاهم عقبة ألف دينار وقال لهم خذونى معكم إلى الصور ودلونى ولا تعلموا بى أحد ولا مولاكم فان قصدى أمضى إلى عسكر الروم وأدبر فيما يصنعوا بالرشيد (قال الراوى) فلما سمعوا غلمان ظريف هذا الكلام قالوا له سمعا وطاعة ومن أجل هذا أعطيتنا هذا المال الجزيل قال لا وإنما أعطيتكم ذلك أريد التقرب بالصدقة عليكم وأيضا هذا المال كله لكم فدعوا له وقبلوا يديه ورجليه ثم إنهم غابوا ساعة وأقبلوا ومعهم حبل طويل ثم قال الملعون للغلمان كل يوم اعلموا ظريف لا بد أن يبعث من أجلى طعام فكلوه أنتم واخفوا حالى فقالوا سمعا وطاعة ثم ان الغلمان دلوا الملعون عقبة بالحبل وقالوا له انزل فنزل فى الليل وكان هذا الملعون جسور على المسير فى الليل فسار وقصد عساكر الروم فقاموا إليه الحراس وقالوا له من أنت ومن أين أتيت فلما رآهم عرفهم بنفسه فقبلوا يديه ورجليه وحملوه على أعناقهم وساروا به إلى الدمشق فلما رآه وثب قائما وجعل يقبل يديه ورجليه فقال له عقبة ما هذا وقت سلام فهل وصل إليكم الراهب شومدرس قال لا ما وصل إلينا أحد فدق كف على كف وقال علمت انه يصل ثم قال وهل عدمتم أحدا من العسكر قالوا نعم فقدنا شوما ودهرشوم والبترك وفقدنا من المسلمين مالك ابن بشر فقال لا جمع الله منهم أحد ثم قال يا قوم أنتم ألفين ألف وأربعمائة ألف كيف يدخل واحد عليكم ويسرق الرجال من عندكم ان هذا غاية العار والذل والشنار فقال له الدمشق أيها الشيخ ان أبو محمد اللص المحتال يأتى الواحد منا فى صفة ولده وأخوه وابن عمه وأبوه ويسرقنا وتتم حيلته علينا وعلى من أراد من أهل الارض فقال عقبة طب نفسا وقر عينا فسوف ترى ما يسرك ما دمت أنا حاضر عندك وخلصت من يد المحتال أبو محمد البطال ثم قال له أريد منك أيها السيد أن تحضر لى الامراء فى هذه الساعة فأنا أعلم أن شومدرس ما عاقه عن المجىء إلا عائق وربما عاقه أبو محمد البطال وصادقه فى الطريق أخذه ويكون فى مكان بيقاتل فان سلم وأتى إلينا فان الرشيد معهم والملك منويل وإن كان ما يجىء فأنا أعلم ان المفاداة غدا تقع ويبقى فى قلبى نار من الامراء وما أشفيت غليلى ولا أطفيت نار فؤادى ثم أدعى بخمسين فارس وسيرهم خلف شومدرس فعادوا آخر النهار أخبروه أنهم لقوا جماعة مقتولين فى

بعض القرى فقال لا شك ان المقتولين غلمان ظريف ثم قال أوثق الامراء وأريد أن أنظر إليهم وأعرفهم وان طول المسيح فى عمرى أقتل كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولو أمكنني كنت قتلتهم الساعة وأنا أخاف على الملوك وعلى شومدرس ومن معه ثم قال اخرجوا الإسارى فقال الدمشقى سمعاوطاعة أيها المولى ولا أخالف لك قولا ثم إنه سار من وقته وساعته إلى حرب ابن شيبان وأتى إلى عند الاسارى وعاقبوهم فقالت الاميرة ذات الهمة معلوم أنتم ونحن سواء تقعوا فى أيدينا ونقع فى أيديكم وما تقدرون على قتلنا ولو لم يكن لكم عند المسلمين أسير لان الاحوال عند العزيز المتعال ذو الجود والجلال وما أنت إلا عبد مأمور لا تقدر تصل إلينا بسوء إلا بما كتب الله علينا وما حملك على احضارنا إلا هذا الملعون الذى بجانبك وأنت أخبر بخلاصنا وضربنا وطعاننا وأنت تعلم اننا ما نقعد عن أخذ تارنا وكشف عارنا وأنا أقسم بمن خضعت له الجبابرة وجعل الافلاك دائرة والنجوم زاهرة لئن وصلت إلينا أزيه لأدخل وراك إلى القسطنطينية وآخذ رأسك وأخمد أنفاسك فلما سمع الدمشقى ذلك تغير لونه واصفر وأقبل على عقبة وقال له وحق دينى وما اعتقد من يقينى انها تفعل أكثر من هذا ومن ذلك انك أنت تعلم انى ما أنا من رجال الحرب والطعن والضرب فلا تحملنى من الهم ما لا أطيق ما تريد أكثر من هذا عارا ان قوما يكونوا فى قبضتنا وتحت أمرنا وهم يهدرون فكيف يكون الامر فقال الدمشقى هذا شىء ما أطاوعك فيه فكادت مراره عقبة ان تنفطر من شدة ما أصابه ان لا ينال منهم غرض فسكت على مضض وقال وحق المسيح لو تمكنت من الدمشقى لأضربه بالسياط حتى يقع لحمه عن عظمه (ونرجع إلى حديث البطال) لما عدم عقبة من الدار علم ان الملعون طلب الفرار فقال الامير أبو محمد كيف رأيت فعل الملعون قال يا أبو محمد قد أبحتك دمه (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك فرح فرحا زائدا عظيما واحضر الملوك الذين عنده بين يديه وقال اريد منكم المال والجزية وترحلوا عن آمد وبعد ذلك تسلموا لنا الذى فى قبضتكم من اسارى المسلمين الذين عندكم فقال له عند ذلك منويل عندى كلما تريد فقطع عليه مائة الف دينار والف راس من الخيل المسومه والف ثوب من الديباج الملكى المدثر والملون والمقصب والمرايش والمطائر وقطع على فيتفورس وميخائيل والاندرياس مثل ذلك وقطع على كل ملك مائة الف دينار ومن الثياب والخيل نصف ما قطع على الملك منويل ثم قال لهم اريد الامراء منكم والمال فقال له الملك منويل يا أبو محمد اعلم انك من طول الزمان ما تتوسط قدام السلطان إلا بالخبر وأنا أقول وحق ما اعتقد من دينى لو قعدت عندك

هاهنا إلى ان اموت ما صرفت عساكرى عن بلاد الاسلام ولو قتل كل ملك معى الا أن تعطيني الراهب شومدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم الذى ما خرجت من بلاد النصرانية إلا من أجلهم ولا وزنت المال إلا من أجلهم والبترك الكبير أيضا معهم وبعد ذلك ما آخذهم أيضا إلا بالمال وأنا أحسبهم لك أيضا مثل الملوك واوزن المال من مالى ولا أكلف أحدا إلى كشف أحوالى ثم إن الملك منويل جعل يقبل الأرض بين يدى أمير المؤمنين ويقول يا مولانا ما أعرف غير فضلك وإحسانك وكرمك فأراد الرشيد أن يوافقه إلى فعله ثم إنه رجع إلى عقله وتدبيره وقال والله ما أخذته بقائم سيفى ولا بقوة عسكرى وأنا اليوم معتقل عند أبو محمد البطال ولا أدرى على أى شىء يكون الانفصال وهو يريد الملكة نورى وليس هى فى قبضتى ولكن أنا أعاونه على الأمير عبد الوهاب وإلا رجعت إلى الحرب والقتال والضرب والنزال فدعنى أجرب سؤالى عند الامير أبو محمد البطال فى هذا المعنى فان أجابنى فأنا عنده ببال وإن لم يجيبنى فما انا عنده بشىء ثم انه أقبل اليه وقال له يا أبو محمد قد طال المطال والقيل والقال والصواب عندى ان تأخذ المال وتقبل هذا السؤال فقال ابو محمد سمعا وطاعة ثم قال فى نفسه ما يفوتنى هذا الملعون إذا مضت العساكر وخلى قلبى مما هو فيه من محبة الملكة نورى التى قد أورثت طرفى البكاء وأسقمنى الحزن وسار عشقى فى الركبان مثلا وان المفاداة مع الامير عبد الوهاب عسى يؤثر معه هذا الجميل والاحسان (قال الراوى) ففاضت عبرته مثل المطر فطلب الاصطبار فلم يقدر فأنشد وجعل يقول

وشمس نهارى فى عنان ظلام ... بوجه جميل مثل بدر تمام
شكوت اليها ما بقلبى فأمطرت ... عقيق دموع مثل فيض غمام
وقالت أيا روحى وعمرى وبغيتى ... بغمزة طرف لا ترد كلام
لقد ملكت نورى فؤادى ومهجتى ... فأصبحت لا الوى لرد سلام
سألت إلهى يجمع الشمل بيننا ... فقد أذهبت حيلى وزاد غرامى

(قال الراوى) لهذا الحديث الغريب والأمر المطرب الغريب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بألف صلاة على النبى الحبيب فلما سمع الرشيد ذلك الكلام رق له وقال له طب نفسا وقر عينا والله إنى اعاونك على بلوغ المراد وذهاب العناد حتى يرسل منويل الى عسكره ويأتى بالمال والأمراء الى عندنا واما الأمير عبد الوهاب فما أطلق سبيله حتى يحلف لى انه ما يبخل بها عليك ويجود بها اليك فعند ذلك اقبل ابو محمد على ملك الروم وقال له لقد اجبت سؤال مولانا الخليفة

وسؤالك ثم أطلق لك شومدرس وزوجته وولده دهرشوم والبترك الى ان تحمل الى المال الذى ذكرت فأرسل من يأتى ثم أنه أستوثق منه باليمين فحلف له على ذلك وفرح ملك الروم وأطلق البترك والاندرياس من أجل أخذ المال من الطوائف وسار الى عسكر الروم ولما وصل أقبلوا عليه البطارقه من كل جانب ومكان وجعلوا يقبلوا يديه ورجليه وسألوه عن الحال فأخبرهم بما انقطع عليهم من المال فقالوا هذا أمر قريب والرحيل إلى بلادنا امر عجيب قال وأحضر الأندرياس خواص المملكة وأخذ المال من الرجال والشباب والخيل والسلاح فعندها جاء عقبة لعنه الله تعالى الى الأندرياس والبترك وهنأهما بالسلامه وسألهما عن شو مدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم فقالوا قدوقعت عليهم المصالحه فقال على ماذا عولتم قالوا حمل المال والخيل والاسارى والا فمالنا الى الملوك سبيل فقال ياقوم ارفقوا على أنفسكم واعلموا انى قد عولت على أمر فاسمعوا الى فقالوا شبعنا من سماع الكلام على ممر الزمان والدهور وقد ضاقت منا الصدور وكل يوم عسكرنا مقهور وقد جعلونا فى الحبوس فدعنا نرجع والا هلكنا وبطل علينا ضرب الناقوس فما رأيك الا منحوس ولو كنت معنا البارحة ونحن مكتفين لقلت هذا طالع معكوس فقال عقبة أين البترك أحضروه فلما حضر البترك وسمع هذا الكلام أعرض عنه ثم قال عقبة لعمرى ما أنت من رجال الحرب وأنا الرأى عندى لاتوفوا هذا المال الكثير وعندكم هذه الأسارى وهم قوام عسكر المسلمين وقد خلص الملك الاندرياس وهو فى عالم عظيم ما خرج الملك منويل قط بمثله أبدا وعساكر الرشيد انكسرت وما بقى الا عسكر عبد الوهاب وبنى كلاب فيركب الملك الاندرياس ويحمل عليهم فاذا انكسروا بين أيدينا نقصد ارض سجستان والموصل ونخرب تلك الاعمال ونأخذ الاموال والرجال ، والرشـــيد ههنا لايقدر أن يجمع عسكر وإن الزمان قد تكدر وما خرج من خراسان عسكر وأن العساكر مكسورة وآمد محصورة وتطلب بعد ذلك بغداد فما يقدر أحد من الاكراد يقف بين يديك وأنت أقوى الملوك أجمع بلا محال وأقوى من الرشيد وبنى كلاب وبعد هذا فما يبقى قدام مولانا أحد وأما أبو محمد البطال ان سار اليكم وأخذتموه يفدى نفسه بالملوك وبعد ذلك تعودوا الى بلادكم ويقع الصلح بينكم على أنكم ما تحملوا الى بلاد الإسلام حبة واحدة وما عذركم اذا وصلتم الى بلادكم تقولون وصلنا إلى بلاد الإسلام وأعطيناهم أموالنا ورجعنا فى عافية فقال له لقد صدقت وحق دينى ولكن اذا مضيت أنا الى بغداد كيف أعمل بهؤلاء الأسارى

وهم أمراء المسلمين فقال عقبة سلمهم لى واجعل زمام امرهم فى يدى واعطينى من العسكر أربعمائة ألف وأنا أسير من طريق آخر وامضى أنت كما ذكرت ولم فى الأمر غير أنك تأخذ بلد أخرى وتأخذ منهم من المال ما ذكروا لك وسوى ما تأخذه من الاسارى وان نصرت وأخذت العراق وملكتها واخذت الملوك من ههنا وأنا أمضى بهؤلاء الاربعمائة ألف فارس وأسير الى ملطية فما فيها عسكر وأبو محمد ما يخلى بغداد وبلاد العجم والعراق ويفرق عسكره ولا يبقى فى البلد من يذكر شجاعته إلا سبيل الافتخار من سائر الناس وأما البطال فما له إلا اللصوصية وأنا أنزل على ملطيه وآخذ الملكة نورى التى هى بغية الطالب وفيها يرغب الراغب ذات الوجه الجميل وأسبي الحريم ولا أدع طفلا إلا يتيم ولا أبقى رضيع ولا فطيم وأضربهم بالسيف ضربا غير سليم وآخذ منها مالا عظيم (قال الراوى) فلما سمع الاندرياس ذلك الكلام قال نعم ماذكرت فعندها قال له مارس ودارس أيها الشيخ النجيح أن هذا ليس بصواب ان الملك منويل أسير وقد حلف للمسلمين وماندرى ما يكون ونخشى أن لم نزن المال فما يبقى الى خلاصه سبيل ولا يبقى لنا وجه عنده والصواب نحمل المال ونسير اليهم فى غير هذه النوبة فلو كانت محمودة العافية كانت من اولها باينة فقال عقبة لاتتعرضوا الى فيما أقول ثم أن عقبة أقبل على الأندرياس وقال دع هؤلاء الكلاب وأهجم هذه الساعة على بنى كلاب فاستصوب رأيه ومشورته وقسم العساكر قسمين فى كل قسم ألف ألف هذه سوى العسكر الذى انضاف الى عقبة وانضاف إليه حرب ابن شيبان فى ستين الف عنان وسلم اليهم الامير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة وتمام الامراء ولم يخلص منهم الا الامير مالك هذا وقد ركب الاندرياس فى جميع الناس بالطوارق والقنطاريات والسيوف والأتراس وعول أن يبادر الناس بالحملة فقال عقبة أعلم ان بنى كلاب أنجاب معودين بالطعان والضراب ولا آمن منهم ولا من السودان الانجاب الذين كانهم سباع الغاب ومن الصواب ان ترسل رسول الى العسكر تخبر انك اصطلحت مع الامير ابو محمد البطال ومع الرشيد وقد فديت الملوك بالامراء وقد عولت على الرحيل فان كانت العساكر ما ثرة لايكونوا بنى كلاب على اهبة فقال الاندرياس الامر اقرب من هذا ونحن فى الفين الف وتحتاج الى هذه الفعال فما يكون هذه إلا ذلة عظيمة ثم ان الاندرياس ركب فى سائر البطارقة والعمالقة والزغاورة والكرج والارمن والبنجاك والانجار والافرنج والصقالبة والبنادقة والملافطه واليونان (قال الراوى) وكان الامير مدركة وضيغم وبنى

كلاب قد طابت قلوبهم بأن ملك الروم عند أبو محمد أسير هو وجميع الملوك وانهم او الى الصلح أشوق من المسلمين وبحسبوا هذا الأمر ولا خطر على قلب بشر منهم أن يدبر عليهم عقبة اللعين (ياسادة) فعندها حمل الاندرياس فلم يلحقوا ان يركبوا خيولهم حتى مكنوا منهم السيوف الصقال والرماح الطوال وأما الامير مدركه لما نظر الى ذلك أيقن انه هالك وقال ياقوم إياكم والهرب فلم يبق منكم أحد فصاحت عند ذلك السودان وأبطال بني كلاب وقاموا للحرب والقتال والنزال فى طاعة الرب المتعال وقوى عزمهم وحملوا على الروم فخيل لاهل آمد أن الدنيا قد انقلبت بأهلها لان الألفين ألف من الروم صرخت صرخة واحـــدة واستقبلوهم المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والثناء على رب العالمين فقال الرشيد يأبو محمد دعنا من هذا ولا تهل أمر بنى كلاب فيهلكون فى هذا البحر العجاج فقال سوف ترى العجب إن شاء الله تعالى وكان الروم قد حملوا على بنى كلاب وقصدوهم فى الطعن والضراب ورموا فيهم الكلاليب الحراب حتى جالت من حولهم الذئاب ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والاسلام بالاصوات تجلجل إلى أن ارتفعت الشمس فى قبة الفلك وطلبت الارواح الخروج من الاجساد فصاح الامير ضيغم بالله عليكم استندوا الى الاصوار وإلا شربتم كاس البوار فقالوا كلهم السمع والطاعة ومالوا كلهم الى نحو البلد وقد تمايلت فى سروجها الفرسان وكلت الركبان وتجرد الامير أبو محمد فى مائة ألف من الفرسان الابطال الاكراد وستين ألف من السودان وفتحوا الباب وفى أوائلهم مالك بن بشر وميمون الجماس وحملوا على الروم وكان يومهم يوم مذموم ولم يزل السيف يعمل ان طلع عليهم الغبار وهاج الامير مالك وحمل هو ومن معه من الابطال واشتد القتال وتقطعت الاوصال وكانت ساعه كثيرة الاهوال وما كانت الا ساعة حتى رموهم الروم الى البلد ونظر الامير أبو محمد الى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وعلم أنه إن وقف هلك فما كان له ملجأ إلا الدخول الى آمد فدخل ودخلت الامراء من حوله ووقف الامير ضيغم والامير مدركه وقالوا لو هلكنا ما دخلنا إلى البلد إلا ان يأذن لنا الامير أبو محمد فنادى أبو معاشر المسلمين ادخلوا البلد فدخلوا الناس بأسرهم ورحل الاندرياس فكان أول عسكر فى نصيبين وآخره فى الغزاه هذا وأبو محمد والرشيد فى حيرة لا يدرون ما يعملون فقال له أبو محمد مالذى ترى يامولانا من الرأى والتدبير فقال والله ان هذا الملعون قد أخرب

البلاد وماقدامه من يلقاه ولا يرده عن هواه لان عسكر خراسان مالمجيئة سبب لبعد المسافة وهذا زمان الشتاء لا يقدرون على المجيء إلى بغداد وتشمت بنا الحساد فقال الأمير أبو محمد الرأى عندى ان تخلف الأمير ميمون الجماس فى ألف فارس فما يبالى بكل من على وجه الارض فى طولها والعرض وتخرج ونتبعهم فان قصدوا الموصل طلبنا نحن الجزيره ونحن أجنادنا من الرقة وحلب وانطاكية الى أرض الشام ونرسل إلى طرابلس والساحل وتضم معك الرجال من كل جانب ومكان ولابد ما نجمع عساكر العراق وتأتى المسلمين من سائر الآفاق فان الله تعالى قال وهو أصدق القائلين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فقال الرشيد نعم مارأيت (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا با سودان قد دخلوا عليهم ومعهم رجل فى يده كتاب فلما دنى من الامير أبو محمد عرفه فقال له ماأنت غلام مارس قال نعم قال مامعك من الاخبار قال يامولاى هذا كتاب مارس اليكم ثم ناوله الكتاب فأخذه وفضه وقرأه واذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الانسان لا ينسى الذنوب والعاقل من قريب يعود والعارف الذى صديقه من هو سالم ومن له خطر والدين لا يغفل المسلمين وأخبرك انى أرسلت الاسطر الواردة بأن الملعون عقبة قد سار الى ملطية ومعه الأمير عبد الوهاب وسائر الامراء فى الاعتقال والمقدم الذى معه على الجيوش حرب بن شيبان وأنتم تعلمون ما بينه وبين الأمير عبد الوهاب من العداوة وكل من معه من الامراء هالكين لان عقبة على نية قتلهم وإذا وصل الى ملطية فى ليلة واحدة يفتحها وهى مأخوذة لا محاله وقد سار اليها فى أربعمائة ألف من الابطال والعرب المتنصره وملطية ما فيها من يصد ولا يرد وقد أوصى الله عز وجل بالجهاد عن الحريم فى طاعة الملك القديم فلا تؤاخذ الامير عبد الوهاب من أجل امراة روميه ولا تنسى الوداد القديم وأول من تسي نورى التى لك ولعبد الوهاب وجرى لكم عليها ما جرى فدبر فى خلاص الامراء ان كان مافرط الامر فيهم لان عقبة قد أعطى العرب المتنصرة عشرة آلاف دينار حتى يقتلوهم اذا اشتغل حرب بن شيبان بحصار ملطية فعند ذلك ينزل بالامراء الرزية وأما الاندرياس فإنه وصل اليه جاسوس وأخبره ان الامير عمرو ابن عبيد الله وصل إلى الموصل فى عسكر العراق والبصرة والحجاز والسواحل والاكراد وقد انضم اليه عالم عظيم وقد أخرج المجاهدين ونادى المنادى فى بغداد ان الرشيد محاصر فى آمد فلم يبق أحد الا وقد خرج فى طاعته وطاعة الواحد الاحد وقد انضاف اليه أهل الموصل والعساكر وهو فى خمسمائة ألف سوى بنى

سليم فى مائة ألف وأن الملك الاندرياس ملك نصيبين وهو على نية الملتقى فالعجل العجل وإياك والتقصير والذال فيهلك الامير ومن معه من الاصحاب ويقرب الامر ولا سبيل بعد ذلك إلى أمر تقصده (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ما فى الكتاب وصحت له الامور فى حق الامير عبد الوهاب فأرمى الكتاب إلى الرشيد فلما قرأه عظم عليه وكبر لديه وقال يا أبو محمد صحيح ما يقال فى حق هذا الملعون عقبة فقال يا مولاى لا بد ما تسمع فى أمر هذا الملعون أكثر من هذا فسير معى ترى العجب فانى أوقفك بعد هذا الكتاب على أمور من أجل ملطية وما فيها من النسوان المصليات الطاهرات العربيات فان كنت تسير أنت إلى بغداد وأسير أنا إلى ملطية وخذ أنت السودان والاكراد واطلب أرض العراق وترسل إلى سائر المواضع حتى يلحقوك ويقر قلب الامير عمرو ومن معه فان نحن كفينا مؤنة هذا الملعون الذى على ملطية أتينا إليك وجاهدنا بين يديك فقال الرشيد يا أبو محمد إذا كان الامر على ما ذكرت افعل ما أردت فعند ذلك جرد الامير أبو محمد الاكراد فى مائة ألف والسودان فى مائة ألف وأنفق فيهم الاموال وسارت الرجال ورحل بهم الرشيد يطلب بلاد العراق فهذا ما كان من أمر الرشيد (وأما ما كان م من أمر الامير أبو محمد البطال فانه أخذ من وقته وساعته ميمون الجماس ودخل إلى ملك الروم وقال يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية وجرد سيفه فى وجهه وقال يا ملعون وحق من أغنى واقنى وأضحك وأبكى وأمات وأحيى وفرد بالمجد والثناء لئن لم تفعل ما آمرك به لأضربن رقبتك ورقاب سائر الملوك فقال ملك الروم لما سمع كلام الأمير أبو محمد أيها الأمير وما عسى أن أصنع أمرنى بأمرك فانى لا أخالفك لا أنا ولا أحدا من الملوك وقال أبو محمد لسائر الملوك مثل ما قال الملك منويل فأجابوا كلهم إلى ذلك وقالوا نحن بين يديك وما لنا قدرة على مخالفتك فقال سوف أقول لكم هذا وقد أحضر شومدرس وقال له ويلك يا شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة أريد منك اتباع أمرى فاذا أنت أبيت الساعة ضربت عنقك وعنق دهرشوم وشوما ووالله لولا الامير عبد الوهاب عندكم مأسورا لا والله كنت صلبتك وصلبت العاهرة شوما معك وأنال بذلك الاجر من المولى فقال شومدرس يا ابو محمد لا تفعل تندم الملك اشترى روحه وأرواحنا بالمال وإن هذا ما كان منى وإنما فعله الشيخ النجيح فقد بان لى الامر الذى تأمرنى به وأى حاجة لك تكون فقل لى حتى أبادرك على قضاها ولو كان فيها حتف نفسى فقال البطال أريد الساعة تكتب كتاب عن

أذن الملك وسائر الملوك الى حرب بن شيبان وعقبة تقول لهما عنى انى قد سمعت انكما قد عولتما على قتل الأمير عبد الوهاب والذى عندكما من الأمراء وبقية المسلمين وهذا من أعظم الجهل وغاية القبح وأعلم أن رأسى ورؤس الملوك مرهونة بقتل واحد من الذين عندكما ففعل الملك ذلك وكتب أيضا كتاب يقول فيه قد كتبت هذا الكتاب بيدى ويعلم الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح أننا فى الحبس فى أنجس موضع وأضيق مكان ونحن نهدد بالقتل صباحا ومساء وأنت تعلم ان هذا الامر الذى فعله الاندرياس ما كان صواب ولو كان معه صبر حتى كنا نخلص من الاسركان بالاختيار الى أن نمضى الى بلادنا والامصار وأتينا الى العراق بعساكر تملأ الآفاق ونظفر بالمراد والآن فقد جرى ما جرى ونحن هالكون بلا محالة فاذا قرأت كتابنا فلا تتعرض للأسارى فما رؤسنا معلقة على الأسارى وان قتلت واحد منهم فهو برؤسنا واعلم ان الأمير أبو محمد قد وصل اليه كتاب من بعض الجهات يذكر فيه أنك عزمت على هذا الامر الذى ذكرناه فاياك أن تفعل شىء من ذلك فنهلك ونعطب والسلام ثم طوى الكتاب وختمه وكتب كتاب آخر الى حرب بن شيبان إياك أن تمكن عقبة من قتل الاسارى وتأخذهم إلى عندك وتجعلهم تحت يدك حتى تنفصل هذه النوبة على أى حالة كانت وأعطى الكتاب الى الأمير أبو محمد البطال فقرأه وخطوا خطوطهم سائر الملوك وكتب شومدرس كتاب يذكر فيه مثل ذلك ثم أن الامير أبو محمد ادعى ببعض البطارقة المأسورين وقال له سر بهذا الكتاب والمال الذى عليك أنت فى حل منه وأنا آخذه من الملك منويل فاخذ البطريق الكتب وسار يقطع الارض إلى أن وصل إلى عسكر الروم وأوصل الكتاب لى حرب بن شيبان فرأى فيه أ. صيك لا تمكن عقبة فى الامراء (يا ساده) ثم ان البطال ادعى بالامير ميمون الجماس وضم إليه ألف فارس وقال ما يحتاج أوصيك على البلد لانى خائف على ملطية وعلى نسوان بنى كلاب يتم عليهم أمر يوجب الملامة على وأخاف أن تؤخذ الملكة نورى الذى جرى من أجلها هذه المصائب فقال ميمون الجماس اعلم ان عسكر الروم عظيم وهو فى اربعمائة ألف وفى العسكر مثل عقبة يدبر على أهل الارض ويعمل عليهم الحيل والمقدم عليهم الذى أخذك من تل الثعالب وهو حرب بن شيبان فقال أبو محمد هذا أمر لا بد منه لأنى أخاف إن قعدت هلك الأمير والأميرة وسائر بنى كلاب والأمير قراقد وما فى الامراء مثله وكذلك السيدة المجاهدة العابدة التى طول زمانها لربها راكعة ساجدة الاميرة ذات الهمة وتروح حبيبة قلبي ومالكة

فؤادى وغاية مرادى الملكة نورى وأنت تعلم ما فى قلبى من حرب ابن شيبان وأخذه لى من تل الثعالب فقال ميمون الجماس اذا كان الامر على ما ذكرت فاترك فى البلد غيرى يحفظه وأنا أسير معك ولى أسوة بك فقال الأمير أبو محمد ما يطيب قلبى ان أسلم البلد لأحد غيرك وأما أنا ما أسير مع بنى كلاب إلا وأكون كواحد منهم والامير ضيغم مقدم الجيش وأسير أنا وغلمانى فى جهة اخرى لعل الله تعالى أن يوقع عقبة فى يدى فو الله لا بد لى ما أفعل به فعلا يعتبر به الناس الى يوم القيامة ولعلى أظفر بالامراء وآخذ على الامير عبد الوهاب العهد والميثاق انه لا يتعرض للملكة نورى فقال له افعل ماشئت فقدم ضيغم على العسكر وقال ارحل وأنا وغلمانى نسير معك فرحل الأمير ضيغم والأمير مدركة فى مائة ألف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان الانجاب الذين كانوا مع قراقد وقد استخلف على آمد ميمون الجماس وأوصاه على حفظ البلد فى ألف اسود ولم يكن فى البلد غيرهم وباقى السودان والأجناد والاكراد ساروا مع الخليفة الى بغداد وأما الامير أبو محمد البطال فانه سار هو وغلمانه الاربعة بعد رحيل هؤلاء (ياساده) وأما عساكر الروم الذين مع جرب ابن شيبان والعرب المتنصرة والقاضى عقبة لعنه الله فانهم لما رحلوا من على آمد جعل عقبة يحث الناس على المسير وقد غير زيه وصبغ لحيته خضراء ولبس لبس مطران وتنكر على أهل الارض والخلان وصار يكد الناس الى ان وصلوا الى شمشاط وخرت برت عند ذلك قال اللعين عقبة لحرب ابن شيبان على ماذا عولت قال النزول على ملطية فقال عقبة أنت تعلم ان فى قلبى نار لا تطفى من الاسود الزنيم وبنى كلاب وهؤلاء العشرة وهم قوام المسلمين فان هلكوا ما يقوم للمسلمين قائمة فاضرب رقابهم فلما سمع حرب ابن شيبان ذلك قال يا قاضى عقبة ما يمنعنى عن قتلهم وقتل الذين معهم إلا شىء واحد وهو أن أبو محمد البطال إذا بلغه قتل عبد الوهاب وقتل الامراء يقتل الملوك والملك منويل وان خلص الملك تنقص منزلتنا عنده ويقول أردتم تملكون الارض وتأخذون الملك من الروم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع كلامه ماوجد الى قتل الامراء سبيل فعند ذلك أقبل على حرب ابن شيبان وقال له متى يسمح له الزمان بمثل هذا اليوم دع عنك هذا فما تنقص الروم عن مائة الف رجل ولا يعوزنا من نجعله ملك ونجعله من تحت أيدينا ونوليه بحكمنا وان لم نجد من يصلح للمملكة فأنا ادبر على تحصيل المملكة لك فى القسطنطونيه وتفتح الخزائن وتخرج الاموال وتنفق وتعطى الرجال وأنت فى عالم عظيم من العرب المتنصرة فدع عنك بهذا الحال واسمع ما أقول لك تصير ملك عظيم وتطيعك سائر

الأقاليم لأنهم ما يبقى فيهم من يساويك ولا يقاويك ولا يضاهيك فقال له وقد لعب بعقله هذا هو الرأى السديد ولكن أخاف أن الروم لا ترضى أن يكون لهم ملك من العرب فقال عقبة اعلم إن قتلت هؤلاء الشياطين الذين هم معك مأسورين لايخلو الأمر من ثلاثة أشياء الأول من المسلمين فانهم ما يقتلوا الملك رغبة فى المال لأن المسلمين جرت عادتهم بذلك وإن كان الأمر على ما ذكرت فقد استرحت من هؤلاء ونحن إن سلم الملك منويل فيكون لك عنده اليد البيضاء ويشهرك فى بلاد النصرانية لأنك أنت الذى قتلت الأسود وأمه ذات الهمة البدوية وابنه سيف الحنيفية وبرد بن الازهر صاحب المواقف العلية وسعيد بن الفرج الضارب بالمشرفية ولو لم يكن فيهم إلا ذات الهمة صاحبة الحيل التى يعجز عنها كل البرية وتخرب ديار النصرانية وكم مرة هى وولدها ملكوا باب القسطنطونية وكم خلصت الاسود بعد ماوقع فى إشراك الرزية وكم أوقعت يحيى عبد الوهاب البطال فى يد الرشيد وأقول أن هؤلاء يريدون أن يملكوا الدولة العباسية ويسلمون الخلافة إلى واحد من العلوية ويسمع قولى ويقبضهم حتى أقول انهم قد هلكوا بالكلية فتحلهم هذه العاهرة العربية لا سيما ولدها عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وضيغم رأس كل بلية وهارون العلوى الضارب بالمشرفية وهذا الشيطان الآخر الذى يسمى قراقد الذى فى ضرباته المنية الذى رأيته فى الحرب مثل الاسد فى البرية والثانى إن قتلوا المسلمين الملوك والملك منويل فأرادوا التحرش بالاندرياس رجع إليهم وأهلك صاحب الامارة والولاية ويقتل أهل العراق وتملك الملكة نورى وتسمع العرب وصعاليك الحجاز فيلقوا إليك أنفسهم مثل الجراد المنتشر ويدخلوا فى دين النصرانية وتصير لك رتبة عليه (قال الراوى) ياسادة يا كرام ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا على ملطيه وصارت ملطية مثل المركب فى البحر المالح إذا كان كثير الامواج فلما رأوهم أهل ملطية ارتعبوا منهم وطلعوا على الاصوار وأحموا أنفسهم (ياسادة) وأقام حرب بن شيبان على ملطية عشرة أيام ولم يجسر على قتل الأمراء وجعل يفكر فى العاقبة ويقاتل أهل البلد وقد صعد النسوان والشيوخ الكبار الذى قد ضعفت منهم الابدان ولم يبق أحد إلا وقد طلع وكانوا اثنى عشر ألف من شباب وشيوخ ومن النسوان عالم عظيم وفيهم نساء بنى كلاب عن بكرة أبيهم وكانوا عربيات شديدات الحيل وقد خالطوا الهموم فى الـ[illegible] [illegible] قطعوا قصوم الفلاء (قال الراوى) يا سادة يا كرام ألا انهم وقفوا فى [illegible] أربعمائة ألف من الروم الكفار عشرة أيام ولما كان فى اليوم الحادى عشر وقد أشرفوا الروم على أخذ البلد فنادت النسوان واحمداه واسيداه

واسبباه واقلة ناصراه واقلة رجالاه وعقبة يقول لحرب بن شيبان اقتل هؤلاء الاسارى تملك البلد إذارميت برؤسهم إلى نسائهم وأولادهم ولما رأى عقبة أن حرب ابن شيبان ليس له جسارة على قتلهم قال فى نفسه أنا أضرب فى حديد بارد وإن لم أعمل على قتلهم ماأبلغ مرادى والمنا ولاأظفر بالهنا (قال الراوى) ياساده ياكرام فهو على هذه النية إذ أقبل عليه حرب بن شيبان وقال له أيها الشيخ النجيح ان هذه البلد نأخذها اليوم أو غدا بلا محالة وقد عولت على أن أقتل عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وأريد تعاوننى على أى حال من عاقبة الامور وتحلف لى الساعة فقال عقبة افعل ما بدالك ثم أحضر الإنجيل وأمر العسكر أن يبطلوا القتال وقال هذا يكون فى غداة غدلان حرب بن شيبان قد عول على أمر فيه صلاح لعبدة الصلبان فنزلت الروم من كل مكان من حول ملطية وبقيت ملطية مثل القدح الزجاج فى البحر العجاج (قال الراوى) ياساده ياكرام فحلف عقبة بالإنجيل أربعين يمين إن قصرت عنك يحشرنى الله يوم القيامة فى صورة مسلم لان ذلك أبغض الاشياء إليه ومسخه الله خنزير إن كان قلبه إلى ذلك يميل ولا كان له فى دين النصرانية نصيب إن لم أكون لك مساعد على ما تريد (ياساده) فهم فى تلك الحالة والبطريق الذى أرسله ابو محمد بكتاب الملك منويل وصل إليهم وقدم عليهم وأعطاهم الكتاب الذى يختص به حرب بخط الملوك فكان حرب بن شيبان كانه نائم واستيقظ وقال فى نفسه لقد كان عقبة يريد يوقعنى فى تقطيع القفاوعرك الآذان فاحمد المسيح الذى لم يفرط منى فى هؤلاء الامراء بشىء فكنت مطالبا إلى آخر الزمان ثم قال لعقبة أيها الشيخ النجيح انم فى هذا الامر الذى كنا فيه وعولنا عليه أو نسمع كلام الملك منويل وسائر الملوك (ياساده) وكان كلام حرب بن شيبان لينظر مافى نفس عقبة وكان عقبة أيشم أهل الارض وأخبثهم وأمكرهم فعلم ما خطر فى قلب حرب بن شيبان فقال أيها الامير ان العجلة من الشيطان وأن التأنى فى الأمور يوجب بلوغ المنذور فقال حرب ولم ذلك أيها الشيخ فقال عقبة الرأى ما كان إلا معك فى قولك لا نقتل ولا واحد منهم ولو كان فرط منا فيهم كنا نكون المطالبون بهم إلى يوم القيامة من شىء واحد ويهلك الملك منويل وما للنصرانية مثله (قال الراوى يا سادة ياكرام فطاب قلب حرب ابن شيبان بحديث عقبة اللعين وقال لا شك أنه قد رجع عما كان فيه وعول عليه ولما مسى المساء ادعى عقبة برجل من العرب المتنصرة يقال له دويب وكان ابن عم حرب وكان حرب يبغضه ولا يخلى الملك يعطيه شيأ وكان معه تحت الذل والهوان وكان

لدويب سبعة أولاد كأنهم كلاب الغاب ومن تحت أيديهم اثنى عشر رجلا وكان على غاية من الصعلكة فقال له عقبة وقد دعاه إليه ماقولك فيمن يغنيك إلى الأبد قال بماذا يامولانا وأنت تعلم أن الملك منويل ماينظر إلينا بعين رعايته فقال له عقبة طب نفسا وقر عينا وذلك انى أعطيك ما لم تقدر تنهض به والجاه والحشمة والاقطاع وأعطى الرجال الذين معك كل واحد منهم ألفى دينار وكذلك أعطى أولادك السبعة فيكون لهم جميعهم أربعين ألف دينار وبعد ذلك أعطيك مثل ما أعطى الجميع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع دويب ذلك طار عقله من الفرح وقال ما تأمرنى أن أفعل تريد أن أقتل روحى أو أوثب على حرب بن شيبان فقال الأمر أقرب من هذا أريد أن تحضر عندى أنت ورجالك وأولادك وقت هجوع الناس ويظلم الليل وتأخذون هؤلاء الأسارى المسلمين وتسيرون بهم إلى أرض النهروان من بلد أنطاكية فاذا وصلتم إلى هناك فاقصدوا إلى قرب الدير واطلبوا صومعة جرجس بن يوشع الراهب وتوصلوا إليه كتابى هذا وتعطوه الاسارى وتأخذون منه الأموال وطيبوا قلوبكم وعرفوه أنى واصل إليه عن قريب (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا كلام ذلك اللعين قالوا له طب نفسا وقر عينا وإن أردت قتلهم قتلناهم فقال عقبة لاما أريد إلاعقوبتهم لانهم كانوا يقولوا لابد أن نصلبك على باب الذهب وأنا أقول لهم لابد أن يوقعكم المسيح فى يدى وتنظرون ما يكون فقال دويب أمرك يا مولانا مسموع ثم أخذوا الأمراء ولم ينكر عليهم أنهم أولاد عم حرب وصاروا تلك الليلة فى خيمة اللعين عقبة فقال لهم عقبة مابقى لهم إلا المسير ثم انه كتب كتاب إلى الراهب جرجيس وسلمه إليهم ثم أخذوا عشرة صناديق من المطبخ وحطوا الأمراء فيهم وكان عقبة من خبثه أعلم دويب وقال له إذا دخلت على الأمراء فقل لهم جاكم الفرج حتى يساعدوك على أرواحهم ويطمئنوا ويعلموا أنكم تحملوهم إلى المسلمين ففعلوا ذلك وساروا بهم حتى حصلوا فى خيمة عقبة وأقاموا الرجال على رؤسهم بالسيوف وجعلوا الأكر فى أفامهم ووضعوهم فى الصناديق وقال لاتطعموهم فى اليوم والليلة إلا أكلة واحدة بقدر ما يمسك منهم الرمق (قال الراوى) ثم خرجوا ومعهم عقبة وأوصاهم بما أراد وساروا على فرسخ من الطريق وإذا بأشباح تلوح فى ظلام الليل فقال دويب لأولاده انظروا هذه الاشباح وعودوا إلينا بالاخبار فمضوا وعادوا وقالوا هذا رجل من عند ابن الاندرياس يخبر انهم أخذوا نصيبين وهم ينظرون عساكر الموحدين أن تصل إليهم فلم تصل فرحلوا إلى برقعيد فالتقاهم هناك عمرو بن عبيد الله فى ستمائة ألف وهم عسكر العراق ويكون

لقاهم يوم الاحد إذا ارتفع النهار وقد أرسل الأندرياس هؤلاء هم من بنى عمنا يطلبون فى ذلك رأى الشيخ النجح فيما يفعل فانهم رأوا فى رأيه البركة والخير ولا شك إذا رأوا هذه الصناديق معنا يقولون عرب ابن شيبان رأينا فلان وفلان ومعهم كذا وكذا فيلحق بنا أسرع من البرق ويرسل فى كل طريق منهم قوم ونحن مشتغلين وخيلنا ضعفاء فيفوتنا المال ويكون سببا للنكال فقال لهم دويب لقد قلتم الصواب ولقد نظرتم موضع النظر وعندى رأى وهو اننا نعمد عليهم ونقول انزلوا حتى تأكلوا معنا شيئا فلقد أتيتم تعابا من المسير فى هذه الايام ويكون نزولنا فى هذا الوادى فاذا نزلنا ونزلوا فنكون قد انفردنا عن الطريق فنضع الخناجر فى المحاجر ونذبحهم ذبح التيوس ونأخذ سلابهم وعددهم ودوابهم ويكون ذلك قوة لنا على الطريق ونجعله توفيق مضاف الى توفيق وإن لم نفعل ذلك بهم وإلا فما يبقى منا أحد إلا وهلك (قال الراوى) فاستصوبوا رأيه وقالوا هذا هو الصواب وساروا إلى أن التقوا وسلموا عليهم وقالوا لهم إن دخلتم المعسكر فى هذه الساعة يأخذكم الصياح من كل جانب وسهام الحراس وماندرى ما يكون منكم وعندنا رأى أن تنزلوا عندنا وتأكلون شيئا من الزاد وترعوا خيولكم الى الصباح ثم بعد ذلك ترحلون فلما سمعوا ذلك لم ينكرون شيئا من أمورهم لانهم يعرفونهم لاجل ما بينهم من القرابة والدين فلم يجدوا سبيلا إلى مخالفتهم فساروا معهم ونزلوا فى ذلك الوادى الذى ذكروا فلما نزلوا قدموا لهم الطعام فلما اطمأنوا قاموا إليهم بكل حسام فما أحسوا حتى عملت السيوف فى رقابهم فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا اسلابهم وعددهم وخيولهم وساروا إلى ما أمرهم به عقبة فلما أصبح الصباح طلب حرب بن شيبان الامراء فلم يجدهم فعظم عليه وكبر لدية وسأل اللعين عقبة عنهم فحلف له أربعين يمينا بالانجيل أن ما عنده منهم خبر فبينما هم كذلك وقد أمر العساكر بالزحف الى ملطية حتى يأخذها وإذا بغبار قد طلع من ناحية آمد حتى سد عين الشمس ثم انكشف عن مائة وعشرين ألف عنان وإذا فى أوائلهم الأمير ضيغم ولد الأمير عبد الوهاب وهو ينادى يا الكلاب يا الكلاب ولما وقعت العين على العين وقد نظروا إلى الأمير ضيغم وبنى كلاب فلم يفكروا فيهم ولا التفوا إليهم لانهم فى عددهم مرار والثانى قد علموا أن أبطالهم قد عدموا هذا والأمير ضيغم قد كب رأسه فى قربوص سرجه وحمل فقتلوهم الروم وحملوا عليهم وارتجت الأرض من كثرة الركض وكانت السلامة للهارب أوفى حظ فعند ذلك التحم القتال وطلبوا النزال وحامت عليهم الآجال ودارت بهم طوارق الأهوال وطحنت رحا الحرب رؤس الأبطال وضجت الارض من قطرات دماء الابطال

ولم يعرف اليمين من الشمال ولم يعرف الولد أبيه من شدة الزلزال وصارت الخيل تطلب لأنفسها النجاة من المحال والرجال تغصبها على الجولان وجاء الحق وزهق المحال ولم يبق إلا الصدق وبطل الضلال ولم يزل الناس فى هذا الحال إلى أن نودي فى كتائب النهار بالارتحال وفى كتائب الليل بالانسدال ونادى المنادى بالانفصال وقد رجعوا عن بعضهم البعض وهم سكارى من غير مدام وأضرمت النيران وتحارس الجيشان وكانت بنى كلاب قد حرست أن تصل إلى ملطية فلم تقدر على ذلك وقتل منهم جماعة من الابطال وقتل من الروم خمسون ألف ومن المتنصرة جماعة من الاقيال وكان ذلك اليوم مثل يوم الساعة إلا أنهم ما بان فيهم النقص لكثرتهم ونظر النقص فى بنى كلاب لقلتهم ولما أمسى المساء واختلط الظلام ونزلوا الناس فى الخيام واجتمع حرب ابن شيبان مع عقبة اللعين وقال له أيها الشيخ النجيح انه ما جرى على قلبى هما وغما مثل ما جرى على قلبى من فقد الأسارى والملك وسائر الملوك والشيخ الصالح شومدرس والراهبة شوما وولدها دهرشوم والبطارقة الكل مرهونين عليهم فيالها من مصيبة ما كان أعظمها وما أظن اننا نلتقى بهم خير لاننا فرطنا فيهم ولقد بلينا اليوم بعساكر بنى كلاب ولقد امتلأت الارض بالقتلا وسالت على الارض الدما ومع ذلك لم نبلغ شيأ ولا أخذنا من له قدر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع عقبة ذلك الكلام من حرب ابن شيبان قال أيها الامير لا تحمل على قلبك هم ولا غم من الاسارى فانهم لا شك سرقوهم المسلمين وما فعل ذلك إلا أبو محمد البطال وأما الملوك فانهم يشترون أنفسهم بالمال والهدايا والرجال وأما العسكر جرى لنا معهم ما جرى فيكون لنا معهم شأن وأى شأن فقال حرب أيها الشيخ النجيح بحق ما تعتقده إلا ما دبرت لنا حيلة يكون فيها التعكيس لهذا العسكر فقال عقبة أيها الامير طب نفسا وقر عينا فانى فى غداة غد أعمل على تقتيل المسلمين وهزيمتهم ولكن أريد منك فى مقابلة ذلك إذا فتحنا البلد تبذل السيف فى كل من فيها من كبير وصغير ولا ترفعه عنهم حتى لا يبقى منهم أحد فانى قد آليت على نفسى انى أترك الدم فى أزقتها يسيل ولا بد ما أترك الابدان مطروحة حتى تجيف فقال حرب ابن شيبان لك على ذلك (قال الراوى) فلما سمع ذلك اللعين عقبة قال سوف ترى العجب ولكن أنا أمضى وأفتكر فى حيلة أدبرها على هذا العسكر ثم انه دخل إلى الخيمة وقعد ساعة وخرج وقال لغلامه قد عملت عملا ما سبقنى إليه أحد ويكون ذلك سببا لاخذ البلد وكسر العسكر ثم وثب إلى حرب ابن شيبان وعرفه جميع ما دبر ففرح وقال ما الذى عندك الساعة قال عندى انك

تنادي فى خمسين ألف يحملون على بقايا عسكر المسلمين لأنى قد دبرت على ضيغم حيلة عجيبة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عقبة تقدم إلى رجل من المتنصرة وقال له أمضى إلى ضيغم ثم أنه ساروه فى أذنه فبينما ضيغم قد نزل فى مضربه وهو تعبان مما حل به وإذا قد دخل عليه رجل من العرب وقد أجهد نفسه المسير والتعب وقال أيها الأمير ادرك أباك فانه مع قوم من المتنصرة سائرين به إلى القسطنطونية وهم قد نزلوا فى مرج وادى الحجل وهم مقيمين ومطمئنين آمنين إلى أن تأتيهم بقية أصحابهم الذين مضوا مع الاندرياس فلما سمع ضيغم ذلك من الاعرابى عرف الوادى لأنه تربية تلك الارض وكان كل قليل يتصيد فيه فأخذ معه من العسكر خمسة آلاف فارس وساروا والبدوى معه يدل به إلى الطريق فهذا جرى ههنا (وأما عقبة) لعنه الله فانه قال لحرب ابن شيبان أريد أن ترسل إلى الوادى عسكر ويكمنوا فى أربع جنباته فاذا أتى ضيغم يخرجوا عليهم ويضعوا السيف فيهم فلا ينجو منهم أحد وأنت فى بقايا العسكر الذى معك وهم مائتين ألف فقال سمعا وطاعة لا عدمنا هذا التدبير ثم أنه أرسل إلى الوادى مائة ألف فارس وأوصاهم ان يكمنوا لضيغم فى أربع جوانب فاذا نزلوا واستقروا فى الوادى فاظهروا عليهم وابذلوا السيف فيهم فان سلموا فأتوا بهم أسارى ثم دعى بملك يقال له قسطون وقال له قد جعلتك فى هذه الخدمة مقدم على القوم حتى أرى ما تصنع فقال سمعا وطاعة وسار فى تلك الساعة إلى الوادى الذى وصفه له فاكمن هناك الملعون قسطون حتى اطمأنوا وأما حرب ابن شيبان فانه قال لقومه صيحوا فى العسكر صيحة واحدة فما أظن القوم إلا نيام من تعبهم فى يومهم الماضى لان الرجل منهم يقول يقاتل أربعة قال وما كانت إلا لحظة حتى أحاطت الروم بالمسلمين من كل جانب ومكان ورفعوا بكفرهم بالرحمن وكان الامير هياج والامير مالك ابن بشر يحرسون العسكر ويدورون حوله فلما سمعوا الصياح قالوا ما أخوفنا ان الروم قد علموا بمن راح من العسكر فداخلهم فينا الطمع (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بالروم قد حملت من كل جانب وجردت القواضب وقامت المسلمين من مراقدهم كأنهم السلاهب وثار الغبار وعمل الصارم البتار وبدلوا الضياء بالغياهب وصار هذا مضروب وهذا ضارب وهذا منكوب وهذا ناكب وخاضت الخيل فى الدما كما يخوض فى سيول السحاب ولم يجدوا بنى كلاب سبيلا إلى الثبات وعولوا على الهرب فصاح الامير مالك ابن بشر من وسط المعمعة وبعد ذلك تفرون عن البلد فتملك نسائكم وتسبى الكفار بناتكم (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك أخذتهم الحمية وصبروا صبر الكرام فى طاعة

الملك العلام ولم يزالوا على تلك الحالة حتى ذهب الظلام وكانت تلك الليلة عليهم أطول الليالى وأطول من ألف عام الى أن أصبح الصباح ووقعت العين على العين وقد طمعت الروم فيهم لقتلهم والمسلمين يقولون لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وهم فى وسطهم كالحصاة الملقاة فى الفلاه هـذا وأهل ملطية لما ارتفع النهار ونظروا إلى بنى كلاب وقد فقد نصفهم فأنكروا ذلك وظنوا انهم قتلوا فبكوا عليهم البكاء الشديد وقالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأخذوا فى الدعاء لهم فقال حرب ابن شيبان لقومه خذوا الراحة ونرجع على هؤلاء الذين قد أحد قنابهم ونأخذهم أخذا باليد فقالوا نعم هذا هو الصواب هـذا ومالك بن بشر لا يفتر ساعة عن ذكر الله تعالى ويقول للمجاهدين كانكم بالامير ضيغم وقد رجع ومعه الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب من بنى كلاب وتظفروا بالاجر والثواب ولم يزالو كذلك إلى أن ارتفع النهار وأكلوا الناس الطعام وتواثبوا لضرب الحسام وكان أول رجل عزم على الجهاد كان الامير مالك بن بشر وتواثبت من بعده الرجال وحملت عليهم الروم وصدموهم صدمة عظيمة فتضعضعت أحوال الرجال والتفت الصدور على قرابيص السروج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تجلجل إلى أن استوت الشمس فى قبة الفلك واشتاقت الارواح إلى شرب الماء وحمى الحديد على أبدان الرجال الصناديد وقاتلوا قتال شديد وذل الجبان العنيد وخسفت الصدور بالاعمدة الحديد فبينما هم كذلك وإذا بالغبار من ورائهم قد ثار وعلا وملا الاقطار فوقفوا العسكرين ينظرون ذلك الغبار والمسلمين قد اطمأنت قلوبهم بأن يكون الامير ضيغم والامير عبدالوهاب والامراء قد أتوا ولم يعلموا ماجرى فى الغيب وكان ذلك الغبار له حديث عجيب وأمر مطرب غريب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الامير ضيغم سار حتى وصل إلى المكان الذى وصفه الاعرابى فعند الصباح وصلوا اليهم فلم يجدوا أحد فقال لاصحابه والله ان الارض هذه ما عبر فيها أحد وما أخوفنى أن تكون حيلة قد تمت علينا فيالها من مكيدة ما أعظمها ثم عاد من وقته يسير إلى وادى الحجل وقد تعبت الخيل فشكوا ذلك إلى الامير ضيغم وقالوا أيها الامير العين لها حق وقد رأينا أن تنزل بنا هنا ونستريح فى هذا الوادى فقال والله إنى خائف عليكم ان تكون حيلة قد دبرها علينا اللعين عقبة حتى فرق عسكرنا وتهجم الروم على الامير مالك ومن معه ـ لـكن ننزل بقدر ما نأكل الطعام ونريح الخيل ونلحق بقومنا (قال) ففعلوا ذلك ونزلوا القوم فى دار الحجل وأكلوا الطعام وهم تعابا مثل السكارى وسرحوا الخيل وانبسطوا فى المرعى ووقعت

الرجال صرعى من النعاس فخرج الملعون قسطون فى مائة وخمسين ألف فارس وكانوا قد استراحوا وأراحوا خيلهم فأول ما ملكوا الخيل والعدد ثم تقدموا إلى الرجال فصار كل واحد مسلم يقف على رأسه خمسة أو ستة ثم انهم نزلوا إليهم وكتفوهم عن بكرة أبيهم وكان بالأمر المقدر والقضاء المدبر السودان كانوا نزلوا على بعد منهم فلما أن ملكوا المسلمين قالوا لبعضهم البعض اقصدوا السودان ثم انهم تركوهم وجدوا فى سيرهم ولم يلتفتوا إليهم لأنهم استغنموا الفرصة وطلبوا العسكر وهم فى القتال والحرب والنزال وهم كذلك وإذا بالغبار الذى ذكرناه فعندذلك تطاولوا بالاعناق وشخصوا بالأحداق وانكشف الغبار ونظروا الروم إلى العرب وهم أسارى فجعلوا يعطعطون عليهم ولما رأى مالك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقالوا اعلموا يا أصحابنا أن الله ربكم ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيكم فعليكم بالصبر حتى تظفروا بالجنان والحور فقالوا والله لقد هانت علينا نفوسنا عند هذه النازلة التى حلت بنا وبأصحابنا وما بهنا إلا من خلا الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بوجهه فعندذلك قال لهم بارك الله فيكم إن الله لا يضيع أجر المحسنين هذا قد ولت أوقات الضيا وأقبلت أوقات الظلمات وقد أحدقوا الروم بالأمير مالك وانهم تيقنوا انهم فى غداة غد يأخذوهم أخذا بالكف وقعد حرب بن شيبان وأحضر بنى كلاب فوجدهم فى عالم عظيم فقال ان هؤلاء كفاية أفادى بهم الملوك والراهب سومدرس وقد بلغنا ان الملك الاندرياس قد أخذ نصيبين وقد أشرف على أخذ الموصل فتكون خيله الساعة قد سارت الى بر قعيد وقد انضافت العساكر الذين مع عمرو بن عبيد الله وعسكر الرشيد من بلد للبلقا وسوف تأتيكم فى يومكم هذا وفى غداة غد الاخبار وقد جرت الواقعه فان كانت لنا فسوف نخلص ملوكنا على انى أعلم ان ما بقى أحد يدفع العسكر الذى لنا لانهم فى ألف فارس وهم عالم عظيم تضيق بهم الأرض فى طولها والعرض وأنا أعلم أنهم يملكون العراق وسائر الآفاق ونحن نملك ملطيه ونقتل كل من فيها من الحريم ثم إنه أقبل على الأمير ضيغم وقال له كيف أنك يا ابن الأسود الزنيم كيف أخذك المسيح أخذ الغضب فقال له ضيغم يا كلب العرب المتنصرة ويا من قد خسر الدنيا والآخرة سوف تعلم من بضاعته خاسرة وعلى من تدور الدائرة وتقول غضب المسيح حاشا لله وإنما أنت المغضوب عليه لأنك قد ارتديت عن دين الإسلام وطردت عن باب الملك العلام ومنعك الخير وضربك بسيف نقمته وأحرمك من جنته فلما سمع حرب بن شيبان ذلك وثب إليه وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه وجرد سيفه من غمده وهم أن يقضى عليه فقالت له

البطارقة أيها الأمير إن عبد الوهاب قد خاص هو ومن معه وما نعلم كيف كانت قصتهم وجميع ملوكنا فى أسر المسلمين وما معنا مأسور نعتمد عليه إلا هذا وأنت ما صدقت وقع هذا فى يدك حتى تبلغ به ما تريد من الأحباب فدع هذا حتى تبصر ما يكون من عاقبة الأمور (قال الراوى) فلما سمع ذلك من كلامهم رآه صواب فأمر أن يفرق بين الاسارى عند البطارقة فى كل خيمة أسير وبات تلك الليلة فقال له عقبة لعنه الله كيف رأيت هذه الفعلة فقال ما أنساها لك وفى غداة غد أسلم لك البلد بلا قتال ولا نزال هذا وقد بات الامير مالك محزون بما جرى عليه ولما أسفر الصباح وأضاء بنوره ولاح تواثبوا الروم إلى السلاح وقصدوا خيمة حرب بن شيبان ليستأذنوه فى الحملة على المسلمين فلم يجدوه وخيمته خالية فقالوا يا لها من مصيبة ما أعظمها فقصدوا بنا ضيغم حتى نحتفظ به فطلبوه فلم يجدوه فقال بعضهم لبعض كان الشيخ النجيح قد مضى فى حيلة يريد يدبرها وأخذ حرب بن شيبان معه فدونكم والقتال هذا والامير مالك قد صاح برجاله وقد حملوا بقلوب صافية وفى أوائلهم الامير مالك بن بشر وهو يقاتل بيده اليمنى وليس له يد أخرى يحمل بها الترس لانها قد قطعت فى فتح الحصون كما ذكرنا وهو مع ذلك ينشد ويقول :

ألا يا كلاب الروم سوف أذيقكم طعاما سموما فى المذاقة بالطعم
وانصر دين الهاشمى محمد نبى الهدى بل أفضل الخلق فى العلم
ومن كان قواما إذا أظلم الدجى وأفضل خلق الله فى العرب والعجم
فان كان ربى قد سلبنى بحكمه شمالى قصيراً للقضاء وللحكم
فلى وجلال الله نفس نقية لها حسن ظن مع منازلة العلم

(قال الراوى) فما فرغ من شعره إلا والصليب الجوهر قد تنكس بتكبير ذو الجلال والإكرام وكان الامير مالك يعد نظاره بجد أربعة آلاف يضربون الناس بالسيوف الصقال فمالت البطارقة نحوهم وإذا بالخيام التى للنصارى قد ضربت بالنيران وقد ارتفعت من كل جانب وظهر من الخيام ألف من السودان وخرجوا المأسورين يكبروا وهم ثلاثين ألف من بنى كلاب والسودان وحملوا على البطارقة فكأنهم ما كانوا إلا نيام وقالوا هذه أضغاث أحلام وفى أوائل الناس الباز الأشهب والليث القرهب . والقران الأمجد والرجل الأوحد والنار التى لا تخمد الأمير الأجل والكهف الأطل الامير أبو محمد البطال وهو يحرض الناس على القتال فلما نظر الامير مالك إلى ذلك قوى قلبه وقال يا معاشر المسلمين قد نصركم الله رب العالمين على القوم الكافرين أصدقوهم فى هذه الحملة (قال الراوى) فعندها حملت القوم

بقلوب حنقه ونية صادقة ورماح خارقة وطوارق مشرفية فتركوا الرؤس على الارض دائرة وصارت من حلاوة الروح أعينهم ناظرة وأصبح ريح القوم خسرا وانظروا من المؤمنين أمرا نكرا فى تلك الساعة ظهر من ورائهم غبرة عالية وقترة نامية ثم انكشفت من تحتها السودان بالصدور الزرد وفى أيديهم الرماح والعمد ولما وصلوا حملوا وكر والجاو بتهم التلال والرماح فخيل للروم ان الارض قد انقلبت فصلبوا على وجوههم وقالوا لاشك إلا أنه قد أتى الامير عبد الوهاب واليوم يضرب منا الرقاب الهرب الهرب من قبل أن نقع فى العطب فانهزمت الروم عن بكرة أبيهم وقتل منهم عالم عظيم لا يحصى بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أمر عجيب وحال غريب وذلك ان الامير أبو محمد لما خرج من بلده آمد وسار الى ان وصل الى ملطية فوجد العساكر عليها وكان قد أتى فى طلب الامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب فوجدهم قد عدموا فبقى حاير لايدرى من أين تم عليهم هذا فعاد وأخذ من السودان ألف أسود وسلك بهم طريق السبخة فوجد سودان قراقدوهم خائفين غاية الخوف لانهم لايعرفون السير فى تلك الارض فانهم لما انعزلوا جاء عليهم النوم فلما استيقظوا وجاؤا الى مكان ضيغم فوجدهم قد عدموا وقتل منهم جماعة فذهلوا وحاروا من ذلك فهم فى دهشتهم خائفين واذا بأبو محمد البطال قد أدركهم فسألهم عن حالهم فحدثوه بالذى جرى وما تم على الأمير ضيغم بنى كلاب فعظم عليه وكبر اديه ودخل بالسودان فى الليل الى عسكر الروم وأخذ حرب بن شيبان وطلب عقبة فلم يجده (قال الراوى) كان السبب فى عقبة انه خرج من العسكر فى حرصه على الأمير عبد الوهاب ومن معه وانه خرج أول الليل وقال فى نفسه أننى دبرت على المسلمين وأخذت منهم ثلاثين ألف أسير وقد أشرف الباقين على الهرب والذى أزعجنى قتل هذا الاسود الزنيم ومن معه قبل أن يجىء مع العرضيات مالم يكن فى الحساب وحلف اللعين حلفان يستاهل عليه السلك وقال عقيب الحلفان ان أبقيت على عبد الوهاب ومن معه ما أكون عقبة وقد تعبت مما أطاول القوم فى كل مرة ويخلطون من يدرى وما أبلغ غرضى وإذا هلكتهم بقيت قرير العين وإذا هلكوا لايقوم للإسلام بعدهم قائمة ابدا لانهم أصحاب الهمم العالية فلو هلكوا كنت أصير فى عيشة راضية فقال له غلامه خالد أيها القاضى اذا وقعت عينك عليهم فلا تطيل بالمخاطبة وتقضى الاوقات بالمعاتبة بل أبذل فيهم السيف حتى يستقى الفؤاد بقتل الأعادى والحساد ولا تطول معهم فقد قيل فى المثل من عاش بعده عدوه يوم فقد بلغ المنا ولو لم يكن فى ذلك إلا قتل

العاهرة ذات الهمة التى إذا رأيتها ترتعد مفاصلى منها أنا والأبطال الصناديد (قال الراوى) فلما سمع الملعون عقبة ذلك ضحك وقال طب نفسا وقر عينا فقد انقطعت آجالهم وعجل المسيح ارتحالهم ثم انه جد فى المسير لأجل قتل الأمراء المجاهدين الذين وهبوا أنفسهم لرب العالمين (قال) وجعل اللعين يسير فى أرض ما يهتدى إليها الجن إلى أن وصل إلى انطاكيةوقرب إلى الراعب . هذا ما كان من الملعون عقبة (وأما ما كان) من الأمير أبو محمد البطال فإنه خلص الأسارى كما ذكرنا وكسر الروم كما وصفناوجرى من القصة ما جرى وفعلوا ماأمرهم به الملك القدير الذى هو نعم المولى ونعم النصير وانكسرت عساكر الروم وملك أبو محمد الخيام بما فيها من المتاع والسرادقات والقباب والعدد والسلاح والسروج الذهب والفضة والأوانى للطعام والعلوفات وتلك الأمثال متاع أربعمائة ألف مقاتل واتباعهم من كل صنف من الأصناف فكان شيأ لا رأت العيون ولا سمعت السامعون مثله وفتح باب ملطية ودخلت بنى كلاب والسودان الأنجاب الذين هم أصحاب قراقد وأخذوا الخيول والعدد (قال الراوى) وبقى الأمير ضيغم فى سودانه وفرح أبو محمد الفرح الشديد وقبله ما بين عينيه فقال الأمير أبو محمد اعلم ياولدى أننى خاطرت فى خلاصك ومن أجل اللعين عقبة وبنى كلاب وانهزموا الكفار وأنا أعلم أن الأمير عبد الوهاب ماغاب إلا وهو مع عقبة أسير وأخاف إن كان عقبة أخذهم يهلكهم ولا بد لى من طلبه أينما كان والدخول على خطر إلى أقصى بلاد الروم بسببه ولكن أنت تعلم ماقاسيت وأريد منك الذى عام بها فؤادى وطيرت رقادى الملكة نورى حتى أسير فى طلب الأمير بقلب منشرح ولو كان فى أى بلد من الأرض فى طولها والعرض فإننى لاأقدر أبذل روحى حتى أعلم أن نورى قد صارت فى يدى وقد طاب لذلك قلبى كما قال القائل حيث يقول

ولى ألف باب قد عرفت طريقها ولكن لى قلب إلى أين أذهب

(قال الراوى) فقال له الأمير ضيغم طب نفسا وقر عينا أيها الأمير الأجل الرفيع المحل فإنى سوف أعطيك رضاك وفوق رضاك وأبلغك مناك ولو يجرى على الأمير ما يجرى فانك فعلت ما لم نقدر أن ننساه فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك فرح فرحا عظيما وكاد قلبه أن يطير وذهب عنه الخوف والهلع وهاجت به رياح الشوق من صميم قلبه وقوى طمعه وزاد عشقه وتحرك شوقه وقد سئل على بن أبى طالب عن العشق فقال هو الطمع وإنه إذا لم يعشق لم يقع الطمع وأما الأمير أبو محمد فانه تجددت أشجانه وتوقدت نيرانه وذهب كتمانه وباح باسراره وإعلانه وتضاعفت زفراته

وتحدرت عبراته وذكر أصحابه وخلانه فأنشد يقول من عظم أحزانه

أيا سائلا عنى وما قد دهانيا ... من الوجد والشوق الذى قد علانيا
ولو أننى أشكو من الوجد بعض ما ... لقيت إلى الصخر الاصم رقاليا
وفاضت دموع الحاسدين تعطفا ... وحسبك من قبلى عليه الأعاديا
لقد ملكت قلبى ونىرى بحسنها ... وقد علموها لا تريد لقائيا
فيا ليت نورى أصبحت لى ضجيعة ... ولو ساعة من قبل يوم حماميا
هجرت وبيت الله فيها أقاربى ... حبيبى وخلى وابن عمى وخاليا
وعاديت فيها سيدا كان دائما ... يرى أنه بمهجتى الود صافيا
وعاديت حقا كل من كان طالبا ... لها وبذلت السيف فيهم علانيا
وسارت معى ابطالها السود نخوة ... وميمونها لا زال فى العز راقيا
وهان على قلبى بأن أقتل الذى ... أخذها عتوا لا يرق لحاليا
وسيرت خليلى نحو آمد طالبا ... وصيرت لى ملكا بحسن احتيالها
وحاصرنى المولى الرشيد بجيشه ... وقد جئت من أرض النصارى مغازيا
وفى قبضتى شومدرس ثم عقبة ... أسارى حيارى فى قيود مغاليا
وشوما ودهر الشوم لا كان اسمهم ... وما كان أسرى عند ذلك غاليا
وسارت إلى الروم من كل جانب ... صبرت كأنى الصخر فى وسط واديا
إلى أن أتانى الله منه بنصرة ... وحزت ملوك الروم والليل هاديا
وكان الذى قد كان حتى وجدتكم ... وأنتم أسارى الروم من كل ناديا
ومزقت جيوش الروم ثم تركتهم ... وأبطالهم فى الحرب لم تدر ماهيا
ولكن راعا ضيغم اليوم جانى ... فمثلك من أمسى حفيظا وراعيا
فنال دعائى مع ثنائى ونصرتى ... وودى وصدقى مع جميع فعاليا
فمثلك من أضحى يرى حق عمه ... ولا يك مثل الأب يا صاح جافيا
لعل الذى يذهب من الوصل شجوة ... ويصبح سرى مثل ما كان خاليا
وأمضى إلى أرض العدو ولم أزل ... أدور بلاد الكفر والليل هاديا
وأسمع أخبار الأمير وصحبه ... وأنقذهم من يد عقبة وهو خازيا
وإن أحسن الله الرجوع إليكم ... فقد نلت ما أرجوه طول حياتيا
وأرجع فرحانا بهم وبقربهم ... وأمضى إلى أرض العراق قصاريا
وأنصر دين الهاشمى محمد ... نبى الهدى خير الورى ذو المعاليا
وأحمل عن قلب الرشيد الذى به ... ونضربهم بالمرهفات المواضيا

ونطعن لبات الرجال جميمة ومن يك ذا صبر بطعن العواليا
فخذها قريبا يابنى ولا تكن مطولا بنورى فهى طول حياتيا

(قال الراوى) فلما سمع ضيغم من الأمير أبو محمد ذلك الكلام والنثر والنظام ورأى شعره وبكاه رحمه ورق لشكواه وسمع نداه ومدحه وأثنى عليه فأقبل عليه وحياه وقال وحق العرش ومن علاه والبيت الحرام ومن بناه وحق الإله الذى لا يعبد سواه ومن طاف وسعى بالكعبة الحرام سبعا ومن رفع السموات رفعا وقسم الارزاق فى الخلائق عطاء ومنعا وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى سائر الخلق جمعا واختاره من ذروة قريش نبعا وأكرم طبعا وقمع الشرك قمعا وسطع بهاء الإيمان سطعا لوكان والدى الامير عبد الوهاب ههنا ومنعك من نورى لحللته بالسيف دونها وأقتله وأريحه من غيرتها (قال الراوى) ثم أن الامير ضيغم وثب قائما على قدميه وقد قامت فى أم رأسه عينيه وقد أشاروا عليه بنى كلاب كلهم أن يدفع نورى إليه وقد علمنا ان خلاص الجميع فى هذه النوبة ما كان إلا على يديه وأيضا سلامة البلد لان أهلها كانوا أشرفوا على العطب فسلم نورى اليه ولا تبخل بها عليه فقال ضيغم سمعا وطاعة والله لا بد ما أحكمه فيها فى هذه الساعة (قال الراوى) فبينما ضيغم فى الكلام مع الجماعة واذا قد ظهر من ناحية ملطية بغله ذرزوريه وبين يديها جماعة من الخدم والعبيد والغلمان والحشم فنظروا الى من على تلك البغلة واذا بها الاميره علوى زوجة الامير عبد الوهاب ولما نظروها بنى كلاب تبادروا اليها وسلموا عليها وحيوها بالسلامة والسلام فردت عليهم السلام بالاشارة من غير كلام وقد قصدت الى محل ضيغم ونزلت فيه فدخل اليها ضيغم وهناها بالسلامة ودخل معه أيضا أبو محمد البطال فسلمت عليه علوى وقالت لضيغم اعلم ياولدى ان حق واجب وقد دخل على قلبى من الضرر بسبب هذه الجارية العاهره الرومية التى أومتنا فى جميع المصائب وأرمت بين أبوك وبين هذا الامير أبو محمد كل النوائب وكان له نعم الاخ والصاحب وعندى من الغيرة ما لم يدخل على قلب بشر ولا مر على قلب مخلوق ولا خطر فعجل الآن وسلمها الى البطال وأرسل اليها فى ساعة الحال فقد بلغنى ما فعل معكم وكيف خلصكم من الاسر والاعتقال لانه دائما منصور مظفور صاحب الاعمال الجليله أينما حضر وصادق فيما وعد من القول والخبر فقم سلم اليه الجارية الملعونة التى قد وقعت من أجلها الفتن والضرر فان أبو محمد فى حكم ما قصر وقد بلغنى عدما نظم ونثر وانه يستاهل بذلك عطيه فعندها وثب ضيغم كانه أسد قسور وقال يا أماه وأنا على هذا معول ان طاوعتينا على تسليمها ولا تقاسى منها ما قاساه

الامير عبد الوهاب حتى نحل جسمه من الهجران وكثرة الغبون على طول الزمان فقالت يابنى هل لك أن تسير فى أجل أبو محمد فى هذه الساعة واعلم ان نورى ما هى عندى فقال يا أماه ما هى فى الدار التى تركها فيه أبى فقالت اعلم ياولدى ان الأمير عبد الوهاب لما انفصل عسكر الرشيد من آمد خشى عليها منه وأنفدها مع ألف فارس من بنى كلاب ومائة من السودان الانجاب الى حصن الكوكب عند الامير نافع وأوصاه بحفظها الى ان يعود سالم وقد عول انه اذا رجع أغصبها على نفسها (قال الراوى) فلما سمع ضيغم من علوى هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه ونظر للامير أبو محمد فوجده قد صار وجهه لون الزعفران ودموعه تنسكب مثل الغدران وقال لضيغم ان الامير عبد الوهاب قد خلص وسار إلى قلعة الكواكب من أجل نورى حتى يقضى منها وطر فقال ضيغم ما كان الامير يفعل ذلك فكيف كان يرى فى دينه الاشتغال بها عن دين الاسلام ويفعل بها هذا الفعال بين الأنام فقال البطال والله يفعل ذلك لان نورى ما خلت له من المروءة لا كثير ولا قليل وقد ترك الحق واتبع البطال (قال الراوى) وكان القول من الاميرة علوى حيلة منها على البطال وذلك لما اتاها الخبر ان ضيغم يريد ان يسلم نورى إلى ابو محمد البطال فعظم عليها وكبر لديها وأخفت الكمد وأظهرت الجلد وقلت والله إن الغيرة أمر عظيم وحال جسيم ولا لى صبر عليها ولا طاقه وإنى إلى الخلاص إلى نورى مشتاقة إلا أن يكون على غير هذا الوجه يكون أجمل وأجود ثم انها أقبلت على ولدها إبراهيم وقالت له اعلم ياولدى ان هذه الجارية نورى لولا أخذها الامير أبو محمد ما نسبه الامير عبد الوهاب الالى والثانى ربما يكون فى قلب الامير عبد الوهاب منها أمر ولا ينال منها غرض فيكون ذلك سببا لمرضه وله على من النصيحة والصحبة ما يوجب المبادرة إلى غرضه ولو كان فى ذلك تلافى واحمل من أبيك المضيق على روحى فقد قيل فى المعنى

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الثقل فى الهوى يفارقك من تهوى وانفك راغم

وأريد منك يا ولدى أن تخليها وتقول ان الامير أرسلها الى حصن الكوكب ولا عند ضيغم ولا الامير أبو محمد خبر فقال الامير ابراهيم لعمرى لقد الصواب ثم ذهبت علوى الى الدار التى فيها الملكة نورى وسلمت عليها رأتنى فقامت له نورى قائمة على قدميها وتلقتها وأكرمتها فأقبلت على نورى وقالت لها اعلمى انه قد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وان الامير عبد الوهاب الساعة قد عدم وملوك الروم كلهم أسارى عند الأمير أبو محمد البطال وقد انهزمت عساكر

الروم التى كانت على ملطيه وأسر حرب بن شيبان وملكت أموالهم ورجالهم وأثقالهم والآن فان أبو محمد البطال قد طلبك من ضيغم وقد عول على أن يسلمك إليه (قال) فلما سمعت نورى ذلك ضحكت وقالت وحق المسيح إن كل من دنى منى ضربته بهذا السكين قتلته وإن أغصبنى أحدا على نفسى مصصت هذا الخاتم الذى فى أصبعى فانه فانه سم خارق لوقته فأقتل أنا روحى قبل أن ينال منى غرض (قال) فلما سمعت علوى ذلك عظم عليها وكبر لديها وقالت لها انا نصحتك فاعرفى النصيحة وتقبليها وتعلمى الفساد من الصلاح وقد كنت أشتهى أن لا تقيمى عندى ولكن إذا ذكرت لكى ذلك لا تعلمى به أحد لأنى سمعت أن الرشيد قد عرض بذكرك وفى قلبه منكى شيء عظيم وقد قال للأمير عبد الوهاب أن هذه الملكة نورى ما تصلح إلا لى فانى أريدها لنفسى وأقيم على رأسها ألف جارية برسم خدمتها وان تعرضت لها لأضربن رقبتك ورقاب سائر بنى كلاب والدليل على صحة قولى أيها الملكة أن الأمير ما قدر يغصبك على نفسك لأجل كلام الرشيد وأيضا من حيلة الأمير أبو محمد البطال لأنه شيطان الأرض فى طولها والعرض والرأى عندى انكى تقومين إلى دارى فى أكرم مقام حتى إذا طلبك الرشيد يأخذك لنفسه سالمة مسلمة (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعت ذلك من كلام علوى قالت وحق المسيح لقد صدقتى فى قولك وماأردتى بذلك إلا الخير وقد ذكرنا أن نورى لما نظرت إلى الرشيد وإلى ماأعطاه الله تعالى من الرفعة والهيبة وحسن الشباب لأنه ما كان فى بنى العباس أصبح منه وجها ولا أكرم طبعا ولا أظرف لفظا ولا أحسن كلاما وان نورى مال قلبها إليه وقالت إذا كان المسيح قد حكم على أن أكون أسيرة ببلاد المسلمين أكون عند هذا لأننى مارأيت فى بلاد المسلمين والروم أظرف منه وبقى فى قلبها منه أمر عظيم فلما سمعت ذلك من كلام علوى وقع على قلبها منه موقع وأجابتها إلى ذلك وسارت من الدار التى الأمير عبد الوهاب إلى دار الأميره علوى فلما حصلت عندها فى الدار بلغت الغرض والاوطار وركبت وخرجت إلى الأمير ضيغم والأمير أبو محمد البطال وأخبرتهم بما قد وصفنا فورد على قلب الأمير أبو محمد ما لم يرد على قلب بشر ولم يشك أحــــدا من الناس فى كلامها لأنها أول ماخرجت شكت إليه ولا صبر لها على ذلك وبعد ذلك أخبرت بهذا الخبر وقالت لهم امضوا إلى حصن الكوكب وخذوها من الأمير نافع فان أبى ذلك فاخبرونى فقال الأمير أبو محمد لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ادفع بها ما أطيق وما لا أطيق (قال الراوى) فعندذلك أقبل إليه ضيغم وقال له ياعم لاتحمل على قلبك هم فقال له يابنى كيف

لا أحمل على قلبي وقد عدمت المنى وقل مني القوى ومن فقدها عدمت سروري وقد حيرتني في أموري ثم إنه بكى وأنشد يقول هذه الأبيات :

دلالك معشوق وغنجك قاتلي ولحظك فاتن وطرفك فاتر
وثغرك ياقوت ودر منظم وخالك معطوف على الخد ساحر
حديثك رضوان ووجهك جنة ووصلك دار الخلد بل هو حاشر
وجسمك رومي وقدك مائس وخصرك مخصور وردفك وافر
وقد كنت أرجو أن أفوز بوصلكي فغادرني فيكي الزمان الغادر
فياليت شعري هل أفوز بنظرة ولو نزلت بي بعد ذاك المقابر

(قال الراوي) فعند ذلك قال ضيغم وحق من فلق الحبة وبرى النسمة وتفرد بالكبرياء أن الملكة نوري لك ولا يعارضك فيها معارض ولا ينازعك فيها منازع وحق الباسط القابض وعلى الضمان في ذلك (قال الراوي) فهم على مثل ذلك وإذا بفتح المصري قد أقبل إليهم وسلم عليهم وناول الأمير ضيغم كتاب فسأله الأمير أبو محمد عن حاله فأخبره أنه قد أتى يطلب النجدة ويذكر أنهم على غاية من الخوف والوجل وأن الرشيد قد جمع العساكر المتخلفة في بغداد وقد سار إلى لقا الملك الأندرياس وما أتى له خبر وقد اشتغلت قلوبنا وقد جاءت إلينا الكتب من الموصل يأمرنا أن نكتب إليكم ونطلب لهم النجدة منكم فلما قرأ ضيغم الكتاب على الأمير أبو محمد بقي في حيرة وقال لضيغم اعلم ياولدي ان يمكنني المقام على نصرة الإسلام ولا من المسير إلى أمير المؤمنين فقال الأمير ضيغم ياأبو محمد كل عين تبكي شجوتها وقلبي مشغول على والدي الأمير عبد الوهاب والأمراء الذين معه وهم أبطال المجاهدين فقال الأمير أبو محمد اعلم يا ولدي أن أباك لا تعلم غيبته ولا حديثه أين كان ولا في أي مكان يقصد إليه والرأي عندي أن نسير إلى نصرة المسلمين ونعمل على هلاك المشركين فإذا خلصناهم نعمل بعد ذلك في طلب الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فقال ضيغم إذا كان الأمر على ذلك فاعزم بنا على المسير بعد يومين فلعل أن يأتينا أحد بخبر الامير عبد الوهاب وان يكن ذلك عولنا على الرحيل وإذا فرج الله تعالى على المسلمين وكسرنا عساكر الكافرين فان الرشيد يرسل إلى سائر البلاد يأخذ أخباره فقال الامير أبو محمد اعلم أن ماله سبب إلا عقبة لعنه الله وعلى أن أطلبه في سائر الاقطار (قال الراوي) وأقاموا تلك الليلة في أهبة الرحيل ورحلوا وجدوا في المسير وخلفوا في ملطية عشرة آلاف فارس من بني كلاب وساروا حتى وصلوا إلى آمد وأوصى الامير أبو محمد ميمون الجاس بحفظ البلد والملوك المأسورين وحابس حرب بن

شيبان فى آمد وأعطى لميمون الجماس ألف فارس من السودان الذى كان أخذهم وساروا فى باقى الناس وهم خمسة وثمانين ألف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان بتوع قراقد وفيهم ولده قرقود وقد قدمهم الأمير أبو محمد فى أوائل أوائل الناس وهم على خيول وهم بأيديهم الرماح السمر وعليهم ثياب سود وهم مثل الليل الدامس والظلام العاكر (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء. (وأما ما كان) من الملك الاندرياس وعسكر الروم فانه لما وصل إلى برقعيد لقيه الأمير عمرو بن عبيد الله فى ستمائة ألف وكان الملك الاندرياس وعسكر الروم فى ألفى ألف وقد ملؤا الأرض فى طولها والعرض ولما وقعت العين على العين أقبل الأمير عمرو بن عبيد الله على الناس وقال لا تغرنكم الدنيا بغرورها وانصروا دين الله ورسوله فان الجهاد فرض عليكم (يا سادة) وأن الملك كل الاندرياس صف عساكر عشرين صف مائة ألف وصف الأمير عمرو اثنى عشر من صف ستين ألف فارس وأقبل على بنى سليم وقال لهم يا بنى عمى اعلموا أن الرشيد يحب بنى كلاب لأجل أنهم يجودون الطعان والضراب وأنتم فما لكم من حديث كنتم عند السلطان يوما أبيض والآن بنى كلاب قد بعدوا عنكم فقالوا سوف نبذل المجهود فى طاعة الملك المعبود الذى ليس والد ولا مولود (قال الراوى) فلما وقعت العين على العين وسابت الطلائع على الطلائع واشتهرت السيوف القواطع وضربت بها الوجوه اللوامع وقطعت الخواصر والأضالع وجالت الأبطال فى المعامع والاقيال فى الوقائع وعاد الجبان خاضع والبطل الغضنفر من هول ما عاين هالع والشجاع فى ميدان المعركة زوابع وصمت من كثرة الصرخات المسامع وجرت على الخدود المدامع فهذا رافع وهذا واقع وهذا مقطوع وهذا قاطع (قال الراوى) ولم تزل السيوف تعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تهلل وتكبر إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماه ونزلت العساكر والمواكب والدساكر والكتائب وأضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس وحمل الأمير عمرو بن عبيد الله هما عظيما وقال لبنى سليم اعلموا أنه قد وصلنى الخبر أن الرشيد قد خرج من العراق وسوف تجمع لنا عساكر الآفاق وأنتم تعلمون أن هذا العسكر عظيم ولقد لقينا منهم ما لا يوصف وسلمنا كلنا أن نتلف ونقتل وقتل من الناس خلق كثير فتركوا عنهم القتال واطلبوا المبارزة بالنصال فقالوا وما القصد بالمطاولة فقال إلى أن تأتينا عسكر الرشيد فما يقعد عنا ساعة واحدة فقالوا نعم ما رأيت هذا وقد ركبت العساكر من كل جانب وجردت القواضب وصهلت الخيل

بركابها مثل أصوات الرعد وشاب من هول ذلك اليوم الفطل المولود وزمجرت الابطال مثل زمجرة الاسود واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف والعساكر الإسلامية وأرادوا عسكر الروم أن تحمل على المسلمين وإذا بعساكر الإسلام قد تمخضت وخرج منها فارس على جواد أشهب ربال الذنب وطى المركب قوى العصب كما قال فيه الشاعر ابن ضمرة هذه الأبيات

تنظره فى جريه والجنب   مثل ثنا البرق وطى المركب
يسبق لحظ الطرف عند الطلب   أشرف خيل العجم ثم العجم

(قال الراوى) وعلى الفارس درع داودى وعلى رأسه خودة عادية كأنها فضة مجلية لا تعمل فيها المشرفية وقد اعتقل بقناة ردينية وتقلد بقماشة هندية وصاح بالجواد فضرب بيديه محاجر عينيه وكشف اللثام وإذا هو أحمد الرامى فأشار بيده إلى عساكر الروم وطلب البراز وسأل الانجاز وأنشد يقول

دونكم يا معاشر البطارقه   حرب غلام ذوا عين صادقه
فى يده صمصامة موافقه   تمزق الدروع مثل الصاعقه
لا يثبت الدرع لها والطارقه   فى كف مخلوق يحب خالقه

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره ونظمة حتى خرج إليه فارس من الروم كأنه البرج المشيد وهو راكب على مهرى قرطابيه صادق البياض كأنه زهر الرياض ليس فيه عيب ولا انقاض أسبق من الالحاظ كما قال فيه الفصيح ابن عياض

وأبيض من أخير الخيل إذا   بدا لنا يشبه لون الضيا
ويخطف الأبصار فى مشيه   وإن جرى يسبق سباق الضيا

(ال الراوى) وعليه درع زرد مضاعف العدد ما رأت العيون مثله أصلب من جلمد وأمنع من الصخر إذا التجأ إليه أحد كان آمنا من كل مهند ومن فوقه ثوب ديباج روى قسطنطونى مقصب مرايش مذهب وفى يده صارم ذكر وطارقة مكوكبة مثل النجم عند أوقات السحر كان صاحبها قد نثر عليها الجوهر فحمل على أحمد الرامى ولم يطل لهم مجال دون أن حمل عليه وأوصل السنان إليه وهمز بقوته عليه هذا وقد انبسط جواد الرومى حتى التصق بجواد أحمد الرامى واحتك الركاب بالركاب وبطلت الرماح واعتمدوا على الصفاح واختلفت بينهما ضربتان كان السابق بالضربة أحمد الرامى فضرب الرومى على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر المؤمنون وضج الموحدون وصلبت الروم أجمعون وقال هلك وحق المسيح شمعون

(قال الراوى) وخرج من بعده فارس يقال له سمعان وكان بعد بجماعة

من الشجعان وحمل على أحمد الرامى فى ساحة الميدان وموقف الضرب والطعان وتضاربا بالمرهف اليمان واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربة أحمد الرامى ضرب الرومى على عاتقه اطلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وقد عظم ذلك على الكفار ومن فرط ما أخذهم من الحنق حملوا عليه من كل جانب وحملوا المسلمون وكبروا الموحدون وبكت العيون وخابت الظنون وتصارمت أبطال الهجاء وطلب كل واحد لنفسه النجاة وتقسطل العجاج ولم تعرف الابطال من كثرة الانزعاج وهمهمت الابطال اجرى الدم مثل البحر العجاج وترادفت الابطال وتزاحمت الاقيال وزمجر كل أسد ريبال وارتفع النقع من وقع الحوافر ولم تمنع الدروع ولا المغافر وكل انسان بسيفه شاهر وقد وقعوا فى بحر زاخر ليس له أول ولا آخر وانفتحت أبواب المقابر ونفذت الرماح فى المحاجر وعملت المرهفات الخواصر وخذلت السواعد من الضرب بالبواتر فكم من فرس غاير وزند طائر وعضو نافر وساعد باتر وبطل خاسر وشجاع حاير وطرف ساهر وأجل حاضر وصميدع شاطر وليث كاسر ومقهور وقاهر وفرقعت المرايرة وتجلى على تلك الوقعة القادر القاهر فلا بقيت ترى الا لمعان سيوف ووقع دفوف والرماح تقدح على الدرق ولا بقى فى الرجال الا الحدق وغرق عسكر الامير عمرو بن عبد الله ما يغرق الزورق فى البحر الزاخر ولم يبق لهم سبيل الى الخلاص وعظم الأمر على عسكر العراق وأشرفوا على الانكسار وناح عليهم غراب البين وأسر منهم جماعة بالاوهاق وأيقنوا من الحياة بالفراق ولم يكن لهم صبر على ذلك الامر العظيم المر المذاق ولم يبق منهم الا من طلب الفرار والفراق الا أن الأمير عمرو بن عبيد الله وقف فى بنى سليم ونادى ياقوم اعملوا عملا خالصا لله تعالى فى الجهاد فى سبيل الله يوصل الى الجنة والهروب من القوم الكافرين يورد الى الجحيم والثانى من أجل الناس لا يقال ان بنى كلاب هم قوام الثغر ولولا هم ما كملت الامور حتى يبلغ الرشيد صبركم فيعلو عنده قدركم فقاتلوا بنى سليم الى ان أمسى المساء وهم مائة ألف ومن الاكراد خمسين ألف وأيقنوا بالعطب وما وجدوا سبيلا الى الهرب (قال الراوى) هذا والملك الاندرياس فرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وقال للمانسطر اعلم ان العرب انكسرت بين يديك ولم يبق فى العرب عسكر يصل اليك وتملك العراق ولم يبق لك عدو فى الآفاق (قال الراوى) وكان الرشيد قد لقى المنهزمين وهو فى مائتين ألف فارس وانضافوا الكل اليه وطابت قلوبهم عند رؤيته وساروا فى صحبته ذلك اليوم وجدوا فى سيرهم عن حرقتهم على بنى سليم ولم يزل الرشيد فى سيره حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح

فأشرف على القوم وهو كأنه الاسد الغضبان وكان الرشيد من الشجاعة والبراعة على مكان عظيم وانه لما قرب من الروم ورآهم قد حملوا على بنى سليم يطلبوا كسرتهم فحمل الرشيد وأمر الناس بالحملة وتصادمت الكتائب والمواكب وظهرت العجائب وعملت القواضب ولم يعرف القريب القرايب وعظمت المصائب ودار كاس المنية فأسكر الساقى والشارب واستدت فى وجه الجبان الطريق والمذاهب ومضى النهار وأقبلت الغياهب وافترق الجيشان ووصلت بنى سليم إلى السلطان فشكرهم على فعلهم وخلع عليهم وأكرمهم فسألوه عن بنى كلاب فأخبرهم بأمرهم فقالوا هل عندك علم من القاضى عقبة فقال لا ولكن رأيت البطال يرميه بالزور والبهتان ويقول انه يتحيل ويعمل الاعمال حتى خلص شو مدرس الكلب المحتال فقال عمرو يامولانا رأيته أنت بعينك ان الروم لما أخذوك رأيت عقبة عندهم فقال ما رأيته إلا مأسور مع الروم فى أسوأ حال وعليه أثر العقوبة والنكال ورأيته عند أبو محمد البطال وكان قد خلصنى تلك الليلة من الروم فما أمكننى فى معناه كلمة واحدة فقال عمرو بن عبيد الله مايخلو حاله ياأمير المؤمنين إلا ان يكون قد مضى الى مكة المشرفة أو الى بيت المقدس كما جرت عادته ولذلك ياامير المؤمنين قد أدام الله أيامك قد افترق جمع بنى كلاب وأرى فيهم الخلف والعداوة لانهم يرمون شيخ الدين وناصح المسلمين صاحب الرفعة واليقين والبراهين فقال الرشيد لعمرى انهم يرمونه بأمور إن كانت فيه فلا ستر الله عليه وهتكه وأطلع الناس على مكتوم أمره وإن كان برىء منها فرزقه الله رزقا طيبا ثم بات الرشيد على ذلك الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وجردت الصفاح وارتفع الصياح وكان أول من بادر الى الركوب عساكر الروم وكذلك المسلمين ونظر الرشيد الى عساكر قد ملأت الفضا وسدت المستوى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأراد أن يأمر الناس بالحملة واذا قد خرج من الروم بطريق كأنه الفتيق يمزق الكفر بأياديه تمزيق على جواد كأنه شعلة نار الحريق وفى يده حسام رقيق وطلب البراز فخرج اليه فارس من الأكراد فقتله والآخر جندله والثالث فأرداه والرابع فأعدمه قواه الى أن قتل عشرة من الفرسان فعظم ذلك على الرشيد وقال وتربة المهدى ما يكون لبنى كلاب مثال وما يقدر أحدا يطفى نار الهلال وما يلتج الزمان مثل الأمير عبد الوهاب ولقد دخلت فيهم العين من أجل هذه الجارية النصرانية الرومية فلا عمر الله بها الديار فقال الامير عمرو بن عبيد الله يا مولانا بحق الله عليك ان فرج الله عنك وانكسرت عساكر الروم الا أخذت هذه الكلبة نورى وقتلتها حتى يخلص كل واحد من هذه النوبة فقد وصلت أذيتها الى كل واحد فقال الرشيد ياعمر

ولا تخالفنى فى قتلها أنا أخليها عندى فى القصر ولها اسوة ببعض الجوار (قال الراوى) وان الامير عمرو بن عبيد الله لما سمع الرشيد يمدح الامير عبد الوهاب وبنى كلاب بجودة الطعن والضرب عزان ذلك من أجل البراز والقتال والاحتراز فعند ذلك برز الأمير عمرو وكانه شعلة نار وحمل على الكافر كانه البتار فتطاعنا وتماحكا والتزقا واختلف بينهما الطعان وكان السابق بالضرب الامير عمرو فوقعت فى صدر الرومى خرجت من صدره وعجل الله بروحه الى جهنم (قال الراوى) فلما نظرت الروم الى ذلك خرج منها فارس آخر فحمل على الامير عمرو وحمل عليه فكانا كجبلين أصطدما أو بحرين التطما وتطاولت اليهم الأنظار وتضاربا بالبتار واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضرب الامير عمرو وضرب الرومى بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علائقه ولم يزل يخرج الى الامير عمرو وفارس حتى قتل من الروم عشرين فارس فعظم ذلك على الملك الاندرياس وكبر لديه واقسم أن لا يخرج إليه أحد الا هو بنفسه وبعد ذلك يدعو الرشيد الى البراز فقالوا أيها الملك لا تفعل فان البطارقة كثير ومن هو هذا البدوى حتى تخرج اليه ولكن أخرج حيث خرجت الى المبارزة لاجل اليمين وأطلب هارون الرشيد وانظر من أردت من هذه البطارقة حتى يبرز اليه فقال لا تكثروا الخطاب ولا تطيلوا العتاب فأنا لابدلى من الخروج اليه ثم انه برز بروحه وقد ترجلت بين يديه سائر الطوائف من جميع أجناس الروم وافرنج والصقلب والبطارقة والأرمن وخرج بين الصفين واشتهر بين الفريقين وهو راكب على حجره كانها الشهب الخارقة وعليه ثوب مذهب وعلى جوانبه أربعة عشر مرآة لا ينفذ فيها رمح خطار ولا سيف بتار وعلى رأسه بيضة لا يعمل السيف فيها وفى كفه حسام باتر أمضى من القضا وفى يده قنطارية خلنج مثل الذهب عليها سنان كانه كوكب وصاح بجواده وحمل على الامير عمرو بن عبيد الله وقد شخصت نحوهما الاحداق وضجت المسلمين بتلاوة القرآن ورفعت الروم الصلبان فعند ذلك سمع صياح الفارسين وقد تقطعت الدرق من المضارب وتقاربا وتباعدا وكان الاندرياس جبار من الجبابرة ولم يكن فى الملوك أقوى منه فصاح بالامير عمرو واقتلعه من سرجه وصاح بالفرس فخرج من تحته وأقبل على البطارقة وسلمه اليهم وأوصاهم بحفظه ثم عطف الاندرياس الى مقام الحرب فخرج اليه فارس من المسلمين فقتله والآخر جندله وأرماه والثالث لحقه بأخاه ورابع وخامس إلى ان قتل وأسر عشر فوارس ثم نادى بالعربية وكان يحسن كلام العرب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى انا الملك الاندرياس صاحب الشدة والباس واريد اليوم قتال الاقيال فلا يبرز لى إلا أمير المؤمنين وحامى حومة الدين

فان أسرنى بقيت عسكر الروم بلا رأس وان أسرته نلت المنى (قال الراوى) فلما سمع الرشيد كلامه أقبل على الناس وقال قد عولت على الخروج اليه لانه دعانى إلى الجهاد وما يسعنى أن أقعد عن طاعة رب العباد فقالوا والله ياأمير المؤمنين ما نخليك تخرج إلى هذا الجبار وبأنفسنا نفديك ثم خرج من السودان فارس كانه أسد عابس وحمل على الاندرياس فاستقبله وأخذه أسير وخرج آخر من الاكراد فأخذه أسير وآخر فقتله (قال الراوى) ولما أمسى المساء وانفصل العسكران بعضهما عن بعض وعاد الملك الاندرياس وقد أسر فى يومه عشرين أسير وباتت الطوائف إلى أن بان برق الضيا فركب كل بطل جحجاح واذا بالبطارقة قد ترجلت وخرج الملك الاندرياس وصلب على وجهه ونادى برفيع من صوته ياشلوح العرب إن أجلكم قد اقترب أين من يزعم انه ابن عم النبى المنتخب المعروف بالحسب والنسب ما كان له نخوة لما دعى إلى القتال يخرج فان أسرته صالحته على ما أريد وان أسرنى صالحنى على مايريد (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك قال وحق النبى المنتخب سيد العرب والعجم ما أخرج إلا لهذا الكلب ثم ان الرشيد خرج على جواد أدهم إذا صهل يكاد أن يتكلم والرشيد على صدره زرديه ضيقة العدد وكان الرشيد حلو الشمائل مليح الصورة سريع الانعطاف هذا وقد ترجلت لنزوله الميدان سائر الناس وقد حمل البردة الشريفة على أكتافه وتعمم بعامة الرسول على عمامته وأخذ القضيب فى يده ولواء الحمد يخفق على رأسه وأبو عبد الله المرى يقرأ بين يديه وهو يقرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا قال فلما نظر الملك الاندرياس إلى الرشيد وعليه السكينة والوقار اخذته الرجفة حتى بقى كالسعفة فى يوم ريح عاصف ولم يكن له قدرة على لقاه فألوى رأس حصانه وطلب النجاة وقد ضاقت عليه المذاهب وحلت به المصائب من كل جانب وتبعه الرشيد وصاح به واستنجد الاندرياس بقبائل الروم (قال الراوى) فعند ذلك حملت طوائف الروم فى ألفى ألف مدرع حتى ضاقت بهم الارض وجاءت البطارقة بالسيوف القواطع وحملت العساكر بتوع المسلمين وطار الهام واشتد الزحام وانقطع الكلام وضاق بين الفريقين المقام وعمل فيهم الطعن العميق والصارم الوثيق وزاد بهم الامر هذا والرشيد قد أحدقت به المواكب من كل جانب وعرقبت البطارقة جواد الخليفة وانكبت عليه أجناس الروم فأخذوه أسير وصاحوا المسلمون بالحى القيوم وارتفعت اصواتهم بالبكا والنحيب ونادوا بالقريب المجيب فبينما هم كذلك وإذا بالافق قد اسود والظلام قد اشتد والدنيا كادت تتزلزل وقد اقبلوا عسكر من نحو نصيبين فقالو المسلمين ما هذا الغبار فان كانوا من أمة سيدنا محمد فقد فرج الله عنا هذا البلاء وإن كانوا روم فما لنا الهروب والفرار حتى يفرج الله

عنا هذا والغبار قد أضاء وتشعشع والناس ينظرون إليه حتى بان للطائفتين وظهر للفريقين ولاحت بنى كلاب كأنهم أسود الغاب وسودان الأمير عبد الوهاب وسودان قراقد وسملق والأمير ضيغم فى أوائل الناس كأنه الأسد إذا عاين فريسته هذا والأمير أبو محمد فى أوائل الناس والعساكر إذا رأوا الناس طلعته ومعرفته وحققوا احاله وأقبل بعد ذلك الأمير ضيغم لمشورته فقال الأمير أبو محمد يا بنى البدرة لمن بدر فدونك والجهاد فى هذه الطوائف ولا تكن خائف فعندها كبر الأمير ضيغم وحمل وكبر سملق وكبرت أبطال بنى كلاب وحملت الروم الكلاب ولم يزل السيف يعمل إلى أن انسدل الظلام وقد أيقنت الرجال بحلول الآجال وسأل أبو محمد عن عمرو بن عبيد الله فقالوا أسره الاندرياس وسأل عن الرشيد فقيل له مأسور فقال كيف وصلت الروم إليكم فقالوا بالبراز فقال والبردة والعمامة والقضيب الذى للرسول ﷺ فقالوا له أخذوا فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال وكيف تركتم الأعداء يتحكمون فى آثار الرسول ثم أن أبو محمد قال اعلموا أنه ما بقى يمكننى المقام عندكم باقى الليلة لما سمعت هذا الكلام فقال ضيغم إنى خائف عليك من هذا العسكر تسلكه فى هذه الليلة فقال أبو محمد ما يمكننى أقيم هاهنا لأجل الرشيد لأجل قربه من رسول الله ﷺ والثانى إنى أخاف على البردة والقضيب والعمامة أن تتلفهم الروم الكفار وتحرم بركتها الابرار ثم أدعى بغلمانه لؤلؤ وبديع وسبك والخداع وأبو الليل وسارهو وغلمانه حتى دخلوا عساكر الروم وتبعهم الأمير مالك بن بشر فلما رأوه عساكر الروم سألوه فقال أنا أفلاطون ابن قسه خرجت أنا وأصحابى لعلى أسرق أحدا من عسكر المسلمين فما فيهم إلا من هو على غاية الحذر وتم سائر إلى أن توسط العسكر (هذا ما كان من أبى محمد) وأما ما كان من الملك الاندرياس فانه لما أظلم الليل عاد إلى الخيام وهو فرحان بأسر هارون الرشيد فرحا شديدا فقالوا له أرباب دولته أيها الملك قد نلت الارب بأخذ الخليفة وأسر أمير بنى سليم فانك تفدى بهارون الرشيد الملوك المأسورون عندهم ولقد كان هذا اليوم عيد فقال لو كان المسيح تمم علينا النعم ما كانت وصلت إلينا عساكر بنى كلاب وكنا قد كسرنا عساكر الرشيد وملكنا خيامهم وأثقالهم ولقد كانوا عولوا على الهرب لولا قدوم هؤلاء العرب والسودان فقالت الروم وإيش علينا منهم فى غداة غد يكون الانفصال وينهزمون على كل حال قال الملك الاندرياس خلونا من هذا الكلام أنا أخبركم بعجب قالوا ما هو أيها الملك قال اعلموا أنه ما وقع فى قلبى فزع ولا هربت من حرب غير اليوم ولقد لقيت الخليفة كذا وكذا فما وقعت له فى قلبى هيبة مثل هذه النوبة فإنى رأيت كأن المشارق والمغارب قد أظلمت فى وجهى ونزلت الرعدة

والانكسار فى جسدى فلم يكن لى غير الهرب ولا بد لى من كشف هذا ثم أمر البطارقة أن يحضروا الرشيد فأحضروه فلما رآه الاندرياس جعل يرتعد كالسعفة فى يوم ريح عاصف فقالوا له البطارقة ما الذى نزل بك أيها الملك فقد نزل بنا مثل ذلك ووقع عند رؤيته الفزع (قال الراوى) فلما سمع ذلك الملك منهم أقبل على الرشيد وقال يا خليفة المسلمين طب نفسا وقر عينا فما يكون إلا ما تريد ونحن نفادى بك الملوك المأسورين وأريد أسألك عن شيء فبحق نبيك تصدقنى فقال الرشيد أنا ما عندى إلا الصدق ونحن أهل بيت الرسول ما نرى الكذب ولا نعرفه وإنما الكذب عندكم لأنكم كذبتم على الرب العظيم وقلتم أنه ثالث ثلاثة وإنما هو إله واحد ولا ضد له ولا شريك فقال الاندرياس وقد عظم عليه كلامه وغضب من قوله وقال دعنى من هذا فانى رأيتك ألف مرة ما وقع لك فى قلبى هيبة غير هذه المرة فما السبب فى ذلك بحق نبيك فقال اعلم أن هذا الذى رأيته من هيبة النبى المبعوث فى التوراة والإنجيل الذى هو عند الله أكرم من موسى وعيسى وإبراهيم الخليل الذى اصطفاه وشرف مقامه ورفعه ليلة معراجه من أرضه إلى سماه وقال يا محمد أنت حبيب الله وسيد أنبياه (قال الراوى) فلما سمع الملك الاندرياس ذلك الكلام من الخليفة غضب غضبا شديدا وقال أوضح لى كلامك فما أعرف باطنه فقال الرشيد هذه بركة هذه البردة والقضيب وهذا الطيلسان الذى على رأسى وهى عمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا خاتمه فى أصبعى وهو من خاص الفضة عقيق فقال الملك وحق المسيح لا بد ما أحرق هذا كله بالنار وقال للبطارقة جردوه من عمامته وخذوا البردة والقضيب من على رأسه فأخذوهم من على رأس الخليفة ـ فصار الخليفة يسبهم ويلعنهم ويود أن يقتلوه ولا يرى آثار رسول الله تحرق بالنار هذا وهارون الرشيد يمانع ويضيعهم حتى كسرت له سنتين وضربوه وجاءت الروم وأوقدوا النار وبقى لها شعاع (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصل أبو محمد البطال إلى خيمة الاندرياس ونظر إلى اجتماع الناس وقال لغلمانه ولمالك أمهلوا حتى أنظر ما الخبر فدنا فرأى الرشيد يقول لا تعجلوا فلما رأى مالك ذلك قال يا أبو محمد أنا أحسن أقتل الملك وألقى نفسى إليه فاذا رأونى قتلته اشتغلوا عن احراق حوائج النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو محمد من أجل عجلتك ما أرت آخذك معى لأن العجلة من الشيطان لأنك لا تنظر فى عاقبة الأمور ولا كنت تبلغ مراد ويقومون علينا ويقبضونا قبضا باليد ونؤخذ ونقتل ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب والجبار قادر أن يحفظ آثار نبيه المختار ثم أن أبو محمد ودع الامير مالك وودع غلمانه فقال الامير مالك إلى أين يا أبو محمد فقال أريد أدخل على الملك الاندرياس لعلى

ألعب بعقله حتى لا يوقع فعل وأكلمه كلام يفهمه ولا يرده وأسكن عنه كلما يريد يصفه وإن شاء الله تعالى فى غداة غد آخذ الملك الاندرياس وأكسر عساكر الروم وأخلص أمير المؤمنين من الاسر فقالوا له سر على بركة الله تعالى ثم أن البطال دخل على الملك وقد بهتت له عيون الناس فأول ما دخل رفص الخليفة أرماه على ظهره إلى الارض وقال له إلى كم يمهلك المسيح وقد قتلت أخى وأفنيت عساكر الروم بما تأتى إليهم بالعساكر وتطلب بذلك عبدة الصلبان وحق المسيح لو أن الملك أسير فى آمد ونطلب أن نخلص بك الجميع لكنت جعلتك فى هذه الليلة صريع ودع كان يقتلنى الملك ثم قال أيها الملك قد نلت ما لم ينله أحد من الملوك وإن أنت أخلصت نيتك مع السيد المسيح تبلغ ما تريد بعد أن تحرق الذى ذكرت أنه آثار النبى العربى ويكون هذا فى غداة غد إذا اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف فتضرم النيران وتنادى بعساكر المسلمين انظروا إلى ما عولت عليه ثم تخرج الأمير عمرو تلبسه الثياب التى كانت على الخليفة وتوقفه بين العسكرين وتضرب رقبته وترميه فى النار وبهذا يكون سبب هزيمة المسلمين فلما سمع الملك من البطال ذلك الكلام قال لقد صدقت أيها البطريق وأقبل على البطارقة فقالوا ما تفعل بعمرو ابن عبيد الله ذلك لأن عندهم أسارى ونخاف أن يفعلوا بهم ذلك وما ندرى ماذا يكون إن كنا غالبين أو مغلوبين ولكن من كان عنده أسير يأتى به حتى نفعل معه هذه الفعال (قال الراوى) وأن الروم أتوا برجل كان عندهم قد أسروه فلما مثل بين يديه ألبسه حوائج النبى وأقام إلى أن أصبح الصباح وكان الروم قد ركبوا إلى مقام الحرب والكفاح وأن الملك الاندرياس أمر أن تضرم النار ويقدم ذلك الإنسان الذى عليه ثياب الخليفة فهو كذلك وإذا بفارس من المسلمين قد ظهر على جود أدهم كأنه الليل إذا أظلم فتحققوه وإذا به الأمير ضيغم وقد برز إلى مقام الحرب ونادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز لا يبرز للميدان لا كسلان ولا عاجز إلا من كان شاطر فى قماطه وكفنه تحت باطه ثم حمل على الميسرة قلبها ميمنه وعلى الميمنه قلبها ميسرة وصال وجال واستطال فى مجالات الميدان فصاح الملك الاندرياس من فيكم يبرز إليه ويأتينى به قتيل أو أسير وله على وزن رأسه ذهب فخرج إليه بعض البطارقة فقتله والثانى جندله ورماه والثالث ألحقه بأخاه والرابع جعل جهنم مثواه إلى أن قتل من الروم اثنى عشر فارس فعظم ذلك على الملك فتقدم البطال وقال أيها الملك إنى عولت أن أخرج إليه وأهجم عليه إلا أننى ما أريد مال لأنى رجل قد أخذوا المسلمين ولدى مطرون أسير وهو فى آمد مع الملوك مأسور وأنا أعلم أن الملوك يخلصوا بالرشيد وأنا ما عندى أسير أفديه به فعن إذنك أخرج

إلى هذا الفارس وكل من خرج بعده أنا آخذهم عن بكرة أبيهم بشرط أنك لا تتعرض لهم بقتل حتى أفدي بهم ولدى وأنا رجل صعلوك ما لى حصان ولا آلة حرب وإلا كنت خرجت إليه من أول مرة أيها الملك وأنا كنت من أصحاب الملك أفطالون فقال الاندرياس لعمرى كنت أسمع عنك من تجار الروم أنك كنت أغنى أهل القسطنطونية فبكى البطال وقال أيها الملك لقد غدر بى الزمان وقد صرت كما ترى فقال الملك عندى كلما تريد من أموال وعبيد ثم أمر له برمح خارق وجواد سابق فلبس أبو محمد العدة وركب وقد حاروا غلمانه وقالوا على ماذا عولت ثم تقدم إلى البترك والقسوس فصلبوا على صدره وصلوا عليه صلاة الأموات وصاح على جواده بلسان الافرنج وصوب قنطاريته إلى ناصية الأمير ضيغم ونظر إلى الامير أبو محمد فلم يعرفه ولم يخطر بباله فحمل عليه وطلع عليهما الغبار وتطاولت إليهم الاعناق ساعة من النهار فرأى أبو محمد فى نفسه التقصير فنادى اصبر يا ابن الاسود دونك أنا أبو محمد البطال فقال يا ويلك إيش هذه الفعال فقال تسلم يا ضيغم فسوف ترى العجب إن شاء الله تعالى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الامير أبو محمد قبض على الامير ضيغم وجذبه اقتلعه من سرجه ولم يعلموا أنه قد سلم نفسه إليه وخرج من المعمعة فقامتوا المسلمين لفقد الامير ضيغم وعظم فى أعينهم الفارس الذى أسره ولم يعلموا باطن القضية وأما الروم فقد رفعت أصواتها وفرح الاندرياس وقال وحق المسيح ما للنصرانيه مثل هذا أفلاطون ولولا هو ما كان أحد برز لهذا الاسود وأنتم تعلمون أن هذا ضيغم فى شجاعة أبيه عبد الوهاب والآن فقد أمكن منه المسيح ولم يزل الامير أبو محمد حتى وصل بضيغم وقال للنصارى قد جرى بينى وبينكم شرط وهو انكم لا تقتلون لى اسير ولكن يا مولاى أريد منك خيمة تكون لى خاصة فقال حبا وكرامة وامر البطارقة فضربت له خيمة إلى جانبه وحملت إليه البطارقة الخيول والعدد والدنانير الذهب والفضة والثياب حتى صار له مال عظيم وان الامير ابو محمد وضع فى رجل ضيغم قيد ثقيل وخرج إلى مقام الطعن والضرب وصاح بالافرنجية يروم القتال فخرج إليه سملق فحمل عليه فغاب عن الابصار ووزن أبو محمد روحه مع سملق فلم يكن له قدرة عليه وأشرف على العطب ورأى منه ما لم يراه من ضيغم ثم انه استلوش أبو محمد وأراد ان يقتلع به من سرجه فصاح أبو محمد البطال امسك عنى يا اسود يا حجام فأنا أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمع سملق كلامه عرفه وقال له يا ويلك ما هذا يا شيطان ما الذى حملك على هذه الفعال فقال أبو محمد لولا هذه الاعمال ما يتم لى بلوغ الآمال فقال سملق وما الذى قد عولت فقال الامير أبو محمد ما هذا وقت سؤال تسلم إلى حتى أوصلك بالامير ضيغم

فقال سملق لا وذمة العرب لا فعلت ذلك أبدا ولا أسلم نفسي الى الاعداء لانى أخاف أن يقال سملق أخذوه الروم أسير فقال أبو محمد اعلم ياسملق انى أريد ان آخذ من أبطال المسلمين عشرة ومعى غلمانى ومالك فاذا انسدل الظلام عملت على خلاص الرشيد وأخذ الملك الاندرياس أمير فقال سملق هذا شيء لايكون أبدا فلما أيس أبو محمد من سملق انغبن ثم انه حط يده تحت فخذه وأخرج خشتنانه محشية باللوز والسكر فأكل منها أبو محمد فجعل سملق يتملص ويبلع ريقه فعلم حاله أبو محمد فقال لسملق خذها لا بارك الله لك فيها فاخذها سملق وأكلها فما استقرت فى بطنه وكان قبلها أراد أن يأخذ أبو محمد من سرجه فانقلبت عيناه فى أم رأسه وارتخت يداه وذهبت عنه قوته واختلط كلامه فقال ياابو محمد أريد أن أطير ثم رمى نفسه عن فرسه ورمى نفسه أبو محمد عليه فمسكه وأتى به الى عسكر الملك الاندرياس وقد كتفه بعنان فرسه فتزاعقت الروم من كل جانب وعظم ذلك على المسلمين وقالوا حيث هذا الفارس أخذ سملق فلا يخرج اليه أحد فهو بطل بعد وأما أبو محمد لما وصل الى الاندرياس خلع عليه وقبل ما بين عينيه وقال ياأفلاطون مافى بلاد الروم ولا بلاد المسلمين أفرس منك يأخذ هذه الابطال الذين فى لون الظلام هذا وسملق قد عمل البنج فيه وبقى كانه سكران ولم يزالوا الروم يلطموه حتى دوحس قفاه وكلكات رأسه وطار البنج من رأسه (قال الراوى) ورجع أبو محمد إلى الميدان ومقاومة الابطال وقد غير الملك جواده وأوعده بكلما يريد (ياساده) ثم ان أبو محمد ظهر إلى مقام الكفاح وصال وجال وطلب البراز وقد عظم فى أعين المسلمين فخرج إليه الديال كانه الاسد الغضبان وجالا بين الصفين وطلع قسطل الغبار على الاثنين فصاح الديال ياأبو محمد وأراد أن يطعنه فصاح أبو محمد امسك يدك ياديال فأنا أبو محمد البطال وأنا فعلت هذه الفعال حتى يحصل فى عسكر الروم عشرين من الابطال (قال الراوى) ياساده ياكرام فتسلم إليه الديال فأخذه البطال وعاد إلى الروم فزادت أفراحهم وعاد إلى الميدان ولم يزل يأخذ واحد بعد واحد حتى أخذ خمسة وعشرين من فرسان المسلمين وولى النهار وأقبل الليل بغياهب الاعتكار فعند ذلك وثب الامير أبو محمد إلى عند خيمة الملك فلما رآه قام له على الاقدام وقال أهلا وسهلا ياأفلاطون فقال له أبو محمد اعلم أننا قد أخذنا أبطال المسلمين وفى غداة غد نكسرهم فقال الملك هذا ببركتك ياأفلاطون وحق المسيح لا بد ما أخلى الملك منو يل يقدمك سائر الملوك فقال أبو محمد عليك بحفظ الخليفة والامير عمرو فان البطال شيطان فياتى يسرقهم وأنتم نيام فقال الملك ياأفلاطون خذ الجميع عندك فما يحفظهم أحد مثلك فهو معه فى الكلام والمانصطر دخل وهو متغير اللون وهو يرتعد مثل السعفة فقال له الملك

ماالذى دهاك قال يامولاى سرق الرشيد والامير عمر والخمسة وعشرين فارس الذى أسرهم أفلاطون وما سرقهم الا أبو محمد البطال وهو معنا فى العسكر فصعب ذلك على الملك واستدعى بالموكلين وضرب رقابهم فقال البطال ما سرقهم الا أبو محمد البطال وهو معكم فى العسكر فخذوا حذركم منه وإلا يسرقكم أنتم الآخرين (قال الراوى) فقلق الملك وتغير لونه وقال انظروا الى بعضكم البعض فقالوا أيها الملك مامعنا غريب فقال الملك أعوذ بالمسيح من شره فانه يأتى الانسان فى صفة أبوه وأخوه وصاحبه فما تشير علينا أيها الفارس أفلاطون قال أبو محمد الصواب عندى ان تكونوا عندى فى خيمتى لانى ما أنام الليل أبدا ونام أنت وانفخ بطنك وأنا أحرسك وعلى حرس العسكر جميعا بقوة المسيح فقال الملك وحق المسيح ما بقى لى أخ الا أنت وأقاسمك فى ملكى كله فهل لك أن تأخذ الدمشقى معنا فقال أبو محمد وحق المسيح كان هذا هو القول فى قلبى الا سبقتنى بالكلام فقال الملك على بالمانصطر فلما ان أحضر قال له الاندرياس قد عولت الليلة ان أبات عند أفلاطون حتى ندبر مايكون فقال المانصطر وأنا معكم فنهضوا مع أفلاطون الى خيمته ونزلوا بها واذا بغلمان أبو محمد وقد أتوا بعد ما سيبوا الأمراء وشيعوهم الى عسكر المسلمين فعرفهم ابو محمد فغمزهم فغابوا حتى نام الملك الاندرياس والمانصطر ودخلوا على مولاهم فلما رآهم قوى قلبه ثم انه تعاون هو وإياهم على الملك والمانصطر وقوى كتافهم بعدما ألقموهم الأكر وحملوهم وخرجوا بهم وتموا سائرين بهم الى عسكر المسلمين الا والخمسة والعشرين امير الذى كان أخذهم أبو محمد من الميدان واجتمعوا فى خيمة الخليفة وهم يقولون والله مادلا آدمى هذا ابو محمد يربط ويحل فقال الخليفة ياخوفى عليه يموت قليل ان احدا يخلفه فى هذا الزمان فهم فى الكلام وأبو محمد وغلمانه داخلين حاملين الاندرياس والمانصطر وهم يقولون السلام عليكم ياأماره المسلمين فبهتوا وقالوا اما معكم قالوا الكلب العقور الاندرياس والمانصطر (قال الراوى) ففرح الخليفة والحاضرين بهم ووصاهم ابو محمد باليقظة وخرج وعاد بعد لحظة وإذا هم بأبو محمد دخل عليهم وهو حامل البطرق فوضعه عندهم فلما نظر الرشيد الى ذلك شكر الله تعالى على ذلك وقال سبحان الله من يعطى السائل ما يتمناه ويبلغ الامل ثم انه قال ياابو محمد إيش يكون الرأى قال يامولانا انعساكر الروم فى عالم عظيم واذا فقدوا فى غداة غد الملك الاندرياس فلا بد ما يتشوشون ويتجلدون ولا يهربون بين يديك ويرون القتال لهم اوجب ويحملون على الناس بحمق وما ندرى ما يكون من أمر الناس وأنا فقد رأيت من الرأى أن أروح أقيم عند الروم وأدبر على هلاكهم وأما أنت فى غداة غد تأمر الناس بالحملة على الروم

ماداموا فى هرجهم ومرجهم وتأمر الأمراء أن يحملون على الصليب الأكبر ويقتلون الرجال الذين حوله فان فعلوا ذلك فلا مقام أيضا للروم فقال هارون الرشيد نعم ما رأيت ياأبو محمد والله ما أضيعك من هذه العمايل فقال الأمير أبو محمد والله يامولاى ماأريد منك لا ذهبا ولا فضة ولا جوهر ولا أريد غير ثمرة الفؤاد وغاية المراد الذى قد منعتنى الرقاد وألزمتنى السهاد المليحة نورى فقال الرشيد وحق محمد المصطفى لا بد لى ما أعاونك على مرادك وأشفى فؤادك ولا دخلت بغداد حتى تبلغ مرادك قال فباس أبو محمد الأرض بين يدى الخليفة وبكى وانشد الأشعار (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك قال ياأبو محمد طب نفسا وقر عينا والله لو نازعك فيها ولدى المعتصم لعلوت رأسه بهذا السيف فشكره ابو محمد وعاد الى عسكر الروم ووصل الى خيمته الذى افردها له الملك الأندرياس (قال الراوى) ومضى الليل بظلماه واقبل النهار بضياه فركبت عساكر الروم وخواص الملك يطلبون يصيحون على الملك ويستأذنوه فى القتال فما وجدوا احد فى الخيمة والبطارقة قيام على باب الخيمة فسألوهم عن الملك فقالوا لا علم لنا فقالوا اطلبوا المانصطر فأتوا اليه جماعة فقالوا لهم مضى من اول الليل الى عند الملك وما رجع فقالوا اطلبوا البترك فطلبوه فما وجدوه فقالوا ان عملوا المسلمين بهذا الذى تم علينا طمعوا فينا ويحل بنا الدمار وتقطع منا الأعمار ونسقى كاس البوار (قال الراوى) فقالوا الروم اذا كان الملك الاندرياس عدم والمانصطر والبترك فاطلبوه بنا البترك أفلاطون الذى راينا منه بالأمس الشجاعة والبراعة فقالوا كلهم هذا هو الصواب فأقبلوا على ابو محمد البطال فنظر ابو محمد إلى ألف بطريق فسألهم عن حالهم وعن الذى أتى لهم فقالوا ايها البطريق العظيم الكبير ما عندك من الذى جرى علم ولا خبر فقال ابو محمد وقد صلب على وجهه ما الذى تم عليكم مادام ان السيد المسيح يحفظ الملك الاندرياس عليكم فقالوا واى واى وقد دقوا على صدورهم الآن الملك الاندرياس قد عدم فلطم الامير ابو محمد على رأسه وانجذب وأخرج خنجرا ماضيا من على وسطه وأراد أن يقتل نفسه فلما أن رأوه الروم عول على قتل نفسه رموا أنفسهم عليه وقالوا أيها البطريق لا تفعل ونحن عادتنا أن تسرق ملوكنا ونعوذ نخلصهم منهم وقد وقع الملك الأندرياس عندهم مرارا عديدة وهو يخلص بعون المسيح (قال الراوى) فلما سمع ابو محمد ذلك الكلام باس الأرض وقال الشكر للمسيح الذى لم أقتل نفسى فأنا احسب انه قد مات ولكن ما عهد ما هو متيسر إن أراد المسيح بخلاصه ما يعارضه احد وقد طاب الساعة قلبى إن كان مأسور عند المسلمين فعلى ان ارمى روحى فى عساكرهم والمانصطر الاخر إيش جرى فيه فقالوا الآخر

سرق فعجب من ذلك وقال ازاى الناس يسرقوا الناس والبترك قالوا سرق فقال الامير أبو محمد ما للمسيح فقالوا البطارقة ونحن أيها السيد نسأل المسيح أن يكفيك شره فانه إن أراد أن يسرقك ويسرق كل من فى بلاد الروم هان عليه تلك فصلب أبو محمد على وجهه وقال المسيح يكفينى شره وعلى بالمسلمين ما دمت حاضر ولما يسرقنى أروح فقالوا البطارقة ما بقى لنا أحدا سواك نعتمد عليه ولا مشير إلا إياك فانظر ماذا يكون الرأى فان عساكر المسلمين قد ركبت ولا شك أنها تريد الحملة علينا فقال اركبوا وتوكلوا على المسيح وأنا الآخر أفعل جهدى وإن طلبوا البراز بارزتهم وإن طلبوا الحملة فاحملوا عليهم واستعينوا بالمسيح فركبوا وتقلدوا بسلاحهم وركبت المسلمين فارتجت الارض طولا وعرض من كثرة الركض فما قولكم (يا سادة) فى ألفى ألف فكانت تلك الساعة كيوم ينفخ فى الصور وتخرج الناس من القبور وركب أيضا أمير المؤمنين وقد فرحوا المسلمين بخلاصهم أجمعين وفرحت المسلمين بأسر الاندرياس وكان الرشيد لما أصبح الصباح قبل أن يركب أحضر الاندرياس والبترك إلى بين يديه وقال يا عدو الله أنظر كيف أمكننى الله منك لما تجاريت وأردت أن تحرق آثار النبي صلى الله عليه وسلم فأطرق الاندرياس رأسه إلى الأرض وما رد جواب ولا أبدا خطاب وبقى منكر فى هذه النوبة التى تمت عليه ثم التفت الرشيد بعد ذلك إلى البترك وقال له يا شيخ الضلالة إذا وقعت فى أيدينا أكرمناك وأحسنا عليك لأجل قول نبينا محمد إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه فأنت ما أردت ترد على الاندرياس لما أراد أن يحرق بردة النبي ﷺ وما أمكنك أن تقول هذا ما يجوز بل قلت احرقهما وهل يأتى منكم يا ملاعين خير ثم أمر بحلاق لحيته وأراد أن يشهره فى العسكر فرأى العساكر قد ركبت فسلم الاندرياس لبعض السودان وكذلك البترك والماتصطر وأوصى بحفظهم وركب فى عسكره كما ذكرنا أول هذا جرى ههنا وأما أبو محمد فانه صار يصف عساكر الروم صف عجيب ورتبهم أحسن ترتيب إلا أنه قدم من لا يصلح أن يكون مقدم ممن إذا سمع العياط تأخر وانهزم وأخر الرجال الموصوفين بالقتال وقصد بذلك الفتنة بينهم والهزيمة فصعب ذلك على كبار الروم وما فيهم إلا من أقبل على قومه وقال هذا ما نرضاه وكيف يقدم علينا ما أراد قلبه واشتفاه خاطره فان هؤلاء الذين قدمهم علينا لا يصلحوا أن يكونوا غلمانا ثم أقبلوا على أبو محمد وقالوا أيها البطريق المعظم اعلم أن الملك ما قدم علينا قط هذه البطارقة ولكن نحن نعذرك فى ذلك لأنك ما تعرف القوم فقال البطال أنا ما على من نظام الملك وأنا ما أقدم إلا أصحاب الشجاعة والفروسية ما على من أصحاب المال فان

لم ترضوا انتم بهم فلا فرج المسيح عنكم لان التقدمة ما هى بكثرة المال وانما هى بالشجاعة فى مقام الاهوال (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعوا البطارقة الذين قدمهم البطال قالوا أعلم أيها السيد أقطالون ان الملك مافلح فى قتال لانه كان يقدم عليهم أصحاب المال ونحن ما نريد بعد اليوم ملك سواك ولا حاكم علينا إلا إياك عندها تشوش العسكر وارتفع الصياح وجرت الصفاح وقالت كبار البطارقة ما نريدك مقدم علينا لأنك قدمت علينا هؤلاء العوام فقال لهم أبو محمد الامر اليكم مالى اعتراض عليكم فقالت البطارقة الذين قدمهم مالنا سواك مقدم ونقطع رأس كل من يتكلم منكم فعند ذلك حمل بعضهم على بعض وقد ارتجت الارض ونظر أبو محمد اليهم وقد عولوا على الضرب بالقواضب وارتفع الصياح من كل جانب فحانت منه التفاتة وإذا من حوله عشرين بطريق فجعل أبو محمد ينظر اليهم وقد أعجبه زيهم وإذا بهم الامير ضيغم وأصحابه الذين كانوا عنده أسارى فلما نظر اليهم وقد أعجبه زيهم فقال لهم اعلموا ان الفتن قد قامت فجردوا سيوفكم وصيحوا بصوات واحد أفلاطون يامنصور واضربوهم بالسيوف وقد رأيتم العجب ويكون ذلك لهلاكهم سبب فعندها جردوا السيوف وحملوا على الصفوف وصاحوا أفلاطون يا منصور الذى تقدمه أنت هو المقدم فصاحت معهم السفهاء من الروم والعوام والغلمان وحمل بعضهم على بعض وتضاربوا بالسيوف وكان عليهم ذلك اليوم يوم فجيع سالت فيه الدما وأرملت النسا ونظروا المسلمون إلى ذلك فكبروا وكبر الرشيد وأمرهم بالحملة فحملوا وجردوا سيوفهم وقالوا وماجت الارض بأقطارها ونودى فى الرجال بانقطاع أعمارها ونفرت الخيول ولمعت النصول والعسكر تموج مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج وزادت الامور الصعاب وخذلت السواعد من الضراب وأظلم النهار وعمل البتار وسالت الدما مثل الانهار وهدرت سباع الفلاه وزمجرت ليوث الكماه وخرست الألسن والأفواه وطمنت العيون والجباه وتقصفت الابدان القناه وأشرف الإنسان على فناه وسالت على وجهه دماه وجرى العرق من كرب المعمعة فى الفلاة ولم يعرف الأخ أخاه ن الولد أباه بل كل واحد يطلب لنفسه النجاة وانقطع من الراجى رجاه وضج المسلمون بتوحيد الإله (قال الراوى) ولم يزل السيف يعمل والهدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى أقبل الظلام واختلط القتام وانفصل بعضهم من بعض وامتلأت بالقتلى الأرض وصارت غدرانها عوض الماء دما واشتد عليهم الظما ونزل بهم الفنا (ياساده ياكرام) وان الروم اقبل بعضهم على بعض وقالوا القد غضب علينا المسيح ومافعل المسلمون بنا مثل

ما فعلنا اليوم بأنفسنا وهذا كله بتدبير أمرنا وتدبير الشيطان أفلاطون فلا كان ولا كانت ساعته فما أيشم النظر إلى طلعته والرأى اننا نقبض عليه ونقدم علينا من نرتضيه من بيننا ونسلم مقاليد الامور اليه (قال الراوى) ثم انهم اجتمعوا على ذلك وطلبوا البطال فلم يجدوه فقال بعضهم لاشك انه قتل وفى هذه الواقعة العظيمة قد جدل وما بقى لنا إلى المسلمون سبيل فخذوا الاسارى الذين فى خيمة أفلاطون وعولوا بنا على الرحيل وان كانوا المسلمين يأخذوهم ويطلقوا الملك الاندرياس فما بذلك من بأس وهو الذى نريد (قال الراوى) وطلبوا الاسارى فلم يجدوا منهم أحد فقال بعضهم لبعض لاشك ان البطريق أفلاطون لما نظر الى الفتنة قد وقعت من أجله أخذ الاسارى الذين أخذهم فى مقام الحرب ومواقف الطعن والضرب وأمر غلمانه بالرحيل وسار إلى آمد لانه ذكر انه له ولد فى آمد أسير ولاشك انه مضى يفاديه بالاسارى الذين معه ولقد فرطنا فى أمره وما كان الصواب اننا نتعرض عليه لاننا ما رأينا فى الروم أفرس منه ولو أننا صبرنا واتبعنا رأيه كان يقدم علينا أقل الناس فعسى كنا نبلغ من المسلمين غرض ونأخذ منهم الاندرياس (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا هم بالامير أبو محمد قد أتى إليهم وأشار بالسلام عليهم ففرحوا به وأكرموه وصفقوا له وعظموه وعن الاسارى سألوه فقال لهم اعلموا انى لما رأيتكم وقد جرى منكم ما جرى عولت على الرحيل وأمرت غلمانى بأخذ المأسورين وان يطلبون حرب بن شيبان إلى الثغور وان يسيروا الليل ويكمنوا النهار لان البلاد بلاد الاسلام وكنت قد عولت على المضى لكن ردنى دينى بان لا أخلى ملك الروم الاندرياس والماسطر والبترك فى ايدى المسلمين أسارى وقد انفتح لى باب يكون فيه خلاصهم فى هذه الليلة فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا له أيها البطريق العظيم والقيل الكريم وكيف خلاصهم وهم فى أيدى المسلمين فقال بحيلة عجيبة دقيقة غريبة فقالوا له وما هى قال لهم اعلموا انى قد مضيت الى عسكر المسلمين وعرفت الموضع الذى فيه الاندرياس والبترك والمانسطر ومن حولهم خمسة آلاف من المسلمين وأكثرهم اذا تنصف الليل يناموا والرأى ان يتأهب منكم عشرة الف فارس فى هذا الليل الدامس واسير انا فى مقدمتكم فى طريق عسكر المسلمين ونكبس الخيمة التى فيها الاندرياس والبطارقه والمانسطر وأنا اعلم ان السيف يقع فى المسلمين ويقوم كل واحد منهم وهو عادم عقله فلا يعرف صديقه من عدوه وإذا قصدوا إلينا وسمعوا الصوت من عندنا يكون لنا فى العسكر من يعلم بالركوب ويكبسوا عسكر المسلمين فى الخيم فهم يأخذون الرشيد ويخلص الملك الاندرياس وحق المسيح

مايقوم لهم بعدها قائمة (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا لقد رأيت الصواب ومن لم يرى نفسه فى عظائم الأمور مايصل إلى غاية السرور ثم انهم انتخبوا من الروم عشرة آلاف فارس من الأبطال العوابس وأمر باقى العسكر بالركوب فركبوا ولم يبق إلا كبير أو ضعيف أو جريح أو طريح وسار بهم الأمير أبو محمد إلى أن وصل بهم إلى طرف عساكر المسلمين وهو يقول لا يرفع أحد منكم صوته حتى لا يفطنوا بكم إلا وأنتم معهم فى الخيام (قال الراوى) فلما قربوا الخيام ترجل أبو محمد وقال لهم ترجلوا فترجلوا عن بكرة أبيهم وساروا إلى أن توسطوا العسكر وإذا بالدنيا قد انقلبت ورجال ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

﴿ تم الجزء السابع عشر ويليه الجزء الثامن عشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ياساده فلما سمعت الروم الصياح طلبوا الخيام كما أمرهم أبو محمد البطال ولما أن حصلوا فى وسط عساكر المسلمين وقد ضربت خيامهم بالنار من سائر النواحى والأقطار وكان هذا كله من تدبير أبو محمد البطال وذلك أن البطال فى تلك الغيبة التى غابها عن الروم قد أتى إلى عسكر المسلمين وقال للرشيد يا أمير المؤمنين أخلى الخيام واتركوها خالية وإذا طلبت الروم الحملة اطلب أنت عسكر الروم واضرب الخيام بقواوير النفط ففعل الرشيد ذلك (ياسادة ياكرام) وكانت بنى كلاب فى مائة ألف فارس قد جعلهم البطال بقرب الخيام التى ذكر للروم أن الإندرياس فيها فما كانت إلا طرفة الطارف حتى أحدقوا بالعشرة آلاف بطريق ووقع فى خيامهم وعسكرهم الحريق فاندقوا منهزمين وعلى الهرب معولين وقد نثرت منهم الأبطال وجندلوا الأفيال وعملت فيهم السيوف الصقال والرماح الطوال ولم يزل السيف يعمل طول الليل إلى أن برق ضياء الفجر ونشر أعلامه واندقت عساكر الليل وأدبر ظلامه وقد قتل من الروم مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وقد ملكوا المسلمين الأموال والأثقال وولت عساكر الروم هاربة وإلى بلادها طالبة وهى مما أملت خائبة عند ذلك قال الأمير أبو محمد البطال للرشيد اعلم يا أمير المؤمنين إننى ما يمكننى المقام من ثلاثة وجوه أحدهما لما فى قلبى من هذه الجارية نورى من المحبة وقد ذكرت الأميرة علوى زوجة الأمير عبد الوهاب أن الأمير من فزعه عليها أرسلها إلى حصن الكوكب لأجلك فقال الرشيد لاشك فى ذلك لأننى لما دخلت معه إلى داره ورأيتها أردت أن آخذها منه فحملها إلى حصنه حتى يأمن عليها منى والثانى إنى أخاف

على آمد ممن فيها فقال الرشيد تعنى الملك فقال لا إلا من الراهب شومدرس وزوجته شوما وولده دهرشوم ولهم من خارج المدينة من يعمل على خلاصهم وهو عقبة فسكت الرشيد ولم يجبه على ذلك لأن هذا الكلام ما يعجبه فى حق عقبة فقال البطال والثالث يا مولانا أن قلبى خائف على الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وأخشى عليهم أن يكونوا ملكوا وحملوا إلى بلاد أخرى وأنت على ماذا عولت فقال الرشيد اعلم يا أبو محمد أن العراق قد اقترب وتشوشت أهل بغداد وقد عولت أننى أمضى إلى بغداد وأقيم بها عشرة أيام وأسير بعد ذلك إلى الثغور فقال الامير أبو محمد يا مولانا هذا لا يجوز لأن العراق سوف تمضى إليهم الاخبار انك قد كسرت الروم وتطيب قلوبهم بذلك وتطمئن البلاد والرأى عندى أنك تسير معى إلى آمد وتبصر ما يكون من الملوك وتبيعهم أنفسهم بالاموال وبعد ذلك أنت بالاختيار إن شئت ترحل إلى العراق وإن شئت تقيم حتى تخلص الامير عبد الوهاب ولعل الله أن يحسن خلاص الامير عبد الوهاب ومن معه وتصلح بينى وبينه على أنك تعطينى الملكة نوزى فضحك الرشيد من هذا الكلام وقال يا أبا محمد إذا كان الامر على ما ذكرت فأنا أؤخر المضى إلى العراق وأشيعك فى جميع المسلمين إلى آمد وألقى مرادك بمرادى ولا أرجع إلى العراق حتى أصلح بينك وبين الامير عبد الوهاب ثم أمر الرشيد بكتب الكتب إلى العراق وإلى سائر الآفاق بما فتح الله على يديه وجمع الغنائم والاموال والخيام والاحمال وأخرج الخمس لبيت المال وقسم الباقى على العالم بالسويه ورحل فى عسكره وقد غنم الناس غنيمة عظيمة وغنموا السودان أصحاب قراقد شيأ كثير بغير قياس من البغال والرحال والخيل والجمال والقماش وساروا طالبين آمد وقد طابت القلوب وشكروا علام الغيوب (قال الراوى) ولم يزل الرشيد سائر إلى أن وصل إلى آمد وخرج ميمون الجماس يلتقى الناس وضربت البوقات وخفقت الرايات وضربت الكؤسات وزين البلد سبعة أيام وسأل البطال عن الملك منويل وسائر الملوك فقال ميمون الجماس الكل يا مولاى عندى غير شومدرس وشوما ودهرشوم ولا أعلم كيف كان خلاصهم لأنى لم أجعلهم عند الملك منويل بل ضيقت عليهم وأقللت زادهم وأمرت بضربهم كل صباح حتى نتن الموضع الذى كانوا فيه وأشرفوا على الموت وبقوا ثلاثة أيام ما أكلوا طعاما وما شربوا ماء فأخرجتهم من المطمورة إلى ظاهرها ونحن نقول أنهم لا يصبحون إلا موتى فلما أصبح الصباح طلبناهم فما وجدناهم فورد على أمر عظيم لا أقدر أصفه فضحك الامير أبو محمد عند ذلك وقال ما ظهر على وجه الارض أخبث من هذا

الملعون شو مدرس إلا أن عقبة اللعين ووالله ما كان بهم مرض وإنما أظهروا ذلك حيله وخبث وقد سقاهم شو مدرس شيأ أسهلهم حتى نال ما أراد فلا كانت ساعته لانه شيطان فى صورة إنسان وما هو إلا قد حصل حبال ونزل بها من السور أو صبر إلى وقت السحر وخرج فى جملة الناس ووالله العظيم لقد كنت له فى نية ميشومة وقد أردت أن لا أبيعه نفسه وإن أصلبه على برج من الأبراج هو والعجوز شوما ودهرشوم لكن الله تعالى أخر أجلهم لأمر لم تقف أنت ولا نحن عليه ولا نهتدى إليه ثم إن أبو محمد أحضر الملوك والملك منويل وقال لهم اعلموا أنى بعتكم أنفسكم بالمال الاول ولكن غدر بكم الكلب الاندرياس حتى يضرب رقابكم ويأخذ الملك منكم والآن فان مولانا الخليفة قد أقسم بالله تعالى لابد له من قتله وقتل البترك معه لانه فعل معه ما لايليق به وأريد منكم الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقالوا له اعلم أيها الامير انه وصل إلينا جماعة فى يومنا هذا من ملطية وذكروا أنهم لم يكن لهم خبر ولاجلية أثر فعظم ذلك على المسلمين وطلب الامير أبو محمد من الملوك الامراء والمال وقال لهم اعلموا ان الرشيد كان معول على ضرب أعناقكم وأخذ أموالكم ويدخل إلى بلاد الروم ويخرب الديار ويهلك الامصار ويخلص الامير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب ولو كانوا تحت الارض فقال الملك منويل اعلم ياأبو محمد ان العقل ماركب فى رأس الانسان الاليميز به الاشياء ويفرق بين الجيد والردىء وأنت تعلم انى عندك أسير وحق المسيح ماعندى خبر من الامير عبدالوهاب ولا من معه من الاصحاب وأما المال الذى ذكرت فعلى اضعافه وأما الاندرياس والبترك فأنا أعلم انهم غلبوا على أمرهم وأسألك أن تسأل مولانا الخليفه فيهما وعلى انهما يزنان من المال مثل ماقطع عليهما فى الاول عشرة أضعاف واما الاميرعبد الوهاب ومن معه فأنا احلف بالإنجيل أربعين يمين انى اطلقهم فان قدرت عليهم وعلمت امرهم فأنا اخرجهم اليكم ولااحوجكم ان تدخلون الى بلاد الروم وتفتشون على اصحابكم (قال الراوى) واحضر الامير ابو محمد حرب ابن شيبان وقال له ياعدو الله نذكر كيف اخذتنى عند تل الثعالب بسبب محبوبتى نورى وسوف ترى من الضرب مالم تقدر على دفاعه فقال حرب بن شيبان لا بحق دينك ياابو محمد ولك على المال كما تريد وأنت تعلم أنى عبد مأمور وما أقدر أخرج من بلاد الروم إلا باذن ملك الروم لانى آكل خبز الملك ولا يمكننى أن أخالفه وهذا كله من شؤم مشورة الشيخ النجيح يا أبو محمد فقال أبا محمد للرشيد يامولانا اسأل هذا الرجل فانه يخبرك فقال الرشيد ويلك ومن هو الذى

تعنى بقولك الشيخ النجيح فقال يا مولاى رجل نصيح الملك منويل ويشير عليه بكل رأى ميشوم يوافق المسلمين وقد أفنى النصارى والمسلمين (قال الراوى) فنظر إليه منويل بعين الغضب فألفت القول وقال يا مولاى هذا بطريق من خواص الملك فوثب له البطال وقال له يا ملعون أصدق مولانا الخليفة وقول الحق وإلا والله الذى لا إله إلا هو خالق المسيح لأجعلنك الساعة مشرح تشريح ثم أنهم قلعوه ثيابه وبقى سرواله وقال لسودانه والغلمان على بهذا الملعون فتواثبوا إليه وبطحوه على الأرض وضربه أبو محمد حتى وقع لحم أكتافه وظهره فصاح عند ذلك أمسك يدك يا أبو محمد فأنا أقول من هو الشيخ النجيح ولو غضب على المسيح فخلا عنه الأمير وقال له يا ويلك قل وأوجز وأخبر أمير المؤمنين بالخبر فقال يا مولانا القاضى عقبة على دين النصرانية وهو يعين الروم عليكم ومع ذلك فهو سبب هلاكنا وهلاككم وهو الذى يوقع بيننا ولولا هو كان الملك الاندرياس سلم إليك المال من أول مرة وما كان سار إلى الموصل وما كنت أنادرت إلى ملطية وكان قد عول على قتل الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب حتى وصل إلى كتاب الملك وسائر الملوك إنى لا أخليه يتعرض لهم فقال الامير أبو محمد يا مولانا صدق لأن هذا الامر كان من فعل عقبة لعنه الله فلا كان الله له فى عون فلما سمع الرشيد كلامه قامت عيناه فى أم رأسه وقال أنا أقسم بالله قسما صادقا إن كان هذا صحيح لأصلبنه على دجلة بغداد حتى يشيع خبره فى سائر البلاد ولا بد لى ما أطلبه فى ساعتى هذه من أى موضع كان فان أتى بحجة واضحة وعلامة بينة وإلا فعلت الذى أقسمت أن أفعله إلا أن يرى نفسه أنه لم يكن حاضر هذه الأمور ولا كان فى هذه النوبة حاضر فقال أبو محمد البطال هذا أعجب منك يا مولانا أتريد برهان أكثر من ذلك فقال الرشيد لا كلام حتى يقع فى يدى وإنى قد فوضت أمرى إليك فى احضاره (قال الراوى) وحسب الملك المال الذى تقرر على الملوك فكان ألفين ألف دينار وأطلق الملك ميخائيل والبترك إلى القسطنطينية ليرسلوا المال (يا سادة) هذا والبطال قد أرسل الجواسيس إلى سائر الاقاليم إلى بلاد الروم وإلى انطاكية وأرسل إلى غلامه أبو الليل حتى يأخذ أخبار عقبة فى أسوء حال وأرسل يقول له لا تعود إلا به فان لم تجده فسير إلى بيت المقدس فأنا أخشى أن يكون عمل على الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ويسير إلى بيت المقدس ويقول لهم أن يؤرخوا له حين خرج وهو بعد الوقت بعشرة أيام وقد وصل إليهم وأقام عندهم ولكن إن شاء الله تعالى يهتك ستره فى هذه النوبة فقال الرشيد أمضى ولا تبطى وأنا ما أمضى من آمد حتى يأتى المال وأدخل فى بلاد الروم إلى طلبه وأنا أرجو أن تلقى خبرا شافيا

أعمل على خلاص الامراء (قال) وسارت الجواسيس مثل صابر المرعشى أحمد الشمشاطى وسعد بن كعب البدوى وسيف المسلوى وسار كل منهم فى طريق وكذلك الملك ميخائيل البترك ساروا الى بلاد الروم فى طلب المال وجمعوه وأقام الرشيد فى آمد وأرسل أبو محمد إلى ملطية حتى يكشف الخبر يعنى خبر الأمراء إن كان خبرهم وصل إلى ملطية أم لا فلما دخلوا البلد وجدوها قد انقلبت والأميرة علوى قد أيست منه وهى تبكى على الأمير عبد الوهاب وكذلك نساء الأمراء يبكون فرجعت الرسل وأخبروا الأمير أبو محمد البطال فوقع عليه من الهم والغم مالا يقع على قلب بشر وكذلك سودان قراقد وقع عليهم من فقد أميرهم أمر عظيم فخلع عليهم الخليفه وطيب قلوبهم وقال لهم مايكون الا الخير وان كانت الاخرى جعلنا ولده قرقود مكانه عليكم ولكم على من الديوان كما كان لكم على الأمير عبد الوهاب فقال له الامير أبو محمد ان كان يامولانا فرط فى الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب فوالله لا أقمت فى ملطية ولا أدخلها لان الديار باحبابها والمنازل بأربابها لانى والله يعز على فقد الأمير عبد الوهاب ويكون الأمير عرو بن عبيد الله هناك وأنا أعطى لله عهدا انى أعطى للأمير ضيغم وبنى كلاب آمدهم والسودان الأنجاب وآخذ الملكة نورى وأقعد فى زاوية البلد وأعيش أنا وإياها بالكثير والقليل لانى مايطيب قلبى بفراقها ولا أخليها فى البلد وأقيم ببلد أخرى وبعد فقد الأمير عبد الوهاب ووالدته ذات الهمه مابقى لى قدره على مقساة السفر ولا فى العساكر والدساكر والجيوش (قال الراوى) فضحك الخليفة من قوله وقال ياأبا محمد أراك قد عولت على الزهد والانقطاع وايش تعمل بالجارية نورى وهى لاتشتهى الزهد ولا تحبه فقال له دع هذا المزاح يامولانا ماهذا وقته ثم أنه أرسل الى حصن الكوكب الى الأمير نافع يسأل عن الجارية نورى ويقول له أنه قد طلبها أمير المؤمنين فاذا قرأت كتابى هذا فارسلها مكرمة غير مدافعة ولا ممانعه فمضى الرسول اليه وقدم عليه وهو مسرع وأرسل من بعده مائة من السودان ومائه من بنى كلاب وأقامة ينتظر الجواب (قال الراوى) وأتت اليه الرسل مسرعين فقال لهم مامعكم من الأخبار فقالوا له مضينا الى الأمير نافع فما نزل الينا ولا اطلعنا اليه بل أنه أنزل الينا الضيافة وسألناه عن الملكة نورى فقال هى عندى فقلنا له ان الرشيد أرسلنا اليك لنأخذها من عندك اليه لانه خليفة الزمان ولا يجب ان تخالف أمره فلما سمع ذلك قال والله أنا ما أسلمها اليكم ولا للخليفة ولو أتى بنفسه ماسلمتها اليه لانها عندى وديعه لمولاى الأمير عبد الوهاب وماسلمها لغيره وان كان مولاى قد هلك وتحقق موته فانا أسلمها لولده ضيغم فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك صدق أنها فى قلعة الكوكب وقال والله لا درى العبد

الزنيم نافع بمعنى هذا الكلام (قال الراوى) وكان هذا من تدبير الأميره علوى لأنها علمت أن الأمير أبو محمد ما يعقد عن طلبها وأرسلت إلى نافع وعرفته بما يقول وأعلمته بالقصة التى جرت من أولها إلى آخرها وأن الأمير عبدالوهاب قد أسر ومعه جماعة من الأصحاب وهم فلان وفلان وما طلع لواحد منهم خبر وأن أبو محمد قد طلب الجارية نورى وأن الرشيد لا شك أنه يساعده على ذلك وقد عملت كذا وكذا وأخذتها إلى دارى وخليتها عندى وذكرت لهم أنها عندك فإذا سألوك عن ذلك فليكن جوابك بأنى ما أسلمها إلا لمولاى الأمير عبد الوهاب (يا سادة) وأقاموا على ذلك ثلاثة أشهر وقد وصلت الأموال من بلاد الروم مع البترك وميخائيل وفرح الرشيد بذلك الملك العظيم وأخذ من المال خمسمائة ألف دينار وكانوا عوض خزائنه التى أخذها أبو محمد البطال وفرقها على عساكره وأخرج الألف ألف وخمسمائة ألف الأخرى وأخرج منه الخمس لبيت مال المسلمين وقسم الباقى على العساكر بالسوية فحصل للناس من المال الذى أخذوه من خزانة الملك الاندرياس من المال الذى للبطارقة فكان مالا لا يقع عليه احصا بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) وأطلق الملك منويل وحلفه أربعين يمين أن يحملوا المال كما جرت العادة فى كل عام وأن يحرضوا على خلاص الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأمراء والأصحاب وإلا فالهدنة مفسوخة فقال الملك سمعا وطاعة ثم أن الرشيد لم يطلق أحدا من الملوك حتى وطىء على رقبته برجليه وكان قصده بذلك اعزازا لدين الله الإسلام وإذلالا لدين النصرانية اللئام ومضوا الملوك إلى بلادهم وأقام الأمير أبو محمد على ذلك ينتظر الجواسيس فوصلوا كلهم يخبرون عن لسان واحد أنهم ما وقعوا لهم على خبر ولا سمعوا لهم ذكر من بشر فضاقت على الأمير أبو محمد المذاهب والأسباب وقال والله لقد تم على الأمير ما لم يكن فى الحساب فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فبينما هو فى الكلام وإذا بغلامه أبو الليل قد وصل فقال له الامير أبو محمد إيش معك من الاخبار يا مبارك (يا سادة) وكان هذا أبو الليل رجل لا يرام مقدم على الامور العظام فقال يا مولاى أخبرك بعجب لو كتب بالابر على أماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال له الامير أبو محمد وكيف ذلك يا أبو الليل قل وأوجز فوالله لو لم تأتينى لكانت مرارتى تنفطر لأن هؤلاء كلهم قطعوا ظهرى لما آيسونى منه فقال والله يا مولاى ما عندك لهم خبر حقيقى ولكن رأيت القاضى عقبة فى دمشق وقد صار خطيبها ويصلى بأهلها ويقرأ العلم فى جامعها وقد ناب على يديه عالم عظيم وله فى كل جمعة مجالس وعظ يوعظ الناس فيه ويدعو للخليفة والأمير عبدالوهاب ومن معه من الاصحاب أن يفرج الله عنهم ويحسن خلاصهم ويدعو لك فضحك الامير أبو محمد البطال وقال وحق

من فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة إن كان الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب أصيبوا فمن عقبة وهذا كله من خبثه ولعنته ثم أقبل على الرشيد وقال يا مولاى إن هذا الامر يبطى عليك كشفه وإظهاره فأمضى إلى العراق سالما حتى أمضى أنا فى طلب الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فإنى قد عولت أن أدور الارض ذات الطول والعرض فى طلبهم فان قدرت على خلاصهم فهو المراد وإن كانوا هم وقعوا فى موضع لا سبيل لهم إلى الخلاص منه إلا بالمال العظيم والخطب الجسيم فأنا أطلع الحضرة لتعلم ذلك وتدبر بحسن رأيك الاشياء إن شاء الله تعالى فقال الرشيد والله يا أبى محمد لا برحت من آمد حتى تكشف لى خبر الامير عبد الوهاب وأصلح بينه وبين الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم على ما يريد هذا إن كان الامير سالما وإن كانت الاخرى فلنا فى ذلك رأى آخر فان كنت تريد تطلب الامير عبد الوهاب فارحل من يومك هذا فهو الصواب فعند ذلك سار البطال من ساعته وغلمانه معه فقالوا إلى أين تريد فقال له إلى دمشق أولا فى طلب عقبة فإنى إذا أخذت الشىء من موضعه كان أريح لقلبى لأنى ما أعلم الغيب وأما أخبار الامير عبد الوهاب ماهى إلا عند عقبة اللعين المرتاب وإن وقعت به أوقعته فى العقوبة والبلاء حتى يقول لى كلما جرى على الامير وما كان أخباره وما زال يجد السير إلى أن وصل إلى دمشق فقال لغلامه أبو الليل اعلم أننى أريد أخفى نفسى فانى أعلم أن عقبة ان وقعت عينه على هرب ولا أنال منه أرب وإلا تنفرد الناس علينا لأنه قد احتوى على قلوب أهل دمشق بعلمه فما يكون منه ولكن أدخل أنت إلى الجامع وأسأل أين يسكن وأعرف الدار التى هو فيها حتى تعرفنى بها فاذا ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فالله تعالى يكشف عن عقبة الاستار ويكون ما يريد الملك الجبار فقال السمع والطاعة ثم أنه سار من وقته ودخل الجامع وسأل عن عقبة فرأى الناس يذكرونه بالخير فسألهم عن ما فعل فقالوا مضى من أيام قلائل إلى صور ويذهب من صور إلى ديار مصر إلى مكة ويقيم هناك ولقد سألناه أن يقيم عندنا فأبى عن ذلك ولو كنا عند الله مقبولين لأقام عندنا تلك السنة ذلك العبد الصالح (قال الراوى) فلما سمع أبو الليل ذلك رجع إلى البطال وعرفه بالحال فقال ارحلوا بنا فوالله العظيم إن صدقنى حذرى ما الملعون إلا قتل الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لا محاله وإلا فما كان يهرب هكذا إلى أرض بعيدة ولقد عمل هذا الملعون عملا تعجز عنه أهل الارض ثم سار هو وغلمانه إلى مصر فدخلها يوم السبت فسأل عن عقبة وأعطاهم صفته فقالوا قد طلع فى مركب من المراكب إلى اسكندرية وذلك أمس فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال لغلمانه المصيبة أن يكون الملعون قد بلغ من الامراء

مراده ونجا بنفسه وأنا لو هلكت فى طلبه ما رجعت إلا به إن شاء الله تعالى ثم أن البطال أقلع ثانى يوم إلى دمياط فوجد قوم فى مركب خالى وقد عولوا على اسكندرية فسار معهم إلى أن وصل إلى اسكندرية ثم أخفى نفسه وأنفذ غلامه يأخذ الخبر فمضى وعاد إليه وقال له يا مولاى قد سألت عنه فقيل لى أنه أقلع اليوم فى مركب إلى المهدية وقد بقى ههنا مركب وذكروا أهلها أنهم بعد ثلاثة أيام يقلعوا فقال البطال نسير فيها إن شاء الله تعالى ثم أنه صبر الثلاثة أيام وصعد المركب فى اليوم الرابع وأقلع فيها فأقام فى البحر عشرين يوم ليلا ونهارا ورأس الحادى والعشرون وصلوا إلى المهدية وسألوا عن عقبة فقيل أنه قد أقلع إلى صقيله ودخلها وسأل عنه فأخبروه بخبره وصفته وهو شيخ نحيل الجسم وعليه آثار الزهد وذكر أن له ولد فى أقيودش وهى أقصى بلاد الافرنج وقد سار إليه ينظره وهو بلد ما دخلها قط أحد من السواح وقد نزل مع قوم من الافرنج لأنهم كانوا عندنا ورحلوا وذلك الشيخ الذى تسألوا عنه هو أفضل أهل زمانه كبير الشأن حلو الكلام فليته كان أقام عندنا ولو شهر من الزمان (قال الراوى) هذا وأبو محمد من شدة الحقد والحنق كاد أن يتمزق وبكى فقالوا له أهل البلد يا هذا ما الذى يبكيك فقال كيف لا أبكى وهذا الشيخ من أعز الناس على وما أتيت ههنا إلا من أجله ومعى الذهب والفضة لأنى ولده وقد أقلع إلى نحو بلد بعيد ولا له معين ولا مساعد وكيف الحيلة حتى ألحقه فبالله دلونى عليه فقالوا له والله ما نقدر على ذلك إلا فى رأس الشهر وإذا مضى منه اثنى عشر يوم تسير فى مركب الافرنج من أهل المدينة التى سأل عليها والدك فلا تشغل قلبك بحال من الاحوال وكن عندهم أنت وصحبك فى أعز مكان حتى إذا كان وقت رحيل الافرنج وسفرهم حملنا كم معهم فشكرهم وأقام عندهم تلك المدة وكل يوم يمضى عليه بسنة لطلبه لعقبة وقلقه عليه وأنه قال لغلمانه والله العظيم أن هذا الملعون ما دخل إلى هذه البلد وتغرب هذه الغربة وإلا وله حديث عجيب وأمر غريب وأنا لا أشك فى قتله للأمير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقد ضاقت عليه الارض بما رحبت وخشى على نفسه منى فترك أرضه وبلاده وسار إلى هذه الارض حتى يقضى فيها باقى عمره وأنا الذى لا أغفل والله عن طلبه إلى أن أظفر بمناى أو أموت بدائى فقال له غلامه أبو الليل والله يا مولاى أن دخول عقبة إلى هذه الديار لا أعرف سببه وإن كان ولا بد من طلبه فاعزم على بركة الله وعونه وكلنا نسير معك ولو هلكنا عن بكرة أبينا (قال الراوى) ولما كان اليوم الثالث هبت رياح طيبة تصلح للقلاع فصعد أبو محمد وغلمانه فى ذلك المركب وأخذوا لهم زاد كثير يكفيهم أربعة أشهر ثم أقلع

المركب (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة وسببه وسبب دخوله إلى هذه الديار الذى ذكرنا والاماكن التى وصفنا فانه لما سار عن ملطية طالب أرض انطاكية وقصد إلى دير الراهب جرجيس الذى أرسل الامير عبد الوهاب وأصحابه إليه مع دويب المتنصر والملعون عقبة فرحان أنه قد ظفر بالامير عبد الوهاب وهو يخاف أنه لا يبقيه ساعة واحدة بل يقتله لوقته وأن الراهب جرجيس لما نظر إلى القاضي عقبة فرح به فرحا شديدا وقال يا مولاى ما أسعدنى بهذا اليوم الذى رأيتك فيه فقال عقبة المسيح يسعدك وإلى الجنان يوصلك ويرشدك فشكره الراهب على قوله ثم أحضر طعاما فأكل وبقى الملعون عقبة منتظر أن يفاتحه فى أمر الامراء فلم يذكر شيأ فقال له عقبة ما كان دويب المتنصر أتاك بالاسود الزنيم فقال الراهب ما عندى من هذا خبر ولا رأيت أحد ولا عبر بى عابر فصاح عقبة صيحة كادت مرارته أن تنفطر وقال يا أخى دع عنك المزاح فوحق المسيح لقد فقعت مرارتى وحيرتنى فى أمرى فلما سمع الراهب جرجيس كلام عقبة قال أيها الشيخ النجيح وحق المسيح ما عبر بى هذه السنة عابر غيرك فلما سمع عقبة ذلك ضاقت عليه الارض بما رحبت وقال فى نفسه لا يخلو أمره من أحد الجانبين أما يكون عبد الوهاب ودلهمة قد أظهروا له المال الكثير فرغب دويب المتنصر فى ذلك وأما أن يكونوا المسلمين قد لقيوهم فى الطريق وخلصوا الاسارى (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن الملعون عقبة أنفذ غلامه خالد يأخذ له الاخبار فغاب غلامه وعاد إليه وقال لا سمعت لهم خبر فكادت مرارة عقبة أن تنفطر ثم حلف أن لا يسير من ذلك الموضع حتى يطلع على خبرهم ثم أمر غلامه أن يعود ويسير إلى سائر الاقاليم فقال سمعا وطاعة ثم رحل من تلك الساعة وطال بعقبة المقام إلى أن ضجر وسار طالب دمشق فارتفع فيها ذكره وسار يعظ الناس إلى أن وصل إليه غلامه وقال له يا مولاى طب نفسا وقر عينا فما بقيت ترى لعبد الوهاب والدلهمه وجه أبدا فقال له عقبة ويلك أخبرنى فلقد أفنيت زمانى ولك على الخلع والعطيه فقال يا مولاى أخبرك أن دويب المتنصر لما سار بالامراء وصل إلى دمشق وعين الاجرد فلقيهم هناك الكندفرون ملك كندفرون وهو أقصى بلاد الافرنج وراء الجبل الازرق الذى لا عمارة بعده وبينه وبين القسطنطونية سنة ونصف للمسافر المجد وأن الكندفرون سار إلى أن دخل إلى وادى الذيب وأرض الجبل الازرق ونزل على الصين وإذا قد وجد هناك دويب المتنصر ومعه قومه وأولاده ومعه الامير عبد الوهاب وأصحابه مأسورين فلما نظرهم سألهم عن حالهم فلم يقدروا على الكذب بل قالوا نحن سائرين

هؤلاء إلى دير الراهب جرجيس الذى هو صوب انطاكيه من أجل الشيخ النجيح فلما سمع الكندفرون كلامهم أمر بضرب رقابهم وسب عقبة وشتمه وقال لارضى المسيح عن ذلك الشيخ النجيح الأعور نحن أولى بقتل هؤلاء منه ثم أخذ الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب وقال وحق المسيح لقد أخذت رأيي من هؤلاء المسلمين وإذا وصلت إلى بلدي وخرج الناس يعزونى فى أبي ضربت رقابهم فلما سمعوا أصحابه كلامه فرحوا بقوله وأخذوا الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقال أبو الهزاهز والله إنها موتة صعبة ولابد مايحملونا إلى آخر الدنيا وبعد ذلك يضربون رقابنا فقال له قراقد وأى بشارة لك ولعلنا أن نعيش وأنت وحدك تهلك فقال أبو الهزاهز والله مانموت إلا كلنا سوى ولا شك ان عقلك قدعدم فمن عطب رفيقه سلم فقالت الاميرة دلهمة دعونا من هذا الكلام وسلموا الامر إلى محي العظام فهما قضاة أمضاه ولامفر من حكمه وقضاه هذا وقد سار الكندفرون طالب بلاده ومعه الامير عبد الوهاب أصحابه وأتى غلام عقبة إليه وأخبره بما قد جرى عليهم فلما سمع عقبة ذلك قال وحق المسيح لارجعوا هؤلاء ينظروا بلاد المسلمين أبدا وما هم إلا هالكين ولكن ما كنت أريد تضرب رقابهم إلا وأنا حاضر حتى يعلموا أن المسيح قد أعطانى نسيم المراد وقد شفيت منهم غليل الفؤاد ثم قال وحق الإنجيل لابد من طلبهم على أي وجه كان ولكن قد حرت فى أمري ان أنا سرت فى البر فما ألحقهم إلا وقد فات فيهم الامر وما لى إلا أن أسير من ههنا إلى صور وهو أول الساحل وأقلع إلى اسكندريه ان وجدت مركب واصلة إلى بلاد الروم سرت فيها وأتوصل إلى الملك الكندفرون وأحضه على قتل الاسود والسلام بعد ذلك على الدنيا وان لم أجد فى اسكندريه شيئا سرت إلى الغرب وأقلع إلى صقيله وأقلع من صقيله إلى أفرنجه ومنها إلى الكندفرونيه إلى بلاده وبعد قتلهم ما يبقى لى فى الدنيا حاجة إذا هدمت هذا الركن الذى مايذب عن الإسلام غيرهم فقال له غلامه يا سيدى المسيح يظفرك بمرادك ويهلك أعداءك وأضدادك ويردك فى خير إلى بلادك إذا كنت قد عزمت على هذا الامر الذى قدذكرت فارحل وكن أمرك على عجل (قال الراوى) فأخذ عقبة معه مالا عظيما من عامل له بدمشق كان نصرانيا وسار إلى اسكندريه كما وصفنا إلى المهديه وإلى صقيله كما أخبرنا وان أبو محمد خلفه طالبا كما قدمناهذا وان عقبة سار فى المركب التى فاتت أبو محمد ولم يلحقه وان عقبة وافقه ريح طيب فى البحر أربعة عشر ليلة ونهارا حتى قربت مركبه من مدينة كندفرون ونظر عقبة إلى المدينة وهى بناية عجيبة قد بنيت بالحجر الاسود الاصم على مثال مدينة آمد الا أن هذه المدينة أوفى ولها

أبراج معموله وسط البحر طول كل برج مائة ذراع إلى فوق وهو نازل فى الماء خمسون ذراعا وقد ذكر فى تاريخ الطبرى أن هذه المدينة من عمارة الجن ولها باب إلى البحر وباب إلى البر فإذا خرج الانسان من الباب الذى للبر يسير شهرا كاملا لا تقع عينه على شمس من كثرة اشتباك الأشجار وهى ديار قط ما طرقت وأحسن بلاد فى الدنيا فلما نظر عقبة إلى ذلك تعجب ثم أنه دخل إلى المدينة وقصد البيعة فتقدم إليهم وسلم عليهم بالافرنجية وكان يعرف بكل لسان ثم أقبل على المقدم عليهم وهو كبيرهم فقال له أيها القس العالم أخبرنى عن المسيح هل كانت القدرة قديسية أو ربانية أو متصلة أو منفصلة أو مستعارة أو سمائية أو أرضية أو مخلوقة ترابية فلما سمع القس (يا سادة) ذلك الكلام من عقبة انقطع علم ما فى يده ولم يرد جواب فقال له عقبة هذا جواب العجز ولو كان هذا الجواب للمسلمين لثبت عليكم العجز المبين ثم أن عقبة جعل يشرح لهم الإنجيل بطريقة حنينه وهم يتبعوه ثم أنه فسر لهم منه ما أذهل عقولهم وتراموا على يديه عند سماع كلامه وقالوا هذا واحد من أصحاب المسيح لا محالة ثم أن القوم ألبسوه ثيابا كانت عندهم يزعمون أنها من أيام الحواريين مدخورة عندهم فى الصناديق النحاس ثم أن عقبة استخبر عن الملك فأخبروه أن قد وصلت إليهم الأخبار أنه قد وصل إلى قرب أرضهم وإنما كان أعاقه صاحب افرنجه لأنه كان زوجه ابنته ارمانوسة وفى هذه الايام يصل فطابت نفس عقبة بذلك واحتوى على قلوبهم ولم يقيم أكثر من عشرين يوم حتى أقبلت مركب الامير أبو محمد البطال على المدينة التى للكندفرون فلما نظر أبو محمد وغلمانه إلى تلك المدينة قال سبحان الله العظيم إن فى الأرض عجائب وغرائب هذا والله موضع ما رأت عينى مثله قط صنعة ربنا لكن طالت غيبتنا وأرجو من الله لا يخيب سفرتنا ثم أقبل على غلمانه وقال يا لؤلؤ اعلم أن عقبة اللعين ما دخل هذه المدينة إلا لأمر عجيب وحال غريب ولا شك أنه يصير عند القوم قسيسا أو مطرانا لأنه رجل لا يوجد مثله فى حفظ التوراة والانجيل والقرآن ويتكلم بكل لسان ولا بد أن يناظر علماهم وما فيهم من يقف بين يديه فى المناظرة من سائر العلوم وهو يصير عندهم بمنزلة عظيمة ولو أمرهم بقتل أنفسهم لفعلوا أو أن يقتلوا أولادهم لما خالفوه وإن عرف واحد منا فهو يعمل على هلاكنا فقال له لؤلؤ والله يا سيدى لقد قلت الصحيح وأتيت بالكلام المليح والرأى عندى أنك تصبر حتى يطلعوا التجار الذين فى المركب إلى البلد ونصعد فى زى القوم إلى بعض الحارات ونكمن إلى أن نعلم حال عقبة ونعرف سبب قدومه إلى ههنا فقال أبو محمد نعم ما رأيت يا لؤلؤ هذا وأن القوم صبروا إلى أن طلعوا التجار فلبس أبو محمد ثياب الافرنج

وفعلوا غلمانه كفعله وعبروا المدينة فاكروا لهم موضع لئلا يطلع عليهم أحد ونظروا إلى بلد عجيب متطبق بالرخام والانهار تجرى فى البلد إلى البحر المالح والبحر محدق بنصف البلد من باب الميناء (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وأن أبو محمد نزل فى بعض الخانات وأظهر أنه من بعض التجار وقال لغلامه أبو الليل أدخل إلى البلد وامشى فى أذقها واسأل عن عقبة (قال الراوى) وكان أبو محمد يشترى الغلمان ويخبيهم فى البلاد ويدخرهم لكيد الاعادى يطلب بذلك أن يخفى أحواله وإذا طابهم وجدهم وكان عقبة يفعل ذلك هذا وأن أبو الليل خرج إلى ظاهر المدينة ساعة ورجع وهو أصفر اللون مضطرب السكون يرتعد كالسعفة فقال أبو محمد ما وراك فقال يا مولاى قم من مكانك وانظر إلى أعز الناس عليك وهم فى الذل والنكال فقال أبو محمد البطال ويلك حدثنى الامر على جليته واعلمنى مضمون الكلام فقال يا مولاى لما دخلت إلى هذه المدينة وأنا متعجب من حسن بنائها إذ رأيت البلد وقد زينوه فسألت عن ذلك فقيل لى أن الملك قد وصل ويريد يدخل اليوم إلى البلد لأنه كان فى غزاة المسلمين فى معاونة الملك منويل وله غائب عنا مملتين لأنه أقام هنالك سنة وأقام فى الطريق سنة (قال الراوى) وقد ذكرنا أن هذه المدينة نصفها فى البر ونصفها فى البحر فى لحف الجبل فى لون السماء لا نبات فيها ولا شجر وقد ذكر عبدالله بن سلام أن تلك المدينة لا يمرض فيها إنسان إلا مرض الموت وذلك لصحة هواها وطيب غدرانها وحسن مائها (يا سادة يا كرام) وأن أبو الليل قال لمولاه أبو محمد وبينما أنا كذلك التفت يمين وشمال وإذا بالمنادى ينادى أن يخرجوا إلى لقاء الملك الكندفرون يا مولاى وحق الذى بيثرب ﷺ لقد خرج إلى لقاه أشهر من ألف ألف فارس طوال الابدان أحدهم كالنخلة السحوق فى الزى والعينان ما رأيت فى بلادنا منهم ولا عاينت عينى شكلهم وما كانت إلا ساعة حتى عادت الخيل تدق بعضها بعض ووصل الكندفرون وبين يديه رجال حفاة عراة وبينهم امرأة طويلة وفى وسطها قطعة مئزر يطير من عينيها الشرر وقد علا وجوههم الغبار وعليهم من البلاء آثار فوالله يا مولاى لقد حرصت على أن أعرف منهم أحد فما قدرت على ذلك وإنى سألت من بعض الافرنج عنهم فقال لى هؤلاء قوم قد وصل بهم الملك من بلاد الاسلام وهم يذكرون انهم عماد المسلمين وأبطال الموحدين وفيهم واحد يقال له عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وولديه سيف الحنيفية وقشعم والباقى أصحابه وكل واحد منهم كأنه الاسد الضيغم وأنهم هم الذين خربوا بلاد النصرانية وأهلكوا أهل ماء المعمودية وقد هدموا البيع والصوامع وبنوا المساجد والجوامع وهم سبب كل فتنة وكل رزيه والملك قد حملهم إلى ههنا لأنهم قتلوا

فى هذه النوبة أباه وعدم منه فى هذه الغزاه وقد عول فى غداة غد يركب إلى الميدان ويضرب رقابهم بين يدى الرجال والفرسان يا مولاى وإننى لما عرفت القصة غدوت إلى باب القصر قبل أن يدخل الملك ولما دخلوا الأمراء وتحققتهم وإذابهم عبد الوهاب وقشعم وسيف الحنيفية ومالك بن طوق وذات الهمة وأبو الهزاهز وقراقد وطارق الحجازى وبرد بن الأزهر ولما عرفتهم يا مولاى عدت إليك حتى تعمل ما تراه وتدبر ما تهواه مع انى أعلم أن مالهم إلى الخلاص سبيل (ياساده يا كرام) فلما سمع أبو محمد ذلك من غلامه قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله يا أبو الليل لقد قطعت ظهرى وحيرتنى فى أمرى وإن صدقنى حذرى فان عقبة الملعون علم بأنهم أتوا ههنا فتبعهم ليشمت فيهم وينال المقصود وإن شاء الله تعالى يقدرنى على خلاصهم ويعودالى بلادهم ولكن أرجو من الله تعالى أن ييسر لنا تحصيل عقبة وننكبه فى نفسه نكبة وأى نكبة فقال لؤلؤ لا تعرف هذا إلا منى وعلى أن أسوقه لكم الليلة سوق التيوس للذبح فضحك أبو محمد من كلام لؤلؤ وقال له إذا فعلت يا لؤلؤ هذه الفعلة فعلى خلاص الأمراء إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم إن أبو الليل مضى وغاب عنهم ساعة وأتى وقال يا مولاى قد مشيت إلى البيعة فرأيت عقبة وهو فى قبة من العاج مرصعة بالذهب الوهاج ورأيته عندهم فى منزلة عظيمة وهم يبكون بين يديه ويقولون يا أبونا اغفر لنا وارحمنا فيقول لهم قد غفرت لكم ورحمتكم وأعطيت كل واحد منكم فى سقر والوادى الاحمر مائة فدان يشطح فيها خلاصه وحرمتها على المسلمين ورأيت جماعة القسوس والرهبان وهم يصلبون على وجوههم وقد زعموا أنهم مضوا يهنون الملك بالمملكة ويعزوه فى أبيه وينصبونه موضع أبيه على سرير المملكة ويدورون حواليه بقراءة الإنجيل ويلزمه بقتل هؤلاء المسلمين الدين وصلوا معه من بلاد الموحدين (قال الراوى) فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام بكى وقال والله هلك أبو ضيغم ثم ان البطال قام على حيله بهمة وقال توكلت على الله ثم لبس لبس الافرنج ونثر عليه شوارب طوال كبار وحواجب عراض وشتر عينه اليمين فسار أوحش خلق الله تعالى ووثب قائما فقال له غلامه لؤلؤ على ماذا عولت فقال على الدخول عليهم ولو قعدت عند عقبة شهرا كاملا ما عرفنى لأنه ما رآنى قط فى هذا الزى وأريد أن أجتهد فى خلاص الأمراء وسار الأمير أبو محمد ودخل إلى القصر الذى فيه الملك فوجده عالى البناء مرخم الحيطان فيه صور وتماثيل وشموع وقناديل وستور وأوانى ذهب وأسرة من عاج مصفح بالذهب الوهاج مرصعة بالدر والجوهر والياقوت الاحمر وفيه صفة شمس تزهو فى القبة صنعة حكيم كهين كان فى زمنه مدبر ونظر أبو محمد

إلى الرهبان والشمامسة والبطارقة من حول الملك والقاضي عقبة جالس بين يديه وقد نصب له كرسي الكرامة وقد زاد الملك الكندفرون في إعظامه وقال أيها الشيخ النجيح لقد نزلت في بلدي بحضورك البركات وطارت عليها طيور السعادات (قال الراوي) ولم يكن الكندفرون يعرف عقبة لأنه ماخرج إلى بلاد الإسلام قط ولا إلى بلاد الروم غير هذه المرة وكان يسمع الملك منو يل يقول قد أمرنا الشيخ النجيح بكذا وكذا ولم يعرف الكندفرون من هو الموصوف بهذه الصفة ولما حضر عقبة عنده في هذه النوبة وجعل يحدثه بفضائل المسيح ويتلو عليه الإنجيل بالافرنجية (قال الراوي) فلما سمع الملك ذلك من كلامه وما أبداه من نظامه علم أنه ينطق عن علم غزير ومعرفة صادقة فوثب الملك وأخذ بيد عقبة وأجلسه في المرتبة التي هو جالس فيها وأمر له بعشرة آلاف دينار فامتنع من أخذها ولم يقبلها وقال وحق المسيح ما أنا طالب دنيا ولا قدر لها عندي ولا قيمة فعظم في عين الملك بهذه الفعلة وقال ما بعث لنا هذا المسيح إلا وقد نظر إلينا ثم جعل يقبل يد عقبة ويقول يا أبونا اغفر لي وارحمني وعقبة يقول أيها الملك قد غفرت لك ورحمتك وأعطيتك في سقر مسيرة عشر سنين هذا ما جرى وأبو محمد البطال واقف ينظر ماجرى لعقبة ويشاهده ويقول في نفسه إن كانت المغفرة بيده قد صارت فلا غفر الله لي وان عقبة أقبل على الملك وقال أيها الملك قد سمعنا أنه قد وصل معك جماعة من المسلمين وهم ممن لهم قدر وشأن وسمعت أنهم أبطال وشجعان وهذه أول السعادة لك أيها الملك لأنك أول ما ملكت الملك قتلت قوما قد أخربوا بلاد الروم وقتلوا منها عالم عظيم بعدد النجوم وقد سمعت من المسيح أنه قال اذا أسرتم الأسير من المسلمين فعجلوا بقتله قبل أن يعلمون أهله يعملون على خلاصه وسمعت من شمعون الصفا انه قال من ذبح من المسلمين واحد فقد حرم المسيح جسده على النار وقد سمعت انا من السيدة مريم انها قالت يأتي في آخر الزمان قوم يقال لهم المسلمين فيطلبون تعطيل الدين العتيق ومقالة التحقيق من قتل منهم واحد فيكون المسيح راضي عنه ومن قتل منه امرأة فأنا راضية عنه فلما سمع الكندفرون من كلام عقبة الملعون المفتون قال الحمد لله والمسيح الشكر لأن هؤلاء الأسارى تسعة رجال وامرأة والساعة أحضرهم وأضرب اعناقهم حتى أفوز بالصواب الذي ذكرته عن المسيح وعن أمه والتقرب ايضا بذبح الأمراء إلى السيدة مريم وقد وهبتهم لك ان تعاقبهم كما تريد فلما سمع عقبة ذالك من الملك فرح في نفسه فرحا عظيم وقال لقد نلت المنى من ذات الهمة وعبد الوهاب ومن معهم من الأصحاب فعندها أمر الكندفرون في الحال أن يحضروا الأمراء في أقبح حال

فما كانت غير ساعة حتى أحضروهم بين يدى الملك وعقبة وهم حفاة وقد تغيرت وجوههم وطالت شعورهم والاظافر لان لهم زمان طويل وهم فى قلة وتعتير ولهم فى الطريق مدة سنة إلى ان وصلوا إلى هذه المدينة التى ذكرناها لكم وما قاسوا من تحفظ الافرنج عليهم ولم يقدر أحد منهم على الخلاص فلما حضروا بين يدى الملك كما ذكرنا مد البطال عينه فنظرهم فجرت دموعه على وجنتيه مثل المطر وجعل يصبر نفسه فلم يقدر فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لكل أجل كتاب وقال فى نفسه والله ان أمر بقتلهم فى هذه الساعة رميت روحى عليه وعلى عقبة أنظر الكلب الملعون وأضربهم بالخنجر الذى فى يدى وأقتل بعدهم ولاحماة الاسلام ولاخير فى الدنيا بعدهم وأنشد وجعل يقول

ياصاحبى قفا نستخبر الدمنا منازل قد خلت منا وكانت لنا
ممن نخبر وممن كان يألفنا كذا الزمان علينا تارة ولنا
أنا الغريب غريبا لا مجيب له كبائع الريح لا يعطى له ثمنا

(قال الراوى) فلما وقفوا الأسرى بين الكندفرون وقد جردت الصفاح وعلا الصياح من كل جانب فجعلت الأميرة تقرأ وماندرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير والأمير قشعم يقرأ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله والأمير سيف الحنيفية يقرأ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبرد بن الازهر يقرأ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم والأمير سعيد بن الفرج يقرأ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين والأمير مالك بن طوق يقرأ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والأمير عبد الوهاب يقرأ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وأبو الهزاهز يقول والله ما نظرنا قط أيشم من هذا القتل والجوع والعرى والمشى وقد نفخت رجلاى من المشى فضحك الامام عبد الوهاب على ماسبقه من الهم والغم والأميرة ذات الهمة تقول إياك يابنى ان تحرم نفسك الثواب واعلم يابنى أن الرأس الغنم إذا مات رمى على المذبلة وإذا ذبح أكله الانسان واستعان به على طاعة الرحمن يابنى وكذلك ابن آدم إذامات صار طعاما الدود والآفات وإذاقتل فى سبيل الله وطاعة رب السموات فانه ينال بذلك الجنان التى ما بعدها ممات فقال لها والله يا أماه مابى شىء من الحزن ولكن ماشفيت قلبى من البتار وانى على ماترى من ضعفى لوملكت سيفى ما كنت سلمت نفسى حتى اقتل ألف ألف قالت يابنى كذلك فان الاعمال بالنيات (ياساده) هذا وعقبة يقول أيها

الملك انجز بالأمر وبادر بالثواب واقتل هؤلاء الكلاب فعرفه الأمير عبد الوهاب وقال للأميرة ذات الهمة والله يا أماه إنى أيست من الحياة وأيقنت بالممات فى هذه الساعة فقالت له وكيف ذلك يا بنى فقال لها ألا ترين إلى هذا الجالس الذى بجانب الملك الكندفرون هو الملعون عقبة بن مصعب فقالت الأميرة يا بنى ومن أين وصل عقبة إلى هذه الديار وإن كان هو فهذا من أعجب العجب (يا سادة) (قال الراوى) فسمع عقبة المشاجرة فقال للأميرة صدق الأسود الزنيم فيما قال يا عاهرة نعم أنا الشيخ النجيح وحجة المسيح عقبة بن مصعب السلمى وما كان المسيح يضرب رقابكم إلا وأنا حاضر فتحقق هذا واعلمى إنما يقينى من هذه النوبة لا تسلمى أنت وولدك عبد الوهاب ولا من معه من الأصحاب ولو ضرب رقابكم وما أنا حاضر كنت أعتب عليه طول الزمان ولو بسنين وأعوام انتظر هذا الأوان وحق المسيح لأخضبن شيبتى ولأمرغن فى دمائكم لحيتى وأنتم تعلمون أن قد دق عظمى وشاب رأسى ونحل جسمى فى انتظار هذا اليوم والآن فقد أعطانى المسيح المنى وبلغنى ما أريد من الأعداء فقالت الاميرة ذات الهمة ويلك يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة والله إنك لتحفظ هذه الآيات فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا وقد اخترت بما قلبك الضلالة على الهدى وأنت تعلم ماذا تلقى بين يدى المولى فقال لها عقبة ويلك يا عاهرة ما أعرف على الضلالة غيركم وإن كنتم على الحق فادعى باسم من يخلصكم من القتل فوحق المسيح لا أقتلك حتى أشوه بكى ولا بد ما أقلع أنفك وأعجل حتفك فقالت له الاميرة يا ويلك إن سلطك الله على فهو الذى أريد لأن الله تعالى يسلط الاشرار على الاخيار حتى يوصلهم إلى دار القرار (قال الراوى) فعند ذلك أقبل عقبة على الملك وخاطبه بالافرنجية وقال له اعلم أنى مع هؤلاء المسلمين فى مناظرة وكلام كثير ومشاجرة وهم قد قطعوا كبدى وأنحلوا جسمى وهم يشتمونى ويشتموا سائر الرهبان وشمعون ومريحنا المعمدان ويكذبون بما جاء من الدين الصحيح على لسان المسيح فقوم إليهم واقض عليهم فى هذه الساعة وابدأ بالاسود الزنيم وهذه العاهرة ذات الهمة (قال الراوى) فعند ذلك وثب الملك الكندفرون إليهم وهجم عليهم فقال البطال ما لسكوتى فى هذه الساعة وجه من الوجوه وقد خاب ما كنت أرجوه وأنا الساعة أتقدم إلى الملك الكندفرون وأقول له كلاما إن فعل به فهو الذى أريد وإن لم يفعل فأنا أهجم على عقبة وأضربه بخنجرى هذا أسقيه كأس الحمام ثم أن أبو محمد تقدم إلى الملك وصار بين يديه وتكلم بلسان القوم وكان أفصح منهم بلغاتهم هذا والملك ينظر إليه فقال على ماذا عولت يا سيد ملوك النصرانية ورئيس أهل ماء المعمودية فقال على قتل هؤلاء

الاسارى فقال البطال ماهذا صواب فعندها قال عقبة وقد غضب من قوله ياأشبر العيون ولم ماهو صواب والملك فى ذلك ثواب فقال أبو محمد وعقبة ينظر اليه والى قبح صورته وكبر لحيته وشواربه ووجهه عليه آثار الجدرى وكان الأمير أبو محمد قبل ذلك اليوم أخذ ميل وجعل يحميه فى النار ويكون به وجهه حتى بقى كانه مجدور له عشرين سنة فلما رآه عقبة على تلك الحالة لم يعرفه لانه قد أيقن ان أبو محمد لم يصل الى تلك الديار ولا يهتدى إلى تلك الامصار فلما نظر إلى وجه أبو محمد وهو يخاطب الملك قال عقبة ماخلقك المسيح على الصورة القبيحة الا وهو ساخط عليك وإن أبو محمد أقبل على عقبة وقال له يامولاى اعلم ان فى البلد نحو ستمائة ألف امرأة وشيخ وصبى ما يصدقون ان الصباح يصبح حتى يحضرون قتل هؤلاء الاسارى فى غداة غد على ظاهر البلد وساحل البحر ويدقوا النواقيس ويشربون الخمور وتمزح الرجال والنساء من الفرح والسرور ويكون غدا عندنا عيد مثل العيد الكبير ونخرجهم وبين أيديهم السيوف المجذبه وذلك أبلغ من الفرحة وأشد على هؤلاء القوم فى المصيبة وأعظم فى الهيبة وإن قتلوا فى هذه الليلة فان الناس لايجدون فى غداة غد لذلك فرحة إذالم يشاهدوا مايأملون ولاينتظرون العوام وما يريده (قال الراوى) فلما سمع الملك الكندفرون ذلك صلب على وجهه وقال وحق المسيح ابن مريم والصليب لقد رأيت الصواب وأصبت فى الخطاب والرأى ان نخليهم إلى غداة غد وينادى المنادى فى البلد لا يبقى أحد إلا ويخرج إلى باب الميناء ولا يدخل إلى غروب الشمس ويكون يوم أكل وشرب فقال عقبة وقد أعجبه ذلك الكلام اليوم قد أعطانى المسيح أملى وبلغنى فوق ما أريد ثم انه اقبل على الملك الكندفرون وقال له أيها الملك لقد رأى هذا الصواب وأتى برأى شديد الخطاب ولكن أريد أيها الملك أن تسلمهم لى فى هذه الليلة وتعرض لى موضع حتى اشتفى منهم فى الكلام حتى انك الساعة تعمل القيود فى أرجلهم فقال الملك وما قصدك بالقيود فلو كانوا مطلوقين ماكان لهم من هذا المكان خلاص أليس البلد كما قد ذكرته لك باب الى البحر وباب الى البر وفيه طريق يفضى الى سبعة طرق والمفاتيح عندى ومن وقت غروب الشمس ماهم الى النجاة سبيل فقال عقبة اعلم أن المسيح قد أمرنى بمناظرة على المسمين وأريد أن أناظرهم طول الليل وأخاف ان يرفصونى بأرجلهم يقتلونى فقال الملك سيربهم إلى أين شئت إن شئت تقيدهم وإن شئت تخليهم وخذ معك رجال يعاونوك على ضربهم فقال ماأريد إلا القيود (قال الراوى) فأحضرت القيود ووضعت فى أرجلهم وأيديهم مكتفة وكان الذى يضع القيود الأمير أبو محمد وأخذ المفاتيح إليه وأمر بهم الملك إلى دير يعرف بدير

الراهب وكل ذلك إكراما لعقبة وسار أبو محمد بين أيديهم وعقبة يقول من قاد مسلما إلى الهلاك قاده المسيح إلى سقر وعقبة يظن أن أبو محمد من غلمان الكندفرون والملك يظن أن أبو محمد من غلمان عقبة وكان غلام عقبة فى البيعة ولم يدخل معه فى القصر وصار عقبة إلى أن دخل إلى المكان الذى أفرد له والأمراء المأسورين وأشعلت الشمع وحمل إليه الطعام من الخنانيص والدجاج والحلو والأمراء بين يديه والأمير أبو الهزاهز يقول ويلك ما تلهمنا لقمة قد أضر بنا الجوع فضحك عقبة وقالوا اعلموا أنكم إذا لقيتم الله جياعا كان ذلك أعظم ثوابا لكم فعلم الأمير أنه يقول ذلك هزوا منه بهم فقال له ويلك لا تغتر بالمهلة فان الله يأخذك من حيث لا تحتسب (قال الراوى) فبينما هو معهم فى الكلام إذ وصل إليه غلام الكندفرون وقال له إن الملك يستدعيك إليه ليشاورك فى أمر عرض له وتعود إلى مكانك فقال سمعا وطاعة ووثب فى الوقت والساعة وأقبل الأمير أبو محمد البطال فقال له ما اسمك قال يامولاى اسمى قرياقس قال بارك المسيح فيك ياقرياقس تسلم هؤلاء المسلمين ولا تهمل أمرهم وعليك بحفظهم وأنت خليفتى إليهم إلى أن أعود إليك ولا تطعمهم من هذا الطعام لقمة واحدة فقال له أبو محمد وحق المسيح ما أطعمهم شيأ ثم إن عقبة مضى الى عند الملك الكندفرون فلما دخل على الملك وثب له قائما وأكرمه غاية الإكرام فقال عقبة ما الذى أراد مولانا أدام الله أيامه وأهلك أعداه وحساده فانى خائف على هؤلاء الأسارى فانى أعرف الخلق بهم لأنهم أبطال المسلمين وشياطين الموحدين وهم على ماهم عليه يريد كل واحد منهم لرأسه ألف بطل فقال الملك دعنا من هذا فان الأمر قريب وغدا أضرب رقابهم وتنظر عذابهم فقال عقبة أيها الملك فما الذى تريد وفقك المسيح لطاعته فقال اعلم أن بالقرب منا جزيرة من جزائر الافرنج يقال لها جزيرة المرجان وأهلها من الجبابرة وهم فى عالم عظيم يزيدون على خمسمائة ألف فارس ولهم خمسمائة مركب تسير فى البحر مقاتلة فما تترك لنا مركب فى البحر الا يأخذوه وقد كثرت مضرتهم علينا غير أنهم لا يقدرون على بلدى لانه حصين كما تراه ونحن لا نقدر على الجزيرة التى لهم من كثرة العالم الذى يأتى فى المراكب لأنهم جبابرة وقد ألفوا قتال البحر ونحن فرسان البر وما لنا خبرة فى البحر مثلهم وان أبى قتل الملك بهم البطليموس ثلاثة أولاد وهو يطلب أن يأخذ ثارهم منا ولولا أن بلدنا أحصين ما على وجه الأرض مثله كان قد ملكه لأن مراكبهم ما تبرح فى البحر وقد وصلنى الساعة بعد خروجك من من مجلسى خبر من حراقه كانت لنا فى البحر ان البطليموس قد تجهز فى ثلثمائة مركب وعشرين زورق وقد عول فى غداة غد يأتى إلينا على نية القتال ولنا فى البحر مائة سفينة وقد خسرت

عليه مال جزيل وهم برسم التجار تمضى الى سقلبه والى سائر البلاد ولا آمن فى غداة غدأن البطليموس يهجم علينا بعدد وإذا لم يبق على البلد واحد والايصل يحرق السفن ولا محالة وقد رأيت منك الفضل والعلم والتدبير مالم أراه من غيرك وقد رأيت انى أريد منك انه اذا نزل فى غداة غدتخرج إليه وتقرأ له الانجيل برفيع صوتك وحسن نغمتك وتقول له أناقس بيت المقدس ولايجوز لأحدأن يخالفنى إلاوأبعده ويغضب عليه المسيح وننفيه من بين النصرانيه وتتوسط بيلنا فى الصلح على أى وجه كان وأنا أحمل اليه ثثمائة ألف دينار عوضا عن أولاده الذى قتلهم أبى ويكون لى والد بعد والدى وإن كانت رغبته مايلة إلى الصلح فاجهد أن تخطب لى ابنته وتعطيه عنى يدك وتقول له البلاد كلها بحكمك على اننى وحق المسيح ما قصدى بذلك إلا حقن الدما ودفع الأذى (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك من كلام الملك قال له طب نفسا وقر عينا ولا تعرف هذا إلا منى وها أنا ماضى إلى الأسارى إلى غداة غد فان أتاك العدو الذى جاءك خبره فأنا أمضى إليه وأكفيك أمره وأدفع عنك شره وان لم يكن لذلك صحة حضرت قتل المأسورين وأركب أنا وغلامى وأمضى الى جزيرة المرجان ولاأرجع اليك الابكلما تريد وأترك أهل الجزيرة لك مثل العبيد ولايقدرون على مخالفتى ففرح بذلك الملك وعزم عقبة على الرجوع الى مكانه (قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد البطال فانه لما مضى عقبة عنه الى عند الملك أقبل على الامراء فسمعهم يقولون لبعضهم البعض هذه والله ليلة من الليالى ماأمر علينا منها فاقطعوها بقراءة القرآن وذكر الرحمن فقالت الأميرة ذات الهمة سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قبض على ذكر الرحمن ولقى الله فانه يلقى الله وهو أبيض الوجه نقى القلب رطب اللسان فأكثروا من ذكره فقال الأمير عبدالوهاب والله مابى حسرة الا من أبى محمد البطال لأنه عندى أعز من الأخ الشقيق وقد جرى بينى وبينه الذى عرفتموه والحال الذى شاهدتموه بسبب الملعونة نورى ومن يوم ماأخذتها من بلد الروم مابرحت الحروب بينى وبينه وتم لنا ما لم يكن فى الحساب فوالله لقد كنت أشتهى أن أراه وأتحلل منه قبل الموت وأقول تسلمها منى فما وجدت منها بركة فقالت الاميرة والله يا بنى لقد حرصت ان تؤثره بها فامتنعت من ذلك حتى جرت علينا هذه الامور المقدرة فقال الاميرا بوالهزاهز دعونا من هذا الكلام فانه يطول ونحن والله جياعا وغدا تضرب رقابنا وترمى الى البحر يأكلها السمك والحيتان فاطلبوا لنا من هذا الأشتر العين كسرة نأكلها من قبل ان يجىء استاذه الأعور فأقبل الامير عبدالوهاب على الاميرا بو محمد وقال ايها البطريق الذى كان كلامه مبارك علينا وكان سبب

خلاصنا من القتل إلى غداة غد فقد قال المسيح ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء وارحموا الاسير وجودوا على الفقير وقد ورد فى الحديث لكل كبد حراء أجرا ونحن لنا أياما ما أكلنا فيها لقمة واحدة (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد كلام الأمير عبدالوهاب زرفت عيناه بالدموع فنشفها وتجلد فناداه قراقد ياأشتر العين نسأل الله أن لا يهتكك تأكل ونحن جياع ما تطعمنا شيء نمسك به رمقنا فقد أضر بنا الجوع فكان كأنه مايسمع فقال أبو الهزاهز وحق من يعيد عليك عينك المشتورة صحيحة الا أطعمتنا مما تأكل قال أبو محمد والله لقد كنت كلما سمعت وهم يستغيثون من الجوع يتقطع كبدى ثم أنه وثب وحمل إليهم من الدجاج والشوى والحلوى والعيش الخاص وقدمه اليهم وجعل يقطع ويلقمهم ويكلمهم بالعربية خوفا من عقبة لا يكون له عليهم عينا وأيضا لا يعرفهم بنفسه فيشتغلون عن الأكل ولم يزل يطعمهم الى أن اكتفوا وأبو الهزاهز يقول أحسنت ياقرياقس ستر الله على عينك المشتورة فلقد أحسنت إلينا ورددت القوة إلينا (قال الراوى) فلما اكتفوا خرج أبو محمد ينظر الخبر وهل عليه أحد من العيون فغاب ساعة وعاد وقد طاب قلبه إذ لم يجد أحدا وأراد ان يعرف الامراء نفسه ثم انه قال لابد أن أمضى الى الملك وعقبة وأبصر ماهم فيه ثم قصد الى قبة الملك فوجد البطارقة قياما يحجبون الملك وهو مقبل على القاضى عقبة وهو يقول وحق المسيح لو أن البطليموس يأتينا فى البر ويقابلنا على ظهور الخيل فى حومة الميدان ما كانوا فى قتالنا إلا خاسرين لأن لأن عندنا من الخيل والعسكر مثل ماعنده ضعفين ولكن ما يأتينا الا فى البحر فإن ظفر بمراكبنا أحرقها وأخذ مافيها وان عملت مراكب حربية ونزلت الى قتاله فما لنا به طاقة لأن معه رجال لا تطاق قد ألفوا القتال فى البحر كما ألفنا قتال الخيل فلو صالحنى على انى أحمل اليه كل عام من المال مهما أراد لفعلت لأنه قد ضيق علينا الدنيا وكل من ركب يمضى من عندنا الى جهة من الجهات يأخذوها ولا يأتى الينا مركب تجار الا يملكها وقد انقطعت عن بلدى مراكب التجار من سائر الأقطار وعقبة يقول قد ذكرت فى حضرتك انى أعمل فى غداة غد عملا اذا أشرفت مواكبه يكون سبب الصلح وان لم يكن لهذا الحديث تحقيق فأحضر قتل هؤلاء الأسارى حتى تنال ثواب مواهب المشاهدة فهو مثل ثواب المجاهدة وأسير من عندك رسول اليهم (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك فرح غاية الفرح ورجع من وقته وساعته الى الامراء فوجدهم قد صلحت أحوالهم وعاد الدم الى وجوههم وهم يسبحون الله ويقدسونه وعبد الوهاب يقول والله لوكان الامير ابو محمد سالم ماقعد عنا على انى ما فعلت فى حقه جميل وهذا الامر مقدر علينا حتى يكون سبب هلاكنا فى هذه

الارض البعيدة والديار الغريبة منفردين عن الاوطان والاقارب والاخوان وهذا كله عاقبة البغي فقال أبو محمد البطال يا مسلم كلما تقول بالعربى أنا أعرف ولا أحسن أرده بالافرنجية وقد وقعت وحق المسيح رحمتك فى قلبي وعندنا فى ديننا أنه إذا وقع إنسان فى شدة أو فى نائبة ينذر نذرا أنه إن خلص من هذه الشدة يرد المظالم إلى أهلها فانذر نذرا لعل الرب القديم يخلصك مما أنت فيه فلما سمع من البطال أقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها انظرى ما أحسن اعتقاد قرياقس والله لقد صدقت وإنى ما آيست من رحمة الله تعالى وإذا أراد خلاصى خلصنى ولو أرادوا خلاصى أهل الدنيا لما قدروا على ذلك والآن أنا أقول لكم وأنتم تشهدون على أننى إن خلصنى الله من هذه الشدة ورجعنا إلى بلاد الاسلام فانى أدفع نورى إلى أخى أبى محمد البطال وأتركه يحاللنى وأتصدق من مالى بخمسين ألف دينار إلى بيت الله الحرام وقالت الاميرة ذات الهمة وأنا أكون أيضا مثل ذلك ولم يبق أحد من القوم إلا ونذر لله نذرا من صدقة وصيام وحج إلا ما كان من قراقد فانه لم ينذر وقال أنا لله على نذر إن خلصت وجمع الله بينى وبين ولدى نأخذه ونعود إلى مصر وأستريح من هذه الاهوال كلها وقال أبو الهزاهز دع عنك الساعة المزاح وأنذر لله نذرا جيدا لعلنا نخلص وإلا قلت لقرياقس يحل رجلى من القيد وأرفصك رفصا جيدا حتى تقول نذرت لله نذرا وإلا تتعوق فى خلاصنا ويكون ذلك بشؤمك لأن بواحد يهلك جماعة فضحك أبى محمد ثم قال للأمير عبد الوهاب اعلم أن ما دام نذرت هذا النذر فان الله قد قبله وخلاصكم على يدى إن شاء الله قريب ولو عرفتنى لصدقتنى فقالت له الاميرة بحق دينك أمن تكون أنت يا شيخ قرياقس فبكى الامير أبو محمد بكاء شديدا ما عليه من مزيد ثم قال أنا الغريب الفريد الوحيد الذى أصبحت من جملة العبيد ثم أنه تأوه من فؤاد موجوع وأنشد يقول

سلام عليكم أنتم غاية الذخر ... وأنتم عونى على نوب الدهر
وأنتم حياتى فى الزمان وليس لى ... لبعدكموا أنس وإنى فى قبرى
ألا فاصبروا فالصبر للناس جنة ... وكم فرج تحسبه عاقبة الدهر
تركت بلادى ثم جئت مسارعا ... إليكم أجد فى البرارى وفى البحر
وجئت إليكم فى لباس منكرا ... وطرفى مستور ومالى من شتر
وقلت لهم قرياقس كاذبا لهم ... واضمرت فى قلبى لهم غاية المكر
وفى هذه الساعة أرجو خلاصكم ... بعون إلهى فاطمئنوا إلى شعرى
فإنى أنا البطال ليس كمثلى ... شبيه يلاقى فى البوادى وفى الحضر

(قال الراوى) ثم أنه قال أنا الظالم وأنا المظلوم أنا الاخ المرحوم أنا الذى بليت

بواحدة الروم أنا غلامك أبو محمد وأنتم تشهدون بما أقول ولا تقدروا تجحدون (يا سادة يا كرام) فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام الأمير أبو محمد وقع مغشيا عليه وصاحت دهمة من شدة الفرح ونادى قشعم يا عماه ما أبرك هذه الساعة ولقد كنت رحمة على الجماعة وأفاق الأمير عبدالوهاب وصار يعانق الأمير أبو محمد وكل واحد منهما يبكى ثم جعل الأمير عبدالوهاب يعاتب أبو محمد وكل واحد منهما يبكى ثم قال الأمير عبد الوهاب يا أبو محمد سألتك بالله كيف وصلت إلى هذا المكان فأعاد الأمير أبو محمد عليهم القصة وأعلمهم أن معه غلمانه فى البلد فقال الامير عبدالوهاب هل تقدر انا على عدد نقاتل بها فقال الأمير أبو محمد ليس هذا صواب لأنكم قد أصابكم من القيود والمشى والجوع ضرر عظيم وما لكم جهد تقاتلوا والبلاد بلادهم والديار ديارهم وبينكم وبين بلادكم ثمانية عشر شهر وما لنا خلاص إلا أن نكون فى البحر سرقه وإلا نهلك عن بكرة أبينا وإن طلبتم الخلاص بالقتال فما يبقى منكم باقية فقال الأمير عبدالوهاب والكندفرون عول على قتلنا فى غداة غد فان أهملت أمرنا فنحن هالكون فقال أبو محمد اعلم أن القصر يغلق ومفاتيحه عند الملك ولو عزمتم على أمر ما قدرتم عليه وقد أتاه ما لم يكن فى الحساب فقال الأمير عبدالوهاب وما هو يا أبو محمد قال أن الملك الكندفرون قد أتاه الخبر من بعض الحراقات التى فى البحر أن ملك يقال له البطليموس صاحب جزيرة المرجان قد أتاه فى ثلثمائة مركب بحرية حربية وهو معول أن يقدم بهم فى غداة غد إلى مدينة الكندفرون لأن بينهم عداوة عظيمة وأن أبو الكندفرون كان قتل أولاد البطليموس فلما قتل الملك الكندفرون الكبير فى بلاد الإسلام طمع فى ولده وفى أخذ مدينته وهو فى عالم عظيم وقد أشغل قلبه الملك بذلك وادعى بعقبة اللعين يشاوره فى هذه القصة التى جرت وأخبره بكل ما كان وقد قال له عقبة طب نفسا وقر عينا فأنا إذا جاءت مواكب البطليموس خرجت إليه وتوسطت فى الامر على المصالحة وإن لم يكن ذلك وإلا أضرب رقاب الاسارى وأسير إلى جزيرة المرجان فقال الامير عبد الوهاب إن وصلت المراكب غدا إلينا فكيف يكون حالنا يا أبو محمد أليس الملعون عقبة عند الملك فقال أبو محمد اعلم أن الامر صحيح والمراكب عند الصباح تصل وتشرف على البلد وإن لم تصل فعلى الضمان أن أشغل الملك عنكم وأشغل قلب عقبة بشىء أعلمه فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك طاب قلبه وقالوا نحن نتكلم على من هو فارس (قال الراوى) فهم فى الكلام وعقبة دخل عليهم فوثب أبو محمد وقبل يده وقال يا مولاى أبطيت علينا وقد ضربت هؤلاء المسلمين حتى سالت

دماهم وإنى خائف من الملك الكندفرون إن مات أحدا منهم يقتلنى فقال عقبه لا رحمه الله والمسيح فلو مات الكل لما كان على قلبى ولا قلبك منهم هم ولا جزع فلا تفزع من الملك فما عليك بأس ولا هلع ولقد أوليتنى بفعلك هذا الجميل ونهاية التفضيل لأنى كنت معولا على ضربهم والآن فقد كفيتنى ذلك فالمسيح يعوضك على ذلك الجنة فشكره أبو محمد على ذلك (قال الراوى) وأقاموا على ذلك إلى أن برق ضياء الفجر وجلس الملك وأدعى بالقاضى عقبه وقال له إن المراكب الذى سمعت بمجيئها لم يكن لذلك صحة فعجل الآن بضرب رقاب هؤلاء المأسورين فقال عقبة هذا هو الصواب أيها الملك وتأمر غلمانك أن يجهزوا احراقة خفيفة حتى أركب ومعى عشرة من غلمانك وأسير إلى جزيرة المرجان وأصلح فسادكل ما كان قال الملك الكندفرون سمعا وطاعه ثم أمر أن ينادى فى البلدان لا يبقى أحد إلا ويخرج إلى باب الميناحتى يشاهدوا قتل الاسارى (قال الراوى) فخرج العالم يهرعون وإلى قتل الأمراء ينظرون ثم أمر الملك أن يخرجوا الاسارى والحبال فى أعناقهم ففعلوا ذلك فقال الامير عبد الوهاب ألم أقل لك يا أبا محمد لو كنت دبرت فى خلاصنا وسلمت الينا عدة ومعلوم أننا ما كنا نقدر على الخلاص من هذا العالم الكثير ولكن كنا نقاتل فى سبيل الله تعالى ولا يموت واحد منا حتى يأخذ لرأسه ألف فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا فما يكون الاخيرا قال أبو الهزاهز وأى خير بقى والساعة تعمى قلوبنا بضرب الرقبة قال الامير عبد الوهاب آمن بالله يا أبو الهزاهز فانه لا يخيب أمل قاصد ولا يضيع عبادة مجاهد هذا وأبو محمد بين يدى الاسارى والناس من حولهم يرمون بالحجارة وأبو الهزاهز يقول والله يا أبو محمد ما عملت معنا خير وبالله إذا عولوا على ضرب رقابنا غمزت عليك حتى نكون كلنا فى المصيبة سوى لانك أنت من أجل نورى تضرب رقابنا فضحك أبو محمد من قول أبو الهزاهز ولم يجيبه بحرف واحد بل سار يطلب باب الميناه فلقاه لؤلؤ وهو باكى العين حزين الفؤاد فقال له أبو محمد ماوراءك قال كيف غفلت عن الامراء فى هذه الليلة حتى أصبح الصباح واليوم لا محالة يهلكون فأى مصيبة أعظم من هذه فقال أبو محمد ما يكون إن شاء الله تعالى إلا الخير فقال لؤلؤ وكيف يكون ذلك فلم يكلمه بل سار وقد أظهر الفرح وقلبه من داخل جوفه يتقطع وهو على ذلك وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نما وقد اندفت الافرنج من باب الميناه وارتفع العويل والبكا فسألهم أبو محمد عن الخبر فقالوا قد أشرفت مراكب البطليموس وعظم الفزع والبؤس وشابت من الهول الرءوس فارجع يا قرياقس ورد هؤلاء الاسارى إلى المحبوس حتى نخلص من

هذا الامر المعكوس الذى لاحت فيه النحوس (قال الراوى) فلما سمع الامير أبو محمد ذلك فرح فرحا شديدا ورد الامراء إلى مواضعهم ولم يكن إلا لحظة حتى دخل الكندفرون وعقبة إلى جانبه وهو يقول لم يكن فى الحساب قطع العنان كان اليوم فى أجل الاسود تأخير ولكن إن فاتهم اليوم ما يفوتهم غدا وأسقيهم شراب الردا وما لهم إلى الخلاص سبيل أبدا فليت البطال أبو محمد كان معهم حتى لا يبقى على وجه الأرض من أخشى جانبه وأعمل بعد ذلك على فساد أحوال المسلمين وهلاك الدين وخراب بيوت الموحدين ويكون ذلك فرح مبين (قال) وأغلقوا الباب وأطلعوا الناس على الاصوار ونظر عقبة إلى ذلك الاسطول الذى لم يرى قط مثله فقال للملك الآن أريد أن أسير اليهم وإن كان الملك البطليموس معهم قد كفيتك الامر قال الكندفرون أتاك قرقياقس قال عقبة مرحبا ياقرياقس قال أبو محمد يا أبونا أنت أهلا للترحيب قال عقبة اسمع ما أقول لك قال وماذاك قال إن الملك أمرنى فى هذه الساعة بالمسير الى البطليموس أتوسط فى الصلح قال البطال نعم ما رأى الملك أعطاه المسيح مناه وملكه من أعداه قال عقبة وأنا قد عولت على ضرب رقاب المأسورين حتى لا يبقى لى من جهتهم ضيق صدر قال البطال نحن ما تركنا قتلهم من الاول حتى نشتفى قلوبنا منهم لانهم ما لهم إلى الخلاص سبيل وكل من فى البلاد ما يريد إلا على الحال الاول قال الملك يا أبونا أنت تمضى وتعود سالما ولعل المسيح يسهل على يدك الصلح بيننا وبينه ونطلع اليه بالاموال والخلع والضيافات وبعد ذلك تقدم هؤلاء الاسارى ونضرب رقابهم أجمعين وتكون المسرة عامة من كل جهة (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك الكلام من الملك لم يكن يقدر على مخالفته لانه أعجبه ذلك وقلبه مطمئن عليهم لانهم ما لهم إلى الخلاص سبيل فعند ذلك وثب وفتح باب المينا وجهز حراقة وطلع معه رجال وسار عقبة إلى أن وصل إلى المراكب وقد حطت فيها القلوع وانتشرت فيها الرجال هذا وعقبة رأى الصياح قد ارتفع والزراقين على المراكب وفى أيديهم قوارير النفط والعمد الحديد وهم طالبين المراكب الكبار معولين على أن يضربوها بالنار وإذا بالحراقة التى فيها عقبة قد لاحت لهم وهى قاصدة اليهم فعند ذلك قصدوها المراكب وأخذوها إلى أن وصلوا إلى مركب الملك وهى فى وسط المراكب ونظر عقبة إلى مركب ما رأى قط مثله وهو ملبس بالفضة البيضاء وأخشابها من العود القمارى المطعم بالعاج المصفح بالذهب الوهاج وخمسمائة بطريق فى أيديهم السيوف المجذبة وكل واحد يريد لرأسه ألف والملك جالس فى عتبة المركب وله فى دفة المركب طاقتين من الجانبين مشبكة بقضبان

الذهب ينظر منها إلى المراكب من سائر الجهات فنظر عقبة إلى هيئة عظيمة لم يرى الملك منويل ولا لأحد من المسلمين زيها ثم تقدموا المراكب وأعلموا أنهم وجدوا هذه المركب والحراقة فيها وفيها شيخ كبير قسيس وهو يذكر أنه بعيد الديار والاقصار وقد ذكر أنه من القدس وهو خادم القمامة ومقام المسيح ومولده قال الملك ومن أين طريقه فقالوا له من مدينة الملك الكندفرون يا مولانا فصلب على وجهه وقال على به حلفت ما يأتيني من عنده رسول إلا أقتله وحق المسيح لأصلبنه على بعض المراكب وأمرهم أن يرشقوه بالنبال من كل جانب (قال الراوى) وكان البطليموس كلما أتاه رسول من عند الكندفرون صلبه فلما وصل عقبة ونظروا إليه البطارقة وهو شيخ كبير نحيل الجسم مليح الصوت فجعل يقرأ الإنجيل بالافرنجية وهم يسمعون ويبكون ثم قالوا له وحق المسيح أنه يشق علينا صلبك قال عقبة إيش قال لكم قالوا أن الملك قد أقسم اليوم أنه متى وصل إليه رسول من عند الكندفرون قتله وقد أمرنا أن نقتلك أو نرمى رقبتك فاختر أيهما شئت فعند ذلك نشف ريقه ودخلت فكوكه وتصادقت شفتاه فقال وحق المسيح مالى صلبى مثل مالى من شر الاسود ثم أنه أقبل على البطارقة وقال احملونى إلى الملك يسمع كلامى وده يقتلنى بيده لأجل لا تنالون اثمى فعند ذلك حملوه إلى الملك فصاحت به العلوج الذى فى جانب الملك الارض الارض فباس الارض وقد طار دين النصرانية من نخمته ثم أنه رفع رأسه وصرخ بصوته وقرأ الإنجيل بلسانهم ونغم حتى بكوا الرجال من كل جانب ولم يجسر أحدا أن يسأل الملك فيه وأن الملك لما سمع نغمته قال احملوه إلى فحملوه إليه فجعل عقبة يدعو له بلسان طلق وقلب حرق فرفع الملك رأسه إليه وقد عجبه كلامه وقال له ويلك من أنت ومن أين أتيت قال يا مولاى أنا صاحب قمامه وقد زهدت فى الدنيا مثل ما زهد فيها المسيح وقد زهدت فى الارض فى طولها والعرض إلى أن وصلت إلى هذه المدينة الذى فيها هذا الغاشم لعنه المسيح فقال البطليموس لمن تعنى يا شيخ أنا غاشم فقال عقبة الكندفرون لأنه خرج فى المرة إلى بلاد الإسلام وقتل أباه وأسر الملك منويل بعد قتل كثير من المسلمين وقد ملك بلادهم ووقع الفتنة بينهم لأجل ما قدم الصقلب على الافرنج بين يديه فلما سمع الملك كلام عقبة فرح به وقال كيف جئت إلينا فى رسالة هذا الملعون قال ما خرجت الا نفاق لأنى كنت معول على المسير إلى جزيرة المرجان لأنى سمعت أن فيها بيعة جليلة القدر فأردت أن أتبرك بها وأعود بعد ذلك إلى بلاد بيت المقدس ولم أعلم أنكم تتعرضون بى لأنى ما كنت أخاف من المسلمين وأنا فى بلادهم شتاء

وصيف فكيف أخاف وأنا فى بلاد الروم والمسيح قد نهى عن المعاداة فى النصرانية وان كل من طلب قهر أخيه قهره المسيح والآن دعونى أمضى لحالى فما أنا تاجر تطمعون فى مالى ثم ان الملعون جعل يتلو شيأ من الانجيل ويعود يه سره فقال الملك لقومه وحق المسيح أنه ينطق عن علم غزير ثم انه أمره بالجلوس وقال له يا شيخ أنا صاحب الجزيرة التى تطلبها فامضى إليها الى ان أعود وعلى كل ما نريد فقال عقبة والى أين قد عزمت بهذه المراكب كلها لاشك انك تريد الغزو الى بلاد المسلمين قال البطليموس اماماذكرت من الغزو الى بلاد الاسلام فأنا معول عليها فى هذه السنة وأنا الساعة عازم على النزول الى هلاك ملك هذه المدينة لان أباه قتل أولادى وأصحابى ولابد من اخذ التار وكشف العار فقال عقبة ايها الملك هذا غاية الخطر والخروج عن هلاك ملك دين النصرانية ولقد سمعت عن السيد المسيح انه قال من سل سيف البغى قتل به وان الصلح عندى أفضل من هؤلاء على انها يحملون إليك ثلثمائة الف دينار ويحمل إليك تحف فى كل عام (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام عقبة ضحك وقال وحق المسيح لولا أنك من بيت المقدس لضربت عنقك وبلغ من قدر الكندفرون ان يرسلك الى رسول ثم قال لغلمانه خذوه وقيدوه الى ان أسأل عنه واحتفظوا به ثم انه امر للمراكب التى للكندفرون ان تضرب بالناروان الكندفرون كان له فى الميناماائة مركب حربيه فلما نظر أبو محمد الى الكندفرون وقد ضاق صدره قصد إليه وقال ايها الملك عندى رأى ان رأيته صواب فافعله قال وماذلك ياقرياقس قال اعلم اننا لما أخرجنا الاسارى لنقتلهم ثم رددناهم الى اماكنهم سألونى عن السبب فى ذلك فأخبرتهم بالقضية فقال المقدم عليهم ياقرياقس ماقولك فيمن يكسر عنكم العدو كله ولو كان بعدد التراب فوحق المسيح يامولاى ان الشجاعه تلوح عليهم فقلت ومن يفعل ذلك فقالوا نحن اذا اخذنا على الملك العهد والميثاق انه يجازينا على فعلنا بالاطلاق ويقدم المائة مركب ويعمرها بالرجال ويفرد لنافى اوائلهم مركب مقدم عليهم وقد كفاه هذا الامر ومعلوم انه قد عول على قتلنا وهؤلاء اعداء فيقدمنا ويرمينا عليهم فان قتلونا فهو الذى يريد وان سلمنا المسيح وكسرناهم فيكون قد دفعنا عنه الأمر العظيم (قال الراوى) فلما سمع الملك كلام ابو محمد وجد له راحة عظيمة وقال يا قرياقس وحق المسيح ان فعلوا ذلك أعتقهم وأعطيهم السلاح والخيل والخدم وأسيرهم إلى بلادهم على أحسن ما يريدون فعندها مضى الامير أبو محمد إليهم وقص القصة عليهم فقالت الاميرة ذات الهمة والامير عبدالوهاب لله درك يا أبو محمد هذا والله فيه الصلاح من وجوه عدة أحدها الجهاد فى

طاعه رب العباد وقتل أعداه وخلاصنا ان شاء الله تعالى من الاسر ورجوعنا الى بلادنا سالمين غانمين والثالث لعل الله ان يظفرنا بالملعون عقبة فقال لهم الامير أبو محمد قوموا بنا الى الكندفرون ودعوا كل شيء الى وقته قال الامير عبد الوهاب الله على نذر لئن ظفرت به لأضربن رقبته ودع يجرى مايجرى ثم أنه أطلق أرجلهم من القيود وسار بهم وسيف الحنيفية يقول والله ان أعطونا مركب واحد ما نبالى بالكل وأبو الهزاهز يقول والله الموت لابد منه والله لا أفعل ذلك ولكن إننا نقاتل البطليموس فان هلكنا متنا شهداء و نظفر بالمراد من رب العباد ونخلص من يوم الميعاد إذا اجتمع الناس ليوم التناد ومع ذلك فالموت لا بد منه و نضرب بالسيوف فى طاعة الله عز وجل والرجل يفتخر إذا لم يموت على الفراش فقد قال القائل حيث يقول هذه الابيات

وما مات منا سيد فراشه فقد ضل منا حيث كان قتيل

(قال الراوى) ثم أن الاميره ذات الهمة قالت ونحن إن سلمنا بعد قتل العدو وسلمنا أنفسنا إلى العدو والكندفرون لان الله عز وجل يقول والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ونحن نوفى بقولنا فان أوفى بقوله فهو المراد وان لم يوفى بقوله فالغدر منه لا منا وقال قراقد دع نسلم نحن ودعهم يسمونا غادرين طول الزمان (قال) ووصل بهم الامير وأبو محمد إلى الملك وقال يامر لانا ان القوم معولين على ماذكرت مبادرين إلى العدو وكما وصفت قال الملك اسمع ما أقول ياقرياقس فوحق من أنشا السحاب لاغدرت بهم وأوفى لهم بما وعدتهم به ولكن أريد منهم أن يحلفوا لى بدينهم انهم ينصحون ولا يخامرون على ولا على مراكبي فأنا احترق لى مائة مركب كل مركب يسوى خمسون ألف دينار وبقى هذه المائة حربى وقد جهزتها بالرجال وقد أمرتهم أن يرمونها فى المينا ويرفعوا فيها السلاح والنفط الطيار ويجعلون فى كل حربى مائة من الابطال وأجعل الحربى الذى يختص بهم فى الاول وان أرادوا أضفنا لهم تمام المائة لان المركب كبير وما يحميه إلا الرجال فقال أبو محمد نعم ما رأيت ايها الملك سلم اليهم الدروع والبيض والطوارق والعدد وارفع السلاسل من باب المينا ودع المراكب تخرج وانظر العجب فأمر الملك لهم بذلك وسير الامير والاميرة وتمام المائة عندها قال الجنيفية وحق النبي المنتخب سيد العجم والعرب لو كنا على ظهور الخيل لخلصنا أرواحنا منهم ولو كانوا بعدد التراب (قال الراوى) ثم نزل الملك وفتح باب المينا ورتب المراكب كلها وخرجت من باب المينا وقد عمرت بالرجال والجواشن والعدد والزرد فى أكمل زينة وأجمل أهبة وتقدم الامير ابو محمد وانتخت تمام المائة رجل وفى الجملة غلمانه لؤلؤ ويانس وسبك وبديع

وجوهر وأبو الليل ورفعت السلاسل وخرج الاسطول فى مائة قطعة كأنها العرايس والامواج ترفعها تارة وتضمها أخرى ومد الامير عبدالوهاب فرأى تمام المائة قطعة فى البحر كانهم الجبال فأقبل على الاميرابو محمد البطال وقال والله يا ابو محمد لوكان معنا نار ونحرق بها هذه المراكب ومافى الامرء إلا أننا نرمى أرواحنا على المراكب التى لهم فان نحن كسرناهم واخذنا البطليموس فهوالمراد وتقع لنا الهيبة فى قلوبهم لان مافى المراكب أكبر ولا أكثر رجال منه واقل مافيه خمسمائة بطل (قال الراوى) ياسادة ياكرام فعند ذلك قال الاميرابو محمد نعم مارأيت قال ولما نظر البطليموس إلى الحربيات وقد خرجوا فقال ما اعرفهم قط يخرجوا إلينا وان هذا شأن وأى شأن ونظر إلى قلة مراكبهم وقد قصدوا إليهم فارتفع الصياح من كل جانب واشتهرت القواضب هذا والملك البطليموس قد عظم عليه وكبر لديه وقال وبلغ من قدر الكندفرون ان يخرج إلى قتالى ومارأيته يفعل هذا ولا ابوه من قبله ثم صاح فى الرجال وتصايحوا وطلبوا الامير عبدالوهاب واصحابه فما كانت إلا ساعة حتى احدقت بهم ثلثمائة مركب وسمع المراكب دوى كدوى الرعد القاصف وكان اول مركب وصل من مراكب البطليموس التصق إلى المركب الذى فيه الامراء وحطوا الكلاليب فى الجوانب وتضاربوا بالقواضب ونظرت الافرنج إلى رجال كأنهم السباع إذا عاينت الفريسة وان الامير سيف الحنيفية وثب من موضعه وصار مع الافرنج فى مراكبهم وحمل عليهم وجال فيهم وجعل يضرب بساعد قوى وقلب جرى وان الامير عبد الوهاب لما نظر إلى ذلك خاف على ولده ووثب صار عندهم وكذلك الاميرة ذات الهمة لم تطق الصبر دون أن وثبت وصارت عندهم فلاوابيك ماكانت إلا ساعة حتى قتلوا من الرجال عشرين ورموا الباقى فى البحر وملكوا الذى معهم (قال الراوى) وجاءت المراكب فسبق بعضها بعض حتى التصق بهم مركب ثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر وأيقنت الافرنج الذين مع الامير عبدالوهاب بالممات فعند ذلك صاح قراقد وقال يامعشر المسلمين كل واحد يقفز إلى مركب فوثب الامير عبدالوهاب إلى مركب والاميرة قراقد إلى مركب وقشعم إلى مركب وبرد ابن الازهر الى مركب وسعيد بن الفرج إلى مركب ولم يزالوا كذلك يصعدوا من مركب إلى مركب وارتفع الصياح قال البطليموس اخبرونى ما الخبر قالوا يامولانا معهم فى هذه المركب اقوام كأنهم الجمال وقد وثب كل واحد منهم الى مركب من مراكبنا هذا وعقبة يسمع الكلام قال فى نفسه وحق المسيح ماهؤلاء رجال وانما هو عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب ولاشك انه ضمن للملك كسر هذا

العدو فأطلقهم والساعة يكسر مراكب البطليموس ويتركوه مذبوح مثل التيوس (قال الراوى) فعندذلك نادى البطليموس فى رجاله وقال ماهذا الفزع فقالوا أيها الملك ان فى الحربى المقدم على المراكب بطل مارأينا مثله قط ولا عاينا شكله فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قال لهم ياويلكم وماهم رجال مثلكم فقالوا نعم أيها الملك ولكن نرى فيهم رجال سود مثل الظلام قال لهم ويلكم كم فى هذا المركب من الجنس قالوا عشر رجال وقد أحدق بهم سبع مراكب بعد أن أخذوا المركب التى سبقت اليهم وقد وثب كل واحد منهم الى مركب من مراكبنا وهاهم يقتلون الرجال ويجندلون الابطال فلما سمع الملك هذا الكلام صاح صيحة عظيمة وقال أقسم بالمسيح لئن لم تأخذوهم لأضربن منكم ألف رقبة أليس المسيح يقول وكل واحد يلق خصمه وانكم ترون هؤلاء كل واحد يرمى نفسه إلى مركب فيها مائة وثمانين أقصدوهم بهذا المركب الكبير وصدوهم به ودع يغرق كل من فيه فلما سمعوا هذا الكلام صاحوا على الملاحين فقدفوا طابين مركب الامير عبدالوهاب فلما وصلوا اليهم الاوقد تفرقوا وأخذوا السبع مراكب وسلموهم الى أصحاب الكندفرون (قال) ونظر عقبة وهو فى المركب الى الأميره والأمير والأمراء فعرفهم وقال لاستر المسيح على الكندفررن ولا يأخذله بيد الذى أطلق السباع من السلاسل وما هو كثير أن يأخذوا مركب المقدم ويخلونى فيه على هذه الحالة وما يجدوا لهم غنيمة أخير منى وماهنا خليفه ولا رشيد يمنعهم عنى فنادى بأصحاب البطليموس وقال لهم قولوا للملك أنى أريد نصحه نصيحة فقالوا سمعا وطاعة ثم أقبلوا على الملك وأخبروه بما قال عقبة فقال على به فلما مثل بين يديه قال أنظر لنفسك ولا يهمك هذا الأمر الذى قد نزل بك فان الآمال تضرب أعناق الرجال سيما هؤلاء الأبطال الذين تضرب بهم الأمثال لأنهم قوام الاسلام الذى قد أحرموا الروم لذيذ المنام وقتلوا وأبادوا كل بطل وملكوا الحصون السبعة والقلاع هذا عبد الوهاب وأصحاب من بنى كلاب هذا صاحب ملطية هذا حامى الملة الاسلامية فانظر لنفسك مودع يتول القتال غيرك من سائر المراكب ويتكاثروا عليهم واضربوهم بقوارير النفط حتى تأخذوهم وتحرقوهم بالنار وبعدهم ما يقف فى أصطول الكندفرون أحد بين أيديكم (قال) فلما سمع الملك ذلك من كلام عقبة وكان يسمع بذكر عبد الوهاب وأبو محمد البطال من تجار الافرنج الذين يأتوا إلى جزيرة المرجان فقال أيها القس من أوصل هؤلاء الشياطين الى الكندفرون وكيف أتوا فأقبل يحدثه بالحيلة متى عملها وكيف لقيهم الملك الكندفرون وكيف أقلع عقبة من أجلهم إلى الغربة إلى أن وصل إلى مدينة كندفرون والبطليموس

يتعجب من هذا الكلام ثم أقبل عليه وقال ما سمعت أن فى الملة الإسلامية والشريعة المحمدية من يفعل هذه الفعال إلا رجل واحد يسمى الشيخ النجيح وحجة المسيح وهو خليفة المسيح فى دار الدنيا ولولاه لهلك أهل دين النصرانية وأنه عالم الزمان وعند الملك منويل صاحب القسطنطونية والبترك الكبير الذى فرض المسيح علينا طاعته والبعد يحول بيننا وبينه فلما سمع عقبة ذلك فرح فرحا شديداً ومن فرط فرحه بكى فقال الملك ماالذى يبكيك فقال المسيح له الحمد لله الذى عرفك بموضعى وماخفى عنك أمرى لأن ما فى قلبي إلا من هؤلاء الشياطين كونى غدرت بنفسى ودخلت إلى بلاد مايعرفونى فيها فمثلى كمثل باز الملوك وقصته مشهورة أنه طار ووقع عندعجرز فى بعض القرى فأحرقته فقال الملك احرقوها كما أنها فعلت بالباز هذه الفعال قال الوزير لاتفعل بها أيها الملك هذه الفعال لأنها لاذنب لها وإنما الذنب للبازالذى طار لقوم لايعرفونه ولايعرفون قدرى وأنا الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح الذى سمعت ذكره وخبره فلما سمع الملك البطليموس هذا الكلام من عقبة فوثب له قائما وقال ماأبرك يوما جمع المسيح فيه بينى وبينك فلقد كنت أسأل المسيح أن يورينى وجهك ولقد سمعت أن الملك منويل يقول لك إذا أقبلت عليه أنت قوام دين النصرانية فقال عقبة دعنى من هذا الكلام وإياك أن تهجم على هؤلاء السودان فهم شياطين الأرض وجن الفلا ومن نزلوا عنده قد نزل عليه البلا ولكن أأمر الساعة سائر المراكب يقصدوا مركب الأمير عبدالوهاب (قال) فأمر الملك سائر المراكب أن يقصدوهم فقصدوهم مائة مركب حربية مقاتلة ونظر الأمير عبد الوهاب إلى قوارير النفط فقال حرقنا بلامحالة فقال الأمير أبو محمد ما نبالى بهم احفظوا أنفسكم انتم فان المركب قد عملت لكم عليه اللبود الطيلقانية المسقية بالخل فما نبالى بهم ثم أقبل أبو محمد على غلمانه وأعطاهم النفط وقال لهم اضربوا المراكب بالنفط فأقبلوا يضربون المراكب بالنفط حتى أحرقوا خمس مراكب بالنار ونظر البطليموس إلى ذلك فعظم عليه وكبر لديه وغضب على أصحابه واشتد القتال وتراموا بالنبال وقاتل الأمير قراقد قتال لايقدر عليه أحد من الأبطال وعملت القواضب والتقت المراكب بالمراكب وعلا الصياح من كل جانب وأن البطليموس لما رأى إلى ذلك قال لابد من القتال وطلب المركب الذى فيه الأمير عبدالوهاب حتى لاصقه وكان مركب البطليموس مثل الجبل العظيم وعلى ظهره خمسمائة مقاتل سوى رجال المركب وقد بقى الأمير عبدالوهاب على القلب فلما نظر الأمير أبو محمد إلى ذلك أقبل على قراقد وقال له أنت ترى حالنا مع هذه المراكب الكبار ونحن هالكون لا محالة ومالنا إلا الصدق فى القتال وقد بلغنا الآمال فقال له صدقت يا مولاى فلو أمرتنى أن ألقى روحى فى البحر لفعلت

فقالت الأميرة وأنا أيضاً معه فقال الأمير أبو محمد اعلموا ان كفيتمونا هذا المركب فما نبالى من غيره وان ملكناه أخذنا عقبة منه قبضا باليد لانه فيه ونأخذ الملك أسير ونقول للمراكب ارجعوا عنا فان لم يفعلوا وإلا نضرب رقبته فلما سمعت الأميرة ذات الهمة بذكر عقبة طاب قلبها وقالت ياأبو محمد ما الذى تشير به علينا أن نفعل فقال ما فى الأمر إلا شيء واحد وهو أنكم ترمون الكلاليب بالحبال إلى مراكبهم ونضربهم بالحجارة حتى نكشفهم عن جانبه ويطلع منكم أربع رجال إلى مركبهم وقد ملكتوه ففعلوا ما أمرهم به الأمير أبو محمد وأخذ قراقد حجر كبير وضرب به صدر واحد من البطارقة خسفه وضرب أبو الهزاهز واحد فى وجهه طير قحفه وضرب الأمير عبد الوهاب آخر اقلبه على ظهره وقصف أقلاعه وضربت الأميرة ذات الهمة بطريق كأنه الفتيق بمزق الكفر بأياديه تمزيق فخرج الحجر من كفها كأنه المنجنيق فتركه سحيق وضرب سيف الحنيفية آخر تركه من شدة الضربة لا يفيق وجعل كل واحد من الأمراء يضرب واحد من القوم إلى أن وصلوا إلى خمسة وعشرين رجل وانكشف جانب المركب فتعلق الأمير عبد الوهاب بمركب البطليموس ووثب صار فيه والتقى الرجال بالسيف فنثرهم نثراً وأبادهم عشرة عشراً وملك المركب قوة فهذا أخذ وهذا أسر وكانت الأميرة ذات الهمة الأخرى فعلت كفعله لأنها وثبت إلى السفينة الأخرى الكبيرة واعتمدت على من لم يزل بولايتها ذخرا وإقبالا وفخراً ويبدلها بعد العسر يسراً فابادت البطارقة قهراً وملكت المركب قسرا وهى تهال وتكبر وكذلك سيف الحنيفية وثب إلى بعض المراكب وهو ينشد ويقول :

لنا يومان فى عسر ويسر　　واطلاق وحسن غير واجب
فيوم فى القيود نكون أسرى　　ويوم فى القصور على المراتب
ويوم فى الجهاد بكل أرض　　على الخيل المسومة السلاهب
ويوم فى البحار يكون منا　　رجال فى ميادين المراكب
فمن طلب الجهاد يفوز حقا　　بجنات وأتراب كواعب
ونطعن بالرماح السمر حتى　　نبيدهم ونضرب بالقواضب
وأكواب وولدان وحور　　ومن يرجو سوى الرحمن خائب
وحوض محمد يسقى رحيقاً　　هنيئاً للذى يعطى الرغائب
شكرنا الله فى عسر ويسر　　ونرجو منه إصلاح العواقب

(قال الراوى) ثم انه ضرب فى المركب حتى سقى كل من فيه كاسات النوائب ولم يسلم منهم إلا من رمى روحه فى البحر فهلك وأما أبو الهزاهز فانه وثب إلى مركب يقال له غراب وضارب فيهم ضراب وقطع منهم الرؤس والرقاب وألحق الشيوخ والشباب وهو يرتجز ويقول :

إنى أنا الليث أبو الهزاهز غضنفر فى المراكب غير عاجز
أرجو من الله غدا جوازى وعادتى الوثوب فى المراكب

(قال الراوى) ياساده ياكرام وضرب فى المراكب حتى ملك المركب وأما قراقد فانه قد قفز إلى المركب وكشف رأسه وطلع الزبد على أشداقه وقال من رأى وجهه سبحان خالقه وضربهم بالسيف إلى أن رماهم إلى البحر وصاح الله أكبر وسمع عقبة تكبير قراقد معه فى المركب فات الموتة التى كتبت عليه وقال وحق المسيح هذه نوبة ميشومة وما أظن إلا أن المسيح مسلم وإلا ما كان يفعل هذه الفعال ولا يغفل عن هؤلاء الأندال هذا والأميرة ذات الهمة قد ضربت بالقواضب وأذاقت الأبطال المعاطب وقال الأمير بردا بن الأزهر لقشعم اطلعوا لأصحابكم فانكم إذا ملكتم هذا الحربى ما نبالى بالباقين ولو أحدق بكم كل مركب فى البحر وصعد الأمير أبو محمد وقد زعقت الأفرنج من كل جانب من خوفهم على الملك البطليموس فما كانت إلا ساعة حتى تركوا الرؤس على العلاصم (قال الراوى) ياساده ياكرام وإن الكندفرون لما نظر إلى هذا الملك العظيم قال ما أظن هؤلاء من الإنس وما أظنهم إلا من الجن ثم أمر أصحابه أن يعمروا القوارب والحراقات والسكبكبات والدوبجيات فكانت أكثر من ثلثمائة قطعة وأركب فى كل واحد من العشر رجال إلى العشرين وخرج الكندفرون وقد قوى قلبه وقلب كل من فى المدينة لما رأوا مراكب الملك البطليموس أشرفوا على الهلاك وأما الأمير قراقد فانه فتك فى الروم من كل جانب وسيف الحنيفية أيضا قد أنزل بهم النوائب وكان فى مركب الملك خمسمائة مقاتل فألقوا أرواحهم فى البحر لما عاينوا الموت من رمى الصخور الكبار والصغار وخفقت جوانب المراكب بكباش الحديد الثواقب وتكسر أكثرها من شدة النطاح وأثخنت الابطال بالجراح ولعبت بهم الامواج والرياح واشتد الفزع والغرق وكم من بطل مقاتل بقوارير النفط قد احترق واشتعلت الرؤس وأصبح البطليموس معكوس ولما وصل الكندفرون وجد المراكب قد تقدمت وتصادموا اصطدام السلاهب وتراشقوا بالحراب وتراموا بالنشاب وتزارقوا بالقوارير النفط والحراب وأقبلت النار تدب على وجه الماء كدبيب السم فى الابدان وتراموا إلى البحر العجاج بانزعاج واندقوا البطارقة والاعلاج وملكوا

الحربى الكبير وأخذوا البطلميموس أسيرورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) وأعجب ما فى هذه السيرة العجيبة أن عقبة لما أخذوا المركب وشربوا أصحابه شراب العطب ونزل بهم الويل والحرب وما لهم سبيل إلى الهرب لجعل يسب دين النصرانية ويقول ما كان المسيح إلا مسلم وأتى إلى الخابية التى فيها الماء ونزل فيها وهو يرتعد من الخوف وقد أيقن أنه هالك لا محالة والأمير أبو محمد قد أقبل عليه المركب وجعل أسفله أعلاه وأن عقبة لما سمع حس أبو محمد وهو يدور لا يدرى على أى شىء يدور فقال هذا قراقس وقد ظهر إلى المركب وما أتى به المسيح فى هذا الوقت إلا رحمة لى وإن علموا بى المسلمين ما يبقوا على ساعة واحدة مما جرى عليهم منى ثم أنه نادى شويه شويه يا قرياقس هذا أنا فى خابية الماء فقصد إليها ونظر فيها وإذا بعقبة غاطس فى الماء إلى رقبته وقد صار وجهه كالزعفران من الخوف فقال له أبو محمد قم واخرج من الخابية فقد نظر المسيح إلينا ونصرنا بهؤلاء المسلمين الأسارى فاحمد المسيح الذى لم نقتلهم فقال عقبة لا تعلمهم أننى هنا فيقتلونى وقد سلمت روحى إليك فقال لو قتلوك أبادهم المسيح وقتلهم الملك قم واخرج فما عليك بأس فقال عقبة يا قرياقس ما هذا صواب لأنهم ان وقعت عينهم على فهم يقتلونى لا محالة فلا تسمع من قولهم فبينى وبينهم ما لا يعلمه إلا المسيح فقال أبو محمد فهل أملت أن تقعد طول الدهر هاهنا فلا بد من خروجك وكيف يقدرون عليك وعلى قتلك فنادى عقبة يا قرياقس بحق المسيح لا يفعل فعندها مضى أبو محمد وتركه لأن المراكب قد أحدقت به من كل جانب ومكان هذا وقد قتلت الرجال واشتد القتال وتصادمت المراكب كأنهم الجبال ووصل الكندفرون فى حراقه أسرع من البرق إلى المركب الذى فيه الأمراء فلما وصل إليهم اشتد القوائم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والابطال بالاصوات تجلجل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل وبطل القتال وزادت العظائم وتضاربوا بالنيران وأحرقت المراكب من كل واد ودام القتال إلى الصباح وعادوا إلى الضرب والكفاح واشتد الصياح (قال الراى) وكان الريح فى ذلك النهار شديد الهبوب مزعج القلوب كما يشاء علام الغيوب وهبت الجنوب والشمال حتى كان إسرافيل قد نفخ فى الصور فعند ذلك هاج البحر وماج وتلاطم بالامواج واسود البحر وعاد النهار كالليل الداج ولم يبق أحد من الناس إلا وقد أيقن بالوفاء وطلبوا كلهم الساحل فلم يقدروا على ذلك لأن الأمواج قد جاءت كالجبال الرواسى وإذا بهم قربوا من الساحل وما وقع كان أعظم وقد ظهر رمل قرار البحر على وجه الماء ودفقت المراكب على ظهرها ونادى الامير عبد الوهاب

يا من يقدر ويعفو و نادى سيف الحنيفية يا من يقدر و يعفو و نادى قشعم و نادى برد ابن الأزهر يا من يسمع ويجيب دعاء المظلوم إذا دعاه ولا يخيب من أمله ورجاه و نادى قراقد يا مفرج الضيق ومنجى الغريق و نادى الامير أبو محمد يا من تسبحه الانوار والظلمات و يوحده الطير فى جو السماء ويذكره الطفل فى الحشا من علينا برحمتك وخلصنا مما نحن فيه بقدرتك وقالوا لأبو الهزاهز مالك لا تدعو فقال ألم أقل لكم السفرة المباركة من أولها تبان أن سلمنا من سيوف الكفار نصير طعاما للسمك فى البحار مثلنا مثل الذى خلص من الحبس إلى ضرب الرقبة (قال الراوى) وقد غرق الثمانمائة حراقة من أصحاب الملك الكندفرون وكل من فيها غرق وغرق من مراكب البطليموس أربعمائة وعشرين مركب وأشرف الباقون على العطب وإذا بالامواج قد قزفت المراكب إلى الساحل حتى صارت كلها على البر والرمل ونزل الناس فلما صارت البطارقة على وجه الارض حمل الكندفرون وقال لأصحابه يا ويلكم لا تبقوا على أحد من أصحاب البطليموس فحملوا عليهم وحمل بعضهم على بعض وارتجت الارض هذا والامير وأصحابه قيام ينظرون إليهم واشتد القتال وزادت الاهوال ولم يبق من السيوف إلا المقابض وقطع الاعناق وعملت المرهفات الرقاق وجاء الحق وزهق النفاق وسكنت الرياح كما يشاء الملك الخلاق ولم يبق غير الاشباح وذكر البطل الجحجاح وقاتلوا أصحاب البطليموس قتال من هانت عليهم الارواح وأيقنوا بالفنى والرواح ولم يزالوا يقاتلوا حتى رموا أصحاب الكندفرون على التراب وأسقوهم شراب والموت وانقطعت منهم الاسباب فلما نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك حمل على أصحاب البطليموس وحمل سيف الحنيفية والامير قراقد وأبو الهزاهز والامير قشعم فما كانت غير ساعة حتى ولوا الافرنج على أعقابهم خاسرين وللنجاة طالبين ومما املوا خائبين وأنهم لما نظروا إلى من قتل منهم نادوا برفيع أصواتهم لورك لورك يعنى الامان ثم رموا عددهم فاسروهم أصحاب الكندفرون وأهل البلد عن بكرة أبيهم وأقبل الامير عبدالوهاب على الامير أبو محمد فقال له اترك الملك البطليموس إلى الملك الكندفرون وأنظر ما كان من عقبة الملعون فقال أبو محمد قد تركته فى خابية الماء الحلو مسجون وهو فى المركب الكبير والمركب يسوى ثمانمائة ألف دينار وأكثر لأنه ما بين ذهب وفضة وعود قمارى وفيه أموال وجواهر وغير ذلك والصواب أنك تطلع إليه وتجمع ما فيه وعقبة لعنه الله فيه فقال أبو الهزاهز والله لأنتقمن منه ولأقتلنه قتلة ما مثلها ذكر حتى يموت بها ثم قال أبو الهزاهز إذا كان الامر كما وصفتم والحال كما ذكرتم أطلع أنا وغلمانك إلى هذه المركب التى للبطليموس وأتولى أخذ عقبة الشيخ المنجوس والله

لأسلخنه من كعبه حتى يصير مثل الجاموس فقد أدخل على قلبى أشد البلاء. فقال الأمير عبد الوهاب مالى إلى ذلك من سبيل فقال أبو الهزاهز وما ذلك أيها الأمير فقال اننى ما أطلقنى الملك إلا إننى لا أغدره وهذه المركب أسلمه للكندفرون ولا أقدر أتصرف فيه وأما عقبة ما نقتله حتى ننظر مايكون لأننا نريد أن نسلم أرواحنا إلى الكندفرون فقال له الأمير أبو محمد إذا كان الأمر كما ذكرت فاقصدوا إلى المركب ثم أخرجوا عقبة من خابية الماء وأضربوه ضربا وجيعا حتى نكون قد أخذنا منه ماتشفى به صدورنا حتى إذا أشرف على العطب أتيت إليكم وخرجت عليكم وخلصته منكم فقالوا نعم مارأيت ثم صعدوا إلى المركب الذى فيه عقبة فكان أسبق الناس إليه أبو الهزاهز ليخرجه عن الخابية وعقبة ينتظر قرياقس ليأتى إليه ويخلصه وهو قد رفع رأسه من الخابية ليأخذ له نفس فنظر وإذا هو بوجه كأنه الجاموس المحروق فقال أبو الهزاهز أهلا وسهلا بالشيخ الصالح إيش قعادك حتى بليت ثيابك ثم قال ان المسيح قد أرسلنى إليك فقال عقبة بأى شيء أرسلك فقال أطير رأسك وعينك فقال عقبة لا حاجة لى بذلك فقال أبو الهزاهز تخالف أمر المسيح ثم مسكه من أطواقه ومن ذقنه ومن ودنه وجذبه إليه أخرجه من موضعه فلما نظر عقبة إلى ذلك أيس من الحياة وأيقن بالوفاء. فقال يا أبو الهزاهز خذ منى هذا الكلام على سبيل النصيحة قال ياويلك ماهى فما عهدى بك قط ناصح فقال له إذا وقعت فى ضيقه فلا تستجير بالمسيح ثم قال هو برىء من المسيح كما هو برىء من محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فلما سمع كلامه دخل تحته ورفصه على رأسه وضرب به الأرض وإذا بالأمير سف الحنيفية ووالده والأميرة ذات الهمة وجميع الأمراء قد وصلوا إليهم وقالوا الحمد لله الذى جمع بيننا وبينك فى مكان واحد فى بلاد الغربة والله لابد ما نعرفك شوم فعلك فى هذا اليوم فقال عقبة اسمعوا ما أقول لكم وافعلوا بعد هذا ماشئتم ويلكم صيحوا إلى بقرقياس حتى أقول لكم كلمة واحدة قبل موتى فلعله يعلم انى بعدها هنا وهو الذى حبسنى ها هنا وصالحتم الملك على انكم تكسروا العدو ويطلق سبيلكم وهو الآن لا يوفى لكم ويجعل قتلى سببا لغدركم فاجعلونى سببا لخلاصكم وانظروا فى العواقب فقال أبو الهزاهز على هذا قد عولنا وأننا أتينا إليك ياشيخ النحس نضربك ضرب وجيع كيف يكون كما كنت قاعد تأكل الطعام ولا تطعمنا أظننت ياشيخ السوء أن الله مايمهلك ثم انهم بطحوه وضربوه ومامنهم إلا ضربه حتى كل ساعده وهو يقول سيعلم الملك مافعلتم فى حق ويكافئكم ثم ان الملعون جعل يكفر بالرحمن وكان قصده بذلك القتل حتى يستريح من العذاب فضربوه حتى علموا انه مابقى فيه نفس وإذا بالبطال قد اقبل وهو

يشتمهم بالافرنجى ودنى من ابوالهزاهز وضربة بالسيف صفحا وصاح على الباقون فلما نظره عقبة صار يستجير به وقال يافرياقس إن القوم يطلبون قتلى ولولا اغاثنى المسيح بك كنت من الهالكين فقال ابو محمد سوف ترى ما أصنع بهم ثم انهم مضوا معه وتركوا عقبة يقول يافرياقس لاتدع يدى من يدك وخذنى معك حتى أدخل على الملك وأودعه قبل الموت لأنى هالك فلما سمع أبو محمد ذلك الكلام صاح بجماعة من الافرنج أصعدوا خذوا قسيسكم من بين يدى المسلمين وإلاقتلوه ولايبالون بقتله لأنهم فعلوا فى حق الملك مالا فعله الوالد فى حق ولده هنالك صعدوا إلى المركب وحملوا عقبة وهو ينوح على نفسه فلما رآهم وهم ينظرون إلى الأمير عبدالوهاب شذرا ويرمقوه حذرا وكذلك أصحابه ولايجسر أحد أن يدنو منهم وذلك لحالين الأول انه وقع فى قلوبهم هيبة الأمراء والثانى حتى ينظرون مايأمرهم به الملك ثم انهم ساروا بعقبة إلى الملك ووضعوه بين يديه فلما رآه وهو على ذلك سأله عن حاله فاخبره بما تم عليه من الامراء وماجرى له فعظم على الملك وكبر لديه وقام قائما على قدميه وقال للافرنج إياكم ان يظهر احدامنكم انه قد صعب على ماقد جرى على الشيخ النجيح وسوف ترون ما أفعل بهم فقالوا أيها الملك افعل ماتريد ومعلوم انك إذا قلت عنا لأهلكوا منا خلق كثير ولو صعدوا فى هذا المركب الكبير لساروا إلى أى موضع ارادوا ويبلغون مرادهم ويمضون إلى بلادهم وهم قد ملكوا مركب البطليموس وهو يسوى جملة من المال وماقى الامر إلا أننا نأخذهم بالحيلة ونرسل إليهم الخلع والخيل المسومة ونطلبهم إلى بين يديك فاذا وصلوا إلى باب القصر وترجلوا عن الخيل ودخلوا إلى البلد من الباب الاول فتأخذ الخدم منهم السلاح ويدخلون عليك بغير أهبة فتأمر بالقبض عليهم وكان هذا كله من تدبير اللعين عقبة لعنة الله عندها مضوا إلى الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وقالوا لهم ان الملك قد أمر لكم بهذه الخلع وهذه الخيل تركبوها وتسيروا إليه حتى يوفى إليكم ما ضمنه فلما سمع الامير فرح وفرحت أصحابه إلا البطال فانه لايعجبه ذلك فقال له الامير لم لاتظهر الفرح فقال والله مافعل هذه الفعال إلا الملعون عقبة إلاحتى تقعون فى يده ولكن قفوا مكانكم حتى امضى وأكشف لكم الحال على الحقيقة واعود إليكم فان كان ناوى لكم الخير شكرته على ذلك وإن كان ناوى لكم الشر أعلمتكم بذلك وأتيتكم أنا وغلمانى وادعكم تقتلون هذا الرسول ونركب هذا المركب الذى ملكناها ونسير فى هذا البحر الذى بين أيدينا فلما سمع الامير عبد الوهاب قال ماترون من الرأى يامعاشر الاصحاب قالوا نعم ما قال البطال فقال الامير والله مافعلت ذلك أبدا

وما كنت بالذى أخون الايمان والعهود فقال البطال وأنا لك موافق أيها الأمير ولى أسوة بك فافعل ماشئت ولكن مازلت توفى بالعهود والنذور وأريد منك أن توفى بالعهود وتدفع لى الملكة نورى وتجمع بينى وبينها لانك تعرف كيف حالى من أجلها فضحك الأمير من كلامه وقال سمعا وطاعه ثم ركب الأمير وركبوا الرجال معه حتى وصلوا إلى الملك وترجلوا عن الخيل وأخذوا الغلمان العدد وأشار الملك إلى الافرنج فهجموا عليهم وأخذوهم فاما الامير عبد الوهاب فانه سلم نفسه ولم يمانع وفعلت الاميرة مثل فعاله وسائر أصحابه إلا أبو الهزاهز فانه لكم إثنين خسف صدورهم وفعل قراقد مثل فعله عندها صرخ الامير عبد الوهاب وقال وحق مسبب الاسباب إن لم تسلموا انفوسكم وإلا أعيدكم رغما عنكم فلما سمعوا كلامه سلموا نفوسهم فاخذ الكل عن بكرة أبيهم ووضعوا فى أرجلهم القيود الثقال عندها وثب عقبة على قدميه كانه شيطان وقال أيها الملك كيف رأيت تدبيرى ومشورتى فاقتلهم الساعة تستريح منهم فقال الملك ما أقتلهم إلا فى غداة غد وأقتل معهم الملك البطليموس وتذهب الهم العكوس ثم أمر لهم بالحبوس فأنزلوهم فى سرداب وأقبلوا الامراء على الأمير عبد الوهاب بالعتاب فقال لهم لا تطيلون الخطاب أنا ما فعلت ذلك إلا من أجل الإيمان والعهود ودع يصنع فينا ما يشاء الملك المعبود ثم انهم أقاموا كذلك إلى أن تهود الليل ولما قرب الصباح وإذا بالسرداب فتح ونزل إليهم شخص عظيم الخلقة وبيده شمعة فنظروا من هو وإذا به الكندفرون وهو يرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف ويبكى بكاء رجل خائف ولما حضر عندهم قال من فيكم عبد الوهاب فقال الأمير عبد الوهاب أيها الظالم الغاشم أنت جئت تقتلنا ونحن عملنا معك ما أنت به عالم فبحق دينك الا ما أمهلت حتى أصلى ركعتين فانى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من ختم الله له بخير خرجت روحه عند الصلاة وحرم الله جسده على النار فقال الكندفرون ياهذا ماجئت إليك لأقتلك وإنما جئت إليك مبشرا بما فيك من حسن الفضائل وأنت كما قال القائل من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار وأنت من خيار عباد الله المجاهدين الابرار وفى هذه الليلة لقيت ما لقيت من أجلك ما لا يقع عليه عيار وذلك انى كنت نائم وأنا مضمر لكم القتل والملك البطليموس فبينما أنا نائم اذ أقبل على أسود ولم أر أشنع من خلقته وهو مثل الطود العظيم وبيده حربة عظيمة وفى رأسها سنان من نار ثم أشار بها إلى وقال يا عدو الله ورسوله ما كفاك كفرك بالله عز وجل حتى ضيعت إليه العهود فلما سمعت كلامه تزلزلت بى الدنيا وبقيت أرتعد مثل السعفة فى يوم ريح عاصف وسار وغلق الباب فأيقنت انى هالك اذ دخل على شخص أبيض اللون مليح الكون النور

يطلع من بين عينيه والهيبة لائحة عليه من عطفيه والجمال من وجهه وخاتم النبوة بين كتفيه وهو الشفيع لمن أزعج روحه بالصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأنه لما نظر إلى ذلك العبد وهو يريد أن يضربنى فصاح به وقال أصبر فان الله تبارك وتعالى بعثنى بالرأفة والرحمة والإنذار ثم أقبل بوجهه الكريم وقال إن الله تعالى قد أرسل ملك من ملائكة الغضب وأمره أن يضربك بحربة سخط فلا ترى بعدها سلامة أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وإنى قد أتيت إليك آمرك أن تكون عونا لعبد الوهاب وتعمل على خلاصه وتمضى إلى بلاد الاسلام وهذا سبب نجاتك من النار وتكون من جملة الابرار فقلت له يا مولاى إنى أخاف من المسيح فما هو إلا أن سمع كلامى حتى أقبل عن يمينه شخصا أشقر أزرق العينين والنور على وجهه يلوح والضياء لائح من بين عينيه فقال السلام عليك يا مختار السلام عليك يا حبيب الجبار فقلت من هذا يا مولاى فقال هذا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ثم أقبل المسيح على وقال لى يا كندفرون لم لا تسمع من هذا النبى الامى الذى اسمه فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان للمعظم صلى الله عليه وسلم فقل بمقالته وصدق برسالته فهو المبعوث من تهامة والشفيع يوم القيامة فيه انارة الظلم وهو سيد العرب والعجم فلو أنى أدركت زمانه كنت مشيت بين يديه الكرام ودعوت الخلق إليه فلما سمعت ذلك من كلام السيد المسيح فقلت يا مولاى وكيف أقول حتى أصير من أهل دينه فقال لى قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقلت كما قال لى ثم استيقظت فرحا مسرورا بهذه الرؤيا وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فلما سمعوا ذلك بكوا بكاء شديدا وأقبلوا على الامير عبد الوهاب وقالوا أيها الامير اجعلنا كلنا فى حل فوالله العظيم أن هذا الكلام من بركة سريرتك مع الله تعالى ووفاك بعهدك وبقدرة الله عز وجل تصنع ذلك وهو ينجيك من المهالك وهم فى الكلام وإذا بأربعة رجال قد نزلوا إلى السرداب وبأيديهم السيوف القواطع والحراب اللوامع فلما نظر الكندفرون إلى ذلك اصفر لونه وقال لاشك أن بعض البطارقة علم أنى قد نزلت إليكم أريد قتلكم وقد لحقنى لاجل ذلك وما أردت أن يشعر بى أحد حتى أدبر ما شئتم وما به تشيروا واعمل فى مسيرنا فأنا الذى ما أقيم فى هذه الديار بعد أن رأيت محمد المختار صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار بل أسير معكم وأقاتل بين أيديكم ويكون لى ما لكم وعلى ما عليكم ولى ثلاثة أولاد وزوجة وجماعة من أهلى ولابد ما أعرض عليهم المسير والاسلام واعلمهم بما فتح الله عز وجل على فان أراد الله بهم خيرا فهم يؤمنوا كما آمنت وإلا اعمل على قتلهم ولا امضى فى غير طاعة الله

عز وجل (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان القوم الذين نزلوا بايديهم السيوف أبو محمد ويانس ولؤلؤ وبديع فلما رآهم الملك قال ياقرياقس ما الذى جاء بك فى هـذا الوقت فبقى أبو محمد خائف لايدرى مايفعل وقال والله العظيم هذا شىء لم يكن فى الحساب ثم قال أيها الملك نزلت على هؤلاء انت بنفسك خففت عليك منهم لانهم شياطين الارض فى طولها والعرض فقال الامير عبدالوهاب يا ابو محمد لاتخف إن العناية قد سبقت والاغراض قد حصلت فقال ابو محمد وقد تحير من كلام عبدالوهاب ولم ذلك يا امير فقال الآن الكل قد صاروا أولياء الذى كنت تفزع منه ان يصير فعاد إلينا حقير وان الكندفرون قد آمن على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم واعاد عليه القصة من اولها إلى آخرها والملك يتعجب من ذلك والملك يقول ياقرياقس فقال الامير عبدالوهاب أيها الملك إن هذا اخى قد دخل إلى هـذه الديار فى طلبى هـذا الامير ابو محمد البطال صاحب الافعال المشهورة والاعمال المذكورة فلما سمع الملك ذلك تعجب وقال هذا كنت اسمع به ولقد سمعت انه يقتلنى ولقد كنت جاهل به وبمعرفته فالحمد لله الذى نجانى من النار والآن فكونوا فى بعض المجالس فى قصرى إلى ان ادبر امرى وانا بعد اعمل على خلاصكم واحمل معى من الاموال شىء لايحصى ولايعد بعـدد الرمل والحصى ثم انه صعد إلى مجلس داره وصعدوا معه الامراء بعد ان فك قيودهم من ارجلهم ونقل إليهم جميع مايحتاجون إليه من عدد وخوذ وسلاح وطعام وشراب (قال الراوى) ثم ان الامير ابو محمد اقبل على الامير عبدالوهاب وقال له اعلم انى كنت معول على امر والآن فقد اتى الله بما لم يكن فى الحساب وغدا إن شاء الله تعالى نقتل عقبة ولقد كانت نوبة مباركة علينا ميشومة على عقبة لقوله تعالى وهو اصدق القائلين وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ثم انهم أكلوا الطعام لما وقعوا (قال الراوى) هـذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الكندفرون فانه عاد إلى زوجته واولاده فرآهم مستيقظين وعليهم آثار الفرح فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال اعلموا انى قد مضيت إلى هؤلاء المسلمين وكنت معول على قتلهم فى غداة غد فرأيتهم يسبحون الله تعالى ويقدسونه وقد سمعت كلاما ماسمعت أطيب منـه ولعمرى كنت من البطليموس فى امر عظيم ولولاهم لكنت من الهالكين وانا وانتم وكل من فى المدينة لم بقى يرجع يطمع فى بلادنا احد ولقد أعدتهم إلى الاسر والقيود وهم لا يستحقون وفعلت معهم مالا يستوجبون واريد أوفى لهم بقولى واطلق سبيلهم فلما سمعوا ذلك قالوا لقد قلت الصواب ولقد اردنا ان نفعل ذلك لان لنا حديث غريب وذلك اننا فكرنا فى ذلك من امر هؤلاء وقتلهم وقتلهم

وأصحابنا وكثرتهم وماهم عليه من الضعف ونظرنا إلى هؤلاء المسلمين وكيف نصروا على عدوهم وهم فى هذا العالم العظيم حتى إن كل واحد منهم وقف فى وجه ألف وألفين وثلاثة وماهذا إلا من سعادتهم ولولاهم على الحقيقة من دينهم وصحة من يقينهم لما أعطاهم الله هذه الشدة والقوة وأوفوا لك بما عاهدوك ولو أرادوا لكانوا عاندوك وهذا من أحسن فعلهم وأوفى عند العاقل وأجمل ومافينا إلا من رأى كما رأى صاحبه وأقبل عليه يخاطبه ولم نقدر نوفيك ذلك لأنك أوفى منا عقلا وأغزر منا بصيرة وفضلا فماذا ترى فى هذا الأمر الذى تفكر فيه أرباب العقول فقال عند سماع كلامهم سبحان من إذا فتح باب الرحمة جعله هداية لمن يشاء ثم إنه باس الأرض شكراً لله تعالى وقال لهم إن الذى رأيتموه رأيته ولما دعانى إلى الاسلام لبيته عندها قالوا نحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وقد كنا كتمنا ذلك حتى نسمع ماتقول وقد عزمنا إذا آيسنا من إسلامك نقتلك ونسلم إلى هؤلاء المسلمين العدد والسلاح ونحمل إليهم الاموال فى المراكب التى ملكوهم فى حال القتال ونطلب ديارهم فالحمد لله الذى لم يغلق الباب فى وجهك ومن علينا بجمع شملنا على كلمة الهدى ثم قالوا على ماذا عولت قال إنى أرسل الساعة إلى فلان وفلان ووجوه عشيرتى وأشاورهم فى مثل ذلك فان كان لهم فى الغيب سلامة وسعادة فأكون سبب خلاصهم فقالوا له نعم مارأيت (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الملك الكندفرون جعل يرسل لواحد بعد يقص عليهم القصة فمنهم من يقول أيها الملك لايخامرك عقلك باتباع هؤلاء الانذال وتفارقوا لدين العتيق فيقول إنما أردت أختبركم لا يكون قد خامر قلوبكم من أمر هؤلاء المسلمين شيئاً ومنهم من يجيبه بأطيب كلام ويقول أيها الملك افعل ماشئت فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم ادعى بوجوه خاصته وكان فيهم رجلا أوفى عقلا من بطارقته فلما اتاه قال ايها الملك إنى رأيت فى ليلتى هذه كأن السماء قد فتحت أبوابها وقد نزلت رجال وفى ايديهم الحراب وفى رؤسها اسنة البولاد فقصدنى واحد منهم وقال لى قل لا إله إلا الله محمد رسول الله وكن فى جهة هؤلاء المجاهدين وقد قلت ايها الملك ذلك فلما سمع الملك ذلك قوى قلبه واشتد يقينه ولما اصبح الصباح حسب الذى اسلم من قومه من اهل خاصته ودولته واهله وأولاده من اهل كندفرون فكانوا ألف رجل فأصبحوا الكل فى القصر وكانوا الجميع أى من اسلم منهم فيقول له اعرض الاسلام على أهلك وأولادك فيقول أيها الملك إن الله هداهم لدين الاسلام ثم إن الملك دخل على الامير عبد الوهاب وأعلمه بما كان فى ليلته فسجد شكراً لله تعالى وكل من معه ثم قال الامير يا أخى

على ماذا عولت فقال الملك اعلم يا أخي أن هذا بلد عظيم وفيه عالم كثير وقد آمن منهم من أراد الله له بالخير وما في الأمر إلا أنني أدفع كل من أسلم إلى القصر مع أولادهم ولا نرجع نبالي بكل من في البلد والثاني نصف المراكب في المينا إلى جانب القصر حتى إذا أردنا الاقلاع أقلعنا (قال الراوي) وخرج الأمير أبو محمد مع غلمانه وغلمان الملك وحصلوا المركب الذي للبطليموس ومعه عشر مراكب من مراكبهم وجعلوها في المينا ثم أقبل الأمير عبد الوهاب على الملك وقال له تريد أن يقبل الله اسلامك قال نعم وبما يكون ذلك قال الأمير عبد الوهاب تقتل الشيخ النحس عقبة الذي دخل عليك في صفة قسيس واطلا عليك أفعاله ونفاقه فقال الملك إذا كان قصدك قتله فالأمر إليك وارسل يجيب عقبة والبطليموس فلم يجدوهم فهم في الكلام والأمير أبو محمد دخل عليهم وقال لهم قد حصلت المراكب في مينة القصر ثم أقبل على الملك وقال له أيها الملك الأمور بانجازها فانجز أمرك في نقل الأموال والرجال والنساء والأطفال والزاد في عشر مراكب حربية ونقلع إلى بلاد الاسلام فقد أنعم الله عليك بالسلامة فان الهوى لا يؤاتينا إلى ذلك ثم أنهم يطلبون من سائر الجهات فقال الأمير عبد الوهاب إذا كان الأمر على ما ذكرت فعندي رأي وهو أن تحمل كل مالك من الرجال والأموال على ظهور البغال والجمال ونسير كلنا في البر لأنه أقل خطر فقال له الملك الكندفرون فكيف الخلاص من هذا العسكر الذي بين أيدينا وهم محدقون بنا فقال الامير نفتح ونخرج إليهم ونحمل عليهم ونستعين بالله رب العالمين فان كشفناهم وصرنا من ذلك الجانب الآخر فهو الذي نريد ونعول على الرحيل ومن خالفنا ضربناه بالسيف فقال أبو الهزاهز هذا هو الصواب ولا نقعد خلف الجدران فقال الامير عبد الوهاب هؤلاء قوم قد هجروا الاوطان وزهدوا الاخوان وتركوا الاقارب والخلان وطلبوا الملك المنان الذي لا يشغله شان عن شان ورحمته موجودة في كل مكان وخرجوا حتى صاروا خارج البلد فرفعوا أصواتهم بذكر الواحد الاحد الفرد الصمد وهم في أكمل العدة وأحسن أهبة هنالك تصايحت الافرنج من كل جانب ومكان وارتفع الصياح إلى العنان وهجمت الكتائب واشتهرت القواضب وتصايحت الفتيان من أهل الصلبان على أهل الإيمان وأطلقوا كل عنان وتصارمت الخيل الجياد في ساحة الميدان وفاضت الارض برؤس الفرسان كلعب الاكره والصولجان وطلع الغبار مثل الدخان وفاضت الارض بالدما من مقاتل الشجعان وارتعدت الفرائص من الفزع والابدان واصفرت الوجوه من الجزع فحالت الالوان وشابت الرؤس من هول تلك الساعة العظيمة الشأن وعمل الصارم اليمان في مفارق

الأبطال فى معترك الصحصحان وكان يوم ثقيل على من حمل فى ذلك المكان من أهل الكفر والطغيان وفاضت المدافع على قتل الاخوان والافرنج قدضجت قساقسهم والرهبان وهم يكفرون بالرحمن وينسبوه إلى الزوجة والصاحبة والولدان فتبارك ربنا وتعالى علوا كبيرا هو الواحد الاحد المسيح بكل لسان لا يحول إلى حالة الزمان وهو المضاعف فى الثواب لاهل الاحسان فهو خالق الخلائق والمطالب لهم بالحقائق الذى ليس له مثال منزه عن الصاحبة والاولاد والاشكال والاضداد مبيد الجبابرة وهو الحى القيوم الذى لا يموت ولا يعتريه نقصان الذى كل يوم هو فى شان لا يشغله شان عن شان هذا والامير عبد الوهاب قد رفع صوته بقراءة القرآن وتوحيد الرحمن هنالك عضت الخيل لجمها وتقطعت من كثرة الجرى حزمها وعرقت أجسادها وقطعت أكبادها وقصرت عن الجولان جيادها وتملت الصوارم من جلادها وطارت قلوب سادتها وذهب صلاحها وبان فسادها ووقع فى الاجناد قيادها وطارت الارواح وقرب عنادها هذا والامير عبد الوهاب وأصحابه يحملوا بنيات صادقة وقلوب بالرب واثقة وعزائم غير منافقة والتفت طائفة المسلمين للطائفة المنافقة ورأيت الاحوال ناقصة والاسنة للاكباد خارقة وتجلى على تلك الواقعة القادر القاهر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والاسلام بالأصوات تجلجل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن ولى النهار بضياءه وأقبل الليل بظلماه وقد خسرت المشركين وجاء النصر للمؤمنين وأبطال الموحدين هذا والامير عبد الوهاب وقرافد وسيف النصر الحنيفية وأبو الهزاهز قد قتلوا فى الناس وفتكوا وسقوهم شراب الاياس فقتلوا الرجال والابطال المقدمين على عسكر الافرنج حتى لم يبق منهم أحد ولم يكن لهم مقام بل طلبوا الانهزام ونصر الله عز وجل عصابة الاسلام ولولا غياهب الظلام ما كان بقى للافرنج باقية وغنموا المسلمين منهم الخيل والعدد وساروا على ما بهم من التعب يطلبون ما عزموا عليه هذا ما جرى لهؤلاء (وأما) أهل مدينة الكندفرون فانهم لما طلع عليهم الصباح لم يجدوا للمسلمين آثار فرجعوا على أنفسهم باللوم وقالوا إن هذا أشهد ما يكون من العار والذل والشنار أن نكون فى عدد أوراق الاشجار وينجو منا ألف فارس فاذا سمع عنا فى الافرنج هذا الحال ويسمع بخبر ناجم بن صلبان والشمران بن مدان والملك حرد بن اقطاليس ونصير عند الناس بعين النقص (قال) فعندها قالوا ننتخب منا ألف فارس ونلحق القوم وإن الملك البطليموس قد حدثنا عنه البطريق دقيانوس انه قد مضى إلى بلد أفرنجية يستعين على الملك الكندفرون ومعه عالم النصرانية وأهل ماء المعمودية الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح ويذكر أن هؤلاء القوم لا ينجون لان الطلب وراءهم فى كل مكان (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك قالوا هذا هو الصواب والامر

الذى لا يعاب وتجرد منهم ألف فارس من كل بطل مداعس (قال الراوى) وأنهم جدوا خلفهم فى سيرهم وكان الامير عبد الوهاب إذا رحل ينزل أهل الكندفرون مكانهم فكلما عبر الملك الكندفرون على اقليم من الاقاليم حملوا إليه الدواب والضيافة ولا ينكرون من أمره شيء ولا يدرون ان الهداية قد فتح لهم بابها وكشف عنهم حجابها وأمن من النار وعذابها ولم يزل كذلك فى شدة السير على القرى والقلاع والاوديه وأبو الهزاهز يقول ما أبعدها من طريق لاجعل الله فيها بركة هذا وأهل مدينة الكندفرون كلما عبروا على حصن أو قرية أو اقليم يخبروا أهل ذلك الاقاليم بما فعل الكندفرون فيعظم عليهم حين يسمعون ذلك الكلام وتشتد منهم رجال فى طلبه وما كانت الامدة حتى أقبل من أهل مدائن الكندفرون ومدينته مائتين ألف فارس وجعل الامير عبد الوهاب يقطع مرحلة بعد مرحلة خوفا أن تلحقهم العساكر وهم أيضا فى الجد والطلب حتى بقيت الدواب مثل الحيات من الضعف وقد قطعوا أرض مرطوك وكزكز واقليم ملقطار ثم وصلوا إلى أرض اسكنارس وحصن أهل تانيس (قال الراوى) وتعب الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وتعب أصحاب الكندفرون من الركض وكلت الرجال من السير وقل زادهم ولم يبق معهم عليق للخيل ولاح لهم لائح العطب والويل ولما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك أقبل عليهم وقال اعلموا انكم هالكون من وجوه عدة أحدها من عدم الزاد لكم ولدوابكم والثانى موت الخيل من شدة السير وما هذا الكر والفر الا من شدة خوفكم من هذه العسكر الذين ورائكم ولو وصلتم بلد أفرنجه وهم خلفكم لكان ذلك عليكم أمر عظيم وتلقون خطب جسيم ولكن أنا أدبر لكم حيلة تأخذون بها الزاد والخيل والبغال والاموال وينكسر هذا العسكر الذى خلفكم حتى لا يعيقكم منهم عائق وتحصل المعونة من الملك الخالق فقالوا افعل أيها الامير فما أحوجنا إلى ذلك وأنت المعروف ليوم المضايق زادك الله سعادة وتوفيق فقال أبو محمد البطال هذا الدعاء والتوبيخ ما يسوى عندى حبة واحده ان لم تعطنى نورى قال فضحك الامير عبد الوهاب وقال طب نفسا وقر عينا فهى والله لك وبين يديك ولا أمنعك اياها فلما سمع البطال ذلك طاب قلبه وقال الآن أقيموا اليوم ههنا وباتوا الليلة لتستريحوا وكونوا مكمنين حتى يأتى عسكر الكافرين ولا تظهرون حتى ينسدل الظلام وكل واحد منكم لا يكون له همة الا اللثام والضرب بالحسام ويختلط مع القوم فى الخيام وتكبروا والملك العلام كلكم بصوت واحد فما يجمع الله منهم واحد ما قام قائم وقعد قاعد فقالوا السمع

والطاعه ثم أكمنوا فى أماكنهم وأقاموا هناك إلى وقت انسدال الظلام وناموا كأنهم قتلى من شدة السير وكانت العساكر قد أتت عند غروب الشمس ونزلوا فى مواضعهم وهم مطمئنين كيف انهم سائرين ولاعدائهم طالبين وغرقوا فى نومهم وعلا غطيطهم فعند ذلك وثب أبو محمد وفرق ألف فارس فى أربع جوانب العسكر فى كل جانب مائتين وخمسين فارس وكان مع كل مائة فارس من أصحاب الكندفرون واحد من الامراء وزعق كل واحد منهم فى ظلام الليل وكبروا أهل الايمان فكبرت معهم الملائكة وقالوا الله أكبر فتح الله ونصر وجاءنا النصر وصاحوا الباقين من سائر الجنبات وزعقوا الطيور بتوحيد الملك العلام وارتفع الصياح وعلا الصراخ وعملت الصفاح وقامت الافرنج بلا عقول وعمل فيهم الصارم المصقول وقطعت الرقاب وفتكت السيوف والحراب وعمل الحسام القرضاب وجرت الدما مثل السحاب وحارت الالباب من المشايخ والشباب وكان المقدم على الكل دقيانوس الذى هرب عقبة والملك البطليموس ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى بقيت الرؤس بلا علاصم والابدان بلا جماجم والاكف بلا معاصم وزاد الامر وعظم الشأن وقل الصبر ولم يجدوا المشركين من ذلك الهول مفر ولم يبق لهم سبيل الى الهرب وشربوا شراب العطب ونصر الله المسلمين وزادهم عزا وتمكين وملكوا الخيام والاموال وكانت ليلة ما رأوا أبرك منها فى الليالى وأصبح عليهم الصباح وقد ملكوا ملكا عظيما مما لاعين رأت ولا أذن سمعت وفرح الملك الكندفرون بالظفر وحازوا أموال المشركين ورحلوا بعد اقامتهم إلى آخر النهار وتلك الليلة وساروا يجدون السير الليل والنهار وهم طالبين بلاد أفرنجه والقنطرة التى على النهر المعروف بنهر العلقم وهو مالح مفتن وليس لهم طريق الاعلى تلك القنطره فلما ان وصلوا الى هناك وقفوا وهم تعابا موتى وقد بقى بينهم وبين بلد افرنجه عشرة أيام وقد كمل لهم فى المسير اثنى عشر شهرا وأشرفوا على الارض القرعا ووادى القرد هنالك لاح لهم سواد عسكر قد طبق الفلا وملا المستوى وقد ضجت من كثرة أصواتهم البيدا (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك عقبة لعنه الله لانه لما مضى مع الملك البطليموس أقام يجهز العساكر ويجمع الدساكر عاما كاملا وقال فى نفسه ما علينا عجله لان القوم ما يعبرون الا علينا فقال الامير عبد الوهاب ما عندك من الراى يا أبو محمد فقال انا اعلم ان هذا كله من تدبير عقبة لأنه قصد الى بلاد افرنجه وقد أقام فيها النفير والعالم فيها كثير وعقبة فيهم لا محالة وقد عولت على أمر وهو أن أمضى إلى افرنجه واسأل عن اخبار عقبه فان وقعت عينى عليه فوالله ما اخليه حتى اقتله قبل ان يعود الى بلاد الاسلام ثم انه قلع اللحية

والشوارب وفك الاستار من عينيه وغسل أثر النفط من وجهه فصار على صورته التى خلقه الله عليها فنظر الملك الكندفرون إلى أبو محمد وقد صار فى صفة أخرى وقال لا إله إلا الله بقى على وجهك نضافة أخرى يا أبو محمد فضحك الأمير من قوله ثم أن أبو محمد خرج من الزى الأول ودخل فى زى آخر حتى يخفى على عقبة أمره وودع الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب والملك الكندفرون بعد ما قال لهم كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم بخبر هذا العسكر الذى بين أيديكم ثم تركهم وسار ومعه من غلمانه لؤلؤ وسبك ويانس وجوهر (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عقبة والملك البطليموس فانهم ساروا ليلا ونهارا فى موضع لا يهتدى إليه أحد حتى وصلوا إلى أفرنجة وكان وصولهم إليها قبل وصول الأمير عبد الوهاب بعشرة أيام وأنهم لما وصلوا إليها دخلوا على الملك الأكبر ساقسطاس بن القلنفدر فلما رأى الملك البطليموس وثب له قائما وقد أنكر أمره وقال له أخبرنى عن حالك وما الذى أخرجك من بلادك فاندفع الملك البطليموس بالبكاء وحثا التراب على رأسه وهو يقول وبماه وبماه وأقلة رجالاه ثم أنه حدث الملك بكلما جرى له إلى آخره وكيف أسلم الملك الكندفرون واستنجد على عسكرى بالمسلمين فصلب الملك على وجهه وقال من أين فى تلك الأرض مسلمين فقال ما أدرى ولكن هذا الشيخ يحدثك بالأمور فقال الملك ساقسطاس ومن هو هذا الشيخ فقال البطليموس هذا عالم النصرانية وحجة السيد المسيح على الملة الحنيفية والناصح للملة المسيحية فقال الملك ساقسطاس ما أعرف من هو بهذه الصفة الا أن يكون الشيخ النجيح عقبة الذى فى بلاد الاسلام فلما سمع عقبة ذلك الكلام وثب قائما على قدميه وجعل يبكى ويلطم ويقول أنا الشيخ الذى وصفت والرجل الذى به تكلمت إلا أنى قد تغيرت لأننى قد لاقيت شدائد وأهوال وضربت ضربا لو وقع على الجبال هدها ولكن كان فى أجلى تأخير لما يريده المسيح من عمرى ثم ابتدأ يحدث الملك بحديثه من أوله إلى آخره فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا عظيما بعد أن وثب إليه وجعل يقبل رأسه وعينيه لأنه عندهم بمنزلة البترك الكبير فقال له الملك اعذرنى فانى لم أقم بواجبك عند دخولك إلى ولقد نظر المسيح إلى إذ دخلت إلى بلادى ودياري وأمصارى ولقد كانوا أهل هذه الديار إذا سمعوا بذكرك وفعالك الغريبة وتذاكيرك العجيبة يسألون المسيح أن يوريهم وجهك القبيح ولقد فرجت عنا كربه بهذا الخبر لأن رسول الملك متويل ملك بلد القسطنطينية ذهب من عندى من شهرين وما أتى إلا يسأل عن هؤلاء المأسورين وقال أنهم أمراء المسلمين جميعهم وشجعانهم وأبطالهم وذكروا أن فيهم عبد الوهاب وأنهم فقدوا من سنتين

ونصف وقد شاع ذلك فى جميع الآفاق ولم يطلع لهم خبر (قال الراوى) وكان الملك منويل قد حلف على الانجيل أنه يطلب الأمير عبدالوهاب وأمراء بنى كلاب ويخلصهم وأن الرشيد أرسل إليه يطالبه بذلك ولح عليه وقال له لا تحوجنى أن أدخل إلى بلاد الروم بعساكر خراسان وأنا الذى لا أقصر فى طلب صاحبى فلما سمع الملك منويل من الرشيد ذلك الكلام فزع وأرسل إلى تسعة عشر أقليم لكشف خبرهم فلم يسمع لهم خبر ومن مدة عشرة أيام أتى إلينا أسير كان فى المسلمين لأنه كان قد مضى للحج إلى القمامه فأخذ فى الطريق فسألته عن ديار المسلمين فقال أن الرشيد جلس فى بغداد لأجل العزاء للأمير عبدالوهاب وكذلك الأميرة علوى قد أوصلت الحزن الشديد لفقد الأمير عبدالوهاب وأن الرشيد أرسل إلى ملطية يطلب الأمير ضيغم والأمير إبراهيم بن الأميرة علوى فلما وصلا إليه خلع عليهما وقال لهما أنتما مكانكما عندى ومنزلتكما بمنزلة أبيكما ومنزلة جدتكما الاميرة ذات الهمة وأن بغيبتهم لا نعمر الأوطان ولم يحسن الكف إلا البنان والانسان باللسان والورق بالاغصان ولقد كانوا نجومنا الزاهرة وحججى الباهرة عن الشريعة الطاهرة وأسكن الامير إبراهيم مع الامير عمرو بن عبيدالله وخلع عليهم الخلع السنيه وبعد ذلك أرسل الرشيد يطلب الملكة نورى من الاميرة علوى ويقول إن كان الامير عبد الوهاب قد عدم فوالله ما بقى فى دولتى ثانيا إلا أن يكون ولده سيف الحنيفية وقد أخذه معه ولو علمت أنه فى قيد الحياة جمعت العساكر وسرت إليه وبذلت روحى فى طلبه ومهجتى وأموالى بسببه وقد عدم أيضا فى هذا الاوان صاحب الافعال الحسان التى تعجز عنها الانس والجان وهو الامير أبو محمد البطال وبالله أقسم لقد ساءنى ذلك ولو كان مات واحد من أولادى لما أصابنى مثل ما أصابنى على الامير عبدالوهاب والامير أبو محمد البطال والاميرة ذات الهمة والامير سيف الحنيفية وجميع من معهم من الاصحاب ولقد يهون على أن أبذل نصف ما أملكه لمن يعرف خبرهم وبعد ذلك فانى أريد الملكة نورى قرة العين إذ لم يبق لها طالب ولا يصلح لها غيرى (قال الراوى) وأن الرسول لما وصل إلى الامير عمرو بن عبيدالله يطلب منه نورى فأرسل إلى الاميرة علوى يطلب منها نورى وأرسل إلى الامير إبراهيم وقال له مثل ذلك فدخل إبراهيم يشاور أمه فى ذلك فقالت له يا بنى قل للرسول أن والدى قبل أن يخرج من ملطية أرسل نورى إلى حصن الكوكب إلى عند الامير نافع من خوفه عليها من أبو محمد ولا سبيل لنا إليها فأرسلوا إليه عن لسان أمير المؤمنين فلا يقدر يخالف قوله ولا أمره فأتى إبراهيم إلى عند الامير عمرو وأخبره بذلك فأرسل عمرو إلى عند الامير نافع جماعة من عنده وكانت الاميرة علوى أرسلت إلى نافع فى السر تقول له قل لهم أنا

ما أيست من الامير ولا أسلمها إلا بعد ثلاثة سنين والآن فما أتانا أحد أخبر أنه قتل وإن طالت المدة وأيست منه سلمتها إلى الرشيد (قال الراوى) ووصل الرسول إلى الامير عمرو بتلك الرسالة يطلب نورى ورد الرسول وعلمته الاميرة علوى فعاد أخبر الامير عمرو بما قاله نافع فعند ذلك أرسل الامير عمرو إلى الخليفة يعلمه بذلك فعظم عليه وكبر لديه وقال لا بد ما أسير إليه عساكر وآخذها منه غصبا هذا جرى ههنا ٭ وأما علوى فانها كانت تدارى الملكة نورى ونزلت بها فى سرداب فى دارها وأنزلت إليها جميع ما تحتاج إليه من مأكول ومشروب وبعد ذلك نزلت إليها وقالت لها قد أخذك الرشيد وما أعاقه عن طلبك إلا الخوارج التى خرجت إليه من بلاد خراسان وما يقدر يأتى إلى هذه الارض حتى تتمهد البلاد وينصلح الفساد ثم أن الاميرة علوى أنفذت إلى بيعة النصارى وأحضرت لها الانجيل وأنزلته إلى نورى وكانت تقرأ فيه وطالت عليها الوحدة وعولت على الرهبانية وآلت على نفسها إن لم يأخذها الرشيد لم تريد غيره وطمعتها الاميرة علوى بتدبير ذلك وأقامت على الطمع وبقيت الاميرة تندب الأمير عبد الوهاب وقد استوحش الثغر منه وتباكوا الناس عليه وكان الامير ضيغم فى آمد مقيم عند ميمون الجماس والاربعة عشر ألف أسود وسودان قرافد والمسلمين وبنى كلاب فى الثغور مع الامير إبراهيم فهذا ما كان من هؤلاء (ويرجع حديثنا إلى عقبة الملعون) فانه لما سمع ذلك قال أيها الملك دعنا من هذا وإن أردت أن يكون لك عند المسيح منزلة عالية فجهز العساكر والمواكب ولاقى هذا المرتد عن دينه الكندفرون فلعلك تظفر به وبعبد الوهاب الذى ما ظفرت الملوك به وماتت بحسرته ولكن لى عليك شرط أنك إذا ظفرت به لا تسلمه إلا إلى لأعذبه العذاب الشديد فقال ملك افرنجه وحق المسيح إنى ما علمت أنك فى هذه النوبة تأتى إلى ديارى وإنما حكم المسيح باجتماعنا فى هذه الديار بغير ميعاد إن ظفرت بهم لا أبقيت عليهم ساعة واحدة فلما سمع عقبة ذلك من الملك فرح وشكره على قوله وقال له الآن علمت أنك عبد المسيح خالص لا شك فيك ولا ريب ولا توارى مثل الملك منويل (قال) وأخذ القوم جميعا وأخذ جميع ما يحتاجون إليه وجمع ملك افرنجه الفرسان من سائر أقاليمه حتى اجتمع عنده ثلثمائة ألف فارس ورحل عن المدينة مدة أيام إلى أن وصل إلى ذلك الموضع فى ذلك العالم العظيم هذا وقد أشرف عليهم عسكر الامير عبد الوهاب فى ألف مدرع وسار الامير أبو محمد من عندهم يطلب عساكر افرنجه ليأخذ أخبارهم ولم يزل سائر حتى قرب منهم فأشرف على عسكر عظيم مثل البحر العجاج المتلاطم بالامواج فأقبل على غلمانه وقال لهم والله إن هذا عسكر عظيم يريدون على ثلثمائة ألف فارس ويتبعها مثلها وأما الامير عبد الوهاب ومن معه ما لهم طاقة بهذا العسكر العظيم الذى

كانه الليل البهيم وأن الرجل لا يقدر يلقاغير عشر رجال أومائة أو ألف وهذا عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصا وإن لم نعمل على الملك الذى بهذا العسكر حيلة نأخذه بها حتى تشوش هذا العسكر وإلا نبقى نحن وأصحابنا هالكين لا محالة ولا سبيل لنا إلى ديارنا فلما سمعوا غلمانه هذا الكلام قال له لؤلؤ يامولانا ادخل بنا ونتوكل على الله عز وجل فان المعونة من عنده وأن السعيد لا يبالى بأهل الدنيا ثم انهم دخلوا إلى العسكر وأخفوا أنفسهم فيه إلى أن أمسا المساء وأظلمت الأقطار وذهب ضوء النهار فعندها قام الأمير أبو محمد إلى المضرب الذى فيه الملك الأكبر وكان هذا الملك له من العمر مائة وعشرين سنة وهو مع ذلك كانه شيطان مريد ما تغير عليه شيء من القوة والحيل ولم يكن قط خرج إلى بلاد الإسلام غازيا إلا أولاده وكان مع ذلك لا يفكر بالرجال وان الأمير أبو محمد وغلمانه ساروا إلى باب المضرب فوجدوا البطارقة قيام فى خدمته وله هيبة أعظم من متويل والبطليموس إلى جانبه وعقبة بين يديه على كرسى من ذهب وهو يحدثه بما جرى له مع المسلمين وأبطال الموحدين ويخبره بشجاعة الأمير عبد الوهاب وحيل أبو محمد البطال وشجاعة الأميرة ذات الهمة والأمير سيف الحنيفية ومن قتلوا من الروم والملك البطليموس وملك أفرنجة وجميع الافرنج يضحكون من كلام عقبة والملك مقطاس يقول وحق المسيح ما لقيتهم ابطال ولا رجال وإلا كان غلبتهم قد بطلت وذهبت فقال الملك البطليموس يامولاى وحق المسيح ما هذا الكلام الذى وصفه الشيخ النجيح فى حق هؤلاء القوم إلا صحيح ولقد دخلت إلى الجزيرة الحمراء وانتخبت منها أبطال ورجال وكل واحد منهم يريد لرأسه جماعة وسيرت أنا فى ثلثمائة قطعة من المراكب إلى الكندفرون الذى قد لعبوا بعقله المسلمين حتى صار منهم وقاتل معهم ولقد خرج علينا منهم تسع رجال فى مركب واحد وفيهم الأسود الذى وصفه الشيخ النجيح فكسرونا وقتلوا الرجال وأبادوا الأبطال وكان الرجل منهم يرمى روحه إلى المائة والمائتين والألف والألفين فقال الملك معلوم انى سأمضى إلى هؤلاء القوم وأوريكم كيف إنى أبرز إلى العشرة وحدى وأقلع أحداقهم وأضرب أعناقهم فلا يعاونى عليهم معاون إلا المسيح فقال البطليموس هذا رجل كبير قد هضمته الطبيعة وما يدرى أن الأمر عظيم والخطب جسيم وأنا أعلم أن المسيح فى نلبه من هذا الاسود الزنيم عبد الوهاب وأمه ذات الهمة رأس كل بلية وما زالوا على ذلك الحال إلى اطلبت العين حظها المنام فانصرف كل منهم إلى موضعه وذهب الملك الأكبر إلى مضربه وصعد على سريره وتجرد للمنام وأبو محمد البطال تابعا له وهو فى زى الغلمان وصبر إلى أن غرق الملك فى النوم وقاما وتخطا إليه قليلا فبينما هو كذلك وإذا بالملك قبض على أبى محمد البطال ورفعه على زنده فبقى فى يده كالعصفور فى يده الباشق وهم عليه كاد أن يهشم أضلاعه

وصاح الامير أبو محمد من تحت أيده وصاح الامير أيضا فتواثبوا الغلمان كأنهم السباع وأوقدت الشموع ووقع الصياح من كل جانب فقال لهم الملك ياويلكم هذا أراد أن يسرقني فهل فيكم من يعرفه فقالوا لا وحق المسيح ما فينا من يعرفه فهم فى الكلام إذ دخل عليهم عقبة لعنه الله فأعادوا عليه القصة فلما سمع هذا الكلام ووعا الحديث مد عينيه فرأى الأمير أبو محمد البطال فعرفه فصاح صيحة كادت مرارته تنفطر فرحا وصفق بيديه وضحك حتى غشى عليه هذا والملك والحاضرون يتفرجوا عليه وينظرون فلما نظروا إلى ذلك وهدى عقبة مما كان فيه أقبل على الملك وقال له أيها الملك هذا مخرب الدور هذا الموصوف هذا المصور فى البيع والقصور هذا أبو الدواهى والامور هذا أبو الحيل الواصلة والخدائع القاتلة والتدابير المهلكة والعجائب المضحكة والافعال العظام والاعمال الجسام هذا القرنان الذى لا ينام هذا سارق الملوك من على أسرتها وقاتل البطارقه على غرتها صاحب الدواهى التى لا توصف والوجوه التى لا تعرف هذا الذى يتسلق مثل العنكبوت مخرب الأطلال والبيوت هذا مثل الريح الهبوب هذا هو البلاء الصبوب هذا عدوه كل يوم مغلوب وبالأسياط مضروب هذا الذى يطلب قتلى أيها الملك إن أردت أن تشفى غليلى أقتله قدام عينى وأريد فى هذه الليلة أن تقضى حاجتى وإن أردت مخالفتى قطعت زنار نصرانيتى ورحلت إليك من القسطنطينية مائة ألف دينار فقال الملك ويلك لقد أزعجت القلوب بصفة هذا الكلب المكلوب وهو أقل وأحقر وسوف أبلغك مناك وأعطيك هواك فمن هو هذا لا كان فما هذه الصفة إلا صفة شيطان فقال عقبة لعنه الله هذا الشيطان المارد هذا الذى يفجع الولد فى الوالد هذا مقدم الأبالس هذا خائض الليل الدامس هذا أوحد العصر وزوبعة الزمان هذا مخرب البلدان فعندها قال الملك ويلك لقد فزعتنى منه أيها الشيخ الصالح وحق المسيح لو كنت منك وأعلمتنى بهذه الصفة من أقبل ان أقبض عليه لما أبقيته ساعة واحدة فقال أيها الملك إن فى قلبى منه حزازات هذا القرنان المحتال هذا أبو الأهوال هذا أبو محمد البطال وكان عنده منه خبر ولهم فى بلادهم صورة فى سائر البيع من خوفهم من حيلته وعيارته فلما رآه الملك صلب على وجهه وقال وحق المسيح لقد كان قلبى منه جريح وفؤادى قريح وكان يأخذنى عند ذكره الفزع مما أسمع عنه على طول الأيام وتواتر الشهور والأعوام والآن لابد لى أن أقتله أشر قتلة وأمثله بأقبح مثلة فقال عقبة أيها الملك أعطاك المسيح مرادك وظفرك بهذا الشيطان وأنا أرجو من المسيح أن يمكنك من الأسود العسوب وليث الحروب مقدم بنى كلاب الشيطان عبد الوهاب وولده سيف الحنيفية وأبو الهزاهز راس البلية وقراقد وذات الهمة التى قد أهلكت أبطال الروم والافرنجيه وطارق الحجازى وسعد بن الفرج

وبرد بن الازهر والامير قشعم وان وصفت لك فان العدد كثير وان ملكك المسيح منهم فلا يقوم الاسلام قائمة ويحل بهم الداهية فلما سمع الملك كلام عقبة قال وحق المسيح والشماس والرهبان والبترك والمطران إن كان وصفك لهذا الأسود بهذه الصفة ما أقتل هذا العيار حتى أبرز إلى هذا الاسود والذى معه فاذا أنا ظفرت بهم ضربت رقاب الجميع ثم ان الملك امر ان يطرح فى رجليه قيدين ففعلوا به ذلك ووكل به جماعة من الرجال فقال عقبة لعنه الله لقد كنت فى غنى عن وصف هذا الاسود وإن جرى لسانى كان سببا لسلامة أبو محمد البطال حتى لا يقتل فى الحال ولا بد للملك ما يطاول الامر بهذا الميشوم حتى يبرز إلى عبد الوهاب فى موقف الحرب والطعان ويأخذه أسير ويغدر به هذا الشيطان ومالى إن أقتله فى بعض الليالى ثم أقبل على الملك وقال له يامولاى أرسل خلف البطليموس حتى يحضر ويرى الامير فى السلاسل والاغلال فانى كنت أصف له عجائبه وأفعاله وغرائبه فعند ذلك أرسل الملك البطليموس فوجد الدنيا منه بلقع ولا له خبر يسمع فرجعوا إلى الملك أخبروه أنه قد عدم فقال عقبة ماسرقه وحق المسيح إلا أبو محمد البطال العيار قبل ان يدخل عليك وماقصد مكان البطليموس إلا فى طلبى وانه لما فقدنى سرق الملك البطليموس وسار به فلما سمع الملك ذلك من اللعين عقبة أقبل على أبو محمد وقال له بحق دينك هل عندك من الملك البطليموس خبر فقال الأمير أبو محمد قد طرحته مع واحد من غلمانى فأرسل اثنين او ثلاثة يأتوك به وما ينطق ابو محمد بهذا الكلام إلا من فزعه من القتل فقال ايها الشيخ النجيح قم وخذ معك من غلمانى ما اردت فقال يامولاى ارسل من اردت غيرى فانى ما احسن اسير فى الليل والقصد منك أن ترسل فى هذا الامر غيرى فأنا اعلم ان هذا الملعون له حيلة لاتهتدى الجن اليها وإن انا خرجت لاآمن ان يكون له كمين لانه ماأتى من بلاد الإسلام الا فى جماعة من غلمانه ولو اخذنى الليلة ما كنت لقيت خير لأنهم ما كانوا يبقوا على ويضربونى الضرب الوجيع ومابقى لى حيل يقوى على الضرب (قال الراوى) فضحك الملك على قوله وقال ايها الشيخ النجيح لقد وقع فى قلبك من هؤلاء امر عظيم انه ارسل واحد مقدم مع جماعة من اصحابه فى طلب البطليموس وكان الأمير ابو محمد قد قال لهم ذلك على سبيل الحيلة على عقبة لعل بعض غلمانه يلقاه فيضربه للضرب الوجيع ويكون سببا لخلاصه فمضوا الغلمان يخبروا انهم ماوجدوا هناك احد فعظم ذلك على الملك وقال لأبو محمد وحق المسيح لئن لم يأتينى الملك البطليموس فى هذه الليله لأقطعنك قطعا وابضعنك بضعا واصلبنك فى هذه فبقى حائر لا يدرى مايجيب عن نفسه وكان من الأمر المقدر ان غلمان الأمير ابو محمد لما اخذوا الملك قعدوا متباعدين عن العسكر ينظرون الأمير فأبطأ عليهم خبره فقال لهم لو اق

كونوا فى أماكنكم حتى أعود إليكم ثم انه دخل العسكر يسمع الخبر وتوصل إلى خيمة الملك فنظر إلى سيده وهو فى أسوأ حال وعقبة يشتمه ويسبه ويبزق فى وجهه فسمع كلام الملك وكيف أقسم ان لم يرجع البطليموس والا قتل أبو محمد فلما سمع لؤلؤ ذلك فزع ورجع إلى أصحابه وأعلمهم ان أبا محمد قد أسر فعظم ذلك عليهم وقالوا فى مثل هذا الوقت يؤخذ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فكيف تصنع فقال لؤلؤ انى عولت ان أطلق البطليموس وقال له بالافرنجية سير إلى الملك الاكبر ونحن فما كان قصدنا إلا أخذ الرجلين أما ملك أفرنجية أو عقبة الذى تسمونه الشيخ النجيح وأما أنت فما نعرفك ولا بيننا وبينك مطالبة فان أطلقت لنا صاحبنا فكان خيرا وان أسأت إليه أو أمكنت أحدا من ضربه فوحق ديننا ماينالك منا خير وان فعلت معه غير ذلك نأخذ ولو كنت تحت أطباق الثرى وندعك عبرة لمن يرى (قال) فلما سمع البطليموس كلامهم قال لهم وحق المسيح لابد ما أطلبه من الملك وان طلب أحدا منهم أن يضربه فما أمكنه من ذلك ولا يصل إليه أذية وان وهبه لى الملك أنا أطلقه لوقته وساعته وأمن عليه بمهجته لانكم قد صنعتم معى الليلة جميل كبير (قال الراوى) وماصدق البطليموس ان يخلص من غلمان البطال فدخل العسكر وهو عادم العقل كانه المجنون إلى أن وصل إلى خيمة الملك الاكبر ودخل عليه فلما نظر إلى الملك البطليموس وثب له قائما وهناه بالسلامة وسأله عن حاله فصلب على وجهه فقال الملك الاكبر لقد سلمت أنا الليلة أن أقال وأقبر لانى قد وقعت فى مخاليب عدة نفر وما صدقت الاوانى سالم وقد حصلت عندك لان القوم أخذونى وقد أطلقونى من غير ان أسألهم فى ذلك فقال الملك وحق المسيح ما كان لهم عندى من يسمع كلامى الا أبو محمد البطال ان لم يأتى الملك البطليموس وإلا قتلتك والآن احفظوا نفوسكم من هؤلاء القوم فانهم حولكم وأما عقبة فانه لما سمع ذلك وصح عنده طار عقله وخفق قلبه خوفا وفزعا وقال أيها الملك وحق المسيح ما مطلوب إلا أنا وما بقيت أنا اخرج من عندك فقال له طب نفسا وقر عينا فانك لو طلبوك أهل الارض لما قدروا عليك وأنت عندى فقال الآن طاب قلبى (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح عول الملك على الرحيل وأمر الناس بالركوب فارتجت الارض فى الطول والعرض من كثرة الخلائق وان الامير عبد الوهاب ينتظر قدوم الأمير أبو محمد فهو كذلك اذ اقبل عليه جوهر فقال له ماوراءك ياجوهر فقال يامولاى أمر عظيم وخطب جسيم أخبرك ان الامير أبو محمد أسير وأخاف من الملعون واما هذا العسكر فانه ثلثمائة ألف فارس ويتبعهم مثلهم فلما سمع الامير ذلك عظم عليه وكبر لديه وأمر الناس بالرحيل قال له جوهر ان كنت معول على قتال القوم فاكن لهم

خلف هذه الروابى فكأنك بعساكر الروم قد أقبلت وجيش الملك الأكبر قد وصلت فلما سمع الأمير ذلك قال نعم ما رأيت يا جوهر ثم أنه قسم ألف فارس فى ثلاث مواضع (قال الراوى) يا سادة يا كرام وما كانت إلا ساعة حتى وصلت الكتائب والخيول والجنائب وامتلأت الدنيا بالعساكر هنالك خرج عليهم الأمير من ثلاث مكامن ونادى الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر قال وخرجت الكمناء وارتفع الصياح وجردت الصفاح ونظرت المشركين وهم فى ثلثمائة ألف فارس إلى عسكر الأمير عبدالوهاب وهو فى ألف فارس فطمعوا المشركين فى المؤمنين رحملوا عليهم وعمل الحسام وفلق الهام قال ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن انسدل الظلام وانفضوا بعضهم من بعض ونزلوا فى تلك الأرض وقد قاتل الأمير والأميرة وسيف الحنيفية فى ذلك اليوم قتالا عظيم وكذلك باقى بنى كلاب ولم يبق منهم أحد إلا وبذل فى القتال جهده وأظهر ما عنده وقتل من المشركين ثلاثة آلاف وأربعمائة وعشرين ونزل الأمير عبدالوهاب ومن معه من الأصحاب وتفرقت من حوله الرجال والأبطال من كل جانب ومكان ووقع كل واحد مثل العقيق من كثرة التعب والنكول وما لقوا فى يومهم من معترك القتال فقال الأمير عبدالوهاب لأصحابه من يتولى منكم فى هذه الليلة الحراس فانى لا آمن عليكم منهم وما يحرسهم إلا عقبة لعنه الله (قال الراوى) فوثب الملك الكندفرون وقال أيها الأمير أنا أدور الليلة أنا وعشرة من أصحابى لأنى قد سهرت زمانا طويلا فى غير طاعة الله عز وجل وكنت كافرا بربى والآن فان الله تعالى قد هدانى للإسلام وقد نافقت على من كفر من سائر الأنام وأريد أن أسهر الليلة فى طاعة رب العباد ومحى العظام قال فتعجب الأمير من قوله وقال سبحان الله العظيم الفتاح الذى لا يخيب من دعاه ولا يبعد من رجاه ولا يضل من هداه وباتوا الناس تلك الليلة على ما هم عليه من القلق والحرق لأن عدوهم غير قليل وهو كثير والجمع من حولهم غزير إلى أن برق ضياء الفجر وجردت الصفاح ولعبت الخيل فى البطاح واشتاقت إلى الحرب الأرواح وأن الأمير عبدالوهاب عبى أصحابه ميمنه وميسره وقلب وجناحين لجعل فى الميمنه الأميرة ذات الهمة وفى الميسرة سيف الحنيفية وفى القلب أبو الهزاهز وفى الجناح الأيمن قشعم وفى الجناح الأيسر قراقد وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهز فلما نظر الملك الأكبر بن القلمندر ونظر إلى الأمير عبد الوهاب أعجبه ذلك من صنعته وصلب على وجهه وقال هذا الرجل فى هذه العصابة اليسيرة يريد أن يلقى روحه إلى هذا العسكر العظيم أن هذا لغاية الجهل ونقص فى العقل وأنه أمر أن تصف العساكر ست صفوف كل صف خمسين ألف فارس ثم أنه عباهم ميمنه

وميسره وقلب وجناحين ثم انه ركب جواد من الخيل شديد القوى والحيل بازل صحيح كامل جامع الاصاف صحيح الانعطاف سليم الاطراف قوى العصب ذيال الذنب كريم النسب من أجود خيل العرب مليح الصورة حسن الخطوه مدور الكفل قليل العيب والزال كما فيه الشاعر حيث قال

وأدهم يستمد الليل منه وتطلع بين عينيه الثريا
إذا لاح الصباح تراه ليل وتطوى دونه الافلاك طيا

(قال الراوى) وعليه سرج من العزعر فوقه سجاف ذهب أحمر وهو مرصع بالدر والجوهر والملك من فوقه كانه عامود بولاد على الارض مسمر وعليه درع داودى ومن فوقه ثوب ديباج رومى ملكى والصليب على صدره ووجهه مغضب ومعه قنطارية خلنجية وسيف هندى ثم أقبل على القاضى عقبة والبطليموس وسائر وجوه دولته وقال لهم لقد عولت على اننى أبارزهم فى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب وحق المسيح ماأقاتل الا التسعة فى مرة واحدة فقال له عقبة لا يامولاى لاتهمل أمرهم ولا تعز نفسك معهم والرأى عندى ان تأمر العساكر أن يحملوا عليهم فقال الملك وحق المسيح لابد ما أبرز إليهم فى ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ونظر الأمير عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب من بنى كلاب وأشار بيده إليهم وقد صلب على وجهه ونادى برفيع من صوته يامعاشر المسلمين وأبطال الموحدين من عرفنى فقدا كتفى شرى ومن لم يعرفنى أنا اعرفه بنفسى أنا الملك الاكبر سقسطاس بن القلفندر وقد عولت على قتالكم بشرط أن لا يبقى منكم مسلم الاويخرج إلى وتحملون بحملتكم على فوحق المسيح لابدما أطعم لحومكم للنسور ويبقى حديثنا على ممر الدهور قال فلما سمع الاميرعبدالوهاب كلامه سال عنه جوهر غلام البطال فقال له ياءولاى هذاهو الملك الذى لهم وهو عندهم موصوف بالشجاعة والبراعة فعندها خرج الأمير عبد الوهاب وقال الحمد لله على ذلك فان أخذت الملك خلص الامير أبو محمد البطال وبلغنا كلما نريد ان شاء الله تعالى ثم إنه عزم على الخروج فقالت الأميره ذات الهمه يابنى أناله فقال أبو الهزاهز أناله فقال سيف الحنيفية أناله فقال قراقد أناله لان الملك الكندفرون وصف لى من شجاعته وقوته وشدته مالا يوصف قط بمثله وقد بلغنى أنه يضرب خصمه بالصخرة التى لا تشيلها عشر رجال فيقتله وان كان فى منشئى كان صفتى ان احمل الجمل وامشى به فى ساحة الحرب وموقف الطعن والضرب وكان لى صخرة كبيرة أقاتل بها وقد عولت على الخروج إلى هذا فان قاتلنى بالصخرة على وجه الارض فأنا اريكم العجب

فقال له الأمير عبد الوهاب إذا كان ولا بد لك من الخروج فعجل (قال الراوى) فلما ان أراد ان يخرج إليه الامير قراقد خرج إليه الكندفرون من غير مشاورة ولا محاورة وذلك من شدة شوقه الى الجهاد والقتال والطاعة فى مرضاة رب العباد راغب فى ثواب يوم الميعاد وكان قد خرج على جواد بياض الشعرة مليح الخطرة طويل الوقرة بين عينيه غرة كانها كوكب الزهرة يلحق الغزال بوثبته والارنب فى خطرته والنعام فى فى همزته تحير العقول من حسن خلقته ويفوت عند سباقه وخطوته ويروع القلوب بصهلته ويخسف الارض من شدته وعليه صدرية زرد مضاعفة العدد كانها عيون الجرد لا يعمل فيها الصارم المهند وهى أمان من الدروع اللامعة وللموت دافعة ومن فوقها ثوب ديباج رومى قسطنطونى وفى يده سيف صقيل (قال الراوى) وإنه حمل على الملك الأكبر مقسطاس بن القلمفدر وقوم القنطارية اليه وقال له بالافرنجية دونك يا ملعون والقتال فلما نظر اليه ملك أفرنجة صلب على وجهه وقال له ويلك لقد طردك المسيح كيف تركت دين الآباء والاجداد فقال الكندفرون ويلك يا ملعون علمت أن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولد رفع السماء بغير عمد ودحى الارض على ماء جمد وأرسى الجبال بغير سند وأحصى كل شىء عدد فالق الحب والنوى فعال لما يشاء دونك والقتال ودع عنك مقالة الجهال قال فلما سمع ملك إفرنجة ذلك الكلام غضب وحمل على الكندفرون وتطاعنا طعنا شديداً ما عليه من مزيد يشيب لهوله الطفل الوليد وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار واعتمدوا على ضرب البتار (قال الراوى) ثم إنه حمل عليه وضايقه ولاصقه وضرب الكندفرون ضربة واصلة قطع بها الطارقة ثم انه مسك بجلباب درعه بشدة حيله اقتلعه من سرجه وحمله الى قومه فأخذوه منه وجعلوا الافرنج يضربون وجهه ويبصقون عليه وعقبة يقول له يا غدار لقد طردك المسيح عن بابه وعدل بك عن ملته وشريعته وضربك بسيف همته (قال الراوى) هذا والامير عبد الوهاب عظم عليه وضرب بيد على يد وقال أقسم بالله لو أسر بعض أولادى لسهل على من أسر هذا الملك وانى أخاف عليه من الافرنج أن يقتلوه فقالت الاميرة ذات الهمة يا ولدى إن الله عز وجل قال فى كتابه العزيز أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة والآن انظروا من يخرج الى هذا الشيطان فعندها قال قراقد وحق من لا تراه العيون لا اخرج إليه أحدا غيرى ثم انه خرج وهو على جواد أشقر عالى مضمر وعليه درع اصفر قردر من ذهب احمر ومن فوقه ثوب ديباج أخضر وفى يده صارم ذكر فحمل عليه وهو يقول هذه الابيات

لقد طال شوقى نحو قرقود حسرة ... وشوقا ولكن ما إليه طريق
فدونك يا علج العلوج قراقد ... لتنظر منه ضيغم وشدوق
سأضرب هامات لكم بمهند ... صقيل يقد الهام وهو رقيق
وانصر دين الهاشمى محمد ... نبى الهدى المختار وهو حقيق

(قال الراوى) فلما نظر الملك إلى قراقد وقد خرج اليه رجع الى عسكره وقال على بالشيخ النجيح فلما حضر قال له ابيك هاأنا بين يديك فقال له هذا الفارس الذى قد خرج الى هل هو أمير المسلمين الذى أخرب ديار الملك منويل فقال لا يا مولاى هذا فارس لا يطاق علقم مر المذاق يقال له قراقد المصرى وأما الامير عبد الوهاب فانه ما يخرج اليك هذا الوقت ولكن ابدأ أنت بهذا الفارس الذى بين يديك (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال وحق المسيح ماأبرز لهذا إلا إن كان معروف فى الناس بالشدة والباس ثم انه أقبل على قومه وقال من يخرج إلى هذا الفارس فما فما استتم كلامه حتى خرج اليه فارس من الافرنج طويل رجلاه تخط فى الارض وهو راكب على جواد أبرش قليل الدهش صبور على الجوع والعطش واسع المناخر مليح النواظر يسبق بجريانه الطير وهو كما قال فيه

وأبرش لونه لون نجيب ... كأن بياضه لون الثريا
يفوق الطرف حيث يطوى ... وتطوى دونه الأفلاك طيا

(قال الراوى) وعليه ثوب ديباج من فرقه درع ليس له نظير وفى وسطه زنار ابريسم برهانه ذهب وفى يده صارم وقد سقى بالغضب كانه شعلة لهب لو مشيت عليه نمله لخفيت أو وقع على عامود قسمه ورماه قطعتين وكان اسم هذا الفارس غطرغيس ابن جرجيس وكان فارس لا يطاق علقم مر المذاق ثم انه حمل على الامير قراقد وحمل قراقد عليه وتقاربا وتضاربا وتعاركا وتشابكا وتلاحما وتلاصقا واصطدما وافترقا حتى تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق واختلف بينهما ضربتان كان السابق الامير قراقد فوقعت الضربة على رأس البطريق كانها حجر المنجنيق فنزلت على مفرقه حتى سحبت إلى سرته فخرجت أمعاءه وعلائقه فوقع الملعون وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وكبر الامير قراقد وجال وصال وترنم بهذا الشعر وقال :

تزود منى ضربة فتركته ... بها هاويا مابين قفر وفرقد
فذاك لأجل الهاشمى محمد ... ونصر لدين الهاشمى محمد
فمن كان يرجوااليوم حربى فانه ... سيلقى حمام من همام موحد

(قال الراوى) ثم سأل البراز وطلب الانجاز فبرز إليه فارس غائص فى حلق الحديد بسيف هندى ودرع داودى وبيضة عادية وجواد عربى وقوس تركى وقنطارية خلنجية بسنان أفرنجى وحمل على الامير قراقد وطعنه طعنة واصلة حتى إذا وصلت إلى قراقد لاقاها بترسه وقبض عليها من تحت السنان وهمز عليه طير السنان بثلاثة أكعب من القنطارية ثم أن قراقد زاوغه ساعة وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره ونفضه على الارض ألقاه عليها جديلا ثم أنه صال على شكره وجال وأنشد وقال

إذا ما نصرنا ديننا بصوارم　　لها فى رقاب الكافرين طنين
بلغنا المنا لما سقينا سيوفنا　　نجيع من الاعداء وهو مهين
وقد علم الرحمن أنى موله　　على ولدى قرقود وهو حزين
وقد كنت أبكى والتفرق ساعة　　فكيف وقد صار الفراق سنين
فدونكو حربى ستلقوا صميدعا　　يجول عليكم والإله معين

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره برز إليه فارس طويل القامة مدور الهامة كأنه برج من الابراج وطلب البراز فبرزت إليه ذات الهمة وجادلته وانعقد عليهما الغبار وغابا عن الابصار وعظم النقع واشتد الوقع وحمى الوطيس وسكرت الرجال من الحرب مثل سكر الخمر وضاق الامر وعظم الكرب فبينما هم كذلك إذ خرج حصان غائر فلم يعرفوا الناس ذلك الحصان ولا من هو صاحبه فى الميدان فتطاولت الاعناق من الفريقين وشخصت الاحداق من الطائفتين وكل منهم يقول النصر لأصحابنا والظفر لأحبابنا فبينما الناس على ذلك وإذا بفارس قد خرج من تحت الغبار ومعه فارس أسير وهو فى يده مثل الطفل الصغير وهو يقوده ذليل حقير وإذا بالفارس الأميرة ذات الهمة وقد أسرت خصمها فلما رآها عقبة وعرفها صلب على وجهه وقال والله هذه مخزبة الديور وإذا بالصراخ قد علا والصياح قد نما وقد خرج جواد آخر ثانى يقوده آخر وإذا به الأمير قراقد رابط خصمه على جواده وهو ينشد ويقول

أنا الذى تعرفنى القبائل　　بأننى يوم الوغى مناصل
لأرهب الجوع والحجائل　　والله ربى ما له مشاكل

(قال الراوى) ثم خرج من بعده برد ابن الازهر وخصمه معه أسير وخرج من بعده أبو الهزاهز وخصمه معه عاجز وخرج بعده سيف الحنيفية وما معه غير جواد خصمه وإذا به قد ضربه على عاتقه أطلع السيف يلمع من علائقه (قال الراوى) وارتفع الصياح من المسلمين وكبروا أبطال الموحدين ولقد حدثنى راوى هذه السيرة فى يوم الجمعة الثالث من شهر جمادى الآخر سنة مائة وتسعين أنه قال لى لقد

رأيت الفارسين وهما عبد الوهاب وملك افرنجه لما برز كل واحد منهما إلى صاحبه وتلاقيا وتضاربا بالرماح ونادى كل واحد منهما إلى صاحبه لا براح ولم يبق فى أيديهما ما يتضاربون به فتتابعا على الخيل وتعاركا عليهما حتى وقعت الجوادين من تحتهما من شدة عراكهما ونزلا إلى الأرض وهما متقابضان ولم يزل الملعون يعارك الأمير عبد الوهاب حتى قرب من الحجارة فنفض الأمير من يده وقصد بيده الحجارة وكان الأمير قد سمع بحديث الحجارة فوثب إلى حجر آخر ثقل الحجر الذى شاله عدو الله مرتين وتقاتلا الاثنين بالحجرين وتصايحا الرجلين وزحف الشجاعين ورفع كل منهما ساعده بقوة ذراعه وقد ارتفع الصياح من الفريقين والصراخ من الاثنين ورجفت أفئدة الاثنين بين العسكرين وأيقنت المسلمين والمشركين أن الاثنين هالكين وتراموا بالحجرين فكان أول من رما بالحجر الأمير عبد الوهاب ورما الملك بالحجر الثانى فى الهوى فسمعوا الهادوى عظيم مثل الرعد القاصف أو الريح العاصف فغلبت قوة ساعد الأمير عبد الوهاب على قوة ساعد الملعون وأن الحجر بتاع الأمير عبد الوهاب خرج فى الاول فكان مثل حجر المنجنيق فردحجر الملعون بقوة الله تعالى فى صدره فكسر أضلاعه وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فكبر الامير عبد الوهاب وسائر الاصحاب ونظروا الافرنج إلى ملكهم وإلى ما حل به فعظم عليهم وكبر لديهم وصاحوا صوتا واحدا فارتجت الارض فى طولها والعرض لما حملوا من شدة الركض وحملوا أصحاب الملك فكبر الامير وكبرت الاميرة وحملت وكانوا المسلمين على يقظة فحملوا عليهم واختلط الجمعان وتصادم الجيشان وزحف العسكران وانتثرت الرؤس من على الابدان فى حومة الميدان وحامت عليهم العقبان وعملت الصوارم فى الابدان ووقفت الخيل عن الجولان ونفدت الاسنة فى صدور الشجعان وصاحت بالفراق نواعق الغربان وعاود جمعهم إلى خسران وزيادتهم إلى نقصان وهمت جيوش الاسلام إلى نصرة الملك العلام هذا وقد وقف الامير والاميرة والسبعة أمراء فى وجوه عساكر النصرانية بأسرهم ونثروا الكفار نثرا ورجعوهم قصرا وعاد ربحهم فى القتال خسرا وهربوا أهل الشرك قهرا واوردوهم عن المطالب وما منهم أمير إلا وقتل من الروم خمسة وعشرا ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل هذا وقد عظم الغبار وعمل الصارم البتار وجرى الدم مثل جرى الانهار (قال الراوى) وكان فى الافرنج فارس عظيم البأس صعب المراس يقال له الخناس وكان ابن عم الملك الاكبر ابن القلمندر وكان جبار من الجبابرة وكان يطاول الملك ويؤمل أن يكون له الملك فعندها وقف الخناس كأنه الاسد الغضبان فوقف العسكر لوقوفه وقاتل القتال الشديد وكان جبار عنيد وشيطان مريد وقد

فقتل فى ذلك اليوم من القوم الذين أسلموا من أصحاب الكندفرون عشرة وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة وعدو الله كانه الليث العابس وقد دارت عليه الرجال ذات اليمين وذات الشمال فهو كذلك اذ لقيه الامير سيف الحنيفية وتصادما وتقاربا وتباعدا وتضاربا بالسيفين حتى تثلمت وتطاعنا بالرمحين حتى تقصفت وتعاركا على جواديهما عرك الاديم واحتك الركاب بالركاب ولم يزالوا فى شدة الكر والفر والعراك حتى سقطا عن جواديهما الى الارض فبادر الامير سيف الحنيفية وبرك يده اليمنى فى منطقة اللعين وهزه من سرجه اقتلعه ورفعه حتى بان بياض أبطه وضرب به الارض فأدخل طوله فى العرض وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وهذا جزاء من كفر بالواحد القهار فلما نظرت عساكر الافريج الى المقدم عليهم والمشار فيهم وقد نزل به ما نزل اندقوا منهزمين ونصر الله المؤمنين الموحدين على الكافرين الملحدين ورجع الامير عبدالوهاب وجمع الاموال والرجال والخيل والاسلاب وقال لاصحابه سيروا بناعلى أعقابها فانا أعلم أنهم يسبقونا إلى مدينة افرنجية ويطلعون على الحصون ويسدون علينا الدروب ولا نقدر على العبور فقالوا هذا هو الصواب لان المشركين عالم عظيم (قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب جمع الاموال وعول على الارتحال فقالت له الاميرة ذات الهمة يا بنى اعلم ان ابو محمد كان سبب خلاصنا والا كنا هالكين ولم يقعدعنا فى هذه الديار البعيدة والمواضع الصعبة الشديدة ومعلوم انه قدوقع فى أسر هذا الملعون عقبة وما ندرى ما يكون منه ونخاف من عقبة ان يعجل عليه القتل ويقتله فنكون كاننا ما عملنا شيء فقال الامير عبد الوهاب لعمرى لقد قلتى وبالحق نطقتى ونخاف أيضا على الملك الكندفزون فقالت الاميرة ذات الهمة اعلم يا بنى انى قد عولت على أمر فان كان صواب فامضيه فقال وما هو يا أماه فقالت أنا أريد آخذ غلمان أبو محمد البطال وهو جوهر ويانس وسبك وبديع وأبو الليل وأسير إلى أبو محمد لعل الله سبحانه وتعالى أن يسهل علينا خلاصه فهو القادر على كل شيء ان يجعل خلاصه على يدى فيكون ذلك الذى أفعله معه فى مقابلة فعله معى فقد قال القائل فواحدة بواحدة (قال الراوى) ثم ان الاميره لبست ثياب بعض الافريج الذين قتلوا وفعلت غلمان الامير كذلك وسارت وهم من حولها وقالت لعبد الوهاب كن أنت سائر على مهل لان معك نساء وأطفال ورجال واموال وعبيد وجوار وليس لهم نهضة (قال الراوى) وسار الامير عبدالوهاب بمن معه من الاصحاب على مهل وقد تقدمت الاميرة المجاهدة رضى الله عنها ومعها غلمان الامير أبو محمد وقد جدت فى سيرها فهذا جرى منها (وأما ما كان) من أمر العساكر الذى انهزمت فانهم ساروا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى مدينة افرنجه وخرج اليهم أهلها فوقع حينئذ البكاء والصياح والعديد

والنواح وكان قد قتل منهم أزيد من مائة ألف ووقع البكاء فى المدينة من كل جانب ومكان وقالوا الناس فى البلد كم لقيتم عدوكم حتى فعل بكم هذه الفعال وانهزمتم من بين أيديهم وعليكم آثار الانكسار وقد قتل الملك الأكبر الذى ماله فى الدنيا نظير وذهبوا أهله وأولاده واخوته والملك الخناس وقد أحاط بكم الذل والباس فقالوا ما لقينا إلا ألف فارس مع الملك الكندفرون وقد أسرناه ومعنا أبو محمد البطال لص المسلمين وهو أمير من أمراء الموحدين فلما سمع عقبة ذلك قال لهم اعلموا أن القوم معذورين لأن الملك الكندفرون كان الاسلام كله وهم تسع فوارس يريد كل واحد منهم لرأسه أهل مدينة افرنجه لاسيما عبد الوهاب وأمه وأبو الهزاهز وسيف الحنيفية وهذا الشيطان قراقدشم ان عقبه أمرهم أن يأخذوا أهبة القتال وقال لهم لابد أن يأتوكم وما لهم طريق إلا عليكم فاقطعوا الطريق الذى بينكم وبين طريق المسلمين ثم اضربوا رقاب هؤلاء الاثنين الذين عندكم فان ذلك انكسار قلوب المسلمين وابدؤا بهذا الكندفرون لانه كان سببا فى إسلام أصحابه وفعل ما فعل وهو الذى خلص أمير المسلمين من أيدينا بعد ما أشرفنا على قتله وهلاكه وهلاك من معه فعولوا على ذلك وقالوا فى غداة غد نصلبهم وان اللعين عقبه أخذ الأمير أبو محمد اليه وأخذ معه الكندفرون ودخل بهم إلى بعض الدور وكان الملك البطليموس معه فلما انسدل الظلام قال عقبة لغلامه خالد قد شبعت مما أمهل هؤلاء الشياطين مرة بعد أخرى ويخلصوا مرة بعد أخرى وما أقدر أتركهم إلى الصباح فربما يحدث أمر فيعوقنى عما أريد ولا أقدر على قتلهم لان فى ذلك أمر عظيم وعبد الوهاب لا بد له ولاصحابه من المسير ويخلصوهم بلا محاله وهم فى غداة غد يكونوا عندنا وان نزلوا فى غداة غد إلى البلد فما يقتلون أهل أفرنجة أبو محمد والكندفرون وربما ينفك أسر هؤلاء ولا أشفى منهم فؤادى أو يقولون لاهل البلد ما نرحل عنكم إلا بالشيخ عقبة وهؤلاء ما يعرفون قدرى ويعطونى للمسلمين فيقطعونى قطع وما عندى شيأ أرجا من قتل أبو محمد البطال لان لولاه ما كان لعبد الوهاب فلاح ولا نجاح فقال له غلامه خالد وكيف نعمل إذا قتلته وطلبوه أهل أفرنجة فقال عقبة إذا صبح الصباح أهرب الوجهين أحدهما قبل ان يأتى عبد الوهاب والثانى أفوز بقتلهم (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع غلامه ذلك قال له نعم ما رأيت أيها الشيخ المسيح يعينك على ما تريد فى جميع الأمور ويأتيك الفرح والسرور ولا يميتك حتى تملك بلاد الاسلام وسائر الثغور وتجعل الرشيد فى بغداد محصور ففرح عقبة لعنه الله وجاب طعام وأوقد بين يديه شمعة والبطليموس معهم فجعلا يأكلان إلى أن اكتفوا وشربوا من الخمر إلى أن تمايلا

وان عقبة أقبل على الملك البطليموس وقال له يامولاى إنى قدعولت على أمر وأريدك تعيننى عليه ولك فيه الحظ الأوفر لأن المنى هو الظفر وقد قال القائل فى بعض الأمثال السائرة من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى وقد عولت على قتل أبو محمد البطال، لو كان ما هو مقبوض عليه لكان يسرقنى أو يسرقونى غلمانه ويقتلونى والرأى عندى أن تفعل ما أقوله لك فقال البطليموس قل ما شئت فما أخالفك فقال عقبة اعلم أنى قد عولت على قتل البطال الذى هو لص المسلمين وهو رأس كل فتنة ومعدن كل بلية ومعه هذا الشيطان الكندفرون فقال البطليموس أما الكندفرون فأنا أوافق عليه ولى فى قتله أوفى نصيب واما ماذكرت من هذا الشيطان أبو محمد البطال فانه لا يمكننى ذلك لأن أصحابه لما أطلقونى حلفت لهم ورهنت دينى معهم انه إذا أراد به أحدا سوء لا أمكنه من ذلك وأنت والبترك الكبير تقولون انا لا نخون فى قولنا ولا نكذب إذا حلفنا فقال له عقبة وقد صعب عليه قم إلى فراشك ونام وأنا أقتل الاثنين وما يقع فى يمينك حال من الأحوال مع أنه ما عليك فى ذلك شيء ونحن ما نوصيك بالوفا إلا على أهل دين النصرانية فلما سمع ذلك من كلام عقبة قال له ايها الشيخ لا تطمع نفسك فى شيء من هذا فانك لا تصل اليه ولا تقدر عليه فانى لا أمكنك ويبقى دينى مرهون عند غلمانه وأنا أرى فى مخالفتى أوفا من قتلك فلما سمع عقبه ذلك فقال هذه نوبة عظيمة وان انت ما تأمرنى بهذا الامر أنا لا أتعرض إلى أحد منهم فقم إلى فراشك وارحمنا من هذا الصدام فقال البطليموس مالى الى النوم من سبيل واخاف ان تقتله وأنا نائم فقال عقبة وحق الانجيل ومن تلاه والصليب ومن علاه ما فعل شيأ من ذلك وهذه ذمتى على ذلك مرهونة عندك (ياسادة) فلما سمع البطليموس وهو من عقبة ذلك الكلام طمأن قلبه ولم يعلم ان هذا الشيخ الملعون انه يحلف بكل يمين انه ما يفعل هذا الشيء ويفعله قال ولم يزل الملعون يلاطفه البطليموس وهو يقول له ياشيخ إياك ان تغدر بالقول فانى اعطيتهم شعره من لحيتى وهو الزمام الاكبر (قال الراوى) ولقد بلغنى انهم اذا اعطوا الانسان الزمام يعطوه شعرة من لحيتهم ومن رؤسهم فلا ينكثون به ابدا والى يومنا هذا هم على ذلك واما عقبة لعنه الله فانه ترك الملك حتى نام وغرق فى نومه وقال لغلامه ياخالد امضى بنا حتى نقتل البطال والكندفرون ونقتل هذا الملك البطليموس على ان ماقصدى إلا قتل المسلمين فقال له غلامه خالد يا مولاى لا تقتل من هو على دين النصرانية فقال له ما مرادى أن لا أقتل المسلمين وحدهم وإنما قصدى قتل النصارى والمسلمين أجمعين ودع يكون من دماء الجميع ان كانوا نصارى

أو مسلمين ثم أشهر سكينا كانت معه ماضية ووثب وقام على صدر البطليموس ووضع السكين على نحره فتحرك فلم تقطع السكين غير الجلد الفوقانى ولما أن تحرك زلفت السكين وقد حس بها فتاركا أنه الجمل الهايج ومسك على يد عقبة لعنه الله وقد انقطع قلبه ونزل البول فى سراويله وظن أن السكين قد عمل معه فجعل عقبة يعارك الملك وظن أنه مقتول لا محالة فصاح بغلامه خالد وقال له يا ولد الزنا دونك وهذا الكلب فشال السيف ووثب ثم انه هم أن يحط الضربة على البطليموس وإذا بزعقة قد أخذته وتبع الزعقة ضربة فوقعت فى يده التى فيها السيف طيرتها من المرفق وجاءته ضربة ثانية وقائلا يقول خذ هذه الضربة فهى تغنيك النكبة ومابقى بينك وبين عقبة معاشرة ولا صحبه فأنا الأميرة ذات الهمة فوقعت الضربة على رأسه نزل السيف إلى سرته ودنت من عقبة لعنه الله فعلم انها تنصر عليه وكان الملك البطليموس قد استرخت يديه وظن أن عقبة قطع بالسكين وريديه فسيب عقبة من يده وقد ضعفت قوته وحيله وأن ذات الهمة صاحت به ويلك ياكلب النصرانية أين تهرب فقد أتاك الموت الأحمر وهمت أن تضربه فصاح بها أين الذى عاهدتم به نبيكم انكم تصلبونى على باب الذهب فان قتلتيني فيكون ابنك قد كذب على نبى العرب وقال له فى المنام ذلك فأمسكت الأميرة عنه وقالت له لعنك الله فما أخبرك بالمكر فلما نظر البطليموس إلى ذلك افتكر فى نفسه وقال ما هؤلاء المسلمين إلا على الحقيقة ولو لم يكن ذلك لما كانوا ينصرون على تلك الجموع وهم فى هذه القلة ثم انفتح فى وجهه باب الهداية وعنى به الحق أوفى عناية فطار منه الشرك والغواية ونشر على رأسه من الفلاح رايه ونادى وقال أيتها الأميره أعجبى من هذه الصناعة ومن ربح البضاعه فانى كنت كافر فى هذه الساعة حتى انفتح فى وجهى أقفال الايمان وانغلق عنى باب الخذلان وما كنت أعماه من دين الصلبان وعوتب القسوس والرهبان ونادى منادى من قبل الرحمن قم فقد عفونا عنك أيها الانسان قم الآن وخالف الشيطان فقد أوضحنا لك البيان وشريعة الايمان كما أبعدنا عن بابنا هذا الملعون عقبة أهل الشرك والعصيان والكفر والطغيان كما طرد إبليس من الجنان فهو يغوى بكل من أراد الرحمن به الخذلان وناديناه بكلام العزيز المنان إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فأفق من سنة الغفلة والنوم وامتثل شريعة محمد تنجو من حرارات النيران فعندها صاح الملك البطليموس أيتها الأميرة المجاهدة أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فلما سمع عقبة ذلك قال يابطليموس ما ألومك على هذا الامر لان الانس والجن تفزع

من هؤلاء القوم ثم أن الأميرة قالت لعقبة أريد الساعة أبو محمد والملك الكندفرون فقال ماعندى منهم خبر فعندها صاح البطليموس أيتها الأميره أنا أدلكم عليهم ثم أنه أتى بها إلى سرب هناك فأنزلها فيه وإذا بالبطال مكتوف فانكبت الأميره عليه تقبل رأسه ويديه وحلته من وثاقه وقالت له قم ياأبا محمد فهذه الفعلة بتلك الفعله ولك على زياده كنت أدور ثم أنه سألها عن الأمير فقالت له قد تركته قدقرب لو من البلد ثم أنها حلت الملك الكندفرون من وثاقه وشدوا عقبة كتاف وأوثقوا منه الاطراف وسلمته الاميره إلى لؤلؤ لانها كانت قد لقيته فى الطريق ودخل معها البلد وكان السبب فى وصول ذات الهمه إليهم انها لما انهزمت المشركين أخذت معها غلمان البطال كما ذكرنا ولحقت بالمنهزمين فدخلت معهم البلد ولم تزل تدور فيه إلى أن أمسى المساء فهى كذلك وإذا بالخونجات على رؤس الغلمان قاصدين بها إلى دار عقبة والبطليموس فاختلطت هى وغلمان البطال بهم وسارت معهم إلى أن دخلوا الدار فلم ينكر عليهم أحد فلما حطوا الطعام وعادوا اخرجوا أكمنت الأميره الى ان أكل عقبة والبطليموس وشربوا وجرى ما جرى ولا فائدة فى الإعادة ه وان الاميره قالت يا لؤلؤ الصواب انك تأخذ شيخ الضلالة وتخرج أنت وأبو محمد إلى ظاهر البلد فأنا ما أبرح من هذا المكان حتى أفتح هذه المدينة إن شاء الله فقال البطليموس الصواب انكم تفعلوا ما قلتم ثم أخذ أبو محمد الكندفرون وخرج به من القصر إلى المدينة فلم يجدوا باب مفتوح إلا باب الميناء فقصدوا إليه ودخلوا منه ولم ينكر عليهم أحد فلما خرجوا إلى ظاهر البلد وجدوا لؤلؤ وجوهر وعقبة معهم محمل على أكتاف لؤلؤ كانه رزمة قماش هذا جرى ههنا (وأما البطليموس) فانه أقام عند الأميره من خوفه عليها لأنه دخل الاسلام فى سره ولبه فلما وقف مع الاميره قالت له اعلم أيها الملك ان ولدى يصل فى غداة غد إلى البلد بلا محاله ولابد من أهل البلد مايناصلوه بالقتال ويمنعوه الطريق فلا يقدر على العبور ونكون نحن فى هذه البلد وأخرجهم منه بقائم سيفى فلما سمع البطليموس ذلك من كلامها عظمت فى عينه وقال فى نفسه ماهؤلاء القوم من بنى آدم واحده منهم وهى ضلع أعوج تحدث نفسها وهى تملك البلد ان هذا أمر عظيم ولكن قد كسروا عسكرى وهم عالم عظيم وكسروا عسكر افرنجه بالامس وهذا أمر سماوى لان الله تعالى اذا عنا بالعبد نجاه من الاسواء ودفع عنه شر الاعداء وان الاميرة أقبلت عليه وقالت له ياملك اذا أصبح الصباح لابد لاهل البلد ما يأتون ويطلبون عقبة والملك الكندفرون وأبو محمد البطال فقل لهم ان البطال قد هرب وقد طلب ذبحنى فلما رأى الدم قد ساح على

ثيابى ظن من فزعه إنه ذبحنى ونجا فاذا سمعوا ذلك فهم يصدقوك وهل تعرف من أخذ التقدمة على العسكر فقال نعم لقد تقدم عليهم رجل يقال له قسطورس وهو ابن الملك الذى لهذه المدينة كان فى قديم الزمان وأباه وأجداده فقالت الأميره أيها الملك فهل عنده شىء من الشجاعة فقال لها سمعت عنه أنه يضع يده على قرن الجاموس فيقلعه من موضعه فقالت الأميره ياملك عد إلى موضعك وبقية ليلتك حتى يصبح نام الصباح وأقول لك ما تفعل (قال الراوى) فقام البطليموس نام باقى ليلته وهو يذكر الله ويسبحه إلى أن برق ضياء الفجر وان الملك قسطورس لما أصبح الصباح ادعى بالغلمان وقال لهم امضوا إلى الشيخ النجيح وأحضروه إلى ومعه هذا الذى يقال له البطال لص المسلمين والمرتد الكندفرون فوحق المسيح لأعذبنه أشد العذاب ليعلم أن هذا الدين لم يكن أحد يشرك به ويحضروا الملك الباطليموس (قال الراوى) فمضوا الغلمان وغابوا ساعة وأقبلوا ولهم صياح وبكاء وجلبه فعظم ذلك على قسطورس وقال لاصحابه ياويلكم ما وراءكم فقالوا أيها الملك ان أبا محمد قد خلص وكذلك الكندفرون والشيخ النجيح قد غطس فى غياهب الدجا وما ندرى فى أى موضع هو وقد وجدنا غلامه مقتول والبطليموس قد سلم من بعد ما ذبح ثم أنهم أحضروا البطليموس فلما نظره الملك عظم عليه وكبر لديه وجعل يبكى على عقبه وعليه وقال له أبشر من المسيح بالكرامة بعدما ظفرت بالسلامه فهل رأيت أحد ممن فعلوا بكم هذه الفعال فقال يا مولاى ما فعل بنا هذا إلا لص المسلمين أبو محمد البطال اللص المحتال وقد خلص وكذلك الكندفرون فلو كنتم من أمس قتلتموه لكان الرأى معكم لو فعلتموه فقال قسطورس والشيخ النجيح هل معك منه خبر فقال يامولاى ما هم إلا أخذوه معهم (قال الراوى) والملك معه فى الكلام إذ سمع الصياح فقال لأصحابه انظروا ما الخبر فصعدوا إلى الأصوار وقد طلعت شمس النهار وإذا بعسكر الأمير عبد الوهاب قد أقبل وهو فى أوائلهم كانه الأسد الغضنفر ومن ورائه الحريم والنسوان وقد أحدق بهم أبو الهزاهز فى مائة من الفرسان فلما أشرفوا على البلد انفرد الأمير فى تسعمائة بطل أمجد عليهم صدور الزرد غايصين فى الحديد حتى إذا قربوا من البلد عظم على أهله ووقعت بهم الخدة وركب الملك قسطورس وخرج فى عالم لا يحصى ولم يبق فى البلد أكثر من ألف فارس ولبست نساؤهم ثياب الرجال وصعدوا على الأصوار كل ذلك خوفا من المسلمين أذا رأوا كثرة العدد وكان العسكر الذى خرج من البلد يزيد على أربعمائة ألف ما بين شيخ وصبى وخرجوا معهم العوام فى طلب المكسب فهذا جرى (وأما ما كان) من حديث

البطال فانه لما كان ظاهر البلد سلم عقبة إلى لؤلؤ وقال له سر فى الظلام على مهلك لئلا تتعب من حمل هذا اللعين فلولا انى أريد ان أسير الى الامير عبد الوهاب لكنت أشتفى بقتله فقال له لؤلؤ على ماذا عولت قال أمضى إلى عبد الوهاب وأسير اليك بعض بنى كلاب يحمل عنك هذا الشيطان وان رأيت إنك تكمن فى بعض الاماكن فان الاميرة ذات الهمة أخبرتنى انه لا يصبح الا والامير عبد الوهاب عندها وقت الصباح فقال له لؤلؤ قد علمت ذلك وسار البطال والملك الكندفرون طالبين الامير عبد الوهاب فلما كان نصف الليل أشرفوا عليه وكان الامير نزل للراحة فوقع الصياح وثاروا اليهم الناس والامير قراقد قال له ابو محمد اهلا وسهلا بك يا امير قراقد فقال له يا ابو محمد قد خلصت فقال له نعم قد كشف الله عنى كل سوء يا ابو قرقود وهذا الكندفرون قد خلص فبشر اصحابه واهله فلما سمعوا ذلك تواثبوا اليه وفرحوا الفرح الشديد وبلغ الخبر الى الامير عبد الوهاب فخرج بنفسه اليهم وجعل يضمهم الى صدره ويهنيهم بالسلامه فقالوا له كان سبب خلاصنا الاميرة ذات الهمة واعادوا عليه حديثها ففرح الامير بذلك واخبروه باسلام البطليموس وماجرى له مع القاضى عقبة فقال الأمير هل اخذتم عقبة قالوا نعم ايها الامير وهاهو قادم مع لؤلؤ وأما الاميرة ذات الهمة فانها أقامت فى البلد هى وبديع وجوهر وسبك ويانس وأبو الليل والبطليموس وأما عقبة لعنه الله فانه مع لؤلؤ وهو حامله وعلى كاهله وهو خلفى وأنى أخاف ان يعبر به عابر طريق من البطارقة ولا بد ما يلقى من حمله تعبا شديدا فابصر من يمضى فى هذه الساعه يأتينا بالخبر فوثب بطريق عظيم من أصحاب الكندفرون وقال أنا أمضى فقال له الأمير لله درك وأضاف اليه برد ابن الازهر وأعطاهم بغل فأخذوه وساروا وفرحوا أصحاب الكندفرون بخلاصه واما الامير عبد الوهاب فانه أقبل على اصحابه وقال اعلموا انى خائف على الأميرة فانها أرمت نفسها فى أمر عظيم وما أدرى ما يكون منها وقد خلصت فى أفرنجه وقد علموا اهلها بأن ابو محمد قد هرب والكندفرون واصيبوا فى عقبة لعنه الله ولابد لهم أن يأخذوا من ينكروه فاذا هم اصابوها فربما يقتلوها ثم قال انظروا ماذا ترون من الرأى فقالوا الرحيل إذا اصبح الصباح وأشرفنا على البلد ساعدنا رب العباد والنصر لأهل السداد ثم جعل يقطع الارض ذات الطول والعرض فعند السحر اشرف وقد اشرف قبالهم بردان ابن الازهر ومعه صاحبه وما معهما احد فانكر الامير حالهما وسألهما فقالا ايها الامير مازلنا سائرين حتى وصلنا صور البلد وما رأينا احد وقد رجعنا وما تركنا رابية ولا تل إلا وصعدنا اليه فما رأينا أحد فعظم ذلك على الامير

أبو محمد والأمير عبد الوهاب فقال أبو محمد والله ما بلى عقبة لعنه الله مثل ما بى على غلامى لؤلؤ وإننى كنت عولت على قتل عقبة لعنه الله فى هذه المدينة ونستريح منه وإن سلم فى هذه النوبة فما نبلغ مراد فقال الأمير عبد الوهاب والله إن فقدنا لؤلؤ يعز علينا يا أبو محمد فقال أبو محمد ما لها إلا أنا ولا يكشف الخبر غيرى ثم سار أبو محمد يكشف الأخبار فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من لؤلؤ فانه سار ومعه عقبة وهو منه فى هم عظيم فبينما هو سائر إذ لقيه فى الطريق عشرة بطارقة وكان سببهم أن الملك قسطورس أرسلهم من أول النهار يكشفوا الطريق وأن العشرة ساروا ينظرون الأمير هل هو راحل أم لا فساروا حتى أشرفوا على وادى الجراد فرأوا الأمير مقيم وهو على نية الرحيل عند الصباح فرجعوا يخبروا ملكهم ويعلموه بذلك ليأخذوا الأهبة ففى رجوعهم صادفوا عقبة لعنه الله مع لؤلؤ فعرفوه فقبلوا يديه وعانقوه فقال لهم ما لقيتم البطارقة فقالوا ما لقينا أحد ولو لقيناهم كنا أخذناهم فقال لهم وما سبب خروجكم فأخبروه أنهم من جهة الملك قسطورس خرجوا ليكشفوا خبر الأمير عبد الوهاب وأننا كشفنا ورجعنا فقال لهم لقد خاطرتم بأنفسكم فهل ضمن لكم الملك أن يعطيكم شيأ من المال فقالوا لكل واحد مائة دينار وثوب ديباج فقال وحق المسيح ما نصفكم فى مخاطرتكم بأنفسكم بهذا القدر ثم أنه قال لهم فما قولكم فيمن يعطى كل واحد منكم ثوبا وجارية وألف دينار فقالوا له ومن يعطى هذا ويفعل هذه الفعال فقال أنا وحق المسيح أفعل ذلك إن أجبتمونى على ما أقول لكم فقالوا له وما الذى تريد ونحن لك وبين يديك مثل العبيد فقال لهم تحملونى إلى مدينة القسطنطينية إلى عند الملك منويل وأعطيكم هذا الذى قلت لكم عليه ومهما أعطاكم الملك كان لكم زيادة فلما سمعوا ذلك من كلامه قالوا فلم لا تدخل المدينة وتعلم الملك قسطورس قال لهم أنا أعلم أن قسطورس فى غد يأتيه خطاف النفوس ويفتح البلد وأنا أريد أمضى إلى الملك منويل ليجهز العساكر إلى نصرة الملك قسطورس أحب إلينا مما ندخل البلد ويملكنا هذا الاسود فلما سمعوا ذلك من كلامه أجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا لؤلؤ معهم أسير وعقبة لعنه الله يعاقبه طول الطريق وجدوا فى سيرهم ليلا ونهارا إلى أن وصلوا إلى القسطنطينية بعد أربعين يوما (قال) وكان وصولهم يوم الأحد ومنويل قد نزل إلى البيعة بيعة سوفيا فى أربعمائة بطريق وقد اجتمعت القسوس والرهبان فصلوا صلاتهم وجلسوا يتفاوضون فى الحديث إلى أن خرجوا إلى حديث عبد الوهاب فقال الملك أما المسيح فقد أراحنا منه ومن أمه فلا قرب المسيح لهم دار ولا أوفاهم مراد ولا أبقى لهم آثار

وجرى حديث البطال فقال الملك لعل المسيح يكون قد أهلكهم جميعا ثم إن الملك تنفس صعدا وأظهر كمدا فقال له البترك أيها الملك ألك قلبا وأنت ملك الملوك الرومية وسيد أهل دين النصرانية وحاجب زنار الدولة المسيحية فقال وحق المسيح مايطيب قلبي بعد فقد الشيخ النجيح فما أدرى هل هو بالحياه أم لا وما هو إلا قد هلك وإلا ما كانت أخباره تنقطع عنا فاذاهو فى الكلام وإذا بالملعون عقبة قد دخل عليه كأنه الغول فلما أن نظر الملك إليه وقف له قائما على قدميه ثم إنه صلب على وجهه وضمه إلى صدره وقال له مرحبا بالشيخ لقد كنت فى حديثك وأنا آيس منك والآن فما أبالى بأى موتة مت بعد أن جمع المسيح بينى وبينك أين كانت هذه الغيبة فقال عقبة اسمع كلامى واعجل به قبل أن يفوتك الأمر ثم أخلى لى المحل حتى لا يسمع أحد بالخبر فانى لا آمن أن يكون عندك جاسوس يخبر بخبرنا وحديثنا وينقل إلى عدونا وأنا أعلم أن لهم عيونا علينا فلما سمع الملك كلام عقبة صرف كل من كان عنده حاضر ولم يبق غير الملك وعقبة والبترك ومارس فقال الملك الآن ما بقى غريب فحدثنا بحديثك فابتدأ عقبة يحدث الملك منويل بحديث الأمير عبد الوهاب من أوله إلى آخره وما كان من حديث كندفرونيه وقتل البطارقة من أصحاب البطليموس وإسلام الكندفرون فتعجب الملك وقال كنا نعهد أن المسلمين يعبرون ديننا والآن فينا من عاد إلى دينهم فقال له وأسلم الكندفرون ومعه ألف فارس وكسر أهل كندفرونيه وساروا إلى أن وصلوا إلى بلاد أفرنجه وقتلوا الملك الأكبر وجرى عليه حال ما أقدر أصفه وأعاد عليه حالته من أولها إلى آخرها ثم بكا عقبة وأخبر الملك بقتل غلامه خالد فبكا عليه الملك لان له عليه خدم كثيرة فقال عقبة لعنه الله أيها الملك أريد أن تسير العساكر إليهم قبل أن يخرجوا إلى بلاد الإسلام فقال مارس أيها الشيخ النجيح ان الملك عليه عهود وإيمان إن طلع خبر الامير وأصحابه أسرع فى خلاصهم والاسار إليه الرشيد بروحه فقال له عقبة اسكت أنت فما أمر هؤلاء إليك لان الملك إن قتل هؤلاء لا يبالى بالرشيد كان أو لم يكن فقم أيها الملك ولا تفتر عن هذا الامر فتندم حيث لا ينفعك الندم وتبقا عليك حسرة إلى يوم القيامة فعندها أمر الملك الوزير أن يكتب إلى الملوك ويأمرهم بالاجتماع إلى باب الذهب ولم يزل الملك مقيم شهرين وفى أول يوم من الشهر الثالث توجه للسير فى خمسمائة ألف فارس هذا ما كان من هؤلاء (وأما الحاجب مارس) فانه خلا بأخيه دارس وقال له ياأخى هذه نوبة لايجب علينا أن نخفيها عن الثغور وأهلها وقد علمنا أن الامراء قد انكشف خبرهم وهم فى قلة وعندهم من عساكر الافرنج مافيه كفاية

فكيف إذا سار إليهم الملك منويل وهذا الشيخ اللعين ولا تأمن عليهم إذا سارت العساكر فقال دارس هذا هو الصواب ثم كتبوا كتاب إلى ملطيه يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين أما بعد فهذا كتاب إلى سائر المسلمين وأبطال الموحدين أخبرهم أن الأمراء قد كشف الله لنا عن أخبارهم وهم سالمين وعليهم واقية من رب العالمين وقد جرى لهم عجائب فى بلاد الكافرين وقتلوا ملوك الافرنج أجمعين وأسلم ملك الكندفرونيه ومعه ألف بطريق من المعروفين بعد ما ساروا المسلمين ووصل الملعون عقبة لعنه الله إلى عند الملك منويل وأخبره بهذا الحديث وقد طالعنا بهم المسلمين يسيروا إلى خلاصهم أجمعين فقد صاروا فى بلاد الاعادى وساروا الافرنج من ورائهم والملك منويل من قدامهم وقد ساروا هم فى خمسمائة ألف فارس كافرين برب العالمين (قال الراوى) ثم إنه أرسل الكتاب مع غلام من غلمانه وأمره بالمسير وسرعة العودة فلم يكن إلا أيام قلائل حتى وصل إلى ملطيه وكانت الاميره علوى قد لبست السواد ومسحت الدار التى لعبد الوهاب بالقطران وكثر منها النواح وانغم لها الاهل والجيران وهى تبكى فى كل وقت وقد أيست من الامير وقد تفرقت بنى كلاب فمنهم من سار إلى أرض الحجاز ومنهم من قصد إلى أرض الشام ومنهم من أقام عند الامير ضيغم فى آمد مع جماعة السودان وكان الامير عمرو بن عبيد الله وبنو سليم غائبين عن ملطيه لان الرشيد أرسل إليهم يقول إنه قد قتلوا أهل مكة وقد ملك البيت الحرام رجل خارجى من أرض الحجاز وقد منع الخارج وسفك الدماء ونهب الاموال والرجال واستباح ما حرم الله تعالى وقد سيرت إليه عسكر من العراق وبلاد العجم وقد كسرهم وما للعرب إلا للعرب وقد عولت على المسير إليه بروحى فاذا قرأت كتابى هذا فسير إلى حتى تسير تحت ركابى (قال الراوى) فرحل الامير عمرو وهو فى مائة ألف من بنى سليم وأرسل إلى الأمير ضيغم فسار فى جميع بنى كلاب وكانوا قد تفرقوا بعد مسير الامير أبو محمد من آمد وبقى فى آمد ميمون الجاس والخمسة آلاف أسود أصحاب قراقد وولده قرقود (قال الراوى) وسار الامير ضيغم إلى الرشيد فى ذلك العسكر ودخل إلى بغداد مع الامير عمرو بن عبيد الله فأخذ الناس البكاء على الأمير عبد الوهاب وجعلوا يتفكرون أيامه البيض وأوقاته الزاهرة وقالوا والله ما يخلف الزمان مثل الامير عبد الوهاب ولا مثل الاميره ذات الهمة ووقع البكاء فى بغداد ولما نظر الرشيد إلى ضيغم وعليه آثار الحزن والانكسار بكا بكاء شديدا وقربه كما كان يقرب أباه وخلع عليه خلعة سنيه فلما نظر الامير ضيغم إلى ذلك بكا وأنشد:

بكيت على والدى بدمع غزير ويحق لى البكاء على الأمير
وتبكيه الرجال بكل أرض وتبكيه النساء من الثغور
لقد كان الأمير لنا عمادا وركنا لا تزعزعه الدهور
يسير إلى الجموع بغير خوف ويحصدروسهم حصد الشعير
سأبكى بعدهم بدموع عينى وأبكى بعده بدم غزير

(قال الراوى) فلما سمعوا الناس شعر الأمير ضيغم بكوا بكاء شديدا وبكا الرشيد وقال والله لو علمت له خبر لكان أول من سار إليه أنا وسافرت نحوه إلى خلاصه ثم قال لضيغم طب نفسا وقر عينا فان محلك عندنا محل عظيم فان الولد مقابلة الوالد وقد مضا الامير لحال سبيله رحمة الله تعالى عليه وعلى الاميرة المجاهدة ذات الهمة ولقد نجع لهم الإسلام ومضوا إلى جنات النعيم عند مليك مقتدر فى محل عظيم ولقد رزينا بالامير عبد الوهاب وبالامير أبو محمد البطال ونحن لا ندرى كيف يكون عليه الحال وأنا على غاية من الهم لأجله وليس أعلم له خبر ولا وقفت له على أثر وبالله إن لهم حديث عجيب يحير فيه العاقل اللبيب ولو كان القاضى عقبة حاضر لكان دبر فى خلاصهم وما هو إلا قد عطب مثل عطبهم وقد دخلت العين فى أحبابنا علينا وتمكنت أيدى الاعداء من أصحابنا ثم أنه بكا وأنشد يقول

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معينا ولا معين
واحسرة من فراق قوم كانوا المصابيح للحصون
وألجم المدن والروانى والرفع والخفض والسكون
ولم تبق لنا الليالى قوم فرقتهم المنون

(قال الراوى) فقال الفضل بن الربيع يا مولانا الامراء يقولوا أن الروم قتلوهم وأن القاضى عقبة قتلوه الامراء فما باله قد انقطعت أخباره عنا والله إن الامير أبو محمد قد دبر عليه حيلة أهلكه بها فلما سمع الرشيد كلامه قال دعنا الساعة من هذا الكلام تلك أمة قد خلت والصواب أن نسير إلى الحجاز إلى هذا الخارجى الذى قد ظهر لأننا إن أهملنا أمرنا معه يتولد علينا منه العوارض ونتعب بسببه فانهم يقولوا عنه أنه قد ملك اليمن واستولى على زبيد وعدن وقد قطع السائلة ومنع الحاج وخان السبيل وقطع الطريق واستباح المحارم وقتل النفس التى حرم الله واحتقر بالبيت العتيق وقتل أبطال الحرم والصعاليك من الحرم وقد سارت سراياه إلى أرض صيدان وضربت خبله إلى نحو الغرب وقد قطع الاشباح وأتلف

الأرواح وقد وصل إلى توص ولم يقدر إبراهيم على دفعه ولا استطاع لانه ساز اليه بعساكر مصر والريف والجزائر وبلاد اسكندرية إلى أرض برقة والقيروان فلما سمع الأمير ضيغم ذلك الكلام قال يامولاى وفى كم يكون هذا الخارجى فقال له قد صار فى ثلثمائة ألف فارس من العرب وعشرة آلاف من العبيد (قال الراوى) فهو معه فى الكلام والبراج قد دخل عليه بالطيور المخصوصه بالبطارقة من الكوفة يذكرون أن الخبر قد وصل اليهم من مكة بأن الخارجى معول على الوصول إلى العراق وقد صار فى خمسمائة ألف من العرب وأنه ملك أرض سبأ وبلقيس وقد انضاف اليه العرب الطاعة حرانيه ونياله ولو أراد أن يفتح بهم أرض لما غرب عليهم ذلك وقد قوى عزمه وزاد شره وقد انبسطت يده فى الظلم ويفعل كل فعل قبيح وقد عول على فتح البلاد وملك الأرض وقد حمل اليه إبراهيم بن الخصيب الاموال وصالحه عن البلاد وجعل عليه الخارجى فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار وبعد ذلك فانه صادر أهل مكة وقهرهم وأغنا العرب الذين معه وجعل لهم بيت مضيق وجعل من المال مالا لا يحصى بعدد التراب والحصى وقد قطع سبيل المعروف عن العرب حتى أتوا إلى خدمته واسمه موافق لفعله يعرف بظالم بن الغريب وهو فارس العرب ومبيد الأبطال من بعد منهم ومن اقترب فارس العربان وقاتل الاقران غليظ القلب كثير الحرب شديد الطعن والضرب إذا نزل بلد فقد أحاط بأهلها الكرب فالعجل العجل وقد حشته نفسه بالعراق والضرب بالسيوف الرقاق وقد قام الحرب على ساق (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك عظم عليه وكبر لديه وبكا من الحنق وقال واعبد الوهاب لقد كانت الامة عزيزة وأمورنا به حريزة فقال الامير ضيغم يامولانا هون عليك هذا الامر فأنا بين يديك وقال الأمير عمرو بن عبيد الله سوف ترى يا مولانا العجب ونوقع بهذا الملعون العطب فقال الرشيد ما بقى غير الرحيل فى غداة غد ونادى فى الناس بالرحيل والخروج وفى ثالث يوم كمل العسكر فى خمسمائة ألف فارس وسار بهم الى ارض الكوفة ودخل البرية الى أن وصل الى غيد او جاءته الاخبار بأن ظالم بن غريب قد نزل على ذات عرق فلما سمع الرشيد ذلك الكلام حمل هما وقال لاصحابه هذا حال جسيم لم يكن فى الحساب والرأى عندى أننا نختاره منزلا من المنازل ذا عشب ومرعى وماء وسهلا وننزل فيه ولا نبرح حتى تسير إلينا الناس ونأخذ الاهبة للقتال ففعلوا ذلك ونزلوا فى أرض فيها ماء ومرعى وافتقدوا العدة والدروع والسلاح والرماح ورجال قوية لهم قوة الخيل

إليهم واستراحوا مما جرى عليهم ليفوقوا بها على الجولان وملاقاة الشجعان فأمر الخليفة الجواسيس أن يقتفوا خبر ظالم بن الغريب وأمر الطلائع أن يدخلوا البرية ويأخذوا الخبر على حقيقته ويقفوا على الامر وجليته حتى لا يصل إلينا فى هــذه الكتائب الذى اجتمعت معه ويكونوا الناس والدواب قد استراحوا ويكونوا الذين معه فى غاية من التعب ويكون قد ملكنا عليهم الماء فان رجعوا إلى ورائهم هلكوا وإن كانوا بين أيدينا ملكوا (قال) فلما سمعوا هذا الكلام من الرشيد دعوا له وقالوا يامولانا هذا رأى سديد والامر شديد فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميره علوى فانها لما وصل كتاب مارس إلى ملطيه وفيه ما قد سبق ذكره من حديث الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب قالت من يسير منكم إلى نجدة الامير عبد الوهاب فقال ميمون الجماس أنا والامير إبراهيم فقالت الاميره علوى وأنا أسير معكم فلما سمع ميمون من الاميره هذا الكلام قال لها مالكى بهذا حاجة فكم لك يا مولاتى مع الامير ابراهيم من بنى سليم قالت عشرة آلاف فارس وفى ملطيه عشرين ألف فارس وهم يكونوا برسم حفظ البلد إلى أن نعود إليهم وأنا أسير مع الامير ابراهيم ونكون فى ثلاثين ألف فارس منها خمسة آلاف سودان قراقد كل واحد يريد لرأسه جيش فلما سمعت ذلك من كلامه قالت له لا تطيل الخطاب فلابد لى ما أسير معكم حتى لا أكون غادره خائنه وأواسى الامير بروحى لانى ما أصبر بعد ما انكشف لى من خبره ولا أقيم فى هذه الديار ولا انسا دخوله خلفى إلى الحصون إلى أن فتحها الله على يده فلا بد ما أسير إليه ولو كنت لا أقدر أفعل فعاله فأكون قد بذلت الجهد فقال لها ميمون اعلمى أيتها الاميره إن المراحل بعيده والسفره طويله شديده وأخاف عليك ينالك التعب فلما سمعت هذا الكلام قالت هذا ما يصلح إلا للحضريات الذين قد تعودوا بالحجاب وأما أنا قد ألفت روائح البر وأكلنا الشيح والقيصوم ونمت فى معاطن الإبل ومرابط الغنم ولا أبالى بتعب ولا أخاف نصب ولا أفزع من العطب ولا خبرتى غير ركوب الخيل ،فقال لها ميمون الجماس إن كان الامر على ما ذكرتى والحال على ما وصفتى فأنا أبلغك سؤلك ونهاية مأمولك وأقلد ابراهيم أمر العساكر وأسير بين يديه خادم ثم إنه جهز العساكر فكانوا كما ذكرنا ثلاثين ألف فارس وما فيهم إلا كل مدرع ولابس وقد طاب على قلوبهم الموت وسبيل الفوت عند ذكر الامير وقالوا نحب ان أرواحنا تمضى فى سبيل الله ثم إنهم قد عملوا أشغالهم فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ســلموا البلد

الأمير محمد بن أبان السلمى ومن معه من بنى سليم وسارت الاميرة علوى والامير إبراهيم وميمون الجماس وهو مقدم على السودان وساروا يقطعون الارض ذات الطول والعرض حتى وصلوا إلى حصن يانس المتغرب فلما أشرفوا على الحصن وعلم يانس بهم فرح بهم فرحا عظيما وهو لابس السواد وعليه لباس الحداد على الامراء وما عنده من الامير خبر ولا وقف له على أثر فأخرج لهم الضيافات والاقامات والعلوفات وعزاهم فى الأمير عبد الوهاب وقال لهم ما سبب دخولكم إلى هذه الديار وإن كان قد شاققوكم بنى سليم أو وقع بينكم وبين السلطان فانزلوا عندى فهذا الحصن حصين ولكم اسوة بى ولى اسوة بكم إلى أن يتوفانا الموت فلما سمعت الاميرة علوى والامير إبراهيم كلامه قالت له الاميرة علوى دعنا من هذا الكلام فجزاك الله عنا خيرا ما سمعت خبر قال سمعت من قصة فقد الامير أن الخليفة قعد له فى العزاء وتقلد من أجله السواد وإلى ما سمعت له خبر ولا لذات الهمة ولا لقراقد ولا لأبو محمد ولا التسعة الذين كانوا معه (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام قالت له ما عن حياته سألتك ولا عن موته فهذا كتاب قد وصل إلينا من مارس بخبر الامراء وأنها رمت الكتاب إليه وأوقفته عليه فلما فهم ما فيه وتبين معانيه هوى إلى الارض ساجدا لله تعالى وحامدا وشاكرا على ما أولاه وقال صدق والله مارس فيما نطق وبالخبر الصحيح أخبر وصدق الآن منويل رحل عن القسطنطونية من مدة شهر طالب بلاد أفرنجة وسألت عن سببه فما أعطانى أحدا خبر والآن إذا كان الأمر على هذا خذوا معكم أربعه آلاف من أصحابى فشكروه على ذلك وأعطاهم مالا جزيلا ورجال وبغال وحمل إليهم أحمال أغلال وزادا كثيرا وكلما يحتاجون إليه فرحلت الاميرة وهى حائرة لا تدرى ما كان من الامير عبد الوهاب وإبراهيم بين يديها ينشد ويقول

ألا يا معشر الابطال سيروا ... إلى نحو الأمير بلا توانى
لعل الله يجمع عن قريب ... لنا شملا ونظفر بالامانى
لقد كان الامير كشوف كرب ... عن الاصحاب فى يوم الطعان
همام ضيغم بطل كمى ... سموع للأقارب والادانى

﴿ تم الجزء الثامن عشر ويليه الجزء التاسع عشر ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب وامير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التيمى وحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع عشر

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة فاجابته الأميرة علوى على شعره بالبكاء والنحيب تقول

ألا يا صاح كف عن الملام　　فلا صبر على فقد الكرام
سارى مهجتى فى كل صعب　　على طلب الأمير ولا كلام
فاما أن أفوز به سليما　　وأمنح حاسدى ضرب الحسام
وإما أن يقول وفت بعهدى　　ولا خانت ووفت بالذمام
سا حمى عنه يوم الحرب جهدى　　لما قد كان عن أهلى محامى
فسيروا يا بنى الأقران حتى　　ننال الوصل مع نيل المرام

فلما فرغت الاميرة علوى من شعرها ونثرها أجابها ميمون

سيعلم سيدى وأمير قومى　　بأنى لا أنام عن القتال
وأضرب كل بطريق كفور　　بأسياف مهندة صقال
ولولا إننى أملت خيرا　　لكنت مشردا بين الجبال
فسيروا يا بنى حام وجدوا　　وبيدوا الشرك بالسمر العوال

ثم أن قرقود بن قراقد سار أمام سودانه وهو ينشد

سيروا بنا يا معشر العبيد　　نطلب أرض البلد البعيد
فى طلب المولى أبو قرقود　　ونضرب الهامات بالحديد
فأنا أوفى الناس بالعهود　　من كان فى الاعداء كالجلود

(قال الراوى) وهم سائرين على ما هم عليه من المسير إذ نظروا على جبل يعرف بجبل البان شخصا يلوح تارة ويخفى أخرى أخرى فنظروه السودان وطلبوه فلم تكن إلا ساعة ثم عادوا وهم يضحكون ويصرخون وهم تحت سلاحهم يتقلبون ويلعبون

والشيخ الذى لاح لهم معهم فلما نظروهم العسكر وهم فرحين فقالت الأميره علوى يا ميمون أبصر ما الخبر فطرد جواده وقال يامولاتى أرى لؤلؤ غلام البطال فقالت على به فلما أن مثل بين يديها كاد ان يغشى عليها وبكوا الناس لانهم ما كانوا يصدقوا أن الأمير عبد الوهاب فى الحياة ولا ظنوا إلا أنه قد عطب فلما نظروا إلى لؤلؤ فقالوا ياأبا التبر هل عندك خبر من الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب فقال وهل الاخبار إلا معى وأعاد على علوى القصة التى جرت من أولها إلى آخرها وما جرى لهم مع هذا الملعون عقبة فقال قرقود ولم لا يضرب أحدكم بسيفه هذا الشيخ النحس ويخلصكم من هذه المصائب كلها فقالت له علوى يالؤلؤ فكيف خلصت أنت فقال لها اعلمى انى وصلت مع عقبة لعنه الله إلى القسطنطونية وأنه طرحنى فى دار البلاط وسار مع الملك منويل وان الحاجب مارس بعد أن كتب اليكم الكتاب عمل على خلاصى وقال أخاف أن المسلمين لا يصدقون ان الامراء سالمين لانهم قد أيسوا منهم فسر أنت إلى ملطية حتى تسير العساكر فقلت له أيها الحاجب ما أفعل ذلك حتى أنال الراحة ويرحل الملك من البلد وبعد ذلك أسير إلى ما تأمرنى به ورحل الملك وعرض لمارس مرض شديد من ليلته فلم قدر على المسير وأظهر أنه مريض وتخلف فى القسطنونية حتى إذا كان هذا اليوم ووصل لنا بطريق من أفرنجه وقال أن عبد الوهاب قد ملك القصر الذى فى بلاد أفرنجه من باب المينا لان أمه ذات الهمة كانت فيه وأن الملك البطليموس كان معها وقد أسلم وأن أهل أفرنجه معهم فى قتال شديد وكل يوم ينزل اليهم الأمير عبد الوهاب ومن معه ويشبعونهم طعن وضرب وأن القاضى عقبة هو الذى أعاق المسلمين من أهل أفرنجه لانهم سدوا فى وجوههم الدروب التى لاسبيل لهم إلى الخروج إلا منها وقد أقاموا فى القصر بعد ان كسروا العساكر على باب البلد ووصلوا إلى باب المنيا وسمعناهم من داخل وهم مقيمين فيه وقد أتاهم الملك منويل ونزل عليهم بذلك الجيش العظيم وقد نصب عليهم المناجيق والفرادات والسلالم وهم فى القتال العظيم وقد قل منهم الزاد وكثرت عليهم الاعدا ولم ينزلوا من القصر وقد أرسل الملك إلى المانصطر أهل القسطنطونية بأن يحملوا اليهم مائة حربى فى البحر ويجمع الرجال من البلاد ويسيروا إلى مدينة أفرنجه ويدخلوا المينا يقاتلونهم منها والملك منويل يقاتلهم من باب البر ومن حول القصر وما عادت بجمعوا الغلال وقد مسكهم فى القصر لانهم ينزلون فى سائر مراكب الصيادين فيصطادوا السمك من البحر ويطلعوا إلى عند القصر وربما انقطع عليهم ذلك بوصول هؤلاء اليهم

فيأخذوهم أخذا بالكف وقد جمع المانسطر المراكب ورفع إليها العدد والزاد وهى تلعب على مرابطها كما تلعب الخيل على مداودها وما أعاقها من الاقلاع إلا المانسطر لأنه خرج يجمع لها الناس من الضياع لأن البلد ما فيه عسكر والرجال كلها مع الملك منويل لأنه سار على غفلة من أمره فقالت الأميرة علوى والله إن الرأى عندى أن ندع هذا الطريق ونسير إلى القسطنطينية وتهجم على المينا ونأخذ المراكب بأسرها ونركب فيها ونقلع إلى بلاد أفرنجه وأكثرهم ما يقيم فى البلد عشرة أيام فقال ميمون الجاس المعول على من يحسن التدبير فى صنعة المراكب فقالوا أصحاب قراقد والله يا قوم ما فينا إلا من كان فى البحر فى المراكب وعمل الملاحين وأقلع التجار إلى سائر الأقطار حتى صاحبنا قراقد وقد أخذنا عنده وصبرنا نقاتل عنده ونناصل وكان إذا سمع أن الرجل منافيه نجابة أعطاه المال ورغبه بالنوال حتى حسن فينا الحال والرأى أننا نمضى إلى بلاد أفرنجيه ونحن نقلع بالمراكب وترون العمل فيها فقال لؤلؤ أنا أدلكم على الطريق وأقلع بكم على التحقيق فقالوا سر بنا على اسم الله تعالى فساروا والما بقوا بينهم وبينها يومين وكانوا يكمنوا النهار ويسيروا الليل هذا وقد سبق لؤلؤ إلى القسطنطينية إلى مارس وأخبره بالخبر وأوقفه على حقيقة الأثر ففرح فرحا عظيما وقال والله هذا حديث عجيب واتفاق غريب يتداولوه الناس بينهم إلى يوم القيامة يا لؤلؤ أخرج إلى ظاهر البلد وأجهد أن يكون وصولهم فى الليل وأنا أترك غلمانى على الباب وأرتبهم على المينا عند المراكب وترسلون خيولكم مع ألف فارس إلى عند يانس المتغرب وتنزلون أنتم فى المراكب وتقلعون إلى أفرنجة وقد فرج الله عن المسلمين وفى المراكب كلما يحتاجون إليه من زاد وغيره فمضا لؤلؤ ورجع بالخبر ونظر العسكر وقد نزل على ظاهر البلد فى الظلام فلما نظروا لؤلؤ فرحوا واستبشروا وقالوا يا لؤلؤ دبرنا فى فتح الباب فقال لؤلؤ أنا أفتح لكم باب الذهب لأن ما فيه عسكر ولو أسعدنا الدهر بالامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب لكنتم تتسلمون البلد لأن ما فيه لا كبير ولا صغير إلا الشيوخ والنساء والاطفال بل أنهم بعدد النجوم والتراب وكنا نملك البلد ولكن لا حاجة لنا فى ذلك ثم أنه عاد إلى مارس وأخبره بالخبر وبقدوم العسكر فقال له يا لؤلؤ إذا انسدل الظلام ينزلوا على باب الذهب وأقام مارس ينتظر هجوم الظلام وهجوم العسكرى على الايام وكان الحاجب قد أعلم أخته بذلك وقال لها ما نريد أن تساعدينا إلا بمفاتيح باب الذهب ومفاتيح باب المينا فلما اختلط الظلام جابت له المفاتيح ثم أنه أخرج غلمانه وهم تمام عشرين فقال لهم أمضوا إلى باب الذهب وافتحوه وأنا أفتح باب المينا وما يصبح

الصباح إلا والمسلمين فى المراكب هذا وقد فتح باب الذهب وخرج لؤلؤ فوجد القوم مع الأميرة علوى وقوف على باب الذهب والخيل على أيديهم والأمير إبراهيم فى أوائلهم كالأسد إذا رأى الفريسة (قال الراوى) فقال له لؤلؤ لكم البشارة اعلموا أن الله تعالى قد يسر لكم على يد الحاجب مارس كلما تحتاجون إليه ففرحوا المسلمين بذلك ثم قالوا يا لؤلؤ ما الذى نصنع قال ادخلوا لباب البلد فقد فتح لكم باب الذهب وسيروا إلى باب الميناء فسارت الأميرة علوى ومعها الرجال كأنهم فحول الجمال وتركوا الخيل مع الأمير طحطح الأسود وتركوا معه خمسمائة فارس وقالوا له سير بخيلنا وأموالنا وأثقالنا ورجالنا إلى حصن يانس المتغرب من ليلتك هذه لأن ما فى البلاد من تفزع منه لأن العساكر كلها مع الملك منويل فى بلاد أفرنجه وهم متلاقين بهم من سائر الاقاليم فعند ذلك ساروا بالخيل (قال) ودخلوا الناس البلد وقصدوا باب الميناء فلقوه مفتوح وقد وقع بهم الصياح والنفير من البلد وكبر الامر وقام القاعد واستيقظ الراقد وخاف الولد من الوالد وشمت الحاسد وانقلبت القسطنطينية بأسرها وكان من الامر المقدر أن الابطال من الموحدين وأصحاب الثغور ملكوا باب الميناء وأشرفوا عليه وعلى المراكب وهى مشحونة بجميع ما يحتاجون إليه من الاقلعة والمقاديف والمرامى والطعام والعدد والعمد والطوارق والسيوف والقنطاريات والقسى والنشاب وخزانة مال فيها مائة وخمسين ألف دينار فلما رأت علوى ذلك فرحت فرحا شديدا وقالت اعلموا أن الظلام قد أحال بيننا وبين القوم وليس لنا إلا نضرب وجوه هؤلاء القادمين علينا بالحسام ولا نترك أحدا يصل إلى هاهنا إلى أن يصبح الصباح وترحل عساكر الدجا منكسرة وتقع العين على العين ونرتب فى كل مركب مائتين بطل فقالوا هذا هو الصواب وقصدوهم الروم فى عالم عظيم من عوام البلد والسوقه فالتقوهم المسلمين بسيوف حداد وسواعد شداد ورجال معودة للجلاد وعمل الحسام وطلع الغبار وزاد الظلام غتام وعظم الامر على الانام وعملت سواعد الابطال فى رؤس العوام هشمت العظام ونزل الحام فى الهام ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى أن هربوا الكفار ونصر الله المؤمنين الابرار وغلقوا الباب بينهم وبين أهل البلد وقالوا المعونه من الواحد الاحد الفرد الصمد سبحانه ليس له ثانى فى العدد وليس له والد ولا ولد رفع السماء بغير عمد وبسط الارض على ماء جمد وأرسا الجبال بغير سند وأحصى جميع المخلوقات عدد ولا يحتاج إلى وزير ولا مشير ولا ولد هو الله الملك الاحد ولم يزالوا كذلك إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد امتلأت الارض

من الأشباح وعمدوا المسلمين إلى المراكب وصعدوا فيها وقد طلعوا أهل البلد على الأصوار ورموهم بالأحجار وقد ارتفعت أصواتهم بالويل والعويل وأجابوهم المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير صاحب الآيات والتفضيل هذا وقد صعدوا عشرة آلاف فى ثلثمائة مركب مائتين وباقى العسكر ركبوا فى مراكب الصيادين وفى الحراقات والعشاريات فعمروها فى الحال وقدفت الرجال وحملوا الزاد والسلاح ورفعت الصاريات ومدت القلوع وعزموا الناس على الدخول وفى تلك الساعة وصل المانسطر من القلاع والضياع وقد جمع عشرين ألف بجمع العصا وأرسل يطلب المينا ليقلع بهم إلى بلاد أفرنجة فوجد الناس على تلك الحالة ووجد الناس والقسطنطينية فى أسوأ حال وأعظم نكال فسألهم ما الذى دهاهم فأخبروه بالقصة على الجلية فبكا ولطم على وجهه ورأسه إلى أن وقع مغشيا عليه ودخل على الحاجب مارس وقال ما هذه المصيبة التى وقعت بنا وما هذه الفعلة التى جرت عليه فقال مارس يا مانسطر أنت ترى ما أنا عليه من المرض وحق الصليب والصلبوت إننى فى هذه الأيام أموت وما عندى من ذلك خبر ولو كنت فى حال العافية لما تم مثل هذا علينا ولولا أن المسلمين كان لهم عندنا جواسيس ولولا أنهم فتح لهم الباب لما قدروا على أن يأتوا إلى المراكب ولكن هذا الأمر قد فرط فيه الفرط وقد سلمنا فيه من العطب ولا شك أن المسلمين قد سمعوا بخبر أميرهم عبد الوهاب ومن معه من الأصحاب لجاؤا إلى هذه المراكب ليعملوا على خلاص أميرهم والصواب أننا نأخذ هؤلاء البطارقة الذين تعقبوا ونسير بهم إلى الملك منويل من طريق اخرى من البر قبل أن يلحق هؤلاء ليدبر الملك هناك ويخرج إليهم ويحول بينهم وبين مرادهم وقد انفصل هذا الأمر واندفع عنا هذا الشر فلما سمع المانسطر كلامه ضحك وقال له لقد كنت عندى عاقل ولكن أنت الآن معذور لأن أضراب جسمك من هذا المرض الذى أنت فيه تقول لى خذ معك البطارقة وسر بهم إلى الملك وبيننا وبينهم خمسة وأربعين يوم وإن طاب الهواء لهم وصلوا فى عشرة أيام وأقل من ذلك فقال مارس أو يعيقهم المسيح فى البحر ويعيقهم شهرين فقال المانسطر وحق المسيح لو ما كانوا أصحابنا نيام ما فعل بهم ذلك وأما المسلمين فما نجسر عليهم وكان هذا الكلام من الوزير على سبيل الغيظ والحنق وأما المسلمين فانهم ازعجوا القلوب بتسبيحهم وتقديسهم وتهليلهم إلى أن سبحت معهم الحيتان فى البحار بتوحيد الملك الجبار والصلاة على سيدنا محمد النبى المختار ولما أظلم الليل وأضاء النهار أقبل المانسطر على البطارقة وقال لهم اعلموا أن المسيح قد طلع على

قبح أعمالكم وعلم بأفعالكم وأنكم جئتم بغير اختياركم فملك المراكب لعدوكم فقالوا ما لنا حيلة فى ذلك ولو أمرتنا أن نمضى بين يديك لفعلنا فقال المانسطر ما أنا بصورة من يفعل هذا وحق المسيح ما كان الملك يسمع هذا على حقيقة إلا يضرب رقبتى ورقابكم فعودوا إلى مواضعكم لعل أن يأتى فى العرضيات ما لم يكن فى الحساب (قال الراوى) هذا جرى من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك منويل فانه لما سار فى تلك العساكر العظيمة ودخل إلى بلاد أفرنجية ونزل عليها وقد انضافت إليه سائر العساكر من القلاع والحصون والبلاد حتى صار فى ألف ألف فارس ووصلوا إلى أفرنجية فوجدوا الحصار على حصنها فخرقوا الدور والبناء الذى حول القصر الذى فيه الامير عبد الوهاب وأصحابه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وانتشروا من حولهم مثل الجراد ونصبت العرادات والمناجيق وكان قد قل من عندهم الزاد كما ذكرنا وأشرفوا على العطب كما وصفنا وعظم القتال واشتد النزال وعظم الزلزال وكان عقبة مع الملك منويل فى خيمة مفردة وقد أقام الحرس عليها من فزعه من أبو محمد وهو يحرض الملك على القتال ويقول إن الاسلام كله عندك فى هذا القصر وإذا أخذته تكون قد ظفرت بالمنا وشفيت الفؤاد من الاعدا والملك يقول له أيها الشيخ النجيح وحق السيد المسيح ما بقى لهم من هذا خلاص وفى هذه الايام يصل أسطول من البحر وينقطع عنهم المادة من صيد الاسماك وما فيهم إلا من يهلك فقال عقبة يا مولاى هذا الذى أريد وما أريد غيره وما أبالى بعده بأى موتة كانت وما كان فى قلبى حسرة إلا أن تقع هذه العاهرة فى يدى وهى ذات الهمة التى قد أخذتنى من هذا القصر وهى التى سلمت هذا القصر إلى ولدها فلا كانت ولا استكانت فما هى إلا آفة الزمان ولا تنسى ولدها ولا ولده سيف الحنيفية (قال الراوى) وأما الملك منويل فانه زحف إلى القصر يوم الاحد بعد ما صلى فى الكنيسة التى فى البلد ثم زحف طالب القتال وخرج الامير قراقد وسعيد بن الفرج ومالك بن طوق وأبو الهزاهز وبرد بن الازهر والملك الكندفرون والملك البطليموس وباقى الالف الذين أسلموا مع الملك ونظر الملك إلى ذلك فأقبل على البطارقة وقال ما نريد أكبر فضيحة من هذه أن يكون هذا الزنيم يضرب معنا مصافا وهو فى هذه الارزال فقال عقبة لا تستبعد هذا فهؤلاء القوم قد استقتلوا وإذا استقتل الانسان رمى روحه فى مائة ألف لأنه ما يصيبه أكثر من قتله واحدة (قال الراوى) وبرز البطليموس فى تلك الساعة إلى مقام الحرب على جواد قرطاسى وهو كأنه سلهب يسوى قنطار من الذهب مليح من الخيل

الجياد له زجره وأرعاد كأنه من خيول قوم عاد وراكبه على مهل إن طلب لحق وإن طلب لم يلحق وهو كما قال فيه هذه الأبيات :

لقد ركبت إليه تحملني طرف كمثل اليد تحملني وقد
طارت به رجل محجلة فكأنها يا صاحي وقد
وكأنه ليـــل يسيل إذا أطلقته وإذا حبسته جمد

(قال الراوي) وعليه درع داودي هندي ورمح خطى فجال بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بالافرنجيه يامعاشر النصرانيه من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا الملك البطليموس صاحب جزيرة المرجان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الملك وله الحمد وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى قد خلصني بعد الهلاك وعرفني التوحيد بعد الإشراك ثم إنه طلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه الملك الاندرياس أخو الملك منويل لأنه عرف أن الملك البطليموس ملك ابن ملك كبير فخرج أخو الملك منويل وقد فرحت الروم وترجلت بين يديه فى عشرة آلاف بطريق بالتراس الصفاق والسيوف الرقاق هذا وقد امتلأت الدنيا بالصراخ والزعاق والصياح وجردت الصفاح وفارقت الأشباح الأرواح وارتعدت المفاصل وقصدت المقاتل وحمل الاندرياس على البطليموس وكان يوم عبوس وطلع عليهم الغبار ورمقتهم الأبصار وعمل الصارم البتار ثم إنهما تضاربا بالسيفين حتى تثلما فى أيديهما ولم يبق غير المقابض واعتمدوا على ضرب الشكائم وعولوا على قطع الأعناق والغلاصم هذا والملك البطليموس قد أطبق على الاندرياس ورما نفسه عليه ثم إنهما تعاركا على سروجهما إلى أن وقعا على الأرض فقال عقبة لا تهمل أمر الاندرياس فيهلك ويأخذه هذا الشيطان المريد فانى أعرف منه مالم أعرفه من غيره فقال الملك وما الذى أصنع فقال تأمر الناس عليه بالحملة فقال كيف نعمل وقد أنصفونا المسلمين وقد خرج فارس لفارس فقال عقبه اعلم أن الغدر حرمه المسيح على النصرانيه بعضهم لبعض إلا أن يكون سبق منهم فاحمل عليهم فأمر الناس بالحملة عليه كما أمره عقبة فنظر الأمير عبد الوهاب إلى حملة الروم فحمل عليهم وكان سبق إلى البطليموس ذات الهمة وسيف الحنيفية والأمير قراقد فخلصوه وأخذوا الاندرياس أسير ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترقوا إلى مضاربهم وفى تلك الساعة أقبلت الأميرة علوى بالمراكب وأرست

قريبا من الميناء وقد ضربت البوقات ودقت النواقيس وتكلموا بالرومى كما أوصاهم لؤلؤ فلما سمع الملك ذلك فرح وقال لعقبة هذا الذى كنت أوعدتك به فقال عقبة لابد ماأنزل إليهم ثم أنه أوقد الشموع ونزل إليهم فى بعض القوارب وأما عبد الوهاب حمل الهم لما رآهم وقال هذه نجدة أتتهم ولم يعلم كيف الحال ولما وصل إليهم عقبة قبضوا عليه وضربوه ضربا وجيعا وكان معه البترك وولده عشرة من خواص الملك وقال لهم لؤلؤ هذه مراكب المانسطر والدمستق الذى أرسل لهم الملك الهدايا والتحف كما قال لهم عقبة اللعين وحرب ابن شيبان وولده عبدالمسيح ولما ضربوهم وقيدوهم طلع لؤلؤ وابراهيم وعلوى إلى عند الامير عبدالوهاب وأخبروه بالخبر ففرح بذلك فرحا شديدا وكذلك الأمير أبو محمد والأميره ذات الهمة ثم إن الامير عبد الوهاب سأل عن ولده ضيغم وعن الأمير عمرو بن عبيد الله فقال له لؤلؤ الرشيد أرسل إليهم وسار بهم إلى أرض الحجاز لأنه قد خرج عليه خارجى يقال له ظالم بن الغريب وهو فارس زمانه وأنه قد ملك مكة وأرض الحجاز واستولى على اليمن وصنعاء وعدن ولم يمكن الرشيد فعادعن دين الإسلام فلما سمع الامير عبدالوهاب ذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ثم إنه أمر لؤلؤ أن يأتى بالرجال الذين فى القوارب وهم ثلاثين ألف فارس وأن يخلى فى كل مركب عشرة رجال من أصحاب الكندفرون يحفظونه ففعل ذلك ولما أصبح الصباح حملت المسلمين على القوم الكافرين فتعجب الملك منويل من ذلك عجبا شديدا ووقعت المحاربة وثار الغبار بين الفريقين إلى وقت العصر فانهزمت الروم وغنمت المسلمين غنيمة عظيمة وقد دخل فى تلك الساعة أبو الشرشو مدرس وولده دهرشوم وزوجته شوما وكانوا فى بيت المقدس ولما سمعوا باسلام الكندفرون أقبلوا فوجدوا نار الحرب تشعل فسأل عن عقبة فأخبروه بخبره وخبر الملك فقال إنها حيلة تمت عليكم ولكن سأدبر أمرا ثم إنه نزل فى مركب صغير وسار حتى وصل إلى المراكب فوجدها خالية فسرقها واحدة بعدواحدة حتى جاب الكل إلى الميناء وقال نحن نقاتل فان ظفرنا كان المراد وإن انهزمنا ركبنا المراكب وطلبنا القسطنطونيه قبل وصولهم إليها يملكوها ففرح الملك بذلك ولكن عسر عليه عقبة وأسره وحرب بن شيبان وولده هذا ولم يعلم الأمير عبدالوهاب بالخبر لاجل المقدور ثم ان شو مدرس أمر عشر مراكب أن تشعل الشموع والمشاعل وتلج فى البحر ففعلوا ثم إنه نادى يا أبا محمد إن عشر مراكب فى البحر ولم فيها أحد وأنها من مراكب الملك منويل فنزل أبو محمد والامير عبد الوهاب وذات الهمه وميمون الجماس وأبو الهزاهز وتشمم وقراقد وهارون العلوى وراشد بن

ضمرة والأمير إبراهيم ونزلوا فى مركب وأبو محمد قال لهم إنى سائر إلى عسكر الملك منويل وأكشف خبره لعلى أظفر به فقال له الأمير عبد الوهاب نعم الرأى ثم انهم ساروا فى المركب حتى وصلوا إلى تلك المراكب وليس معهم عدد ولما توسطوا البحر قبضوهم قبضا باليد وأوثقوهم كتافا وطلعوا بهم إلى منويل وأخبروه بذلك ففرح بذلك ثم ان شومدرس دخل خيمته فما وجد ولده ولا زوجته فعسر ذلك عليه وكان أبو محمد سرقهم ورجع إلى منويل وقال له قم أنظر كيف الخبر فقام وخرج من خيمته ومشى قليلا فاختطفته غلمان أبو محمد وأوثقوه كتافا ومضوا به فبلغ ذلك شومدرس فعسر عليه وقال أنا أريد أمضى إلى الاسراء ولكن أخاف من أبو محمد يسرقنى فمشى معه مائة فارس احتاطوا به وبقى خائف على نفسه يمشى ويتلفت وكان أبو محمد مختلط فيمن معه وقد عمل له لحية كبيرة وبطن كبيرة وشوارب كبار وصبغ جلده فلا أحد يعرفه ثم انه أقبل على الأمراء فضرب الأمير عبد الوهاب برجله رماه إلى الأرض وبصق فى وجهه وقال له ياصعلوك وقعت ثم جرد سيفه وأراد أن يرمى رقبته فزعق عليه شومدرس وقال له لا تفعل فان زوجتى وولدى والملك منويل وعقبة وحرب ابن شيبان وولده عندهم وأخاف عليهم فقال له أخاف ان السراق أن يسرقهم وقد وقعوا كثير وخلصوا فقال له انك ناصح لدين المسيح ولكن تولى أنت أمرهم ففرح بذلك وصلب على وجهه وصار يضربهم ويرقص فهذا ما كان منهم ثم ان شومدرس أجلس الملك ميخائيل على الكرسى مكان الملك منويل وعقد راية الحرب على المسلمين والمسلمين سلموا القضاء لله وقدره وقاتلوا فى ذلك اليوم قتالا شديدا إلى وقت العصر فانهزمت السودان ودخلوا القصر وقد تعبوا تعبا شديدا وكان أبو محمد صبر حتى دخل الليل فذبح البطارقة وحل الأمراء وصار معهم حتى وصلوا إلى القصر فلما رأتهم السودان فرحوا فرحا شديدا وبلغ الخبر لشومدرس بهروب الأمراء والموكلين بهم قد ذبحوا فاغتم لذلك غما شديدا وكادت روحه تخرج من الغم وأعلم الملك ميخائيل بذلك وقال أنا خائف على نفسى من أبو محمد يسرقنى وهذا لا يعيقه شىء ثم انه خرج قاصد واد يسمى وادى السباع وكان به دير يسمى دير الحاجة وكان الملعون أخبر بكل أرض فسار من وقته وساعته حتى وصل الى ذلك الدير فدخل فيه وأما ابو محمد فانه خرج هو وغلمانه الى عند عسكر الروم يتجسس الاخبار فسمع بذلك فقال أنا أذهب اليه لعلى ان أظفر به فسار من وقته لما وصل الى ذلك الدير وكان به راهب يسمى سميع فطرق الباب فقال له الراهب من هذا فقال قوم سواحون هل أتى اليك قاصد قال نعم ان شومدرس

عندى فى الدير فقال له افتح لاجل ما نتبرك به ففتح له فدخل هو وغلمانه لما توسط الدير خرج عليه اللعين وأعوانه وقبض على أبو محمد وغلمانه وأوثقوهم كتاف وضربوهم ضربا وجيعا ثم انه قفل عليهم باب الدير ورجع أعلم الملك ميخائيل ففرح بذلك واشتدت عزيمته وركب على كسر المسلمين وركبت المسلمين عليه وتقاتلوا قتالا شديداً ولم يكن غير ساعة حتى أتت عساكر مثل البحر الزاخر وإذا به مرنموس بن كليموس ومعه مائة الف فارس فأقبل على الملك ميخائيل وسلم عليه وإذا بعسكر جرار حتى سد الاقطار واذا بهم البرغل وهم نحو مائة ألف فارس واسم ملكهم أسلاغورس وأقبلوا على الملك ميخائيل وسلموا عليه فلما رأوا ذلك المسلمين تعجبوا ولكن أصدقوا النية وتوكلوا على رب البرية وإذا بموكب أعظم وإذا بهم الدوفس فى مائة ألف فارس واسم ملكهم قيصرون فعند ذلك حمل عليهم الأمير عبد الوهاب وعلوى عن يساره وأمه عن يمينه وسائر الأصحاب وذار الفلك واشتد القتال وجرى الدم وسال وفتكوا المسلمين ذلك اليوم وقاتلوا قتالا شديدا ولما ولى النهار وافتقد الملك ميخائيل أصحابه فوجد الذى قتل خمسة وأربعون ألفا فعسر ذلك عليه ثم انه أرسل يطلب الفداء بمن عنده فأطلق الامير عبد الوهاب حرب بن شيبان وولده وعقبه وحاش عنده منويل وشوما ودهرشوم وسألهم عن أبو محمد فقالوا لم يكن عندنا منه خبر وكان الرسول اسمه تمليخا وقال لهم ان الملك يرد يخلى لكم الطريق ترجعوا الى بلادكم وانتم تتركوا سبيلهم وترفعوا القتال وتحلفوا له أنتم أيضا إنكم إذا خلصتم تتركوا الملك منويل وشوما ودهرشوم هذا وقد حلف الراهب بما وقع عليه الصلح (قال الراوى) ياساده يا كرام فعندها استوثق الامير عبد الوهاب من الراهب بالإيمان وعاد الرسول إلى الملك ميخائيل أعلمه أن الامير أجاب وحلف على ماطلبت فعندها رحل ميخائيل صوب وادى السباع وبقى الأمير على نية الرحيل (ياساده) هذا وإن ميخائيل لما رحل وسار قال له عقبة أيها الملك خذ معك من شئت من الخواص وسيربنا إلى دير الحاجة حتى أننى أوريك العجب هناك فعندها ترك العسكر فى طريقه سائر وقد عرج إلى دير الحاجة وأخذ معه ملوك النصرانية هذا ولما أن وصل إلى الدير صاح عقبة ياراهب ياراهب فلماأن سمع ذلك الراهب النداء أشرف عليهم سميع الراهب من أعلا الدير فلما أن نظر إلى الملك ميخائيل وإلى من معه وإلى عقبة وموكبه نزل إليهم وترامى على اقدامهم فقال له اللعين عقبة يا راهب هل وصل إليك احد فقال له نعم وقد قضيت الحاجه فعند ذلك ترجل عقبة وترجلت الملوك معه وقد مسك بركاب ميخائيل

وقال له انزل أيها الملك حتى ترى ماوعدتك به من العجب ثم إن عقبة دخل إلى الدير هو ومن معه من الملوك إلى أن وصلوا إلى وسط الدير وفتحوا سرداب ونزل عقبة وميخائيل وبقية الملوك إلى أن انتهوا إلى آخره وإذا هم بدهرشوم وشوما والملك منويل وهم جلوس فى ذلك السرداب فلما رآهم الملك ميخائيل بهت إليهم وأخذه العجب العجاب وقال لعقبة أيها الشيخ المهاب كيف كان خلاص هؤلاء مما كانوا فيه من المصاب فقال له اعلم أيها الملك النبيل إن ماهذا وقت حديث ولا كلام ثم إنهم تراموا على أقدام الملك منويل يقبلوها وهنوه بالسلامة من الآلام ثم إن الراهب سميع قد قدم لهم ما كان عنده من الطعام الذى للرهبان فأقبلوا عليه وجعلوا يأكلون وميخائيل ومن معه يتعجبون ولما أن فرغوا من أكل الطعام أحضر لهم شيء من الشراب فشربوا إلى أن طلعت الخمرة فى رؤسهم فعندها صاح عقبة ياراهب سميع هات ماعندك الآن فعندها مضى الراهب وغاب ساعة وعاد معه عشرون من رؤس السودان فلما أن نظر الملك منويل إلى ذلك صعب عليه وقال له ويلك من أمرك بقتلهم وقد استوثقوا منا بالإيمان فقال أيها الملك ماأمرنى بقتلهم إلا الشيخ النجيح فعند ذلك التفت الملك إلى عقبة وقال له لماذا فعلت هذه الفعال فقال له اللعين عقبة اعلم أيها الملك إن المسيح يقول من قتل رجلا مصلياً من أعداء الدين وجبت له الجنة وحظى فيها بالغفران والمنا فسكت الملك عن الكلام وقال لعقبة أنت أدرى بهذه الأحكام (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الملك وشوما ودهرشوم أمر عجيب وذلك أن الملعون عقبة لما أن سمع بذكر الفدا وأنه يخلص من الأعدا فرح فرحا شديدا فقال له الملك يا قاضى ماذا تصنع فى خلاصى أنا ومن معى وكيف تتركنى فى الاعتقال وتخلص أنت من المصائب والأهوال فقال له الملعون عقبة أيها الملك طب نفسا وقر عينا فما أبرح من هذه الديار حتى أعمل على خلاصك من الاسر والاضرار ثم إن عقبة الملعون التفت إلى السودان الموكلين بحفظهم وصار يتكلم معهم بالهذيان ويمزح معهم وتوصل إليهم بلين الكلام إلى أن ملك قلوبهم وقال لهم أنا أعلم أنكم صعاليك من دون السودان وليس يصل إليكم من هؤلاء القوم طائل لان العرب طماعه وأنتم عندهم فى عين النقص لانهم يقولوا إنكم عبيدهم وأنتم أشجع منهم وإنما يقاسى الرجل الشدائد ويصبر على الاوابد حتى تعقبه فائدة إمامن مال أو غرض وأما الرجوع بلا فائده فانه شماتة للأعداء فقالوا له كيف يكون العمل فى ذلك ونحن مقيدون بحفظكم فقال لهم عقبة أما أنا فانى أخلص بالغد وأما هؤلاء الثلاثة فانهم مقيمين

عندكم فقالوا له ولم ذلك حتى إنهم لم يخلصوا فى صحبتك ومن يكون الواسطة فقال لهم أنتم إن كان لكم سعاده فقالوا له ومن أين تأتينا السعاده والاسعاف من بين هؤلاء القليلين (قال الراوى) فلما علم الملعون منهم لين الكلام قال لهم فما قولكم فيمن يغنيكم بالمال فقالوا له وكيف ذلك أيها الشيخ المفضال فقال لهم اعلموا أنه قد حصل لكل واحد منكم عندى ألف دينار فقالوا له السودان وقد اندهلوا ومن أجل إيش يكون ذلك بين لنا حقيقة الحال والمقال فقال لهم عقبة يكون ذلك لكم إن أنتم خلصتم الملك وهذين الاثنين للذين معه فى الاعتقال يعنى شوما ودهرشوم فقالوا له نحن ما نقدر على ذلك وكيف نعمل فقال لهم عقبة أنا أعلمكم كيف تخلصوهم وتنجوهم وهو أنى إذا أنا خلصت بالفداء لابد أن أعمل على القتال بين القوم فاذا اشتغل الأمير هو ومن معه بالقتال ووجدتم أنتم فرصة خذوهم واهربوا بهم فقالوا وإلى أين نهرب فقال لهم اعلموا أن تحت ذلك الجبل الذى ترونه قصادكم دير مبنى بالحجر الاسود وتحته أشجار والماء داير به وهو لا يخفى عليكم فاذا وصلتم إليه فان فيه راهب يسمى الراهب سميع وها أنا أكتب لكم كتاب تعطوه له وهو يبلغكم غاية الارب فقالوا له نحن نفعل ما تريد ولكن تحلف لنا حتى تطمئن قلوبنا فعند ذلك حلف لهم عقبة وحلف لهم الملك على ذلك ولما استوثقوا منهم بالإيمان أتوه بدواية وقرطاس وكتب كتاب إلى الراهب سميع يقول له فيه أيها الراهب اعلم أن الواصل إليك هؤلاء القوم من السودان ومعهم الملك منويل وشوما ودهرشوم فاعمل على هلاك السودان واحتفظ بالثلاثة إلى أن أصل إليك واترك الملك يواليك بالإحسان والسلام ثم إنه سلم الكتاب إليهم وأوعدهم بالمال ولم يعلموا لما دبر الملعون عليهم من الاحتيال ولما أن تخلص الملعون عقبة بالفدا وسارت الروم إلى الوادى المقدم ذكره ونادى الامير بالخروج وأخرجت الخيام وخلى البلد من الاقوام ورجعت الروم ووقع القتال واشتغلت الفرسان والابطال بالحرب والنزال فعندها توائبت السودان الموكلين بالملك وشوما ودهرشوم وقد فكوهم من القيود وألبسوهم زيهم وخرجوا بهم والمسلمين مشتغلين بما هم فيه من القتال فلم يشعر بهم أحد وساروا بهم إلى أن وصلوا إلى الدير الذى ذكره لهم عقبة وهو دير الحاجة فلما أن وصلوا إليه صاحوا بالراهب سميع فلما أن سمع نداهم نزل إليهم فسلموا عليه ثم سلموا له الكتاب فلما أن قرأه أظهر لهم الفرح ودخل بهم إلى الدير وأنزل الملك ومن معه فى سرداب وقدم للسودان طعاما وكان فيه مرقد فلما أن أكلوا منه تمكن منهم البنج فتناوموا ووقعوا

إلى الارض فعند ذلك وثب الراهب إليهم وفى يده سكين ماضية ودنا منهم وذبحهم الجميع ولم يعلم الملك بذلك ولا أطلعه على شىء لأن عقبة كان أوصاه فى الكتاب أنه لا يعلم الملك بهذه الاسباب فهذا كان السبب والله أعلم بالصواب (وعندنا إلى سياق الحديث الاول العجيب) وذلك أن الملك لما رأى السودان قتلوا لم يتكلم والتفت ميخائيل إلى عقبة وقال لا عدمنا هذه الهمة العظيمه فقال له عقبة أيها الملك قد بقى لى إليك حاجة فدعوا عنكم فيها اللجاجة فقال قل ما تشاء أيها الشيخ النجيح قال اعلم يا ملك أن الناس فى قلق عظيم من البطال وغلمانه واعلم أنه ما يصح لى عمل إلا أن شفيت غلة صدرى منه ومن غلمانه وأقتلهم عن آخرهم وإن لم تمكنونى من ذلك قطعت زنارى وكسرت صليبي وكفرت بدين النصرانية ورجعت إلى دين الاسلام وما قصدى بقتلهم إلا حتى يخلو وجهى منهم وأستريح وأعمل بعد ذلك عملا أملكك البلاد وأقعدك على سرير بنى العباس فلما سمع الملك ذلك قال له افعل ما تريد فنحن باختيارك وطوع يدك فأمر عقبة بالبطال فسحب فى ثياب الذل والهوان إلى أن حضر بين يديه فقال له يا بطال كم يمهلك المسيح وقد أخذك الآن أخذة رابية ثم قال هاتوا رؤس المقتولين حتى يراهم فعند ذلك أنجع بهم أحبابهم فحضرت الرؤس وهى مخضبة بالدماء وقال له ويحك هذا رأس عبد الوهاب وهذا رأس قراقد وهذا رأس أبو الهزاهز وهذا رأس ميمون الجماس وهذا رأس قرقود فلما نظر أبو محمد إلى ذلك قال لا إله إلا الله مضى والله الامير عبد الوهاب إلى رحمة الله ولم يوف بنذره ولا أقسامه وكيف يكون ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم قد وعده فى النوم بذلك وهو لا يتمثل به شيطان فقال عقبة ويلك يا شيطان قد عابت فى أى شىء أنت مفكر ثم أن عقبة جذب سيف أمضى من القدر وهزه فى كفه حتى سطع ولمع وأضاء وتشعشع ودب الموت فى جنباته كدبيب النمل على حبك الرمل وهم أن يضرب به البطال هذا والبطال قد أيس من الحياة وقال والله سئمنا الحياة فى هذه الدنيا واشتقنا الرواح للآخرة وإذا بالراهب سميع دخل عليه ووقف بين يديه وقال يا قاضى لا تعمل فتقع فى الذلل فقال له ما وراءك فقال اعلم أن على الباب عشرة أمراء وأظنهم المسلمين فتغير لونه ولبس عليه ثياب الاصفرار وقال كلمتهم فقال لا وحق المسيح ولكن نادونى أن أفتح لهم فلم أجيبهم فرما الملعون السيف وصعد إلى الدير فلما رآهم سلح فى سراويله وقال عقبة يا راهب هؤلاء فرسان المسلمين الذين أخربوا

كنايس الروم وأفنوا الرهبان والقسوس فقال سميع رأيت ياسيدى فيهم غلام أسمر كانه حسام مجرد فقال له عقبة هذه الداهية ذات الهمة النار المسعرة والذى يليها هارون العلوى فكم من فارس قد قتل ثم قال ياسميع أنا رايح آخذ الاسارى وأنزل إلى السرب وأنت إذا كلموك تقول انى رجل هنا منفرد بالعبادة فى هذا المكان من عمر نوفيل وقد احتجبت عن أهل هذه الديار وانى أبغض الناس فيهم من طريق انهم يجعلون لله زوجة وولد ويجحدون ما كان عليه المسيح والحواريون فانهم إذا سمعوا ذلك أنسوا إليك ثم يقولون لك هل عبر بك أسارى من أهل دين الاسلام فقل لهم لا وما جاء به محمد عليه السلام ما عبر بى إلا منذ أيام بطارقه ومعهم أسارى ونزلوا على باب الدير وطرقوا على فلم افتح لهم فمضوا إلى مغارة الدب ودخلوا فيها ولا أعلم ما كان منهم ولا فى أى صوب أخذوا وأرمى بيدك إلى سفح الجبل فان مضوا سلمنا فى خروجنا وتوصلنا إلى العسكر قال الراهب فان قالوا لى افتح فكيف أصنع فقال عقبة افتح لهم حتى تتمكن منهم قال فاذا رأوا أبدان القتلى وسألونى عنهم ما أقول لهم قال احتج عليهم بما تشاء ثم ان الملعون عقبة أخذ الملوك ونزل إلى السرب وان الاميره نادت ياراهب فأشرف اللعين عليها وقال ياقوم ما الذى تريدون وأنا كلب عقور وأن المسيح أمر بالعزلة والانفراد فقالت الاميره انزل وافتح لنا الدير فقال ياقوم ما الذى تريدون منى وأنا عبد مشتغل بذنوبى وأخشى فى القيامة أن يطلع أحد على عيوبى ولا أبلغ مطلوبى ثم نزل وفتح الباب ووقف أمامهم كانه متعجب ثم قال أن صدقنى حذرى فانتم الامة التى فى الكتاب فقالت الاميره أى أمة تعنى فقال أمة سيد الخلق ورسوله الحق فقالت الاميره نحن أولئك القوم الذى ننزه من لا تأخذه سنة ولا نوم فما اعتقادك أنت قال أعبد الواحد الأحد الذى تنزه عن الصاحبة والولد فلما سمعت ذلك منه تقدمت اليه وقالت فاذا انت من احبابنا ومؤمنا من اخواننا فما منعك ان تخرج إلى بلادنا وتكون فى أوطاننا فقال ياقوم أما علمتم ان مقامى هاهنا أوحد بين من يشرك ويكون ثواب العبادة أفيد وأبرك فقالت الأميره والله قد صدقت فما يضرك إذا كنت بين المجاهدين أو إذا وحدت بين المشركين فنحن من أمة محمد خاتم النبيين وقد جئنا من العسكر فى طلب شومدرس اللعين وعقبة المهين فهل عندك منهما خبر قال لا والله ولكن من أيام عبر على أقوام ومعهم أسارى ومضوا بهم إلى مغارة فهل لكم ان تدخلون الى الدير وتحمون بزادى وربما مضيت معكم إلى بلادكم ولا أصبر

على مفارقتكم (قال الراوى) عندها ترجلوا الامراء وصعدوا إلى أعلى القلعة وتركوا خيولهم فى دهليز الديروان الراهب نزل إلى السرداب واعلم الملك وعقبة ان القوم قد حصلوا عندى فقوموا اليهم وخذوهم فقال عقبة وحق المسيح لو خرجنا إليهم ولو كنا بعدد الحصا لهلكونا فقال الراهب أنا آتيكم بواحد بعدواحد وأول ما آتيكم بذلك الأمرد يعنى ذات الهمة فقال عقبة أحسنت يانحس وحق المسيح ان أنت نزلت به الينا صح موتنا قال وكيف ذلك قال لان ذلك الأمرد لايفكر فى صاحب ألف لحيه ولكن ان كان عندك بنج بنجهم فقال ما أملك بنج ولكن عندى من حشائش هذا الجبل ثم صعد ووضع لهم منه فى الطعام فناموا فأتى إليه وقال أيها الشيخ النجيح قضينا الحاجة وقد أخذت القوم فقام عقبة يرقص والملك يصفق وشومدرش يحلق إلى أن صعدوا إلى القلية وإذابالقوم مطرحين كالحجارة فحملوهم واحد بعد واحد إلى المطمورة التى فيها أبو محمد البطال فقال كلمة لا يخذل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فقال عقبة ياأبو محمد وحق المسيح لم بق لكم من هذا الضيق مخرج وقد اشتد بك الحرج ولابد لى أن أعاقبك وأدع البطارقة تعذب ذات الهمة وعينك تنظر ولا تقدر تدفع عنها ضرا ولأنزلن بغلمانك الذل وكذلك أفعل بك فبينما هو يخاطبه هذه المخاطبه إذ اقبل سميع الراهب وقد نزل من قليته وهو يرجف فقال له عقبة ماوراك فقال أيها الشيخ النجيح إنى رأيت غيره قدطلعت فتأملتها وإذا هى قد انكشفت عن عسكر مكسور وقد حل بهم الويل والثبور (قال الراوى) فلما سمع اللعين عقبة ذلك صعد إلى القلية ونظر واذا بعساكر منويل متفرقة وقد رموهم من المسلمين ببايقه وجموع عساكر المسلمين عليهم دافقة وقدقصدا الى الدير زهاء عشرة آلاف فارس من الروم فنزل عقبة إليهم وسألهم ما الخبر فقالوا أيها الشيخ النجيح عملنا الذى أمرتنا نه فعاد علينا وباله فلا بارك المسيح فى طلعتك فما كان أيشم رأيك ومشورتك (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان السبب فى ذلك أن الامير عبد الوهاب لما صالح ملك الروم ميخائيل وخرج هو وعسكره إلى ظاهر القصر عول الامير على الرحيل إلى بلاد المسلمين فقالت الأميره يابنى مانقدر على النزول حتى نبصر ما يكون من الفعال ولابد لى من طلب أبو محمد حيث كان ثم أخذت أولئك الأمراء العشرة وسارت بهم وأن الامير عبد الوهاب طلب شوما ودهرشوم والملك منويل فلم يجدهم وفقد العشرة سودان أصحاب قراقد فصعب عليه وقال للكندفرون والبطليموس اتبعوا عساكر الروم فعسى ان تقعون على أخبارهم وجلية آثارهم فعند ذلك مضى البطليموس

وللكندفرون واختلطوا بالقوم وتسمعوا عليهم واحترقوا سرادقاتهم وسمعوا ما قالوا وعادوا إلى الأمير عبد الوهاب وقالوا أيها الأمير العجل العجل قبل حلول الأجل فقال الأمير وما ذلك قالوا لأن اللعين عقبة قد أوصاهم علينا ودبر على هلاكنا وذلك أنه أوصاهم بأن يكنوا بازاء الدرب وهو درب الجنادل الذى لا بد لنا من عبوره لأنه ضيق لا يكاد يعبره إلا الفارس فى أثر الآخر وقد أكمن عن يمين الدرب خمسين ألف فارس وعن يساره كذلك وأمر أن يصعد أعلا الجبل من الجانبين عشرة آلاف يرمون بالحجارة فاذا توسطنا الدرب تخرج المائة ألف عن أيماننا وشمائلنا ويطبقوا علينا خمسين ألف من ورائنا وقد بعثوا الجميع ثقلهم مع قوم آخر يكونوا قاطع الدرب وأوصى العشرة آلاف الذين فوق الجبل أن يرمونا بالاحجار والاحطاب والاخشاب ويضرموا فيها النار فيحرقونا (قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله لو تم علينا هذا الأمر لكنا هلكنا عن بكرة أبينا ثم أن الامير عبد الوهاب ادعى بولده سيف الحنيفية وضم إليه عشرة آلاف فارس وقال له يا بنى اكمن أنت فى موضعك فاذا صعد أخوك قشعم من الجانب الثانى من الجبل وخرج كمين القوم دونك واللئام ثم ان الأمير ادعى بولده إبراهيم بن علوى وقال له خذ البطليموس والكندفرون وخمسة آلاف فارس والحق بالثقل والمال الذى الروم واهجم على القوم فالبدره لمن بدر ثم أوصى الامير قشعم كذلك ومعه خمسة آلاف وقال أقصد الجانب الآخر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما رتبهم الامير كذلك وقصد قشعم يمين الدرب وسلك الاميرداخله واكمن سيف الحنيفية وانقطعت الخيل فعند ذلك خرجوا وإلى طلب الامير عولوا وأرادوا أن يدخلون الدرب فى أثره ويرفعون أصواتهم وإذا بسيف الحنيفية قد خرج من مكمنه ونادى يا كلاب الروم حل بكم الوقت المذموم ها أنا سيف الحنيفية ودامغ النصرانية ثم حمل فيهم ومكن السيف منهم عندها حملت الابطال وداست الاقيال وصدمت الرجال الرجال وتراكمت الاهوال وتغيرت الاحوال وحضرت الآجال وانقطعت الآمال وبطل المحال وشمرت الحرب عن ساق وسروال وكثر الرهج والزلزال ووقع بجيش الكفر النكال وخافوا أهل الشرك والضلال وصار التراب للعيون أكحال وحمحم كل أدهم صهال وارتجت بجلبتهم الجبال وعمل الصارم الفصال ووقع فى الروم الفشل والخبال وأسر من خيارهم ثلاثة آلاف فارس من كل بطل مفضال وفرح سيف الحنيفية بتمام الكمال وانهزم منهم عشرة آلاف هاربين وإلى نحو الدير طالبين فهذا كان السبب وأما

الأمير عبد الوهاب فانه قصد ميمنة الدرب وهو يزأر كالاسد وطلب قشعم الميسرة وكان ملتقاهم سواء فنادوا يا أهل الايمان دونكم والاندال و فعندها تصادموا كالموج المتكاثف ولمعت أسنتهم كالبرق المتخاطف وازدحمت الابطال فى الجولان ووزن كل واحد منهم صاحبه بميزان وعظم الصراخ ونصبت الفخاخ وخاف الجبان وانهزم وخرس اللسان وانعجم واختلفت امم ونصر الله الموحدين ورحم وحكمت السيوف فى القلل والقمم وضحك الحسام وابتسم وتغير الجوواد لهم وأما سيف الحنيفيه فانه هزم من هزم وبعث نصف عسكره معاونة لقشعم وسار بالنصف الآخر للامير لمقدم وصاحوا احملوا على الكفار فقد نصرنا الله على اللئام الفجار وقد هزمنا من كان على باب الدرب وأنزلنا بهم الكرب فلما سمعوا ذلك الروم علموا ان طالعهم مذموم وعظمت فيهم الجراح والأورام وأيقنوا بالوبال فنزلوا عن الخيل فى المجال وتسلقوا فى الجبال (قال) فلما نظروا إلى ذلك العربان والسودان تبعوهم من كل مكان ونادوهم ياعبدة الصلبان تقليق الجبال والتسليق فى القلل العوال شغلنا ثم أنهم ترجلوا فى أثرهم وتسلقوا فى الجبل من ورائهم وأقبلوا يصيدوهم بالارجل وينكسوهم من أعلا الجبل ورموهم على الرؤس وأحاطوا بهم البؤس وملكوا الخيل عليهم ومدوا اليهم أيديهم ونصر الله المؤمنين وخذل الكافرين وأخذوا الاسارى والاسلاب واجتمع سيف الحنيفية بوالده عبد الوهاب وقال له ابشر بنصر رب الارباب (قال الراوى) وبينما الامير يتحدث مع ولده سيف الحنيفية وإذا بفارس يركض حتى وقف بين يدى الاميرعبد الوهاب فقال له الامير ماوراءك يامبارك فقال يامولاى أن الامير ابراهيم يسلم عليك ويقول لك اننا كبسنا الروم وأنزلنا بهم اللوم وأعاننا عليهم من له البقاء والدوام وانهزموا وقد أخذنا البترك عندنا وملكنا الخزائن والاموال وأخذنا عشرة آلاف أسير فقال له الأمير عبد الوهاب وعقبة ما رأيتموه فقال لا والله يامولاى الأمير شو مدرس فلما سمع الأمير ذلك قال والله لقد وقعت فى خبال من غيبة أبو محمد البطال والأميره ومن معها من الامراء وانى اخاف ان يكون الملعون شومدرس قد أسقاهم كؤس الوبال ثم أن الامير نزل قاطع الجبال والدروب وتجمعت بين يديه الاسارى والاسلاب وقدم له الاميرابراهيم البترك فلما وقف بين يدى الامير فقل له ياشيخ الضلال ابن عقبة وشومدرس وشوما ودهرشوم والملك منويل قال أيها الامير ما عندى منهم خبر فلما سمع الامير ذلك قال والذى ارسى الجبال وقدر الآجال وبعث إلى الخلق سيد الرجال فهو

النبى المفضال صلى الله عليه وسلم لئن لم تعلمنى بهم لأسقينك كاس الوبال ثم أنه صاح خذوه فتقدمت إليه السودان وسحبوه وعلى الارض جرجزوه وقال لهم الامير اضربوه فضرب سوطين فاثرت على جنبه وأحس بالموت فقال أيها الامير اصبر على والقوم فى دير سميع الراهب فكن لهم طالب (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان البترك لما علم بما عمل عقبة وشومدرس بالبطال وكيف أخذوه إلى دير سميع الراهب وحدثهم أيضاً عقبة بما أوصى به السودان أصحاب قراقد وأنهم حملوا الملك إلى الدير وشوما ودهرشوم وعقبة معه العلم بذلك (قال الراوى) ولما علم الامير أنهم فى الدير بعث سيف الحنيفية فى أربعة آلاف فارس فكبسوا الدير فما وجدوا فيه من يخبر بخبر (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه لما قدمت العشرة آلاف فارس المنهزمين إلى الدير طالبين ونزل عقبة إليهم واستخبر عن حالهم وأعلموه بما جرى من هزيمتهم وان الحيلة التى عملها عقبة لعنه الله قد رجع وبالها عليهم فعاد عقبة إلى الدير وقال للملك قم الآن والا نؤخذ الساعة كلنا ونقع فى شباك البلا ثم انه أعلمه بهزيمة العسكر فقال منويل من أين يعلمو أننا هنا فقال أيها الملك البترك يعلمهم بحديثنا لان المسلمين ربما قبضوا عليه ويعاقبوه وهو نحيف الجسم لا يحمل عقوبة فيقر علينا فنهلك فقام الملك منويل وخرج من الدير وسار مع العشرة آلاف بطريق والبطال وغلمانه معه فى أشد وثاق وباقى الامراء وترك الدير بلقع وقصد إلى قلعة فى ساحل البحر على صخرة صماء ملساء فى الماء والقلعة شاهقة تعرف بالشهباء واسعة الفناء عالية البناء لا يفزع ساكنها لانها مجاورة الفرقدان وساكنها رهبان لها بابان من النحاس لا يعرف درعها من الرأس ولا يقدر عليها الناس ولا تحتاج لبواب كما قال

وقلعة شاهقة فى الهوى تكاد ان تلحق أفق السماء

فلما رأى عقبة إلى تلك القلعة تسلق فى الجبل فما وصل بابها الا بعد تعب وطرق الملعون الباب فأشرف مارس المقدم ذكره وقال من أنتم ياهؤلاء فقال عقبة اعلم يامارس أننا قد انهزمنا من أعدائنا والملك منويل معنا وأخوه وولده فافتح لنا لنكون عندك فقال مارس مالكم عندى موضع فاطلبوا لأنفسكم النجاة فقال له عقبة لا تفعل يارأس الراهبان ويامن هو عند الروم عظيم الشان افتح لنا فان وراءنا الطلب وان نزلنا من الجبل نزل بنا الويل والحرب فقال لهم الراهب وحق المسيح لو أدرككم الطلب لما صعدتم إلى عندى بل من مكانكم ترجعون فقال عقبة يامارس أنا الشيخ النجيح عقبة ابن مصعب ومعى الملك منويل وميخائيل وأرباب دولته

فلما سمع مارس قال وحق الصليب ان هذا يوم سعيد بقدوم الشيخ النجيح ثم انه نزل وفتح باب القلعة وتراما على عقبة يتبرك به ويقبل الأرض قدام الملك ثم أنهم دخلوا إلى الحصن وألقوا الاسارى فى مغارة فى وسط القلعة (قال الراوى) فلما استقربهم الجلوس صعد الملك إلى أعلا القلعه ونظر إلى بحر من تحته وتلك الكعبة مشرفة على سائر الأقطار فأعجب الملك حسنها فالتفت إليه ميخائيل وقال له أيها الملك اعلم ان هذه القلعة قد وقعت بقلبي وأريد ان تهبها وتقضى شهوتى فقال له الملك عند ذلك اعلم ان هذه القلعة لهذا الراهب ومن معه وقد صنع معنا جميل يفتحها لنا وما كنا بالذى نكافئه بالقبيح فقال ميخائيل أيها الملك انها قلعة مانعة ولا تصلح الرهبان لأن لها ضياع ورساتيق وانما يصلح لهذا الراهب موضع يكون فيه مع أصحابه ونعطيه قرية تقوم به فقال له الملك سندبر ذلك ان شاء المسيح (قال الراوى) ياساده يا كرام وكان بعض أصحاب الراهب حاضر لكلامهم فلما سمع ما قاله الملك أقبل على مارس وأعلمه بما جرى فلما سمع ذلك اجتمع مع أولاده وقال يا بنى اعلموا ان هؤلاء القوم يريدون ان ينتزعون ملكنا من أيدينا الذى ورثناه من آبائنا فقال له ولده الأكبر وحق المسيح لقد أخطأنا فى فتح الباب لهم وقد صاروا زهاء عن عشرة آلاف ونحن فى ألف رجل من الرهبان ومن أين لنا قدرة عليهم فقال له مارس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لاسلمتها لهم ولو سلموا لنا القسطنطونيه وهذا ما لا يكون أبدا فقال ياأبتاه فما الذى نصنع بهم فقال يابنى عندنا فى المطامير قوم أسارى مسلمين يقال عنهم انهم ألقوا الطعان وأنهم أهل الشجاعة فى الميدان وهم الذين أفنوا ملوك الروم والقسطنطونية وبلادها ومن الرأى اننا ننزل إليهم ونعاونهم حتى نردهم إلى بلادهم فقال له نعم الرأى الذى أشرت به (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما انسدل الظلام نزل إليهم مارس ووقف أمامهم وشكى حاله إليهم وقال ان هؤلاء القوم يريدون ان يغدروا بنا ويأخذوا منا حصننا (ياساده) فقال له الأمير أبو الهزاهز وما الذى تريد منافقا ونحن نستجير بالله وبكم ونحن نحلكم من الوثاق وتعينونى عليهم وأكون السبب فى وصولكم إلى بلادكم فقالت الاميره يامارس سنفعل لك ذلك ان شاء الله تعالى على اننا ان أعناك على القوم تمن علينا بخلاصنا وتوفى بعهدنا فحلف لهم على ذلك ثم أنه فك قيودهم وأتاهم بالسلاح من الدروع والاسياف وأمنهم بعد الحلاف وذهب مارس إلى رجاله من أهل القلعة وشاورهم فى القتال وأعطاهم العدد وقال لهم قاتلوا عن حريمكم وأولادكم فلما ان جن الليل ثارت الأميره وأصحابها وتبعهم أهل القلعة ووضعوا السيف فى أعناق الرجال النيام وفلقوا الهام وانتشرت الرجال وصاحت الأميره بأصحابها أين والله

هذه ليلة كسب الثواب والاغتنام أصدموهم أشد صدام وقاتلوا هؤلاء اللئام فعندذلك ثاروا وحكم السيف بينهم لما إن جاروا وجدعوا الانوف والرؤس أطاروا فعندذلك ثار الملك بمن معه من البطارقة وقد حاروا ولا علموا من أين أصيبوا ولا من أى جهة نكبوا فثاروا وقد عظم الصياح هذا والليل قد انسدل على الخافقين وتزلزل الحصن بما فيه وقاتل كل من كان فيه ولم يزل القتال يعمل والظلام قد انسدل وكانت الاميرة تلك الليلة قبل أن يدخل عليها مارس قد رأت فى منامها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبشرها بالخلاص فأعلمت الامراء فاشتدت قلوبهم وقاتلوا جهد مطلوبهم ولم يزل السيف يعمل إلى الصباح وقد مضى الليل ورحل وطلع الصباح وقد بقيوا فى جحفل ولم يثبت لقتال البطارقة إلا الفئة الصادقة وأن الملك منويل قال للبطارقة أما ترون ما قد عمل بنا مارس إذا طلق علينا هؤلاء الأباليس فوحق دراع المسيح والإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل لأقتلن مارس شر قتلة ولأمثلن به أقبح مثلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب فانه لما أرسل سيف الحنيفية إلى الدير ورجع وما وجد فيه من يخبر بخبر ولا من يقفوا له على أثر فلما سمع الأمير ذلك تبع آثارهم امل يسمع لهم خبر ولم يزل حتى أشرف على القلعة الشهبا وقد انهزم أهل الرستاق خوفا من السيوف الرقاق وأن الأمير لما قرب من القلعة ونظر إلى تحصينها ورأى الصياح يطلع والأسياف تلمع والبيض تسطع للتفت إلى أصحابه وقال وحق الذى سخر البحر الزاخر وتسمى بالملك القادر إن كان هذا الصياح الذى أسمع إلا الأميرة وأصحابها وأن الله تعالى خلصهم وأراد حفظهم فقاتلوا عن أنفسهم ثم إن الأمير عبد الوهاب ترجل وصعد إلى القلعة بمن معه من الفرسان المذكرين وساروا فى طريق كندريج النمل وصعدوا يريدوا أصحابهم وما وصلوا إلى القلعة إلا فى وقت الحاجة إليهم هذا والأميرة وأصحابها فى قتال تحير فيه الألباب وتندق له الاصلاب هذا ومارس الراهب قد أيقن بالعطب فرمى نفسه على البطارقة وهجم وحمل عليهم وصدم وضرب القمم وهشم الرمم ولم يزل كذلك حتى أخذ أسير وقادوه ذليل حقير ومثل بين يدى الملك منويل فقال له وحق آبائى وتربة جدى توفيل لا بد أن أرميك من على حصنك إلى الأرض ومن يقدر أن يخلصك منى (قال الراوى) فعند ذلك التفت الأمير أبو محمد إلى الأميرة وقال لها اعلمى أن الراهب مارس قد أخذ أسير ولا بد للملك من قتله فعندذلك أشارت الأميرة إلى أبو الهزاهز وقراقد وهارون العلوى فحملوا كالسباع وصارت البطارقة من بين أيديهم ومالوا على الكفره من غير امتناع وصاحوا صياح صمت له الاذان وهم يقطعون بتلك

الضربات المنافس ولم يزالو كذلك إلى أن خلصوا مارس ولما وصلوا به إلى الاميره قال لها إنى سمعت خارج الحصن ضجيجا عاليا وصراخا ناميا وما أدرى ماهو فقالت له الاميره أصحيح ماتقول فقال أى وحق المسيح فقال له أبو محمد وأين مفاتيح الحصن يامارس قال يامولاى أخذوها القوم منى فقال أبو محمد والله لقد تعلق قلبي بهذا الصياح وقد أردت ان أقف على صحته فقال له مارس أبشر بالخير وزوال الضير فقال أبو محمد وكيف ذلك قال اعلم أن فى هذه المغارة التى كنتم فيها سرداب تحت الارض لا يعرفه غيرى ولا يعلم به أحد من رجال الحصن الا أولادى لا نتناوصى به أولادنا إذا حضرتنا الوفاة فانزل اليه يامولاى وقف على صحة الخبر واعرف ماهذا الصياح المنكر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فأسرع أبو محمد فى الطلب ونزل المغارة ودخل فى ذلك السرب وجعل يمشى فى ازجة معقودة وقناطر مصنوعة حتى خرج إلى ظاهر الحصن وإذا بعساكر الامير عبدالوهاب والسودان وبنى كلاب وهم كالحبة فى المقلى على دخولهم إلى الحصن فأقبل أبو محمد اليهم وسلم عليهم فلما رآه الامير عبدالوهاب ترامى عليه وقال لا أوحش الله من طلعتك ولا أخلانا من بركتك ما كان سبب غيبتك فقال أبو محمد ماهذا وقت سؤال اسرع فقد خذلت أيدى الرجال وأحاطت بهم الاهوال ثم ان أبو محمد أخذ ألفين من خيار الرجال وتبعه الامير عبد الوهاب ودخل بهم من السرداب وقد ذهلت منهم الالباب فما أحست الأميره الا والامير عبد الوهاب والالفين فارس عندها فقوى عند ذلك قلبها فزال كربها وصاحوا صوتا واحدا خيل لأهل الحصن انه قد تزلزل حصنهم من الاركان ودبت القوم إلى الرجال دبا وناجزوهم طعنا وضربا ونادوا يا أعداء الله جاءتكم أولياء الله فدونكم وقتال المجاهدين ولم يزل السيف يعمل فى نواعهم الابدان وجار السيف اليمان وأسرف غاية الاسراف ووقع بأهل الحصن الارجاف وقاتلت أبطال شيظم وعطاف هارون العلوى والسادة الاشراف وسقوهم من الموت كاس تلاف ونادوا نحن سادات عبد مناف واشتد المخاف وقل الانصاف وذهب الاعتراف وزحفت السودان وقد أسعدهم الليل بظلامه وقاتل العرباض وأبو زنبيل ومسوا الروم مساء ميشوم وما كانت الا ساعة حتى أسر الملك منويل وأخيه ميخائيل ودار بهم الويل الطويل ونصر الله المؤمنين وأذل الكافرين وطلبوا عقبة وشو مدرس فما وجدوا لهما خبر ولا وقفوا لهما على أثر فقال أبو محمد وكيف يفلتوا هؤلاء الملاعين من أيدينا (قال) وكان السبب فى هروبهم انهم لما سمعوا صياح السودان واختلاف الاصوات مثل الغربان علموا ان المسلمين قد صاروا

معهم وكان الذى تسلم المقاتيح من مارس الملعون شومدرس فلما سمعوا الصياح فتحوا باب الحصن وهربوا فلاجل ذلك فقدوا لما طلبوا فعند ذلك قال الملك وحق المسيح ما معنا منهم علم (قال الراوى) ولما حصل فى الحصن الامير و نصر الله أمة البشير النذير صلى الله عليه وسلم قال مارس الراهب اعلم انى كنت فى هذا الحصن أعبد الله ولا أشرك به شيأ وأنا اعلم ان عيسى ابن مريم عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ولا أتبع من جحد وظلم وان الله الذى لا إله إلا هو الفرد الصمد الذى خلق الخلق وأنعم وقدر الآجال وقسم وهو بارىء النسم ومنشىء الامم وخالق اللوح والقلم وأنا أشهد أن لا إله الا الله وحده ولا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذا الحصن منى مسلم اليك فأعطوه لمن شئتم وها أنا معكم حيث سرتم ففرح الأمير ثم التفت إلى أصحابه الرهبان وقال أيكم يدع الاشراك والطغيان ويكف عن عبادة الصور والاجسام ويدع الكذب وسلوك حجة البهتان ويسمع مقال الملك الديان الحنان المنان فقد قال عز من قائل ولا تتخذوا إلهين اثنين فاتبعوا صاحب المعراج ومن له القبلة والاحتجاج والنور والابتهاج صاحب البردة والقضيب والتاج سيد الامم وأفضل من مشى على قدم الذى بشر به عيسى ابن مريم (ياسادة) فعند ذلك أجاب من الرهبان البعض والبعض بقيوا على دينهم وأن الأمير عبد الوهاب قال والله ما يصلح هذا الحصن إلا ليانس المتغرب وأصحابه وأخذ مارس الراهب معه وأهله وأمواله وأولاده وأخذ الملك منويل وأخيه ميخائيل والبطارقة ونزل من الحصن مؤيدا منصورا ولم يزل الأمير يقطع الأرض من بلاد الروم إلى أن خرج من ذيل الجبل الأسود وخرج من هناك يطلب حصن يانس (قال الراوى) فلما أن نظر يانس إلى العسكر وقد أشرف ولاحت له الرايات الاسلامية والاعلام العباسية فعند ذلك نزل إلى لقائهم وقد علم انهم عساكر الامير عبد الوهاب وسيد بنى كلاب فأقبل اليهم وسلم عليهم فقبله الامير عبد الوهاب واعتنقه اعتناق مشتاق وقال يانس أيها الامير الله يعلم انى كنت مشتاقا اليكم وقلقا عليكم فالحمد لله على هذا اليوم إذ نصرك الله على القوم ثم سلم على المسلمين ونزلوا كلهم حول الحصن وصعد الامير والامراء وحولهم الاسرى ثم حدثوا يانس بقصة الحصن والقلعة الشهباء وأن الامير قد وهبه له ففرح بذلك فرحا شديدا وقال والله يامولاى ما على وجه الأرض مثله وسوف أجعل فيه مالى وزخائرى فقال له الامير قد سلمته إلى ألف من أصحابك فابعث اليه من تثق به فبعث يانس اليه ولده عبد الله وبعث معه الاموال والذخائر والرجال وأقام الامير عند يانس لينال الراحة ثم قال له هل عندك خبر من الرشيد فقال له نعم بلغنى أن هذا الخارجى ظالم ابن الغريب قد وصل إلى مكة بعسكر العرب وان

الرشيد قد مضى إليه (قال) ثم إن الأمير أقام عند يانس خمسة عشر يوما ولما عول على الرحيل أمر بالملوك فمثلوا بين يديه فلما رآهم قال لهم والله لقد أوضح لكم الدهر سبيله وأراكم أحكامه النازله فى ابنائه وقبيله وقدقلد ناكم البغى مرارا وأنتم لم تزالون غادرين فى أيمانكم ناكثين ولا بد لى الآن من ضرب رقابكم ثم أنه جرد سيفه عليهم وهم بهم فعند ذلك وثب إليه يانس ووقف بين يديه وقال يا سيد الامراء وحق حنا ومريم والإنجيل المعظم ما أدعك أيها الأمير تقتلهم فى حصنى (قال الراوى) وإنما فعل يانس ذلك تسترا لحاله إذ هو فى وسط بلاد القوم ولا يقدر أن يتظاهر بالإسلام سياسة لأمره فعند ذلك قال له عبد الوهاب فلا بد من أخذ الفداء فقال يانس يا مولاى أنا ازن عن الملك من عندى إلى أن يبعث إلى القسطنطونيه ثم أن يانس وزن المال من عنده إلى الامير عبد الوهاب بما تقرر بينهما وكان البطال قدقرر عليهم قديما فصاروا يعرفونه وتسلمهم يانس وأكرمهم غاية الاكرام لأن الملك من اقرباه فعند ذلك بعث الملك منويل إلى القسطنطونيه لجاءت الاموال إلى حصن يانس وشيعهم بنفسه ثم قال أيها الملك ها أنت ترى ما يعاملوك القوم به وأنت ملك من ملوك الروم فكيف أنا إذا هادنتهم على هذا الحصن ورستاقه وضياعه فقال الملك قد أعذرناك فى فعالك لانك تسوس الامر عن بلادك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأخذ الامير فدية الملوك وسار من حصن يانس طالبا أرض ملطيه وسارت المواكب والكتائب وقدم السبي والمال قدامه ونشرت راياته وأعلامه وبنوده وتقدمت أبطاله وجنوده فلما استقام على الطريق انشرح خاطره وجنانه وقد فرح بسلامته وسلامة أصحابه فأنشد يقول

إلى الله أشكو ما ألاقيه من دهرى من ... الهم والاحزان والوجد والفكر
تشتت شملى فى البلاد لغربتى ... وكم قطعنا من بحار ومن قفر
وصلنا إلى أرض بعيد سلوكم ... وابس بها إلى مصرا على الكفر
وهذا قضاء الله حقا وما لنا ... سوى حسن الصبر والفوز بالاجر
إلى أن قطعنا الارض شرقا ومغربا ... وصرنا أسارى الروم حقا بلا نكر
ومن يغترب عن أهله وبلاده ... فيوشك أن يشتاق من غيبة السفر
وجاء مشوم الوجه أعنية عقبة ... فأوثقنا فى قبضة الملك بالمكر
وقال الكافرون أيضا بحق من ... أراك صليب الروم فى فلك البحر
ومن قد غشاك النور والعز والبها ... وألبسك الباس الجلالة والفخر
لقد نلت فخرا بالذين ملكتهم ... ونلت بهم عز على البدر والحضر

فأحرمهم عيش الحياة فانهم عماد دين الإسلام فى العسر واليسر
وأضرم نارا تملأ الأرض والفلى فثار على نار وجمر على جمر
ولاحت لنا يا صاح فى البحر مركب فمن إلهى بالخلاص من الاسر
وأصبح بطليموس والروم نحونا فسرنا إليهم بالصفاح وبالسمر
وقدنا ملوك الروم فى الذل والاسى ومن إلهى بالسعادة والنصر
وأسلم كندفرون حقا وأهله برب رسول الله والطاهر الطهر
كذلك بطليموس قد صار مؤمنا يدين بدين الله فى السر والجهر
وإن حديثى فى البرية شائع تحدثه السفار فى السهل والوعر
وكم قد رأينا من بلاد ومعشر وظفرنا رب السماء بمن يسرى
وجاءت جيوش الكلاب منويل نحونا فأورثتهم طعنا أحر من الجمر
وها أنا حقا ابتغى ملطية وقد طال شوقى نحو من تكسف البدر
عليها سلامى كل يوم وليلة وما طافت الحجاج بالبيت والحجر

(قال الراوى) وكان البطال قريب من الأمير عبد الوهاب فلما سمع آخر هذا الشعر اشتد به ذلك وتصاعدت زفراته وتكاثرت حسراته فرأته الأميرة ذات الهمة فقصدت إليه ووقفت بين يديه وقالت له ما بالك يا أبا محمد عليك بالصبر فعاقبته أجود فقال لها ألا ترين إلى ولدك كيف يذكر حبيبتى فقالت له الاميرة طب نفسا وقر عينا فانى لا أزال لك معينة وأبلغك ما تهوى ولو قطعت رؤس وملئت حبوس فعند ذلك وثق بقولها ولجأ إلى فعلها ثم لما قطعوا الدروب ووصل الامير عبد الوهاب إلى ملطية خرجوا أهلها إلى لقائه ودخل إلى البلد فى فرح وسرور وغبطة وحبور ولما استقر به المكان سأل عن أخبار الرشيد فقيل له أنه يقاتل هذا الخارجى الذى قد خرج فى الحجاز وقد مضى الامير ضيغم وبنى كلاب وبنى سليم إليه وما ندرى ما كان منهم (قال الراوى) فلما استراح الامير وأراح دخل إليه الامير أبو محمد ووقف بين يديه وقال له نعمت صباحا ولقيت نجاحا وقد زدت خيرا زائدا ونجمك لا زال صاعدا يا ابن السروات القادة والامراء السادة أنظر إلى أخيك البطال بعين القبول والافضال ولا تتعرض ولا تبدى الصدود وجد على بالمقصود فأنت الجواد وكعبة الجود وفضلك الموجود انعم لى من نورى بعناقها فما لى طاقة لفراقها فان منت فبفضلك وإن منعت فلا يعترض عليك ثم أنه تنفس صعدا وأن كمدا وأنشأ وجعل يقول

قفوا وانظروا ما أورث الحب صاحبه ألا واحذروا شر الهوى وعواقبه

هلموا إلى جسم برى الحب عظمه　　وأنزل بعد العز بالذل جانبه
وكم قائل ما يصنع الحب هكذا　　فقلت بلى والحب يقتل صاحبه
غزالا أذاب الجسم منى محبة　　خليلى هل من مسعد فتعاتبه

وأنت تعلم أيها الأمير ما جرى على من المهالك فهل من مطمع فى إفضالك وأريد تمام وعدك فلا ترمينى بهجرك وصعدك ثم أنشد وجعل يقول

أيا أوحدا فى الدهر عن جانبه　　أقام منار الجود بالبذل والبر
فان قلت فى التشبيه يشبه حاتما　　أقول معاذ الله يقذف بالكفر
ولكنه فى بذله الجود جعفرا　　وخالدنا فى ذلك الندب والعصر
ألا أيها المولى الأمير ومن غدا　　يزيد على كل البرية بالفخر
ولولا مس الصخر الأصم بكفه　　لأنبع عذب الماء من جلمد الصخر
ويامن له كف يفيض من الندا　　وراحته بحر تزيد على البحر
أريد قريب الوعد يا غاية المنا　　فجد لى بنورى أنها طلعة البدر
وإلا وحق الله أفسدت صلحنا　　وترجع مأسورا قريبا وما تدرى

(قال الراوى) فتبسم الأمير من قوله وقال ابشر يا أبو محمد ببعد الردا وامهلنى إلى صبيحة غدا (يا سادة) فمضى أبو محمد وقد طار قلبه فرحا ورقص مرحا وطالت عليه ليلته وزادت فكرته فأنشد يقول:

كبد قد مسته كمد　　من هجير الهجر يتقد
ان خبت نيرانكم سحرا　　فاقدحوا من مهجتى وقدوا
لا تريقوا بالبعاد دمى　　سوفوا بالوصل أو تمدوا
إن ترون القتل مفترضا　　هاء ما فى الدين يعتقد

(قال الراوى) ومن الصبح جاء الى الأمير فرآه لا يعبأ به فأنشأ يقول:

هززتك لأنى قد وجدتك ناسيا　　لوعدى ولكنى أردت التقاضيا
فانى رأيت السيف بعد سله　　إلى الهز محتاجا وإن كان ماضيا

فقال له الامير امضى يا بو محمد إلى دار علوى فهى تسلم إليك نورى فمضى البطال إلى دار علوى وسلم عليها وأعاد عليها ما أمره به الامير عبدالوهاب فضحكت ومضت إلى السرداب فوجدت نورى زاد جمالها فقامت وسلمت عليها فقالت لها الامير تريد يسلمك للبطال فقالت نورى الامير عدم عقله يسلمنى للبطال وقد قاسى على الاهوال

وأنا أكون للسيد لا للغلام وإذا هى بالامير عبد الوهاب دخل عليها فلما رأى حسنها ذهل وقد رأى إلى سواد مقلتيها وتقويس حاجبيها وسحر عيونها واعتدال قوامها إذا مشت يقعدها كفلها فلما رآها الامير على تلك الحالة عول أن يرد فى وعده وان ينقض عهده ثم أمرها بالخروج فخرجت من السرداب إلى وسط الدار وقد علمت ان الامير عبد الوهاب قلبه قد طار وفكره قد حار وكان عليها قميص لازوردى يحانى قد أحرق القلوب وهى كالشمس فى حمرة الشفق وعلى رأسها قناع أزرق يعشقها من لا يعشق حديثها موصوف واعكان بطنها صفوف والنظر إلى غيرها مصروف وقد غاص خلخالها فى نعومة ساقها وهب الهوى فرفع أذيالها إلى عجزها فشالها ولم يجد القميص سبيلا إلى الزوال من رفعة تلك التلال وفيها قيل

بردف مثل تل علا على قضيب	من البان المحبب للقلوب
إذا ما صرت فوق الردف منها	فأنت على حصون من كثيب
إذا طلعت تغيب الشمس خوفا	من الخجل الموكل بالمغيب

(قال الراوى) ثم ان نورى التفتت إلى الامير عبد الوهاب وقالت أيها السيد أسلب عقلك حتى تسلم مثلى إلى البطال ولا يستاهل الا الصفع بالنعال وها أنا قد وهبت نفسى إليك من اليوم فدع العتب واللوم وأنا أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (قال الراوى) فلما سمع الامير هذا المقال تبسم وقال الله أكبر ذهب العناد والحزن ثم قال يا ابو محمد نورى قد أسلمت وقد أعتقتها وصار حكمها بيدها وأنا والله لها عاشق وبها رامق (قال) فلما سمع الامير أبو محمد هذا الكلام طار العقل الذى وهبه الله له من رأسه وقال تكذب هذه العاهرة الفاجرة الجاحدة الكافرة فقال الامير عبد الوهاب يا أبو محمد نحن لنا الظاهر والله متولى السرائر وان طلبت ان تتزوج بك فانا والله أزن المهر من عندى وان طلبت غيرك زوجتها له وما تقدر تعمل شىء ومع ذلك فلو كانت الجارية لك مملوكة وقالت ما أريدك وأريد البيع ودار النخاس لما قدرت ان تمسكها ولو كانت لك زوجة وأرادت الطلاق لكانت الغالبة لك من سائر الجهات والوجوه وأنت فما الذى تقدر أن تصنع وقد علم الناس ان مالى اليك ذنب فقال البطال تكذب فى هذا القول لانك لو أردت ان الجارية تصل الى لكان هذا الكلام على غير الصفه وانما أنت أنعمت لى بها فلما رأيتها انحلت عزائمك ولانت جوارحك فعدت الى قلة دينك أليس أبوك الحارث الذى كفر بعد الايمان وترك دين الاسلام بعد الايقان وأما قولك ما الذى تقدر ان تصنع فوالله العظيم أننى أراعيك الله تعالى لأنك تجاهد فى سبيل الله وتذب عن ملة رسول الله والآن حيث بان لى أنك غدار تعاهد وتنكث

وتقول ولا تنى فقد بان دينك وظهر كذبك وتغير أمرك ولا بد ما أقطع راسك وأضيف إليه رأس كلب فكم تلاهينى مرة بعد أخرى ولو كان معى عقل وبصيرة كنت خليت عقبة يدوس فى قرنك ويقلع عينك ويقطع يديك ورجليك وانما خاطرت بروحى لاجل السيدة الأميره المجاهده الأميره ذات الهمة التى هى وفيت بقولها والله لئن لم تعاونى عليك لأعجلن نكالها ولا ألتفت إليك ولا إليها ولا للرشيد وأنا خليفة عصرى وأمير روحى وهذه الملعونه تظن اننى من بعض غلمانكم وتقول المولى أحب إلى من الغلام وما تعلم أنك أنت وأمثالك عندى مثل الخدام وما يأخذنى على قتلك ندم وأنا الذى لا أتخلى عنها ثم ان أبو محمد أنشد يقول

أيا من له وجه قبيح وفعله ... ردى وأضحى لا يتم على العهد
ويا من له عقل سخيف ورأسه ... خفيف ووجه يشبه القرد بالجد
وحق النبى المصطفى وأهل بيته ... وحرمة ما أتلوه فى سورة الرعد
لئن لم تدع نورى وترعى مودتى ... وإلا فأيقن بالهلاك بلا بد

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب كلام البطال وشعره عظم عليه وكبر لديه وطار الدم من عينيه (يا سادة) وإذا كان الإنسان حبيب وهو بين يديه وكلمه الانسان بما يشق عليه فذلك أشد الاشياء عليه وأن الامير عبد الوهاب لم يملك نفسه دون أن ضرب بيده إلى قائم سيفه وانتضاه من غمده وضرب به أبو محمد على رأسه فقطع السيف أكوار عمامته ونزل إلى رأسه فجرحه جرحا واضحا فأسال دمه على وجهه وأن الامير رفع يده بالسيف ثانية وهم أن يضربه ضربة أخرى وقد أخذته الحمية واكتنفه الغضب فدخلت فى تلك الساعة الاميرة ذات الهمة فصاحت بالامير عبد الوهاب ودخلت فيه وقبضت السيف من يده وقالت ما هذه الفعال فقال وذمة العرب لا بد من قتل هذا الكلب فلقد تجارى على بما لم يتجارى به بشر فقالت الأميرة يا بنى هذا كله لماذا فأعاد عليها قصة إسلام نورى وكيف أعتقها فعلمت الأميرة ذات الهمة أن الامير عبد الوهاب لما رأى نورى لم يستطع الصبر عنها فقالت أيها الامير الاجل إذا كانت قد اسلمت فزوجها للأمير أبو محمد لأنك سيدها وقد أعتقتها والولاء لمن أعتق ولك أن تزوجها لمن شئت طائعة أو كارهة فقال الامير عبد الوهاب لو كان هذا قبل أن يجرى هذا الامر لكنت فعلت ذلك والآن فقد جرى ما جرى ولا أفعل ذلك أبدا ومن قال لى بعد هذا كلمة واحدة فقد أظهر العداوة وأنا أقسم بذمة العرب أنه من عاودنى فيها علوته بالسيف (قال الراوى) وارتفع الصياح بأن عبد الوهاب قد قتل البطال

فبكا ميمون الجماس وصاح فى رجاله الذين أتوا معه من آمد وزحفوا إلى دار الأمير فوجدوا أبو محمد على حال السلامه إلا أنه قد جرح جرحا واضحا الآن أن الأمير ضربه وكان بعيدا عنه فجاءت الضربة غير واصلة فلم تكن قاتله وأن ميمون الجماس دخل على الأمير عبدالوهاب وقال له سبحان الله العظيم ما يستاهل الأمير أبو محمد منك أن تفعل به هذه الفعال وها أنا آخذ تاره وله من يسمع كلامه ويضرب بالسيف أمامه (قال الراوى) فلما سمع الأمير كلامه قال له امسك عليك يا أخس الناس فعند ذلك قام قراقد إلى ميمون الجماس وقال له من أنت يا أخس العبيد حتى تخاطب الأمير بمثل هذا الخطيب الشديد يا أوغد العرب ويا حمال الحطب ويا حليف الحلب ثكلتك أمك وعدموك قومك (قال) فلما سمع ميمون الجماس ذلك جرد سيفه وهجم على قراقد وكذلك فعل قراقد والتحما فلما سمعوا أصحابهما بأن ميمون الجماس وقراقد قد التقيا جردوا سيوفهم وحملوا على بعضهم البعض وقد قال القائل أعوذ بالله من فتنة العرب ثم ارتفع بينهم الصياح وكثر الكلام وركب كل واحد منهم هواه وتواخذوا الاميران وخرج الفتيان وارتفع الضرب من السودان والبربر والحبشان وعظم الشان وطلع الغبار إلى العنان وسمعت الاميرة ذلك فدخلت بين ميمون وقراقد وفرقت بينهما ثم أنها خرجت إلى الطائفتين ففرقت بينهما وعادت الاميرة إلى الامير عبد الوهاب وقالت له ما هذا صواب فدع عنك اللجاج وسلم الجارية للأمير أبو محمد البطال فقال الامير هذا لم أسمعه ولو كان من غيرك لأخذت ما فيه عينيه فقالت الاميرة وقد لاح لها الغضب فى وجهها اعلم انى ما أنا أبو محمد البطال تصيح فى وجهه وترفع سيفك عليه وحق النبى المنتخب لئن لم تعطيه الجارية طوعا لأخذتها منك غصبا لأبو محمد أحق بها منك من وجوه عدة أحدها أنه يرمى نفسه من أجلك فيما لا يقدر عليه أحد غيره وكان سببا لخلاصنا من الحمام فسلم إليه الجارية التى قامت عليها الفتنة اليوم من خمسة أعوام وكل يوم لنا من أجلها كلام فسلمها إليه وإن امتنعت من ذلك فوالله ما أنت عندى أعز من أبو محمد البطال وإنى أكون على العهد من أجل الفرد الصمد ولا أراعى فى ذلك أهلا ولا ولد وسوف يكون هذا سبب هلاك واحد منا أو تقوم الساعة نبرك أنا وأنت إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب فان أنت ظفرت بى فالجارية لك وما ينازعك فيها منازع ولا يدفعك عنها مدافع وإن أنا ظفرت بك سلمتها لأبو محمد فعندها قال الامير عبد الوهاب إن كان شهوتك ذلك فقد رضيت ولعل أن أقتلك كما قتلت أبى الحارث لأنه كان كافرا وأعوذ بالله من هذه الساعة وشرها فقالت له الاميره دونك والخروج إلى الميدان ثم إن

الأميرة ذات الهمة التفتت إلى الأمير أبو محمد وافتقدت جرحه وحشته بالدواء والمرهم وضمخته بالطيب ثم أنها قطعت قطعة من عمامته وشدت جرحه وغيرت لباسه قالت له طب نفسا وقر عينا فأنا آخذها لك الساعة فقال أبو محمد هذا والله الذى أعهده من فعالك أيتها الأميرة المجاهدة وبالله العظيم أنك فى هذا تؤجرى من ثلاث وجوه أحدها إنى معول على قتل الأمير عبد الوهاب ويحملنى على ذلك المحبة وغلبة الهوى والثانى تردين لهفتى وتطفين حرقتى فاننى قد أشرفت على العطب والثالث تكونى قد وفيتى بالنذر والعهد (قال الراوى) ثم التفت الأمير عبد الوهاب إلى الأمير أبو محمد وقال له رضيت بما قالته الأميرة ان هى قهرتنى فالجارية مسلمة إليك وإن أنا قهرتها كانت الجارية لى ولا يبقى بعد ذلك مراودة ولا معاودة (يا سادة) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك أقبل على ذات الهمة وقال لها أيتها الاميرة ابصرى كيف تكونى مع هذا الشيطان فإنى أخاف أن تكون حيلة بينك وبينه على حتى أحكم الناس على وأشهد الطوائف على قولى وتتخاذلين له حتى يقهرك وأموت أنا وتموت الملكة نورى من يدى وأنا والله العظيم ورسوله الكريم إن عملتى هذا لما أحسبه لكى ولو جرى ما جرى فعند ذلك ضحكت الاميرة ذات الهمة من قول أبو محمد وقالت له اعلم أننى ما صدقت ولدى فى طعن ولا ضرب ومعلوم أنه لأجل ما فى قلبه من الهوى وتباريح الجوى والشوق فانه ما يقعد عن ممكن وسوف يبذل من نفسه المجهود ولا سيما وهو يريد يظهر للملكة نورى أنه أشجع أهل الأرض من أهل زمانه وأنه الصائل على أقرانه وهذه حالته وأما أنا أفهم ذلك لأننى أريد لأجل حميتى فى الدين ووفائى بالقول أبذل المجهود فى قتال الولد الودود وربما كان سبب قتل واحد منا فقال أبو محمد أما علمتى أنه على النخوة والحمية يقتل فى ساعة مائة ألف والآن لا تتركى من مجهودك شيأ ودع يموت (قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من أبو محمد علمت أنه قد سلب عقله ولبه بما فى قلبه وفؤاده من المحبة وإلا فما كان يهودى قتل الولد على يد والدته ويقول لها اجهدى جهدك فلا تبالى بمن قتل (يا سادة) وأن الأمير عبد الوهاب لبس لامة حربه وخرج إلى الميدان وفعلت الاميرة كفعله وأركبت أبو محمد معها وركبت العرب من بنى كلاب وركبت السودان الانجاب وخرجوا النسوان والصبيان وكان يوم لم يسمع بمثله فى ماضى الزمان وكان حالهم كما قال القائل حيث يقول

أفدى الذى فى جفنه قوس الردى ترمى لواحظه عيون نشابه
ناديت يا مالك السماء أما ترى هذا يروم قتاله أحبابه

(قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والاحوال الغريبة وركبت الاميرة علوى

من خوفها على الامير عبد الوهاب وقالت الحديد يحكم لنفسه فى الحرب ولا يحكم الإنسان عليه ثم عادت على نفسها بالملامة كون أنها لم تسلم نورى للأمير أبو محمد البطال من النوبة الاولى وكانت أراحت نفسها من الغيرة منها ومن هذا الامر وخرج الامير عبد الوهاب على جواد جيد بعيد من الردى مثل البرق إذا هدا صاحبه فى أمان من العطب والردا فى خطوته يقطع البيدا وبسرعته يقطع بعيد المدا وهو لصاحبه فدا مليح الخطوة والمرام مطواع للسرج واللجام ولاج للمواكب فى حال الزحام فهو كما قال فيه من هام حيث يقول هذه الابيات

وأدهم فى الظلام تراه يجلو بغرته دياجير الظلام
ترى أحجاله يصعدن فيه صعود البرق من حلل الغمام

(قال الراوى) وعليه درع قصير الأكمام مليح النظام وفى يده حسام إذا وقع على الرؤس تنزل إلى الاقدام هذا والامير عبد الوهاب فى قلبه من كلام أبو محمد وأيضا من الملكة نورى ما يريد يخليها بعد ما رأى منها المطارعة والرغبة والمسارعة وأيضا كيف احتمت الاميرة إلى أبو محمد البطال دونه وقد أضمر أنه يقهرها ويخجلها بين الفرسان ولا يكسر نفسه بين العرب ويشيع عنه ذلك فى البلاد من بعد وقرب وظهر فى الميدان ونار الزفرات تخرج من مناخيره وأشار بيده إلى الاميرة ذات الهمة (قال الراوى) عندها خرجت الاميرة على جواد أشهب شديد العصب قوى القصب واسع اللبب شريف النسب فى لون الذهب مدور الحوافر واسع المناخر مليح المقل والمحافر قد أخذ من الريح هبته ومن الاسد وثبته ومن النمر وقاحته ومن الثعبان عودته ومن الماء اندفاقه ومن الطير انطلاقه كما قال فيه القائل

وأشهب يسبق طير الفلا ويسبق البرق إذا البرق لاح
يجرى وتجرى الريح من قبله فيدرك الفرصة قبل الصباح

(قال الراوى) وظهرت الاميرة ذات الهمة إلى الميدان على ذلك الحصان وقد لبست قباء تركى من قباطى مصر من فوق صدره ذرد مضاعف العدد ضيقة العقد كأنها عيون الجرد وفى يمينها حسام فصال الرجال قتال يقطع فى الجبال ويصلح ليوم الاهوال ويبيد الاعمار الطوال وينزل فى البيض الثقال كما قال فيه بعض واصفيه حيث يقول

ومهند يغشى العيون سناؤه من نور حده
وفى كل يوم قادم كلفت تجديد لغمده

وفى يدها رمح أسمر عليه سنان كانه جمة عقرب أو قبس على مرقب أو نار ذات لهب ثم انها قصدت إلى الامير عبد الوهاب فصاح بها الامير ابو محمد تمهلى ايتها الاميره على حتى أقول لك ما تصنعين فقالت ما الذى تريد يا ابو محمد فقال لها ايتها الاميرة إن كان يشق عليك ملاقاة ولدك فاعلميني لان الاسود الزنيم ما بقى له قول ولا زمام وأريد من قبل اللقاء أن تشهدين عليه بأنه لا يغدر ولا يعود فى كلامه فقالت الاميره ذات الهمة نعم ما رأيت يا أبو محمد ثم أنها جمعت مشايخ بنى كلاب وأمراؤهم وقالت الآن يا عبد الوهاب ذهب المزاح وأتى الجد وأنا لا أبارزك ولا أناضلك حتى تقسم بالله العظيم ورسوله الكريم وبذمة العرب والا برئت عن دين الاسلام إن أنا قهرتك لا تتعرض للجاريه نورى ولا تمنع أبو محمد منها وتكون عونا له عليها فعند ذلك قال الأمير عبد الوهاب وكذلك يحلف أبو محمد إن أنا أسرتك لا يعود يذكرها بكلمة واحده فقالت الأميرة ذات الهمة نعم ما قلت ثم أنها التفتت إلى الأمير أبو محمد وقالت له ها أنت تسمع ما يقول الأمير عبد الوهاب فقال لها الامير أبو محمد البطال أبصرى كيف تكونى وكيف يكون قتالك فان روحى بك معلقه فقالت له اعلم أن النصر من عند عند العزيز الحكيم والله إنى لا أبقى من جهدى شهد الله شيأ فى محاربة ولدى عبد الوهاب فاما أن يكون قتيلا أو أسيرا أو أكون أنا باحدى هذه الصفتين (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك من كلام الاميره ذات الهمة قال الآن طاب قلبى ثم أنه حلف لها وأقسم بالله العظيم أنه لا يتعرض لها ان غلب الامير عبد الوهاب للاميرة ذات الهمة وحلف أيضا الامير عبد الوهاب وشهدت شيوخ العرب والسودان ثم انهما حملا وتقابلا وتصايحا بجواديهما فقال الامير يا أماه قد حملنى نفسك من هذا الامر ما لا يعنيك وإنى أخاف ان أدريك وان يذهب سناى فيك فدعى عنك هذا الامر فقالت له الاميره فلا يخطر على بالك لان الامير أبو محمد ان لم نعرفه ولا كان له علينا خدمة لساعدناه فكيف وانت قد أخلفت وعده ونقضت عهده وقد فعلت معه كما قال بعضهم

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(قال الراوى) فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك من كلامها وما أبدته من نظامها غضب غضبة المعروف عند العرب وحملته النخوة وحمل عليها وهو يقول

أدلهمة إنى نصحتك فارجعى والا فقد حان الفراق مدى الدهر
ولا تحسبى إنى أكون مقصرا وانك بالافعال منى إذا تدرى
حلفت ببيت الله والركن والصفا وموقف إبراهيم والحج الحجر

لئن لم تعودى عن قتالى وموقفى ... ولا تطمعى فى أخذ من هى كالبدر
وفى كبدى منها غرام ولوعة ... وإن فؤادى من هواها على جمر
وخاطبنى البطال من أجل حبها ... بأقبح لفظ بالفواحش والنكر
ولا بد لى من قتله وهو راغم ... وأتركه وقفا على معظم الامر
فان ترجعى عنى تعودى بفرحة ... وتنجين من سيفى ومن طارق الدهر

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام ولدها غضبت عليه غاية الغضب فعند ذلك صاح أبو محمد جولى على الاسود وجبيبه على شمره حتى يخليها وهو أصلح له (يا سادة) فعندها أنشأت الأميرة تقول

أيا من له فعل يدل على الغدر ... أيحمل بى إن أخلف القول فى الدهر
ولو إننى أصبحت فى مهمة الفلا ... وقد حامت العقبان فى الجو والنسر
فوالله لا أثنيت رأيى عن الذى ... أروم ولو إنى أوسد فى قبرى
وحق النبى المصطفى وأهل بيته ... وحق الذى قد خصه الله بالحشر
وقال له أنت الشفيع الذى به ... يجوز عدا أهل الذنوب على الجسر
تركتك وسط القاع شلوا بجندلا ... تجول عليك الخيل فى المهمة الوعر
فعند سالما منى واعلم بأننى ... إذا قلت قولا ليس أخلفه عمرى

(قال الراوى) فعند ذلك قال الأمير أبو محمد أيتها الأميرة انجزى فيه الأمر فانه قاء العين وما يعطيكى إياها إلا وهو كاره وما يدرى إنى قد لقيت من أجلها المكاره وشربت من أجلها كاس المنون ثم أنه بكى وأنشد

أيها الست الجليلة قدرها ... ورقت لحالى والذى قد دهانيا
خذيه ولا تبقى عليه فانه ... يميل إلى نورى ولم يدر مابيا
أجيرى محبا أنحل الشوق جسمه ... وأصبح شخصا لا يجيب المناديا
وإنى أنا البطال من أين يلتقى ... على الارض مثلى فارحموا سوء حاليا

(قال الراوى) فرقوا الناس لكلامه فقال له قراقد ويلك يا أبو محمد سلبت عقلك حتى رميت بين الولد وأمه والله لا انفصال بينهما إلا بقتل أحداهما فقال دعها تقتله فانى معذور وأنشد وقال

كم محب بقومه فجعا ... قطع الحب قلبه قطعا
يكابد الشوق دائما أرقا ... من حكم الحب فيه ما جمعا
قد قرحت خده الدموع كما ... أنحله حب من له فدعا

(قال الراوى) وحملت الاميرة على الأمير وعلا عليهما الغبار وانقسم العسكر قسمين

وتقاتلوا وقوم يقولوا الاميره تغلب وقوم يقولوا الامير يغلب فقال الامير للاميره وقع الخلاف بين عسكرنا وعلينا فى هذا ثم فنرجع إلى القوم ونفصل بينهم ونعود للقتال فقالت الاميره نعم فعندها رجع إلى الناس وفرق بينهم ورجعت كل طائفة عن بعضها بعدما لقوا مشقة عظيمة ثم غيروا خيولهم وعادوا للقتال ولم يزالوا فى قتال وجدال وطراد إلى تضاحى النهار ونظرت الاميره من الامير مالم تراه منه فى سائر الاوقات فأخذت حذرها منه خوفا على نفسها وتقاربا وتباعدا واختلفت بينهما ضربات كان السابق بالضربة الاميره ذات الهمة فوقعت الضربة على رأس جواد الامير طيرته إلى الأرض منقلبا فعند ذلك وثب الامير عبد الوهاب عنه كانه العقاب الكاسر وضرب قوائم جواد الاميره فبراهم كما تبرى القلم فنزلت الاميره إلى الارض وبطل الركض ورموا ما فى أيديهم من العدد واعتمدوا على القوة والجلد وزحف كل واحد منهما إلى صاحبه ونظر الامير من الاميره الجلد فأخذ لنفسه الحذر منها بالحذر وتعاركا وتماحكا وتشابكا حتى جرى العرق واحمرت الحدق وزاد القلق وعظم الفرق ثم ان الاميره صاحت بالأمير صيحة أرهقته وقالت يا ابن البدوية راعية الشيح والقيصوم بلغ بك الأمر إلى هذا ثم أنها جذبته خلعته من الأرض وشالته على سواعدها ووقفت به ساعة وهو على يدها كأنه عمود حديد (قال الراوى) فصاح بها الأمير أبو محمد أيهن يا سيدتى بالله اضربى به الأرض حتى ينقطع نسله وتكفى أذيته وشره فعند ذلك ضحكت الأميرة ذات الهمة من قوله وهمت أن تضرب به الأرض فصاح الأمير عبد الوهاب عند ذلك مهلا يا أم لا يداخلك الشيطان أن تقطعى أنفك من بين عينيك فعند ذلك حطته الأميرة قليلا قليلا إلى الأرض وقالت له قم الآن أوفى الرجل بما حلفت ثم أنها وثبت عنه قائمة ووثب الأمير من على وجه الأرض خجلا يعثر بأذياله فقالت الاميرة عند ذلك يا معاشر العرب نفيت عن ظهر أبى إن كنت قط رأيت لعبد الوهاب ثانى ولقد أشرفت منه على التلاف ولو دام بيننا الضرب بالسيوف لكان قد قضى على ولم أصل إليه وإنما أخذته بالصراع بعد الجد والجهد (يا سادة) وكانت هذه سيمة العرب من ذوى الرتب أنها تنصف من أرواحها ثم أنها قالت يا عبد الوهاب أنا أسئلك سؤال الوالدة لولدها بحرمة الثدى الذى أرضعتك به لا تجعل شهوتك تغلب مروءتك فلما سمع ذلك منها استحى من ذلك ولم يقدر ينكث بما حلف فقال خذيها لا بارك الله فيها ثم أنه التفت إلى الامير أبو محمد وقال له آه يا لص المسلمين كم توقع الفتن فقال أبو محمد لولا أوقعت هذه الفتنة لما وصلت إلى من هى سبب المحنة ثم أن الامير أبو محمد رما نفسه على رجلين الامير عبد الوهاب يقبلها فمنعه من ذلك وباس الامير

عبد الوهاب رأس أبو محمد البطال واصطلحا وتحاللا مما كان قد جرى بينهما فقال الامير عبد الوهاب الآن علي بالجارية نوري قد أسلمها لهذا الأمير وأمن بها عليه (ياسادة) فعند ذلك طلبت نوري فلم يجدوا لها خبر من بين ذلك العسكر (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان الملكة نوري قالت للامير عبد الوهاب أريد أركب معكما وانظر إلى قتالكما فقال الامير لها إفعلي ما بدالك فركبت على إحدى خيول الامير عبد الوهاب وقد تقلدت بسيف ماضي ووقفت تنظر وقد وقع بين الطائفتين الخلف من السودان وغيرهم والتحم بينهم الضرب والطعان عندذاك أخذ نوري طريق بلاد الروم من أول النهار وجدت في سيرها على ذلك الجواد السابق وهي معوله على أنها لو لحقها ألف فارس أو ألفين لم تفكر فيهم لأنها من الشجاعة على مكان كبير وما أخذت الاميرة ذات الهمة للامير عبد الوهاب الامع المسا وطلبت نوري فلم ترى فعند ذلك لطم الامير أبو محمد على رأسه حتى وقع إلى الارض مغشيا عليه وندم الأمير عبد الوهاب على مافعل وسير الخيل إلى سائر الجهات وإلى بلاد الروم وسأل الاميرة علوى عنها فقالت والله العظيم ما علمي بها إلا كعلمك وأظلم الليل ولم يرجع أحد إلى الصباح وأخبروا أنهم ماوجدوا للملكة نوري أثر ولا وقعوا لها على خبر (قال الراوي) فلما أيس البطال منها قال لميمون الجماس أرجع إلى آمد فقد طالت غيبتك عنها والبلد بلا عسكر لان العسكر مع الرشيد في الحجاز وأنا أعلم ان الملكة نوري اغتنمت الفرصة ودخلت بلاد الروم وسوف اموت كمدا عليها وما بقي للامير في هذا ذنب وانا اريد أدخل خلفها ودع اموت في بلاد الغربه أو أعود بها او غاصت في الثرى وان ظفرت بي فتلتني لانني ما انا من رجالها ثم بكى فابكى الناس ثم رحل ميمون الجماس إلى آمد وأخذ البطال غلمانه وسار من الصبح يسير فلما طلع النهار ثار غبار من بلاد الروم فارسل الامير يبصر الخبر فأتوا ومعهم جماعة من المسلمين مجرحين فقال من عمل بكم هذا فقالوا ايها الامير امس عبر علينا من يومين فارس على جواد أصفر كانه القمر فركب اليه مائة فارس فقتل منهم أربعين وانهزم الستين مجرحين وقد ارسلنا اليك حاكم البلد نعلمكم بالحال فبهت البطال فقال له الامير خذ معك الف فارس والأميرة فأخذ البطال الفرسان والاميرة وسار خلف نوري وخمسة ايام فما وجدها ولا وقعوا لها على خبر ولا اثر فعند ذلك انقطع منها الاياس وزاد بالامير الوسواس واقبل على الاميرة وقال لها معلوم ان الجارية قد عرفت في بلاد الروم ولا نعلم لأي الاقاليم قد قصدت ولا على اي الجهات اعتمدت وهؤلاء المسلمين لا يمكن أن نخاطر بهم وندخل إلى بلاد الروم نحن لا نعرف مكانا نقصده والرأي

عندى أيتها الاميرة الجليلة أن ترجعى بالعسكر وأنت المشكورة على ذلك فقد فعلتى ما أنت له أهلا فقالت الاميرة اعلم يا أبو محمد أن الحب يرميك فى مهاويه وانى أخاف عليك من اتباع الهوى أن يرميك بنباله فتهوى الجارية نورى فما هى مريدة لك فأقول إنك تتوصل إليها بسبب من الأسباب وما هى إلا نصرانية وإنما كان الاسلام منها خداعا وخبثا وغدرا فما ينفعك عندها نافع إذا لم يكن لك فى قلبها شافع كما قيل

ولا ينفعنى فى المودة شافع   إذا لم يكن بين الضلوع شفيع

فاحرص يا أبو محمد أن تقلب قلبك عن هذه الجارية وعن هذا الهوى ولعلك تأنس بأخرى فقد قال القائل   وما سمى الإنسان إلا لنسيه   ولا القلب إلا أنه يتقلب

واعلم يا أبو محمد بأن الموت بالمرصاد ولا ينجو منه أحد من العباد وإن اتباع النفس مما يغضب الرب لقوله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء الآية وإنك تريد أن تدخل إلى بلاد الروم من أجل نورى ولا آمن عليك من الهلاك ولا تجد لنفسك من ذلك فكاك فلما سمع الامير أبو محمد ذلك من كلامها بكى وقال أيتها الاميره ما ذكرتى شيأ إلا وأنا أعرف به والآن لا سبيل إلى الرجوع والقلب قد سلب من بين الضلوع ثم بكا وأنشد

صدت فعلمت الصدود خيالها   بخلا عليه بأن ينال وصالها
ممسكة بأسباب الصبابة حاله   وطوت بأسباب القطيعة حالها
ومضت لأرض للعدو هزيمة   واستصحب قلبى الشجى خيالها
شدت على خصر لها زنارها   حتى سلمت بأن أقول مقالها
لو أن نورى أنعمت بوصالها   فلكنت ألثم ما حييت نعالها
رجعت الى كفر الذين تعمقوا   فى كفرهم وضلالهم كضلالها
هيفاء كالغصن النضير وشاحها   حلو ويحلو ساقها خلخالها
قد قطعت قلبى بكثرة صدها   وبهجوها وبغنجها ودلالها
لولا مقاومة الامير لأجلها   عبثا لكان إلى الوصال أمالها
يا هذه لا تعذلينى فى الهوى   فأنا الذى قلبى يحب فعالها
أنتى الاميرة لا عدمتى فارجعى   مشكورة قد بلغت آمالها

(قال الراوى) فلما سمعت الاميرة ذلك من كلامه وشعره ونظامه دمعت عيناها وحزن قلبها والتفتت إلى صحبها وقالت يا أبو الهزاهز قال لبيك قالت ارجع بهذا العسكر إلى الامير عبد الوهاب فانى وحق مسبب الاسباب لا أعود معكم وإنى ماضية مع الامير أبو محمد البطال فان ظفرنا بالمنا فهو المراد وإن عطب فلى أسوة به ولا قعدت عن ممكن

من أجله فقال لها الأمير أبو الهزاهز أيتها الأميرة فنحن نسير بين يديك فقالت ما يمكن ذلك لأن نورى ما معنا منها خبر والرأى عندى انكم تمضون كما ذكرت لكم وأنا أسير معه وأفعل ما أمرنى به فان القعود عن حوائج الإخوان من عجز الإنسان فشكرها الأمير أبو محمد على ذلك ثم انه ودع بقية العسكر وركب على وجهه لحية سوداء مثل الليل الدامس وفيها شعرات بيض وعلى رأسه مثل ذلك بشعر طويل وصبغ حواجبه موافقة لذلك وغير أحوال غلمانه سبك وبديع ولؤلؤ وجوهر وشفيع وأبو الليل وصافى وكذلك فعل بالأميرة المجاهدة ذات الهمة لأنه ركب عليها لحية بيضا وعمل على رأسها شعر من نوع اللحية وصبغ حواجبها بيضا وصقل وجهها بأدوية كانت معه حتى كاد أن يأخذ بالبصر وصارت الأميره لا يستطيع المتامل أن يلمح النظر إليها وكانت الأميرة من أحسن الناس وجها وأكثرهم شكلا ودلالا وهى ذات جمال وكمال وقد وقد واعتدال ثم ألبسها ثوبا من الصوف واسع الكم والذيل أرفع من الانطاكى ومن تحته رز نباقة من الشعر وباطنها حرير أنعم من الجسد وعمل على رأسها برنس أسود وأرخا تلك الذوابتين البيض وقد شط تلك اللحية الطويلة حتى صارت مثل قضبان اللجين وأمرها أن تنسم على وجهها حتى لا يتغير ذلك الابراق والجوهر الساطع وكانت الأميرة تحفظ بسائر الألسن لكثرة دخولها إلى بلاد الروم والمحاوز لهم ثم أمر الغلمان الذين له أن يدوروا حولها وجعل أبو محمد يحجبها وقال لها عليكى بالسكوت وأنا الترجمان ثم سار الأمير أبو محمد إلى مفرق الطريق الذى تبان منه المسالك إلى سائر الأقاليم هذا والأمير أبو محمد لا يدرى إلى أين يسلك كما قال بعض أهل الأدب

وأصبح لا يدرى وإن كان حازما   أقدامه خير له أم وراءه

(قال الراوى) ثم إن البطال أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها اعلمى أن الأميرة نورى خبيثه وهى ذات مكر ودها. ولا بد لها أن تطلب هذه الطريق الخافية لأنها تقول انها لا نسلكها قط فعند ذلك قالت الأميرة أنا أقول انها ما توجه إلا إلى مدينة القسطنطينية فى حماية الملك ميخائيل والملك منويل وربما يتزوج بها لان حسنها شفيعا قوى ولولا ذلك ما كنت أنا الساعة أتعب فى هذه الأماكن التى ليس بها أنيس ولا سالك فما الذى ترى من الرأى فقال لها أبو محمد اعلمى أن الملكة نورى ما تسلك قط إلى القسطنطونيه لانها تقول إن المسلمين يطلبونى ولو إلى عند الملك منويل لأن ما فى قلبهم من الروم فزع ولا يخامرهم جزع موها أنا أسير على الطريق ونستعين بالله (قال) ثم ان البطال أخذ فى طريق عن يمينه وكانت تلك الطريق تنتهى إلى بلاد الزغاورة وهم أحسن الروم لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الحسن فى

الروم وان أحسن الروم الزغاوره ولهم اقليم كبير فى مقابلة اقليم اليونان وأكبر فعندها سار الأمير أبو محمد وقد جد فى سيره هذا والاميره ذات الهمة والغلمان كذلك من خلفه سائرين وهم رجاله بالعكاكيز السنديان فى أيديهم والاميره سائرة فى وساطهم وكلما عبروا على قرية أومروا بقافله من الروم فتترجل لهم الروم ويقبلون أيديهم ويصافحوهم ويطلبون ان تكلمهم الاميره فيقول لهم أبو محمد لاسبيل لكم إلى ذلك لان هذا راهب نجران وهو راهب الرهبان وانه من أرض الشام وله فى خدمة السيد المسيح ثمانين سنه واعلموا ان السيد المسيح أتاه لما عرف منه عند ذلك صحة العباده وصالحه وقد علمه علم الاولين والآخرين وقد كسا وجهه من نوره وقال له سيح فى الارض طولا وعرض لتعود بركتك وبركة وطىء أقدامك عليها ويصل من ثواب عباداتك إليها وقد سار ونحن تلامذته وأنا المترجم عنه

(قال الراوى) ثم ان البطال بعد ذلك الكلام يكشف عن وجه الاميره ذات الهمة فعندها ينظروا إلى بياض تلك الشيبه وذلك اللمعان مع الصقال الذى فى صور الكنائس مثله فعند ذلك يرمون وجوههم إلى الارض ساجدين ثم يحملون إليهم الضيافات ومن الصلبان الذهب المكللة بالدر والجوهر والياقوت الأصفر والاحمر فكان ياخذ كلما خف حمله وعلى ثمنه أبو محمد ويعطى الغلمان وهم سائرين من قرية إلى قرية ومن رستاق إلى رستاق هذا وقد أقاموا على ذلك السير أربعين يوما إلى أن توسطوا إلى أقاليم الزغاورة ودخلوا إلى المدينة المعروفة باقليم مريم الكبيره وكان لهذه المدينة سبعة أبواب ولها سبعة أسوار لكل سور منها سور يليه إلى الآخر وهو أرفع من الاول والمدينة كلها مبلطة بالحجر الابيض والانهار تخترق داخل هذه المدينة وملكها إسمه الفارقيط وهو فى عالم عظيم لايحصى بعدد الرمل والحصى وكان هذا الملك يدعى ان مملكة القسطنطينيه تنتقل من بعد الملك منويل وذريته إلى الزغاوره وفى وسط هذا البلد كنيسة معلقة وهى عالية يطلع إليها فى مائة وسبعين درجة وجميع حيطانها بالرخام الملون والمجزع والمذهب وفيها صور مجسمة كل من رآها يقول انها تنطق وأخشابها من الساج مطعمه بالعاج وفى غير هذه المدينه مثل هذه الكنيسة ما يوجد وفى هذه الكنيسة مائة قسيس وخمسمائة راهب عليهم مسوح الشعر والصوف والمقدم عليهم شيخ كبير يقال له البترك لكبير عند أهل القسطنطينية ولا أحد يخالف كلمته (قال الراوى) هذا وان أبو محمد البطال قصد إلى تلك الكنيسة وكان يوم الاحد بالاتفاق ورفع صوته بقراءة

الانجيل وردوا عليه غلمانه فلما سمعوا القسوس والرهبان إلى تلاوة أبو محمد وحسن صوته جعلوا يهرعون إليه من كل جانب ومكان فتقدم أبو محمد وقال ياقوم ما أقل ادبكم هذا راهب الرهبان وشيخ لشيوخ السياح فقبلوا يديه ثم انه كشف اللثام عن وجه الاميره وتلك الاصباغ تضيء كانها الشمس فى ضوء تلك الشموع فلما رأوا الروم ذلك الضوء والشعاع تساقطوا على أيدى الاميره ذات الهمة يقبلونها وتقدم الملك الغارقريط وكان عمره ثلاثين عام وهو كانه بدر التمام مليح القوام حلو الكلام واضح الابتسام وعليه حلة خضراء وقلنسوة ملكى حمراء وشعر مجعد وخد مورد ومثله فى الروم لا يوجد وحمل إليهم الفرش والهدايا فردهم عليه أبو محمد البطال وقال ماقصدنا الى هذه الديار ولا بقى لنا فى الدنيا حاجة ولا نقدر نقيم بمكان لاننا مأمورين بالسياحه ونحن عند المساء نسير فقال له الملك لابحق المسيح لا ترحلوا الليله فلى إليكم حاجة كبيرة وعندى عشر صلبان ذهب مكللة بالياقوت يسوى كل صليب الف دينار وأريد أن أتقرب بها الى قلب هذا اللون المليح والوجه الصبيح فقال الامير أبو محمد وماذاك الذى تعوقنا لاجله فعند ذلك قال الملك اعلم أيها القس أننى كنت أسير المحبة من عشرين سنة لجارية من ذوات الروم ولها حديث عجيب وأمر غريب وكان أبوها لا يرضى ان يزوجنى بها وكلما مضيت إلى داره يردنى خائبا من طلبى حتى أنحلنى العشق وقتلنى الشوق وصرت لا أنام الليل ودموعى على خدى تفيض مثل السيل اراعى الكواكب ولا ألوى على عازل ولا عاتب وبلغ بى هواها حتى أدعيت بالصباغين والمزوقين وحذاق المصورين من سائر الاقاليم وبذلت لهم المال العظيم والملك العقيم وأرسلتهم إليها ونظروا إلى صورتها وصوروها لى صورة بجسمه وعقدت عليها قبة من الرخام منقوشة بالذهب واللازورد واسبلت عليها ستور الديباج الملكى وكنت كل صباح أشاهد تلك الصوره إلى ان يمسا المساء وتظلم الدنيا وأوقد الشمع وأشرب بين يدى تلك الصوره إلى ان يغلبنى السكر فبقيت على هذه الصفه إلى ان سهل المسيح بالاجتماع لانها كانت مأسورة فى بلاد الاسلام حتى تخلصت وأريد منكم ان تزوجونى بها وتحضرون الليله عرسها ودخولها على حتى تكمل فرحتى بكم فلما سمع الامير أبو محمد منه ذلك الكلام خفق فؤاده وارتعدت فرائصه وجرى دمعه وقال ما اسم هذه الجارية الذى عملت عليها هذا المثال كله أرنى صورتها فقد أعجبنى حديثها وأوجز حتى أجيبك إلى ماسألت وأظهر الامير أبو محمد الجلد وكان الملك يحدثه وقد غاب عن الدنيا فقال له الملك الغارقيط قم الآن معى حتى تنظر الصوره واسمها مكتوب على رأسها واسم أبيها فوثب الامير أبو محمد بلا عقل حتى أتى إلى القبه واذا بستور ديباج قسطنطينى ملكى مذهب يسوى كل ستر منها مائة مثقال من الذهب ثم انه أمر

الغلمان يرفع الستور وصعدوا فى درج من الرخام الملون فكشف عند ذلك ستر حريرا أخضر مزرر بازرار ذهب فى عرى فضة ففلت الازرار ورفع الستر فنظر أبو محمد إلى صورة الملكة نورى تنطق لا تزيد ولا تنقص وعلى جبينها مكتوب هذه صورة منية القلوب نورى بنت الملك عين المسيح فلما نظر الامير أبو محمد البطال إلى تلك الصورة لم يقدر على الجلد بل صاح ووقع مغشيا عليه وبقى الملك متعجب من هذا الامر فلما أفاق قال له يا أبونا ما الذى نزل بك فقال اعلم ياسيد الملوك ان هذه الصورة صورة حنا عليها السلام فظن الملك ان ذلك حقا (قال الراوى) وكان السبب فى هذا أن الملك الفارقيط كان بين أبيه وبين عين المسيح صداقة كبيرة وكانوا يزورون بعضهم بعضا وكان يمضى هذا الملك مع أبيه وهو صبى مليح الصورة وكان ينظر إلى نورى وإلى جمالها وتنظر هى أيضا اليه وكانت لها أخلاق حسنة وكانت كثيرة المزاح إلا أنها كانت زاهدة فى الرجال كما تقدم وهلك أبو الفارقيط وصار هذا يدخل إلى عند عين المسيح ويهدى اليه الهدايا ويتقرب إلى قلبه وينظر إلى وجه الملكة نورى فلما اشتد به الأمر خطبها من أبيها فلم يقبل ذلك بل رده وطرده وقال وحق المسيح ان عدت إلى مثلها قتلتك ولا ترجع إلى ديارى فقد أفسدت ما بينى وبين أبيك وما يطلب قلبى ان أزوجك بها (قال الراوى) فعند ذلك زاد غرامه وبلاه ونحل جسمه وزاد هواه وبقى كذلك إلى ان دخل الأمير عبد الوهاب إلى الحصون وفتح القلاع كما تقدم فى هذه السيرة وان الملك فارقيط صور نورى فى تلك القبة وكان ينظر اليها ويبكى وكان قد بلغه ان عين المسيح فى قتال شديد مع الأمير عبد الوهاب وأمراء بنى كلاب فبقى على مقال النار وكان قد أقسم بالانجيل والصليب انه لا يدخل إلى تلك الديار لاجل ما رده وطرده والا قد كان سار إلى نجدته ولم يزل كذلك إلى أن بلغه ان تلك الديار كلها ملكت والبطارقة قد هلكت وان الامير عبد الوهاب رجع إلى بلاده بعد ان كسر عسكر الملك منويل وقتل رجاله وأبطاله وبقى على مقالى النار وهو كذلك مدة الاعوام التى كانت نورى مأسورة فيها وهو لا يسلاها بل ينظر إلى تلك الصورة ويبكى وبقى كما قال القائل

لئن مالت الايام دون لقائنا ... فانا بعين القلب يلتقيان

تصورت فى قلبى لاجل صبابتى ... كانك لم تبرح بكل مكان

(قال الراوى) وان الملكة نورى لما وقعت الفتنة بين الاميره ذات الهمة وبين عبد الوهاب والعرب والسودان وجدت إلى الهرب سبيل وامكان ثم أنها سارت ولحقها أهل لبلستين كما تقدم وهى من الشجاعة والبراعة بمكان عيم فقتلت منهم جماعة ورجع الباقون على الحالة التى لا فائدة فى اعادتها بعد سماعها حتى وصلت

إلى درب السكك فعندها بقيت حائرة لاتدرى إلى أى موضع تمضى وقالت مالى إلى بلد القسطنطينية قلب لان الملك منويل شيخ ومالى فى وصول الشيوخ أرب ولا لى معه طرب وسائر الروم مالى بهم معرفة ولا لى معهم قلب ولكن قد كان الملك الفارقيط خطبنى من أبى ورده خائبا وقد سمعت انه من عظم محبتى صور صورتى عنده فى قبة من الرخام على ماقد قيل وخسر عليها أموال جسيمة وهو ينظر إليها ويبكى وأنا أخاف ان المسيح ما بلانى بهذه الشدائد وأخرب ديار أبى الا بخطيئته وهو مع ذلك أحسن الناس وجها فامضى اليه واتزوج به على خيرة المسيح (قال الراوى) ثم أنها سارت حتى وصلت إلى اقليم مريم الكبرى وسألت عن الملك فاخبرت أنه فى تلك القبة وقد غلبته الشكوى وزادت عليه نار البلوى وهو ينظر إلى الصورة فعند ذلك ترجلت عن الجواد وطلعت إلى الكنيسه والناس يظنونها من أولاد البطارقة لانها سترت وجهها عن الشمس وأنها سارت إلى القبة فوجدت الملك الفارقيط قد نظر إلى تلك الصورة فأعياه النظر ثم أنه أطرق برأسه إلى الأرض مفكرا فى امره فبينما وهو كذلك وإذا بنورى واقفة على رأسه وقد نظرت إلى حالته فقالت ارفع رسك أيها الملك فالى كم تنظر إلى هذه الصورة التى يستأهل من صورهاقطع يديه ورجليه كم بين الصررة وبينى (قال الراوى) فعند ذلك رفع الملك رأسه وقد أسفرت اللثام عن وجهها فعند ذلك عرفها فوقع مغشيا عليه وبقى ثلاث ساعات من النهار لايدرى بنفسه وقيل أنه قد هلك فلما أفاق جمع القسوس وأراد ان يتزوج بها وكان فى تلك الليلة يريد الدخول بها وكان للقضاء والقدر الذى سبق فى أم الكتاب ليجعله حديثا إلى يوم الحساب فى تلك الليلة وصل أبو محمد البطال ومعه غلمانه والاميرة ذات الهمة وقال الملك لابو محمد ما تسيروا حتى تحضرون العرس والمسيح لايضيع لكم أجركم فدخل أبو محمد إلى القبة ونظر الى الصورة وعرفها فلما أفاق أنشد يقول

سقبدى لك الايام ما كنت جاهله ويأتيك بالأخبار من لم تسائله

(قال الراوى) ثم أنه رجع إلى الاميرة ذات الهمة والملك الفارقيط معه فقال لها أبو محمد اعلم أيها القس القديس الصالح والرجل السايح ان هذا الملك الفارقيط قد عول على دخول عروسه فى هذه الليلة وهى الملكة نورى بنت عين المسيح الذى كانت مأسورة فى بلاد المسلمين وقد من عليها المسيح بالخلاص ولك إذا حضرت هذا الفرح الثواب العظيم فقالت الاميرة ذات الهمة عند ذلك ما أمرنى المسيح أن أقيم فى البلد أكثر من ثلاثة أيام والآن نحن نقيم إلى أن ينقضى عرس هذا الملك لأنه رحمة السيد المسيح على المساكين وأيضا نكسب الثواب فلما سمع الملك

ذلك من كلامها باس الأرض قدامها وقال المسيح يجازيك على ما تفعل معى فلو علمتم ما جرى على من جهة هذه الجارية لبكيتم على فقال الأمير أبو محمد وهو يبكى صدقت فى ذلك ثم إن الملك انصرف فى أشغاله وهو فرحان بما سمع من الأميرة ذات الهمه من الاجابة الى المقام ومضت البشارة إلى الملكة نورى يقولوا لها ابشرى فقد حضر فى عرسك راهب رهبان نجران وشيخ شيوخ الزمان وما دخل إلى هذه الديار الاعلى وجه الراحة والزيارة لاعلى سبيل الاقامه المباحة لان المسيح قد أمره بالسياحة (قال الراوى) فلما سمعت الملكة نورى ذلك قالت لو لم يكن لى عند المسيح منزلة ومقدار لما كان خلصنى من أيدى المسلمين وأتى بى إلى هذه الديار وسهل لى مثل الشيخ الصالح فقالوا لها الحاضرين من نساء البطارقة منزلتك أعظم من ذلك وكان الملك قد أخلى لها دار تعرف بدار الزجاج الملون مثل الجوهر والاحجار المختلفة الالوان وفيها أسرة من العرعر قد رصعت بالدر والجوهر وصفايح الذهب الاحمر وهى عالية البنيان مليحة الجدران قد بنيت بالاجر السكرى وبيضوها بالاسفيداج النقى وقد حفت بالستور والمقامع ونصبت فيها المراتب من كل جانب والاركان قد زينت بالديباج القسطنطونى والملكى والمطابر وقد علق على باب الدار شبكة من الابريسم محبوكة باللؤلؤ الكبار مرصعة بفصوص الياقوت الاحمر والازرق والاصفر وفيها من الاحجار المثمنه مثل البلخش والبنفش والفيروز السحاق والمرجان ما يحير عقل الانسان وقد أطلقت الطيور من الاقفاص وقد فرحت بالخلاص وزادت بها الافراح وقد صاحت الألسن الملاح الفصاح بالاشارة وكلام الاعتبار وقد أرهجت تلك الدار من طيب ألحانها وتغدير أشجانها على اختلاف لغاتها وحنين أصواتها وعجيب صنعاتها من البلبل والشحرور والفاخت والزرزور والقمرى والنوبى والحمام واليمام والسمان والكيروان والكركى وأبو رزيق والهزار والعصفور وسائر أصناف الطيور

﴿ياساده يا كرام﴾ وان الملكة نورى قد أفيض على يديها ماء الورد وقد مسحت المواشط وجهها وأرخوا شعرها وكثر من الأغانى رهجها وأرخوا لها ذوائب مثل الليل الدامس وألبست غلالة حمراء على بدن مثل الرخام ووجه كوكب الزهرى وفى وسطها سراويل من الحرير الأخضر وكان ردفها من داخله كانها عدل حشى ورد أحمر وقد بان بياض جسمها وبان لها أربعة عشر عكنه مثل طيات الدرجات (قال الراوى) ولم يبق أحد من بنات الملوك إلا وكاد أن يطير عقلها مما عاينت من حسنها فهى كما قال فيها بعض واصفها

قلب تملكه الأشجان والسهر ... والوجد والحب والهجران والعكر

إن الفتاة التى هام الفؤاد بها ... وجدا وما نال من وصلها وطر
فى قدها هيف فى وصلها شرف ... فى هجرها تلف فى مشيها خفر
إن قلت شمس فهى شمس إذا طلعت ... أو قلت بدرا بدا كانت هى القمر

(قال الراوى) وأما الأمير أبو محمد فانه لما خلى بالأميرة ذات الهمة قال لها اعلمى أننى قد أشرفت على الهلاك لا محالة وما بينك وبينى إلا ما أنظر إلى الملكة نورى وهى تجلى ويخلو بها فأموت بلا محالة وربما إننى من كثرة الشوق والمحبة أضربها بالخنجر فأقتلها ولا ينالها غيرى ولا يوصل لها أحد سواى فانى من حبها سكران وعلى وصلها غيران فقالت الأميرة ذات الهمة يا أبو محمد إن العقل يحسن بالرجل وهذه الجارية معلوم أنها تخلصت من الاتسر وهى فى بلاد العدو وفى هذه البلد أكثر من مائة ألف مقاتل ونحن على غير قدرة ولا كثرة ونحن نحضر مع الملك الليلة فى داره فان قدرنا على أخذها وسرقتها ونهرب تحت ظلام الليل وإلا الايام معنا طويلة ولا بد لنا من أخذها إن شاء الله تعالى ولا تخرج من هذه المدينة الا بها فهدىء روعك وطيب قلبك (قال) فلما سمع أبو محمد كلامها علم أنها صدقت فى قولها ثم جعل ينظر إلى الملكة نورى تشوقا وقد حمل من ذلك أمرا عظيما فلما كان وقت المغرب أتاهم الملك بنفسه وبين يديه البطارقة والقسوس والرهبان والشمامسة والمطوان وقصدوا إلى عند أبو محمد البطال وسلموا عليه وباسوا الارض بين يديه وقال الملك الفارقيط يا أبونا ما أعرف مسير راهب نجران الامنك فقال أبو محمد السمع والطاعة وجعل أبو محمد ينظر إلى الملك وإلى حسنه وجماله وهو مثل القمر الطالع فقال أبو محمد هذا الكلب الذى يخرب بيتى والله ما يقربها هذا ويطيب لها قلب معى أبدا (قال الراوى) وان الامير أبو محمد أقبل على الاميره ذات الهمة وقال يا أبونا بحق المسيح والانجيل والصليب ومن صلب عليه الاما أجبت دعوة الملك إلى ما أوعدته حتى تتم أفراحه ويعجل صلاحا فعند ذلك قالت الاميره السمع والطاعة ووثبت فى تلك الساعة وأحدق بها غلمان أبو محمد بتلاوة الانجيل والقسوس والرهبان قد حاروا من ذلك اللمعان الذى على وجه الاميره ومن طيب تلك التلاوة ولم يزل الملك يمشى بين أيديهم حتى وصلوا إلى دار الزجاج فنظر أبو محمد إلى أكثر من ثلاث آلاف امرأة من بنات الروم وهم مكشوفين الوجوه لأن الروم ما يسدون وجوههم عن الرجال فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة يا أبو محمد أنظركم ههنا من الوجوه الحسان فقال لها صدقنى ولكن كما قال القائل حيث يقول

وقائلة للمسوان تعرضن دونها ... إليكن عنى غيركن أريد

(قال الراوى) وقد ضربت الطبول والملاهى وغنين الجوار وأخبرت الملكة نورى بقدوم راهب نجران فقامت للقائه وكانت هذه عادة الروم وخرجت الجوار معها من حولها وقد ألبست ثوب ديباج قسطنطونى ملكى مذهب على بياض وقدم إليها نعل من الذهب الأحمر بشبكة من الابريسم مكللة بالدر والجوهر والخلخال قد عرق فى شحم الساق وتلك الاعناق قد تطاولت إليها بالاحداق وجعلن النسوان يعضضنها يمينا وشمالا وهى تمايل وتطوح نفسها عليهن وهن يتواقعن من ثقلها إذا مالت ويتضاحكن وكان ذلك من عجبها ودلالها وقد علمت ان النسوان قد افتتنوا بها حتى أشرفت على القسوس فعند ذلك تقدموا إليها القسوس الذين للبلد وجعل كل واحد يضمها إلى صدره ويبوسها فى خدها واحد بعد واحد وأبو محمد ينظر إلى ذلك وقد طار عقله وطال عليه الامر فصاح اصبروا والساعة قد يتقدم من قدمه المسيح عليكم فما أقل أدبكم وأعمى بصيرتكم فعند ذلك انصرفوا كلهم ووقفوا ناحية فصاح أبو محمد ارفعوا أصواتكم بقرائة الانجيل فخيل للروم ان الكنيسة تميل بهم من طيبة أصواتهم وجعل أبو محمد يذكر الانجيل فصلا فصلا ويذكر فيه فراق الاهل والتغرب والموت فعند ذلك تذكرت الملكة نورى أهلها وديارها فبكت عليهم إذا لم يبق منهم أحد ثم أقبل الامير أبو محمد على الاميره ذات الهمة وقال لها تقدمى إليها وضميها إلى صدرك ساعة وبوسيها عشرين بوسة حتى إذا فعلت أنا ذلك لا ينكر على أحد وان أنا ضميتها إلى صدرى وخرجت روحى فقد تخلص مرة واحدة (قال الراوى) ياساده يا كرام فعند ذلك تقدمت الاميرة ذات الهمة إلى الملكة نورى وقد لحق الملكة نورى منها هيبة عظيمة ثم نظرت إلى تلك الشيبه وكثرة تلك الأنوار والهيبة فارمت نفسها على الاميره تطلب منها البركة وكانت هذه صفة الروم فجعلت الأميره تضمها إلى صدرها وتقبلها هكذا ساعة فقال لها الأمير أبو محمد قد أخذت المسألة حدها وقد أخذته الرعدة والزمع من فرط المحبة حتى لو ذبح ما خرج منه فى تلك الساعة دم وكان كما قال القائل

تمنيت من أهوى فلما وجدته بهت فلم أطلق لسانا ولا طرفا

(قال الراوى) ثم أنه رمى روحه عليها وقال لها ابشرى بعناق هؤلاء الشيوخ الصالحين وإن المسيح قد نظر إليكى ورحمكى ثم أنها أرمت روحها على أبو محمد فاخذها إلى صدره وقد كادت ان تقصف ظهره فقال فى نفسه هى ما تخلى شطارتها على فى سائر الاحوال والاوقات ثم أنه جعل يضمها إلى صدره ويبوسها حتى كادت روحه أن تغيب من الدنيا ثم نظر إلى تحقيق الصره وطى الاعكان فقال لها لقد جمع المسيح فيكى الجمال والكمال وما خلقك على هذه الصورة إلا وله فيكى نية جميلة ولا بد

ما يشرفك هذا الملك على سائر بنات البطارقة (قال الراوى) فلما سمعت نورى ذلك قالت له يا أبونا إن المسيح قد نظر إلى وشرفنى بحضوركم فى هذه الليلة لأن أهلى قتلوهم المسلمين وخربوا بلادهم وديارهم وأنا غريبة واحدة ولولا هذا الجمال الذى ألبسنى المسيح إياه وإلا كنت قد رأيت الذل والهوان فقال لها أبو محمد صدقتى وربما أن المسيح عرف نيتك وأمرنا بالسياحة من أجلك وأرسلنا إلى هذه الديار بسببك (قال الراوى) ثم رجعت الملكة نورى إلى خدرها وقد أوقدت الشموع وقدمت الاطعمة وسكبت الخمور ونصب لها كرسى وعليه ثوب كله ديباج منسوج بالذهب مكلل بالدر والجوهر والياقوت الاحمر والازرق والاصفر والاخضر وقضبان الزمرد وأحجار البلخش والبنفش والفيروزج وكان الثوب ينجلى فى ضوء الشمس وأخرجت الملكة نورى تنجلى فى بدلة جوهر فلم يبق هناك إلا من كاد أن يطير عقله فقالت الاميرة ذات الهمة فى نفسها الله تعالى يثبت قلب الامير أبو محمد فى هذه الليلة فانى خائفة عليه أن يهلك ونهلك معه فوالله لا يلام فيما يعمل فى هذه الليلة (قال الراوى) يا سادة يا كرام وجعلت القسوس يتلون الانجيل بين يديها فقال أبو محمد يا أميرة قد عولت أن أكون أحجبها فى كل خلعة تجلى فيها وسوف ترين ما أعمل (قال) ولم تزل الملكة نورى تجلى أربعين خلعة وفى كل خلعة يصبح الملك بالقسوس والبطارقة أن ينظروا إلى حسنها فلما فرغ الجلا أمر الملك أن لا يبقى فى الدار غير القسوس والرهبان وتفرقت النسوان من عجلة الملك بالخلوة وكان الملك كلما جلوا نورى عليه فى خلعة يتقدم إليها ويبوسها بين عينيها وأبو محمد يخرج ويعطيها قدح شراب ويعطى الملك قدح ويقول له تبرك بهذا الشراب فانه مقدس وقد قرأنا عليه فصولا من الانجيل ثم أن أبو محمد ألقى فى القدح الاخير الذى هو آخر الخلع قطعة بنج فى أصابعه ثم أدار على القسوس والشمامسه والمطارنه (قال) فما فرغت هذه الاقداح إلا وكل منهم قد وقع إلى الارض وبقى الملك الفارقيط يتمايل فنظرت المواشط إلى ذلك فقالوا الملك قد سهر وهذا وقت النوم فأجلست الملكة نورى مع الملك الفارقيط والملك قد غاب عن رشده وعن الدنيا ووقع كأنه خشبة ونظر الامير أبو محمد إلى ذلك فقال يا أميرة قد عولت أن أقوم إليها وأقول أنا رسول المسيح إليكى حتى أطرح البركة عليكى وتكونى بالقرب منى فانى أخاف منها أن تنكرنى فلا أقدر عليها وربما قبضت على وأنا والله ضعيف يا أميرة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمعت الاميرة ذلك قالت له قم واطفى الشمع وارفع الستور وها أنا خلفك وإن ضعفت أنت عنها دخلت أنا إليها وألقمتها الاكره وشديتها كتافا ونترل من الاصوار بالحبال فقال لها الامير أبو محمد الامر أقرب من هذا لأن هذه البلد ما يغلق لها باب وأنهم آمنين من طوارق

الحدثان فلما سمعت الاميره ذلك قالت له قم إلى ما عولت عليه (ياسادة) وان أبو محمد دخل إلى البيت الذى فيه الملكة نورى وأطفأ الشموع وتقدم اليها فلما حصل معها على السرير قالت له من أنت قال انا ابوالخيش مطيب العيش وأنا رسول السيد المسيح اليكى فقالت وما الذى تريد قال اطرح البركة عليكى حتى يشرفك المسيح على سائر بنات الروم وهو الذى ألقى النوم على الملك الفار قيط فلما سمعت ذلك ضربت بيدها إلى الأمير ابو محمد وقبضت عليه وحلت الزنار الذى فى وسطها وكتفته وقالت ها أنت عندى إلى غداة غد فان شهد لك القسوس والرهبان انك رسول المسيح وقد أتيت تشرفنى على بنات الروم فهو الذى أريد ويكونوا قد عرفوا ذلك والا لو قلت انا غدا قد جاءنى رسول المسيح لما صدقونى على قولى ثم يقولوا ان الخنا ركبها من بلاد الاسلام وانا وحق المسيح ما تم على فى بلاد الاسلام ردى واذا صح ذلك فأنا اخلو معك يوم وليلة لعل المسيح ان يغفر لى قال أبو محمد فى نفسه والله هذه نوبة مدبرة ما كانت فى حساب ثم قالت له وان لم يقولوا انك رسول السيد المسيح انا وحق المسيح اضرب عنقك حتى لا تطرق بنات الروم ولا تكذب على المسيح (قال) فلما علم ابو محمد ذلك منها عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه لا ستر الله عليكى فما اعبرك (قال الراوى) ياسادة ياكرام وان الاميره ذات الهمة سمعت ذلك الكلام كله فدخلت عليها وصارت عندها وضربت بيديها إلى الملكة نورى فقبضت عليها وقالت للغلمان خذوها فدخلت غلمان البطال مثل العفاريت وأرادت نورى ان تصيح فقبضت على فمها وادارت يديها كتاف وقالت قم ياابو محمد فما هذا وقت المقام فلعل الله ان يستر علينا بظل ستره الجميل فعند ذلك قال ابو محمد ياسيدتى اننى مكتوف اليدين فتقدمت اليه غلمانه وحلوا ايديه فوثب قائما ثم عمد إلى الملك فعراه الثوب الذهب وخلع عن نورى البدله الجوهر فقالت له الاميرة لا تشتغل بشيء واطلب بنا النجاة فقال ياسيدتى آخذ معى هذا الملبوس حتى تلبسه نورى عندى وهى عروس فضحكت الاميرة من قوله وخرجت وقد حملت نورى على كتفها وخرجوا من باب دار الزجاج وقصدا ابو محمد إلى مكان الخيل الذى للملك فشد على الخيل الجياد واخذ من بعض الخزائن السيوف والطوارق وكانت الأميرة قد اخذت من المجلس الذى كان فيه الفارقيط سيفا مجوهرا كان الملك ورثه من ابيه وجده يسوى ملك الروم ثم خرجوا من البلد وركبوا الخيل وشدوا الملكة نورى على بغل وسارت الاميرة الامير ابو محمد وكان هذا كله من تدبير لؤلؤ غلام البطال لانه تركهم فى حالة الجلا وخرج لؤلؤ عيالهم على الخيل والبغال والزاد ونظر لهم الطريق للهرب فلما فرغوا هؤلاء من شغلهم وأخذوا نورى واذا بلؤلؤ قد حصل لهم جميع ما يحتاجون اليه وخرجوا

وأتوا إلى أبواب المدينة فوجدوا الأبواب مفتحة والبوابين مطروحة والناس قد سهروا إلى ذلك الوقت وهم فى أحلا نومة فخرجوا هؤلاء وخيلهم مستريحة لا تقر ولا تهدى وساروا سير فزعان من الاعداء فما اصبح الصباح إلا وقد قطعوا أرضا بعيدة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الملك الفارقيط فانه ما خرج فى ذلك اليوم لا هو ولا القسوس ولا الرهبان لأنهم مبنجين ولم يقدروا النسوان أن يدخلون إلى عند الملك والملكة نورى لأجل أن الملك ما ظهر من عندها ولم يزل الامر على ذلك إلى الظهر فعند ذلك صعدت النسوان إلى الموضع الذى فيه الملك فوجدوه ما أفاق مما هو فيه والملكة نورى قد عدمت وعقل الملك على نفسه وسأل عن الملكة نورى فقالوا ما لنا بها علم ثم سأل عن راهب نجران فقالوا ما لنا به علم لا هو ولا أصحابه فعند ذلك قال الملك وحق ذراع المسيح والإنجيل وما فيه من التحليل والتحريم لقد تمت علينا الحيلة وسرقت الملكة نورى وما هؤلاء القوم إلا لصوص المسلمين لأنها ذكرت أن عيار المسلمين كان يريدها لنفسه ثم أنه صاح وبكى فبكت الروم لبكائه وركب فى خمسين ألف فارس ثم فرقهم على الثلاث طرق التى تسير إلى بلاد المسلمين بالخيل والجنائب وقال لهم الملك وحق المسيح أى من هلك له جواد أعطيته اثنين فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وقد سارت من خلفهم هؤلاء العساكر ليلا ونهار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان الامير أبو محمد قد سار سيرا عظيما مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشر ترفق على نفسه وكان قد وصل إلى جبل يقال له صنام الجمل فلما وصل إلى ذلك الجبل أمن على نفسه ونظر إلى ورائه وإذا بالغبار وقد كدر الاقطار وقد طلع وتزوبع ساعة وانقشع عن عشرين ألف فارس يقدمهم الملك الفارقيط فلما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك أيقن أنه هالك وأقبل على الاميرة ذات الهمة وقال لها كيف ترين فى هذه المسألة قالت اعلم يا أبو محمد أن القوم قد انكشف لهم حالنا وبطل عنهم محالنا وإن نحن سلمنا إليهم أنفسنا فنحن هالكين بلا محالة والآن فما لنا إلا أن نقاتل فهذه هى الموتة التى كتبت وأنت كنت السبب يا أبو محمد فقال لها بحق الله يا أميرة هل رأيتى أحسن من نورى وجها وهى تجلا فضحكت الاميرة وهى على غاية الوجل وقالت له ويلك يحق فى هذه الارض الشديدة الخوف وهذا الامر وتذكر نورى وجمالها الآن شد عزمك للقاء وأنا الساعة إذا أقبل هذا العسكر أحمل عليهم ولو كانوا امائة ألف ولا بد لى أن أقصد مقدم القوم وأضربه بهذا الحسام الذى لا يبقى ولا يذر فان كان الملك بنفسه فلا بد للعسكر ان يتشوش بعده وانا استعين عليهم برب العالمين والله لأسلت روحى حتى آخذ لرأسى ألف رأس منهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال

لها الأمير أبو محمد وأنا آخذ نورى إلى هذا الجبل إلى ما بين ما تفرغى انى من القوم أكون أنا قد بلغت الأمل (قال الراوى) فضحكت الأميرة من كلامه وقالت أبعد الله شرك يا أبو محمد ماهذه دلائل خير والسلام (قال) وان الملك الفارقيط لم يكن فى جميع الزغاورة أفرس منه كما ذكرنا ومع ذلك فهو عاشق رامق وقد سار فى العساكر وقد نوى فى قلبه أنه متى أدركهم فى بلاد الروم قطعهم بالسيوف وسقاهم شراب الحتوف وإن لم يلحقهم تبعهم ولو الى بلاد الاسلام لأن الهوى يحمل الانسان على البلا ويهون عليه شرب كاس الردى (قال) ولما وقعت العين على العين عرف الأمير أبو محمد أنه الفارقيط وانه هو الذى أشرف عليه فى عسكره فقال عند ذلك كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم وان الأميرة رضى الله عنها لما نظرت إلى ذلك قالت اعلم يا أبو محمد إنا نحن من الهالكين فانزل بنا فى لحف هذا الجبل لنأخذ لنا الراحة فنزل أبو محمد البطال وقد اصفر لونه وتغير كونه وارتعدت فرائصه وعلم أنه قد هلك وهلكت الأميرة فى جريرته فقال لها أيتها الاميره انجى بنفسك فقالت يا أبو محمد لا يمكن ذلك لان قد وقعت العين على العين ومع هذا ما كنت بالتى أفعل ذلك ولا أهرب من الجهاد فى طاعة رب العباد ولا أولى الدبر والموت لابد منه وقد قال القائل حيث يقول

اذا كان غاية الحى موتا فطول الحياة عندى قصير
لا كبير يهابه طارق الموت لاولا بالكبير ينجو الصغير

فقال الامير أبو محمد ياأميره فلو اننا سلمنا أنفسنا الكان أجود لنا فقالت له هيهات ان أفعل ذلك ولا بد لى من الطعن والضرب فى طاعة الرب ولو كانوا بعدد النجوم فكن أنت وغلمانك تنظرون إلى فعالى فان أنا هلكت فافعلوا ماشئتم بنفوسكم فقال لها دونكى وإياهم فعسى آخذ أنا وجه نورى لعلى إذا مت أكون قد بلغت المراد وشفيت الفؤاد فضحكت الأميرة وقالت له لقد سلب عقلك ياأبو محمد ثم انها نزلت عن جوادها وافتقدت عدته ثم وثبت صارت على ظهره وقالت عند ذلك ياأبو محمد لو كان عندى رمح أطاعن به الكان أجود لى من الحسام فى قتال اللئام ثم انها حملت على الروم الكلاب ونزل أبو محمد فى مكانه وأنزل نورى وهى مكتوفة اليدين ووضعها عند لحف الجبل وغلمانه حوله وقد أيقنوا بالموت وهم يتعجبون من الأميرة ذات الهمة وقلة اكتراثها بهذا الجمع الغزير وقالوا والله ما بنا أرواحنا مثل ما بنا على الأميرة ذات الهمة فما للاسلام مثلها هذا وقد نظرت نورى إلى الغبار وقد انكشف عن الخيل المجحفة والرجال المرجفة والسيوف مثل البروق الخاطفة فأيقنت بالفرج والنجاة وقوى قلبها واشتد عزمها وقلعت الأميرة

عن وجهها تلك اللحيه وتلثمت على زى العرب كما كانت تفعل فى الحروب وكان اسمها عظيم فى بلاد الروم أكثر من عبد الوهاب فلما قربت الخيل منها قالوا غلمان البطال ما يجوز لنا هذا ولا فى المروءة اننا نخلى الاميره طعاما لسيوف الاعداء ويسقوها شراب الردا ونرغب نحن فى الحياة على اننا مالنا من هذا الامر نجاة ثم انهم ألووا أعنة خيلهم وطلبوا الاميرة وقالوا قم يا أمير أبو محمد اركب وقاتل مع من قد هلك من أجلك فان هلكت تكون فى ديوان الشهداء فلما سمع أبو محمد كلامهم قال لهم صدقتم فيما قلتم ولكن اسبقونى إلى ما الحقكم فتركوه ومضوا وقد أيسوا من خبره وكان أبو محمد البطال كما قال القائل

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى أجد الملامة فى هواك لذيذة

* حبا لذكرك فليلمنى اللوم * (قال الراوى) ووصلت الروم إلى الاميرة ذات الهمة وقد صاح فيهم الملك الفارقيط ويلكم خذوهم على متون الرماح وشفار الصفاح فعند ذلك قالوا الروم ياسيد الملوك هذا عار علينا أن نحمل فى هذا العالم العظيم على قليل من الرجال ثم خرج من القوم خمسين فارس وحملوا على الأميرة ذات الهمة وعلى أصحابها وكان الفارقيط عينه على نورى فعدل إليها وقد عظم عليه وكبر لديه انفراد أبو محمد بها وكان أبو محمد فى ذلك الوقت قد طمع فى الملكة نورى حتى يقضى مراده منها وهو يقول لها يا مقطوعة النخاع ويلك أنا أبو محمد البطال والله لابدلى منك والا شقيت بطنك بهذا الخنجر وكانت مكتوفة فعلمت ان ابو محمد ماهو من رجالها فصبرت حتى صار بين أوراكها ورفصته برجلها فى صدره فتدحرج إلى ورائه خمسة أذرع ثم أنها تمطمث فى كتافها بقوة همتها قطعته قطعتين ووثبت على الامير أبو محمد البطال أسرع من البرق الخاطف فما لحق ابو محمد يقوم من على الارض حتى صارت على صدره وأدارت يديه إلى ظهره وشدته بزنارها وبزقت فى وجهه ففتح لها فمه وقال ما أحلى ريقك على فؤادى يامن ملكت فؤادى وهجتنى عن بلادى ووصل اليها الملك الفارقيط فوجد أبو محمد فى البلا العريض فنزل اليها وباس يديها وقال أيتها الملكة أنظرى ما قد جرى على من أجلك فصاح ابو محمد ياقرنان وايش الذى جرى عليك انت أنا جرى على أكثر منك والملكة نورى وتعرف بهذا فالمسيح يعد لى فى عمرها زمانا طويلا فضحكت الملكة نورى من وسط الغيظ وقالت ماهذا الاشيطان فى صورة إنسان ثم انها اقبلت على الملك وقالت له أنظر لنفسك ولا تقول انى خلصت لك حتى تأخذ هذا الفارس الذى كان قد أظهره ذلك الشيطان فى صفة راهب نجران فانها أم فارس الزمان وأمير العرب والسودان هذه اللبوة المصممة الاميرة ذات الهمة مفرقة

الكتائب والابطال وعماد دين الإسلام وأم سيف الموحدين فلما سمع الملك ذلك قال لها سوف ترين العجب فقالت أريد عدة جلاد وفرس أركبها فقدم إليها الامة الحرب ثم أنها ركبت على جواد احمر يفوت النظر سريع إذا خطر فصارت على ظهره واستوت فى سرجه ثم أنها وكلت بأبو محمد عشرين من البطارقة وقالت لهم احفظوا أنفسكم منه فانه عيار الدنيار أخاف أن يقتلكم وأنتم من حوله لا تدرون ويأخذ أصحابه وأنتم ساهون فقالوا البطارقة أيتها الملكة وكيف يفعل ذلك وهو مكتوف بين أيدينا فقالت لهم لا تغترو بكتافه وكونوا على يقظة من أمركم فان رأيتم الامر بيننا وبين هذا الفارس قد طال فى القتال ووقع عليكم النوم فاعلموا أنه قد سحر عيونكم مثل ما فعل بالقسوس والرهبان والملك وهربوا من يديه فلما سمعوا البطارقة ذلك داخلهم الوهم فى قلوبهم وقال واحد منهم أيتها الملكة ابصرى عينى فان النوم وحق المسيح قد وقع على من ساعته هذه فوكلت به عشرين بطريق أخرى وسارت مع الملك حتى أشرفت على الاميرة ذات الهمة وكانت قد خرج إليها مائة فارس وحملوا عليها وعلى غلمان أبو محمد لأنهم كانوا أشجع منه فى الحرب والاميرة ذات الهمة وقد وصل إليها فارس من البطارقة وفى يده رمح وطارقه وقصدها بالطعنة حتى إذا وصل السنان إليها مدت يمينها وقبضت على سنان الرمح وصاحت بالجواد فخرج من تحتها مثل البرق الخاطف وجذبت الرمح فكادت أن تخلع به الفارس ولولا أنه خشى أن ترميه من سرجه لما أطلق الرمح من يده ثم عادت راجعة إليه وطعنته بالرمح فى صدره خرج من ظهره ثم حملت على آخر فقتلته وثالث جندلته وآخر صرعته فما وصات الملكة نوزى والفارقيط حتى قتلت جماعة ما لهم عدد (قال الراوى) فبرز إليها الملك الفارقيط إلى حومة الميدان ثم قال لها اعلمى إننى أبرز إليكى حتى تعلمين إننى ملك القوم وانتى أميرة العرب فان أسرتينى أرحتى أبطال المسلمين من الحرب وأفدى روحى منك بروحك وهو أن آمر البطارقه أن لا يتعرضوا لكى وأطلق سبيل هؤلاء الذين معك يعنى غلمان البطال إلا ذلك الشيطان فلا بد ما أريح النصرانية من شره ولا آمن على روحى فى الحياة الدنيا منه ففرحت الاميرة من كلامه وما نطق به من نظامه وقالت له دونك وما نطق به لسانك فحمل عليها على جواد أدهم مجتمع ململم مثل الغراب الاسود بغرة كالدرهم من خيول جرهم (قال) وكان الملك أفرس أهل زمانه بعد بثلاث آلاف فارس من بطارقة الروم فلما حملا صاح كل واحد منهما على صاحبه وسبق الملك الاميرة ذات الهمة بالطعنة حتى إذا وصل السنان إليها انقلبت صارت على وجه الارض ومرت الطعنة خائبة وعادت الاميرة إلى سرجها أسرع من البرق وأعجل

من الودق وقد مل حصان الملك وقل جريه فأطبقت الأميرة عليه انطباق السيل إذا قدم فى الليل ومدت يديها إلى جلباب درعه وهزته فاقتلعته من سرجه فعند ذلك صاحت نورى فى العسكر يا ويلكم دونكم وإياها فقد احتوت على الملك وحق المسيح هل تسلم به من بين أيدينا وإن فى قتلها وهنا للمسلمين وإعزازا لهذا الدين فلما سمعوا ذلك من كلامها قالوا لها نعم ما رأيتى وهموا بالحملة وإذا بغبار قد طلع وعجاج قد ارتفع ثم ظهروا انقشع وظهرت من تحته كتائب ومواكب وقد بان لمعان الاسنة والقواضب فقالت الملكة نورى ويلكم أنظروا هذا لا يكون عسكر الإسلام قد أتى فى طلب أصحابهم فيأخذونى وحق المسيح ويردونى إلى ذلك الوجه القبيح يعنى أبو محمد البطال (قال الراوى) فلما أشرفت تلك الخيل كأنها قطع الليل قصد إليها من يكشف خبرها فغابوا ساعة وعادوا وهم على مهل فسألت نورى فقالوا أيتها الملكة هؤلاء بقية أصحابنا لأن الملك فرقهم فى طلبك وهؤلاء قد وصلوا إلى مفرق الطرق ورجعوا من هذه الطريق ففرحت نورى بسماع قولهم وقالت لهم احملوا عليها فحملوا المقيمين والقادمين (قال الراوى) وأن الأميرة ذات الهمة لما نظرت إلى ذلك قالت كلمة لا يخجل قائلها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ألقت الملك من يدها وقالت له قم فقد وهبتك نفسك هذا وقد حملت عليها الأبطال واستقبلتها الاقيال حتى لم يبق فى يدها غير قائم سيفها هنالك ترجلت إليها البطارقة وعرقبوا قوائم جوادها فوقعت إلى الأرض وأخذت الأميرة أسيرة وفيها أكثر من عشرين جرح من طعن الأسنة فلما احتووا عليها وأخذوها أسيرة استراح الملك فى ذلك المكان باقى يومه وجعل يصف للروم الأميرة وينعت شجاعتها وقال وحق المسيح لو رضيت تقعد عندى لكنت أشركها فى ملكى وكنت آخذ بها ملك القسطنطونية ثم أنه أحضر أبو محمد وأمر بضرب عنقه فقاموا إليه البطارقة وقالوا يا سيدا الملوك الصواب أن تؤخره حتى تنظر ما يكون منه فأمر أن يضرب الضرب الوجيع وصار الملك يقول له بالرومى ويلك أتريد أن تأخذ نورى فيقول له البطال من تحت الضرب أى وإله أيها الملك وكيف لى بها هذا والملك فى حنقه يزيد فى ضربه ثم قال لأصحابه ارحلوا بنا إلى الديار فقالت الملكة نورى أيها الملك على ماذا عولت قال على الرحيل ومعى هؤلاء الأسارى وأعذبهم عذاب ما عذب به أحد فقالت له نورى إذا كان الأمر على ما ذكرت فسلم هذا الشيطان أبو محمد إلى من يقتله فأنا أعرف منه ما لا يعرفه غيرى لأنه شيطان فى صورة إنسان وأنه صاحب أفعال تعجز عنها الرجال فقال لها سوف أفعل به ذلك وكان أبو محمد كما قيل

حبيب ليس يرحم سوء حالى ... وفى قلبى له حب شديد

أريد حياته ويريد قتلى   فأترك ما أريد لما يريد

(قال الراوى) فقال الملك أيتها الملكة ما أريد قتله إلا فى البلد حتى يراه كل أحد (قال) وإن الملكة نورى من غيظها على أبو محمد وحنقها عليه جعلت تضربه بصوت كان فى يدها وهو لا يصيح من ضربها وكان لا يشعر به من عظم المحبة التى لها فى قلبه ولا يرى ذلك إلا أحلا الأشياء على قلبه فأشار يقول

إن عذاب الحب يستعذب   فعذبونى فى الهوى عذبوا
وإن يكن ضربى لكم معجبا   فكلمونى فى الهوى واضربوا

(قال الراوى) فعند ذلك غضب لؤلؤ غلام البطال من شعره وكلامه وقال نحن فى هذا البلاء من أجلك وأنت تتمثل بهذه الأبيات ونسيت ما نحن فيه من البلاء والآفات ثم أن الملك الفارقيط رحل من وقته وساعته فى عساكره ودساكره ورفعت الصلبان وكفروا بالرحمن وكانت الأميرة ذات الهمة بين يديه ماشية حافية مكتوفة اليدين وغلمان البطال من حولها وأبو محمد أيضا مكتوف وهو يعدو مع أصحابه وقد قال أبو محمد وحق دينى إن خليتونا على هذا المشى ما كنا نصل إلى بلدكم على مشيئنا إلا فى شهرين فاحملونى على بعض البغال ياويلكم فما أنا مثل أصحابى هؤلاء لأنهم قد تعودوا بالمشى وأنا نحيف الجسم فقال لؤلؤ صدق لأنه من أولاد النعم ونحن من رعاة الغنم (قال الراوى) فحملوه على بغل وهو مشدود الكتاف فقالت الملكة نورى ارفعوا ذات الهمة أيضا وأصحابها على الدواب واطلبوا المدينة على عجل ولا تأمنوا من العوارض لأنها غير مأمونة ونخاف أن يأتينا ما لم يكن فى الحساب فلما سمعوا ذلك من كلامها راوه صواب ورفعت الأميرة وغلمان البطال على الدواب (قال الراوى) واستقاموا على الطريق وإن أبو محمد جعل ينظر إلى نورى وهى ملاصقة إلى الملك تحادثه وتضاحكه وهو فى غلبة الأسر وذلة القهر فأنشد

غرام ووجد قد يزيد على الصب   ونار جورى وسط الجوانح والقلب
فيا حسن نورى إذ تنادى بصوتها   تهددنى بالضرب مع شدة الخطب
وكان لعمرى ضربها لى راحة   فقلت لها زيدى بحقك فى ضربى
ولم أنس منها قولها بدلالها   ألا فاقتلوه تخلصون من الكرب
وأصعب ماتى أسرد لهمة التى   تفوق الورى فى الحسن فى الشرق والغرب
ولو أن أبطال الثغور دروا بنا   لأبصرتهم مثل الليوث على النجب
ولكنها آجال قوم تقاربت   وكان لشؤمى كلما ناله صحبى
فيا ليتنى من بعد هذا جميعه   وصلت إليها ثم يدهمنى كربى

(قال الراوى) ولم يزل الملك مجدا فى سيره إلى أن وصل إلى دير يقال له دير نصطرونا

فأراح فيه يوم وليلة فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وإذا ببطارقة من جانب العسكر وقد ارتفع صياحهم وصراخهم وقد أقبلوا نحو الملك يتصايحون فظن الملك أن بعض الأسارى قد هرب فسألهم عن ذلك فقالوا أيها الملك الكريم إن المسيح قد قضى فى هذه الليلة شهوتك لأنك قبل أن تجيء عليك هذه الحيلة من هذا الشيطان الذى قال أنا راهب نجران عمن كنت تسأل المسيح أن يجمع بينك وبينه فقال لهم أنا كنت أسأل المسيح أن يجمع بيني وبين إحدى الرجلين الصالحين أما الشيخ النجيح أو عالم النصرانية ومقدم رهبان دير المسيحية الشيخ أبو الشر شومدرس وكان قصدى بذلك أن يزوجونى بهذه الملكة نورى وتعود على بركاتهم فقالوا له ابشر فان المسيح قد أعطاك مناك وأنالك هواك هذا الشيخ النجيح قد أتاك وشومدرس وولده دهرشوم قد وافاك ومعهم الراهبة الصالحة شوما (قال الراوى) وكان السبب فى قدومهم بأنهم من وقت هربوا من القلعة الشهبا ما وقعوا فى عين الملك منويل لأن عقبة وشومدرس كانوا سألوه أن يهرب معهم فما أجابهم إلى ذلك فزعا وخوفا فهربوا وما أعلموه بذلك وطلبوا لأنفسهم النجاة إلى أن وصلوا إلى دير نصطرونا فلما رأوا عسكر الفارقيط أتوا إليه وكانت قد وصلت إليهما الأخبار بالملكة نورى وهربوا بها إلى بلاد الزواورة من مطية فلما سمع عقبة ذلك قال يا أبا الشر إنى لم أصدق ذلك وكيف تخلص نورى من مخاليب عبد الوهاب الأسود ومن ذلك الشيطان أبو محمد البطال العيار المحتال وإن كان هذا صحيح فقد تم لها أمر عظيم وربما تكون الجارية نورى قد عملت على قتلهما لأنها ما فى عينها من أحد شيء ولها فى الفروسية أوفى حظ على ما قيل عنها فقال له الراهب وشومدرس اعلم أيها الشيخ النجيح إنها تربيتى ولها على حقوق وهى ابنة الملك الذى كان علينا وكان الأمير عبد الوهاب أهانها وذلها وقد اشتهيت أن تسير بنا إليها وانظر إن كان لهذا الامر صحة فاقضى واجب حقها على وتعلم أننى سألت عنها فقال له عقبة هذا وحق المسيح مرادى لأنى أريد أن سألها عن أخبار الثغور وكيف تخلصت وكيف قد تركت الأسود دالزنيم وإيش سمعت بالرشيد وإن لم يكن لهذا الأمر صحة فنكون مقيمين فى بلاد الزواورة وقد قربنا إلى بلاد الإسلام فنأخذ الأخبار على جليتها ونسمع أخبار الملك منويل إن كان يرسل إلى الأقاليم فى طلبنا ثم أنهما عزما على الرحيل إلى دير نصطرونا فقالت شوما وأنا ربيتها وقد اشتقت إلى النظر إليها لأننى تأخذنى الشفقة عليها (قال الراوى) وساروا القوم إلى بلاد الزواورة إلى أن وصلوا إلى دير نصطرونا ووافق وصولهم وصول الملك والملكة نورى والأميرة ذات الهمة وأبو محمد البطال وغلمانه أسرى كما ذكرنا وأخبروا الملك بوصولهم ففرح فرحا عظيما ثم

قام ومشى نحوهم فلما وقعت عينهم على الملك باسوا الارض بين يديه ثم جعلوا يعانقوه وهو يقبل أيديهم وكان يعرف منزلة عقبة عند الملك منويل صاحب القسطنطونيه وكذلك شو مدرس وكانت نورى سألت الملك ان يطلبه لها فى أى موضع كان وكان قد أوعدها بذلك فلما وصلوا اليه وقدموا عليه فرح بذلك الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد ثم أنه سار بهم إلى خيمته الصغيرة والملكة نورى قد نصب لها سرير وهى جالسة عليه فلما دخل شو مدرس وعقبة وثبت إليهما وباست أيديهما وكانت قد باست يد عقبة أولا وعادت إلى شو مدرس وعانقته وقبلته وجعلت تبكى بكاء شديداً وتشكو اليه فقد أهلها فجعل الراهب يعزيها ثم قال لها سوف ترزقين من هذا الملك الفارقيط أودلا وتصيرين صاحبة البلاد وتملكين رقاب العباد هذا وقد دخلت شوما ففعلت بها مثل ما فعلت بشو مدرس ثم أن عقبة أقبل على الملك وقال له أخبرنى ما الذى أتى بك إلى هذا المكان وما الذى أزعجك من بلادك فقال ياأبونا حديثى عجيب وأمرى غريب ثم أنه حدثه بدخول البطال إلى بلاده وكيف صنع الاميرة ذات الهمة راهب نجران وشيخ قسوس الشام وتم عليه ذلك وأخذ الملكة نورى هذا وعقبة قد انفتحت عينه الصحيحة مثل السكرجه وهو يقول ماهذا الا إبليس زمانه فقال الملك وأننا لحقناهم وخلصنا الملكة نوري وأخذنا ذات الهمة بعد ان قتلت منا عالم عظيم ومعهم أبو محمد البطال وغلمانه فلما سمع عقبة ذلك كاد أن يطير قلبه من الفرح وأما شو مدرس فانه قال وحق المسيح لاعدت أفطرت فى هذا اليوم شكرا للمسيح الذى أمكننى من أبو محمد البطال وفى قلبى منه النار التى لا تطفى فقال الملك طب نفسا وقر عينا الساعة ترى العجب وأبو محمد بين يديك ومهما شئت فاصنع ثم أنه صاح بالبطارقة وقال لهم أحضروا بأبو محمد البطال فما كانت الا ساعة حتى سحب أبو محمد على وجهه هو وغلمانه وهو يظن ان الملكة نورى طلبته حتى تضربه ومايدرى ماخبى له فى الغيب فلما نظر القاضى عقبة وشو مدرس ودهر شوم وشوما أيقن بالبلاء وقال فى نفسه هذا والله سبب انقطاع الاجل ولكل موته سبب إلا أن يشاء الله تعالى فأقبل عليه عقبة وقال ويلك ياقواد ياقرد أتريدان تأخذ الملكة نورى وبنات الملوك ليكونوا لك جوار وحق المسيح ان كادلا بدلى الساعة مما أذيقك لفحات النار وأوقع بك الويل والبوار وكذلك قال الشيخ أبو الشر شو مدرس ووثبت اليه العجوز شوما كانها ذئب أمعط وجعلت تلطم وجهه وتقول ويلك أردت أن تأخذ بنتى الملكة نورى فصاح أبو محمد فى وجهها وقال ياعجوز النار وياجيفة الحمار

ويالون جلد الفار ويامن هى مثل الكلب الهدار إيش فيكى يشبه ستى نورى حتى تكون ابلتك يالبوة شمطاء وياحية نقطاء يالون الغراب ويابوم الخراب وياريح السراب ويلك أين الحمام من الغراب (قال الراوى) فلما سمع عقبة ذلك من أبو محمد ضحك وقال ياأبو محمد وحياتك الساعة تذهب عنك هذه الحدية التى فيك ثم قال على هذه العاهرة ذات الهمة فأتى بها فلما نظرت إلى عقبة قالت فى نفسها والله مابى قتلى مابى من شماتة هذا الملعون عقبة ثم ان عقبه أقبل عليها وقال إلى متى تمهلك المسيح يا عجوز السوء لا بد لى ان أهتك سترك وأفقدك أهلك وأبليكى ببلاء يعجز عنه صبرك فقال عند ذلك شومدرس اعلم أيها الشيخ النجيح أنهم قد صاروا لهم علينا حرمة لانها قد صارت راهبة نجران وشيخ شيوخ الزمان والمسيح لا يبلغهم إلى هذه الرتبة أبدا فقال صدقت ولكن أريد ألطخ وجه راهب نجران بالزيت والقطران وأعمل هذا الزفت ومشاق الكتان وأضربه ومن معه بالنيران حتى يصيروا عبرة فى هذا الزمان ثم أقبل على الملك وقال له ما انتظارك فى هؤلاء أحرقهم بالنار فانهم أحرقوا فؤادى فقال له الملك الآن هم بحكمك وقد عولت ان لا أفعل بهم ذلك الاعلى باب البلد الذى لنا حتى ينظروهم العوام والخواص والرجال والنسوان ويكون مثل يوم المهرجان فقال عقبة إذا كان الامر على ماذكرت فارحل بنا من ساعتك هذه واعمل بهم ماأقول لك عليه ولا يأخذك فيهم مهلة لانهم قد وقعوا فى يد الملك منويل وأبيه وماقدروا على تلافهم بل يعرض لنا فيهم العوارض (قال الراوى) فلما سمع الملك ذلك رحل وقته وساعته و بين يديه الاسارى ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى ضيعة تسمى ضيعة القباب وقد بقى بينهم وبين المدينة فرسخ عند ذلك خرج اليهم اهل البلد ولم يبق أحد وكان يوم عظيم وجعلوا يضربون الاميرة والامير أبو محمد ومن معهم بالعصى والحجارة حتى وصلوا إلى باب المدينة فنزل القاضى عقبة والراهب شومدرس على باب البلد وقالوا وحق المسيح والانجيل لادخلنا البلد حتى لا يبقى أحد من هؤلاء الاسارى وقالت الراهبة شوما مثل ذلك فقال الملك وحق المسيح انى إلى هذا اشوق وإليه أسبق فدونكم وما اخترتم (قال) فعند ذلك أضرمت النيران وأحضروا النفط والزفت والقطران (قال الراوى) فبينما هم على ذلك وإذا بالجو قد أظلم والافق قد اغتم فقالوا الكل وحق المسيح إن هذا الغبار له على سبب وما هذا إلا عسكر قد وصل الينا وقدم علينا ولعله من بلاد البجناك لان بيننا وبينهم وقائع وعادتهم يأتون إلى هذا المكان ويرجعون خائبين (قال) وان الملك الفارقيط أرسل خمسين

فارس يكشفون له الخبر فقالوا سمعا وطاعه أيها الملك لكن لا تفرط فى هؤلاء الاسارى لانك ما تدرى ماهذا العسكر الذى قدم وما دخلوا هؤلاء إلى بلادنا الا وهم واثقين بعساكرهم تتبعهم فقال الملك أمضوا الآن فساروا غير بعيد وإذا قد بان لهم بياض الاسنة والدروع السابرية والخيل العربية والبيض العادية والصوارم المشرفيه والطوارق المذهبة والمراكب المعلمة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الامير يانس المتغرب كان له فى سائر الاقاليم الجواسيس يكشفون له اخبار الروم ويطالعوه بها حتى يطالع بذلك أهل الثغور وبلاد الاسلام وابطال الايمان وان بعض الجواسيس الذى له وصل إلى أرض الزواورة وقد نظر إلى الملكة نورى ليلة عرسها وهى تزف على الملك الفارقيط فعظم عليه وكبر لديه وقال مالى إلا أن امضى فى غداة غد وأعلم يانس حتى يرسل إلى الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال ويعلمهم أن الملكة نورى وصلت إلى بلاد الروم وهى عند ملك الزواورة فلما أصبح الصباح فقدت الملكة نورى وخرج خلفها ذلك العسكر علم الجاسوس أن ذلك من فعل الامير أبو محمد البطال فعند ذلك سار لوقته مع العسكر إلى أن شاهد ماجرى لهم وكيف أسر أبو محمد وغلمانه والاميرة ذات الهمة فعندها سار إلى أن دخل إلى حصن يانس المتغرب بعد احدى عشر يوم واعلمه بالخبر فلما سمع يانس ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال والله العظيم لئن غفلت عن الاميرة ذات الهمه وأبو محمد ومن معه هلكوا لا محاله وما يسوى ما عملناه طول الزمان حبة ثم انه أنتخب من عسكره ثلاث آلاف فارس من كل بطل مداعس كل واحد يريد لرأسه مائة فارس ثم انه سار يقطع الاض فى طولها والعرض إلى أن وصل إلى دير نصطرونا فما وجد أثر وإذا بشيخ مقبل فسأله عن ملك الروم وان كان وجد الملكة نورى أم لا قال نعم وقد أخذ معها اللص المحتال الذى اسمه أبو محمد البطال فعند ما سمع يانس هذا الكلام قال كلمة لا يخجل قائلها لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. الله ما يبقى عليهم شيئا وأنا أعلم ان الجارية نورى تبغض أبو محمد البطال وهى التى تحت الملك على قتلهم ثم انه سأل البطريق هل كان معه غيره قال نعم معه غلمانه وسمعت ان معهم فارس قتل من الروم عالم عظيم وهو بطل مشهور فى المسلمين لا يبالى بالابطال وقد زعموا أنها امرأة وهى أم الاسود عبد الوهاب والمقدمة على بنى كلاب وقد ملكوها بعد الجهد الجهيد وقد ساروا بهم إلى المدينة الزواورة وقد لقيهم الشيخ النجيح عقبة والراهب شومدرس وقد عولوا أنهم يحرقوهم إذا وصلوا إلى المدينة ولا يبقون منهم واحد (قال الراوى) فلما سمع الامير ياقس ذلك قامت عليه القيامة وسار من وقته وساعته وجد فى سيره وقال لاصحابه جدوا فى سيركم فان أدركناهم القيتا

أنفسنا عليهم ولنا أسوة بهم وان لم نلحقهم قاتلناهم وأخذنا بثارهم ولا حياة لنا بعدهم وسار الامير يانس فادركهم عند الباب فى تلك الساعة التى أرادوا أن يحرقوا فيها الامراء (قال الراوى) وكان بين يانس وبين الملك الفارقيط صداقة عظيمة ومودة جسيمة وإن الابطال الذين أرسلهم رجعوا اليه وكانوا البطارقة سألوا يانس عن سبب قدومه فقال شوقا إلى الملك وإنى قد جئت أهنيه بالجارية نورى الذى كان لها عاشق وبها رامق فما كان من هؤلاء القوم الذين أرادوا ان يحرقوها فقالت البطارقة أخذناهم عن بكرة أبيهم وهم على شرف الاحراق وما عوق الملك من ذلك إلا قدومك ثم رجعوا إلى الملك كما ذكرنا وأخبروه كما وصفنا ففرح فرحا شديدا إلا القاضى عقبة قال ايها الملك وحق المسيح والانجيل وما فيه من التحريم والتحليل ماهذا يانس الا مسلم وهو عين للمسلمين على الروم فقال له الملك لاتقول هكذا أيها الشيخ النجيح لو أراد يانس أن يكون مسلما لما أقام فى بلاد الروم وأنما هو كثير العجب بنفسه ويقول بلسانه ماليس فى قلبه ولو كان مسلم كان يسير إلى بلاد المسلمين وإنما هو محالفهم ومعاهدهم ويكف بذلك عنه شرهم لانهم فى عسكر عظيم وجيش جسيم ولا طاقة له بهم ولو شاقفهم لما كان فيهم وما جاء الا ليزورنى وله عادة بذلك يأتينى كل سنة وبينى وبينه عهود ومواثيق وقد كان الملك منويل يرسل إلى اعلم ان يانس مايطأ بساطى وإذا أتى اليك يزورك فاقبض عليه فما فعلت ذلك لاجل مابينى وبينه من المودة (قال) فعند ذلك قال عقبة وحق المسيح والأربع الأناجيل ما قعوده فى بلاد الروم الا أنه عين للمسلمين فعند ذلك قال الملك لعقبة هذا ماهو صحيح فى يانس فلا نسمع فيه أيها الشيخ النجيح كلام فان لكل أحد عدو فقال أيها الملك ان أشار عليك ان لاتقتل هؤلاء الاسارى أوغير قلبك عن ما أنت عليه فاعلم أنه مسلم فقال له الملك الفارقيط وحق المسيح لو قال لى الملك منويل أو أبيه لا تقتلهم لما سمعت (قال الراوى) ووصل يانس المتغرب ومشى اليه الملك واعتنقه وقال له شكرك المسيح فى افتقادك ولكن ما السبب الموجب لقدمك فى هذه البكرة الآن ماهو وقت زيارتك فعند ذلك قال يانس أعلم أيها الملك إننى سمعت أنك ظفرت بمن كنت صورتها فى قبة الكنيسة من فرط محبتك لها وهى الملكة نورى بنت عين المسيح وقد خلصت من بلاد المسلمين وهى بكر عذراء من غير أن ينالها أذى ولا بلا. فأتيت اليك على سبيل التهنئة وأحضر العرس والدعوى فلم أزل طيب القلب رضى البال حتى قيل لى أنه وصل اليك قوم من لصوص المسلمين وعملوا عليك عملا ماعمله

الاولين ولا الآخرين ولكن ما أعطاهم المسيح ما كانوا يؤملون وانك أشرتهم الجميع فالحمد للمسيح على ذلك اذلم يفجعك فى الوجه المليح فكان يكون عليك شين قبيح بانها تخلص من بلاد الاسلام بعد طول البلاو كثرة الضر على الاسر والبلائم انها توخذ من تحت جنابك فلقد كشف عنك المسيح الملام وقطع عنك الكلام وشرفت بهذه الفعلة على كل الانام (قال) فلما سمع الملك من مقالة يانس فرح به وشكره على قوله وقال له لقد جمع المسيح على قلبي سائر المسرات بقدومك وقدوم الشيخ النجيح وحجة السيد المسيح عقبة والراهب شومدرس انهما قد حضرا عندى فلما سمع يانس بذكر عقبة عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه والله مايدعنى الملعون عقبة أفعل ما أريد ولقد كان والله يجيئه فى هذا الوقت من العكوس وبقى فى قلب يانس النار الا أنه أظهر الفرح والاستبشار بحضور عقبة وشومدرس وقال ياسيد الملوك لقد أفرحتنى بقدومهما هذا وقد أخرج إليه من البلد السرادقات الكبار والخيم ونزل يانس المتغرب بعسا كره ونصب للملك الزواورة سرير من فضة قوائمه من الذهب الأحمر يسع ذلك السرير اربعين رجلا وجلس عليه ويانس إلى جانبه وكذلك القاضى عقبة وشومدرس وأمر بأن يحضر الطعام فحمل من المدينة من سائر الاطعمة والخرفان والدجاج والحلوى والخنانيص ماعليه قياس حتى أكل جميع الناس وكان أصحاب الأمير يانس يأكلون من لحم الخرفان والحلوى والدجاج وغير ذلك من الفوا له الالحم الخنزير فانهم لم يقربوه ولم ينكروا الروم عليهم فى ذلك إلا عقبة فانه قال وحق المسيح ان كل من مع يانس مسلمين ثم أسرها فى نفسه فلما نظر إلى ما بين يانس وبين ملك الروم من المودة لم يقدر يتكلم ثم أن يانس قال أريد أيها الملك ان أنظر إلى الملكة نرى الذى قد شاع حسنها وجمالها فقال سمعا وطاعة (قال الراوى) وهذا عند الروم ماهو عيب فلم يكن إلاساعة حتى أحضرت وقد سلبت العقول لما حضرت ونصب لها كرسى رفيع من الذهب الأحمر فجلست عليه وهى كانها القمر ليلة تمامه وقد لبست ديباجة خضراء بازرار ذهب فى عرى فضة مكللة باللؤلؤ وقد شدت فى وسطها زنار أبريسم برمامين ذهب كبار فحارت منها الابصار والافكار وبقى الناظر إليها حاير مايدرى هل ينظر إلى وجهها والى طولها وعرض أكتافها والى خصرها وثقل أردافها وإلى حلاوة تمايلها وانعطافها وحلاوة كلامها ونزاقة أطرافها (قال الراوى) فلما نظر يانس إلى ذلك كاد قلبه أن يطير من حسنها وقال فى نفسه لعل الله تعالى جعلها من رزقى وقد سهل على طريقا إلى هاهنا حتى أعمل على خلاصها ثم أنه نادى أيها الملك ومن كان سببا لخلاصها من بلاد المسلمين فقال له وحق المسيح ما كان على بالى من خلاصها شىء

لاننى أيست منها ولكن كنت جالس فى القبه على العادة واذا هى فوق رأسى ثم حكى له ما جرى لها فى هروبها وما وقع له مع أبو محمد وذات الهمة ولولا المسيح نظر إلى لكنت هلكت فان كان الهم الذى حصل لى من فقدها والقهر نزول عنى فانا بخير ببركة المسيح (قال الراوى) هذا جرى لهؤلاء وأما ما كان من الاميره ذات الهمة فانها كانت فى غاية الالم من الجراحات التى بها وكانت شى ما تريد قتلها ولم تستطيع خوفا من الملك الفارقيط فلما أعياها ذلك عمدت إلى الجير وجعلت بحشو جراحاتها والجير يأكل الجراح فبقت الاميره تضج من الوجع فتقول شوما لعنها الله الساعة يزيد عليها الوجع ويكون سبب موتها الجير (قال الراوى) فلما وقع الجير على الجرح وانقطع الدم وأكل اللحم الميت فعند ذلك هدى الضربان وأشرفت الجراحات على الاختتام وكانت أرادت بذلك هلاك الاميرة وكان فيه دواها بلطف من الله فلما نظر الامير يانس إليها وهى على هذه الحالة وقد تغير ذلك الجنار وظهر على وجهها الاصفرار فقال فى نفسه لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انهم أتوا بالامير أبو محمد وغلمانه وكان الراهب شومدرس انفرد فى حال قدوم يانس وضربه الضرب الوجيع وامر البطارقة ان يقلعوه ثيابه فقالوا وما الذى تريد يا أبونا فقال اريد أن أخصيه بيدى فاكون مثل الذى ذبحته بكفى فان هلك أكون قد شفيت به فؤادى وان سلم فى هذه النوبة فيكون قد خرج من حكم الرجال ودخل فى حكم النساء وتقل نهضته وتذهب قوته وينقص عقله وتبطل حيلته ولا أبالى ما فعل بى بعد ذلك فكتفوه له البطارقة وأخذ بيده سكون ماضيه وتقدم إليه فعند ذلك صاح أبو محمد لا يقربان لا تفعل ويلك يا ملعون ايش فعلت معك أنا أخذت دذرة شوما حتى تفعل بى هذه الفعال ويلك دعنى وأمهل على ولا تعجل بى فان أنتم قتلتمونى فقد استرحتم منى وان كان لى أجل فتكون وقد أبقيت لك مكان ولا تأمن لابدانك ما تقع فى يدى وان قطعت ذكرى فسوف يقوى بصرى ويجمع لى وطرى وتزداد قوتى وتقوى عزيمتى وأخصيك وحق المصطفى ولو غصت فى الارض السابعة السفلى أو تعلقت فى كواكب السما وتصبح شوما لغيرك معانقة وانظر إلى العواقب فى أمرك واستعيذ من شر نفسك فلم يسمع الراهب شومدرس منه وعزم على ماقد ذكرناه فبينما هو كذلك وإذا برسول الملك قدوصل إليه وقال أجب الملك فترك الامر الذى قدعزم عليه وصعد عقبة والملك على السرير وطلع شومدرس إلى جانبهم وبقى فى قلبه من ذلك أمر عظيم (ياساده يا كرام) وان الامير يانس لما نظر إلى الامير أبو محمد البطال قام من موضعه ولطم وجهه وبزق عليه وقال هذا الشيطان الذى ماتهدى الملوك على أسرتها من فزعها منه ومن الاسود ازنيم أمير بنى كلاب المسمى بعبد

الوهاب ولا مثل هذا القرنان فلما نظر عقبة إلى فعل يانس عرف انها حيلة منه فلاصقه عند ذلك وقال له سرا ويلك يا يانس دع عنك هذا النفاق فلو ان معك مثلك مائة ألف ماتركت أبو محمد وذات الهمة يسلموا فى هذه النوبه وأنت تحلف انك ما أنت مسلم وتقول للملك منويل ان عقبة يكذب على فاسكت وحق المسيح حتى أعلم انك نصرانى وأشهد لك عند الملك منويل بذلك وأصلح بينكما وأزوجك ابنته وأجعلك الخليفه على الملك من بعده فقال يانس يا أبو ناها أنا الآن أسكت ثم ان يانس أمر ان يسحب أبو محمد البطال إليه فسحب إليه وقال له بالعربيه سرا يا أبو محمد لا تفزع فما عليك ان شاء الله باس وروحى دون أرواحكم وجودوا على بهذه الجارية نورى فقد ملكت بجامع قلبى واحتوت على بصرى وسمرى فقال الامير أبو محمد عند ذلك أحسنت يا يانس لا جزاك الله خيرا ولا كتب عليك سلامة وقال يا سيد الملوك ولم تجلس هذا معك على السرير وهو وحق دينى مسلم يقول بقولنا ويفعل فعلنا أطرده من عندك فما فى قربه خير فقال الملك ويلك يا يانس فعند ذلك ضحك الامير يانس وقال أيها الملك مزحت معه وقلت له اعمل فى خلاصك على انك تسرق لى خليفة المسلمين وأعطيك فى بلاد الروم أى حصن شئت فقال الامير أبو محمد كذا كان ويلك يا مقطوع الظهر فأشارت الاميره عند ذلك إلى الامير أبو محمد بطرفها ان اسكت بغضب وإلا كان قد فسد الامر (قال الراوى) يا ساده يا كرام وان الملك الفارقيط أمر السياف ان يضرب عنق الاميره ذات الهمه ومن بعدها الامير أبو محمد البطال وغلمان فلما نظر يانس إلى ذلك لم يجد الصبر دون ان أقبل على الملك وقال له اعلم يا سيد الملوك ان النصح من المحبة وطلب الصلاح للصديق من كثرة المودة والنظر فى العواقب رأس الحكمة والعجلة فى الامور من الشيطان وان كان الانسان يعلم أن لا بد له من مقاومة الاعداء فيبقى عليهم حتى يبقى عليه ومن تهجم فى الامور أخطأ وقد قال ارسطاطاليس الحكيم ما عملت قط عملا حتى أعرف كيف أخرج منه حذرا من الوقوع فيما لا أريد وأنت تعلم أيها الملك ان خاف هذه المرأة ذات الهمة رجال وأى رجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما فى عدد الحصى والتراب وهم السودان وليوث الحبشان وأمراء بنى كلاب الذين قد أزالوا رقاب الملوك من الروم والعرب والعجم وأوقعوهم فى بحار الندم واذا قتلت هؤلاء المسلمين فما ينقصوا من عدد الموحدين وما فيهم الا من له فعال أكثر من فعل هؤلاء وأنت تعرف اسود بنى كلاب وسيف الحنيفيه رأس كل بليه وأنا أقسم بالمسيح ان قتلت هؤلاء الأسارى ليكونن سبب خراب هذا الاقليم وهلاك أهله وأكبر شاهد لى على صدقى فى ذلك الملكة نورى لانهم تركوا ديار أبوها بلاقع ولا يسمع فيها

سامع ولا ينطق فيها ناطق ولا يعبر بها كاذب ولا صادق يصيح فيها الغراب والبوم وقد حسبت من خراب بلاد الروم والصواب أنك تقطع عليهم ماشئت من الأموال فما فى مالهم قلة وعلى الضمان فى ذلك وأستحلف لك هذه الأميرة أنها لا تدع أحدا من المسلمين يغزو دياركم ما قام قائم وما غفلت عين نائم وما حلم حالم وما عطب عاطب وسلم سالم فان هذه المرأة إذا حلفت لك بذلك وأعطتك الزمام فقد أمنت من سائر الأنام وإنى أعرف صدق قولها لأنها كانت السبب فى الهدنة بينى وبين ولدها عبد الوهاب وها أنت ترى بلاد الروم خراب وبلادى عامرة وقد أشرت عليك بما يشير الصديق على صديقه والأخ الشقيق على شقيقه والصواب أن تطرح هؤلاء فى المحبوس وتخلو من لياليك بهذه العروس التى هى حياة النفوس فقال أبو محمد البطال لما سمع الخلوة بالعروس يتمهل بالعروس فاخلفه عجلة ولا بؤس لأنها قد جرى علمها فى الطريق من السهر والسير الحثيث فدع يخليها فى قصره شهرا واحدا ولا يعرض إليها حتى يعود إليها حسنها وجمالها فنحن لا نعرض لهذه الديار التى هى فيها

(قال الراوى) ولما سمع عقبة كلام يانس المتغرب ما أعجبه ذلك وقال أيها الملك وحق الإنجيل وما فيه من التحريم والتحليل ما يانس إلا مسلم لا محالة وقد صدق فيه أبو محمد البطال والصواب أنك تقتل هذه العجوز الشمطاء والحية النقطاء التى قتلت أبطال البطارقة من قومك ووجوه الروم من أصحابك وتمضى سالمة إن هذا غاية العار والذل والشنار ومع ذلك فوحق المسيح لو خلص منك هذا اللص المحتال أبو محمد البطال وتعلقت بالفلك الدوار لأخذك وكان قتلك على يديه وأخذ هذه الملكة نورى التى ما فى الأرض مثلها وما تكون أنت أيها الملك أكثر يقظة منى ولا أكثر احترازا وبعد ذلك يأخذنى ويضربنى الضرب الشديد فان أردت أن تحرس نفسك ومالك والملكة نورى فاقتله وإن أنت خالفتنى فارقتك من وقتى هذا ومعى الراهب أبو الشر شومدرس ونحرمك من دين النصرانية والسلام (يا سادة) فعند ذلك قال الأمير يانس ويلك يا عقبة قد علم الملك منويل إنك أنت سبب تلف دين النصرانية من أول الدهر إلى آخره برأيك الميشوم وكلما يجرى على الملك منويل بشوم تدبيرك فقال عقبة يا يانس دع عنك هذا الكلام فما يتم لك هذا قط على فقالت الملكة نورى لا بد من قتل أبو محمد حتى أنام وأملا عينى من النوم وإلا أن سلم فما يهنأ لى عيش أبدا (قال الراوى) فلما سمع الملك الفارقيط ذلك من كلامها وهو لها عاشق وبها رامق فقال ما فى الأمر إلا قتلهم فلما نظر يانس إلى ذلك لم يجد الصبر بل قال أيها الملك ما تقدر على ذلك لأننى محالف القوم وبينى وبينهم عهود وإيمان إنهم إذا وقعوا فى بلاد الروم لا أقعد عنهم وإذا جرى على

أمر من الأمور لا يقعدون عني فلما سمع الملك ذلك من كلام يانس غضب غضبا شديدا وقال ويلك وما الذى يمنى عنهم ولقد صدق الشيخ النجيح فيما قاله فقال الامير يانس عند ذلك يمنعك سيفى وثلاثه آلاف بطريق معى مثل السباع وما جئت إلى ههنا حتى أرسلت إلى الأمير عبد الوهاب رسول يأمره بالمسير إليك فى مائة ألف من بنى كلاب كأنهم سباع الغاب فيضربون منكم الرقاب ثم أنه صاح فى بطارقته وكان منهم مائة بطريق قائمين على رأسه وحول الاميرة ذات الهمه فعند ذلك قطعوا أكتافها وسلموا إليها سيفا لتحامى به عن نفسها (يا سادة) ثم صاح الملك الفارقيط فى الزواورة فثاروا إلى العدة ثم إن الامير يانس جرد سيفه وهوى به إلى عقبة وقال له أنت تريد تنقض الايمان التى حلفتها للمسلمين بالمسيح لا أتخلا عنهم كما أنهم لا يتخلوا عنا فلما علم عقبة منه الجد ولى منهزما وهو يصرخ مثل الحمار وقد التقى سيف يانس بيده اليسار فوصل إليه ذباب السيف لأنه كان قد تباعد عنه فوقع على ثلاثة أصابع من يد عقبة اليسار فقطعها وانهزم شومدرس أيضا وقال فى نفسه وحق المسيح ما مشيت قط مع القاضى عقبة فأفلحت ووقعت البطارقة على بعضها بعض وانهزمت الملكة نورى وقد شبكت يديها على رأسها وهى تصرخ واإماه واإماه ثم أن بطارقة الامير يانس إحتاطوا بالاميرة ذات الهمة وأخرجوها إلى برا السرادق وترجل بعضهم وأعطاها فرسه فعادت إليها روحها وهمهمتها ودمدمت وزجرت وعلى القوم حملت وركب الملك الفارقيط ووقع الصوت فى البلد فركبوا الروم فى عدد يأجوج ومأجوج وصارت الدنيا تموج ورفع الامير أبو محمد البطال إلى البلد وكذلك غلمانه وعملوا القيود الثقال فى أرجلهم وأوثقوهم فى المطامير الطوال ودخل الملعون عقبة إلى البلد ليداوى يده وأقام شومدرس يحرض الرجال على القتال واختلط الرجال بالرجال وبلغت الارواح الحناجر وماج العسكر مثل ما يموج البحر الزاخر وتفطرت المرائر وقاتل الامير يانس قتال شديد ما عليه من مزيد وأقبل على قومه وقال لهم اعلموا أنكم ما وقفتم لله وقفة أجل منها وأن الله تعالى يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا فارجعوا إلى الاعداء زحفا ولوحوا منهم معصيا وقحفا وكل مائة منكم تلاقى ألفا (يا سادة) وأخذت الاميرة ذات الهمة النخوة العربية والحمية العامرية ونسيت ما بها من الألم وجعلت تحمل على تلك الامم وترمى الرؤس والقمم وما تعبر على صف إلا وقد انهشم ولا على عسكر إلا وقد انهزم والملك الفارقيط قد كشف رأسه ونادى أصحابه يا ويلكم هل هم إلا عصابة قليلة غير كثيرة ولبست الملكة نورى لامة الحرب وحملت تريد الطعن والضرب وزاد على الناس البلا والكرب وعمل الصارم

وذبحت الاعناق والعلاصم وحام عليهم الغراب الحائم وعثرت الخيل بأكر الجماجم وقطعت الاكف من المعاصم وتشوشت العمائم وزاد الامر وعظم الشر وضاق الصدر وعيل الصبر ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى عدم الضو وأظلم الجو واعتمت الآفاق وعملت السيوف الرقاق وقطفت ثمار الاعناق ووقع بهم المحاق باذن الواحد الخلاق (قال الراوى) وكثر العالم على الأمير يانس ومن معه من الثلاثة آلاف فارس وقصدوهم الفلاحين من القرى والضياع فكانوا أزيد من مائة ألف أخر وأن فارس من فرسان الروم طعن جواد الامير يانس فوقع إلى الارض فعند ذلك أكبت عليه البطارقة وأخذ أسير وملك ذليل حقير وأسر من قومه ألف فارس أخر وضربوا حول الباقين صفوفا وأمسى المساء ونزلت الروم من حولهم وأضرموا النيران وأما الملعون عقبة فانه خرج عند المساء من البلد ونظر إلى يانس وقد أسر ففرح ثم أنه كتب على جناح الطائر كتابا إلى القسطنطينيه وكان فيه مكتوب أيها الملك اعلم أن يانس قد اشتهر بدين الاسلام وكل من معه قد أسرناه ومعه ألف فارس والباقين قد أشرفوا على الاخذ وقد ملكنا ذات الهمة والبطال وغلمانه والملكة نورى قد تخلصت من بلاد الاسلام فساعة وقوفك على هذه الاحرف تسير بعسكرك أيها الملك حتى تأخذ يانس وتتسلم حصنه وتأمن شره وتشفى فؤادك منه وربما خلصت لك الملكة نورى التى هى غاية المراد بغية الفؤاد (قال الراوى) ثم ان عقبة أحضر يانس بين يديه وقال له قد قطعت أصابع يدى وأريد آخذ بثارى فقال له افعل ما تريد فعند ذلك عمد الملعون إلى يانس وقطع أصابع يده الثلاث من اليد الشمال وقال له وقد أرسلت إلى الملك منويل أن يأتى إليك ويقتلك أشر قتله ثم أنه أقبل على الملك الفارقيط وقال له عندى رأى قال وما هو الرأى أيها الشيخ النجيح فقال نكبس على القوم الذين بقوا قدامنا فى الليل ونضع فيهم الحسام الصقيل فقال له الملك الفارقيط ما هذا صواب فربما قتل منا رجال يعزوا علينا فسكت الملعون عقبة على غيظ منه ولم يقدر أن يرد عليه (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من الملك منويل فانه قرأ الكتاب وعرف ما فيه فضحك وأقبل على أرباب دولته وقال لهم اعلموا أن هذا الكتاب بخط الشيخ النجيح وقد أرسله يترضانى بعد ما فعل فى حق ذلك الفعل القبيح لأنه كان تركنى فى تلك القلعة وهرب هو والراهب أبو الشر شومدرس ولا أعلمانى وكلا منهما قد اختار نفسه على ولم يلتفت أحدا منهم إلى فقال له البترك وأرباب الدولة أيها الملك لا شك أنه له فى ذلك عذر واضح وإلا أنت تعلم اشفاقه ونصحه لك

ولهذه الدولة (قال) فلما سمع منهم الملك منويل هذا الكلام قال لهم صدقتم وانه مافعل هذه الفعال إلا وقد أشرف على العطب والوبال ثم ان الملك منويل قرأ على أرباب دولته الكتاب ففهموا الجميع مافيه ووقفوا على معانيه وصبلوا على وجوههم وقالوا الجميع وحق المسيح ان هذا إلا امر مليح وما قصر الشيخ النجيح لانه صاحب البشارات ودائما يسعى لنا فى المسرات فقال بعض البطارقة عسى أن يكون الشيخ النجيح يشير علينا أن نسير إليه حتى أنه يقتل منا عشرة آلاف فارس فى دفعة واحدة كما جرت له بالعادة فقال الملك منويل وحق المسيح ان عقبة مايسعى إلا فيما يعود نفعه علينا وإنما الذى يجرى ليس بيده وإنما المسيح يعطى النصر لمن يشاء فى وقت ويصرفه عمن يشاء فى وقت قالوا أيها الملك وما الذى ورد فى كتابه من البشارات فقال لهم فيه ان المليكة نورى بنت عين المسيح صاحبة الحصون اليونانية قد خلصت من بلاد المسلمين ودخلت إلى بلد الفارقيط الذى هو ملك الزواوره وقد كان وصل إلينا ماهو عليه من حبها وأنه قد افتتن بها وأن أبو محمد البطال سار إليه فى طلمامع جملة غلمانه وذات الهمة أم الأسود فى صحبته ووصلوا فى زى الرهبان وسموا دلهمة راهب نجران ثم أعاد عليهم منويل حديثهم من أوله إلى آخره وان يانس قد تظاهر بالاسلام وأنه قد أخذ أسيرا وأنا أقسم بحنا ومريم والصليب ان أسره أحب إلى من أسر عبد الوهاب لانه مايتم لعبد الوهاب فينا أمر الابه ويدبر عنده كلما يريد وانه يقول أنا حليف الرجل وهذا كله أنا أعرف انه مكر ودهاء وخداع والآن قد أمكن المسيح منه وألف من أصحابه والباقون قد أحدق الناس بهم من كل جانب ومكان وهذه جملة القصة وقد أمرنا أن نطلب الاغتنام والفرصة فوحق المسيح ان أنا قتلت أبو محمد البطال وذات الهمة ويانس وتسلمت حصنه أسلمه إلى من أثق به من قومى ولا أبالى بعد ذلك فى أى يوم من الايام يكون يومى فلما سمعوا البطارقة ذلك قالوا وحق المسيح ماهلاك الروم كل سنة الا من هذا يانس وهو سبب سعادة المسلمين وهو الذى يعمل على هذا الدين ولولم يكن مسلما لما فعل هذه الفعال والآن فقد تظاهر للروم بالردة عن دينه ولم يبق فى هذا شك ولكن سربنا إليهم أيها الملك (ياساده) فوثب الملك من وقته وساعته وأمر بأن يضرب النفير الصفير حتى يعلم العسكر بالرحيل وبرز إلى باب مدينة القسطنطينية على حد فرسخ بالعراق فعند ذلك ركبت العساكر والدساكر والعشائر فكانت جريدة القوم خمسمائة ألف فاضاف الملك منويل إلى أخوه الاندرياس مائة ألف وقال تمضى من وقتك هذا إلى حصن يانس لعلك تأخذ وتقول لاهل الحصن ان يانس قد قتل وأن الملك قد أمرنى

ان أتسلم الحصن وأقيم عندكم وأنتم تعلمون ان مافى الروم أعدل منى فان سلموا لك الحصن فهو المراد ومسرة الفؤاد ولا تبق بعد ذلك على قوى ولا ضعيف الا من تبرأ من دين الاسلام لا تقتله وان لم يسلموا لك الحصن فقاتلهم فلعمرى ما يأخذ الحصون والقلاع الا الرجال المقاتلة واما إذا لم يكن فيه أحد ممن لهم صبر ولاجلد فنى هذا لنا مصلحة والى ما أفرغ انا من قتل ذات الهمة الماهرة وأبو محمد البطال وغلمانه وأصحاب يانس وآخذ الملكة نورى تكون أنت قد ضيقت على أصحاب يانس الحصار وأبليتهم بالبوار وأنا أعود اليك ان لم تقدر على فتحة وأن أنت قدرت فهو المراد (قال الراوى) فلما سمع الملك الاندرياس من أخيه ذلك الكلام قال سمعا وطاعة وسار من تلك الساعه ورحل الملك منويل فى أربعمائه ألف فارس من كل بطل مداعس وجد فى سيره (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الاميرة ذات الهمة ومن معها من الاصحاب فانها نادتهم تلك الليلة وقالت لهم أعلموا أننى قد أشرفت على الهلاك من الجراح والالم ومالى على ذلك قوة وقد بقيت فى حيره من أمركم وقد قطع ظهرى والله أخذ يانس وأخاف عليه من الملعون عقبه وقد اخذوا من اصحابكم ألف بطل وأنتم ههنا ألفين والعون بالله وما النصر الا من عند الله وأن أنتم سلمتم نفوسكم فأنتم هالكين لامحالة ويحملونكم إلى الملك منويل وهو والله عليكم بجرعة الثكلى وعقبة يحرض عليكم هذا الملعون شومدرس والعجوز شوما وما فى الامر الا أنكم تصدقون غدا فى الحملة وتقصدون إلى ذلك الجبل الذى قبالكم وتسندون ظهوركم وتستقبلون القوم بصدوركم وتقاتلوا فى طاعة ربكم فان جاءكم فرج من الله تعالى والا تكونوا قد أخذتم بثاركم وقتلتم فى سبيل الله وظفرتم بالشهادة فما فوقها منزلة الا منزلة الانبياء عليهم السلام (قال الراوى) فلما سمعوا ذلك من كلام الاميرة قالوا لها نعم ما رأيتى وأصبتى فيابه أشرتى وما نكون الاعلى ما عوائتى فقالت الاميرة وأنا أكون فى أوائلهم أقاتل وأناصل وما يكون الا ماقدره الله تعالى فطابت قلوبهم بقولها وقالوا النا اسوة بك ثم أنهم صبروا إلى وقت الصباح وقد ملت النفوس من الكفاح وأيقنت الاشباح بعدم الارواح وحملت الخيول مثل السيول من الربا والبطاح وكان يوم صدام ونطاح والاميرة ذات الهمة على مابها من الجراح قد حسرت عن وجه وقاح وغاصت فى القسطل وهى تبرى الرماح وقد سمحوا بالأنفس بعد ما كانوا شحاح ونادى الجبان الارواح والشجاع لابراح وخرست الألسن الفصاح وانفتحت أبواب الحروب من غير استفتاح وانغلق عليهم الباب وما وجدوا للقفل مفتاح وتمنى الانسان لو كان

طائر بالجناح وتكون سلامته نعم الارباح لما نظر إلى ذلك المقام الذى تشيب فيه الرؤس من كثرة الصياح وقد ذل الضيغم الجحجاح وزاد الأمر على الأميرة ذات الهمة ومن معها وقصدت إلى ذلك الجبل وقاتلت عن الرجال الذين بين يديها وفعل أصحابها مثل فعالها ورموا نفوسهم على الهول المهول وقصدوا ضرب الناس بالنصول فاندقوا بين أيديهم حتى وصلوا إلى الجبل واستندوا إليه المسلمين والأميرة ذات الهمة ثم أنهم استقبلوا الروم بوجوههم هذا والملك الفارقيط قد عظم ذلك عليه وقال لأصحابه يا ويلكم هذا وأنتم فى عدد التراب وقطر السحاب وهم فى هذه الطائفة القليلة (قال الراوى) فتحاموا عند ذلك البطارقة وأطبقوا عليهم من كل جانب ومكان وعمل الصارم والسنان ورميت الرؤس عن الابدان وكلت الخيل عن الجولان ولم يزل السيف يعمل طول النهار أجمع وقد قتل من أصحاب الأميرة ذات الهمة مائتين فارس وأقل ما قتل من عسكر الروم ألفين فارس ولم يزل السيف يعمل والشجاع للجبان يقتل حتى ولى النهار فعند ذلك عظم على الروم ما جرى عليهم فقال لهم الملك الفارقيط لقد كنتم فى هذا اليوم خاسرين فقالوا أيها الملك طب نفسا وقر عينا فقد قتل منهم اليوم خلق كثير وفى غداه غد نأخذ الباقين فقال الملك الفارقيط أخاف إنهم يصعدون فى هذا الجبل فى ظلام الليل وتفوتنى أم الاسود عبد الوهاب التى قتلت الرجال وجندلت الأبطال والأقيال وأفنت البطارقة ولا يمنع من سيفها ترس ولا طارقة إلا كأنه فى يدها صاعقة فهى للأبدان ماحقة (قال الراوى) ثم أنه رتب الخياله للحرس خوفا أن تهرب الأميرة ذات الهمة وكانوا أصحاب يانس قالوا للأميرة ذات الهمة أن الجبل طويل وهو ماد إلى بلاد الروم فان شئتى أن نطلع إليه فى ظلام الليل ونطلب لأنفسنا النجاة إلى حصن يانس ونطير الطيور إلى الثغور فافعلى ذلك فقالت الأميرة هذا ما لا أفعله أبدا لأنى ما أهرب من القتال فى سبيل الله ولا أولى الأدبار ومع ذلك فلى أسوة بهذا الأمير يانس ومن قد أخذ معه لأنهم ما أخذوا إلا بسببى والموت معهم طيب على قلبى فان أردتم النجاة لنفوسكم فالطريق قدامكم ولا عتب عليكم فلما سمعوا كلامها قالوا لنا أسوة بك ثم أخرج واحد الزناد وقدح النار وأنزلوا الأحطاب من الجبل وذبحوا بعض الخيل وأكلوا منه ومن فضلة زاد كان معهم وكان الماء قريبا منهم من نقائع ذلك الجبل فشربوا منه وسقوا خيولهم وباتوا مكانهم إلى الصباح وقد أضاء بضيائه ولاح وقاموا إلى القتال وقد أخذوا الراحة وحضر عقبة وشومدرس إلى عند الملك الفارقيط وأمروه بالجد فيهم ولم يزل القتال يعمل إلى أن ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وعادت الروم عن قتالهم وقد قتل

منهم عالم عظيم فقال عقبة وحق المسيح والإنجيل إنى أراكم كل يوم تنقصون ولولا أن جمعكم كثير لهربتم من بين يدى هذه العاهرة هذا وهى مجرحة ما فيها موضع سالم من الجراح ولا تقدر أن ترفع السيف بكفها وحق المسيح ما فيها يوم ينقضى حتى تقتل منكم مائتين فارس وأكثر وغد بلا شك تنظرون قتالها لأنها قد استراحت فى هذين اليومين يا قوم ولهم ثلاثة أيام ما أكلوا شيأ فكيف لو أكلوا الطعام فقال بعض الروم أنهم أكلوا خيلهم من البارحة فقال عقبة إذا كان الأمر على ما ذكرتم فان القوم يأكلون خيلهم فى عشرة أيام ويبقون رجاله فلا تقاتلوهم فإنهم يفنوكم قلتهم (يا سادة) عندها قال الملك الفارقيط ما كنا عاوزين إلا هذا بأن يكون معنا ثلثمائة ألف وقد عجزوا عن هذه العصابه اليسيرة ولولا أن القوم قد التجأ إلى هذا الجبل وحواظهورهم لكانوا من الهالكين وفى غداة غد أؤمل من السيد المسيح أخذهم عن بكرة أبيهم (يا سادة) هذا وعقبه لم يعلم الملك الفارقيط بأنه قد أرسل إلى الملك منويل يأمره بالمجىء كيما يتسلم المملكة نورى لأنه يريدها له وأصبح الصباح وقد أكلوا الناس من فضل خيلهم وبقى بعضهم رجاله وزحفوا إليهم يطلبون القتال وتراموا بالنبال ودارت بينهم رحا الآجال طول النهار إلى أن أقبل الليل بالانسدال (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأقاموا المسلمين معهم على ذلك خمسة عشر يوما وقد ذهب أكثر خيلهم واشتد عليهم الأمر فلما كان فى اليوم السادس عشر وقد قتل منهم نحو أربعمائة رجل وعجل الله بأرواحهم إلى الجنة وبقى منهم ألف وستمائة رجل وقد أحدقوا بهم المشركين وهم على هذه الشدة العظيمة وإذا بغبار قد طلع حتى سد الاقطار وبطل ضوء النهار وحجبت الشمس الطالعة عن الأبصار فلما نظر الفارقيط إلى ذلك قال لعقبة يا أبونا لا تكون هذه عساكر المسلمين فقال وحق المسيح لا أعلم ولكن ما يخلو هذا الغبار من إحدى الحالتين إما أن يكون عسكر منويل وقد سمع بهذه القصة وأتى من أجل يانس المتغرب لأنه يعلم أن هذا يانس سبب هلاك دين النصرانية (قال) فلما سمع الملك الفارقيط ذلك قال أرجو من السيد المسيح أن يكون عسكر الملك منويل ولا تكون عساكر المسلمين فانى قد عجزت عن هذه المرأة وما معها من أبطال العرب أحد فقال عقبة إذا كنت أنت تجد فى نفسك الضعف عن هذا الامر فارسل من يكشف لك الخبر على جليته فان كانوا مسلمين تدخل إلى بلدك وتغلق الابواب ولا تبالى بكل أحد لأن بلدك عليه سبعة أصوار كل صور أعلى من الصور الذى يليه ولو أقاموا ههنا أعمار النسور لما أهمك ذلك ومع ذلك فانى أكتب إلى الملك منويل أن يأتى من خلفهم وتخرج أنت إليهم من البلد فما كان يسلم منهم أحد وإن

ولو أقاموا ههنا أعمار النسور لما أهمك ذلك ومع ذلك فانى أكتب إلى الملك منويل أن يأتى من خلفهم وتخرج أنت اليهم من البلد فما كان يسلم منهم أحد وإن كان غبار الملك منويل فهو الذى نريد وأنت بذلك موفق سعيد (قال الراوى) فعند ذلك أرسل الملك الفارقيط طائفة تأخذ الخبر فرجعت وهى فرحانة فسألهم عن الحال فقالوا هو ملك القسطنطينية منويل وهو فى أربعمائة ألف فارس فعند ذلك ترجلت الزواورة عن بكرة أبيهم وترجل الملك الفارقيط ومشى اليه راجل وجعل يبوس الأرض بين يديه فقر به الملك وأدناه ورفع مكانه وحياه وأمره بالركوب وسأله عن الاميرة ذات الهمة فأخبره بما منها وكيف قاتلوا أصحاب يانس معها وما بها من الجراح فقال الملك وحق المسيح ان هذه ذات الهمه لو رأيتها ماتت ودفنت فى قبرها ما جسرت أن أقربها وحدى لما أعلم من فرسيتها وشجاعتها وقوتها ولكن الآن يا معشر الروم احملوا عليهم حملة رجل واحد واطحنوهم طحن الحصيد (ياسادة) فما قولكم فى أربعمائة ألف مع الزواورة يحملون على قوم جياع سهارى فى قلة (قال الراوى) فما كانت الا ساعة حتى أخذوا منهم ألف وثلثمائة أسير وأخذت الاميرة ذات الهمة أسيرة بعد القتال الشديد وأحضروها بين يدى الملك منويل فلما رآها صلب على وجهه وقال وحق المسيح لأقطعن من لحمك بعدد كل دينار أخذ ولدك منا فى هذه النوبة ثم أنه نزل وأمر باحضار يانس والبطارقة الذين كانوا معه ونظر الملك اليه فقال له ويلك يا ملعون يا محروم أما ما ذكرت أنك ما أنت مسلم فما الذى حملك على قتل عبدة المسيح فقال يانس أيها الملك حملنى على ذلك انى مخالف هذه الاميره أم عبد الوهاب وأيضا ولدها الامير عبد الوهاب فقال له عقبة تكذب يا ملعون وحق المسيح ما أنت الا مسلم فعند ذلك وثب اليه الملك وقال للبطارقة ارفسوه بأرجلكم فرفسوه وعاقبوه حتى بقى وجهه والارض سواء ثم ان الملك منويل قال وحق المسيح لولا أننى أريد آخذه وجميع أصحابه إلى الحصن الذى له وأنزل به هناك النقم وأقول لهم إذا لم تسلموا إلى الحصن والا ضربت رقبته والا كنت الساعة ضربت أعناقهم ثم ان الملك منويل خلع على الملك الفارقيط خلعة سنيه تصلح للملوك ثم قال له أريد الساعة أبو محمد البطال (قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى أحضر أبو محمد وهو فى أسوأ حال لان الراهبة شوما كانت قد توكلت به وكانت تصنع به كما كانت تصنع بالاميره ذات الهمة وأيقن أنه يموت فى تلك المطمورة من الجوع والضرب هو وغلمانه فلما وقف بين يدى الملك قال له ويلك نحن إذا وقعنا فى أيديكم تخاصمنا أموالنا وأنتم ما لكم منا

خلاص ولا بدلى ماأريح النصرانية من شرك ثم انه أمر بضرب عنق الامير أبو محمد البطال فعند ذلك قدموا ابو محمد إلى السيف وتقدم إليه السياف وهم ان يضرب عنقه واذا ماالجو قد اسود والقتار على الاقطار قد امتد وظهر من تحته بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح وصلصلة الحديد على الاجساد وهمهمة الاماجيد الآساد (قال الراوى) فلما نظر الملك منويل إلى ذلك قال لبعض البطارقة انظروا ماهذا الغبار فمضت عند ذلك الخيل وعادت تخبر انه الملك الاندرباس أخو الملك منويل (ياساده) وذلك انه لما وجهه أخوه إلى حصن يانس المتغرب جد فى السير إلى ان نزل عليه وطلب منهم أن يسلموه إليه فامتنعوا من ذلك وباشر القتال بنفسه فضرب بسهم فى خاصرته فأشرف منه على التلاف وان العسكر لما رأوه على تلك الحالة خافوا عليه من الموت فيعتب عليهم الملك اذ لم يحملوه إليه حتى يشاهدوه قبل الموت فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وكان يحب الاندرياس محبة عظيمة لانه لم يكن فى سائر ملوك الروم أعقل منه ولا أحزم رأى فلما وصلت عساكره ونظر الملك إليه أمر الجرايحى بمداواته وقال وحق الصليب لئن عاش لأجعلنك أكبر بطاريق عندى ولا تركته يضرب رقبة يانس وهؤلاء الاسارى بيده وان مات ضربت رقاب الكل على قبره ثم انه أقبل على الملك الفارقيط وقال له أنت تعلم انى ضيف وللضيف أن يتكلم فى منازل الكرام وغرضى أن أبصر نورى فان أباها كان يعز على وأريد أعزيها فيه واهنيها بك وأخلع عليها واجبر قلبها فلما سمع الملك الفارقيط ذلك فرح وأمر بخروج الملكة نورى فخرجت اليه فنظر الملك إلى صورة مارأى قط مثلها ولا أبصرت عينه شكلها وقال ما هذه من البشر وجعل ينظر إليها حتى ضحكت وقامت وقعدت وانعطفت وتمايلت فتركت العقول ذاهله والاذهان واهيه ونزل على الملك منويل اخى المثلثة فاستند إلى عقبه وقال أيها الشيخ النجيح وحق المسيح انى أموت لا محالة فعند ذلك قال عقبة المسيح يكفينا فيك أيها الملك وما سبب ذلك فقال له الملك هذه الجارية وحق المسيح ماتصلح إلا لى ولقد أحسن منها مشاهيب النيران (قال الراوى) وكان عقبة خبير باحوال القيادة فقال يامولاى وحق المسيح انك معذور فلو أن المسيح فى الارض ونظر إليها اختارها لنفسه فدونك أيها الملك وإياها وان امتنع الملك الفارقيط قطعه بالسيف الطويل فعند ذلك قال الملك أنا عبدك فى هذه النوبة وصنيعتك وأريد منك أن تبدى لى معها فى الكلام فما لى وجه أفاتحها فى ذلك وان عادت نورى الى البلد وحق المسيح أنا أقتل روحى (قال الراوى) وقلوب الملوك ابكار

لا تحتمل صفات الجوار ولا سيما ملاحظتهم فقال له عقبة عند ذلك السمع والطاعة ثم أن عقبة أقبل على الملكة نورى وقال لها اعلمى أن الملك الرجيم ملك ملوك الارض فى الطول والعرض يرعى لأبيك عين المسيح حقه فى الموت والحياة وقد عول على أنه يحملك معه إلى القسطنطونية ويجهزك بخمسمائة ألف دينار وتصير بنات الملوك تحجبك إلى زوجك الفارقيط فلما سمعت ذلك فرحت ولم تعلم أن الملك يريدها لنفسه وإن كلام عقبة حيلة منه فلما سمع الملك الفارقيط ذلك من كلام عقبة قال أنا ما أريد لها جهاز فقال عقبة لا بد من ذلك عندها صاح الملك الفارقيط فى قومه وقال خذوا أبو محمد وذات الهمة والملكة نورى فما يكون أعظم من هذا الذل والعار أن تؤخذ الجارية من بينكم وذلك أن الملك الفارقيط تبين له الغدر من عين الملك منويل فعند ذلك صرخت شوما وأحدقت بنورى البطارقة وخلصوها وأبو محمد وذات الهمة ويانس والمأسورين وطلبوا بهم البلد وصاح الملك منويل فى عساكره فجردوا القواضب وركبت السلاهب وارتفع الصياح من كل جانب وركب الملك منويل (يا ساده) وأن شومدرس لم يرضيه هذا الذى جرى وأنكر فعال عقبة وقال كيف يجوز أن يكون الرجل قد تعب عليها وأخذها وما بقى سوى دخوله بها فكيف يطمع الملك منويل فيها وسوف تكون سبب هلاك النصرانية وحق المسيح أنك ظالم غاشم وما أنت إلا لدين النصرانية هادم وما أفلحت النصرانية من يوم نظروا إلى طلعتك الشقية فقال عقبة دع عنك الفضول يا شومدرس فوحق المسيح يا قرنان لا بد ما أحشى جلدك كاس فأنا أعلم أنك ما توافقنى على مرادى وحق المسيح ما تصلح هذه الجارية إلا للملك منويل فهو أشرف نسبا من هؤلاء الزواورة وأنها لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها فقال شومدرس وحق المسيح أيها الشيخ النجيح أنك ما ترى فى دين النصرانية لا قليل ولا كثير ولا فى دين الإسلام وتزعم أنك فى دين النصرانية وما أنت إلا تلعب بالاديان وتعمل على قتل الرجال والنسوان فقال عقبة لا تكون نحس فوحق المسيح لو أمرت الملك أن يضرب فى هذه الساعة عنقك لفعل وزاد الامر بينهم حتى تلاطما وتماسكا وصاح عقبة فأتت الرجال إلى شومدرس لأن عقبة عندهم فى المكان الرفيع لما يرون من منزلته عند الملك وأن شومدرس دخل البلد وقد انفسد ما بينه وبين عقبة وبين الملك منويل وثارت الزغاورة وقالت نحن ما نسلم هذه الجارية ولا نقعد عن الملك الفارقيط والتقت العساكر ببعضها وعملت

السيوف البواتر وهاج الهياج مثل البحر الزاخر الذى ليس له أول ولا آخر وقد خرجوا عوام البلد وكانوا اكثر من ثلثمائة ألف نفر وعظم على الملك حصول الملكة نورى فى إقليم مريم فجعل يحرض عساكره على القتال وكذلك الفارقيط يقاتل عن نورى وعظم الحرب وسال الدم ملا الأرض وتزلزلت الأرض طولا وعرض وملت الخيل من الجولان ووقعت الفتنة بين طوائف الصلبان أهل الكفر والعدوان وخسفت الأرض من حوافر الخيول الصافنات وأظلمت الابصار من سائر الجهات وضاقت الأماكن والجنبات وقامت الدنيا على ساق وطرحت الأجساد فى تلك الفلوات وأيقنت الأرواح بالممات وانفطرت المرائر من الحسرات ونفدت الرماح فى خواصر الأبطال ولعبت الخيل بالرؤوس مثل الاكر وطار من نعالها الشرر وما كنت ترى إلا رأس طائر وكف نادر وجواد غائر وعظم الخطر ولم ينفع الحذر وانصدع القلب من النزع وانفطر ونزل الحسام فى الهام فرأيت النجيع قد انهمر والشجاع قد اشتهر والجبان قد أسر والرؤس تنتثر كانتثار المطر وتساقطت الرقاب كتساقط ورق الشجر وسبع المنية فى الارواح قد زار ودارت عليهم رحاء العبر ووقع بهم الملل والضجر وانكسرت عساكر الملك الفارقيط ونزل بهم البلاء المحيط ودخل الملك الفارقيط إلى مدينته وقد قتل من أصحابه أربعين ألف بطريق وقتل من أصحاب الملك منويل مثل ذلك (قال الراوى) وأمسى المساء ونزل الملك منويل على البلد وأما الفارقيط فانه جمع أرباب دولته ووجوه بطارقته وأقيال عشيرته وأحضر الراهب شومدرس وزوجته وولده دهرشوم ولما بلغ الفارقيط ما جرى له مع عقبة شكره على ذلك فقال له شومدرس اعلم أيها الملك أن ما فتح هذا الباب للملك منويل إلا عقبة وقد أخرق وحق المسيح بى ولكن وحق الإنجيل إن كان لا بد لى منه ولا بد أن أعمل على تلافه فما هو على دين النصرانية إلا نقمة فقال الملك الفارقيط وحق المسيح إن وقع فى يدى لأسلمنه إليك تفعل به ما تريد فقال شومدرس وما أحتاج إليك يا سيد الملوك فى ذلك أنا أعمل على أخذه قريب غير بعيد ثم أنه قال أيها الملك اعلم أن الملك منويل فى عالم عظيم والمادة إليه وأصله فلما سمع الفارقيط كلامه قال له فما لذى تشير به يا أبونا قال لا تخرج إليهم ولا تقاتلهم وأنت فى هذه البلد الذى لك ولا تبالى بأهل الأرض لأن هذه المدينة حصينة وعليها سبعة أصوار من الصخر الاملس ولا تبالى بعد ولا منجنيق ولا لأحد عليك طريق

ولكن الرأى عندى أن تحضر يانس المتغرب وتقول له عفا عنك المسيح وقد مضى ما مضى وهذا الملك منويل فهو طالب لك أكثر مما هو طالب لى وأنا أخلو بالجارية نورى على غيظ الشيخ النحس عقبة والملك منويل وقد سلمت إليك أصحابك وأعطيكم كلما تحتاجون من العدد والخيل وأسلم إليك عساكر الزاوورة عن بكره أبيهم وتخرج إلى عساكر الملك منويل فى كل يوم بأصحابك وأصحابى وذات الهمة عندى فى بعض الحبوس وأبو محمد وغلمانه فى مطمورة أخرى عندى مقيمين إلى أن أنظر ما يكون منك ومنهم فان أنت كسرت عساكر الروم فأنا وحق المسيح أنعم عليك وأعطيك الأميرة ذات الهمة والبطال وغلمانه ويكون بينى وبينك المـــدد إلى الأبد ما قام قائم وقعد فعندها قال الملك الفارقيط لشومدرس يا أبونا إذا كان الأمر على هذه الوتيره وعمل كلما قلت له أنا أعطيه أبو محمد وذات الهمة فقال شومدرس ما يكون ذلك أبدا وإنما تطمعه بما ذكرت حتى يبذل المجهود وإذا كشف عنك الجمع رده إلى السجن لأنى رأيت مع يانس رجال وقاح معودين الكفاح فلما سمع الملك الفارقيط ذلك قال وحق المسيح لقد أشرت بالصواب ومع ذلك فما أكون أنا خلف حجاب عن القتال بل أكون فى مقام الطعان وأنا الحق الدخول بنورى فإنى ما أريد يكون قلبى إلا فارغا من هذه الحروب وأعمل السماطات وأخلع الخلع والعطيات ثم أنه دعا بالامير يانس وأحضره بين يديه وهو مكتوف اليدين ثم إن الفارقيط قال له أنت تعلم ما بينى وبينك من الزمان القديم وأنت الذى أفسدت ما بيننا بطلبك لذات الهمة وأبو محمد البطال وقد نظرت ما عملوا فى حقى فلما سمع يانس ذلك من كلام الفارقيط قال له أيها الملك إننى ما فعلت ذلك إلا لما عرفت من وفاء ذات الهمة وصدق قولها وهذا منويل لو كان فيه دين أو مراعاة ما فعل مثل هذه الفعال فى حقك فقال الفارقيط إذا كان الامر على مثل ذلك فقد رأيت من الرأى إن أسلم إليك عسكرى كله وأطلق أصحابك وكل من قتل له فرس أعطيته فرسين وأفرق عليهم العدد والجواشن وأنا فى خفيه وأحرض أصحابى حتى لا ينكرون على فى غيابى ومعنا الراهب شومدرس يدبر أمرنا فان انتصرنا عليهم وحق الإنجيل اسلم إليك ذات الهمة والبطال ومن معهم من الرجال تفعل بهم ماشئت وتمضى إلى حصنك وتعود إلى ما كنا عليه من العهد (قال الراوى) ففرح يانس وقال سمعا وطاعة فقال شومدرس وحق المسيح لقد أفلحت فى قتالك لملك الروم لأن ما له عهد ولا زمام ونه مثل هذا الملعون عقبه يلعب بعقله ولئن

وقع فى يدى لأقتلنه فقال الملك الفارقيط كنت أرجو من المسيح أن يقع فى يدى لآخذ منه ثارى ثم أطلق يانس وجميع أصحابه بعد ماحلفه شومدرس بسائر الأديان الذين يعتقدوها وقال له إننى سمعت سائر الروم يذكرون أنك مسلم وقد حلفتك بكل دين حتى أكون قد أخذت بالأحوط ولا تغدر بنا فى بلادنا وأنت تعلم أن هـــذه المدينة قد حازت عالم عظيم لايقدر على عددهم إلا الله تعالى وما نبالى بك إن نافقت إلا أنك كنت تشغل قلب الملك فحلف يانس عند ذلك وحلفوا أصحابه وخلع عليهم الملك الفارقيط أحسن الخلع وأجلها وأطعمهم وسقاهم وأحسن إليهم وسلم إلى الأمير يانس أمر العسكر فقال يانس ياسيد الملوك غد الخروج إليهم وما نكون مثل النسا من خلف الجدران (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما شومدرس فانه بقى فى قلبه النار من القاضى عقبة فخلا بزوجته شوما وبكا فقالت له ما الذى يبكيك فقال لها وكيف لا أبكى وقد أخرق بى القاضى عقبة قدام أهل دين النصرانيـة ولطمنى على رأسى وبقيت عندالروم قليل المقدار وماهذه الأشياء إلا ناموس ومابقى لى فى الحياة مطمع فقالت له وعلى ماذا عولت فقال أريد أقتل روحى ومابقى لى صبر فلما سمعت العجوز ذلك قالت وما الذى يحملك على ذلك قال أسـفا على عقبة حتى آخذ منه الثار واكشف عنى العار واخرق به كما أخرق بى واعمل على قتله الساعة لأنه إذا هلك ما يبقى فى بلاد الروم غيرى ويشار إلى بالأصابع فى الرأى والتدبير فقالت له لا يصعب هذا الأمر عليك فعلى أن أحمله إليك فقالت لها إياك أن تعلليني بالأمانى أو يأخذك فى ذلك توانى فقالت وحق المسيح لاتركت الصباح يصبح إلا والشيخ عقبة فى إشراك حبلى واقعا فى فخاخ عملى ثم أنها وثبت من وقتها وساعتها ودخلت على الملكة نورى وأعادت عليها حال الراهب شومدرس وماقد حل به من عقبة وقد كان عندها فى منزلة الوالد فعظم ذلك عليها وكبر لديها وقالت أنا ما علمت أن عقبة كان يريد يعطينى لهذا الشيخ مخويل الذى قد ابيضت لحيته وذهبت قوته ولم يبق فيه للقتال على ظهور الخيل ولا لمداعبة النسوان بالليل فما أراد القاضى عقبة إلا أن يعمد على فقالت شوما فانى أريد الليلة أن أعمل عملا ولا يتم لى إلا بك وإلا قتل شومدرس روحه وما عليك فى ذلك مضرة بل يجلب لك المسرة فقالت لهـا قولى ما تريدين فانا وحق المسيح ماأخالفك فيما تذكرين ولو أردت أن أطلب من الملك مفاتيح الأبواب وأخرج أنا وأنت ونعمل على عقبة حتى نجعل فى هـذه الليلة أقل ما فيه ألف قطعة فقالت العجوز وقد ضحكت من دهاها أيتها الملكة فهذا الذى أتيت إليكى من أجله

فقالت إذا كان الأمر كذلك فقولى لبعض الغلمان يمضى إلى الملك ويأتى به إلى (يا سادة) فلما أتى الملك إليهم طلبوا منه مفاتيح البلد وعشرة من البطارقة فقال لهم على ماذا عولتم فقالت الملكة نورى لا تسألنا عنه فسوف يبين لك فشكرها وباس الأرض بين يديها ولم يقدر أن يرد عليها كلمة واحدة من فرط المحبة وفرط الصبابة بل سلم إليهم المفاتيح والرجال وقال لهم مهما أمرتكم به الملكة نورى افعلوه وتأهبت شوما والملكة نورى إلى ما عزموا عليه وجاؤا إلى الباب وفتحوه وقالوا للبوابين كونوا على يقظة من أمركم إلى أن نعود إليكم ثم ساروا حتى أشرفوا على عسكر الملك منويل فقالت لهم شوما اصبروا على واقعدوا فى مواضعكم إلى أن آخذ لكم خبر عقبة وإن قدرت على الملك أخذته

(تم الجزء التاسع عشر ويليه الجزء العشرون)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(اكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بني أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم واخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازني وصالح الجعفري ويزيد بن
عمار المزني وعبد الله بن وهب اليماني وعوف بن فهد
الفزاري وسعد بن مالك التميمي وأحمد الشمشاطي
وصابر المرعشي ونجد بن هشام العامري

الجزء العشرون

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم أن العجوز شوما دخلت إلى العسكر وقصدت خيمة الملك منويل وسرادقه وأنها دخلت إلى السرادق وكان عقبة فى تلك الساعة قد خرج من عند الملك لأنه كان عنده يدبر له فيما يعمل ويشير عليه بما يفعل وقد نصب لعقبة خيمة إلى جانب سرادق الملك وحمل إليه الطرح والفرش وما يحتاج إليه وأن عقبة لما قصد إلى خيمته لينام ونظرت العجوز إلى ذلك عادت إلى نورى وأخبرتها بالحال وفتحت لها الباب الذى تأخذ به عقبة فعند ذلك أوقفت البطارقة فى مواضعهم وسارت هى وشوما حتى وصلوا إلى باب الخيمة التى لعقبة ووقفوا حتى عرفوا أن ما عنده أحد إلا بعض غلمان الملك لأن عقبة لعنه الله كان يعشقه ويفسق به وإن الملكة نورى دخلت عليه وقد سترت وجهها ورآها عقبة فاستراب أمرها وقال لها من أنت يا ويلك الذى دخلت على بغير اذنى فلما سمعت نورى ذلك سترت وجهها من غلام الملك وكشفته لعقبة فلما رآها عرفها فوثب لها قائما وقبل يديها فقالت بالاشارة صرف هذا من عندك فالتفت إلى الغلام وقال له اذهب إلى سرادق الملك فنم على بابه فان هذا صديقى وأريد أن أخلوا به فخرج الغلام من عنده ودخلت نورى معه على السرير وقالت له يا أبونا اعلم إنى ميزت قولك على قلبى فوجدته مصلحة لى وأنك ما طلبت لى إلا الصلاح حتى أكون أشرف بنات الملوك إذا كنت زوجة الملك منويل وأكون مالكة رقاب النصرانية وأهل ماء المعمودية فندمت على دخولى معه إلى البلد وعملت ما لا يعمله أحد فزعا من الفارقيط لا يكشف وجهى وتذهب بكارتى وتنقص منزلتى عند الملك منويل وإنى طلعت على البرج الذى للقصر وعبرت

على القناطر إلى الصور السابع وتدليت بحبل شديد إلى قرب الارض بقرب قامه فكان الحبل قصير فرميت روحي وسلمت من العطب وسرت حتى دخلت العسكر فسألت عن حضرتك حتى دلوني إليك وعلى خيمتك وقصدت أن لا يمضي بهذا الخبر أحدا من العسكر عند الملك منويل ومع ذلك لا تعلمه بي أنت هذه الليلة على كل حال لانه ملك وفي قلبه مني هوى فيأخذني في هذه الليلة كالا أهوى وتنقص منزلتي عنده ولكني أكون نائمة عندك إلى الصباح وتمضي إليه وتقص قصتي عليه وتزوجني به ونرحل عن هذه المدينة ويفي لي بما قد قال من الجهاز والاموال فلما سمع عقبة ذلك كاد عقله أن يطير فرحا وقال هذا يكون لي به عند الملك يد لا يكافئني عليها أبدا ثم أنه قلق غاية القلق إلى مضيه إلى الملك منويل من ساعته ولم يجد صبر بل قال لها كوني في موضعك إلى أن أقضي حاجة وأعود ثم أنه عول على الخروج برأي نفسه فعند ذلك وثبت خلفه وقبضت بكفها على حلقه حتى خرجت عينيه وغشي عليه ثم انها شدت يديه إلى رجليه فبقي كانه قوس وتركته مثل الاكرة ورجعت إلى شوما وقالت لها أدخلي ففرحت ودخلت معها فنظرت إلى عقبة وليس له نفس يتردد فقالت وحق المسيح لو زاد الامر عليه كان قد هلك فقالت نوري وحق الصليب عصرت عليه بكل حيلي فزعا من صياحه ثم انها قالت لشوما غطيه بذلك الدراج وآخذ أنا هذا السيف في كفي واحملي أنتي عقبه على رقبتك إلى ما نصل إلى أصحابنا فعندها حملت عقبة على أكتافها كأنه ميت وخرجت به من وراء الخيمة والملكة نوري خلفها كأنها عنتر ابن شداد العبسي ولم يزالوا يتخطوا الرقاب والمضارب والخيام حتى خرجوا من العسكر وأتو إلى البطارقة من أصحابهم فوجدوهم ستة فقالت نوري وأين الاربعة الباقين قالوا خافوا عليك أيتها الملكة قد دخلوا خلفك مخافة لا يتم عليكي أمر من الامور ثم أن البطارقة تسلموا عقبة وأغمدت نوري السيف وسارت وهي مدلة بما فعلت (قال الراوي) فبينما هي سائرة اذ وثبت عليها البطارقة الستة فملكوها وأخذوا السيف منها ووضعوا الاكره في فمها وعطف منهم أثنين فقبضوا على شوما وكشف الواحد منهم وجهه واذا به الذئب الامعط والثعبان الأرقط والأسد المسلط الامير أبو محمد البطال وغلمانه ولم تكن الاميرة ذات الهمة معهم فلما نظرت نوري إلى أبو محمد قالت له كريا ليسون ثم صلبت على وجهها (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان الامير أبو محمد البطال كان في حبس كبير مظلم تحت الارض وكان فيه عشرة من البجناك لهم فيه ثلاثون سنة وهم في القيود وعليهم مال جزيل ودم والملك في أمرهم بين حالتين اما ان يقتلهم أو يأخذ مالهم وقد ضجروا من الحياة إذ لا عيش لخائف فسمعهم أبو محمد وهم

يقولون إلى متى نقعد فى الحبس هاقد أسعدكم الزمان لأن صار عندكم عيار المسلمين الذى تضرب به الأمثال فى الدنيا كلها فاطلقوه وهو يخلصنا كلنا فكلمهم أبو محمد بلسانهم ففرحوا غاية الفرح وأيقنوا بزوال الترح وقالوا ياعيار المسلمين لنا هاهنا ثلاثين سنة وقد حمل أهلنا أكثر المال الذى علينا وما نية الملك فينا إلا القتل فكيف يكون حال من يتوقع القتل صباحا ومساء وقد جابوا أهلنا لنا مناقب وسكاكين ومبارد من العام الأول وما قدرنا على فعل شيء من الاشياء لأننا ما جسرنا وما هذا شغلنا فقال أبو محمد اقطعوا كتافى وقد خلصتم فقطعوا كتافه وفكوا قيوده وقيود غلمانه فنادى أبو محمد بالسجان بحق دينك ارحمنا واعمل معنا جميل وما يضيع فقال السجان ما حالكم فقال له أبو محمد حاجة مخفية بينى وبينك من هؤلاء وهذا دينار أرمانوسى فلما رآه السجان استرخا وقال له هات وقل لى حاجتك فى أذنى ثم دخل إليه حتى يساره فوثب عليه البطال بخنجر أمضى من البرق وضربه ضربة كشف عنه بها الكربة وكان هذا اتفاق عجيب وما رؤى ولا سمع أحسن منه وذلك أنه لما خرجت نورى وشوما وقف أبو محمد البطال وكان قد تخلص من السجن ونصت إلى حديثهم فعلم ماقدعولوا عليه من قصدهم إلى عقبة وعلم أنهم يرون هلاكه من طريق حسد شو مدرس فتبعهم هو وغلمانه وأما البنجاك فان أبو محمد قال لهم كلنا قد تخلصنا امضوا أنتم إلى عسكر الملك منويل ففيه كثير من البنجاك ونحن نمضى إلى حال سبيلنا فمضوا إلى عسكر منويل وأما البطال فانه أقبل على بطارقة نورى الذين هم وقوف ينتظرون وإنه أتى إلى واحد منهم وقال له إن الملكة نورى قد بعثتنى إليك حتى أعلمك ما تعمل ثم إنه أخذه وسار به إلى أن أبعد به وذبحه وأخذ لباسه فلبسه ثم قال لغلمانه ياأولادى كل واحد منكم يمضى إلى واحد منهم ويصيح به ويفعل كما فعلت أنا بهذا الذى أخذته فقالوا سمعا وطاعة ولم يزالوا كل واحد يصيح بواحد حتى قتلوهم إلا واحد منهم كان دهرشوم وكان قد خرج مع البطارقة فأوثقوه كتافا ولبسوا ثياب البطارقة وأخذوا عددهم وتزيوا بزيهم ووقفوا فى الموضع الذى كانوا فيه وقد سرق لهم لؤلؤ دواب لانه قد دار على العسكر دورة فسرق خمسة عشر وبقوا وقوف منتظرين نورى وشوما كما ذكرنا ووصلوا إليهم كما نعتنا ووثبوا عليهم وكتفوهم والملكة نورى تحسب أنهم بطارقتها ولم تعلم أنهم البطال وغلمانه (وعدنا إلى سياقة الحديث) وركبوا على الخيل وساروا بهم وفى قلب البطال نار لا تطفى من أجل الاميرة ذات الهمة لانها لم تكن معه فى الحبس الذى كان فيه ولا عرف فى أى موضع هى وإلا ما كان قعد عنها لان الاميرة كانت فى حبس آخر وهو الحبس الذى كان فيه يانس وأصحابه وأن أبو محمد

سار هو ومن معه بقية ليلتهم فحصلوا فى وادى بين الجبال وعدلوا عند الصباح إلى كهف فى عطفة الطريق ضيق الرأس واسع من داخله لا يدخله الا كل من عرفه فأكمن أبو محمد هو وغلمانه هنالك وقال لعقبة يا ملعون قد أمكن الله منك تعرف وأنا أسألك وأنت ترفس فى الاميره فقال لا تهددنى يا أبو محمد تريد تكون هذه الموافقة فى بلد الاسلام وما تكون فى بلاد الروم وكانك بالخيل وقد أقبلت فى طلبك ولولا انك قد عدلت إلى هذا الكهف ما كنت الا قد قبضت قبضا بالكف فقال أبو محمد يا عشرة آلاف قواد أريد الساعة أشفى فؤادى منك وألطم قذالك وأنتف سبالك ولم يزل يصفعه حتى وقع مغشيا عليه هذا ونورى تشاهد ذلك وتضحك فغمزها عقبة وهو يعالج سكرات الموت ان اشفعى فى فقالت يا أبو محمد بحياتى عليك ان كنت تحبنى فخليه فخلاه ثم قال والله يا ملعون لولا ان ستى نورى شفعت فيك ما كنت الا قتلتك وأنزلت الماء الاصفر فى عينيك وأدخلتك فى قرنيك ثم أوصى أبو محمد غلمانه بهم وقال والله ما أقدر أصبر على فقد الاميره ويانس وما أدرى ما يكون وإذا صح عندهم أنى هربت لا بد أن يضربوا الاميره وربما سارعوا إلى قتلها وانى أريد أمضى وأشرف على أحوالهم فان كان الامر شديد فانا أفدى الاميره بمن معى وأصبر وان كان الصبر مثل طعمه ثم انه سار إلى نحو البلد وقد أكد على غلمانه فى الوصية (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء. (وأما ما كان) من أمر الملك الفارقيط فأنه لما عدم نورى قامت عليه القيامة ولطم وبكا فقال له شومدرس أيها الملك المصيبة واحدة أخذت زوجتى وزوجتك فقال الملك ما بين شوما ونورى الا قليل ثم قال له ما يكون العمل قال أيها الملك افتقد أولا أسارى المسلمين الذين عندنا فى الحبوس فافتقدوهم فوجدوا أبو محمد قد عدم هو وغلمانه فعظم على الملك ذلك وقال ما الذى ترى فى ذلك يا أبونا فقال شومدرس عندى رأى وهو ان تخرج ذات الهمه ويانس وأصحابه وتصلبهم بالحياة على هذه الشراريف فان كان أبو محمد بهذه الارض فانه ما يتخلى عن ذات الهمة جملة كافية ولعله أن يرد علينا شوما ونورى ونعطى كل من عندنا ونحتفظ بعد ذلك بأنفسنا ونقفل باب البلد إلى ان يدخل الملك منويل (يا ساده) فعند ذلك أخرج الملك ذات الهمة ويانس وأصحابه والاميره مثخنة بالجراح ونصب لهم الاخشاب على الباب فقال الملك منويل ما الخبر فقالوا قد سرقت نورى وهرب البطال وغلمانه فضرب الملك على وجهه وقال لو كان عاقلا لما حبس البطال عنده وحق المسيح انى أكون فى دارى فى القسطنطينية وأنا فزعان فكيف من يكون معه فى بلد واحد وعظم عليه أخذ نورى وأرسل الملك نحو بلاد الاسلام من كل جانب ومكان ثم قال على الساعة بالشيخ النجيح وحجة

السيد المسيح فلعله يطلعنى على الخبر الصحيح فمضوا وعادوا وقالوا ماوجدنا له خبر فأحضر غلامه وسأله فقال يامولاى إن نورى دخلت عليه نصف الليل وأخرجنى من عنده وماندرى ماقد كان منه وقد فقد هو واللحاف الذى كان عليه فضحك الملك وقال ما أخذه إلا البطال حتى يلفه فى لحافه فوحق المسيح ما أخذه إلا هو لأنه تصور له وكان حاضر على صورة نورى لأنى سمعت أنه يغير نفسه كيف أراد أن أراد امرأة كان امرأة وإن أراد صبى كان صبى وكيف ما أراد صار فالمسيح يكف عنا شره وحيله ومكره ثم انقلب عسكر الملك منويل وخافت الملوك عن نفوسها والملك يقول وصيتكم أنفسكم لا يسرقكم البطال فقال له البترك أيها الملك أريد منكم مائة بطريق ينامون على خيمتى فانى خائف (قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما ما كان من الملك الفارقيط فانه ركب الأخشاب والأحطاب وقدمت الأميرة وهى لا تنطق بكلمة غير كلمة التوحيد ثم قرأت قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة الآية ثم قالت هذا مقام الغربا والبعد عن الأحبـــة وموت الغريب فرج قريب ونادت يا عالم السر والنجوى ويا كاشف الضر والبلوى يا من يعلم دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء يا من يرى ولا يرى وهو بالمنظر الأعلى يا من له الأسماء الحسنى والصفات العليا يا من هو رب الآخرة والأولى فرج عنا ضرنا ثم التفتت إلى نحو بلاد الإسلام وتذكرت وطنها وولدها وأنشأت وجعلت تقول :

ألا مبلغ عنى الأمير ســـلامى ... وطول اغترابى مع شريف مقامى
وحبسى فى أرض للعدو وذلتى ... وقد كنت ذا فضل ونيل مرامى
كم صحبت الخيل فى معركة الوغا ... وأفنيت أعدائى بضرب حسامى
ولو نظرت عين الأمير تذللى ... وصلبى مع بجنى ليوم حمامى
ولو نظرت عيناه بعض الذى جرى ... لأزعجهم فى أرضهم بصدامى
ولو نظرت عيناه ما نال أمه ... ملا الأرض فى أقطارها بخيام
ولست أخاف الموت إذ كنت بعده ... أنال المنا من جنة بســـلام
وقد كنت أرجو قتل عقبة قبل أن ... يحوم على جسمى طيور حمامى
عسى فرج يأتى إلى برؤيتى ... غبار كلاب نحوتا نحونا مقنامى

(قال الراوى) وأعجب مافى هذه السيرة العجيبة والأمور الغريبة ان ذات الهمة مافرغت من شعرها إلا وغبرة طلعت من نحو بلاد الإسلام بعجاج والزعقات بادية والصرخات عالية وقعقعة اللجم وصهيل الخيل فلما نظروا الروم إلى ذلك حاروا فى

أمرهم وأشهروا السلاح واعتقلوا بالرماح وحطوا الأميرة عن الخشب وانكشفت الغبرة عن رماح كأنها آجام القصب ورجال كأنهم العقبان عرب وسودان والسودان كأنهم جن سليمان وألوانهم مثل الزفت والقطران وهم يطيرون إلى الحرب من شدة شوقهم إليه طيران وفي أوائلهم فارس كأنه الاملود في تقاطيع الأسود والبراعة تلوح من بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه وقد وهب نفسه لله تعالى خالصا للجهاد وطالبا رضا رب العباد (قال الراوي) وأما أبو محمد البطال فانه لما رأى الأميرة وقد رفعوها على الأخشاب وقف بازائها وأراد أن ينادي أنا أبو محمد البطال وأنا أعطيكم نوري وشوما ودهرشوم ولا تصلبوا الأميرة فما هو إلا أن قال لا تصلبوا الأميرة والصياح قد علا والصراخ قد نما ونظر إلى رايات سود كأنها الغربان الطائرة فنادي بلسان الزواورة اصبروا فهذه عساكر الإسلام قد وصلت ولا تعجلوا على الأميرة والمأسورين فيملك الفارقيط وربما يؤخذ ويملك فيجعلها فداء لنفسه وفكاكا لنوري عرسه فلما سمع الفارقيط كلامه ظن أنه من بعض غلمانه وعلم أن الذي قاله صحيح وتطاولت الاعناق وشخصت الاحداق وبانت البيارق والبوقات والصناجق والدرق والطوارق والعرب كأنهم السباع والسودان كأنهم الجواسيس في البقاع وقد تقدم الأمير عبد الوهاب في أربعة آلاف أسود لأنه يعلم أن الروم يفزعون منهم وقد ألبسهم سائر الالوان من أصفر وأخضر وأحمر واسود وقد كشروا عن أنيابهم والزبد يتطاير على على أشداقهم وقد أزعجوا الأرض بصياحهم وانقلبت الدنيا بوقع حوافر دوابهم وناداهم الأمير يا بني حام يا لون الظلام يا سودان يا كرام دونكم والحملة على هؤلاء اللئام (قال الراوي) يا سادة يا كرام هذا والاميرة قد انكشفت عنها غياهب الكرب والله تعالى يجعل لكل شيء سبب ونادت المسلمون بكلمة الإخلاص المنجية من القصاص وأعلنت النصارى بكلمة كفرهم ونفذت الاسنة في الصدور والنحور والافواه فيالها من ساعة رأيت الدما فيها تفور والدنيا تمور وأيقنت الانفس بالوفاة وأيس وامن الحياة وابيضت من الخوف الشفاه واسود الجو وعدم الضوء ثم صاحت العرب الوحا الوحا العجل العجل ودارت طاحون الحرب وكثر الطعن والضرب وعظم الكرب واشتد الخطب وشربوا من الحرب كاسا مالحا ولم تبق السيوف على مفسد ولا صالح ودارت من الحرب الرحا فشكت الرجال الرحا وعاد البخيل بنفسه سمحا فلم ترى إلا مجروحا وجارحا ومطروحا وطارحا والعرق من الاجسام راشحا وزناد الغبار قادحا فكم من رأس رأيت طائحا وكم يوما عبوسا صالحا والامير عبد الوهاب بنفسه ظاهرا سائحا وعسكر الروم خاسرا وعسكر الاسلام رابحا وجوارح الطيور قد حامت والحسرات قد دامت الخيل في الدما قد عامت وكان القيامة قد قامت وأرواح المؤمنين إلى الجنة قد اشتاقت واشترتها

بنفوسها فما خسرت ولا انضامت وأرواح الكفار بحب الحياة قد هامت وإلى النيران قد استقامت فهم على تلك القضية وشرب كاس المنية وإذا بغبار قد علا وثار وقتار قد نما فملا البيداء والفضا وسد المساوى وبقى النهار كالليلة الظلما وكان هذه الغبرة للعسكر الذى كان مع الاندرياس لانه كان قد رجع إلى القسطنطينيه وعادوا على طريق الملك منويل فلما نظروا إلى المسلمين فى القتال والحرب والنزال نطقوا بكلمة كفرهم وتجاروا على الملك الاعظم بارىء النسم ومحى الرمم وقد أحرم الله الكافرين عظيم الثراب والنعم وقد تقدم من السودان طمطم وطماطم وعندم وسلهب وجفال وعلقم والقمقاع واللكام وغيلم والعكروت والطياق وشيطم والدموغ وباغظ رأسه وشارب الدما والعربيد وسمجاق والحاق وضمضم والنهاق وأبو لحاق وجشيم والمضفدع والمنعنع وسقطم وملابط البغال ومللم والكرداج وملهم وميمون الادهم وأبو الهزاهز وشلهم وعملاق وأبو مروان وأبو الاشداق وعنز وعنوز وزعزع والمقروبا وباغض الحياة ومقدم السراة ومناطح العتاة وكشفت السودان رؤسها وسمحت بنفوسها ونادوا نحن عبيد الاميرة ذات الهمه المجاهده الصالحة القائمة ومن دون صلاها ضرب الرقاب ورجال تسبق سيوفها العذاب وتقطع المعاصم وتبرى العلاصم وتقطع الجماجم وتدغم الضراغم وتردى القشاعم فقالت الروم لاطاقة لنا بهؤلاء السودان الذين كانهم عفاريت سليمان هذا والعرب قد أطلقت الأعنة وقومت الأسنة ونادت بافتخارها وأنشدت أشعارها وضربت بنبالها وأضرمت نيرانها وقدحت شرارها وملأت الدنيا بعظيم أغوارها وقصد البترك إلى باب البلد ونادى يافارقيط ان الملك ينكسر ويذهب ومن بعده يحل بك العطب من السودان والعرب افتح الابواب واخرج إلى الطعان والضراب واعن أصحابك على هذا المصاب فقال الفار قيط هذا هو الصواب وخرجت الزواورة إلى القتال ولم يزل القتال يعمل حتى ولى النهار وانسدل الظلام ورجعت الرجال عن الرجال وأضرمت النيران وبطل الطعان وتحارس الفريقان ودقت النواقيس فى عساكر أهل الصلبان ونادت المسلمين بالتهليل والتكبير وتلاوة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان

(قال الراوى) ياسادة وكان الأمير أبو محمد لم يحضر الوقعة لكنه لما طاب قلبه وقوى بمجىء الامير عبد الوهاب قصد اليه والتقاه بأحسن ملتقى وقال له الامير أبو محمد طيب قلبك على الأمير فانى قد أمرتهم أن لا يصلبوها وأن يكفوا عنها ويتركوها وأنا أعطيهم نورى التى يطلبوها وعقبة ودهر شوم وشوما الذى يفدوها والآن فقد بعث ألله إلى النصرانية الرجال الذين يكرهوها وسيندمون على عاقبة أمرهم ولا يحمدوها فقال له الأمير

عبد الوهاب ما زلت بحماقتك ورعانتك وشؤم عشقك حتى انهتكت الأميرة وانهتك أمر يانس وأصحابه (قال الراوى) وكان السبب فى مجيء الأمير وأصحابه المشاهير أنه لما أبطأ عليه خبر الأميرة أنكر ذلك غاية الإنكار وقال والله ما قلت أنهم يدخلون إلى بلاد الروم وإنما يأخذون الأخبار من الاطراف ويرجعون إلينا ويطلبون منا الإعانة والاسعاف ولقد ألقوا أنفسهم إلى الهلكة والتلاف وهذا هو غاية الاسراف وقد نهانا الله عن ذلك فقال عز من قائل ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة حياة النفس أمر واجب وقد خالف أبو محمد رب المشارق والمغارب ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فقالوا بنى كلاب والسودان الانجاب أيها الأمير قد أبطأ خبرهم وترى الأمر قد طال فعلى ماذا عولت قال المسير إلى بلاد الروم لعل الله تعالى أن يظهر لنا أخبارهم فان كانوا أسارى خلصناهم وإن كانوا قتلا بكيناهم وأخذنا ثارهم فقالوا نعم ما رأيت أيها الأمير فقال لهم كونوا على أهبة ثم ساروا وهم ستين ألف عربان وأربعة آلاف من السودان إلى أن وصل إلى مكان يعرف بوادى البنرك وإذا بصابر المرعشى ومعه غلام من حصن يانس يأمره بالمسير إلى الاميرة ويانس وأبو محمد وغلمانه والادراك والتشهيل ولما نظر إلى الامير بكى وصاح وتأوه وناح وقال أيها الامير ادرك الامير والاميرة فان الروم يريدون أن يحرقوهم ويانس فى قتال الملك الفارقيط ولا شك أنهم يأسروه وعندهم عقبة الملعون وشرمدرس وشوما ودهرشوم وما نقول أنك تلحق يانس وأصحابه الا أسارى أو قتلا فلما سمع الامير عبد الوهاب ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وطارت الدمعة من عينيه وتناثرت على خديه وخيل له أن الاميرة قد قتلت فانهلت عبراته وصاح بأصحابه يحثهم على المسير وفى قلبه نار السعير وله هدير وزفير ثم أنشأ يقول

يعز على يا كنز الوفاة	إذا قصدوا حريق الامهات
يعز على أن يلقاك سوء	بأنك فى مقام الحادثات
فكم خلصتنى فى يوم ضنك	من الابطال فى يوم الكماة
وكم تأتى الجيوش بغير رعب	لمعترك الوغا بالصافنات
وكم جندلت من بطل شجاع	صبور فى مقام المعضلات
يعز على أن ألقاك شلوا	مقطعة بحد المرهفات
أأبكى لاصطبارك فى الرزايا	وصونك والخشوع مع الصلاة
ومحراب الصلاة عليك يبكى	وسيف والرماح العاليات

ورايات المفاخر والمعالى   وخيلك بعد خوض المعمعات
لقد عظم المصاب عليك حتى   عدمت الصبر من كل الجهات
إلى أن يأتنى أجلى سريعا   وبعدك إننى أهوى وفاتى

(قال الراوى) فلما سمعت بنى كلاب والسودان الانجاب نعى الامير عبد الوهاب لوالدته رمت عمائمها وأخرقت جيوبها وأقرحت أجفانها ونادوا وا أميرتاه وا مجاهدتاه وادهمتاه واسيدتاه ولم يبق عين إلا ودمعت ولا كبد إلا وتقطعت وجدوا فى سيرهم فى يومهم وليلتهم وصابر المرعشى أمامهم وفى اليوم الثانى قال لهم عرجوا على طريق بلاد الزواورة ففعلوا ذلك وساروا والأمير عبد الوهاب يقول

لو أن الريح تحملنى إليكم   تعلقت بأذيال الرياح
وكنت أطير من شوقى إليكم   وكيف يطير مقصوص الجناح

(قال الراوى) وجدوا فى سيرهم اثنا عشر يوما وفى اليوم الثالث عشر أشرفوا على وادى الزواورة وهم قد أخرجوا يانس والأميرة ليصلبوهما كما ذكرنا وقاتلوهم على ما وصفنا والتقى بهم الأمير أبو محمد كما قدمنا وأعلمهم أن الأميرة سالمة من الاسوا ويانس بالحياة وتركهم البطال ومضى واصطلح الملك منويل مع الفارقيط على أنه لا يعارضه فى نورى وإن المسلمين لما رأوا الزواورة قد حطوا يانس على الخشب وكان الفارقيط قد قبض على يانس بعد أن صالحه فعند ذلك طابت قلوب المسلمين لما علموا بسلامة الأميرة ويانس ورجعوا إلى الخيام وقال الأمير عبد الوهاب ما هذا وقت عتاب البطال وإلا كنت قد أشفيت قلبى منه ثم قال لأصحابه هل فيكم من رجع أبصر البطال بعد ما رأيناه فقالوا لا والله أيها الأمير وربما قد قتل فى المعمعة فقال الأمير لا والله لأنه قد قال لى أنه قد سرق نورى وعقبة وشوما ودهرشوم وغلمانه موكلين بهم فى بعض المغاير وقد مضى إليهم والله بعد أن ينظر البطال إلى وجه نورى لو قتلت جميع بنى كلاب والسودان ما عنده خبر وجميع ما جرى علينا من البلاء كان بسببها فهم فى الكلام وإذا بلؤلؤ غلام البطال قد أقبل وهو يقول أيها الأمير ادرك مولاى وإلا هلك فقال له الأمير ويلك ما الخبر قل وأوجز فقال يا مولاى أخذت نورى ودهرشوم وشوما وعقبه وباقى الغلمان وما نجى منهم غيرى لأننى قد هربت فى الظلام (قال الراوى) وكان الأمير أبو لما رأى الأمير عبد الوهاب وأصحابه قال إن وتوفى

ههنا فضول ومالى الا ان أسير إلى عند نورى حبيبة قلبى وهذا عبد الوهاب يحتاج يقاتل عن أمه وأنا خليت نورى مكتوفه وأريد أمضى اليها الساعة و آخذرجليها فى حجرى وأرمى روحى وأهول عليها بالخنجر حتى تفرغ منى وأنال منها غرضى ثم صار طالب الكهف (قال الراوى) فهذا جرى منه (وأما ما كان) من نورى فان اؤلؤ غلام البطال ومن معه كانوا حاملين هم الاميرة ذات الهمة وصاروا يدعون على أبو محمد البطال ويقولون جعلها الله أيشم العشقات عليه فلما أشرف الأمير عبد الوهاب بعساكره وأصحابه السودان وعددهم أربعة وستون الف فارس كانهم الليوث العوابس فرحوا بذلك وكبروا وصعدوا الى الجبل لينظروا هجوم الامير على عساكر الروم ونظرت نورى إلى المكان وقد خلا من غلمان البطال فأدارت ظهرها الى شوما وقالت ويلك ياشوما اقرضى كتافى بأسنانك فطرحت شوما على كتاف نورى أسنان كانهن أنياب كلاب أو خنازير الغاب فى أسرع وقت قرضت كتافها وتمطت نورى فى الباقى فقطعته وحلته من أيديها الى وو ثبت الى السيوف المعلقة فى الكهف فأخذت أجودها ووضعته تحتها وأدارت يديها الى خلفها لما أحست بمجيئهم حتى لا ينكرون عليها فلما دخلوا عليها قالوا لها يا نورى هلكت اليوم بنو عمك وفى اليوم أوغد تؤخذ البلد ويقتل الملك الفارقيط فلما سمعت نورى ذلك لم ترد جواب عليهم إلى أن قعدوا للحديث وهم طيبين القلوب بعسكر المسلمين فعندها وثبت نورى مثل الأسد وملكت عليهم باب الكهف وقالت ويلكم قد عرفتم إنى ألقى ألف فارس وحدى والآن وحق المسيح ان لم يشد بعضكم بعضا وإلا تركت رؤسكم ناحية عن أبدانكم فعلموا ان قولها صحيح فكتف بعضهم بعضا ثم دنت منهم والسيف فى يدها وأوثقت كتافهم حتى طيرت الدم من اظافرهم وحلت عقبة وشوما ودهرشوم وقالت قوموا حتى نركب من هذه البغال ونسير فقال عقبة ماهذا صواب اصبرى حتى يختلط الظلام فانا لا نأمن من عسكر المسلمين فقالت وحق المسيح لو لقينى نصف عسكر المسلمين لكان فى كفؤ الهم ان لم يكن فيهم تلك العجوز العاهرة لانى بعد ان ملكت هذا السيف ما بقيت أبالى بأحد فقال عقبة يابنى الشجاعة صبر ساعة وفيها فائدة أخرى قالت وما هى الفائدة قال اعلمى ان ابو محمد البطال لا يصبر عنكى سيما وقد طاب قلبه بمجيء عسكر عبد الوهاب ويقول فى قلبه امضى أنا الساعة اليها لعلى أن أنال منها غرض مادامت مكتوفة فكونى على ما أنت عليه فاذا دخل خذيه ومع القوم اقرنيه فهى الغنيمة العظيمة والفائدة الجسيمة ولا يتحدث الناس بأحسن من هذا أن البطال اخذك وخلصتى منه ورجعتى أخذتيه

فضحكت وقالت من أين تدرى أنه يجى فقال قدرت وعلمت ولو طمعى فيكى ما كنت أخرجت الغلام من الخيمة وجرى على ما جرى وفى المثل الطمع قابل للبوار ولبعضهم حيث يقول

طمعت فيكم ورجوت وصلكم ... وتقتل الرجال بالمطامع

وأيضا إن أحدا ما يبصرك ويصبر عنك فأعجبها ذلك من قوله (يا سادة) وما فرغوا من كلامهم إلا وأبو محمد قد أتى وهو يقول

شوقى شديد ليس أبلغ وصفه ... ولكننى أفنيت فى حبكم عمرى

(قال الراوى) فكان بجيئة كما قال القائل حيث يقول

سعى إلى حتفه رغما وليس له ... فى نفسه حيلة مع كون فطنته

لأنه تحت حكم الله منصرفا ... بما يشاء الله من إرادته

(وكان يا سادة) مثل البطال مثل من عبر ليأخذ الفرخ فوقع فى الفخ وكان صياد فصار صيدا وقال له القضاء رويدا فوثبت نورى إليه وكتفت يديه وكان فى التشبيه بازا فصار حماما وجاءته من العرضيات مهاما فأنشد بلسان حاله نظاما

عجبا للباز إذ صار حماما ... ومصير الحب فى الحال حماما

من بنات الروم إلا أنها ... لا تراعى فى هواها مستهاما

غير إسلامى بدينى ولها ... وغرامى بى إليها يترامى

قد رضينا فى هواها أنها ... ساعة ردت على الصب سلاما

وهى فى أسرى ولكنى لها ... أبد الايام ما عشت غلاما

وجرى المقدور حتى أنها ... أسرتنى حيث لم ترع الزماما

(قال الراوى) ثم جعل أبو محمد يقول سبحان الله الخالق لهذه الخدود التى كأنها الشقائق وهذه الشفتين التى كأنها عقائق فقال له لؤلؤ ومن أجلها قد أوقعتنا يا فاسق وعلم أن محمد قد بلغ به الشوق منتهاه وأنه فى وادى الغرام قد تاه فما منهم من رجع خاطبه خطاب ولا رد عليه جواب بل إن أبا محمد أقبل عليهم بالعتاب وقال لهم ويلكم ما الذى نزل بكم وكيف تم هذا عليكم فقالوا له اندهشنا بقدوم عسكر المسلمين وصعدنا إلى الجبل من الفرح ورجعنا فوثبت سنك نورى وملكت علينا الباب ومعها صارت قرضاب وقالت تكتفوا وإلا أضرب منكم الرقاب فلما سمعنا منها ذلك الخطاب تكتفنا وقد ضاقت علينا الأسباب فقال البطال أصبتم فيما فعلتم وقد قام عذركم عندى بما قلتم فأعيذها بالله ما أسرع وثباتها وما

أحسن نظرانها فقال لؤلؤ ساط الله عليك يا سيدى آفاتها فقال له عقبة هذه الدعوة قد عمت عليكم الجميع بركاتها فى صالح أوقاتها ثم صبروا إلى الليل وساروا ودهرشوم بيده سيف مسلول وهو يسوقهم وأما لؤلؤ فانه جعل يرقبه حتى غفل عنه وجلس بين حجرين مقبره ولم يدر به دهرشوم فلما غابوا عنه وثب وسار إلى أن أتى إلى عسكر الأمير وقال الأمير عبد الوهاب الحق مولاى كما ذكرنا (وعدنا إلى سياقة الحديث) وأنه لما أخبر الأمير بخلاص عقبة ونورى وشوما ودهرشوم عظم عليه وكان يرجو أن يخلص بهم الأميرة ويا نس ان لم يقدروا على البلد فانه حصين وقال لؤلؤ إدركوهم بالخيل فأنا قد سبقتهم فقال الأمير هذا هو الصواب ثم جرد مائة أسود عليهم صدور الزرد وفى أيديهم العمد وساروا ولؤلؤ معهم (قال الراوى) فهذا جرى وأما نورى فانها قالت لمن معها اقصدوا بنا الباب فقالت شوما ما هذا صواب لأننا قد فقدنا لؤلؤ من بيننا ولا نأمن أن يمضى إلى الإسلام وعسكرهم ويأتينا منه برجال فقالت نورى وكيف يكون العمل قالت شوما تأخذ طريق ملك الكرخان فقاصل فرسخين وتخرج من خلف البلد فهنا لك باب السر الذى للملك الفارقيط فيفتحوا لنا ثم ندخل وسارت بهم إلى أن وصلت إلى هنالك ونادوا فى الحراس فقالت من الصايح فقالت أنا شوما ومعى نورى غاية المنا فتبادروا إلى الباب ففتحوه من غير أن يستأذنوا الملك ودخلوا بنورى وأبو محمد وغلمانه معه ونورى فى يدها السيف يلمع ونور وجهها قد غلب على نور سيفها فلما رآها الملك الفارقيط أرمى نفسه عليها وجعل يبكى وتقبلها فبكت نورى وأعتنقته ثم ألقت فمها على فمه فسمع أبو محمد سوط البوس فصعق يا قرنان ما هذا وقت هذا وعساكر المسلمين على باب البلد وما ندرى ما يكون منك ومن هؤلاء السودان الذين كأنهم الجان فضحكت نورى وعلمت أنه يغار عليها ثم طرحوه فى المطمورة التى كان فيها كأنه ما برح منها وابو محمد يقول أنا مثل حبة القمح أدور وأرجع إلى الطاحون فياليت كنت أكون محبوس وأنا أنظر إلى سق نورى صباحا ومساء هذا وإن الرجال الذين أرسلهم عبد الوهاب رجعوا عند الصباح وما معهم من نورى خبر (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرج الفارقيط إلى القتال وأطبقت عساكر الكفار على المسلمين الابرار ونادى منادى المسلمين يا معاشر الموحدين هذه أبواب الجنة قد فتحت والحور العين قد أشرفت فجاهدوا فى الله حق جهاده فعندها كبرت المؤمنين وصاحت المسلمين ونادى الأمير فى بنى كلاب هذا اليوم الذى نؤمل فيه خلاص الأميرة إن شاء الله عز وجل فزعق الجيش عن صوت واحد وبدر منهم راشد بن ضمرة وسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر ومالك بن بشر الاقطع ومالك

ابن طوق والحارث نهشل وبكار بن عمار وقشعم وسعيد بن حامد والغطريف بن ماجد والمثنى وعقيل والمهلب وسعدان وعمار ومترف بن بشار وهياج الكردى وحازم وجابر وحمدان والربيع بن جعفر وقسورة الغضنفر (ياساده) وصاح أبو الهزاهز يال حام هذا يوم الزحام فى طاعة الملك العلام فأجابه دمدم وغيلم وطاطم وطمطم وأبو الزعازع وأبو الفزاقع وضمضم وأبو الأشداق والازور والنهاق وقنبر وابو اللحاق وزند الفيل وقراقع وكاره الحياة وملاكم الهوى وملابط البغال والمبعبع وباغض رأسه وشارب الدما والنهاش وأبو عكاش ومروان والمحاق وخثعم وعملاق وكردم وسقطم وشلهم وسلهب والمرقال والمغزبل والعزبيد ومناطح التيوس وأبو عرقوب وأبو الزوابع ووجه الغول ومهر حياته وصندل وجوهر وزقاق العربده (قال الراوى) وتبع هؤلاء المذكورين بقية السودان وفتكوا فى عبدة الصلبان وكان الفارقيط قد نكل بالرجال وأباد الأبطال وأهلك الاقيال وطلب الأمير عبد الوهاب لأن عقبة قال له ماالعسكر كله إلا بعبد الوهاب فطمع أن يأخذ الأمير وتنكسر عساكر المسلمين فبينما هو الميدان والسودان قد خذلت الشجعان وفتكت فى الأقران إذ التقى الفارقيط بالأمير عبد الوهاب فعرفه الأمير لأنه كان قد صاح ياعبد الوهاب لك الطلب فأين الهرب فسر الأمير بذلك وقال إن أنا أخذت هذا الملعون خلصت الأسارى فعندها حمل عليه وتطاعنا بالرماح ساعة طويلة إلى أن بقى أطول مافى الرماح ذراع فرموها واعتمدوا على الصفاح وتضاربا بها حتى لم يبق إلا المقابض فرمياها ثم تقابضا وتعاركا على جواديهما وأن الأمير عبد الوهاب ضايقه ولاصقه ثم صاح فيه صيحة خيل للفارقيط أن السماء انطبقت على الأرض ثم إن الأمير هزه وصاح الله أكبر فقلعه من سرجه وإذا بصيحة أخرى عن يمينه فالتفت لينظر ما الخبر وإذا به الأمير سيف الحنيفية قد أخذ الاندرياس وكان قد شفى من مرضه فهو كذلك وإذا بصيحة أخرى فالتفت وإذا بأبو الهزاهز وقد أخذ أسير من أجل البطارقة هنالك اندقت الزوااورة على البلد وعظم على نورى أسر الملك الفارقيط فبكت وقالت هذا كله بسببى وأنا كنت أصل بيت هذا المسكين وانسدل الظلام وبات المسلمين فرحين مسرورين فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فتح باب البلد وخرجت نورى وهى تقول روحى الفداء للملك الفارقيط ولم يعرفها أحد بأنها نورى لأنها غائصة فى الحديد وهى كأنها البرج المشيد ثم أشارت إلى الأبطال تطلب البراز والقتال فخرج إليها راشد بن ضمرة

وحمل عليها وحملت عليه وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والأخذ والرد حتى تحيرت النظار وغابا عن الأبصار من كثرة الغبار وقامت الحرب على ساق وتطاعنا بالرماح الرقاق ثم إن نورى اقلبت عقب الرمح وطعنت راشد ألقته عن جواده وأخذته أسيرو سلمته إلى البطارقة وبرز إليها بعده بردبن الأزهرفأخذته ومالك بن طوق فأسرته وشيظم الأسود فملكته وانكف الناس عن قتالها وتحايرت الأبطال والشجعان عن نزالها وقال الملك منويل من هو هذا النبيل الذى ما رأت الروم أعظم منه مراسا ولاأشد بأسا ولاأقوى أساسا فلقدأخذ من أمراء المسلمين ماسنفك به كل أسيرعندهم وإذا انفصل القتال ادعوا هذا الفارس إلى حتى أوقفه على جميع عساكر الروم هذا ونورى لما رأت توقيف المسلمين عنها حملت على العسكر وطعنت فارسا فى صدره أطلعت السنان من ظهره وحملت على الميمنة فقتلت فارس وعلى الميسرة فقتلت آخر فعندها خرج إليها الأمير قراقد وكان فارسا لايطاق وعلقم مر المذاق فقامت الحرب بينهما على ساق وأخذا فى الكر والفر والهزل والجد والصد والرد ولم يزالا كذلك حتى كلت من تحتهما الجوادين وأشارت نورى إلى الزواورة فأتوها بجواد يفوق الوصف ويسبق الطرف فوثبت من على ظهرجوادها إلى ذلك الجواد أسرع من البرق وكان قراقد قدأمل أن يقتلها عند ركوب الجواد فكانت أسرع من خاطره وتطاعنا حتى لم يبق من الرمحين إلا كعاب واحتك الركاب بالركاب وعاركته على سرجه فوجدته بعيد المرام لا تقدر عليه فى مقام الصدام إلا كانها قطعة جبل رصاص ليس له من سرجه خلاص ورأت أن ما فى يدها منه شيء فحسرت عن لثامها وكشفت عن وجهها فقال قراقد وقد عرفها نورى فقالت نعم ثم ضحكت فأحدق نور ثغرها وحسن وجهها ببصره وقالت وحق المسيح إنك اليوم عندى أحظى من الأمير عبد الوهاب ثم كشفت عن صدرها فبانت رمانتى نهودها عن صدر كانه صرح بلور لا يرى مثله فى الوجود فكاد عقل قراقد أن يطير وقال لها يا ستى لو انكى رجعتى إلى الإسلام لكنت أعطيكى جميع ما أملك من المال والانعام فقالت له وتفعل ذلك فخلفها وقد أخذه الزمع ووقعت عليه الرعدة وانحلت أعضاه واندهش فلما ثبت عندها أنه قد استحكم منه هواها هجمت عليه وهزته اقتلعته من سرجه وبقى فى يدها مثل الشاهين إذا أخذ الحمام ثم انكشف عنها الغبار وإذا بها قد سلمته إلى البطارقة فتحيرت الطوائف وقال الأمير عبد الوهاب ترى من أين قيض لنا هذا الشيطان ولولا أنى أعلم أن الحرب سجال وإلا كنت

خرجت إلى هذا الفارس وعجلت له النكال ثم أقبل على الامير أبو الهزاهز وقال له اخرج إلى هذا الملعون وابصر كيف يكون فقفز أبو الهزاهز إلى نحوها فلم يطول مقامه معها دون أن كشفت له وجهها وصدرها فلم يملك من نفسه شيء حتى أخذته أسير وجمعت بينه وبين قراقد فى مكان واحد وخرجت اليها ثلاثة من بنى كلاب فأخذتهم قوة واغتصاب عندها أدعى الامير بجواده وكان جواد يفوت الطرف ويعجز عنه الوصف كأنه البرق إذا برق أو السهم إذا مرق وله صهيل كانه الرعد إذا خفق يكل عن وصفه كل لسان إذا نطق فهو كما قال فيه الشاعر

جوادك يحاكى البرق فى جريانه وريح جناب هب فى جريانه
له سرعة فى جريه ووثوبه ويدرك طير الافق فى جريانه

(قال الراوى) فتطاول العسكر عندما عزم الأمير عبدالوهاب على الخروج وارتعدت فرائص البطارقة والعلوج وقالت الروم وبهذا يكون الانفصال عن القتال فان الكل بأسود بنى كلاب وقالت المسلمون ما لهذا البطريق الملعون الا الأمير الميمون فبينما الناس كذلك وإذا براهب قد أقبل وهو يمشى بين الصفوف مشى الهوينا حتى صار بين الفريقين فقالت عساكر منويل هذا من رهبان الزواورة وقد خرج إلى المسلمين فى رسالة أما انه قد رأى أن يفادى المسلمين والاسارى وكيف يكون هذا وقد أبصرتم فعال هذا الفارس فى الابطال وما بقى من عسكر المسلمين الا أن يأخذ هذا الفارس أسود بنى كلاب ثم تطاولوا إلى ذلك الراهب فيما أتى ولم يزل الراهب يتخطى الصفوف إلى أن أتى إلى الأمير عبدالوهاب ومسك بركابه وقال له ياعبد الوهاب لا تخرج إلى هذا الفارس الذى قد فعل ما فعل فقال الأمير ولم ذلك قال الراهب الذى أقوله لك على وجه الاشفاق عليك فقال له الامير إنما أريد الاشفاق ممن هو ناصح فى الدين فقال له الراهب فأنا ممن يشهد له الناس بالاشفاق فى سائر الآفاق فقال الامير من أنت أعلمنى فقل وأوجز فعند ذلك كشف الراهب وجهه واذا به الاميرة ذات الهمه فلما رآها لم يتمالك ان رمار وحه عن الجواد اليها وقبل الارض شكر الله تعالى فقالوا الروم الراهب من عند المسيح قد أتى اليه وقد دخل فى ديننا لا محالة والا ما كان يترجل عن جواده فى هذا الوقت ويكرم هذا الراهب هذا الاكرام الزائد (ياسادة) وان الأمير قال لوالدته الحمدلله على الخلاص وقد عولت على الخروج إلى هذا الفارس فنى قلبى منه شيء عظيم فقالت الأميرة ياولدى ما أخليك تخرج اليه ولكن اصبر على ساعة ثم دخلت إلى الخيمة وطلبت شراب الجلاب فشربت وجابوا لها لحم فأكلت فوجدت فى نفسها القوة ثم ركبت جواد من خيل الأمير ليس له نظير ولبست لامة حربها وأخذت صمصامة قاطعة

واعتقلت برمح خطى فقال لها الأمير على ماذا عوالى فقالت أخرج إلى هذا الفارس وآخذه حقير بعون الملك القدير (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص الأميرة أنها لما كانت فى الحبس قال شومدرس لعقبة ويلك يا شيخ النحس لو قتلتك الساعة من كان يخلصك من يدى لان الملك مقويل ظاهر البلد والملك الفارقيط مأسور ووحق المسيح ما كان إلا على نية ضرب رقبتك قال عقبة له عليك لعنة المسيح وغضبه ويلك وحق المسيح أنت عندى مثل الكلب وأنجس فغضب منه شومدرس ثم شال يده وضربه على خده أرماه إلى الارض وقال وحق المسيح إذا خلص الفارقيط لا تركنه يضرب رقبتك فعلم عقبة انه ان تكلم حرض عليه الزواورة فيقتلوه فجعل يضحك ويكشر عن انيابه التى كانها أنياب الكلاب ويقول ياشيخ أبو الشر ما أملت منك هذا الامل (قال الرواى) هذا ودهر شوم قد أقبلت عليه أمه وقالت ياولدى هذا أوان الفرصة وكل من له عدو يشتفى منه لان الفارقيط ما يمكننا من واحد فهلم بنا إلى البطال نضربه بالخناجر إلى أن يموت فيكون قد نصرنا الملة المسيحيه وتقتل سائر الاسارى حتى يتراضوا الروم عنا بعد موتنا فقال دهرشوم ان أردتى الثواب فنحن نبادر إلى من هى فساد دين النصرانية وهلاك الملة المسيحية وهى ذات الهمة فقالت هذا هو الصواب لا/ أبغض الاشياء إلى ثم قالت له أنزل وأنجز أمرها فنزل دهرشوم وشوما حتى إذا وصلا إلى الاميرة ذات الهمة وهى مكتوفة اليدين وهى على ماهى عليه من الجراحات التى بها وهى مع ذلك لها وجه كانه القمر المنير لان نور الاسلام على وجهها يلوح فقالت لها شوما ويلك يا ذات الهمة هذه آخر لياليك من الدنيا فقالت لها الأميرة ذات الهمة يا عاهرة ستجدينى صابرة على ماقضى الله تعالى لان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فلما سمعت شوما كلام الاميرة صاحت بولدها دهرشوم أريد من قبل قتلها ان تفعل بها الفعل القبيح فيكون ذلك عار على ولدها عبدالوهاب فدنا منها هو وأمه رافعان أيديهما بالخنجرين يريدان ضربها فوجد الاميرة صبر دون أن تمطت فى كتافها قطعته قطعتين وثبت اليهما وقد هربا منها انظر إلى الحبال التى كانت بها مكتوفة قطعوا قطع فارتعدت أيديهما وضرباها ضربتين خائفتين فلم يؤثرا فيها شيأ ثم أنها قفزت على دهرشوم وعصرت على حلقة فخرجت عيناه وفارق دنياه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وأما شوما فان الأميرة ماتركتها من يدها حتى خمدت حسها وأيست من حياتها وقلعت الثوب من عليها ولبسته وتعممت بعمامتها لان رهبان الروم عادتهم يعمموا النساء والرجال يكشفون الرؤوس ثم ان الاميرة أخذت الخنجرين من أيديهما وهمت ان تطلع من السرداب

فنظرت إلى البطريق جالس على الباب والضوء عنده فنادته الاميرة ذات الهمة بالرومى أنزل حتى تساعدنا فلما سمعها قال لبيك فقالت له أدركنى فظن انها شوما فنزل مسرعا فاظهرت انها تساروه وضربته بالخنجر فى صدره أطلعته من ظهره وأغلقت باب السجن وخرجت إلى باب البلد والبطارقة مشتغلين بالقتال ونورى قد فتكت بالرجال وإذا بواحد يقول لصاحبه ان الملكة نورى قد أخذت أحد وعشرين أسيرا من المؤمنين المسلمين أسارى وما بقى الا أسود بنى كلاب والساعة يخرج اليها فما هى الا أن تأخذه وقد انكسرت عساكر الإسلام فاسرعت الاميرة فى مشيها اشفاقا على ولدها لأنها تعلم أن فى قلبه نورى هوى وانه ان قاتلها أسرته كما أسرت غيره فادركته كما ذكرنا وهى فى زى راهب كما وصفنا وعرفها أنها أمه كما قدمنا ودخلت الى الخيمة وأكلت وشربت وتقوت وخرجت وركبت وأخذت لامة حربها (وعدنا إلى سياقة الحديث) وقالت له أنا أخرج الى هذا الفارس لانك ان خرجت اليه وملكك كان عار عليك فى ملكه لك وان ملكته كان عار أيضا قال وكيف ذلك قالت له ماتعرف من هو هذا الفارس قال لا قالت هذه نورى وما كنت أنت تخرج اليها الا تأسرك وأنا أقسم بالله أنها ما أخذت أكثر الرجال الا بالحيلة فقال الامير ما بقى فى قلبي منها شيء فقالت ياولدى أنا أعرف بقتالها منك ثم صاحت بجوادها فخرج الحصان كانه ريح سليمان أوعفريت من الجان ولعبت الاميرة بالقنا مثل القلم إذا لعب به الكاتب وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وتضاربا ضربا أمر من الصبر وإذا وقع الحديد على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن والفارس يعرف خصمه إذا صدق عزمه فاخذت نورى فى القتال والحرب والنزال ولم تعرف من هو ذلك الفارس واعتركا فى الجولان إلى ان طلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار فطعنت ذات الهمه نورى بعقب الرمح فى صدرها القتها على ظهرها وأوثقتها كتاف وعادت بها إلى الخيمة واوصت بحفظها ورجعت إلى القتال وكانت الروم نظروا إلى الملكة نورى قد أسرت والاميرة ذات الهمة قد اشتهرت خرجوا من العدد وملوا الارض والدكادك وعميت الابصار من لمعان الدروع والبيض وبريق السيوف الفواتك ورجفت الأرض من وقع حوافر الخيل والسنابك واشتعلت الحرب بنار لهيبها وصار الغبار كالليل الحالك هذا والصوارم قد هزت والسلامة قد عزت والخيل على اللجم قد كزت وان القلوب قد انقطعت والاكباد قد تفطرت والافئدة قد انصدعت والمرهفات قد لمعت والأسنة قد تشعشعت والاقيال قد جزعت والجبابرة قد خضعت والروم فى حابس الإسلام قد طمعت والخيول إلى الصدام قد رفعت وكان الأمير عبدالوهاب رايته قد ارتفعت

وقد كتب عليها بالبياض كلمة الاخلاص التى لقائلها قادت ونفعت ولدرجاته يوم القيامة رفعت وهى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غربت شمس وطلعت (قال الراوى) هذا وقد كان يوما يشيب لهوله المولود وطلع النقع فلم يعرف البيض من السود وأنجز وعد الوعيد وعملت صواعق الحديد ونفذت سهام الحمام فى الابدان والعظام ووقعت الرجال من الخيل لكثرة الصدام ووطئت الحوافر على الصدور وعملت الخناجر فى المحاجر وانهزم منويل إلى البلد وامتلأ بلد الفارقيط بالرجال وقتل منهم خلق كثير وانهزم عالم غزير وأسر ميخائيل وحجز الظلام بينهم ورجعوا إلى الخيام وأحضر الأمير عبد الوهاب الأميرة ذات الهمة وقال لها أيتها الأميرة أين هى نورى فلما سمعت مقاله فهمت مرامه فقالت له علم أنها هى فى الخيمة متوهنة من الذى جرى عليها فى يومنا وإن عندنا يا ولدى ما هو أهم من نورى الملعونة وهم الامراء وأسرهم ويانس وأصحابه وكانت الأميرة قد فعلت ذلك لأجل قلب البطال ولم تزل كذلك فى الصلاة والخشوع إلى أن أصبح الصباح (ياسادة) وأن شومدرس افتقد ابنه وزوجته فما وجدهم وسأل عنهم فقيل له أنهم مضوا إلى السجن ليعاقبوا ذات الهمة فدخل إلى السرداب فوجد السجان فى ثياب الذل والهوان مذبوح فقال هذه علامة الاقبال وما بقى إلا ابنى دهرشوم أنظره إلى يوم القيامة لما تقوم والراهبة شوما قد لاقت الهموم فلطم شومدرس حتى غمى عليه ونتف لحيته فأفاقت شوما على صراخه وعقلت على نفسها ونظرت ابنها على ذلك الحال فلطمت رأسها وقطعت شعرها وقالت وحق المسيح إن طلعت ذات الهمة إلى السماء طلعت خلفها ولو غاصت فى الارض السفلى إلى أن بلغ منها المنى ولو أنها فى السماء الرابعة لامكنن منها ومن ولدها السيوف القاطعة ثم قالت لشومدرس ما انتظارك فقال لها وما الذى أعمل والملك منويل قد انكسر ودخل إلى البلد والوالد لا يعرف الولد فقالت امضى إلى الملك منويل وعرفه بقتل ولدى الصالح دهرشوم النبيل ولا بد أن يكون دمه ميشوم على هذا القبيل فقال لها طيبى قلبك فما أدفن ولدك حتى أقتل البطال على قبره فقالت لقد أشرت بالصواب ثم أخرج ولده دهرشوم وعملوا عزاه الروم والقاضى عقبة المذموم وقال هذا بخطيئة ما صنعت بى من غير ذنب سبق منى إليك ولولا ما قد نزل بك شكوتك إلى الملك منويل فلم يكلمه شومدرس وعلم أنه شامت فيه ومفرى وأضمر له فى نفسه غدرا ومكرا ثم نادى شومدرس وأقام المنادى يقول ألا من أراد الصلاة على الولد الصالح المقتول خنيق فى حب الدين العتيق فترحموا عليه يا معاشر أهل الدين والعتوة أنتم يا حاضرين (يا سادة) ثم اجتمع جماعة الروم

وصلوا على دهر شوم هذا وشو مدرس يتحسر ويقول أنا أعلم انه فى الجنة ثم ان الملعون دفن ولده ونزل عليه فى ربض الكنيسة ورثا له مما جرى له وقال لو كان يسير بالغت فى شراه بما أقدر عليه فما تكون حيلتى وامصيبتى راحت ثمرة فؤادى أو مهجتى وأريد منك أيها الملك أبو محمد ومعلوم ان زوجتى هى التى أخدته وانما أريد أن يكون ذلك عن أذنك (قال الراوى) وان الملك منويل بكى عليه وقال لشو مدرس المسيح قد امرنا بطاعتك وأنا أريد أضرب رقبته على قبر الشاب الصالح فقال هذا هو الصواب ولا نأمن يا ملك من أبو محمد البطال مادام انه فى البلد فقال الملك خذوه واقتلوه قال فتبادرت البطارقة اليه وهجموا عليه فى الحبس وسحبوه على وجهه وغلمانه معه وقد قلعوهم ثيابهم وعقبة يصفعهم ويقول الى متى يملكهم المسيح وحق المسيح يا بطال ما أشتهى أتصبح باسمك فساروا به الى ان وصلوا الى قبر دهر شوم فصاح أبو محمد بلسان الزغاورة ويلكم أنا ما أبالى بالقتل وأكثر من موتة ما تكون وعند الأمير عبد الوهاب الملك الفارقيط ونورى ومائة بطل من البطارقة وخواصهم وربما يصطلح ملك الروم مع عبد الوهاب ويعطيه نورى ثم يرحل عنكم وهذا عقبة وشو مدرس لا يبالوا بما نزل بكم وإذ قتلت أنا قتل الفارقيط وأخذوا البلد ويسلموه الى منويل وقد كاتبوه وهم الذين فعلوا هذا كله فان كان للفارقيط عليكم حق فاحفظونى فان وقع الفداء بى كان الذى تريدون وان خلص فان قتلى بين أيديكم ما يفوتكم وان نورى هى التى أسرتنى لا الملك ولا شوما فكيف تتركونى يتصرف عليكم غيركم (يا سادة) فعندها زعقت الزغاورة زعقة رجل واحد وقالوا لقد صدق وحق المسيح ثم أقبلوا على عقبة وفى رأسه لطموه وأما شو مدرس طردوه وأبعدوه (قال الراوى) فاختصمت بطارقة منويل لشو مدرس وأخذت الزغاورة أبو محمد البطال وعادوا به الى الحبس فوقع بينهم السيف وعلت الزعقات وقاتلت الزغاورة محرقة على بلادها وعلا الصياح الى ظاهر البلد حتى سمعوا المسلمين الصياح فقال الامير عبد الوهاب يا ترى ما حولهم فقالت الاميرة ذات الهمة لا شك الا انهم قد وجدوا شوما ودهر شوم قتلا وقد عظم عليهم وقد طلبوا أبو محمد ليقتلوه ولا شك ان أبو محمد يقول لهم الامير عنده الفارقيط أسير ونورى وجماعة البطارقة وقد وقع بينهم والله أعلم لان من كثرة التجارب قد عبر هذا على خاطرى (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا بالجاسوس قد أقبل اليهم وأخبرهم بما قالت الاميرة لم يزدو لم ينقص فقال لها الامير والله لم ينتج الزمان بمثلك أبدا (يا سادة) هذا جرى وان الزغاورة قويت على أبى محمد وغلمانه وأخذوهم وبلغ الخبر الى منويل فقال نحن فى بلد القوم وملكهم مأسور فى يد المسلمين وما

قال البطال الا حقا وحق المسيح لو قتل البطال لقتل عبد الوهاب الملوك الذين عنده ولقد كنت فى غفلة عن هذه القضية وما نهلك خواص النصرانية من أجل دهرشوم لقد كان قتله ميشوم وحق المسيح ان الفارقيط أحب إلى من عشرة آلاف لحية من دهرشوم ومثل أبوه فلا كان ولا استكان (قال) فلما سمعوا الزغاورة ذلك طابت قلوبهم وقالوا الساعة نرسل إلى عبد الوهاب فلما وصلوا قالوا تأخذ كل أسير عندنا لا صغير ولا كبير ونريد الفارقيط ونورى والملوك فلما سمع الامير ذلك قال ان مسلم عندى أخير من أهل الأرض وأنا أعطيكم نورى وكل من عندى فقالت الاميره ياولدى احكم أنت فى أسرائك الذين عندك وأما نورى فما هى فى أسرك وأنا والله ما تركتك تخرج إليها الامن وجهين أحدهما عرفت أنها تأسرك والاخرى لو أنك كنت أخذتها كنت تقول انها أسيرتى وما سامحتك البارحة تراها بعينك نظرا فأسامحك بتسليمها لا والله لاتدرى ما قد جرى على من أجلها وعلى ذلك المسكين أبو محمد البطال بسببها وما دخلنا الا فى طلبها وأنا ما أسلمها فعظم على الامير ذلك وقال نحن مانخلى ألفين أسير من المسلمين يهلكون من أجل هذه الكافرة فقالت عند ذلك مانفادى بها وأما هذه فلا أسلمها لأحد ما طرد الليل النهار فقال الامير فانهم لا يعطونا أبو محمد فقالت وأنا لا أريده وهذه أسيرتى ولا أسلمها إلى أحد حتى تطير رأسى عن بدنى فقالوا السودان ونحن أمرانا قرافدو أبو الهزاهز وميمون يهلكون من أجل هذه الملعونة بنت الملعون بل نأخذها منكى غصبا فقالت الأميره اخسؤا يا كلاب الحجامين وفضلة الزبالين والوقادين ومن أنتم يا كلاب ثم صاحت يالكلاب يا كلاب فأجابوها لبيك لبيك ها نحن بين يديك فقالت من كان معى فليأتى ثم انصرفت عنهم فأتم إليها أكثر بنى كلاب ولم يبق مع الامير عبد الوهاب إلا القليل فقالت من أراد نورى فليخرج إلى الحرب والقتال فعند ذلك حملت السودان على بنى كلاب ووقع بينهم الحرب والقتال والطعن والنزال حتى ضجت العوالم وقد جزت الصوارم ورأيت السودان قد سال لعابهم ولم يزالوا إلى الظهر ودخل بينهم مشايخ بنى كلاب وعذلوا عبد الوهاب والأميرة وقالوا للأمير ياعبد الوهاب لم تزل مخالفا لأمك وكل هذا على رأسك وكل من قتل من المسلمين خطيئة فى رقبتك لانك لم تكن أسرت نورى فتحكم فيها لان الاميرة قد خاطرت ودخلت مع الأمير أبو محمد وقاست الحرب وقد دلت ما جرى عليها وهى قد عملت هذا عن سبيل العصبية وان أردت الأمور تنفصل ان شاء الله تعالى تبارز أنت وأمك وتبطل قتال المسلمين فهذه ثالثة ما كانت تبقى عليك فعندها رد عبد الوهاب والسودان وهم متشوقين إلى القتال وهم يقولون

يا أمير نخلى أمراؤنا فى الاسر فقال أنا أخاصهم (قال الراوى) ثم ان ذات الهمة برزت إلى الأمير عبد الوهاب وردت بنى كلاب وقد قتل من الطائفتين مائة نفر وقالت ذات الهمة برفيع صوتها يا ابن الحارث لعن الله مرضعتك فما فيك مروءة ويلك مالابو محمد عليك حق خدمة وحرمة ما تراعيه وتخلى له هذه الجارية الروميه تكسى له ويلك وأنت فى كندفرونيه وأنت تشحت منه الخبز وتقول له يا قرقياس عسى لقمة وجاب لك الخبز والشوى والحلوى وكل طعام طيب وأنا أقسم وحق محمد لئن برزت إلى هذه النوبة الثالثة لابد لى أن أقتلك وأنت تعلم والله انه قد فرض عليك طاعتى وأنت مخالف فلا تحسب هذه النوبة أحطك بالرفق والله ان ظفرت بك لأجعلنك كخبر كان فبان يا أسود زنيم ويا بغل لئيم مافى قلبك من رحمة فدونك والقتال ثم خرجت إلى بين الصفين وهى من الغيظ كادت ان تبكى وهى تقول لقد فارت كبدى عليك يا عبد الوهاب أخرج إلى حتى أوريك كيف يكون حسابك (قال الراوى) فعندها عرف الأمير ان الأميرة قد اغتاظت وانه ان خرج إليها قتلته بلا محالة هذا والرسول قد مات فى جلده وقال فى الجملة والتفصيل أنا أروح تحت حوافر الخيل ولم يصدق بالانفلات ثم وصل إلى الملك منويل وأعاد عليه ما جرى فقال عقبة أيها الملك اخرج كل ما عندك من الاسارى ويانس وأصحابه لانه وحق المسيح مسلم وينافق علينا هو وبطارقته ويقول نحن لهم معاهدين وسائر الامراء والاصحاب والعرب والسودان وانصبوا الخشب على نية صلبهم وصيحوا إلى المسلمين اقبلوا من عندكم ونحن ما نفادى الا بنورى وقد أخذتموها فى الحال فان فرد مسلم عندهم أحب إليهم من كل من فى الدنيا فقال الملك هذا هو الصواب (ياسادة) ونصبت الاخشاب ونادى منادى الروم باخراج يانس وأصحابه وأبو الهزاهز وقراقد وميمون الجماس وبردين الازهر وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمره وسائر أمراء المسلمين وحطوهم على الخشب ودقت النواقيس ونادى مناديهم يامعاشر المسلمين ان أنتم دفعتم الينانورى وكل من عندكم والافنحن نصلب أصحابكم ونحن عندنا من الروم شىء كثير وسوف تصل عساكر منويل وفيها خلق كثير من ستة عشر اقليم وما يرجع يخرج منكم إلى بلدكم أحد والصواب انكم ترحمون أنفسكم وتدفعون الينا أصحابنا وندفع لكم أصحابكم ونحلف لكم بأن لانتعرض لكم ولا لاصحابكم والا ههنا تحضر آجالكم (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمعوا المسلمين ذلك قالوا والله لقد قالوا الصحيح فى مجىء عساكرهم ولاشك الا انهم قد بعثوا إليهم ونحن فى وسط بلد الروم ولا لنا نجدة ولا الامير تقوم بنا والصواب الفداء (يا سادة) وبعث الامير إلى الاميره فقالت هذاه

كله ماأسمعه ولو صلبوا من صلبوا وماله عندى جواب الا الطعن والضراب (قال) فلما سمع الامير ذلك قال كلمه لا يخجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وقعت والله فى حيرة هذا هو المرضين المختلفين وان لاقيتها ماأسد معها شىء (قال) فلما سمع ذلك السوادن راح من عندهم واحد من غلمان قراقد ونادى برفيع من صوته وقد وقف من تحت السور وقال ويلكم أصلبوا البطال مع غلمانه وقد أخذتم نورى وقولوا انه إذا صلبتم أبو محمد بالحياة وعلقتموه باباطه وقلتم له صيح إلى ذات الهمة بان تخلى نورى فانه لا يختار نورى على نفسه فعندها قالوا هذا الصواب وسحبوا البطال فى أوائل الناس ورفعوا خشبته وعلقوه بابطيه وفوقت السهام إليه وقالوا ويلك يابطال قد بقيوا الناس معواقعين من أجلك فقول لذات الهمة تسلم إلينا نورى والا وحق المسيح قضينا عليك فأيقن البطال بالموت وقدمت إليه الاسنة والسهام فنادى عند ذلك برفيع من صوته يا كلاب ارحمونا واطلقوا من عندكم حتى يطلقونا فقال عقبة ويلك يا خبيث نادى بذات الهمة حتى تخلى نورى فقال البطال ماأحسن لغتى كيف أقول فقال عقبة حاشاك أنت مسكين ماتحسن تنطق بحرف واحد ويلك ياقرنان صيح ياذات الهمة خلى نورى حتى يخلونا ايش فى هذا من الصعوبة فنادى البطال يا ست المجاهدين ويا سيف الموحدين يامن لا تنسى حقوق الخدمة على طول السنين ويا حافظة العهود لاجل رب العالمين ان كان سبى نورى عندك لاجلى فادفعيها إليهم ليطلقونا وان كان من أجل عبد الوهاب فخليها حتى يخلونا وان كان من أجل الخليفة الرشيد بالله فما لنا نحن بهذا تعلق (قال) فلما سمع الامير عبد الوهاب مقالته قال لا ستر الله عليك يا كشحان حتى عند الصلب والموت ما تخلى حيلك وتدبير عملك فعندها صاحت الاميرة ذات الهمة برفيع صوتها خلوا من عندكم من سوى البطال وخذوا الملك الفارقيط وأنا فقد خلاعنى عبد الوهاب من سوء المقال وأنتم عالم كثير أخرجوا إلى قتالى فان أخذت منكم من يعز عليكم فديت به البطال وان أنتم أسرتمونى أخذتم أسيرتى نورى منى فقال الملك وحق المسيح هذا هو الصواب ووقع الرضى ودفعت الاسارى وأطلق يانس ومن معه والامراء بأسرهم ودوغورس وميخائيل والاندرياس والمانسطر والفارقيط وباتوا على إن الروم وتخرج إلى قتال ذات الهمة وبنى كلاب من الغد وقالوا بعد أن لا نقاتل السودان ماتممنا ولا نخاف من أسباب الخلاف وباتوا على ذلك وعند الصباح وصل ملك افرنجه فى خمسة آلاف فارس ففرح به الملك منويل (ياسادة) وكان هذا ملك افرنجه جبار عنيد يقال له هيلون ابن بولص وانه كان لم يطيع الملك منويل وان البترك أرسل اليه فلم يخالفه واراد ملك

الافرنج أن يحمل على عبد الوهاب ومن معه فلم يمكنه الملك من ذلك وقال إن بيننا حكومة هذا وإن الملك منويل عظمه وبجله ولم يعظم أحدا غيره وحكى له ما جرى فقال أنا أخرج إليها وحدى ففرح الملك ولما أصبح خرج فى الافرنج وقد ركب الملك القارقيط وحوله جماعة من خواصه واصطفت الصفوف وتسترت الافرنج بالطوازق وضحك عقبة المنافق وقال أنا أعرف أن الملك هيلون بن بولص ما فى الأرض أقوى منه فيكون اليوم آخر أيام ذات الهمة من دار الدنيا (قال الراوى) وبرز هيلون إلى بين الصفين وجال بين الفريقين وحمل على بنى كلاب فقتل منهم جماعة وحمل على عسكر عبد الوهاب فقتل من السودان ثلاثة وصاحت الروم أيها الملك بيننا وبينهم مهادنة لكن أقتل فى عسكر ذات الهمة فرجع عنهم وقد صعب على عبد الوهاب وقال للسودان كونوا على أهبة الحملة فلا بد لهذا الملعون أن يغدر وأما ملك الافرنج فانه طلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه فارس من أصحاب الأميرة ذات الهمة فقتله وثانى فجندله وثالث فبلبله ورابع فخبله وخامس فأنكله وسادس فأقدمه على عمله وسابع طعنه فما أخطأ مقتله وثامن من موضعه قلقله وتاسع أعدمه أجله وعاشر جندله فوقفت عند ذلك الرجال عنه وفزعت الابطال منه وهؤلاء العشرة رحمهم الله كانوا رجال وأى رجال ووقفت الناس فنادوا الزغاورة إذا حضر العود اصفر وجه الطنبوران أردتى واحدة من ثنتين إما أن تخرجى وإما أن تسلمى إلينا نورى قبل أن يلحقك هيلون ويحطك مقبوره (قال الراوى) عند ذلك خرجت الأميرة وهى متوكلة على عالم السرائر وأن الأميرة جرت قناتها من ورائها وجالت فى أصحابها حتى لان جوادها فى الجولان وكسرت حدة الحصان وحمل هيلون كأنه المجنون وشخص الحاضرون وبهت الناظرون فجال ساعة وترجل عن جواده وافتقد حزامه وشده حتى عاق قوائمه من الأرض وبقيت تاهب فى الهوى ثم أراد أن يركب فنفر منه الحصان فعند ذلك تمطا هيلون ولكمه فى اضلاعه دخلت يده فى بطن الحصان إلى أمعاه فتحير كل من رآه وقال عقبة أسأل المسيح أن يرزق ذات الهمة أخت هذه اللكمه وقد زالت الغمة ونزلت عليها النقمه فقال شومدرس آمين استجب يا مسيح منا لأننا شيخين صالحين لجهنم (يا سادة) وادعى الافرنج بحصان أصفر مثل وجنات العاشق عند الفراق من الحبيب أو لون الشمس عند المغيب غير أنه يطير مع الاملاك ويدور مع الافلاك كأنه من صافنات سليمان وراكبيه فى أمان يفوت البرق يوم السبق غدوا ولا يجد الرياح عدوا يطير طيران ثم أن الملعون وثب من الأرض صار فى وسط ظهره ونظر إلى الأميرة بعين الازدراء والاحتقار وحمل عليها من غير محاولة ولا مطاولة وطعنها بالقنطارية

فامتشقت الأميرة سيفها وضربت القنطارية برتها كما يبرى الكاتب القلم وهجمت عليه فلولا سرعة جواده لأدركته الضربة فانتبه هيلون لها وأخذ قنطارية أخرى وحمل عليها وتجاولا وتطاولا وأخذ فى الكر والفر والأخذ والرد والجد والهزل حتى تقصفت الرماح وتثلمت الصفاح وعلا الغبار وحارت الأفكار وادلهم النهار وصاحت الروم من على الأسوار وضج الملك والكفار وكبر المؤمنون الأبرار وصلوا على النبي المختار فتارة يصيران فى الميمنة وتارة يصيران فى الميسرة وتارة عند البلد وتارة عند عسكر عبد الوهاب وتارة عند موضع اللقا ووقفت الخيل من كثرة الشقا فضرب هيلون جواد الأميرة بعامود حديد نثر الجواد نثرا فوثبت الأميرة وجمعت نفسها ووقفت على الأرض ثم ضربت قوائم جواده فقطعت منها ثلاثة أطراف فحذفها الملعون بالعامود فخافوا المسلمين عليها من التلاف فاتقته بدرقة حديد صيني فكان صوت العامود مع صوت الدرقة فطارت قطعتين ووقع الزمع على الفريقين وقال الامير عبد الوهاب لاحول ولا قوة إلا بالله العظيم لو وقعت هذه الضربة على صور البلد لانهدم وكانت الأميرة قد تعجبت من تلك الضربة وقد روعها بعد ذلك ثم أخذت العامود من بين يديها وهجمت عليه وقد ظن أنها ليست بالحياة ثم شالت العامود وقالت يامن هو الملك المعبود الذى ليس بوالد ولا مولود ياذا الافضال والجود أعنى على هذا الكافر الجحود ثم ضربته بالعامود فأخذ العامود فى الطارقة فوقعت كأنها صاعقة فكانت للطارقة ماحقة ولأضلاعه مع مخه ساحقة ولم يرجع يتحرك له خافقة بل بقى مكانه وقد طرقته من الموت طارقة والأميرة تنادى وقد سحبته من رجله اعتبروا يامعاشر البطارقة فحملت عند ذلك الافرنج الزنادقة فى خمسة آلاف قنطارية خلنجية وطوارق كرخية وحراب ملاوطية وسهام بندقية وعواميد رودسية وأوهاق قسطنطينية وقسى دوقية وخيول يونانية وسروج بنجاكية ولجم مغلبيطية وقلوب كافرة برب البرية (قال الراوى) ولما نظر الأمير عبد الوهاب إلى حملتهم على الأميرة ذات الهمة العامرية وكان المسلمين يكبروا عن ضربتها التى حارت فيها عقول الطائفتين الاسلامية والنصرانية فحملت السودان فى أربعة آلاف أسود كأنها الجواميس والسباع العادية والأفيلة العربية وحملت بنو كلاب ورفعوا أصواتهم باسم خالق البرية المتعالى عن قول كل مخالف لدين الحنيفية لايوصف ولا يشبه بالكيفية رافع السموات العلية وخالق الأرض المدحية وناصب الجبال المرسية وزاخر البحار المجرية العالم بالأسرار الخفية ينظر دبيب النملة السودا فى الليلة الظلما الرحبية ويسمع صوت تسبيح الذرة عند اصطفاف قعقعة الرعد القواصف القوية ويرى تقلب الجنين بين جنبي مه وهو بين الكبد والطحال والريه ويعلم سبب تحركه بكرة وعشية فيسهل له مايحتاج إليه من

الكيد والطحال والريه ويعلم سبب تحركه بكرة وعشية فيسهل له مايحتاج إليه من إتمام القضية (ياسادة ياكرام) فسبق فى الحال إلى الاميرة غلامها بارق بحصان قبل هجوم الافرنج عليها فاستوت فى ظهره وأخذت الرمح وكرت على الرجال فى المجال وحامت عقبان الآجال وعملت الصوارم وتزلزلت الارض واهتزت الجبال فيالها من ساعة تقطعت فيها الاعمار وذل كل متكبر جبار فكم من رأس قد طار ودم قد فار وجواد قد غار ووصل الامير عبد الوهاب إلى أمه وقال لله درك أيتها الاميره السيدة الكبيرة فلم تكلمه بل تخرق الزغاورة والروم وترامت أمواج العساكر كشبه أمواج البحر الزاخر العجاج واختلط لون الابنوس بلون العاج يعنى السودان والاعلاج وضاق الفجاج واختلجت القلوب فى البطون أى اختلاج وهاجت السودان فى مقام الهياج واشتغل كل امرىء عن أخيه وأمه وأبيه وطلب كل واحد منهم لنفسه واقية تقيه وتمنا كل بطل انه لم يحضر ذلك اليوم الكريه ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل وقد وقعوا فى التيه إلى أن مضى النهار بكلما فيه وأتى الليل بدياجيه وافترق الجمعان وتراجع الجيشان وقد امتلأت الارض من القتلا وانصبغت من الدما وقد قتل من سائر الطوائف خلق كثير إلا أن الأكثر من المشركين وعجل الله بأرواح الأبرار إلى دار القرار وأرواح الفجار إلى جهنم ودار البوار وجعل المسلمون يفتقدون بعضهم بعضا فهذا قد فقد أخاه وهذا قد فقد أقرباه ولا شاهد المسلمون ولا رأى الموحدين أعظم من هذا اليوم وكذلك سائر الروم والأرمن والانجار والبجاك والمغليط والصقلب والزغاورة فقتل منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى وطلب الامير عبد الوهاب الاميره ذات الهمة فلم يجد لها خبر ولا وقع لها على أثر ورجع كل الاصحاب إلى الامير ولا فيهم من يعلم ما كان منها فقال الامير عند ذلك لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والله ما تأخرت الاميرة إلا وقد قتلت أو تكاثرت عليها الرجال فتقنطرت وهى السعيدة استشهدت فى طاعة الله تعالى لكنها مضت إلى لقاء الله تعالى وقلبها على غير طيب لما جرى من أمر نورى والبطال والله ما طاب لى عيش من بعد فقدها أبدا ثم جعل يفتش القتلى ويمسح الوجوه من الدما بغير عبرا كانه الوالهة الثكلى أو الحبة على المقلا والعرب تقول له أيها الامير عليك بالصبر وحسن العزاء وما من عادتها انها هذا فى عسكر الاعداء وهذا عسكر أمة محمد المصطفى وأريدكم ان تفتشوا القتلا (ياساده) ففتشوا عند ذلك القتلا فلم يجدوا احدا فبكا الأمير عبد الوهاب وانشأ يقول

خلنى أندب الديار وأبكى ... وأجول الدموع فوق التراب
غاب عنى خلى فزاد بكاى ... كفريد فى حرقة واكتئاب

في بلاد الأعدا في معركة الحرب ... فأنا في لوعـــة واكتئاب
ناح من لم ينح عليها بدمع ... هاملات كما تسح السحاب

(قال الراوى) وداروا الناس يمينا وشمالا فاوجدوها وأن السودان قتلت أنفسها وبنى كلاب قد علاهم البكا والانتحاب وقداطموا خدودهم وظهورهم (قال الراوى) وكان في سودان الأمير جنس يقال لهم الدما دمه وكان لهم عادة إذا حزنوا قطعوا آذانهم فجعل بعضهم يقطع آذان بعض فنهاهم الأمير عن ذلك وكثير منهم جرحوا أنفسهم بالخناجر ماجرى وهلبت الخيل وكان عندهم جاسوس البلد فعرف حالهم ومضى إلى الروم وأخبرهم فلما سمعوا الروم ذلك قال الملك منويل الآن عمرت بيوت النصرانية بعد قتل ذات الهمه (ياساده) وأما شوما فانها باست الأرض وقالت أخذ المسيح بثار الشاب الصالح دهرشوم المنغص بشبابه ثم انشالت العود وعملت الخلوف وخلفت الكنيسة كلها (وأما عقبة) فانه رما روحه على الأرض والجاسوس يبوسها وقال ما أطيب هذه الليلة المباركة وما أحسنها ونعمة ما أكملها ورحمة علينا المسيح قد أنزلها وبنى كلاب ما أيشمها وحق المسيح ما كان قوام دين الإسلام إلا بها وقد رأيتم مافعلت بالملك هيلون وذلك العمد (قال الراوى) وإن الزغاوره وقع عندهم الفرح وجعلوا يرقصون وأظهروا السرور والطبول والزمور فدخل عقبة عليهم وقال ياأولادى أنا كنت قد نزرت المسيح إذا قتلت ذات الهمة أوماتت أفرح وأرقص والآن فقد قتلت ثم رقص هووشومدرس على هيئة رقص الدادات وفرحوا غاية الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) وإن البطال سمع الخبر وقيل له قد قدم الجاسوس وأخبر أن ذات الهمة قد قتلت وقد هلبت بنى كلاب أذناب خيلهم وقطعوا السودان آذانهم فعرف البطال أنهم عند المصائب يقطعوا آذانهم وصح عنده ذلك الخبر وبكا واستعبر ولولم يكن مكتوفا لكان ضرب نفسه بسكين وقال أنا كنت السبب في هلاك ست المجاهدين (ياساده) وأن عقبة دخل إليه وهو على تلك الحال وقال يابطال يهنيك هذا النهار المقبل السعيد مات نصف الإسلام لارحم المسيح منها مغرزابره وماتفطرت كبدى إلا بقولكم إنكم تصلبونى على الذهب صنم المسيح وجوهكم اليوم ذات الهمة وغدا عبدالوهاب وقد انكسر عسكر الإسلام وظفرت أنا بالعوام فطيب قلبك فلابد للراهبة ماتشرب من دمك خمسة أرطال فقال البطال أنا ما أيئس من رحمة الله تعالى (ياساده) ثم إن البطال بكا وأن واشتكا هذا وإن عقبة رجع إلى عنوان شبوبيته وانقامت حدبته وأقبل إلى الملك وقال أيها الملك هلك أعداؤك وصاروا من كل سوء فداؤك الآن إن وصلت عساكرك من بلاد

القسطنطينية لم يثبت بين يديها ساعة واحدة وقد انهدم ركنهم وراح عزهم والعرب والسودان ما كانوا يجتمعون الا لها والآن يذهبون عنه بعد ما قد أصابها ففرح الملك وقال هذا إلهنا للملك الفارقيط لانه قد بلغ ممن كان يمنعه حبيبته ثم طلبه الملك منويل فما وجده حاضر عنده فامر بأن يطلب فطلب فلم يوجد (ياساده) فكان القوم كانوا نيام فانتبهوا وقالوا وحق المسيح قد قتل الملك الفارقيط وانقلب فرحهم ترح وتصارخت الزغاورة وغلمانه وأصحابه وارتفع البكا والضجيج فقال البطال لغلمانه ويلكم ما حالكم فقالوا قد قتل الفارقيط وهذا سمعناه من الموكلين علينا فقال البطال قد قلت للقرنان وهو يبوس نوري ما هذا وقت البوس فان الأعداء على الأبواب من السودان وبنى كلاب فما صدقني والملكة نوري فما بقي لها طالب والساعة يسلموها إلى الروم لأني آمن من جهة عبد الوهاب فانه في هذا الوقت ما قلبه فارغ لها فقال له غلامه كم تهدش في نوري حتى تضرب رقابنا كلنا أما عندك شغل من قتل الأميرة ذات الهمة فقال البطال وكانها قتلت فقال ما الساعة كنت تندبها فقال بالله يا بديع فعلموا غلمانه أنه ليس في الوجود وانه قد صار كالعشاق الأولين مثل قيس المجنون وقيس بن ذريح وبشر صاحب هند وعروة صاحب عفراء وغيلان مى والأحوص صاحب عبده وكثير عزة وجميل وأمثالهم (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الزغاورة فانهم أشعلوا الشموع والمشاعل وخرجوا يفتشون على الملك الفارقيط بين القتلى ثم فتحت أبواب البلد وطافوا على القتلى قال عقبة إن وجدتم ذات الهمة أتوني بها حتى أحرقها وأنا أعطى لمن يأتى بها عشرة آلاف دينار (ياسادة) فلم يجدوا ذات الهمة ولا الفارقيط (ياسادة) وان الامير رأى الضوء من باب البلد قد خرج أرسل جاسوس يكشف له الخبر فعاد إليه وأخبره أنهم يفتشون على الفارقيط فما وجدوه فعندها قام الامير على قدميه وقال يا ترى الاميره في الحياة هي والفارقيط هذا ما يكون أبدا ولو كانت سالمة لكانت قد رجعت فهو كذلك وإذا بصايح من وراء العسكر قد صاح الله أكبر الله أكبر فقال الامير ما الخبر وكان الصايح ذات الهمة وقد أقبلت سالمة غانمة وهي تجنب حصان عليه واحد مربوط ورجليه إلى بطن الحصان فصاحت العربان وتبادرت السودان وضج أولياء الرحمن وصاحوا صيحة واحدة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخر الامير ساجدا لله تعالى وترجلت الاميرة وكانها قد جاءت من الآخرة ومعها الفارقيط أسير حقير (قال الراوى) ياساده ياكرام وكان السبب في ذلك ان الاميرة ذات الهمة رضى الله عنها لما قتلت ملك الافرنج هيلون بن بولص وقاتلت باقى النهار كما ذكرنا فهى كذلك إذ لقيت الفارقيط وقد

وقع بها التعب والكلام فطمع فيها وفى أخذها وقاتلها إلى المغيب قتالا لم يسمع قط بمثله إلى ان رأى نفسه فى أموره ناقصة والاميرة كلما هى فى زيادة عندها أطلق رأس جواده وطلب باب البلد فصاحت الاميره بجوادها فخرج من تحتها كالشهاب وشق الكتائب وهى من ورائه كالباز الطالب وأين المفر من القضاء اللازب وأبعدوا فى الرستاق مقدار ثلاث فراسخ فلما رأى الاميرة قد أدركته علم أن لا بد له من قتالها فعطف وناداها ما كان بين يديك من الروم غيرى تشتغلى بقتاله قالت لا لأنى أريد آخذك وأفادى بك أبو محمد البطال فقال ذلك منكى بعيد ثم انه حمل عليها وتجاولا ساعة فطعنها فبطلت الطعنة عليه وضربت قناته برتها كما لا يبرى الكاتب القلم ثم ان الاميرة قحمت عليه فطعنته بعقب الرمح فى صدره أرمته إلى الارض ونزلت إليه وشدته كتاف وأوثقته على ظهر جواده وجنبته وراءها وسارت طالبة العسكر على مهل وقد اختلط الظلام إلى أن وصلت كما ذكرنا وفرح الامير ووقع التهليل والتكبير ومضت جواسيس الروم وأخبروا أن ذات الهمة عادت سالمة ومعها الملك الفارقيط أسير فطابت قلوبهم من أجله هذا وقد أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وعقبة قد تزندق وفاض معه الغيظ والحنق وقال ما أظن المسيح بعد هذا يقدر على هؤلاء ولاهم من خلقته لانهم لو كانوا خلقته لكان قادر عليهم فقال له شومدرس اسكت لا تكفر ياميشوم ويلك تقول ان المسيح يخاف منهم ولا يقدر عليهم وإنما دهرشوم قد عصرت منه الحلقوم وتركته بعدها لا يقوم (ياساده) وسمع البطال ذلك فضحك ونادى ياقاضى عقبة صدقت والله فى قولك ان المسيح لا يخلقهم ولا له قدرة عليهم ولو كان هذا اعتقادك لكنت مسلم والله ان المسيح ما رضى بهذا القول الذى تقولون فيه وهو القائل عن نفسه كما أخبر الله عنه قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية (ياسادة) وعلمت الزغاورة أن ملكهم عند الاميرة ذات الهمة سالم وهو مأسور فقال الملك منويل نريد نفادى بهذا الشيطان الذى عندنا وأى شىء ينفعنا قتله فكم عندهم شيطان مثل هذا البطال فقال عقبة ما هذا صواب وان قتل هذا الشيطان أوجب ما يكون فقال البطال اقبلوا من عقبة هذا الرأى يروح ملككم الفارقيط عوضى وأوفى منى وإنما أنتم ما تصيبون مثل الملك الفارقيط لان عقبة يريد أن يقتل ملككم ويعطى نورى الملك منويل ويأخذ مدينتكم فقالوا صحيح وحق المسيح هذا وعقبة يقول ياويلكم اقتلوه فعندها وثبوا إلى عقبة وقالوا له أنت تريد قتل ملكنا من غير جناية فعلها معك وجعلوا يلطموه إلى أن غمى عليه ولولا أن الملك منويل منعهم عنه لكانوا قتلوه (ياسادة) وأرسلوا إلى الاميرة

وفادوا البطال بالفارقيط فدخل الفارقيط إلى بلده وجاء البطال وغلمانه إلى عسكر المسلمين فلما وصل البطال إلى عند الأميره ذات الهمة رمى نفسه على أقدامها يقبلها فمنعته من ذلك وهنته بالسلامة وقال لها هكذا يكون التعصب والحميه فى الله تعالى (قال الراوى) وأتى إلى الامير عبد الوهاب وسلم عليه وقبل يديه وعلى جميع الناس سلم وهنوه بالسلامة وحكى لهم كلام عقبه وما جرى منه وان البطال قام يمشى حول الخيمة التى فيها نورى ونظر من بين الاطناب وهو كانه نمس يريد أن يهجم على الدجاج فقالت الاميره ياأبا محمد مالك اليها سبيل فى هذه الساعة فقال البطال ما يكون قد رجعتى فيها وتريدى تعطيها لولدك عبد الوهاب فقالت لا والله أنا ما هى لك وقد وهبتك اياها وصارت مملوكتك فقال أبو محمد أريد أتفكه فى ملكى كما أحب وأختار فقالت الأميرة اعلم ياأبو محمد انها تهوى الملك الفارقيط ومادام انها فى أرضه وهو فى الحياة لا تطاوعك أبدا ولا تقدر عليها وأنت تعلم قوتها وشدتها ومع هذا لو رفستك رفسة قتلتك فقال والله صحيح لا ستر الله عليها لأنها بهذه الصنعة قد تعودت ثم قالت له الاميرة اصبر ياأبو محمد حتى نأخذها إلى ملطية وأزفها الك بالحلى والحلل والثياب والمغانى وهى منقشة مكتبه كما تشاء وأعمل الك الخلنجا والخشتنانك والسكبا والمامونية فقال أبو محمد هاتيها انى بلا وليمة ولا زينة فضحكت الاميرة وقالت دع عنك الطمع فربما قتلتك ونحن اليوم راحلون إلى بلاد الإسلام إن شاء الله تعالى ثم ان الاميرة أقبلت على الامير عبد الوهاب وقالت ما بقى لنا مقام وربما أتوا عساكر الروم ويطول مقامنا فارحل مقامنا فارحل فقال الأمير الرأى عندى أن نقدم الثقل الذي غنمناه من الروم مع سيف الحنيفية ومعه ألف فارس وهم بين أيدينا ونحن ههنا إلى أن يقطع عشر عشر فراسخ ونأمن الطلب ونسير على مهل إلى ملطية فان لحقنا عسكر لقينا ونحن جريده فيكون أمكن ويكون المال قد مضى قدامنا فقالت الأميرة هذا هو الصواب (قال الراوى) وأرسلوا سيف الحنيفية ومعه ألف فارس والغنائم والأموال وأقاموا يومهم ذلك وقد مضى البطال صحبة نورى قدام وكان قصده بذلك حتى لا ينظر إليها أحد وقد رفعت فى قبة الملك منويل وكانوا قد أخذوها من عسكره وقت الكسرة وهى من العاج مصفحة بالذهب الوهاج مفروشة بأنواع الديباج فقالت الأميرة ذات الهمة لقد بلغ من قدر هذه نورى أمر عظيم فقال البطال نعم يصلح لها لانها بنت ملك ولو كان أخذها منويل حملها على قفاه فضلا عن وطاه ثم ساروا وتركوا الأميرة هذا والبطال كلما تطلع إلى نورى من جانب أعرضت عنه إلى جانب آخر وسار سيف الحنيفية وقراقد معه والألف فارس

(ياساده) وان الأمير عبدالوهاب صبر إلى آخر النهار ورحل على مهل (قال الراوى) وعند رحيله وصل عسكر عظيم جرار كانه البحر الزخار (قال الراوى) وكان السبب فيه ان حرب ابن شيبان المتنصر لما أبطأ عليه خبر الملك منويل خرج من القسطنطينية وجمع عساكر المتنصرة وقال لهم عولوا على الرحيل إلى خدمة الملك منويل ثم جردهم فكانوا سبعين ألف ووصل ملك البجناك فى أربعين ألف فارس وساروا الكل إلى أن وردوا إلى الملك منويل وقالوا نحن نريد نلحق بعساكر المسلمين فقال الملك منويل ماهذا صواب خلوهم يمشون عنا فلاقرب المسيح خطاهم ولا أبقى لهم آثار وأخرب منهم الديار فقال حرب بن شيبان إنى قد سمعت بأنهم قدموا الغنائم بين أيديهم وما مضى معها إلا ألف فارس وقد أخذوا على طريق العيون حتى لا يقل عليهم الماء والطريق الأيسر أقرب بخمسة عشر فرسخ وأنا آخذ العرب وأسير وأسبق وآخذ جميع مامعهم وأثقالهم ونورى أيضا وأقتل كل من معهم وإلا فلا فائدة فى وصولى إليكم فقال عقبة هذا هو الصواب والبطال لا تأتينا إلا به أو برأسه فقال الملك الفارقيط وأنا أجىء معكم ثم انتخب من فرسانه خمسة آلاف وحرب بن شيبان وأصحابه وساروا يقطعون الطريق إلى أن ذهب النهار وساروا طول الليل إلى أن أصبح الصباح وقد حصلوا فى الموضع الذى فيه يريد الثقل أن يعبروا فأقاموا بين التلال مكمنين فهم كذلك اذقد وصل سيف الحنيفية وقراقد والبطال ونورى فماهم الاان نزلوا وحطوا الاحمال والرجال قد صاحت عليهم من سائر الجهات فظنوا ان يوم القيامة قد قامت وضربوا الجماجم بالصوارم وضربوا لهم سرادق ساعة من النهار وعمل الصارم البتار وحل البلا وقل العزا وأرملت النساء وامتلأت الارض من القتلى ووضع فى البطال أكثر من عشرين ضربة فوقع بين القتلى لا يسمع ولا يرى وقد سالت منه الدما وأخذت نورى وقتل أصحاب سيف الحنيفية وأسر الأمير قراقد والامير سيف الحنيفية يجالد ويجاهد فى طاعة الملك الواحد وانهزم بعضهم وهم مجروحين والتقوا بالامير عبدالوهاب والاميره ذات الهمة فقالوا لهم ويلكم ماوراءكم فقالوا الويل والحرب قتلت الرجال وأخذت الاموال وقتل أبو محمد البطال وما سلم غيرنا فقال الامير ويلكم ومن فعل بكم ذلك فقالوا الروم ورأينا حرب بن شيبان معهم (قال الراوى) وكان منويل أراد ان يقعد فقال له عقبة ماهذا صواب فربما يرزقوا النصر فينتسب ذلك إلى حرب ابن شيبان فاذا كنت أنت معهم ماينسب إلا اليك وأيضا تأخذ مثل نورى ونرجع إلى مدينة القسطنطونيه وان تكلم الفارقيط اضرب رقبته وتقطع بلاده لنورى فقال الملك هذا هو الصواب ولحق بحرب ابن شيبان فى بقايا العسكر وعقبة معهم الى أن وصلوا

إلى الموضع قبل ما يصل الثقل والسودان وأكمنوا مع حرب بن شيبان وجرى ما جرى وما قد سمعتموه (يا سادة يا كرام) ولما سمعت الاميرة بقتل أبو محمد البطال قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هذا رأيك يا عبد الوهاب ولم يكن ارسالهم بين أيدينا صواب لاننا فى بلاد الاعداء وعقبة من وراء ظهورنا وهو يفتح باب البلا ثم قالت فى أى طريق أخذوا قالوا على الطريق اليسرى فقالت الاميرة هى أقرب من ههنا وهى قريبة ولهذا سبقونا ثم خرجت طالبة الطريق اليسرى إلى أن سبقتهم وخرجت من بين أيديهم ولم يكن بقى منهم الاسيف الحنيفيه وهو يقاتل وقد تحير منه كل بطل وقتل من أصحابه مائة رجل فصاح عقبة ويلكم اطلبوا جواده بالسهام والرماح إلى ان يقع وقطعوه بالصفاح فجعلوا يضربون الجواد بالنشاب وهو يأخذه من كل مكان فنزل سيف الحنيفيه عن ظهر جواده وجعله وراءه وقال والله لاتركتهم يصلون إلى قتلك حتى أعدم الحياة أو يأتى الفرج لى من عند الله تعالى (قال الراوى) ياسادة يا كرام وفى تلك الساعة وصل الأمير عبد الوهاب والاميرة ذات الهمة فيالها من ساعة ما كان أيشمها على الروم وأبركها على المسلمين فتكسرت الرماح وتثلمت الصفاح وتصادمت السودان والاعلاج وهمهمت العرب تحت العجاج وطارت الارواح من الاشباح وعدمت وطلبت النفوس السلامة فما سلمت وأظلم وجه الارض من القتلا الذين عليها قد تكاثرت ونسائم الموت قد نسمت وقوائم الآجال قد تقدمت وخلصت الغنيمة التى كانت قد غنمت وأدرك الأمير عبد الوهاب سيف الحنيفية وهو على ذلك الحال فكشف عنه الوبال وقال لله درك ياولدى لقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل واحتوى على الغنائم (ياسادة) واما عقبة فانه قال للملك كيف ترى كنا منصورين لولا هذه الطائفة السودان وحق الصلبان بعد أن وصلوا هؤلاء لابد ان يحل بنا الهوان فاقبلوا منى واطلبوا الهرب وإلا وقعتم كلكم فى العطب (قال الراوى) فانفرد الملك وجماعة من الملوك وعقبة معهم وترجلوا عن خيولهم وصعدوا الجبل لينزلوا من ورائه هذا وان الاميرة لم تجد نورى فى الغنيمة فعلمت ان الملك الفارقيط قد أخذها وطلب النجاة فتركت الناس فى المعمعة وأخذت معها من بنى كلاب أربعمائة فارس وطلبت الطريق الذى تأخذه إلى بلد الفارقيط (قال) وكان الفارقيط لما رأى المسلمين قد أقبلوا علم انه يوم مذموم على المتنصرة والروم فأخذ نورى وألف فارس من أصحابه وسار طالب بلده وهو آمن فهو عند الصباح والاميرة ذات الهمة طلعت من ورائه بالخيل فرجع اليها وقد طمع فيها لما رأى قلة أصحابها وحمل عليها فى ألف فارس فما كانت الا ساعة حتى رأيت أكثرهم

رؤس بلا أبدان وأبدان بلا رؤس وان الفارقيط حمل على الاميرة ذات الهمة ولم يعرفها فعند ذلك حملت عليه وقالت له ويلك يا ملعون أمس أطلقتك من يدى والكلب يعرف خانقه أما تعرفنى يامذموم أنا فاطمة بنت مظلوم الآفة على الروم (قال) فلما ان عرفها طلب الهرب فلم يكن له إلى الهرب سبيل ثم أنها فاجأته مثل السيل المسيل وطعنته فى صدره واذا به عن حصانه يميل وخرج الرمح من ظهره ولم يبق إلا القليل ووقع على الأرض معفر ذليل ثم هجمت على نورى وقالت والله ياملعونه لقد أتعبتينى غاية التعب فقالت نورى المسيح يعلم من قد أتعب صاحبه (ياسادة) ولم يكن مع نورى من الجنان ماتبارز الاميرة لان الاميرة أسرتها مرار فسلمت نفسها وغنمت الاميرة الخيل والاسلاب ولما قتل الفارقيط انهزم باقى عسكره (قال الراوى) وان الاميرة ذات الهمة سارت راجعة فى لحف الجبل وقالت لمالك ابن طوق لايخلو ان يتعلق بهذا الجبل من المنهزمين من يكون فى أخذنا له فائدة ولعل الله يوقع الملعون عقبة فى أيدينا ثم انها أخذت خمسين اسود فيهم أبو الهزاهز وأبو الهول وجماعة من السودان وطلعت إلى الجبل وساروا رجاله هذا وقد وكلت بنورى السودان حتى لاتهرب فهم كذلك وإذا بجماعة قعود وكانوا هؤلاء الجماعة الملك منويل وعقبة والدمشتق ودوغورش وسائر ملوك النصرانيه وقد تحطموا طول ليلتهم مما يتعثرون فى الصخور التى فى الجبل ومما يقعون ويقدمون فلما أصبحوا وقد هلكوا لان رجليهم ناعمة فترهلوا (ياسادة) ومالهم عادة يمشون بين الاحجار فقال الملك قد هلكتم والاسر راحة الينا من هذه الحالة فقال عقبة السلامة من السودان هى الغنيمة الكبرى وهذا آخر الليل وتنحدر من ههنا إلى الرستاق ونأخذ الخيل من بعض القرى ونمضى سالمين ولو وقعنا فى أيديهم ماندرى يقتلونا أو يطلعونا او يبلغونا نفوسنا وبعدان نجينا من أيدى الحجامين ماهمنا شيء (قال الراوى) فهم فى الكلام واذا بالاميره قد ظهرت فى لحف الجبل ولهم همهمة وهم على عجل فقال عقبة أحسنت يامسيح لاعدمنا هذه الهمة الشريفة أتيت لنا بالسودان ألوان القطران ابن الملعون شو مدرس القرنان حتى يقول لى كفرت بربوبية المسيح (ياسادة) ثم ان عقبة نظر فى أوائلهم الاميرة ذات الهمة فقال أنا قلت ماماتت ثم جعل ينتف ذقنه وأما الملك منويل ومن معه فانهم ماتوا فى جلودهم من الخوف فعندها أدركتهم السودان والاميرة ذات الهمة ولم يكن فيهم من يقدر يمشى على رجليه فأخذت الاميرة الجميع وكتفتهم كتاف وجميع ثم ساقتهم قدامها وفرحت غاية الفرح وقالت لعقبة ياقاضى كيف ترى صنع الله باوليائه وكيف يلبسهم أردية النصر ويتوجهم بعمائم السعادة فقال عقبة لا أفلح من كنتى تعاديه

هذا وان الاميره أرسلت بعض أصحابها حتى يعلمون الامير بهذه الغنيمة العظيمة ويعلم بأسر عقبة والبترك ونورى ومنويل والملوك وقتل الفارقيط (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان الامير عبدالوهاب قد طلب الاميره فلم يجد لها خبر وسأل عنها فقيل له انها أخذت معها جماعة وسارت متبعة آثار الكفار فهو كذلك واذا بالبشير قد وصل وحضر بين يديه وسلم عليه وأخبره بجلية الحال وما فتح به الكبير المتعال فحمدالله وأثنى عليه وسجد لله شكرا على ذلك وقال ليس أحد فى الدنيا له همة كهمتها ولا عزيمة كعزيمتها فلله درها ثم تمثل يشكرها بهذه الابيات

يمضى الدهر وما لنا يشبهها ... فى هذه الدنيا ولا بمثالها
ولقد جاوزت المذابح كلها ... بعلو همتها وحسن فعالها
هى حامية شرع الشريف محمد ... بضرابها وطعانها وقتالها
وهى التى يروى جميع حديثها ... وهى التى فى الحرب شاب قذالها
أيضا وفى يوم القيمة ترتجى ... جنات عدن حين طاب ظلالها

(قال الراوى) ياساده يا كرام ولما فرغ الامير من أبياته وصلت الاميره وسلمت على ولدها وهنته بالظفر وهلاك من جحد وكفر وقالت يا بنى ما صنع الله بأبى محمد البطال فقال يا أماه مالى به علم من المصاف الاول ونحن قد اشتغلنا لأجلك عن طلبه فقامت الاميره وهى تبكى وتقول والله لئن تم عليه أمر لا أخلف الزمان بمثله أبدا (قال الراوى) ياساده يا كرام فبينما هى تفتش وجوه القتلاء وهى مخضبة بالدما وقد أقبلت إلى مقتلة عظيمة فوجدت البطال ملقا على وجهه وفيه عشرون جرحا فأقلبته واذا به قد فتح عينيه فصارت الاميره تصيح فى وجهه يا أبو محمد ذهب الشر وزال الضر شد قلبك فانا الاميره ذات الهمة وقد أخذت لك نورى (قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع أبو محمد بذكر نورى جلس وقال سبحان من نجانى وأحيانى والآن فما صنع الله بنورى والا أنا هنا فى موضعى مقهور فقالت الاميره أما نورى فانها فى خيمتها مثل الشمس الطالعة فقال البطال قومى بنا إلى عندها فقالت يا أبو محمد طب نفسا وقر عينا فقد قتلت الفارقيط ثم أمرت باحضار رأسه فأقبل البطال على الرأس يخاطبها وقد عرفها وهو يقول ويلك ماقلت لك اترك نورى من يدك فالآن قد لحقت روحك بالنار وحظيت أنا بقمر الاقمار ثم رجعت الاميره والبطال إلى الخيام وقالت له فى ملطية يكون زواجك بها ان شاء الله تعالى ثم قالت الاميره ماترى يا أبو محمد فى هؤلاء الملوك قال نضرب رقابهم وأنتم إلى القسطنطونيه ونصلب عقبة فهذا وقته (قال الراوى) ياساده يا كرام وكانت الملوك يسمعون ذلك فقال عقبة بحق دينك اضرب رقبتى حتى أستريح من هذه الحياة النحسة فلا أفلح من أنت خلفه فأحضرت الاميرة ولدها عبد الوهاب واعلمته برأى البطال فى صلب عقبة فقال ملك الروم وحق المسيح ما هذا إلا رأى قبيح ثم أقبل

على أبى محمد وقال له لا تفعل واجرينا على عوائدك الجميله ولك حق الرسالة عشرين ألف دينار فقال البطال الصواب أن نأخذ منهم المال وما قدرنا ولكن بشرط أن يخلو بيننا وبين عقبة ومرادنا أن نصلبه على باب الذهب وأعقد معكم الهدنة أربع سنين والأمير عبد الوهاب ما يخالفنى فيما أمره به وهو يعلم إنى ما أشير عليه إلا بما فيه المصلحة فقال الملك منويل لا تفعل يا أبو محمد وإن لم يقع الصلح على الشيخ النجيح وإلا هانحن بين أيديكم فكروا الى هذا الاتفاق وأنتم إذا قضيتم لنا حاجة فما تضيع عندنا فقال الامير عبد الوهاب قد أجبت إلى ماقالوا (قال) فقطع عليهم البطال ثلاثة عشر حمل مال يثلم أوزانهم الاالله وقال لهم اعرفوا قدر ما عملته معكم فاتكم قلتم لنا لما كنا عندكم أسرى نحن نشترى أنفسنا منكم بالاموال وأنتم لما تقعوا عندنا ما نأخذ منكم إلا الأرواح فنحن ما علينا من كلامكم لاننا دائما نمسككم ونأخذ أموالكم فقال الملك ما نحن الا شاكرين ناشرين فقال الامير بشرط ان يكون عقبه عندنا إلى حين يحضر المال هذا وعقبة قد لحقه القولنج وهو يكفر بالمسيح ويخالف بطرس وجرجيس فعند ذلك أطلق الامير عبد الوهاب البترك والدمشتق حتى يمضوا ويأتوا بالمال فساروا مجدين إلى القسطنطينية فهذا جرى (وأما عقبة) فانه قال للبطال ياشيطان وحق المسيح مابى الا كيف تخرج روحى وأنت فى قيد الحياة فقال البطال والله ياقاضى عقبة لو قبل عبد الوهاب من مشورتى لما كان رحل من ههنا الا إلى باب الذهب ويصلبك هناك ولكنه طامع فى المال هذا وان الاميرة ذات الهمة قالت الامير عبد الوهاب ما بقى الا الرحيل فحملوا أبو محمد فى محفة لانه مؤلم موجوع من الجراح وسارت الكتائب ومعهم الغنائم ما سد الافق ومعهم أيضا الملك منويل وميخائيل وسائر ملوك النصرانية ما خلا البترك والمانسطر فانهما سارا إلى القسطنطينية لجمع المال وساروا يقطعون القفار والروابى والاوعار حتى وصلوا إلى ملطيه وهم آمنين مطمئنين وقد فتح الله عليهم بالنصر والظفر فخرج أهل البلد إليهم بالخوف والزعفران كما جرت عادتهم وقد نشرت لهم الرايات ونعرت البوقات (قال الراوى) وقسم الامير عبد الوهاب الغنائم ما خرج الخمس للخلفية واستغنوا الناس وبعد ذلك نادى الامير عبد الوهاب يا معاشر العرب اعلموا ان الامير أبو محمد قد جرى عليه ما جرى وماقد علمتم وهو كما ترون وهو يريد يعمل له عرسا فليعطه كل واحد منكم مما غنمتم (قال الراوى) فحملت إليه السودان وبنى كلاب الاموال حتى صار عنده لا يحصى فقال أبو محمد دعونى من هذا كله فانى أريد الانحاز فقالوا أنت فى هذه ما الحالة اصبر حتى تبرأ وخذها فقال ما أنا الا فى عافية بخير فسلموها إلى فقالوا نفعل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان الاميرة ذات الهمة جعلت تداوى أبو محمد شهرا كاملا

حتى برئت جراحاته وكان الملعون عقبة قد اجتمع بالملكة نورى لما كان فى بلد الفارقيط وقال لها أنا أعلم إن البطال ما يتخلى عنك ولا بد له منكى ثم ناولها خاتما كان معه فى فصه سم قاتل وقال لها إذا خلا بك أبو محمد فى مكان واحد اجلى قلبه بحديثك ثم اطرحى له من هذا السم فى شراب أو فى طعام فاذا مات دبرى فى خلاصك وأنا أعلم أنه ساعة ينزل فى جوفه ينزل لحمه عن عظمه فأخذت الخاتم منه وتم معها فلما جرى وحصلت نورى الأمير أبو محمد وبرىء مما به ودخل إلى الحمام فعند ذلك أقبل على الأميرة ذات الهمة وقال لها يا أميرة ما هذا الانتظار وما بقيت أجد اصطبار فقالت الأميرة الآن يا أبو محمد ما أنا إلا مهتمة فى قضاء حاجتك إلى أن تبلغ مرادك وأمنيتك ولكن أحضر الشهود وتوكل على الملك المعبود (قال الراوى) فعندها أحضر القاضى والشهود وقد أيقن البطال ببلوغ المقصود وكتبوا كتاب نورى على أبى محمد البطال وهو لا يصدق بذلك وقد زال البعد والمطاولة هذا والبطال قلبه إلى وصالها قد مال وأمسى الأمير فى أبرك مساء وأصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد زاد به الانشراح (قال الراوى) وقد زينت الأميرة ذات الهمة دار الامارة وأوقدت الشموع والقناديل وجلس أبو محمد على منصة عالية وقد لبس البدلة التى كانت على الملك الفارقيط ليلة عرسه وبعد ساعة خرجت نورى وهى تميس بالقد الرجيح وقد سلبت عقول الرجال وهى تتمايل تارة وتنعطف تارة وتتبختر طورا وتضحك عجبا وتبكى حزنا ورونق الجمال قد غمرها فلم يبق قلب إلا أسرته ولا جسم إلا علته (يا سادة) وأما الأمير عبد الوهاب فانه نظر إلى ذلك فلم يقدر على المقام من الغرام ومضى إلى منزله مستهام (قال الراوى) وخرجت الملكة نورى وهى فى خلعة العلا بقباء بندقى بدلالات زركش على حرير لازوردى وطرحه ذهب وتربوش على رأسها جوهر وهى كأنها كوكب ونادوا يا أبو محمد تسلم فلما سمع ذلك فرح الفرح الشديد واختليت الملكة نورى على الأمير أبو محمد البطال فقال الأميرة لا تغفلى عنى فإننى أتيقن فى نفسى إننى ما أنا من رجال نورى وفى قلبها منى بغض عظيم وأنتى تعلمى أن ما فى أبطال المسلمين من يقاومها فى الحرب غيرك وأنا والله ما أنا من رجالها وعقبة لعنه الله ألقى فى نفسها منى أمرا عظيما فقالت الأميرة والله يا أبو محمد إن لم تعمل حيلة تغدر بها عليها وإلا فما تصل إليها فقال لها سوف ترى العجب ثم اختليت نورى مع أبى محمد وهى قد أضمرت له شرا فى نفسها وهى عازمة على ذلك السم الذى كان أعطاها عقبة وإن لم ينجح قتلته بيدها وقد تقدم فى الأول قوتها وشدتها (يا سادة) وإن الأمير أبو محمد دخل معها وقد أرخيت الستور وانصرفت الناس وقد بقى كل واحد فى قلبه حسرة وأن أبو محمد جعل

يتخضع الملكة نورى ويقول لها أيتها الملكة العظيمة والسيدة الكريمة ارحمى عبدك الذى قد أسره الهوى وملكه الجوى وهو كأنه ليس فى الدنيا واعلمى إنى رفيع القدر فى الإسلام وإن المسلمين والرشيد ومن سواه كلهم إذا أرادوا شيأ وأريد أنا شيأ غيره ما يكون إلا ما أريد أنا فلا تنظرينى بعين النقص ولك على من الأموال ما حملت إليكى وإن أردتى أن تكونى على دينك فما أكرهك على ما لا تريدين وارحمى البطال المسكين الذى قد أجهده هواكى وأنتى الخبيرة بذلك وقد بان لك كيف أراعى النجوم ولا عهد لى بعلم النجوم وجنح الظلام وكيف ينام فتى لا يقر إذا نام عنه جميع الانام يشار إليه أسير الهوى فصار قتيل الهوى والغرام لفرط النحول وحزن العليل وحرب يذيب لطول السقام ولم يبق منه سوى اسمه يقال له عاشق والسلام (قال الراوى) فرفعت طرفها إليه وقالت برخيم كلامها حتى تحتوى على قلبه دعنى يا أبو محمد ومن كلفك تجىء (قال الراوى) فلما سمعت نورى من أبى محمد ذلك علمت أن ما فوق هواها هوى وأنه أسير فى قبضة الجوى فقالت له عند ذلك دعنى من الكلام أريد شراب سكنجبين فانى قد أخذتنى الصفرة من السهر وكثرة الجوى فقال سمعا وطاعة أيتها الملكة وقاك الله من كل نوبة مهلكة ثم وثب إلى باب السر وطلب الشراب فأتته الجاريه به وقالت له إيش عملت يا أبو محمد فقال لها إيش عملت ها أنا أتعالل بالامانى ثم دخل إليها وقال لها خذى جعله الله موضع العافيه وفى تلك الساعة رد فيه أبو محمد مثقال بنج أقريطشى عتيق قد أضيف إليه مرقد هندى لو وقع على الماء الجارى مثل دجلة بغداد لأسكته عن الجريان وقال لها خذى فأخذته من يده وهى مستبشره وكشفت عن رأسها فبانت الذوائب مثل ظلام الغسق ووجه مثل الصبح إذا أشرق وجبينها مثل القمر مكلل بالدر والجوهر ثم وثبت وخلعت سراويلها والشراب فى كفها ثم انعطفت فبان دور خصرها وثقل ردفها مثل موج البحر السابح إذا هبت عليه رياح الجنوب (يا سادة) وكان قصدها بذلك أنها إذا قالت له خذ اشرب لا يمتنع ويكون قد أخذه الطمع لأن ما بعد هذا كلام إلا الوصال ثم أنها قالت له اعلم يا أبو محمد إننى ما أمكنك من روحى إلا كما أريد فأنت صاحب حيل ومكر وفعلك بين الانام مشهور فان أردت أن تدنو منى فاشرب هذا الشراب وطب قلبى لأنى وحق المسيح أفزع أن يكون قد وضعت لى فيه شىء تطرح على النوم فخذ أنت واشرب ثم أشرب أنا الباقى وأسلم روحى إليك بعد ذلك فقد اجتهدت أن لا يكون هذا وما كان إلا ما أردت ولو كان المسيح إله لما كان سلمنى إليك وما هذا إلا فعل عاجز والعاجز لا يكون إلها وبعد ذلك فلا بد لى أن أقف على دين الإسلام فان لاح لى فيه الحق تبعته ثم أنها أشارت

بالشراب اليه وقد وضعت فيه من ذلك السم الذى أعطاها عقبة يقتل أهل قرية وقالت له بحياتى عليك اشرب وطيب قلبى هذا والامير أبو محمد لما نظر إلى ذلك ورأى يدها وقد مدت كادت روحه تخرج ونسى الحيل والمنكر ونفذ فيه سهم القضا والقدر وسحرته بحسن حديثها فسكر وكان كما قال القائل حيث يقول

وإنى لألتى من حلاوة لفظها * من السكر مالم يلقه شارب الخمر

(قال الراوى) فمد يده اليها وقال هاتى ولو كان فيه سم قاتل لكان من يدك اطيب من الشهد (ياساده) وإذا كان الحب شديد يفعل المحبوب ما يريد ثم تناوله منها وقربه إلى فمه وقد أيقنت نورى أنه نزل لحمه عن عظمه لأنها واثقة بقول القاضى عقبة ولو أرادت قتله بيدها لفعلت وإنما فزعت من الاميرة ذات الهمة والامير عبد الوهاب فعزمت على هذا الامر لأنهم إذا قالوا ما الذى جرى على أبى محمد تقول ما أدرى مصائب الدنيا كثير والعوارض غير مأمونه فلما أخذ أبو محمد القدح وضعه على فمه وهم أن يشرب وإذا بصيحة عظيمة وقائل يقول أصبر قليلا فالتفت الامير أبو محمد وإذا بالستر قد رفع ودخلت الاميرة ذات الهمة كأنها الاسد الغضبان وقالت أنت يا أبو محمد سلب عقلك وذهنك وبصيرتك والله سلمت ان تملك روحك هات القدح فأخذت القدح من يده وقد انقلبت عيناها فى أم رأسها وجعلت تنظر إلى نورى شذرا وترمقها حذرا فعلمت نورى ان الأميرة ذات الهمة قد علمت بأمرها فاصفر وجهها وتغير لونها وأطرقت إلى الأرض فقالت الأميرة قد علمت بذلك ثم أن الأميرة ادعت ببعض الرجال وقالت له إيش وصل معنا من الأسارى وكم بقى منهم الآن فقال أيتها الأميره بقى منهم القليل فقالت على ببعضهم فأتوا ببطريق جبار من الجبابرة فقالت ويلك قل لا اله إلا الله محمد رسول الله وإلا قتلتك فقال لها اقتلى فما أنا ممن يقول هذه الكلمة أبدا الآ بدين ماقام القائم وقعد فلما سمعت ذلك منه قالت له فاشرب هذا الشراب ففيه هلاكك فأخذه من كفها ثم شربه فما هو الا أن حصل فى فمه حتى نزل لحمه من عظمه فلما نظر الأمير أبو محمد إلى ذلك قال لنورى ويلك لاستر الله عليكى هذا أردتى ان تفعلى بى هذا فقالت بعد أن سكتت لحظة أحسبت يا أبو محمد كأنك أردت بهذا اقتلى وإلا أنا من أين لى هذا وأنا كل يوم مهججة مأسورة من بلد إلى بلد وإنما هذا فعلك من حنقك على وان لم يكن من فعلك فهو فعل الجوار الذين أعطوك الشراب وضعوا هذا فيه طلبا لقتلى أو بعض الأمراء مثل عبد الوهاب أو من يقوم مقامه وقد حسدك على ووضع هذا السم فى الشراب حتى يخلص من الغيرة ويقتلنى به ولا أحصل لك ولا لغيرك وربما تكون امرأتك قد فعلت ذلك وهذا كله لايخلو مما قد ذكرت لك ولولا إنى كان لى فى الاجل تأخير لما قلت لك اشرب إقبلى وأنا وحق المسيح

ما فزعت إلا من البنج وما كان هذا السم فى حسابى (قال الراوى) فلما سمع الأمير أبو محمد ذلك من كلامها خامره الشك فى ذلك وقال يجوز ان يكون من بعض هذه الجوار التى قد ذكرت ثم قال أيتها الملكة قد مضى ما مضى وأنا أصدقك فى ذلك وان كان الامر كما خطر ببالك فانا كما قيل

أريد حياته ويريد قتلى ٭ فاترك ما يريد لما أريد

(ياساده) فقالت الاميرة دلهمه والله يا أبو محمد وحق البيت العتيق والبنا وزمزم ومنا والعرش وما على الكرسى وما حوى ان هذا السم ماوضعه لك غيرها وهى التى عملت على قتلك وما هذا الا من دواهى عقبة لعنه الله والله إن خلوت بها قتلتك فى مرة أخرى فهى تخنقك بلا محاله وهى ماتموت من أجلك وإنما تقتلك ويطمع فيها ولدى عبد الوهاب ويأخذها إما هو وإما الرشيد وقد أطلعتك على وجه القضية فقال أبو محمد وإذا لم أدخل بها فكيف يكون العمل أيتها الاميرة ومالى عنها صبر ساعة واحدة ولوانى أموت فى هذه الليلة لابد لى عنها ثم أقبل على الملكة نورى بوجهه وجعل يبكى ونورى لاتزداد عليه إلا قساوة وبغضه فلما نظرت الاميرة إلى ذلك وثبت إلى نورى ورفستها فى صدرها ألقتها على ظهرها وقالت لها ياملحده وبلغ من قدرك ان تشغلى قلوب المجاهدين عن خدمة رب العالمين ثم أقبلت على الامير أبو محمد وقالت له ويلك إذا بغض الله العبد محنه بمخلوق مثله هات ان كان عندك شيء أشد به يديها فقال لها هذا والله كلام جيد ثم نادى بالجوار فأتوره بالزنابير الابريسم فناولهم للاميرة فنظرت نورى إلى الجد من الاميرة فدافعت هناك عن نفسها ولم تزل الاميرة معها فى المعاركة الشديدة حتى سال العرق منها فقالت الاميرة ذات الهمة والله مارأيت أشد منها وإنى قد لاقيت القناصة فى بلد الحجاز ولم تكن مثلها (قال الراوى) ومضى نصف الليل وقد تعبت نورى ولم يبق فيها ان تمنع عن نفسها واسترخت مفاصلها فأدارتها كتافا وثيقا فصاح بها أبو محمد ياستاه وشدى رجليها أيضا لئلا ترفسنى بهما وأوثقى ذلك وخلينى معها فقالت الاميرة وحياتك ما بقى لها قوة وقد تعبت مما عاركتها لاتقدر تتناول بيدها عود البقل فقال أبو محمد شدى انى كما أقول لكى واسكتى فوالله لها البطات ولا لبطات البغال فضحكت الاميره من كلامه وشدتها وخرجت وقد أرخت الستور فلما نظر الامير أبو محمد إلى ذلك وثب قائما وقال لنورى أردتى أن تقتلينى فلهذا لقاك الله هذه الحالة وسوف ترين العجب ثم دنا منها وهى كانها الخشبة الملقاة لا تقدر تمنع عن نفسها ولا تدفع فواقعها وكشف وجهها وفك ختامها وجعل يعضعض خدودها ويقول الله يحفظ ستى ذات الهمة هذا ببركتها (قال الراوى) وأقام باقى ليلته ونهاره أجمع والليلة الثانية ودخلت

إليها الجوار وحلوا يديها ورجليها وقد بقيت خجلانة منكسرة وقد ذهبت نفس البكارة عنها ولحقت النسوان (قال) وجعل أبو محمد يخضع لها ويضاحكها ويحدثها بالليل والنهار حتى جلب قلبها بحسن حديثه ورجعت تلك البغضة محبة ولقيه الأمير عبدالوهاب وهناه وقال له كيف الأمور ياأبو محمد فقال يامولاى عمرى فى الجهاد ما رأيت أطيب من جهادى فى هذه الليلة فضحك الأمير عبدالوهاب ثم خرجوا إلى الميدان على ماجرت به العادة وأبطال بنى كلاب والسودان الأنجاب وجعلوا يتطاعنون يطعن بعضهم بعض هذا وأبو محمد تركهم وعاد إلى البيت فقال له الامير عبد الوهاب لم لا تحضر الطعان ياأبو محمد فقال له يامولاى وإلى الطعان أنا رايح فضحك الأمير عبد الوهاب من كلامه (قال الراوى) فهو معه فى الحديث وإذا بغبار قد أقبل وعجاج قد تقسطل وهو مقبل على عجل فنظر الأمير إليه وإذا به قد إنكشف عن عشرين فارس على نجب قد انطوت من كثرة المسير والسرى وشدة ماقاست من طول المدا وقد وضعوا العمائم على رؤس الرماح وهم ينادون وا اسلاماه وادين محمداه قال فلما سمع الأمير ذلك طار قلبه وقفز بالجواد فتبعته الخيل حتى وصل إلى النجابين فلم يعرف منهم أحد فقال لهم ما وراكم فقالوا النفير النفير أيها الأمير أنت صاحب ملطية الأمير إبراهيم ولد المرحوم عبدالوهاب الذى كان حامية الثغور فقال الامير أنا عبد الوهاب وقد ردنى إلى ههنا رب الأرباب الذى جعل لكل شىء أسباب (قال) فلما أن سمعوا من الامير ذلك الكلام نزلوا سريعا على الاقدام يقبلوها وبكوا وقالوا ياأمير ويا ناصر الدين أسرع معنا بالمجاهدين لنصرة خليفة المسلمين فقال عند ذلك سمعا وطاعة (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الخليفة لما أرسل خلف ضيغم وعسكر بنى كلاب الذين أخذهم واجتمع بالخليفة وكان لقدومهم نهار يعد من الاعمار وخرج إلى لقاء ظالم بن الغريب الخارجى ولا زالوا سائرين حتى أشرفوا على عساكر ظالم وتلاقت العساكر بالعساكر وتصادم الجيشان والتقت الفرسان وكل الصارم اليمان وتجندلت الاقران وكان يوما يكل عن وصفه اللسان ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل (ياساده) ودام الامر على ذلك عشرين يوما ليلا ونهارا وقد تكاثرت العرب وانضافت إلى ظالم حتى صارت ألف ألف فارس من العرب والعبيد وكسر عسكر الرشيد (قال) ونظر ظالم إلى ذلك فرمى نفسه خلف الرشيد فى خمسة آلاف صنديد وملك عليهم الطريق إلى العراق ونظر الرشيد إلى ذلك فانهزم مع عسكره إلى مكة وخلف الخيام والاموال والاثقال وطلب مكة من بلاد الله واشتغلت عنه العرب بالنهب ولم يتبعه أحد من الترك

والعجم (قال الراوى) وأخذ ظالم خزانة الرشيد واستغنت العرب واحتوى ظالم على كل ما معهم وسعدت عربه إلى الأبد وهرب من أصحاب الرشيد عالم عظيم (ياساده) وان ظالم بن الغريب لما كان فى قتال الرشيد كان يرجع إلى خلفه كل يوم مرحلة أو نصف مرحلة حتى يطمع الرشيد فى جانبه وكان قصد ظالم بذلك حتى أن يتعب الرشيد برحيله وأن يبعده من العراق فلا يكون له نجدة ولا ناصر حتى وصل به إلى ذات عرق وعند ذلك كانت الكسرة وقد بقى بين الرشيد وبين مكة مدة أيام فقطعها وزادت به الأمور ودخل الرشيد إلى مكة فى نصف عسكره وبعضهم دخل البر الأقفر وتوسطوا طالبين العراق وهم الترك والديلم حتى وصلوا إلى الكوفة ودخلوا إلى خراسان يخبروا بهلاك الرشيد فعند ذلك طمع كل ملك فى أخذ مملكته التى هو فيها ومنع الخراج وكل من له عد وطال عليه واستطال وانبسطت الأيدى بالظلم وكان الأمراء والعلماء والفقهاء فى الاحكام سواء ووقع فى بغداد الدعاء هذا والرشيد قد حصل فى مكة ومعه الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم والامير ضيغم وجماعة من الديلم وغلمان الدار وعسكر العراق وكان فى عالم عظيم إلا أنه لا يلحق العساكر التى كانت مع ظالم بن الغريب الخارجى وان شيوخ العرب قالوا لظالم أيها أيها الامير سر بنا إلى مكة حتى نأخذ الخليفه وكل من معه فهذا رزقنا وانك ان ملكته ملكت العراق فقال هذا هو الصواب ثم رحل يطلب مكه فاتصلت الاخبار إلى عند الرشيد فعظم عليه وكبر لديه وأيقن بالعطب وأشرف على الهرب وجرى دمعه وانسكب وتذكر أيام عبدالوهاب والاميره ذات الهمة فارسة العربان وأرسل النجابه بالكتب إلى سائر الآفاق من شام وعراق يقول فى مضمونها (بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فكل من وقف على هذه المكاتبه من المسلمين ممن يرى نصرة الدين ويعلم انه كتب عليه الجهاد فى طاعة رب العالمين مع الطغاة والجوارح والمارقين وقد أمر الله تعالى باعزاز الدين فلا يقعد أحد عن نصرة الامام سيما وقد التجا إلى البيت الحرام والركن المبتهج والصفا والمروة وستور الكعبة وقد امر الله عز وجل بطاعة ولى أمر فاتقوا الله يامعاشر أهل الايمان وانفروا إلى أهل البغى والعدوان إذ نافقوا على الامام واستحلوا دماء المسلمين وأموال الموحدين وهتك حرم آل بيت رسول ﷺ ولا تكونوا ممن قال الله تعالى فى حقهم ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا الآية فالعجل العجل فالامر عظيم والخطب جسيم ولقد سمعت عن هذا الخارجى انه عازم على هدم البيت الحرام وزمزم والمقام ويأمر ببناء

بيت فى دياره ويأمر بحمل الحجارة التى للكعبة إلى أرضه وأمصاره ويأمر العرب بالحج إليه ووفد الوفود عليه وهذا من الأشياء العظام الذى تحدث فى الإسلام فانفروا يا عباد الله الأماجد فى أبطالكم الصناديد ثم ضمن الكتاب هذه الأبيات

أيا خيل جودى بالدموع السواجم ... لفقد أمير كان للدين حاميا
لقد أصبح الإسلام يبكى لفقده ... وأضحى عماد الدين مذ غاب واهيا
وأظلم ضوء المجد بعد ضيائه ... وأصبح بيت الفخر من ذاك خاليا
وكم من قلوب بعده قد تفطرت ... حبال الرجا من بعد ليث محاميا
لقد غاب عنا الخير مذ غاب شخصه ... وقد كان فى هيجائها غير وانيا
فيا ليت شعرى كيف كان حديثه ... أمات بأرض الروم أو مات فانيا
لقد بعدت أخباره ورسومه ... وإن قضا الرحمن فى الخلق ماضيا

(قال الراوى) ثم قال فى آخر الكتاب لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أما فى الإسلام بعد عبد الوهاب من يعين على الاجبار حتى يستحق منا المدح وطيب الخطاب ويربح الثواب من الملك الوهاب وإن عسى فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد وسأل فى آخر الكتاب عن القاضى عقبة لعنه الله وهو يقول لقد حرمنا الله مشورته ثم سلم الكتاب إلى العربان وهم مائة نجاب واستعمل لهم النجب اليمانية التى مثل القراطيس لونا ومثل الغزلان كونا وقال اعبروا سائر الاقطار وأوصلوا الكتب إلى سائر الامصار والفيافى والقفار فجعلوا يسيروا الليل والنهار وتفرقوا طالبين الامصار فاضطربت الاقطار وأما بغداد فنصب فيها الكراسى الوعاظ وأخذوا فى الدعا على ظالم بن الغريب الخارجى وتجردت العساكر واجتمعوا من سائر الآفاق من خراسان والعراق وما منهم إلا من أتى بنية صادقة هذا لم يشاهد ظالم بن الغريب ولا نظر المصاف الأول الذى تقدم ذكره وأما من رآه وشاهده لم يقرب أرض العراق (قال الراوى) وكان هذا ظالم بن الغريب جبار من الجبابرة وقيل أنه من الاكاسرة عظيم الخلقة ضخم الوسعة كأنه طود أو بعير حل من قيده وكان يقاتل بعامود من الحديد الصينى وزنه مائة رطل لو وضعه على جمل قسمه أو على رأس إنسان حطمه وكان هو بنفسه كأنه نخلة باسقة فى الطول وهو رجل مهول عريض المناكب وقد ملك من بلاد رافع إلى بلاد كوكبان إلى مذحج إلى أطراف عدن مما يلى جبل خولان إلى بلاد كوكبان إلى أواخر حضر موت إلى صعده إلى اليمن إلى نجد إلى أرض سبأ وبلقيس وسارت خيله إلى عسقلان إلى أرض مصر إلى برقان إلى القيروان وأذل الملوك الاكاسرة والفرسان وبلغ محل الجبابرة الشجعان وحاز

ما لم يحوزه غيره وخدمه الخصيب صاحب مصر وصانعه بالأموال والجوار حتى عاد إلى مكة وطلب العراق وفزعت منه سائر العرب وجاءت إليه خوفا وطمعا فالخوف من حسامه والطمع فى الغنائم ومرامه وكثرت أمواله وصار فى عساكر ما قادها قط ملك من ملوك الأرض إلا إن كان الملك الاسكندر وسمعت به العرب من بلاد حمير وسنجار والسكاسكة والسكوت وبنى سلمه وعزنه وبلاد تما من أرض حوران وبلاد الشام (قال الراوى) وأنه أحدق بمكة وضيق على أهلها فعندها خرج أهل مكة وقالوا له ويحك اتق الله تعالى فانه جبار يقصم الجبابرة وهو ملك الدنيا والآخرة ويعلم ما يختلج فى الليالى الماطرة واعلم أنك تقف بين يدى الله تعالى يوم ينفخ فى الصورة النفخة الحاشرة وتنظر الجبال بأمر الله سائره وصحائف الأعمال على رؤسهم طائرة وأبصار العالم باهتة ناظرة وأقدام المتقين على متن الصراط عابرة والجحيم سعرة على كل نفس بجحدة كافرة والحق ينادى يا عبادى ما قدمتموه فى دار ستجدوه فى دار الآخرة (قال) فلما سمع ظالم ذلك من كلامهم قال لهم دعوا عنكم هذا الكلام الذى لا أعرفه يا ويلكم أنا رجل بدوى تربية البر والقفر ولا أعرف إيمان ولا كفر ولا الخير من الشر ومعى هذه الكتائب وما قصدهم إلا الأموال فان كنتم تعطونا الاموال من ذخائركم حتى تشبع العرب من الفضة والذهب وإلا وحق ذمة العرب من نزار معد بن عدنان حملت عليكم بهذه العساكر يا أولاد العواهر أنتم تعطونا الخليفة وتحمون عسكركم ودمائكم وأنا فما خرجت إلا هذه السنة فان لم تعطونى وإلا فما يقع لكل واحد من عسكرى من حجارة مكة حجر فلما سمعوا أهل مكة ذلك من كلامه رجعوا إلى الامام وأعلموه بما قال ظالم هنالك أكثر الخليفة من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وزاد غمه وعظم همه وقال للأمير عمرو بن عبيد الله ما ترى من الرأى فلم ينطق بحرف واحد لما دخل فى قلبه من الفزع من ظالم بن الغريب الخارجى (قال الراوى) فعند ذلك قال الرشيد مالى إلا أحمل المال إلا هذا الشيطان وأتخلص منه فقالت أرباب الدولة هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم قالوا لو كان الأمير عبد الوهاب حاضر لكان أرغم أنفه ولوح قحفه لكن لله الامر من قبل ومن بعد عند ذلك ركب الأمير ضيغم لابس السواد على أبيه وقبل الأرض وقال يا مولانا حمل الاموال لا يكون ونحن فى قيد الحياة لأن حماة الاعراب غياب وما ههنا إلا القليل من الاعراب وبعض السودان وهذا الشيطان سودانه جبابرة وما فى الأمر إلا نستعين عليهم برب الدنيا والآخرة وأنا أفديكم بروحى وقد عولت أن أخرج إليه وأقتله واصبر على

شقاه فان أنا ظفرت به اكتفينا شره وإن ظفر بى أكون بذلت المجهود فى طاعة الرب المعبود فقال الرشيد وقد دمعت عيناه من الفرح هذه من فضائل أبيك وخصايله وجدتك رحمة الله عليهم أجمعين وأرسل ضيغم إلى ظالم يقول له اعلم إن الرجل الذى طلبته له غلام ويريد أن يبارزك فى الحرب فان أنت ظفرت به نسلمك الرشيد لاقتال ولا نزال وبعده تأخذ العراق وسائر الآفاق فلما وصلت إلى ظالم الرسالة قامت عيناه فى أم رأسه وانزعج سائر حواسه وقال من على وجه الأرض من يقاومنى فى الميدان ثم أنه أرسل الجواب إليه يقول غدا يكون البراز وقد أبحت له أن يكون معه ألف فارس شجعان أقران والأمير ضيغم يقول والله لاخرج إليه غيرى وسوف ترون منى العجب العجاب وأنا ابن عبد الوهاب ولما أن برق الفجر من الشرق وبان الباطل من الحق خرجت الناس إلى ظاهر مكة وهم يضجون لضيغم بالدعاء من حول البيت الحرام (قال الراوى) ولما أن تصففت الرجال خرج الأمير ضيغم إلى حومة الميدان على جواد معتدل القد مليح مشتد صبور على الطرد والكد جيد العزمة والجد هذا وقد ركبت سائر الطوائف من عرب ظالم وهى تموج كما يموج البحر الزاخر الذى لا يعرف له أول من آخر وظالم قدام الأبطال راكب على هجين أزرق أشدق إذا ساق البرق سبق كأنه الرعد إذا خفق معود بالقتال إذا ضربه طار وإن طلبه خصمه فما يلحق وأشار بيده إلى ضيغم وقال له دونك والطعن بالرماح الطوال وكان الرشيد خرج يدعو لضيغم وعلى أكتافه بردة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول كأنى أنظر عبد الوهاب وأعطافه لما يحمل على خصمه وضيغم ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا ظالما هذى فعال الأرازل	وأنت لعمرى ظالما ثم جاهل
تحاصر بيت الله ظلمـــا وعنوة	وخبثا وأسرا فلنا رب عادل
أنا ابن الذى قد شاع فى الناس ذكره	مبيد الأعادى بالسيوف الفواصل
أباد سيوف الهند بالضرب للعدا	وأفنى رماح الخط يوم الزلازل
وأنت الذى لا تعرف الناس أصله	لأنك نذل فى الوغا غير فاضـــل
وحق النبى المصطفى وأهل بيته	وخير الورى ما بين ماش وناعل
ستنظر منى اليوم ليثا غضنفرا	صبورا على ضرب السيوف المقاتل

(قال الراوى) ولما أن سمع ظالم ذلك المقال انقلبت عيناه فى أم رأسه وقرط أضراسه وطلع الزبد على أشداقه وانطبق عليه وهو يقول

ستعلم يا ابن اللئام بأنني ... كمي وفي يوم الوغا غير محجم
وإني لبذال المكارم والندا ... ويقصر عني مذحج ثم غيلم
وأضرب في وسط العجاج بصارم ... شروب دما الأبطال لم يتثلم
وابذل زادي كل يوم وليلة ... ولو كان ضيفي يشرب الماء من دمي
وألقا بسيفي ألف ألف مدرع ... إذا كان عزمي ثابت الأصل فاعلم
وقد طال ماصدت الأسود بساعد ... وقد طال ما خضت الوغا بتبسم

(قال الراوي) ولما أن سمع ضيغم شعره ونظامه ونظر إلى شمائله علم أنه فارس كرار وبطل مغوار إلا أن ضيغم ثبت جنانه ووطأ على الموت أركانه وعلم أنه ما هو من أقرانه وحمل كل واحد منهما على صاحبه فلم يطل بينهما الخطب دون أن صاح ظالم في الجمل الذي تحته ورفع يده بذلك العامود وهوكأنه جبل عظيم فسبقه ضيغم بضربه بالسيف فأخذ الضربة في العامود فانكسر السيف قطعتين فصاح سلم روحك يا ابن الأنذال والاوذمة العرب طحنتك أنت والجواد الذي تحتك فسلم نفسه إليه وعلم أنه ما هو مثله ولاقياسه فشده كتاف وقوى منه الأطراف وسلمه إلى أحد سودانه وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج إليه الأمير عمر وفزعا من الرشيد أن يوبخه فتقاتل معه ساعة فأخذه فأمر الرشيد إلى خمسة وعشرين من السودان ومن العرب مثلهم فما كانت إلاقدر ساعة حتى أهلك منهم ستة عشر رجلا وأسر سبعة وهرب الباقي من قدامه في وسيع الأرض وطلب الرشيد وقال إلى أين تروح ياأباراشد ولما نظر إلى ذلك شاور أصحابه أن يسلم نفسه ويحقن دماء العالم فقالوا له ياأمير المؤمنين إن سلمت نفسك إلى الضيق والحرج فان الله يأتيك من عنده بالفرج ورجع ودخل إلى مكة مقهور مكسور وظالم من حول مكة وضيق على أهلها المسالك فهذا ماكان منه (وأما ما كان) من النجابه الذين قد وصلوا إلى ملطيه والتقوا بسيد الأعراب الأمير عبدالوهاب لما أن أخذوا الكتب من النجابه وسمعوا ما فيها من الألفاظ تجهز الأمير من يومه في الأعراب والسودان الانجاب والاميرة ذات الهمة والملك الكندفرون والملك البطليموس والالف فارس الذين آمنوا بالله وقال للبطال سير معنا فما نستغني عن رأيك ومشورتك ولابد منك في هذه النوبة فقال البطال دعني عند نوري مدة زمان فأنا أخاف أن تهرب وأنا غائب فما أراها فعلم الأمير أن قوله حقا ورحل الامير وجعل في مقدمة العساكر الملك الكندفرون والبطليموس والالف فارس وهم في زيهم ولبسهم الطوارق المدهونة وراياتهم الافرنجية وسرائرهم الحقيقية يوحدون رب البرية (قال الراوي) وكان الكندفرون قد تزهد في الدين حتى لحق

بالصالحين وكان ما ينام من الليل إلا القليل وعنده من يقرأ القرآن العظيم وكذلك أصحابه ولم يزل الأمير سائر إلى أن وصل إلى آمد فخرج إليه ميمون الجاس وسلم عليه وقبل يديه وسأله عن الامير أبو محمد فقال ويلك يا حجام أخذ نورى بدر التمام وتخلف عن المسير من شغفه بها ورحل من على آمد وأخبار ذلك الخارجى متواترة وطيرت الطيور إلى بغداد وأن الامير قد وصل سالم والاميرة ومعه خمسين ألف إلى نصرة الرشيد ولما وصلت الاخبار إلى العراق وقعت البشارات وأخرجت الست زبيدة الصدقات شكر الله تعالى على تعجيل الفرح والمسرات ووصل الاميرعبدالوهاب إلى بغداد فتلاقوه المحبين وهم فرحانين بوصوله سالم ودخل إلى البلد بعد مازينوا له الاسواق ونثروا عليه من الحلى ومن الدراهم والدنانير فدخل الامير إلى البلد وقد صف بنى كلاب ومن بعدهم السودان الانجاب وقدم على بنى كلاب الاميرقشعم وأضاف إليه مالك بن طوق والاميرراشد ابن ضمرة وكان الامير مالك بن بشر مع الاميرضيغم فى الحجاز وكذلك الاميرهياج الكردى وبناته قدساروا مع الامير ضيغم لما كتب إليهم الرشيد بطلب النجدة فلم يقدر أحد أن يقعد عن خليفة الزمان هذا والناس يقبلون على الامير عبد الوهاب ويرمون عليه أرواحهم ذات اليمين وذات الشمال وأخذه الدعاء من النساء والرجال وقد عبرت الاميرة ذات الهمة ومعها قرائد فى خمسة آلاف فارس من السودان مثل الزبيب الاسود والمع من بعدها الملك البطليموس والملك الكندفرون فى ألف فارس وقد أحدقوا بهم وهم على خيول أخف من الطيور وهم أيضا كبار الخلقة طوال الخشب بالدرق المكوكبة والزرد المذهبة فحارت أهل بغداد وقالوا خربت ديار الكفار وحق الله إن هذا أمر عجيب كيف دخل الإسلام فى قلوب هؤلاء وما كانهم من بنى آدم ولكن هذا رجل مسعود دعمال فى سعده (قال الراوى) وان الامير عبدالوهاب أقام فى بغداد عشرة حتى وصلت إليه العساكر وقد أخذ جميع مايحتاج اليه وسار معه كل من يروم الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام (قال الراوى) وإن السيده زبيده أرسلت إلى الامير تعرض عليه الاموال فقال لها كفاك الله مؤنة ذلك لانى قد قسمت الاموال على العساكر لكن أريد منكى ان لاترجعى تتعصبى لعقبة لانك فى ذلك تأثمين وأرسلت تقول وتربة أبى ما عندى أحد أعلا قدرا منك الا أن يكون أمير المؤمنين وأما عقبة فأنا ما أراعيه الا لاجل دينه وكونه شيخا كبيرا وحافظ لكتاب الله العزيز وهو فقه هذه الشريعة وحق الله لقد طالت غيبتة عنا وما شغلنا عنه الا بسبب هذه الامور التى أنت سائر لاجلها ولكن

الذى نجاك من الهلاك يجمع شملنا بالقاضى عقبة (قال الراوى) وأراد الأمير أن يثبت كفر عقبة عندها فأرسل وراء الملك الكندفرون والملك البطليموس فأتوا ومعهما مائة من كبار الافرنج الذين أسلموا معهما وقال لهم حدثوها بما رأيتم من عقبة ومن كفره وسارت الأميرة معهم حتى أحضرتهم إلى دار السيدة زبيدة وهى من خلف الستارة واستنطقتهم الأميرة فشهدوا بأن عقبة نصرانى وعمل على قتل الأمير عبدالوهاب وجماعة من الأصحاب وكان من أمره ما كان وفى الآخر هرب وهو فى بلاد الروم فقالت زبيدة ما أقبل شهادة هؤلاء عليه ثم خلعت عليهم وصرفتهم بجميل وقالت بعد خروجهم هذا كله محال على ذلك الشيخ الكبير يتعصبون عليه وله كذا كذا سنة ما رأيناه وما هو إلا معتقل فى أيديهم وما قصدهم بهذا إلا أنهم يخفرن أمره ولو خلص حتى وصل إلى حميته من كل أحد (قال) وسار الأمير عبدالوهاب طالب مكة ودخل برية الحجاز (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من ظالم بن الغريب الخارجى فانه لما ملك ضيغم وسلمه إلى قومه قال وذمة العرب لقد أعجبنى هذا الفارس وما هو إلا بطل همام صبور على ضرب الحسام وقد رحمه قلبى فلا تقتلوه وخذوه إليكم ويكون معتقل إلى أن أقول لكم ما قد عزمت عليه (قال) فأخذوا الأمير ضيغم وشدوه كتاف وكذلك بقية الأسارى وكان قد أسر الأمير مالك بن بشر الأقطع وهياج الكردى (قال) وزحف ظالم إلى الحرب طالب الحرم واشتد القتال وعظم النزال وزاد عليهم الأمر وملك ظالم مكة وملك كل ما فيها ولم يتعرض لأحد من أهلها لأنه كان قد أعطاهم الزمام وأخذ الرشيد ومن معه وجعلهم فى القيود وقال للخليفة ويلك يا أبا راشد سلم لى بغداد وأنا أعتقك وحق ذمة العرب فقال الرشيد وقد نظر الموت يلوح بين عينيه أيها الأمير أنا أسلمك بغداد فارحل من ههنا حتى أسلم إليك كلما تريد من البلاد فقال أحسنت يا أبا راشد أنت حضرى والنبى ﷺ قرشى مضرى فمن أين لك هذه القرابة التى بينك وبينه حتى تقول إنك خليفته فقال له الرشيد اعلم أيها الأمير انى من ولد العباس عم النبى ﷺ فقال له ظالم أنت ابن عمه قال نعم قال أنت حضرى وأنا مثله عربى أنا أقرب منك إليه فسلم إلى البلاد وإلا ضربت رقبتك فقال له الرشيد ما لك إلى قتلى حاجة ولا فائدة إنى إذا كنت معك وأمرت بتسليم البلاد إليك امتثلوا الناس أمرى ولا يدافعك عندها مدافع ولا يمنعك عنها مانع فعندها عمل فى رجليه قيد ثم نظر إليه وإذا على بدنه بدلة من عمل تنيس فقال له يا أبا راشد هذه الخلعة التى عليك ما تصلح لهذه البرارى اخلع وإلا خلعت رأسك فقال الرشيد السمع والطاعة ثم خلعها فصاح ظالم اعطوه كسوة يستر

بها عورته فأقبل إليه بعض العبيد ومعه جبة من الصوف الخشن لوحك بها ذنب جمل لبرتع إلى اليمن فألبسها للرشيد فقال الرشيد فى نفسه ما رأيت قط أثقل من هذه السنة وأنا أرجو أن تكون العاقبة إلى خير (قال الراوى) وضربوا الظالم بن الغريب سرادق الرشيد الذى كان يجلس فيه وقد لبست العرب ثياب العجم والاتراك وهم قيام دونه يحجبونه وقد أخذ جميع عسكر الرشيد كلهم أسارى وجعل فى كل خيمة الأمير والاثنين والثلاثة طمعا فى المال إلا الرشيد وضيغم وهياج الكردى وسماق ومالك ابن بشر الأقطع وهم فى أسوء حال ولكن بنات هياج الكردى قد دخلوا مكة ولم يتعرض لهم أحد ولا لأهل مكة لأنه قد أعطاهم الزمام وأن الرشيد أقبل على ظالم وقال له اعلم يا هذا ان الدنيا دار خدعة وما دامت لاحد ولو كان فيها مقام المخلوق لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك فلا تفرح بهذه العساكر والدساكر ياهذا واعلم أنك إن كنت تذل بشجاعتك فقد كان بعض غلمانى وهو الأمير عبد الوهاب الذى أذل رقاب العرب والعجم والروم والديلم وبعد ذلك فرق الموت بيننا وبينه وغيبته صروف الحادثات عنا ولو كان فى الحياة لنصرت عنايدك والسعيد من اعتبر بغيره (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع ظالم هذا الكلام من الرشيد وما فيه من التهديد والوعد والوعيد صاح صيحة عظيمة نفر من كان حوله من العرب وكادت روح الرشيد ان تزهق وقال ويلك يا أبا راشد ما كفاك حتى تهددنى بمواعظك تذكر غلامك وما فات من دنياك وتقول لو أن غلامى حاضر لفعل وصنع ومن مرج البحرين وأنا القمرين وأوسع البر وأنبع الماء من الصخر لوحضر قدامى ألف غلام مثل غلامك الذى توصفه لكنت بهم ملى وبقتالهم وفى ويلك ياأبا راشد هل يقدر غلامك يعمل مثل هذه الاعمال ثم أدعى بفحل من الجمال فأحضروه قدامه ثم أنه وضع يده على سنامه وقال لمن عنده أوكزوه بالسلاح ففعلوا ذلك ووكزوه حتى سال الدما من جنبيه ولم يقدر أن يثور من تحت يده فشال يده عنه ورفصه برجله فى جنبه خرجت من الجانب الآخر ومسك ذنبه وجذب الذنب طلع فى بيده وجذب الذنب طلع فى يده من مكانه وزحف لى الرشيد يضرب به بالذنب واذا بالعبيد مقبلين وهم يتصايحون فسأل عن الخبر فقالوا يامولانا أقبل نحونا غبار زائد من ناحية من ناحية ذات عرق فصاح باويلكم ائتونا بالخبر لعل أن يكون رزق وصل إلينا عند ذلك ركبوا على الخيول وأما ظالم معول ان يضرب الرشيد بذنب البعير فصاح عليه ضيغم لا تفعل الملك الفعال يغضب عليك الملك المتعال فرجع ظالم إلى ضيغم وقال اسكت ياأسود ولطمه بذنب البعير قال ضيغم عن نفسه والله لقد رميت من الاصوار ووقعت

فى الاضرار وما رأيت أصعب من تلك الضربة بذلك الذنب الميشوم وعاد ظالم إلى الرشيد يريد أن يضربه وإذا بالصياح قد زاد والزعاق من كل جانب ودخلت عليه كبار العرب وقالت أما ترى إلى ذلك الغبار وقد وصل إلينا فقال لا يهمكم ذلك وبعد قليل انكشف ذلك الغبار عن عسكر جرار كانه البحر الزخار وقد لمعت فى شعاع الشمس البيض العادية والسيوف الهندية والدرق الملطية والخيول العربية عند ذلك خرج ظالم من السرادق بغير اكتراث وركب على نجيب وصاح فى العربان نفرت من المضارب كانها القطا من مدحج وخولان ومزه وذبيان وقحطان والسكاسك وبنى غزية وبنى ربيعه وسودانه وعربه وكانوا عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى وقالت أهل مكة والبيت ومن حج والتلبية ومن ضج لو توجه هذا ظالم لأقصى البلاد لملكها بتلك العساكر وكان العسكر القادم مع الأمير عبد الوهاب مائة وخمسين ألف وفى أوائلهم الكندفزون والبطليموس وألف فارس وهم على لبسهم وزيهم وأهل مكة أعلموا الرشيد بصفة الافرنج فبكى الإمام رحمة للإسلام وقالوا والله ما أتوا هؤلاء إلى ههنا إلا وقد ملكت البلاد وشمتوا الأعادى والحساد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد كنت فى هم مما أنا فيه وقد زادنى هذا هم على هم وغم على غم ولا شك أن ملك الروم ملك البلاد أو يكون أتى ينصرنى على ذلك الخارجى وبقى يكثر الظنون وأما ظالم لما ركب من السرادق وسار سارت من خلفه العرب وانحدرت من التلال والجبال والأودية الخوال وانقلبت الأرض بأهلها وضاق سهلها وجبلها وفى ذلك الوقت وصل مدحج بن صالح الثعلبى فى بنى ثعلبة وهم مائة ألف من العرب وقد تبعهم من العبيد أضعافهم مالا يقع عليه أحصا بعدد الرمل والحصى وكانوا أتوا نجدة إلى ظالم قال ووصل مدحج مقدم القوم وتقدم إلى ظالم وقد ترجل وترجل ظالم إليه وسلم عليه وترحب بعضهم ببعض فقال مدحج أيها الأمير أنا سمعت أنك ماضى إلى بغداد وأص العراق وأنا أريد منك الشام فقال له ظالم ابشر بكلما تريد (قال الراوى) ووصل الأمير عبد الوهاب ووقعت العين فى العين وصاح بينهم غراب البين فضرب العرب مصافاتهم وارتفع التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير (قال الراوى) وكان الأمير عبد الوهاب لما دخل إلى ذات عرق لقيه رجل بدوى وكان قد ضلت له ناقة فأخذها رجل من بعض عسكر الأمير عبد الوهاب فلما حضر بين يديه قال له من أين أنت يا وجه العرب فقال أنا من عسكر النازل على مكة فسأل الأمير عن الرشيد وأصحابه فقال له الاعرابى أشره الملك الهمام والليث القمقام فقال له الأمير من تعنى بهذه الصفة قال الأمير الأجل ظالم بن الغريب فارس قحطان المالك رقاب أهل الزمان مقرى الضيفان الذى أغنى العرب

وهم معه فى أمان وكان قد ذهب لى ناقة مليحة الخطا سوداء العينين حسنة العنق قوية على قطع الطرق حمراء الوبر صافية الجوهر طيبة المركوب مثل اللبوة الطلوب أسبق على ظهرها الريح الهبوب حنينة إذا حدى الحادى ملتفتة إلى صوب المنادى حادة النظر فى الليل تجرى مثل السهيل وقد ضلت منى أيها الأمير وقد وقعت من أجلها فى التعتير لأنى رجل ومن فقير ومن حولى أربع بنات وحولهم طفل صغير ويقتاتون من درها ويعيشون بما أكسبه على ظهرها وقد خلفت عندهم بئس الخلف وهو الجوع والبرد والكلف فاذا جاعوا لم يمرحوا وإذا بردوا لم يسرحوا وبعدم الناقة لم يفرحوا فيا لها من مصيبة قد فتت كبدى وأوهنت جلدى وشردت منامى وميلت قوامى ثم انه أنشد يقول

لقد كنت فى الناس ذا نعمة غنى عن الخلق فى موضعى
ولى ناقة ما لها شبه مكوية الخد والاربعى
وكنت أعيش على ظهرها أنا وسائر أولادى معى
وطفل صغير ضعيف القوى فمذ رحلت عنه لم ترجعى
وإنى وعيشك فى حالة أكابد جوعا ولم أشبعى
ولم يبق فى الناس ذو رحمة شفوق يعامل ربى معى

(قال الراوى) ثم إن الأعرابى بكى بعد فراغه من شعره فرحمه الأمير عبد الوهاب ودمعت عيناه وقال له ياهذا طب نفسا وقر عينا فنحن نعامل الله معك ونوصل إليك ماينفعك ثم إن الأمير قطع من جماله خمس جمال محملة دقيق وحنطة وشعير وغير ذلك وقال له هذا من بعض ما أعطانى الله فكأنك بنا لم تقف وكأننا عليك لم نتعطف فلما نظر الأعرابى إلى ذلك قال يامولاى وذمة العرب لاأخذتها حتى تقول لى من أنت فقال أنا عبدالوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح ابن جندبه الكلابى فقال الأعرابى بخ بخ أنت والله معدن الشرف وبالخير والمكارم موصوف أنت صاحب الغنائم أنت سيف الأعارب والأعاجم أنت ضراب الجماجم بالصارم أنت خليفة المروءة والمكارم أنت أخير من هذا النحس ظالم ترددت إليه وردنى خائب وبناقة واحدة حبانى وغيرها ماعطانى وهى ضعيفة حيلها لاتدرى أين تضع رجلها خوارة بالليل لها مخاط يجرى كأنه سيل رقيقة الساق قليلة اللحاق لاتنظر فى الليل ولافى النهار معودة حمل إليها بولها مثل بول الحمار وكنت من القيام برعيها فى أسوأ حال فالحمد لله رب البرية الذى أضاعها ولم يشق بها أحدا فلاجمع الله شملى بها أبدا وكان ضيعانها سببا لوصول هذه النعمة الشاملة والسعادة الكاملة فاشهد لى عليك بأربعة من الرجال العادلة أنك لاترد تأخذها منى ولا تبعدها عنى فضحك الأمير

عبد الوهاب هو وجماعة الأصحاب من هذه المدحة للناقة وذمه لها فى ساعة وما أتى به من فصيح المقال فقال له الأمير طب نفسا وقر عينا فلو طلبت إضعافها أعطيتك فقال له الأعرابى ضاعفها يامولاى فاقطع له خمس جمال أخر موقوره مما ذكرنا وقال له الأمير عبد الوهاب ما اسمك أيها الشيخ فقال يامولاى اسمى أبو بقبوق بن الخليع فقال له هل معك خبر من الرشيد فقال يامولاى انكسرت عساكره واندقت دساكره وأخذ ظالم أول ثقله وآخره وهو عندى أسير ومعه الأمير عمرو بن عبد الله أمير عرب بنى سليم وأمير آخر من بنى كلاب يقال له ضيغم وغيرهم ممن لا أعرف اسمه ولا أحق رسمه فقال الأمير عبد الوهاب وفى كم يكون ظالم من العرب فقال يامولاى بعدد نجوم السماء ورمل البيداء وكذلك هو أيضا قد ملك من الشجاعة والقوة والبراعة مالا يقدر عليه أحد ولا يصل إليه أبد الابد لأنه قد أذل العرب العربا شرقا وغربا فعند ذلك قالت الأميرة ذات الهمة للأمير عبد الوهاب الرأى عندى أنك ترسل الساعة هذا الأعرابى إلى العسكر الذى لظالم وهو لا ينكر عليه أحد فيخبر الرشيد بمجيئنا حتى يطيب قلبه وكذلك عمرو بن عبيد الله والأمير ضيغم فقال الأمير عبد الوهاب ياأبا بقبوق وما قولك فيمن يعطيك على هذه الأحمال التى معك خمسة أفراس وعشر خلع بعمائمها فقال يامولاى وما الذى أعمل فقال تمضى إلى السرادق الذى فيه الرشيد والمأسورين فتخبرهم بقدومى وترجع تأخذ الأموال والخلع فقال يامولاى السمع والطاعة ويكون كل شىء أخذته منك لى ولا تغدر بى فضحك الأمير عبد الوهاب وقال لو جاء أحد يغدر بك ما مكنته هذه الأميرة من ذلك (قال الراوى) ورجع الأعرابى يغدو حتى وصل إلى السرادق الذى فيه الرشيد (قال) وأشرف الأمير عبد الوهاب بعساكره واصطفت الصفوف وتدانت الألوف واشتهرت السيوف هذا والرشيد قد حمل على قلبه مالو وقع على جبال تهامه ماثارت به من الغم والهم ولم يعلم بأن الأمور تجرى والمقادير تسرى بارادة اللطيف الخبير فهو كذلك وإذا بالأعرابى قد دخل عليه والأسارى حواليه فنظروا وكانوا به إليه وكان عندهم معروفا يضحكون عليه وصاروا يلاعبونه حتى وصل إلى الرشيد وقال له ياحضرى أنا رسول إليك من عند أعز الناس عليك وهو الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وهذه العساكر القادمة عساكره ودساكره وكتائبه وهو يزعم أنه كان أسير فى بلاد الافرنج وقد أسلم على يديه خلق كثير وهم معه فى أوائل العسكر وكان الأمير عبد الوهاب قد عرف الأعرابى وأعطاه خاتمه من يده (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك بقى ما بين خائف وراجى والتصديق والتكذيب فأخرج له أبو بقبوق خاتم الأمير عبد الوهاب وسلمه إليه هنالك

وقع الرشيد مغشيا عليه فوثب أبو بقبوق هاربا فقالوا له العرب الموكلون بالرشيد ما الذى صنعت بالخليفة حتى وقع بعدما كان قاعد فقال لما ذكرت له صفة هذا العسكر القادم وأنه عدوه أتى إلى نصرته فلما تحقق ذلك غشى عليه فظنت العرب أن ذلك حق ثم خرج أبو بقبوق (يا سادة) وان الأمير ضيغم لما نظر إلى الرشيد فى هذا الحال زحف فى القيود حتى وصل إليه ورفع رأسه ووضعه فى حجره ولم يزل حتى فتح عينيه فقال له يا ضيغم أنت صاحب البشارة وأنا صاحب الكفارة ولله على نذر مائة ألف دينار صدقة من مالى المسلمين والفقراء والمجاهدين ثم أن الرشيد رمى خاتم عبد الوهاب إليه وأخبره بالحال فبكا عليه ضيغم غاية البكا وغاب عقله عن الدنيا وقال واشوقاه إليه وكانت ساعة عظيمة لأن هذا فرح آخر (قال الراوى) ولم أر فرحا بعد شدة أعظم من هذا فهذا جرى ههنا وأما ما كان من أبو بقبوق فانه وصل إلى الأمير عبد الوهاب وقال له يا مولاى قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ويريد عبدك أبو بقبوق يأخذ جماله والنوق لأنه لا يعلم هذا الحرب لك أو عليك فأكون أنا قد قبضت مالى وأرحل من عندكم إلى أهلى (قال الراوى) فسلم إليه الأمير عبد الوهاب جميع ما كان قد أعطاه ثم أمر أن لا يتعرض له أحد من العرب فسار إلى أن وصل إلى أهله ولم يقدر أحد يتعرض له وأما ظالم فانه اشتهر وصف الصفوف ونظر الأمير عبد الوهاب إليه فاذا هو جبار من الجبابرة وهو يجول يمينا وشمالا ويزعق على الرجال ويصيح على الأبطال ولم يقدر أحد ايرد عليه من هيبته كلام ثم أشار إلى الناس بالحملة فحمل منهم أكثر من ثلثمائة ألف فارس فامتلأت الأرض خيلا ورجلا كأنهم الجراد المنتشر وأشار الأمير عبد الوهاب إلى أصحابه بالحملة على أصحاب ظالم فيا لها من ساعة شاب لهولها الطفل الوليد وتقطع الحديد وتطاعنت العرب فى الاحداق وقامت الحرب على ساق وسودان ظالم قد تكاثرت على سودان قراقد وكان فى عسكر ظالم عبد كأنه الجمل الهائج وقد ذكروا الرواة أنه ما كان فى زمانه أعظم من خلقته كأنه الفيل الأسود وكان اسمه مدلاج وأنه رمى نفسه بأصحابه على قراقد وسودانه فكسرهم وحملت الأعراب على عسكر الأمير عبد الوهاب وتكاثرت عليهم بالعدد وتضاعف المدد ونظروا إلى الموت عيانا لأن البلاد بلادهم والأرض أرضهم وقد طمعوا فى قتلهم ونهب أموالهم ونظر الأمير عبد الوهاب إلى كسر أصحابه فرجع إلى خلفه والخيل تلزه وهو يحمل ويحمى عن نفسه حتى وصل إلى ذات عرق وقد انضاف أصحابه إليه وهو يصيح بالناس وقد ركبهم الخذلان وكانت دواب الأمير عبد الوهاب قد تعبت وأخذت العرب عليهم الطريق (قال الراوى) وما من سرية ولا عشيرة إلا وعلم الأمير عبد الوهاب كم عددها

إلا هذه السرية التى للعرب فانه كان يسأل عنهم فلا يعرف عددهم وأنه سأل عنهم من كان يعرف حالهم فقيل له هم على عدد التراب لأنهم أتوا من كل مكان فلم يعرف لهم أول ولا آخر وأدرك الناس الليل على ذات عرق وأضرمت النيران وتحارس الجيشان وقد داخل عسكر الأمير عبدالوهاب الفزع والخوف والزمع لأنهم نظروا إلى عالم عظيم مع ظالم ورجال يرون الموت مغنما والحياة مغرما يطعنون الاحداق ويقيمون الحرب على ساق (قال) وأن الأمير عبدالوهاب قال للأميرة ذات الهمة ما عندك من الرأى قالت اعلم يا بنى إن هذا الأمر الذى قد دفعت إليه أمر عظيم وحال جسيم لأن العدد أكثر من ألف ألف من العرب والعبيد فقال لها الأمير عبدالوهاب فما ترين من الرأى فقالت ما فى الأمر إلا أننا نرمى نفوسنا عليهم فى غداة غد فاما لنا وإما علينا فقال الامير اعلمى إننى قد عولت على البراز فان أجابوا إلى ذلك فهو المراد والذى نريد وإن هم لم يبارزوا ويحملوا علينا بهذه الجموع العظيمة فلا تحسبى لنا حساب فقالت الاميرة سوف يكون الذى تريد إن شاء الله تعالى يعلم موضع النيات منا وما فى الضمير وما نريد سوى نصرة الدين وهو الذى يسهل علينا أمورنا ويسبل علينا ستره ويدفع عنا كيد هذا الجمع وشره قال ولم يزل الناس كذلك طول الليل ولم يكن فى أصحاب الامير من نام خوفا مما احدق بهم حتى برق ضياء الفجر هنالك ثارت العرب مثل الجراد المنتشر وارتفع الصياح وعلا الصراخ وركبوا الخيل الطائرة بغير جناح وحامت عقبان المنية تروم عيون أرباب السماح وصلصلت رعود الصواعق وأرعبت القلوب الصحاح وركب ظالم بن الغريب بوجه وقاح فأقبلت إليه الأعراب وقالوا له ما الذى تأمرنا به أن نفعل أيها الامير الكريم فقال لهم أقسم بمن حج واعتمر وحلق وقصر وطاف بالبيت العتيق المطهر لئن لم تنجزوا أمر هذه الطائفة التى فى أوساطكم لأضربن رقابكم فقالوا له أيها الأمير سوف ترى العجب ثم ضربوا رأس الخيل إلى صوب عسكر الامير عبد الوهاب من كل جانب وجردوا القواضب فقال الامير ما رأيت قط عربا أطاعت لأحد مثل ما أطاعت هذا الشيطان فلا كانت ساعته فقالت الاميرة ما لمقامنا وجه وكأنك بالعرب وقد حملت علينا حملة رجل واحد وكم جهد الرجل من أصحابنا يقاتل المائة والمائتين وهذا بعدد الرمل والحصى فقال الامير عبد الوهاب فما الرأى فقالت البراز لعل نلتقط وجوه العرب ورؤساء القبائل فهذا مما يفرق كلمتهم ويشتت رأيهم وإن ظفرنا بهذا الشيطان ظالم بن الغريب فهو الذى نريد فقال لها افعلى ما بدا لك فانى قد عزمت على البراز فهو معها فى الكلام إذ خرج الامير قراقد مثل الاسد الغضبان ومن تحته حصان مثل الثعبان شديد الاركان وفى يده صفحة هندية حادة الذبان

منتخبة ليوم الضراب فوقف بين الصفين وجال بين العسكرين ونادى برفيع من صوته أيها القوم الذين مرقوا من ذروة دين الإسلام وتعدوا على الخليفة الإمام لقد تجاريتم على الملك العلام وما هذا فعال الكرام ومع ذلك فان الانصاف من فعال الاشراف والا قتصار من شيم الاحرار والكثرة ينصر بها الذليل المهان فان كان لكم انصاف ومروة فافعلوا ما يليق به الفتوة فنحن مائة وخمسين ألف وأنتم قوم فوق الألفين ألف وهذا عند العرب عار ومذله وشنار بل يبرز فارس لفارس فلما سمع ظالم هذا الكلام قال والله لقد أنصفوا ثم أمر واحد منهم من الشجعان وكان شيخ كبير يقال له مذحج وكان فارسا لا يطاق علقما من المذاق فخرج إلى قراقد فجالا طويلا واعتركا مليا ثم اختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة قراقد فنزلت على عاتق مذحج طلع السيف يلمع من علائقه ثم جال قراقد على مصرعه وطلب البراز وسأل الانجاز فلما نظر ظالم إلى ذلك قال لعمرى أنه فارس مليح الشمائل فمن يبرز إليه فبرز إليه هياج بن مذحج وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

أيا سيدا قد كان ركننا لقومه	وعزا وكشافا لكل عظيم
لقد خانك الدهر المشوم بصرفه	وأمكن منك اليوم غير كريم
وابنك هشام العظام فانه	سيأخذ منه الثار غير دميم
سيبكى عليك السيف والخيل والقنا	بدمع هتون فى الخدود سجوم

(قال الراوى) ثم أنه حمل على قراقد بقلب حرق لاجل قتل أبيه مذحج فاستقبله قراقد بصدر الحصان وحد السنان وأنشأ وجعل يقول

ستعلم أيا هياج أنك لاحق	بشيخ لئيم الاصل غير كريم
فلو كان هذا سيدا وابن سيد	لما كان فى الاسلام غير مليم
لقد عجل الله الكريم بروحه	إلى النار فى الاطباق وسط جحيم
وأنت ستمضى بعده بهنية	وتمسى مفقود المحال عديم

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجالا طويلا واعتركا مليا واختلف بينهما ضربتان كان السابق بالضربه قراقد فوقعت على رأس هياج نزل السيف إلى الاوداج وطلب البراز وسأل الانجاز ولم يزل ينزل إليه فارس بعد فارس إلى أن قتل من القوم أربعين فارس فعندها عظم على ظالم بن الغريب وصاح بعبده مدلاج أخرج إلى هذا البطل القتال الذى ليس له مثال فقال

يامولاى أليس هذا عار على ومنقصه أن أخرج إلى فارس واحد فقال له ويلك يا ابن الخنا أما ترى فعاله فقال يا مولاى ليس فى القوم من يعرف قتاله ولكن ها أنا خارج إليه وحامل عليه ثم أنه حمل على قراقد كأنه العتيق وفى يده صمصامة مثل السم الرقيق وحمل قراقد على مدلاج وارتفع قسطل العجاج وصاح صيحة أذهل بها قراقد وضرب رأس جواده فأبراه وانكب عليه أخذه أسير وقاده حقير ذليل من قبل ان يقع الحصان ورجع إلى مولاه أسرع من البرق الخاطف (قال الراوى) وان القتال لم يزل يعمل طول النهار مبارزة واحد لواحد وكل من برز إلى مدلاج أخذه حتى أخذ وقتل خمسة وثلاثين فارس وأمسى المسا ولم يبق يخرج إلى مدلاج أحد فبقى يهجم على الإنسان يأخذه أخذا بالكف فقالت الاميره ذات الهمه مثل هذا العبد ما رأيت فقال الأمير عبد الوهاب والله إن قلبى قد ارتاح إلى قتاله لعل يصير من أصحابنا لانى أحب السودان ولاسيما المجاهدين فى طاعة الملك المنان وفى غداة غد أخرج إليه إلى الميدان إن شاء الملك الديان ويقضى الله ما هو قاض بينى وبين هذا الشيطان فقال أبو الهزاهز أيها الأمير أنا أبرز إليه وما بلغ من قدر هذا العبد الأسود أن يساويك فى الميدان وموقف الضرب والطعان فقال له الأمير أعلم يا أبو الهزاهز أن القتال ما هو بانساب الرجال ولا بافتخار الأبطال وإنما هو شجاعة الاقبال وحسن الفعال والله تعالى اختار بلال الحبشى وأبعد أبا لهب القرشى فدعنى من هذا المقال فلا بد ما أخرج إليه فقال أبو الهزاهز ان كان ولا بد من الخروج إلى هذا الفارس فأنت له كفوا (قال الراوى) وأصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فكان أول من فتح باب الحرب رجل من أصحاب ظالم يقال له ثابت بن أبا الصلت فخرج إليه أبو الهزاهز أخذه أسير وخرج إليه ثانى فقتله وثالث فقهره إلى أن أخذ من عسكر ظالم عشرة أبطال أقيال وكان الحادى عشر مدلاج فخرج حمية منه لهؤلاء وكان العبد مدلاج كما ذكرنا كأنه الجمل وكان أبو الهزاهز كانه الجاموس كبير الأنف والفرطوس عظيم الهيكل يضرب به المثل فنظر إلى خصمه راجلا فترجل لأنه علم أن العبد مدلاج يقتل الجواد من تحته لانه كان فى يده ثلاث حراب نحاس تنفذ من الدروع الداووديه ولا يمنعها الدرق الهندية ثم اعتمدا على مضارب السيوف وقد حارت من حسن قتالهما الصفوف هذا وقد نظر العسكرين إلى بطلين كانهما جبلين هايجين فتضاربا بالسيفين حتى تثلما وزحف كل منهما إلى الآخر وتقابضا على وجه الأرض فعثرت رجل أبو الهزاهز فى حجر كبير لجذبه مدلاج عند عثرته فرماه على وجه الارض وأداره كتاف وساقه سوق الجمال وطلب البراز والنزال

هنا لك خرج إليه الامير عبد الوهاب وناداه دونك يا كلب الاعراب فسوف أذيقك العذاب فلما سمع مدلاج هذا الكلام أقبل على الامير عبد الوهاب بوجه وقح وصدر إلى القتال منشرح هذا وقد خرج الامير عبد الوهاب على جواد يأكل الأرض وحمل على العبد بقلب أقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر وأنشد يقول

أبادر عبد السوء منى بضربة ... لان قتال العبد شيأ لازما
ولكننى لما رأيت فعاله ... فأعجبنى لما رآنى مصمما
خرجت إلى حال البراز بحرقة ... على أسره كيما أكون مكرما

(قال الراوى) فلما سمع مدلاج شعره طمع فى جانبه وحمل كل واحد منهما على صاحبه والحديد إذا وقع على الحديد طن وكان لوقوعه فن وأى فن وارتفع بينهما الصياح واشتد الصراخ وماجت الأرض فى الطول والعرض فحارت الاعراب من ذلك والاميرة ذات الهمة قد مسكت ثديها خوفا على الامير من ذلك العبد الشديد وقد نظرت إلى فعاله مع من تقدم ذكره فخافت على الامير عبد الوهاب من شره هذا وظالم بن الغريب يضحك ويقول وذمة العرب أنه يطيب على قلبى أن يبرز إلى عبدى العسكر جميعه هذا وقد ارتفع على رؤسهما الغبار وغابا عن الابصار ونظر الامير عبد الوهاب إلى فارس شديد الباس قوى المراس فترجل عن جواده إليه هذا وقد خدلت السواعد منهما وتقابضا وظن مدلاج أنه يصنع به كما صنع بأبى الهزاهز لانه كان استصغر خلقته هنا لك ضم يده ولكم الامير عبد الوهاب فى رأسه شق جبينه من عظم اللكمه وسال الدم على وجهه فلم يجد الامير صبرا دون أن قال يا عبد السوء سوف ترى جوابها ثم لكمه على رأسه نثرا ضراسه ووقع العبد مدلاج إلى الارض فانقض عليه الامير أخذه أسير ورجع إلى عند الاميرة فعصبت رأسه وطلبت منه أن يخرج غيره فأقسم أن لا يقعد وقال لها قد عمل الغيظ معى والغضب وان لم أشف قلبى من الاعدا والاشربت شراب الردى ثم قدم إليه جواده فاستوى فى ظهره وخرج إلى الميدان وطلب البراز فصاروا يخرجون فارسا بعد فارس إلى ان أخذ منهم خمسين أسير فلما نظر ظالم إلى ذلك وكان مشغوفا بالابطال محبا لملاقاة الرجال صبورا على الاهوال لانه لم يكن فى زمامه فى أرض اليمن والحجاز من يقوم مقامه فلما نظر إلى فعل الامير عبد الوهاب أقبل على أبو الهزاهز وقراقد وقال لهما ويلكما من هذا الذى أخذ مدلاج فما كنت أقول ان فى هـــذا العسكر من يقوم مقامه ولا يروم مرامه فقال أبو الهزاهز أيها الامير وذمة العرب أن هذا الفارس الذى تراه إذا برزله ألف فارس مثل مدلاج خنقهم خنق الدجاج فقال له ويلك ومن يقال له فقال هذا فارس

العرب والعجم هذا ضارب القمم هذا ترس قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا قاتل كل ليث هذور هذا حامية الثغور هذا الأمير عبد الوهاب (قال) فلما سمع ظالم ذلك ارتاح قلبه إلى سماع صفته وقال هذا عبدالوهاب غلام أبا راشد مولا كم الخليفة فقال أبو الهزاهز ما هذا الكلام إلا لقب مليح أن هذه معرفة جديدة ثم قال نعم يا أمير هو ذاك فقال ظالم أليس قلتم أنه مات فى بلد الروم ولم يطلع له خبر فقال أبو الهزاهز إنما الروم كانت أسرته بالحيلة ثم نصره الله تعالى عليهم وخلصه من أيديهم فقال له وهذا الفارس الذى اسمه ضيغم ما يكون منه فقال له هو ابنه فعندها ضحك ظالم وقال وذمة العرب لقد سمعت الخليفة يقول لو كان عبد الوهاب فى الحياه لما وصلت يدك إلى وها أنا خارج إليه ليعلم إنى أفلق هامه وأدنى حمامه وقصدى بذلك تكذيب كلامه ثم انقلبت عيناه فى أم رأسه وركب على جواد من الخيل فى لون ظلام الليل أطلق من السيل قوى العصب شديد القصب ديال الذنب ملم الركب جيد الجرى والخبب مدخور ليوم الرهب منسوب من خيول العرب وعليه سرج مثمن وهو لابس صدره زرد مضاعف العدد كأنها عيون الجرد وفى يده صارم مهند ثقيل لا يمنعه درع ولا ترس واسع يدور على فرنده والمنية تلمع فى حده فى كل يوم يأكل غمده فصاحت العرب ألا إن الأجل قد اقتربت لما يعرفون من ظالم من الشجاعة والقوة والبراعة ثم سار إلى نحو الأمير عبد الوهاب وحمل عليه من دون الأصحاب وإن العرب من هيبة ظالم لم تتوقف على الحملة بل حملت حملة رجل واحد فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى عساكر ظالم وقد حملت التفت إلى الأميرة وأشار إليها بالحملة فحملت فى الرجال ونادت يا آل كلاب يا آل كلاب فأجابها الأمير شيظم بن عامر الكلابى لبيك لبيك ثم حمل فى أصحابه وكان هذا الأمير شيظم من بنى كلاب وأنه كان مقيما بأرض الحجاز ولم يمكنه التخلف عن هذا الخارجى خوفا من شره وغدره ومكره وكان فى عشرين ألف من بنى كلاب فلما نادت الأميرة ذات الهمة يا آل كلاب اقبل إلى عند بعض المأسورين من عسكر الأمير عبد الوهاب وقال له من هذا الفارس الذى صاح باسم بنى كلاب فقال هذه الأميرة ذات الهمة أم عبدالوهاب هذه حامية ثغور المسلمين فقال أليس قد سمعت أنها مع ابنها قتلت وإن تلك الديار قد احتوت عليها الروم وملكتها فقال هو ذاك ولكن كانوا أسارى وقد من الله عليهم بالنصر والظفر وقد فتحوا بلاد الروم فقال شيظم لقومه ويلكم تعرفون من هؤلاء القوم فقالوا لا وذمة العرب فقال هؤلاء بنو عمكم وأقاربكم هؤلاء الذين إذا افتقر واحد منكم ومضى إليهم رجع إلى أرض الحجاز وهو غنى هذا عسكر

الامير المهاب عبدالوهاب بن الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى وأمه فاطمة بنت مظلوم العامرية فقالوا أيها الأمير فحينئذ لا صبر لنا عنهم وعن نصرتهم ولنا أسوة بهم ثم أنهم نادوا عن بكرة أبيهم يا آل كلاب يا آل كلاب وحملوا عن بكرة أبيهم على أصحاب ظالم بن الغريب حملة رجل واحد وبذلوا فيهم الصارم ونثروا الجماجم وطلع الغبار وتراكم وحام عليهم من الموت حائم واسترخت الايدى عن الشكايم ونظرت العرب إلى الموت قائم وقدم الأمير شيظم إلى الأميرة ذات الهمة وقد نظرت إلى فعاله فطاب قلبها وقلوب من معها من الرجال وعملت السيوف الصقال ورأيت الايدى قد شلت وخيول الآجال قد استقلت، والقلوب الصحاح قد اعتلت وعناقيد المنايا قد تدلت وأرواح المقصرين قد سلت والاقارب عن الاقارب قد تخلت والابطال ضجت والاقيال قد تقهقرت والخيل بالرمم قد عثرت والجماجم قد نثرت والبطون من وطء الخيل قد تفجرت والشجعان من حول الحرب قد ضجرت والمفاصل خذلت والقوة فترت وأسود المجال زجرت وسباع الرزايا هدرت وأرباب العزائم اشتهرت والشمس من فوق رؤسهم هجرت والامير عبد الوهاب قد كشف رأسه وخفف لباسه وصاح فى أصحابه يا ويلكم أين المواقف المشهورة والعزمات، المذكورة وكشفت الاميرة رأسها وبانت دوائبها البيض وصاحت هذا يوم الاشتهار هذا يوم الضرب بالبتار ولم يزالوا فى قتال ونزال إلى وقت الزوال وولى النهار ونزل الامير شيظم إلى ناحية الامير عبد الوهاب ففرح به وأوعده بكل جميل وخلع عليه وعلى من معه من رجاله وأبطاله وقال لقد نجيتم من أهل البغى ورجعتم إلى طاعة رب الارباب فقال شيظم والله يا مولانا أنا ما أتيت إلا طالب الثواب وأيضا الهرب من يد ظالم وإنى حملت هما عظيما لما رأيتك تقاتله وتناصله لأنى أخذت خبر حديثك من الذى أسرهم فحملت هما فزعا عليك من شره لأن الجن تفزع معه وجميع الابطال تضرب به الامثال فلا يقف بين يديه أحد من الرجال فقال يا شيظم أنت تعلم من هذا الفارس ما لم نعلم ولا بد لى منه وما معول على قوتى بل أطلب بذلك النصر من الله تعالى ولا بد لى من الخروج إليه والقدوم عليه ويعطى الله النصر لمن يشاء وباتت الناس على مثل ذلك وأضرمت النيران وتحارست الفريقان إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد عول ظالم على براز الامير عبد الوهاب لأن قلبه من كلام الرشيد نار لا تطفى ولهيب لا يخفى لما قال له لو كان عبدالوهاب حاضر وهو فى الحياة ما قدرت تقف قدامه ساعة واحدة وأيضا من أجل شيظم ورجاله وكيف التجؤا إلى الاعداء ولما برق ضياء الفجر ركبت

الابطال وزمجرت الاقيال وزحفت تروم المجال وصهلت الصافنات وركب ظالم فى تلك العالم وقد قيل عن ظالم لم يكن فى أرض العجم واليمن أحسن منه وجها ولا أكرم طبعا مليح الشمائل كامل الخصائل حاز الشجاعة والقوة والبراعة والكرم وكان أول من فتح باب الحرب وموقف الطعن والضرب الامير شيظم ونادى يا أنذال العرب ويا حمالة الحطب أما تعلمون لمن أنتم تقاتلون أما هذا خليفة الله فى أرضه عندكم مأسور وهذا الأمير عبد الوهاب وليث الغاب الليث القشعم والفارس المكرم وترس قبر النبى صلى الله عليه وسلم هذا الذاب عن الدين وفارس المجاهدين فى طاعة رب العالمين هذا عبد الوهاب بن الحارث بن الصحصاح بن جندبة الكلابى وهذا الذى قادكم وأنفذكم إليه لا يعرف له أب ولا جد ولا يعرف إلا بابن الغريب (قال الراوى) فلما سمع ظالم صعب عليه وكبر لديه وقال أليس هذا شيظم فقالوا نعم فقال من يبرز إليه ويأتينى به فعندها خرج إليه فارس يقال مره وهو على جواد مقبوب الحوافر جيد الخواصر كأنه الطير الطائر أو الليث الكاسر وهو لسنة شاهر وحمل على الأمير شيظم وحمل الأمير شيظم عليه فما كانت إلا ساعة حتى أخذه الامير شيظم أسيرا وقاده ذليل حقير وخرج بعده عشر فوارس وهو يأسرهم واحد بعد واحدا هنالك خرج الأمير ظالم كأنه الاسد المهاجم وصاح بشيظم وحمل عليه فولى منهزما بين يديه فقال له الأمير عبد الوهاب ما بالك قد انهزمت يا شيظم فقال يا مولاى من هذا البلاء المبرم والأسد القشعم وفارس العرب والعجم وقد علمت أنى ما أنا من أشكاله ولا أعد من رجاله فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلامه خرج إلى ظالم فى أكمل عده وأحسن أهبه ولما ساواه فى مقام الحرب أشار إليه يقول هذه الأبيات

ستعلم يا ظالم أننى نجيب وفى كل حرب همام
هزبر شجاع له موقف كريم إذا ما علاه القتام
سأرديك فى مهمه مقفر وتشهد ما قد فعلته الكرام
لأنك يا ظالم نفسه عصيت الخليفه وهو الإمام

(قال الراوى) فلما سمع ظالم شعر الأمير عبد الوهاب حمل عليه وصاح به يا ابن الخنا تظن أنى كمن لاقيت من العلوج الذين ألفوا الحمامات ولبسوا الثياب الملونات ثم حمل على الأمير وهو يقول

ألا أيها الشيخ المدل بنفسه رويدك هل لاقيت قرما غشمشما
وكم قسور لاقيته وتركته وأوداجه مع نحره تشخب الدما
وإن قتال الشيخ عار وذلة ووهن لهذا الضيغم المتقدما

سألقيك فى ذا القاع شلوا معفرا يحوم عليك الطائر المتقشرما

(قال الراوى) فلما سمع الأمير شعره حمل عليه ومد سنانه إليه وتجاولا إلى أن كانت الجوادين وذهب قوة الفارسين فوثبا إلى الأرض وتعاركا طويلا إلى أن طلع الغبار من تحت أقدامهما وانعقد على رؤسهما وقد زاد صياحهما وعظم صراخهما ثم انقطع بعد ذلك حسهما فأنكر عليهما الناس بذلك وإذا بجوادهما قد خرجا من المعمعة غايرين وقلقت الأميرة غاية القلق وقد ترجل من عرب ظالم عشرة من الأمراء وعشرة من العبيد ينظروا ما يكون من حال البطلين فلما نظرت إلى ذلك ترجلت وأخذت سيفها وترسها وقصدت المعمعة لتنظر ها الخبر وفى فؤادها لهيب الشرر خوفا على ولدها فبينما هى كذلك إذ نظرت إلى شخص قد خرج من المعمعة وهو حامل شخصا آخر وقد تخضب بالدماء وحاله حال من قد فارق الدنيا فصاحت وقصدت نحوهما لتنظر ما الحامل من المحمول ووقفت تسمع ما يقول (قال الراوى) وكان من أمرهما أن الأمير عبد الوهاب التقى بالامير ظالم وجرى بينهما ما جرى من القتال والنزال إلى أن وقفت الجوادين وترجلا عنهما إلى الارض وتقابضا فنظر الامير عبد الوهاب إلى فارس لم يوجد مثله فقال فى نفسه إن هذا فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فليت كان فى الإسلام فارس مثله ولقد كنت أتخذه مثل الولد فهو على تلك النية التى خطرت بقلبه وقد تعاركا طول النهار إلى أن حميت الرمضا واكفهر الحصا وصر الجندب وتوقد الجلمد وزاد الغيظ وفاضت الدما وتقابضا بالاطواق والخواصر وإن ظالم لما يريده الله سبحانه وتعالى وقعت يده فى الحياصة التى فى بطن الامير عبد الوهاب وكان ذلك الجرح ينقض على الامير كل سنة ويمرض منه الشهر والشهرين فلما قبض ظالم عليه جذبه بحيله فانتقض الجرح الملتحم وخرجت مصارينه وأمعاه وسالت دماه وذهب قواه وغاب عن دنياه فلما نظر ظالم إلى ما جرى عليه مد يده إلى خواصره وقبض عليه فعند ذلك وقع الامير عبد الوهاب مغشيا عليه وأدميته قد سالت على قدميه فقال ظالم والله ما يستاهل هذا الفارس من يؤذيه ولقد كبت الله به أعاديه والله لاقتلته ظلما ولولا هذا هذا الجرح الذى انفتق عليه لما كنت وصلت إليه إلا بعد تعب عظيم ولابد أن أحمله إلى عسكرى وأداويه ولأجهدن فى مداواته وأعود أبارزه فى الميدان وآخذه بعد ذلك أسير حتى تعلم العرب العربا أنى أخذته غصبا ثم ان الامير ظالم أخذ عمامة الامير وشد بها بطنه بعد ما رد مصارينه إلى جوفه والامير غائب عن الدنيا لا يدرى ما يفعل به وفى تلك الساعة انقطع صياحهما لأجل اشتغال ظالم بما ذكرنا وحمله على كتفه وسار به والتقته غلمانه الرجال وأخذوه منه ووصلت الاميره فى تلك الساعة لتنظر الحامل من المحمول فقالوا لها أيتها الاميره ما تنظرين هذا ولدك الامير عبد الوهاب مقتول

والامير ظالم منصور غير مخذول فعند ذلك صاحت برفيع صوتها وقد عظم عليها وكبر لديها وصاحت عليها البعيد وحملوا عليها كالجلاميد وبأيديهم الاعمدة الحديد ومنعوها من الوصول إلى الامير ظالم فصرخت عليهم الاميره ومالت عليهم بضرب يقد وطعن يهد ولم يكن غير ساعة حتى قتلت الاميره العبيد العشرة ونظروا أصحابها إلى فعالها فعلموا ان الامير عبدالوهاب قد قتل أو أسر فعند ذلك حملت الابطال والاقيال ووصلوا إلى الاميره وركبت وحملت على أصحاب ظالم وعملت الصوارم وألقت الاميره نفسها على الرجال وأخرقت الصفوف وجدعت الانوف ولوحت القحوف ونظروا أصحابها إلى فعالها فلم يمكنهم التخلف عنها (قال الراوى) ولم تزل الاميره فى حملتها إلى أن وصلت إلى الماء لان العرب كانوا سبقوها إليه وملكوا الماء عليهم وأشرفت العرب على العطب من العطش ولما كشفتهم الاميره عن المنهل وقع بهم الحيره وقد أيقنت أصحاب ظالم بالهلاك لاجل عدم الماء وقالت الاميره لاصحابها اعلموا أنكم قد أعطيتم الصارم حقه وقد صدقتم فى القتال ونلتم الثواب فاعلموا انه لا يضيع فعالكم وهو القادر بمنه وكرمه أن يصلح أحوالكم ومع ذلك فان العرب فى غداة غد تقاتل عن الماء القتال الشديد الذى ما عليه من مزيد فان أنتم أهملتم هذا الامر وتراخيتم عنه ملكوا الماء ويكون ذلك سببا للعدم حياة الدنيا وان أنتم صدقتموهم الطعن والضرب هلكت العرب والدواب التى معهم ويتفرقون عند اياسهم من الماء فقالوا سوف نفعل ما نقدر عليه من المجهود ونطلب الاعانه من الملك المعبود الذى بابه غير مردود وهو أكرم مقصود ثم وثبت الاميره قائمة فقالوا لها إلى أين أيتها الاميره فقالت انى لا أجد فى قلبى اصطبارا على الامير من هؤلاء الاشرار وبالله ان الامير عبدالوهاب ما أخذ إلا بخديعة وحيلة شنيعة وإلا فما كان تم عليه هذا الامر لما ان التقى هو وهذا الظالم ولقد وزنت الفارسين فى الحرب فوجدتهما سواء وفى الانعطاف أكفاء بحيث أن الواحد منهما لا يرجع عن صاحبه وولدى على كل حال قد قاسا الاهوال ولو جرى على غير ولدى ما قد قاساه من الاهوال الذى جرت عليه لما حضر فى الميدان ولا كان ذكر حرب ولا طعان ولا وقف فى موقف الجولان (قال الراوى) فلما سمع كلامها قال لها شيظم أيتها الاميره انى أعلم من ظالم مالا يعلم غيرى ولو كان مثل عبد الوهاب عشرة كان يلقاهم وقد حسبت هذا الحساب فقالت والله ما أكبر شأن هذا الملعون بغيبتنا عن الثغور إلى بلاد افرنجه وما جرى علينا عن عقبة وان فى غيابنا عظم شانه وأهمل الرشيد امره حتى عجز عنه وعن سلطانه ومع ذلك فانى أرجو من الله تعالى الوصول إليه فهذا ابن من فى العرب فقال لها شيظم ما أعرف له أب وانما أسمع من

العرب يقول ظالم بن الغريب ولقد ذكروا العرب أن أباه من بلاد العجم وكان له أم أشر منه تسمى بمفترسة الأقران تزوجت به وكانت قد رزقت منه هذا الولد وما أدرى مات عندها أو رجع إلى بلاده وهذا شيطان ابن شيطان لا كتب الله له سلامة لا هو ولا أبوه فلم تلتفت إلى الأميرة إلى قوله بل قالت انى عولت أمضى فى هذه الليلة إلى عسكره لعلى أكشف خبر ولدى ثم تحزمت وتعممت وتلثمت على زى عرب الحجاز وخرجت من عسكرها وكانت فى تلك الحملة التى حملتها فرقت العرب عن الماء فوجدت عليه الفساطيط إلى آخر الماء ووجدت بعض أصحابها وقد نهبوا خيمة وكان فيها لما يريده الله تعالى أبو الهزاهز والأمير قراقد فأطبقوا عليهم وقطعوا كتافاتهم وخلصوهما وركبوهما الخيل وأعطوهما السلاح فصارا كأنهم ما نظروا شدة وأخذوهم وساروا طالبين العسكر وأما الأميرة ذات الهمة فانها مازالت سائرة حتى وصلت إلى سرادق الامير ظالم فوجدته جالس والعبيد بين يديه واقفين والعرب جالسين والنار تقد أمامه وهو فى حدة الاسود فوقفت الاميرة مع جملة من وقف ولكن قلبها فيه النار على ولدها ثم انها وقفت متحيرة كيف لم تعلم أين ولدها فالتفتت عن يمينها ووجدت رجل قائم من العرب المجمعة لكن ظاهر عليه علائم العطش فقالت له ياوجه العرب كيف هذه الحالة التى وقعنا فيها من هؤلاء القوم فقال لها ياوجه العرب يلطف بنا رب البيت وما أسفى والله على نفسى وإنما أسفى على رفقة لى قد نهبت قلوبهم فقالت له ياوجه العرب إنى أرى الامير ظالم يصف مقدم هؤلاء القوم بالشجاعة وكان جرحه فى هذا اليوم فما فعل الله به هل أبرم فيه أمر قال والله انه لفى ألم شديد وها هو مطروح فى هذه الخيمة القريبة منا وإنى وحق الرب القديم متأسف عليه ولو كنت أجد له نفعا وسببا لإزالة العطش وزوال ما به من العطش لبدأت به على نفسى فقالت له الاميرة ما تقول ياوجه العرب فيمن يكسب فيه الثواب ويسقيه فقال لها الرجل والله إنك تكون الرابح فبالله عليك إن كان عندك شىء من الماء فعجل به وأتى به وها أنا منتظرك إلى أن تعود وإلا تحتاجنى أسير معك فقالت له الاميرة انتظرنى أنت مكانك ولا تحرك ساكن فأنا أرجع إليك ثم إن الاميرة تركته وعادت راجعة إلى عسكرها حتى وصلت إليه ودخلت سرادقها وأرسلت خلف الامراء أحضرتهم وأخبرتهم بما أرادت تصنع واختارت منهم الامير أبو الهزاهز والامير قراقد وطارق وسعد بن الفرج وبرد بن الازهر وطمطم وطاطم وهارون العلوى وتمام العشرة من الفرسان وحملت معها راوية من الماء وأخذتهم وسارت طالبة خلاص ولدها الامير عبد الوهاب للتسبب فى خلاصه ببعض الاسباب حتى إذا وصلت إلى ذلك الرجل القائم وهو كالحبة على المقلة من شدة

الظمأ وقد أطمعته نفسه فى الماء فزاد عطشه (قال الراوى)فلما نظر ذلك الرجال الى الاميره قال لله درك يا أخا العرب فما أوفا زمامك وأصدق كلامك اسقنى فقالت الاميره ماهذا صواب ولا مقام الشراب ولكن ضربنا الى المضرب الذى فيه المجروح حتى لا ينظرك أحد من العرب تشرب فيعلم الامير ظالم فيأخذ السطيحة منها وتهلك ولا ندرى هل يصح الماء لاصحابنا أم لا فسر بنا إلى هذا الرجل حتى نسقيه وتشرب أنت وتحبس لنا الماء إلى غداة غد ولا تفرط فيه فقال نعم ما رأيت أيها السيد ثم سار أمامها والامراء من ورائها متفرقين يمين وشمال حتى وصل الى المضرب عند عبد الوهاب ودخل الاعرابى فوجد الامير فى حالة من العدم والعطش وهو يئن ومن تحته كسا وهو عليها ملقا فلما نظر اليه التفت الى الاميره قال لها ان الرجل قد أشرف على التلف من العطش واللهف فقالت الاميره وما عنده أحد موكل به فقال لها الرجال اعلم ان هذا ظالم لا يقدر مفسد يدور فى عسكره وقد صارت الاموال ترما فى العساكر فلا يقدر أحد ان يأخذ منها عقال وفى بلاده اذا انقطع لبعض التجار فى الطريق من أحمالها شىء فى مكان أنزلوا الحمل وتركوه فى البريه وراحوا الى البلد يكترون الدواب فلا يدور ببضاعتهم أحد فقالت صدقت (قال الراوى) وان الاميره دخلت وجلست عند رأس الامير عبد الوهاب وقالت له ارفع رأسك أيها الرجل الغريب واشرب من هذا الماء فانى أرجو لك الثواب من الملك الوهاب ففتح الامير عينيه والمضرب ليس فيه ضوء وانما قد سمع الكلام وعرفه ومد يده وأخذ السطيحة فلم تمكنه ان يشرب من الماء سوى ثلاث جرعات خوفا عليه ثم انها أخذت الماء وسقت الرجال فزال ما به من الظمأ ثم قالت اعلم يا أخا العرب ان معى شيأ من الزاد والطعام أتأكل فقال نعم أيها الرجل الكريم فناولته الاميره خشتنانكه وزنها رطل فأخذها وكانت من عمل أبو محمد البطال لان الاميره ذات الهمة عند خروجها من ملطيه قالت يا أبو محمد أنت ماتجىء معنا فاعطنا من بعض عدتك ما نتقوى به فى الشدائد اذا احتجنا اليه فقال لها ما الذى تريدى قالت له من الخشتنانك المبارك الذى تعمله فأعطاها منه خمسين واحدة فلما كان فى ذلك الوقت استصحبت معها واحدة فاخذها البدوى وقال لها يا أخا العرب من أين لك هذا الطيب قال هذا من طعام الخليفة فاكلها فنطحت رأسه الارض فعند ذلك أقبلت الاميره الى الامير عبد الوهاب فقالت له ماحلك أيها الامير فقال لها انى الاميره ذات الهمة فقالت نعم يا بنى فهل تقدر ان تنهض فقال لها والله ما أستطيع القعود فضلا عن القيام وانى هالك من هذا الجراح الذى قد انفتق على وزاد وجعه لان هذا الرجل جبار من الجبابرة فعادت الاميره ورجعت ومعها أبو الهزاهز وقراقد ودخل

قراقد عنده حتى حمله فقالت الأميرة يا أبو الهزاهز إن أمرنا ما يخفى فكن على أهبة أنت والامراء ونكون معولين إننا نفرق العرب كلها حمينا أبو الهزاهز والأمير عبدالوهاب على أكتاف قراقد فقالوا لها الجماعة لنا اسوة بكى وما نتخلا عن الأمير وفينا عين تطرف فقالت أخرجوا على اسم الله (قال الراوى) وأنهم قد عولوا على ذلك وإذا بشمعة مقبلة وعشر عبيد وظالم معهم وهم طالبين البيت الذى فيه عبدالوهاب فلما رأت الاميرة إلى ذلك قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبلت على أصحابها وقالت لهم ما ينجينا غير الذى أقول لكم وهو أن تخفون أمركم فى المضرب ذات اليمين وذات الشمال فاذا دخل إلى المضرب فاضربوه بالسيوف فاذا قتلتموه ما يجمع الله من العرب اثنين فى طريق واحد بل كل أحد يركب هواه وتخلصون أنتم الأمير عبد الوهاب فى حال اختباط الناس (قال الراوى) وكان السبب فى قدوم ظالم أنه أراد النوم فأحب أن يشرف على الأمير عبد الوهاب إن كان صالح أو تالف هذا والأميرة قد عولت على ضرب ظالم كما ذكرنا ولم يزل ظالم يسير إل أن قرب من المضرب وإذا بالصياح من خلفه قد علا فقال الأمير ظالم لعبيده ويلكم أنظروا ما سبب هذا الصياح الذى قد علا والصراخ الذى نما فقالوا أيها الأمير اعلم أن هذا الرجل الذى عندك مأسور كان لنا فى عسكره خمس رجال سوى من مات من كثرة العطش والظمأ لعلهم يشربون شيأ من الماء وعادوا يخبرون أن أميرتهم قد انتخبت من عسكرهم فوارس أبطال وأقيال كأنهم السباع إذا حملت الاشبال يريد كل واحد منهم ألف من الرجال وذكروا أنها قد وصلت بهم إلى هذا العسكر الذى لنا وقد عولت على سرقة الأمير الذى لهم (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة فلما سمع الأمير ظالم ذلك من كلامهم قال معلوم أنهم إن كانوا فعلوا ذلك الأمر من أول الليل فهم الساعة فى عسكرهم وإن كانوا قد أخفوا أنفسهم عند إقبال الضوء فيالها من فرحه تزيل لكل ترحة ثم صاح بالرجال فتبادرت من حوله أكثر من عشرين ألف عبد وعشرة آلاف بطل وزحفوا عليهم بعد أن نظروهم وأصدقوا عند النظر لمعرفة الخبر وصاح ظالم خذوهم فحملوا عليهم وارتفع الصياح وجردت الصفاح وضرب بعضهم بعضا وأن قراقد طرح الأمير عبدالوهاب موضع ما كان الاول وجرد سيفه وزحف إلى القوم واشتد الحرب وعظم الامر والخطب وماجت الارض بالطول والعرض من كثرة الركض وارتفع الصياح إلى عسكر الأميرة ذات الهمة فركب الأمير إبراهيم ولد الامير عبدالوهاب ونادى قد هلكت الاميرة ومن معها من الامراء فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فقال لهم شيظم ما لمقامنا ههنا وجه فاحملوا بنا عليهم لعل نخلص الاميرة فركب الامير

ابراهيم وركبت الناس الخيل فى ظلام الليل وحملوا على الناس فى ذلك الاغلاس وقامت الدنيا على ساق وعملت السيوف الرقاق فى الرؤس والأعناق ووقع فيهم الفنا وطلبوا كلهم المضرب الذى فيه الاميرة ذات الهمة وجاؤا على الصياح حتى وصلوا اليهم وأشرفوا عليهم وقلقت الجماجم وشوشت العمائم وانتبه النائم وفزع الحالم ولم يلحق الإنسان مركب جواده ءازحف فؤاده وطاعن السنان رقاده واختلط بعضهم ببعض والكل عرب فى تلك الأرض وجعل كل واحد يضرب الذى بين يديه ولا ينظر إليه ووصل الأمير ينظر الخبر فى جماعة من أصحابه إلى الاميرة ذات الهمة وقصد الصائح وكان ظالم لما رأى ذلك هدر مثل البعير وضرب الناس ضربا نكير فتحايدت منه الرجال وجزعت منه الأبطال (ياسادة) وحملت الاميرة على ظالم وحمل ظالم عليها وحمل الامير مالك بن طوق وكذلك أبو الهزاهز أيضا وحمل قراقد وداروا بالامير ظالم فى المضرب ولم يبق لخلاصه منهم سبب وجعل يجالد عن نفسه فقالت الاميرة ذات الهمة فو ذمة العرب لقد كنت أنا وقراقد وأبو الهزاهز ومالك ابن طوق وبردن الأزهر وسعيد بن الفرج وراشد بن ضمرة وقد أطبقنا على ظالم وهو يهدر فى أوساطنا مثل الأسد الهايج وقد حرصنا على أخذه وان نظفر به فلم نقدر على ذلك ولا وصلنا اليه ولقد كان كانه الفحل إذا هاج وهو فى ذلك العجاج كانه الفحل بين النعاج وكان مليح الاحتراز شديد العراز لم يضجر من الحرب ولا يميل من الطعان والضرب ولقد قطع سيفه جميع الاتراس التى كانت معنا ولم يبق الا ان يقضى علينا وتصل أذيته الينا حتى وصلت أصحابنا (قال الراوى) فعند ذلك أخذنا منهم الاتراس وصبرنا على قتال من اجتمع من الناس هذا وظالم قد نظر إلى العرب فنادى قومه وقد حملت القواضب وتصايحوا من كل جانب دونكم وهؤلاء العشرة فهم العسكر كلهم فعند ذلك أحدق بهم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصا ولم يزل السيف يعمل ونار الحرب تشعل وقد زاد الامر وضاق الصدر وعيل الصبر وعاد برد الليل حر وطال الكر والفر وظهر من العسكرين الشر ووقع الطعن فى النحور ونفذت الاسنة من الصدور وقصفت العمد حذو الصدور وكان ليلهم ليل محذور وبقى الجبان من الخوف ؛ور وعظمت عليهم الامور وجعلت الرجال فى الدما تخور وقد عاد القاهر مقهور والصنديد مكسور والشجاع مغرور وبطن الكريم منهم تحت حوافر الخيل مفجور (يا سادة) وتكاثرت العرب على عسكر الاميرة ذات الهمة فردوهم إلى أماكنهم بعد ان خلصت الاميرة ومن معها من الامراء وما فقد منهم غير سعيد بن الفرج فانه أخذ أسير وكان الذى أخذه الامير ظالم ورام القتال والنزال حتى نودى فى قبائل الظلام بالارتحال وبانت نجمة الصبح يزهو مثل الهلال ووقعت العين

على العين ودام الضرب بين الرجال وبانت لهم مواقع الضرب من اليمين والشمال وتمايلت الابطال فى السروج كتمايل السكران إذا سكر ومال وتلجلج اللسان عند الحرب من القتال وقد زاد بهم العطش هنالك أندقت العرب على أصحاب الأميرة أكثر من ألفى فارس ونادى ظالم ياويلكم ان هزمتم فى يومكم فما يبقى منكم أحد فارموا أرواحكم على هذه الشرذمة اليسيرة واصدموهم بالعدد والاتراس واشتد القتال ولقد قاتل الملك البطليموس والكندفرون قتال لم يسمع بمثله قط لأن الأمر قد زاد من كثرة العناد (قال الراوى) ودام عليه الجلاد وعز الحرب عن الأجواد فما كانت إلا ساعة حتى وقفت الاميرة ذات الهمة عن الماء هى وأصحابها وانزاحوا عنه وملكوه أصحاب ظالم ووقعوا عليه مثل النار المسعرة لأنهم لهم عشرة أيام ينظروا الماء فعظم ذلك على الاميرة وقالت معلوم أنكم فى بلاد الحجاز وكل شىء تقدرون أن تصبروا عنه إلا الماء ثم نظرت إلى الملك الكندفرون وقالت له خذ الألف فارس الذين معك واحمل بهم حملة واحدة فقال سمعا وطاعة ثم أنه جمع قومه وألصقوا الطوارق بعضها إلى بعض وعليها تلك الادهان اللماعة التى تتلالا كأنها السيوف القاطعة أو البروق اللامعة وقد طلعت عليهم الشمس واخذ شعاعها بالابصار مع ضوء النهار وعليهم الدروع والقفازات وقد جردوا السيوف المشرفيات وحملوا وفى أيديهم القنطاريات وكانوا فى حملتهم كمثل حملة رجل واحد وتبعتهم الاميرة ذات الهمة وأبو الهزاهز وقراقد بجميع السودان وعسكر العراق وكذلك الأمير شيظم فى عشرين ألف من بنى كلاب كأنهم أسود الغاب وإن العرب ثبتت بعضها ببعض إلا الكندفرون فانه صدم طائفة من العرب فخرقها بأصحابه وان الاميرة نظرت إلى القوم وقد حالوا بينها وبين أصحابها فعند ذلك حملت وثارت الناس شرقا وغربا وأبادتهم طعنا وضربا فاندقت بنى غسان منهزمة وتبعتها بنى مرة ولحقتهم بنى حمير وكهلان وسلمة ومذحج ونافع ومعد وخولان وأكثر القبائل وبنى ربيعة والجحافل ونظر الامير ظالم ذلك فقال لقومه سيروا إلى الموضع الذى لنا فيه الاثقال والرجال والاموال والخيام فعند ذلك عطفوا راجعين والعرب تقاتل وهى منهزمة أحسن من قتالهم فى المصافات وان الكندفرون أدرك الامير ظالم ابن الغريب وكان فى عشرين من أصحابه الذين اسلموا على يد عبد الوهاب لانهم كانت تحتهم خيول سابقة وان ظالم عطف عليهم وفى يده ست حراب وتحت فخذه عشرة فعطف عليهم وضرب واحد منهم فى صدره طلعت الحربة من ظهره وضرب ثانى فجندله ولم يزل يضرب فى الابطال بالحراب إلى أن فنيت الحراب الذين معه وقد قتل بكل حربة فارس ثم اعتمد على الرمح وطاب الكندفرون فرجع هارب وهو يقول كنت

أقول ما على وجه الارض مثل ذات الهمة وعبدالوهاب وبعده سيف الحنيفية وقد علم الله أنهم لو وقفوا قدام هذا البطل كانوا مثل النساء فان هذا رجل عظيم وبطل جسيم ليت كان يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد (يا سادة) وان الاميرة طلبت البيت الذى فيه عبدالوهاب فما وجدت هناك إلا الرجل الذى أكل الحشتنانكه (قال الراوى) وكان السبب فيه أن ظالم دخل إلى المضرب وحمل الأمير عبدالوهاب على جمل باذل من الإبل فواده وأعطاه لعشر من العبيد وقال لهم اذهبوا إلى الحصن الذى لى فى الجبل الشامخ فضعوه هناك وأمروا من يداويه قال فسارت العبيد به ونظرت الاميرة إلى ذلك فعظم عليها وكبر لديها وبقيت بين الخوف والرجاء تارة تقول عطب وتارة تقول حملوه فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الرشيد وهياج الكردى ومالك ابن بشر والامير ضيغم فانهم كانوا فى سرادق الخارجى ظالم ابن الغريب وقد بقى عندهم أكثر من مائة ألف من العرب والعبيد لحفظ الاثقال والرجال والاموال والاسارى من الرجال والرشيد يبكى كل يوم ويقول ياضيغم إيكون هذا الخبر صحيح ان الامير عبد الوهاب سالم وانهزم إمامهم قال ضيغم يا أمير المؤمنين فكم يكون جهد واحد يعمل فى هذا العالم العظيم يا مولاى وقد كان عسكر العراق وخراسان وأنت فى ألف ألف وبعد ذلك فما كان لكم بهم طاقة فهم فى الكلام وإذا بالصباح قد وقع بان عسكر العرب عاد منهزما فعندها باس الرشيد الأرض شكرا لله تعالى ووصلت الاميرة فى أعقابهم ومعها أبطالها وأقيالها فعندها صاح ظالم فى المائة ألف الذين كانوا عند الثقل الخيام فركبت والى لقاء الأميرة طلبت وكانوا أراحوا الخيل واستراحوا ثم عادت العرب بين يدى ظالم وقد قويت العزائم لما وصلوا إلى الغنائم وثار الغبار وزاد القتال ولم يعرف الليل من النهار وقدحت حوافر الخيل الشرار فياله من يوم ترادفت فيه الأهوال العظام ورأيت العقاب عليهم حام هذا عاطب وهذا سالم وهذا موجود وهذا عادم وعاد النهار مثل الليل الغائم وأسود الجو وعدم الضو (قال الراوى) وفى تلك الساعة دخل جماعة من أهل مكة إلى سرادق ظالم بن الغريب وأطلقوا الرشيد وضيغم ومالك بن بشر وهياج الكردى وجعلوا يدورون المضارب فما كانت الا ساعة حتى خلصوا من الناس أكثر من خمسة آلاف وجعل الناس يخلص بعضهم بعضا خلص أكثر من خمسين ألف واجتمع اليهم عساكر مكة والرشيد وبنات هياج ورفعوا الرايات وقال الأمير ضيغم يا أمير المؤمنين قد عولت على أننى أحمل على هذا الظالم الغاشم وإن كان الامير عبدالوهاب كما يقول صحيحا والاميرة ذات الهمة بعسكرها بين أيديهم ونحن من خلفهم فهو سبب انكسارهم وأن قلبى يحدثنى أن أبى مجروح لا محالة والا ما كان يثبت بين يديه هذا العسكر وانى قد غلبنى الشوق اليه وقال الامير مالك بن بشر وأنا والله العظيم

أعظم فقال هياج الكردي وأنا كذلك أنا وبناتي أحملوا بناحمة رجل واحد واحلفوا ان ما فيكم من يرد عنانه حتى يصل إليه لخلف القوم وقال لهم الرشيد احملوا بارك الله فيكم فعند ذلك حملوا وقد صار ضيغم فى ألف ولكن أكثرهم رجاله وزحفوا خلف عسكر ظالم ولم يزالوا حتى اختلطوا بهم وكبروا ونادوا الرشيد يا منصور وعمل القتال واشتد النزال وتراموا بالنبال وخرقوا الصفوف وضربوا الناس بالسيوف وكانوا الرجال من أصحاب الرشيد يرجلون الفرسان ويأخذون خيلهم ونظر العرب إلى السيف يعمل فيهم من خلفهم ومن بين أيديهم فأقبلوا على الأمير ظالم وقالوا أيها السيد المجيد لقد فرطت فى هذا العسكر لأنك خليت فيهم مائة ألف أسير من أصحاب الخليفة وانهم خلت لهم الخيام من الرجال الكرام واغتنموا الفرصة وركبوا الخيل وقد صاروا من خلفنا وما هذا إلا من تدبير أهل مكة فقال ظالم سأريكم ما أفعل باهل مكة إذا فرغت من هؤلاء فقالوا يا أيها الأمير الأثقال والأموال والأحمال قد أخذت وقد بقينا جرايد فان رجعنا نطلب الخيام فالسيف من بين أيدينا ومن خلفنا ومالنا الا نطلب الحصن المنيع والجبل الشامخ والقوم طماعة ولا بد لهم من المسير إلينا ونرجع إليهم ونعطف عليهم فما يبقى منهم باقية وتكون هذه الأموال التى أخذوها لنا عندهم وديعة ولا بد لهم أن يقصدونا الآن لهم عندنا أميرين أسيرين يعنون بذلك عبد الوهاب وسعيد بن الفرج وان يركبوا الأموال فى مكة نأخذها ونخرب مكة فقال ظالم أنا الذى لا أنهزم أبدا ولا تسمع العرب بأنى قد انهزمت ولا وقفت هذا والسيف يعمل فيهم وقد حل بهم الدمار وهذا وظالم قد نظر إلى العرب كلها قد انهزمت فخشى أن يقع أو يؤسر فوقف وحده فى جملة عبيده لأنه كان يحب السودان دون العرب وقد اشترى منهم ثمانية ألف أسود وكانوا يركبون حوله كأنهم السباع (قال الراوى) فعندها أقبل عليهم وقال يا ويلكم أن العرب قد انهزمت وما أقول أنها بقت ترجع أبدا وما يقفون إلا عند الحصن المنيع والجبل الشامخ والذى استشاروه هو الصواب فدونكم والرجوع بنا على مهل لا يقال عنا أنا انهزمنا ونكون نحن سيفا للعرب والا هلكوا ثم سار ظالم وقد أحدقوا به العبيد وطلبوه وطلبتهم ذات الهمة وكان معها خمسين ألف فما قدروا أن يخالطوهم وحملت الأميرة ذات الهمة عليهم فرأت منهم مالم تراه من غيرهم ورجعت فلقيت الرشيد فترجلت وترجل قومها ولما نظر الرشيد إليها ترجل عن جواده إلى الأرض ومشى إليها راجلا والأميرة تقسم عليه أن لا يفعل وتعانقا وسلما على بعضهما بعض ولقيها الأمير ضيغم وهو يبكى من الفرح فعانقته وضمته إلى صدرها والأمير هياج ينظر إلى الوجوه وهو يتفقد الأمير عبد الوهاب فما رآه فقال أيتها الأميرة أين مولاى الأمير عبد الوهاب وكذلك الرشيد سأل عنه فأخبرتهم بما جرى عليه وعلى جميع الناس وقال لها الرشيد على ماذا عولق

فقالت ارفع هذه الرجال والأموال إلى مكة وان أراد مولانا المقام ها هنا فليقم فانى لابد لى أن أدخل الجبل الشامخ الذى رفع ولدى اليه واطلب أيضا أن أطهر الأرض من هذا الشيطان الذى فعل ما لا يقدر عليه أن يفعل كفعله أحد وعمل ما لا يستطيع أن يعمل (قال الراوى) ثم رفعت الأميرة الأموال إلى مكة وقال لها الرشيد والله لا قعدت عنكى ولا كنت الا فى صحبتك وأنا والله إلى عبد الوهاب مشتاق ومحترق عليه غاية الاحتراق (قال الراوى) ياسادة يا كرام فعند ذلك رحلت الأميرة وللرشيد سارت الركائب وقد صاروا فى ثلثمائة ألف فارس ورفعت الأعلام والرايات والأميرة تحجب الرشيد وهو فرحان بذلك وقال يا لها من ساعة ما أبركها ثم قال لها دعى عنكى أيتها الأميرة الحجوبية هذه الساعة وحدثينى كيف كان خلاصكم فاعادت عليهم كيف عمل عليهم القاضى عقبة وهم أسارى وكيف أنفذهم إلى الدير الذى الراهب سميع وانطاكية وكيف لقيهم الملك الكندفرون والبطليموس وأخذهم ووصل بها إلى الكندفرونيه وكيف سمع عقبة بهم وساروا إلى دمشق وإلى صور إلى المدينة إلى التكبفرونيه وكيف تبعه الأمير أبو محمد البطال وقال ما قصد عقبة لتلك الديار إلا لامر غريب عجيب (قال الراوى) والرشيد يسمع ذلك وقد قام شعر بدنه ثم أخبرته الأميرة بوصول عقبة إلى مدينة كندفرونيه والبطال فى أثره وقدوم الملك البطليموس وكيف كان قتالهم والرشيد فى غاية التعجب والحنق على عقبة وهو يقول ماهذه منكى أيتها الاميرة الا حنق عليه لاجل الفتن التى تجرى معكما أولا فما أقول الا انه يسلب عقله فيختار الكفر على الايمان فلما سمعت الأميرة ذلك من كلام الرشيد ضحك وقالت يا أمير المؤمنين وحق هذا البيت العتيق وكلمة التصديق الصادق وابن الصديق ان عقبة يكفر بالرحمن ويكذب بالقرآن ويأكل لحم الخنزير فى شهر رمضان ثم أحضرت الاميرة ذات الهمة الملك الكندفرون والملك البطليموس والالاف فارس وقالت لهم تعرفون القاضى عبقة فقالوا لعن الله ذلك الكافر الفاجر الذى هو خراب بيوت المسلمين وهلاك الموحدين ومشيد أركان الملحدين ثم أعادوا على الرشيد قصة عقبة وكفره وأكله لحم الخنزير وتجريه على الملك القدير فلما سمع الرشيد ذلك ذهبت عنه هذا الشكوك وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لقد حق القول على هذا الملعون وما غاب هذه الغيبة الا وهو يدبر فى أمر هدم الدين وهلاك المسلمين وبالله أقسم قسما بهذا البيت المطهر لابد لى ما أنتقم منه انتقاما مؤلما وأسلمه اليكم تتحكمون فيه بما تختاروا أنتم وسأل عن الاميرة أبو محمد البطال وقال مالى لا أرى نزهة الزمان فقالت الاميرة يامولانا حديثه عجيب ثم أخبرته بقصة نورى وماجرى على الاميرة وعلى أبو محمد

التى جرت وكيف دخل الامير أبو محمد البطال بالملكة نورى فقال الرشيد لقد نال أبو محمد مايتمناه (ياساده) وساروا مجدين فى أمرهم وقد تعجب الرشيد مما جرى عليهم وأقبل على الفضل بن الربيع وقال من يلومنى على محبتى إلى هؤلاء القوم الذين لولاهم كنت اليوم فى يد الاعداء وكانت البلاد قد أخذت من يدنا فقال الفضل بن الربيع يامولانا كلنا عتقاء سيوفهم فقال الامير عمر ومانعرف الافضل هذه الاميره علينا فى سائر الاوقات ولم يزالوا سائرين حتى بقى بينهم وبين الحصن المنيع والجبل الشامخ يوما أو أقل من يوم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء القوم (وأما ما كان) من أمر الامير عبد الوهاب فانه بقى لايأكل ولايشرب وقد عمل عليه الجرح وقد أشرف على العطب وان العبيد قد وصلوا بها إلى ذلك الحصن ورفع إلى أم الملكة أم الامير ظالم وكانت كبيرة القدر والشأن وكانت هذه احتجبت عن الركوب والقتال ففتح الامير عينه ونظر إلى ذلك الحصن وإذا هو للملكة القناصة فقال الامير عبد الوهاب فى نفسه والله هذا الحصن الذى لزوجتى القناصة ولاشك أنها ماتت وانتقلت الدولة وتغيرت الامور واستولى على هذا المكان هذا الشيطان وان الامير وقف عليه طبيب داوى جراحه فاقرب صلاحه حتى قدم إليه ظالم بن الغريب ونزلت العرب حول الحصن فى لحف الجبل الشامخ وجعلت أهل القرى والضياعات يحملون الزاد والعلوفات من كل جانب ومكان وصعد ظالم إلى الحصن واجتمع بامه الملكة القناصة فقالت له يابنى ما لى أرى وجهك إلى غير ما أعهده فقال لها اعلمى أن العرب انكسرت بين يدى العدو وما وقفت وكنت قد أخذت الاموال وأخذت مالا عين رأت ولا أذن سمعت وأخذت أبا راشد الذى هو خليفة المسلمين حتى جاء هذا الجريح الذى عندنا الذى هو عبد الوهاب الحارث ابن ظالم الكلابى فلما سمعت القناصة ذلك طار قلبها وقالت يا بنى وأين هذا الرجل المجروح الذى عندنا فقال هو فى وسط الحصن ومعه رجل آخر من بنى كلاب يسمى سعيد بن الفرج فلما سمعت ذلك بقيت متفكرة فى أمرها وصبرت حتى نزل ولدها ظالم وأخذ الراحه وقالت له يابنى أنت أردت لروحك الهزيمة والالو كنت معك لما كان تهرب من العرب أحد لانى عارفة بهم وبمواضعهم وأماكنهم وأماراتهم ولكن يابنى ارفع هذا المأسور عندنا إلى أعلا الحصن فلا بد للقوم ما يقصدونا ويقدمون علينا فقال السمع والطاعة ثم أن الامير ظالم أطلع الامير عبد الوهاب إلى الحصن وخرج إلى العرب وجعل يحدثهم ويقول لابد للقوم ما يطلبونا بأسرهم وهم يقصدونا بعسكرهم فقالوا ياأمير نحن نرجوا من الرحمن أن يسهل لهم بالمجىء إلينا والقدوم علينا حتى نفنيهم ولو كانوا بعدد الحصى فقال ظالم لا كلام حتى يقدمون فوحق البيت

والمقام وزمزم لا بد ما أقوم بقتالهم يوما كاملا حتى يتحدثون بقتالهم جيلا بعد جيل وقيلا بعد قيل (قال الراوى) وإن القناصة قامت تتمشى بين جوارها وقد تغيرت عن ذلك الحسن التى كانت فيه وزال عنها ذلك الجمال ولكن قوتها باقية كما هى عليها وشحم بدنها وفصاحة لسانها ولم تزل حتى وصلت إلى الأمير عبد الوهاب فلما رفعت عينها فى عينه صرخت بملء بطنها ووقعت عليه وأخذتها الرجفة والزمع وقد طار عقلها من محبتها له (يا سادة) وهذا ظالم هو ولدها من الامير عبدالوهاب فكان لما كبر يقول لها يا أماه من هو أبى فتقول يا ولدى أبوك رجل غريب وكان فارس الأرض فى طولها والعرض وأنه مات وأنت صغير وكان قصدها بذلك حتى لا يعلم أن أباه عبد الوهاب سالما فى الثغور فيسير إليه ويطلبه ويفارقها وتبقى بحسرته (قال الراوى) فلما أن عرفت القناصه أنه عبد الوهاب جرت فى دواه وطبه وأنفقت عليه جملة أموال حتى برىء فلما علمت أنه قوى وطابت نفسها وغطت وجهها بالبرقع لئلا يعرفها وهمت أن تعرفه بنفسها وإذا بالصياح قد علا والغبار قد أقبل والعسكر أقبل ولمع الحديد وقد وصل الخليفة فقالت القناصة لولدها يا بنى هذا العسكر من مقدمه فقال الخليفة وحامية هذا العسكر امرأة يقال لها ذات الهمة وهى أم هذا الأمير عبد الوهاب ولم أرى يا أماه على وجه الأرض مثلها وبالله أقسم أنى ما قدرت على هذا الأمير إلا بسبب هذا الجرح الذى انفتق عليه فقالت القناصة يا ولدى أخرج إلى قتال القوم ولا تفكر فيهم ففى غداة غد أخرج إليهم بروحى ولا يصعب عليك أمرهم ثم إن ظالم نزل والعرب عن يمينه وشماله هذا والأميرة قد عبرت أبطالها ومواكبها وأن الرشيد قد وقف فى وسط الجيش ونظر ظالم إليه فعرفه فناداه يا أبا راشد سوف أركبك على حجر من هذا الجبل فقال الرشيد عرفنى لا كتب الله عليك سلامة وما لى عنده اسم إلا أبا راشد فقالت الأميرة ياأمير راشد وخير وسوف أشفى قلبك منه ثم أنها خرجت كأنها الأسد الغضبان وقالت يا أمير المؤمنين اعلم أن هذا العسكر كله بهذا الشيطان فان فقد فهو بهم جميعا وأنا مابى إلا ولدى عبد الوهاب وأريد آخذه أسير ثم حملت لوقتها حتى قربت لعندعسكر ظالم ونادت ياظالم ويلك وإلى كم هذا التعدى أخرج إلى القتال ثكلتك أمك وعدموك قومك فلنا عندك أسير وهو الأمير عبد الوهاب فعندها برز الأمير ظالم إلى الأميرة ذات الهمة وتقاتلا قتالا عظيما ومل الأمير ظالم من القتال وأرادت الأميرة أن تأخذه أسير وتتركه حقير وإذا بالأمير عبد الوهاب على الصور والقناصه إلى جانبه وهو ينادى أيتها الأميرة ارفعى مضاربك عن ولدى ظالم (يا سادة) وإن القناصة كانت لما إن طلعوا بالأمير إلى الحصن وعرفته فصبرت عليه إلى أن تكاملت عليه العافية فتنكرت ودخلت عليه وقالت هكذا تفعل الرجال مع

النساء فلما سمع كلامها عرف لغتها وقال كأنى أعرف هذه النغمة من أنتى ومن هذا الولد منكى فقالت له أنا القناصة وأما الولد فانه ولدك لانك لما رجعت من عندى بان على الحمل ووضعته ومايشبهك إلا فى محبته للسودان فطلع قعد على السور ونادى بذلك النداء فلما سمع الامير ظالم ذلك فرح بخلاصه من الاميرة وفتح باب الحصن وخرج الامير والقناصة إلى جانبه وترجلت السودان بين يدى الامير ظالم ولما التقيا ترجل الامير ظالم إلى والده واعتنقا وقال له الامير ياولدى استعمل الادب وامضى معى إلى الخليفة فان طاعته فرض وهو خليفة الله فى الارض فتكلف بعد ذلك ظالم ومضى معه كانه ماشى الى سخره ولما أن دخل على الخليفة قبل الارض بين يديه ففرح به الخليفة وخلع عليه ونادى بالامان (قال الراوى) وكان مع ظالم أمير من الامراء الذين أتوا الى نجدته طالب بلاده ولم يستأذن الأمير فأسروه وأتوا به الى بين يديه فلما رآه الامير عبدالوهاب والاميرة ذات الهمة تشفعوا به وقالوا أيها الامير اطلقه لأجلنا فعندها جرد سيفه وضرب به أطاح رأسه عن بدنه وقال قد وهبته لكم خذوه وادفنوه وقد انفطرت مرائر بنى سليم وقالوا لاطاقة لنا بهذا سيما وبنى كلاب يحرضوه علينا وعلى الشيخ الصالح عقبة أول الناس لان هذا مايدرى ماالرشيد هو فى الدنيا أم لا فقالوا ابنى سليم كلما نحن فيه من عبدالوهاب لانه فى كل يوم يزرع لنا بزره فى موضع وقد قويت شوكته بهذا الولد وهذا العسكر فقال عمرو بن عبيد الله ماأقول ان ظالم قط يأتى إلى أرض العراق ولا يخلى بهذه الديار لانه منها ولا سيما حب الوطن ولابد لى ما أتحدث مع الفضل بن الربيع عسى يعمل على هذا الشيطان لايجىء معنا ثم وثب الى الفضل ابن الربيع وأعاد عليه القصة فقال له الفضل ياعمر ولا تتحدث معى من شأن ظالم بكلمة واحدة فالحيطان لها اذان وأخاف ان يبلغه عنى كلمة فهو مايحتمل مثل أبوه عبدالوهاب فيكون ذلك سببا لانقطاع رزقى من الدنيا فرجع عن ذلك وقد يئس مما أهل وقد حمل هماما يحمله جمل (ياساده) وأقاموا الناس فى الضيافة شهرا كاملا والقناصة تقوم بهم والامير عبد الوهاب فى مد مقامه عند القناصة يقول لها كل يوم وليلة دعى عنكى المقام ههنا فلو رأيتى الديار التى نحن فيها لأعجبتك أكثر من هذه الديار فعولى على المسير حتى آخذ ولدى ويصير معى فما بقى لى عنه صبر ولا على فراقه جلد فقالت له اعلم انى قد أجبتك إلى ذلك ولكن حتى أشاور ظالم ولدى فقال لها افعلى ذلك

﴿ تم الجزء العشرون ويليه الجزء الحادى والعشرون ﴾